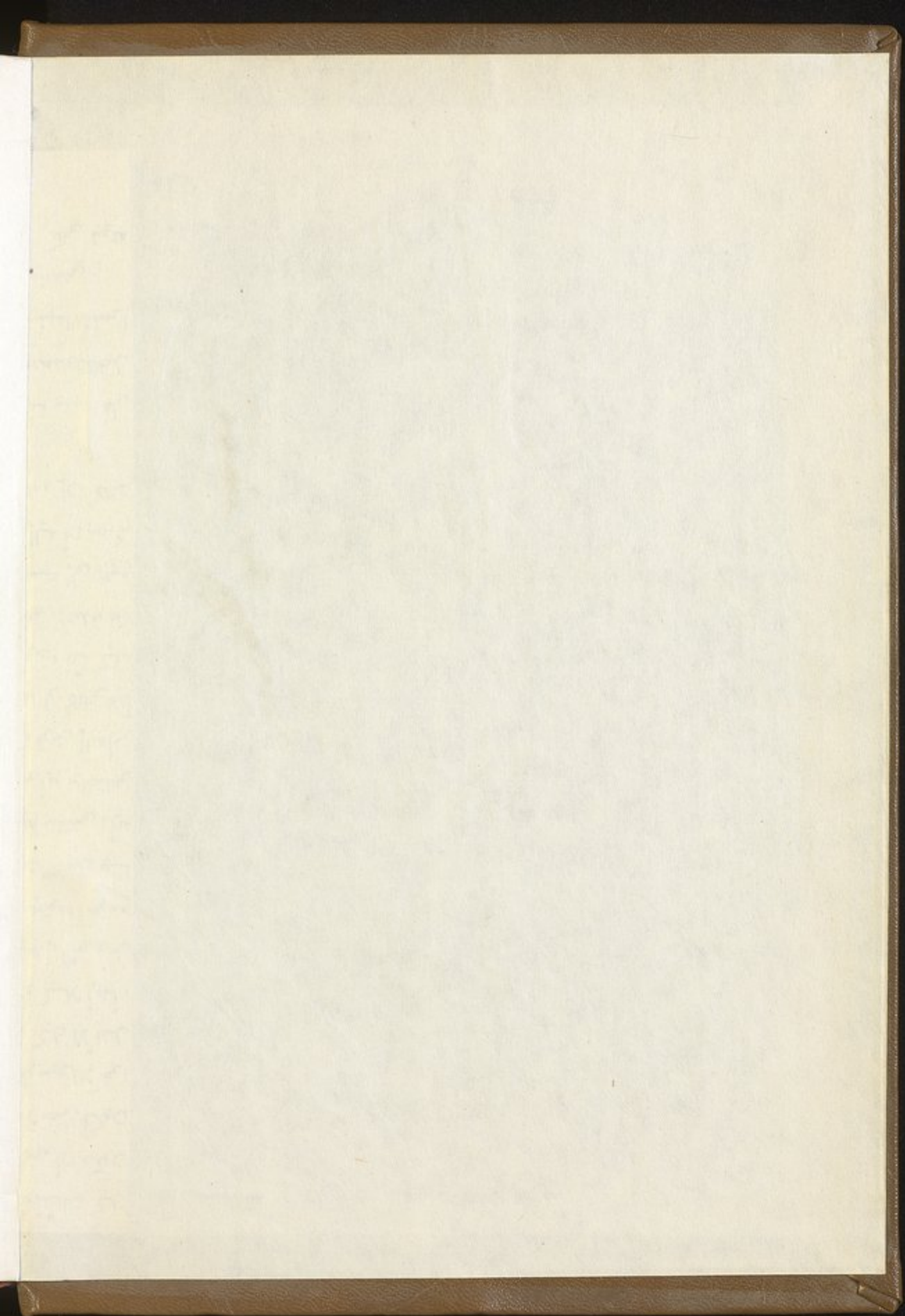


مُسْتَدْرَكُ
تَرْغِيمِ
بُحْرَانِ
الْمَدِينَةِ
الْمَدِينَةِ

تأليف

الإمام العلامة
السيد محمد باقر
الطوسي

الجزء الثاني من الثلاثون



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 015592080

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or renew
by this date.

Blank rectangular label

Large blank rectangular label

Jūybarī

المجلد الثاني والثلاثون
مكتاب

تفسير البصائر

تأليف

الاستاذ المحقق سماحة الحجة
يعسوب الدين رستگارا الجوباري

حقوق الطبع والنقل محفوظة

للمؤلف

اهران - قم

۱۴۰۳ هـ ق = ۱۳۶۲ هـ ش

(Arab)

BP130

.4

.J89

mujallad 32

سورة الاحزاب تسعة اياتها ثلاث وسبعون اية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا يُطِغِ الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَأَنِيعَ مَا يُوْحَىٰ لَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكَيْلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي حَرْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ اللَّذِي تَنْظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُنثَىٰ تَنْكَرًا وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ يَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَخَوَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَمَا إِلَهُكُمْ وَلَا نِسَ عَلَيْهِمْ كُفْرًا فَمَا أَخْطَأُ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَدَّتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝



وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمَنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ
 وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ٥ لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
 أَلِيمًا ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا
 لَّا تَرَوْنَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ٧ إِذْ جَاءَ الَّذِينَ مِنْ قَوْقُدٍ وَمِنَ آسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
 الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَنَظُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ٨ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
 زِلْزَلًا شَدِيدًا ٩ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مُارِعْنَا اللَّهُ وَ
 رَسُولُهُ الْأَعْرُورًا ١٠ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ
 فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ١١ وَ
 لَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَطْرَافِهِمْ سُلُوًا فَسِنَّةٌ لَّا نُوْهَا وَمَا نَبَّيْنَاهُمْ إِلَّا أَيْسَرًا ١٢ وَلَقَدْ
 كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ الْإِبْرَاهِيمَ إِذْ بَارَوْا كَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ١٣ قُلْ لِيُفْعَلْ كُرْ
 الْفِرَارِ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ إِذْ الْأَمْتُونَ الْأَقْلِيَاءُ ١٤ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
 سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُنَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ١٥ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّبِينَ مِنْكُمْ
 وَالْمُغْلِبِينَ لِأَخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦ آيْتَهُ عَلَيْهِمْ فَأُزْجَاهُ أَتَوْا
 وَرَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْوَبِّ فَإِذَا ذُكِبَ عَنْهُمْ لِيُجِيبُوا أَسْتَجِيبُوا
 حِدَادٍ اسْتَجِبْ عَلَىٰ النَّجْرِ وَإِلَيْكَ لِيُؤْمِنُوا فَاجْطَبِ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ١٧

يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يُذْهِبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّ وَالْوَاثِمُ بَادِرٌ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ
عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ يَخْتَفُونَ ١٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِإِنَّ كَانَ هَرَجُوا اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا ١٦ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا
وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ١٧ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا بَدْلًا
١٨ لِيُجْزَى اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ أَنَّ اللَّهَ
كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ١٩ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَغْبِطُهُمْ لِيُنَالُوا الْخَيْرَ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْفِتْنَةَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ٢٠ وَاتَّزَلَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِبَارِ مِنْ صِبَايِهِمْ
وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ الرُّعْبُ يَنْفُلُونَ وَنَائِرُونَ فَرِيقًا ٢١ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَ
أَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ يَطُوعُوا مَا كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ٢٢ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ وَالْأَزْوَاجُ إِن كُنْتُمْ
تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْعِمْنَ وَأَسْرِعْنَ سَرَّاجِبًا ٢٣ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَالذِّكْرَ الْآخِرَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٤ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ
مُسْكِنًا يَفَاحِشَةً مَبِينَةً يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ٢٥ لَوْ كُنْ
تُمْ تُحْسِنُونَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَلِّمُونَ الْبُرْهَانَ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ قُلُوبًا ٢٦ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَسُنَّتْ
كَأَحْسَنَ الْبَيِّنَاتِ إِنْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ٢٧

وَقَرَنَ فِيهِمْ يَكْفُرًا وَلَا يُؤْمِنُونَ بِرَبِّهِمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَمِنَ الصَّلَاةَ وَالْيَمِينَ الرَّكُوعَ
وَأَطَعَنَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ٢٠) وَأَذْكُرَنَّ مَا هُنَالِكَ فِي بُيُوتِكُمْ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا
٢١) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ الْفَاتِنَاتِ وَالصَّادِقَاتِ
وَالصَّادِقَاتِ الصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ الْمُتَصَدِّقِينَ وَالصَّابِرِينَ
الْمُتَصَدِّقَاتِ الصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ الْخَافِضِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ الْذَّاكِرَاتِ
اللَّهِ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ٢٢) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا
قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
بُعِيدًا ٢٣) وَلَا تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ
وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَا تَقْضِي زَيْدًا مِمَّا
وَطَرًا وَجُنَاكُمَا لَكِنَّ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوَاجِ أَرْوَاحِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا
وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ٢٤) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ
قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مُدْفَعًا وَرَأً ٢٥) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا
إِلَّا اللَّهَ وَكُنُوا بِاللَّهِ حَسِيبًا ٢٦) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ
وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ٢٨) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٢٩)

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا
﴿٤٣﴾ يُحِبُّهُمْ يُؤْمِنُ بِهِمْ يَلْفُوفُهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا
وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِآذِينِهِ وَسِرًّا جَانِبِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَّاهُمْ وَنَوَّكَلَ عَلَى اللَّهِ
وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَيَعْبُوهُنَّ وَسِرَّهِنَّ سَرَاحًا
جَبِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
بِيَمِينِكَ مِمَّا آفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ عَمَاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ
خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ
أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾ تُؤْتِيهِمْ مِّنْ تَشَاءٍ مِّمَّنْ
تُرِيدُ وَتُعْطِيهِمْ مِّنْ غَيْرِكَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ إِذْ بَلَغْتَ أَجْرَ بَيْتِهِمْ وَتَمَنَّى وَأَشْرَطَ
أَعْيُنُهُمْ وَلَا يُخْرَجُونَ وَأَرْضُهُمْ وَسُكُنَاتُهُمْ مِمَّا آتَيْتَهُمْ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ
كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَجِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ يَسْتَدَلَّ بِيْنٍ مِنْ أَزْوَاجٍ دَلُوا
أَعْيُنَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ بِيَمِينِكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّفِيعًا ﴿٥٢﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَئِنْ خُلُوْا بِنَوَابِئِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَاظِرِينَ إِنِّي وَلَٰكِن
لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مَسُنَايَنْ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ
فَيَسْتَعْجِلُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ لَكُمْ أَطْهَرُ
لَهُنَّ بِيكْرٌ وَقُلُوبٌ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا أَرْوَاحَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ
ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٧﴾ إِنْ نُبِدُوا شَيْئًا أَوْ خُفِّوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٨﴾
لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي الْأَبَاءِ وَلَا الْأِبْنَاءِ وَلَا الْأَخْوَاهِ وَلَا الْأَبْنَاءِ وَلَا الْأَخَوَاتِ وَلَا الْأَخَوَاتِ
وَلَا النَّسَائِطِ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَقْرَبِينَ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
﴿٥٩﴾ إِنْ اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴿٦٠﴾ إِنْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ
عَذَابًا مُهِينًا ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَالِمًا فَحَبِطُوا خَمَلًا بَهِيمًا
وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ اللَّهُ لِيَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قَوْلَ رِجَالِكُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْكَ مِنْ جِهَاتٍ مُبْتَدِئِينَ
ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفَ فَلا يُؤْذِنُوا وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٢﴾ لَسْنُ أُمَّتِنَا مِنَ الْمُتَفَضِّلِينَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَغْرِبٌ مِنَ الْمُجْرِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ هَيْمًا لِأَجَارِ وَرَدْنَا فِيهَا الْأَقْلِيَّةَ الْمَلْعُونِينَ إِنْ مَا
تُفَعُّوا أَخِذُوا وَقِيلُوا تُفَعُّوهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا
﴿٦٣﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَمَّا يُسْأَلُ فَارْتَأِ عَمَلُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٤﴾

إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ لَا يُجِدُونَ لِنَبِيِّنَا إِلَّا نَجْمًا
مُتَقَلِّبًا ﴿٦٧﴾ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا أَبْنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٨﴾ وَقَالُوا
رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَنَّا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ﴿٦٩﴾ رَبَّنَا ارْزُقْنَا مِنْ أَعْدَابِ
وَالْغَنَمِ لَعْنَا كِبِيرًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكْفُرُوا كَمَا كَفَرْنَا إِذْ وَاسَّوْنَا فِرَاقَهُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا وَإِذْ
كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا ﴿٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٢﴾ يُصَلِّحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ إِنَّا عَرَضْنَا
الْأَمَانََةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٤﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ
* وَيَسُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٥﴾ *



قد جاءكم بصائر من ربكم
فمن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها

الانعام: ١٠٤

كتاب علمي ، فني ، أدبي ، فقهي ، ديني ،
تاريخي ، أخلاقي ، اجتماعي ، سياسي
روائي حديث يفسر القرآن بالقرآن مبتكر
في تحليل حكمه ومعارفه ومناهجه ،
وأساره الكونية والتشريعية ، وفريد
في بابه ، يبحث فيه عن العقل والنقل

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في نواب الاعمال باسناده عن الحسن عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من كان كثير القراءة لسورة الاحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد عليه السلام وأزواجه، ثم قال: سورة الأحزاب فيها فضائح الرجال والنساء من قريش وغيرهم، يا ابن سنان ان سورة الاحزاب فضحت نساء قريش من العرب، وكانت اطول من سورة البقرة لكن نقصوها وحرّفوها. رواه الطبرسي في المجمع، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار.

أقول: ان الحسن في هذا السند هو الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني وهو واقفي لا يعتمد على روايته، فانه مطعون في مروياته حتى قيل في حقه: انه كذاب ملعون.

ولعله اتبع ماروي عن عائشة: « ان هذه السورة كانت تقرأ مني آية فلما كتب عثمان المصاحف لم تقدر إلا ما هو الآن » وما عن ابي بن كعب: « ان سورة الاحزاب كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول ». وهما مردودان لعدم توثيقهما في نقل الاحاديث.

مضافاً إلى أن ذيل الرواية ينافي الكتاب والسنة، ونحن نقرأ السورة لتمامها لذلك الثواب، ولا بأس به عند أكثر الفقهاء عملاً بما رواه الكليني رضوان الله تعالى عليه:

في الكافي : بسند حسن عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « من سمع شيئاً من الثواب على شيء فصنعها كان له ، وإن لم يكن على ما بلغه »

وفيه : بإسناده عن محمد بن مروان قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : من بلغه ثواب من الله على عمل ، فعمل ذلك العمل إلتماس ذلك الثواب اذتيه وإن لم يكن الحديث كما بلغه .

وفي المجمع : ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ومن قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهله ، وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر .

وفي الرهان : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كتبها في رق غزال و تركها في حق وعلقه في منزله كثرت له الخطاب لحرمة ، و رغب إليهم كل واحد ولو كانوا فقراء .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من كتبها في رق ظبي ، وجعلها في منزلة جاءت إليه الخطاب في منزله ، وطلب التزويج في بناته وأخواته وجميع أهله و أقربائه باذن الله تعالى .

أقول : ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما قرأت والله تعالى هو أعلم .

﴿التعرض﴾

تستهدف السورة إستقامة النبي الكريم ﷺ في أمره ، والقيام بمهمته قياماً تاماً لاتساهل فيه ولاهوادة من دون تأثر بأى إعتبار .

فلا بدله ﷺ في ذلك من الحذر من إطاعة كافر أو منافق ، وعليه ﷺ من اتباع الوحي السماوى فقط ، والتوكل على الله جل و علا وحده لاستحالة الجمع بين إتباع الوحي والاطاعة لمنكريه ، وهذا هو الميثاق الغليظ أخذه الله تعالى من جميع الانبياء والمرسلين ، فكل مسؤول عنه .

فلا بد للنبي ﷺ من إتباع الوحي في تنفيذ أوامر الله جل وعلا و إبطال التبنى والعقائد والآداب الجاهلية ، والاستمتماع بما فرضه الله تعالى له معتمداً عليه فانه يكفيه دون إهتمام لنقد ومعارضة ، ومن غير خشية مما سواه تعالى في شرح سنة الله سبحانه وواجبات الانبياء في تبليغ الرسالة الالهية .

وان أكثر آيات السورة وإن كان متعلقاً بخصوصيات النبي الكريم ﷺ وزوجاته موضوعاً وظرفاً ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون منبع إلهام فياض ، و تلقين جليل مستمر المدى لكل قائد ديني يتصدر للزعامة الدينية الاصلاحية والجهادية والسياسة الاسلامية في صدد إصلاح وإبطال ما يكون ضاراً أو باطلاً أو غير متسق مع العقل والمنطق والمصلحة والنصوص الصافية من العادات والتقاليد دون مبالاة بنقد ولامعارضة من غير أن يحل حراماً و يحرم حلالاً فان حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة .

إستلهاماً من قوله تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » : (٢١)
فانه يحث المؤمنين على إتخاذ سيرة رسول الله ﷺ لهم أسوة حسنة .
ولقد حملت الايات نساء النبي الكريم ﷺ واجبات مهمة في تقدير
مر كزهن بالنسبة لخطورة مر كز النبي ﷺ وفي هذا المعنى تلقين جليل لنساء
زعماء المسلمين وقوادهم . . .

وفي السورة : تنويه للنبي ﷺ من عظيم المنزلة ورفعة الشأن ، فان الله
تعالى يصلى عليه ﷺ بشموله الدائم بعطفه ورحمته ، والملائكة بدعائهم و
تأييدهم ، والمؤمنون بتعظيمهم وإجلالهم له ﷺ .

وفيها : تنويه بكل مؤمن ومؤمنة ، يخلصان في إسلامهما النفس لله تعالى
والايمان به ويلتزمان حدوده ويراقبانه ويطيعان أوامره ويخشعان لذكوره ، و
يقومان بواجباتهما التعبدية والاجتماعية والاخلاقية ، وتقرير إستحقاقهما رفيع
المنزلة والاجر عند الله تعالى كل على ما عمل .

وفيها : إنذار شديد باللعنة والعذاب على الكافرين والمنافقين ، وتأديب
رباني مستمر التلقين في وجوب الامتناع عن إتهام الناس بما ليس فيهم ، وإلتزام
حدود الحق والسداد في كل ما يصدر عن المرء من قول .

وفي الختام تقرير لأهلية الانسان للتكليف وقابليته للخير والشر والاستقامة
والانحراف ، وإنذار للذين يختارون الضلال ، ويسرون في طريقه ، وبشرى
للذين يختارون الهدى ويسرون في سبيله .

* النزول *

سورة الاحزاب مدنية نزلت بعد سورة «آل عمران» وقبل سورة «الممتحنة» على التحقيق .

وهي السورة التسعون نزولاً ، والثالثة والثلاثون مصحفاً .

وتشتمل على ثلاث وسبعين آية ، سبقت عليها / ٥١٧٤ آية نزولاً ، و / ٣٥٣٣ آية مصحفاً على التحقيق أيضاً .

ومشتملة على / ١٢٨٠ كلمة ، و / ٥٧٩٠ حرفاً ، وقيل : / ٥٧٩٦ حرفاً ، و قيل : / ٥٧٦٦ حرفاً على مافي بعض التفاسير .

الاحزاب : هي غزوة الخندق، سميت بالاحزاب لتجمع الاحزاب من قريش و غطفان وقبائل نجد مع يهود المدينة، وسميت بوقعة الخندق لان النبي الكريم ﷺ والمسلمين قرروا حفر خندق لمنع الأحراب من إقتحام المدينة .

وقيل : سميت السورة بالاحزاب لان قصتها معجزة لرسول الله ﷺ متضمنة لنصره بالريح والملائكة بحيث كفى الله تعالى المؤمنين بالقتال، وقد ميز بهم بين المؤمنين والمنافقين .

وقيل : سميت بوقعة الاحزاب لان الايات سمت الزاحفين الغزاة بالاحزاب .
في تفسير التبيان: ان أباسفيان و جماعة من الكفار قدموا على النبي ﷺ المدينة ودعوه إلى أشياء عرضوها عليه ، فأراد المسلمون قتلهم ، فأنزل الله سبحانه : « يا أيها النبي اتق الله » في نقض العهد ، وقتل هؤلاء الكفار « ولا تطع الكافرين »

فيما يدعونك إليه ولا « المنافقين » في قتلهم ونقض العهد .

وفي أسباب النزول للسيوطي عن ابن عباس قال : إن أهل مكة منهم : الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله على أن يعطوه شطر أموالهم ، وخوفه المنافقون واليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه فأنزل الله : « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين »

وفي أسباب النزول للواحدى النيسابورى في قوله تعالى : « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » الآية نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمى قدموا المدينة بعد قتال أحد ، فنزلوا على عبد الله بن أبى ، وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكلموه ، فقام معهم عبد الله ابن سعد بن أبى سرح وطعمة بن أبيرق ، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب : ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة ، أو قل : ان لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك ، فشق على النبي ﷺ قولهم ، فقال عمر بن الخطاب : ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم ، فقال : انى قد أعطيتهم الأمان ، فقال عمر : اخرجوا في لعنة الله وغضبه ، فأمر رسول الله ﷺ أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

أقول : ان الآية بصدد نهى النبى الكريم ﷺ عن إطاعة الكافرين والمنافقين ، ويظهر مما تقدم ان عمر بن الخطاب كان من المنافقين الذين نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن إطاعتهم .

وفي المجمع : وقيل : نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله ﷺ فطلبوا منه أن يمتعهم باللات والعزى سنة قالوا : لتعلم قريش منزلتنا منك .

وفيه : في قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » نزلت في أبى معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهرى ، وكان لبيبا حافظا لما يسمع وكان يقول : إن في جوفى لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ، فكانت قريش تسميه ذا القلبين ، فلما كان يوم بدر هزم المشركون ، وفيهم أبو معمر

وتلقاه أبو سفيان بن حرب ، وهو آخذ بيده إحدى نعليه والآخرى في رجله ، فقال له : يا أبا معمر ما حال الناس؟ قال : انهزموا قال : فما بالك إحدى نعليك في يدك والآخرى في رجلك؟ فقال أبو معمر : ما شجرت إلا أنهما في رجلي ، فعر فوا يومئذ انه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده .

وفي سراج المنير : ان رجلاً كان يسمى أبا معمر حميد بن معمر الفهري ، وكان رجلاً لبيباً حافظاً لما يسمع ، فقالت قريش : ما حفظ أبو معمر هذه الاشياء إلا وله قلبان ، وكان هو يقول : لي قلبان اعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقاه أبو سفيان ، وهو معلق إحدى نعليه بيده ، والآخرى في رجله ، فقال له : ما نعل الناس؟ فقال له : بين مقتول وهارب ، فقال له : فما بالك إحدى نعليك في رجلك والآخرى في يدك؟ فقال : ما ظننت إلا أنهما في رجلي ، فاكذب الله تعالى قوله وقولهم وضربه مثلاً في الظهار والتبني .

وفي أسباب النزول للسيوطي عن ابن عباس قال : قام النبي ﷺ يوماً يصلي فخطر خطرة ، فقال المنافقون الذين يصلون معه : ألا ترى أن له قلبين : قلباً معه ، فأنزله الله : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » .

وفيه : عن سعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة قالوا : كان رجل يدعى ذا القلبين ، فنزلت الآية . وزاد الحسن : وكان يقول : لي نفس تأمرني ونفس تنهاني . وقال مجاهد : نزلت في رجل من بني فهم قال : ان في جوفى لقلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد . وقال السدي : انها نزلت في رجل من قريش من بني جمح يقال له : جميل بن معمر .

وفي التبيان : ان رجلاً من قريش وهو أبو معمر جميل ابن أسد كان يدعى ان له قلبين فنزلت هذه الآية .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « وما جعل أدياءكم أبناءكم » حدثني

أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال : كان سبب ذلك ان رسول الله ﷺ لما تزوج بخديجة بنت خويلد خرج إلى سوق عكاظ في تجارة لها ، ورآى زيدا يباع وراه غلاماً كيساً حصيماً (حصيناً خ) و(حفيظاً خ) فاشتراه فلما نبىء رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام ، فأسلم وكان يدعى زيد مولى محمد ﷺ فلما بلغ حارثة بن شراحيل الكلبي خبر ولده زيد ، قدم مكة وكان رجلاً جليلاً ، فأتى أبا طالب ، فقال : يا أبا طالب ان ابني وقع عليه السبي ، وبلغني انه صار إلى ابن أخيك تسئله (فاسئله خ) إما أن يبيعه وإما أن يفاديه ، وإما أن يعتقه . فكلتم أبا طالب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : هو حر فليذهب كيف يشاء (حيث شاء خ) فقام حارثة فاخذ بيد زيد ، فقال له : يا بني ألحق بشرك وحسبك ، فقال زيد : لست افارق رسول الله ﷺ أبداً فقال له أبوه : فقد ع حسبك ونسبك وتكون عبداً لقريش ؟ فقال زيد : لست افارق رسول الله ﷺ مادمت حياً ، فغضب أبوه فقال : يا معشر قريش أشهدوا اني قد برئت منه ، وليس هو ابني ، فقال رسول الله ﷺ : أشهدوا ان زيدا ابني أرتبه وبرتني ، فكان زيد يدعى ابن محمد ، وكان رسول الله ﷺ يحبه وسماه زيد الحب (زيدا لوجه خ) .

فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة زوجته زينب بنت جحش ، وأبطأ عنه يوماً ، فأتى رسول الله ﷺ منزله يسأل عنه ، فاذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبها بفهر لها ، فدفع رسول الله ﷺ الباب ، فنظر إليها ، وكانت جميلة حسنة ، فقال : سبحان الله خالق النور وتبارك الله أحسن الخالقين ، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى منزله ووقعت زينب في قلبه موقعاً عجبياً .

وجاء زيد إلى منزله ، فأخبرته زينب بما قال رسول الله ﷺ فقال لها زيد : هل لك أن اطلقك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ فلعلك وقعت في قلبه ؟ فقالت : أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني رسول الله ﷺ فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال : بأبي أنت وامي يا رسول الله ﷺ أخبرتني زينب بكذا وكذا فهل لك

أن اطلقها حتى تزوجها ؟

فقال له رسول الله ﷺ : لا اذهب واتق الله وامسك عليك زوجك ثم حكى الله فقال : « أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجنا بها - إلى قوله - و كان امر الله مفعولاً »

فزوج الله من فوق عرشه ! فقال المنافقون : يحرم علينا نساء آبائنا ، و يتزوج امرأة ابنه زيد ، فأنزل الله في هذا « وما جعل أدياءكم أبناءكم - إلى قوله - يهدي السبيل » .

قال : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله - إلى قوله - و مواليكم » فأعلم الله ان زيدا ليس هو ابن محمد ، وإنما ادعاه للسبب الذي ذكرناه .

أقول : زينب بنت جحش امها اميمة بنت عبدالمطلب عمه رسول الله ﷺ . وقوله ﷺ : « بفهر لها » الفهر - بالكسر - : الحجر قد رما يدق به الجوز ، ويستعمل عند الاطباء للحجر الرقيق الذي تسحق به الادوية على الصلابة .

وفي أسباب النزول للواحدى فى قوله تعالى : « و ما جعل أدياءكم أبناءكم » نزلت فى زيد بن حارثة كان عند الرسول ﷺ فاعتقه وتبناه قبل الوحي ، فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش ، و كانت تحت زيد بن حارثة ، قالت اليهود والمنافقون : تزوج محمد ﷺ امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها فأنزل الله تعالى هذه الآية .

وفي أسباب النزول للسيوطى عن ابن عمر قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد بن محمد حتى نزل فى القرآن : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » وفي المجمع : وروى ان النبي ﷺ لما أراد غزوة تبوك ، و أمر الناس بالخروج قال قوم : نستأذن آبائنا وامهاتنا ، فنزلت هذه الآية .

وفي الكافى : باسناده عن عبد الرحيم بن روح القصير عن أبى جعفر ﷺ

في قول الله عز وجل : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فيمن نزلت ؟ قال : نزلت في الامرة ان هذه الاية جرت في ولد الحسين من بعده فنحن أولى بالامر ورسول الله ﷺ من المؤمنين والمهاجرين والانصار قلت : فولد جعفر عليه السلام لهم فيها نصيب ؟ قال : لا قلت : فولد العباس لهم فيها نصيب ؟ قال : لا فعددت عليه بطون بنى عبدالمطلب كذلك يقول : لا قال : ونسيت ولد الحسن عليه السلام فدخلت بعد ذلك عليه ، فقلت له : هل ولد الحسن فيها نصيب ؟ فقال : لا يا عبد الرحيم ، ما لمحمدى فيها نصيب غيرنا .

وفي كمال الدين : باسناده عن الثمالى عن على بن الحسين عليه السلام انه قال : فينا نزلت هذه الاية : « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » . وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة : ان قوله تعالى : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » نزل في على عليه السلام لانه كان مؤمناً مهاجراً ذارحم .

منهم : المير محمد صالح الكشفى الترمذى الحنفى فى (مناقب مرتضى ص ٦٢ ط بمبى بمطبعة محمدى) ما لفظه : نقل إتفاق المفسرين على أن الاية نزلت في على عليه السلام لانه الذى كان مؤمناً ومهاجراً وإبن عمه .

ومنهم : الحافظ أبو بكر بن مردويه فى كتاب (المناقب)

ومنهم : إبن عيسى الاربلى فى (كشف الغمة ص ٩٥) وغيرهم نرى كناهم

للاختصار .

وفي الكافى : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : لما قبض رسول الله ﷺ كان على عليه السلام أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله ﷺ وإقامته للناس ، وأخذه بيده ، فلما مضى على عليه السلام لم يكن يستطيع على ولم يكن ليفعل أن يدخل محمد بن على ولا العباس بن على ، ولا أحداً من ولده إذا لقال الحسن والحسين عليه السلام ان الله تبارك وتعالى أنزل فينا كما أنزل فيك ، وأمر بطاعتنا

كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله ﷺ كما بلغ فيك و أذهب عنا الرجس كما أذهب عنك .

فلما مضى على علي عليه السلام كان الحسن عليه السلام أولى بها لكبره فلما توفي لم يستطع أن يدخل ولده ولم يكن ليفعل ذلك ، والله عز وجل يقول : « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فيجعلها في ولده إذا لقال الحسين عليه السلام : أمر الله تبارك وتعالى بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك ، وبلغ رسول الله ﷺ كما بلغ فيك وفي أبيك ، واذهب عنى الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك ، فلما صارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته ، يستطيع أن يدعى عليه كما هو يدعى على أخيه وأبيه لو أراد أن يصر فالامر عنه ، ولم يكونا ليفعلنا ثم صارت حين افضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية : « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ثم صارت من بعد الحسين لعلى بن الحسين عليه السلام ثم صارت من بعد على بن الحسين عليه السلام إلى محمد بن على ، وقال : الرجس هو الشك والله لا نشك في ربنا أبداً .

وفي أسباب النزول للسيوطى عن حذيفة قال : لقد رأيتنا ليلة الاحزاب ونحن صافون قعوداً وأبوسفیان ، ومن معه من الاحزاب فوقنا وقریظة أسفل منا نخافهم على ذرارينا ، وما أنت قط علينا ليلة أشد ظلمة ، ولا أشد ريحاً منها ، فجعل المنافقون يستأذنون النبى ﷺ يقولون : ان ييوتنا عورة وما هي بعورة ، فما يستأذن أحد منهم إلا أذن له فيتسللون إذا استقبلنا النبى ﷺ رجلاً رجلاً حتى أتى على علي عليه السلام فقال : ائمتنى بخبر القوم فجئت ، فاذا الريح فى عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله انى لأسمع صوت الحجارة فى رحالهم و فرشهم الريح تضربهم بها ، وهم يقولون : الرحيل الرحيل ، فجئت فأخبرته خبر القوم ، وأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود » الآية .

وفيه : : عن عمر والمزنى قال : خط رسول الله ﷺ الخندق علم الأحزاب ،

فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدوّرة ، فأخذ رسول الله ﷺ الصخرة المعول
فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتى المدينة ، فكبر وكبر
المسلمون ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتىها فكبرو
كبر المسلمون ثم ضربها الثالثة ، فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتىها ،
فكبر وكبر المسلمون فستل عن ذلك ، فقال : ضربت الأولى ، فأضاعت لى قصور
الحيرة ومدائن كسرى ، وأخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية
فأضاعت لى قصور الحمر من أرض الروم ، وأخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهرة عليها ،
ثم ضربت الثالثة ، فأضاعت لى قصور صنعاء ، وأخبرنى جبرئيل ان امتى ظاهرة
عليها .

فقال المنافقون : ألا تعجبون يحدّثكم ويمنّيكم ويعدكم الباطل ، ويخبركم
كم انه يبصر من يشرب قصور الحيرة ومدائن كسرى ، وانها تفتح لكم ، وأنتم إنما
تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا ، فنزل القرآن : « وإذ يقول
المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » .

وفيه : عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية فى متعب بن قشير الانصارى وهو
صاحب هذه المقالة .

وفيه : عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظى وغيرهما قال : قال
متعب بن قشير : كان محمد يرى أن يأكل من كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا لا
يأمن أن يذهب إلى الغائط ، وقال أوس بن قيطى فى ملأ من قومه : ان بيوتنا عورة
وهى خارجة من المدينة إذذن لنا ، فارجع إلى نساءنا وأبنائنا ، فأنزل الله على
رسوله حين فزع عنهم ما كانوا فيه من البلاء يذكروهم نعمته عليهم وكفايته إياهم
بعد سوء الظن منهم ، ومقالة من قال من أهل النفاق : « يأبها الذين آمنوا
اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود » الآية .

وفى شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى باسناده عن أبى إسحق عن

على عليه السلام قال : فينا نزلت : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » الآية فأنا والله المنتظر ، وما بدلت تبديلاً .

وفيه : باسناده عن عبد الله بن عباس في قول الله تعالى : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » يعني علياً وحمزة وجعفر « فمنهم من قضى نحبه » يعني حمزة وجعفر « ومنهم من ينتظر » يعني علياً عليه السلام كان ينتظر أجله والوفاء لله بالعهد والشهادة في سبيل الله ، فوالله لقد رزق الشهادة .

وفي تاريخ الاسلام للذهبي : سئل على عليه السلام وهو على منبر الكوفة عن قوله تعالى : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » فقال : اللهم اغفر ، هذه الآية نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، فأما عبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر ، وأما حمزة فقضى نحبه شهيداً يوم احد ، وأما أنا فانتظر أشقاها يخضب هذه من هذا - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهد عهده إلى حبيبي أبو القاسم عليه السلام .
رواه جماعة من أعلام العامة .

- ١- ابن حجر في (الصواعق ص ٨٠)
- ٢- البغوي في تفسيره (معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن)
- ٣- الخازن البغدادي في تفسيره (لباب التأويل)
- ٤- ابن الصباغ في (الفصول المهمة ص ١١٣ ط النجف)
- ٥- الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ١٨٨)
- ٦- الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب)
- ٧- الكشفي الترمذي الحنفي في (مناقب مرتضى ص ٦٣ ط بمبىء بمطبعة المحمدى) .

٨- الشبلنجي في (نور الابصار ص ٩٧) وغيرهم تركناهم للاختصار .
و في كنز الفوائد للكرامكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن جابر

عن أبى عبد الله عليه السلام عن محمد بن الحنفية قال : قال على عليه السلام : كنت عاهدت الله ورسوله أنا وعمى حمزة وأخى جعفر وإبن عمى عبيدة بن الحارث على أمر وينا به لله ورسوله ، فتقدمنى أصحابى وخلفت بعدهم لما أراد الله عز وجل ، فأنزل الله تعالى فينا : « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه » حمزة وجعفر وعبيدة « ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً » فأنا المنتظر وما بدلت تبديلاً .

وفيه : باسناده عن عبد الله بن الحسن عن آبائه عليهم السلام قال : ما عاهد الله على بن أبى طالب وحمزة بن عبدالمطلب ، وجعفر بن أبى طالب أن لا يفرّوا فى زحف أبداً ، فتمموا كلهم ، فأنزل الله هذه الآية : « فمنهم من قضى نحبه » حمزة استشهد يوم احد ، وجعفر استشهد يوم موة « ومنهم من ينتظر » يعنى على بن أبى طالب « وما بدلوا تبديلاً » يعنى الذى عاهدوا عليه .

وفى ينابيع المودة : ما لفظه روى فى (المناقب) بالسند عن زياد بن مطرب قال : كان إبن مسعود يقرأ « وكفى بالله المؤمنين القتال » بعلى عليه السلام . وسبب نزوله : ان عمرو بن عبدود كان فارساً مشهوراً يعدل بألف فارس و يوم الخندق نادى هل من مبارز فلم يجبه أحد ، فقال على عليه السلام : أنا يا رسول الله فقال : انه عمرو و اجلس فنادى ثانية فلم يجبه أحد فقام على عليه السلام وقال : أنا يا رسول الله فقال : انه عمرو فقال : وإن كان عمرو فأستاذن النبى صلى الله عليه وسلم قال حذيفة بن اليمان : ألبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه الفضول و عممه عمامته فساق الحديث إلى أن قال فنزلت : « وكفى بالله المؤمنين القتال » .

رواه جماعة من حملة آثار العامة فى أسفارهم :

منهم : الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ١١٠ ط الغرى)

ومنهم : أبوحيان الاندلسى فى تفسيره (البحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ ط

مطبعة السعادة بمصر)

ومنهم : الكاشفى فى (معارج النبوة ج ١ ص ١٦٣ ط لكهنو)
 ومنهم : السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور ج ٣ ص ١٩٢ ط مصر)
 ومنهم : الكشفي الترمذى الحنفى فى (مناقب مرتضى ص ٥٥ ط بمبىء
 بمطبعة محمدى)

ومنهم : ابن عيسى الاربلى فى (كشف الغمة ص ٩٣)
 ومنهم : الحافظ أبوبكر بن مردويه فى (المناقب)
 ومنهم : محمود الآلوسى فى تفسيره (روح المعانى ج ٢١ ص ١٥٦ ط
 المنيرية بمصر)

وفى تفسير القمى : - حديث طويل - فقتلهم (أى بنى قريظة اليهود)
 رسول الله ﷺ فى البردين بالعداء والعشى فى ثلاثة أيام ، وكان يقول : اسقوهم
 العذب وأطعموهم الطيب ، وأحسنوا أسرارهم حتى قتلهم كلهم فأنزله عز وجل
 فيهم : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم » أى من حصونهم
 - وقذف فى قلوبهم الرعب - إلى قوله تعالى - وكان الله على كل شىء قديراً .
 وفى جامع البيان للطبرى : ان هذه الآية : « يأبىها النبى قل لازواجك
 إن كنتن تردن الحياة الدنيا » الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل ان عائشة
 سألت رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدنيا إما زيادة فى النفقة أو غير ذلك ،
 فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً فيما ذكرتم أمره الله أن يخيرهن بين الصبر
 عليه والرضا بما قسم لهن والعمل بطاعة الله وبين أن يمتعهن ويفارقهن ان لم يرضين
 بالذى يقسم لهن .

وفى البحر المحيظ : ان أزواج رسول الله ﷺ تغايرن ، وأردن زيادة فى
 كسوة ونفقة ، فنزلت ، ولما نصر الله نبيه وفرق عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة
 والنضير ، ظن أزواجه انه ﷺ اختص بنفائس اليهود وذخائرهم ، فقعدن حوله
 ﷺ وقلن : يا رسول الله بنات كسرى وقيصر فى الحللى والحلل والاماء والخول
 ونحن على ماتراه من الفاقة والضيق وآلمن قلبه ﷺ بمطالبتهن له بتوسعة

الحال ، وأن يعاملهن بما يعامل به الملوك والاكابر أزواجهم ، فأمر الله أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن بقوله تعالى : « قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا » وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لأزواجك » الآية كان سبب نزولها أنه لما رجع رسول الله ﷺ من غزاة (غزوة خ) خيبر وأصاب كنز آل أبي الحقيق قلن أزواجه : أعطنا ما أصبت فقال لهن رسول الله ﷺ : قسمته بين المسلمين على ما أمر الله ، فغضبن من ذلك ، وقلن : لعلك ترى أنك إن طلقنا أن لانجد الأكفاء من قومنا يتزوجونا ؟

فأنف الله لرسوله ﷺ فأمره أن يعتزلهن ، فاعتزلهن رسول الله ﷺ في مشربة ام إبراهيم تسعة وعشرين يوماً حتى حضن وطهرن ثم أنزل الله هذه الآية وهي آية التخيير فقال : « يا أيها النبي قل لأزواجك - إلى قوله - أجراً عظيماً » فقامت ام سلمة أول من قامت ، فقالت : قد اخترت الله ورسوله فقمين كلهن فعانقنه ، وقلن مثل ذلك ، فأنزل الله : « ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء » فقال الصادق عليه السلام : من آوى فقد نكح ، ومن أرحى فقد طلق ، وقوله : « ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء » مع هذه الآية قوله : « يا أيها النبي قل لأزواجك - إلى قوله - منكن أجراً عظيماً » وقد أخرجت عنها في التأليف .

وفي الكافي : باسناده عن داود بن سرحان عن أبي عبد الله عليه السلام ان زينب بنت جحش قالت : يرى رسول الله ﷺ إن خلتي سبيلنا أن لانجد زوجاً غيره ، وقد كان إعتزل نساءه تسعة وعشرين ليلة ، فلما قالت زينب الذي قالت بعث الله جبرئيل إلى محمد ﷺ فقال : « قل لأزواجك » الآيتين كلتيهما فقلن : بل نختار الله ورسوله والدار الآخرة .

وفي كمال الدين وتمام النعمة باسناده عن عبد الله بن مسعود قال : قلت للنبي ﷺ : يا رسول الله من يغسلك إذا مت ؟ قال : يغسل كل نبى وصيه ، قلت : فمن وصيك يا رسول الله ؟ قال : علي بن أبي طالب عليه السلام قلت : كم يعيش بعدك ؟ قال

ثلاثين سنة ، فان يوشع بن نون وصى موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت : أنا أحق منك بالامر فقاتلها و قتل مقاتليها وأسرها فأحسن أسرها ، وان ابنة أبي بكر ستخرج علي علي في كذا وكذا ألفاً من امتي ، فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها ، وفيها أنزل الله : « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » يعني صفراء (صفراء بنت شعيب خ) .

وفي شواهد التنزيل للحسكاني الحنفى باسناده عن جابر قال : نزلت هذه الآية : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهر كم تطهيراً » علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين و علي ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اللهم هؤلاء أهلي .

وفيه : باسناده عن الحسن بن علي قال : لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله وإياه في كساء لام سلمة خيرى ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً .

وفيه : باسناده عن أبي سعيد الخدرى قال : نزلت هذه الآية في خمسة فقرأها وسمّاهم : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهر كم تطهيراً » في رسول الله و علي و فاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم .

وفي أسباب النزول للواحدى باسناده عن ام سليم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها ، فأنته فاطمة رضي الله عنها بيرمة فيها خزيرة ، فدخلت بها عليه ، فقال لها : ادعى لى زوجك وابنيك ، قالت : فجاء علي وحسن وحسين ، فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وهو علي منامة له ، وكان تحته كساء حبرى ، قالت : و أنا في الحجرة أصلى ، فأنزل الله تعالى هذه الآية : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهر كم تطهيراً » قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ، ثم أخرج يدي فألوى بهما إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي ،

فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، قال : فادخلت رأسى البيت وقلت : أنا معكم يا رسول الله قال : انك إلى خير انك إلى خير .

وفى الدر المنثور : أخرج الطبراني عن ام سلمة ان رسول الله ﷺ قال لفاطمة : ائتينى بزوجه وإبنيه، فجاءت بهم فألقى رسول الله ﷺ عليهم كساء فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء أهل محمد - وفى لفظ آل محمد - فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد .

قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبته من يدى وقال : انك على خير .

وفيه : أخرج ابن مردويه عن ام سلمة قالت : نزلت هذه الآية فى بيتى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهرهم تطهيراً » وفى البيت سبعة : جبرئيل وميكائيل وعلى وفاطمة والحسن والحسين ، وأنا على باب البيت قلت : يا رسول الله أأنت من أهل البيت ؟ قال : انك على خير انك من أزواج النبى .

وفى أسباب النزول للواحدى : قال مقاتل بن حيان : بلغنى أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبى طالب دخلت على نساء النبى ﷺ فقالت : هل نزل فىنا شىء من القرآن ؟ قلن : لا فأنت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إن النساء لفى خيبة وخساسة ، قال : ومم ذلك ؟ قالت : لانهن لا يذكرن فى الخير كما يذكرون الرجال ، فأنزل الله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات » الآية .

وفى جامع البيان : عن عبدالرحمن ابن شيبه قال : سمعت ام سلمة زوج النبى ﷺ تقول : قلت للنبى ﷺ : يا رسول الله مالنا لانذكر فى القرآن كما يذكرون الرجال ؟ قالت : فلم يرعنى ذات يوم ظهرأ إالانداعه على المنبر ، وأنا

أسرح رأسى فلففت شعرى ثم خرجت إلى حجرة من حجرهن ، فجعلت سمعى عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر : يا أيها الناس ان الله يقول فى كتابه : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات - إلى قوله - أعد الله لهم مغفرة و أجراً عظيماً » .

و فى الجامع لاحكام القرآن : عن ام عمارة الانصارية أنها أتت النبى ﷺ فقالت: ما أرى كل شىء إلا للرجال ، و ما أرى النساء يذكرن بشىء ، فنزلت هذه الآية : « ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات » الآية .

و فى أسباب النزول للسيوطى و أخرج الطبرانى بسند لا بأس به عن ابن عباس قال : قالت النساء : يا رسول الله ، ما باله يذكر المؤمنين و لا يذكر المؤمنات ، فنزلت : « ان المسلمين والمسلمات » الآية .

و فى تفسير القمى : فى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله تعالى : « و ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة » و ذلك ان رسول الله ﷺ خطب على زيد بن حارثة زينت بنت جحش الاسديّة من بنى أسد بن خزيمه و هى بنت عمه النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله حتى أوامر نفسى فانظر فأنزل الله « و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة » فقالت : يا رسول الله أمرى بيدك ، فزوجها إياه فمكثت عند زيد ما شاء الله ثم انها تشاجرا فى شىء إلى رسول الله ﷺ عليه ، فنظر إليها النبى ﷺ فأعجبته ، فقال زيد : يا رسول الله ائذن لى فى طلاقها فان فيها كبراً و انها لتؤذنى بلسانها ، فقال رسول الله ﷺ : اتق الله و امسك عليك زوجك و أحسن إليها ، ثم ان زيدا طلقها وانقضت عدتها ، فأنزل الله نكاحها على رسول الله ﷺ : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » .

و فى الدر المنثور: عن ابن عباس قال : خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة ، فاستنكفت منه وقالت : أنا خير منه حسباً وكانت امرأة

فيها حدة فأنزل الله: « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة » الآية .

وفيه: عن ابن زيد قال: نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت أول امرأة هاجرت من النساء فوهبت نفسها للنبي ﷺ فزوجه زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها ، و قالت إنما أردنا رسول الله ، فزوجهنا عبده فنزلت .

و في جامع البيان : عن ابن عباس في قوله تعالى : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة .. الخ » و ذلك ان رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية ، فخطبها ، فقالت : لست بنا كحته ، فقال رسول الله ﷺ فانكحيه فقالت : يا رسول الله أو امر في نفسي فيبيناهما يتحدثان انزل الله هذه الآية على رسوله : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة - إلى قوله - ضلالاً مبيناً » قالت : قد رضيت لى يا رسول الله منكحا ؟ قال : نعم قالت : إذا لا أعصى رسول الله قد أنكحته نفسى .

و في المجمع : نزلت في زينب بنت جحش الأسدية ، و كانت بنت اميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله ﷺ فخطبها رسول الله ﷺ على مولاه زيد بن حارثة ، و رأت انه يخطبها على نفسه ، فلما علمت انه يخطبها على زيد أبت و أنكرت ، و قالت : أنا إبنة عمك ، فلم أكن لأفعل ، و كذلك قال أخوها عبدالله بن جحش ، فنزل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة » الآية يعنى عبدالله بن جحش و اخته زينب فلما نزلت الآية قالت : رضيت يا رسول الله و جعلت أمرها بيد رسول الله ﷺ و كذلك أخوها ، فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا فدخل بها و ساق إليها رسول الله ﷺ عشرة دنانير و ستين درهماً مهراً و خميراً و ملحفة و درعاً و إزاراً و خمسين مداً من طعام و ثلاثين صاعاً من تمر عن ابن عباس و مجاهد و قتادة ، و قالت زينب :

خطبني عدة من قريش ، فبعثت اختى حمنة بنت جحش إلى رسول الله ﷺ استشيريه فأشار بزيد ، فغضبت اختى ، و قالت : تزوج بنت عمك مولاك ثم اعلمتنى ،

ففضبت أشد من غضبها ، فنزلت الآية فارسلت إلى رسول الله ﷺ وقلت :
زوّجني ممن شئت ، فزوّجني من زيد .

وفي الدر المنثور : عن أنس قال : جاء زيد بن حارثة يشكو زينب إلى
رسول الله ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقول : اتق الله و أمسك عليك زوجك .
فنزلت : « و تخفى في نفسك ما الله مبديه » .

و في أسباب النزول : للسيوطي : و أخرج مسلم و أحمد والنسائي قال :
لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : إذهب فاذا كرها عليّ ، فانطلق
فأخبرها فقالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أؤامر ربي ، فقامت إلى مسجدها ، ونزل
القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، و لقد رأيتنا حين دخلت
على رسول الله ﷺ أطعمنا عليها الخبز واللحم ، فخرج الناس و بقي رجال
يتحدثون في البيت بعد الطعام ، فخرج رسول الله ﷺ و اتبعته فجعل يتبع
حجر نسائه ثم أخبرته أن القوم قد خرجوا ، فانطلق حتى دخل البيت ، فذهبت
أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ، و نزل الحجاب و وعظ القوم بما وعظوا به :
« لا تدخلوا بيوت النبي إلاّ أن يؤذن لكم » الآية .

وفيه : و أخرج الترمذي عن عائشة قالت : لما تزوج النبي ﷺ زينب
قالوا : تزوج حليمة إبنة ، فأنزل الله : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » الآية .
و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم »
فان هذه نزلت في شأن زيد بن حارثة قالت قريش : يعيرنا محمد يدعي بعضنا
بعضاً ، و قد ادعى هو زيدا ، فقال الله : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم »
يعنى يومئذ قال : انه ليس بأب زيد .

وفيه : في قوله تعالى : « انا أرسلناك شاهداً و مبشراً - إلى - و كفي بالله
و كيلاً » فانها نزلت بمكة قبل الهجرة بخمس سنين ، فهذا دليل على خلاف التأليف .
وفيه : في قوله تعالى : « امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » قال : كان

سبب نزولها ان امرأة من الانصار أتت رسول الله ﷺ وقد تهيأت و تزينت ، فقالت : يا رسول الله ﷺ هل لك في حاجة فقد وهبت نفسي لك ؟ فقالت لها عائشة قبحك الله ما أنهمك للرجال ! فقال لها رسول الله ﷺ : مه يا عائشة فانها رغبت في رسول الله ﷺ إن زهدتن فيه ثم قال : رحمك الله و رحمكم يا معاشر الانصار ينصرنى رجالكم و ترغب فى نساؤكم إرجعى رحمك الله ، فانى انتظر أمر الله عزوجل ، فأنزل الله عزوجل : « و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » فلا تحل الهبة إلا لرسول الله ﷺ .

و فى الكافى : باسناده عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال : جاءت امرأة من الانصار إلى رسول الله ﷺ فدخلت عليه وهو فى منزل حفصة ، والمرأة متلبسة متمشطة فدخلت على رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ﷺ إن المرأة لا تخطب الزوج ، و أنا امرأة أيتم لا زوج لى منذ دهر و لا ولد ، فهل لك من حاجة ؟ فان تك فقد وهبت نفسي لك إن قبلتنى ، فقال لها رسول الله ﷺ خيراً ، و دعا لها ثم قال : يا اخت الأنصار جزاكم الله عن رسول الله ﷺ خيراً ، فقد نصرنى رجالكم ، و رغبت فى نساؤكم ، فقالت لها حفصة :

ما أقل حياءك و أجرأك و أنهمك للرجال ؟ فقال رسول الله ﷺ : كفى عنها يا حفصة فانها خير منك ، رغبت فى رسول الله ﷺ فلمتها و عيبتها ، ثم قال للمرأة انصرفى رحمك الله ، فقد أوجب الله لك الجنة لرغبتك فى و تعرضك لمحبتى و سرورى و سيأتك أمرى ان شاء الله ، فأنزل الله عزوجل : « و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » قال : فأحل الله عزوجل هبة المرأة نفسها لرسول الله ﷺ ولا يحل ذلك لغيره .
و فى أسباب النزول للواحدى باسناده عن عائشة انها كانت تقول لنساء النبي ﷺ : أما تستحى المرأة أن تهب نفسها ؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية :

« ترجى من تشاء منهم و تؤوى إليك من تشاء » فقالت عائشة أرى ربك يسارع لك فى هواك . رواه البخارى عن زكريا بن يحيى و رواه مسلم عن أبى كريب كلاهما عن أبى اسامة عن هشام .

و فى المجمع : و قيل : انها لما وهبت نفسها للنبي ﷺ قالت عائشة : ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلامهر ؟ فنزلت الآية ، فقالت عائشة : ما أرى الله إلا يسارع فى هواك ، فقال رسول الله ﷺ : فانك إن أطعت الله سارع فى هواك . و فى تفسير القمى : وأما قوله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » فانه لما ان تزوج رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش ، و كان يحبها فأولم و دعا أصحابه ، فكان أصحابه إذا أكلوا يحبون أن يتحدثوا عند رسول الله ﷺ و كان يحب أن يخلو مع زينب فأنزله الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » و ذلك انهم كانوا يدخلون بلا إذن فقال عز وجل : « إلا أن يؤذن لكم - إلى قوله تعالى - من وراء حجاب » .

و فى أسباب النزول للواحدى : قال أكثر المفسرين : لما بنى رسول الله ﷺ بزینب بنت جحش أو لم عليها بتمر وسويق و ذبح شاة قال أنس : و بعثت إليه امى ام سليم بحيس فى تور من حجارة ، فأمرنى النبي ﷺ أن أدعو أصحابه إلى الطعام ، فجعل القوم يجيئون فيأكلون فيخرجون ، ثم يجيئ القوم و يأكلون و يخرجون ، فقلت : يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه فقال : ارفعوا طعامكم فرفعوا و خرج القوم و بقي ثلاثة أنفار يتحدثون فى البيت ، فأطالوا المكث ، فتأذى منهم رسول الله ﷺ و كان شديد الحياء ، فنزلت هذه الآية و ضرب رسول الله ﷺ بيني و بينه ستراً .

أقول : الحيس تمر يخلط بسمن واقط ، فيعجن ويدلك شديداً حتى يمتزج ثم يندر نواه . والتور : إناء صغير .

وفيه: باسناده عن أنس بن مالك قال : لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون قال : فأخذ كأنه يتهيأ للقيام ، فلم يقوموا فلما رأى ذلك قام ، و قام من القوم من قام وقعد ثلاثة ، وان النبي ﷺ جاء فدخل ، فاذا القوم جلوس ، و انهم قاموا و انطلقوا فجئت و اختبرت النبي ﷺ انهم قد انطلقوا ، قال: فجاء حتى دخل قال: و ذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني و بينه ، و أنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام - إلى قوله - ان ذلكم كان عند الله عظيماً » .

و في الدر المنثور : عن صالح بن كيسان قال: نزل حجاب رسول الله ﷺ على نسائه في ذى القعدة سنة خمس من الهجرة .

و في الخصال : باسناده عن عبدالله بن عباس ان رسول الله ﷺ تزوج زينب بنت جحش فأولم وكانت وليمة الحيس ، وكان يدعوا (كانوا يدعون خ) عشرة عشرة ، فكانوا إذا أصابوا طعام رسول الله ﷺ استأنسوا إلى حديثه و استغنموا النظر إلى وجهه ، وكان رسول الله ﷺ يشتهي أن يخفوا عنه فيخلوا له المنزل لانه حديث عهد بعرس ، و كان يكره أذى المؤمنين له ، فأنزل الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانثروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق » .

فلما نزلت هذه الآية كان الناس إذا أصابوا طعام نبيهم ﷺ لم يلبثوا أن يخرجوا قال: فلبث رسول الله ﷺ سبعة أيام بلياليهن عند زينب بنت جحش، ثم تحول إلى بيت ام سلمة بنت ابي امية ، و كانت ليلتها و صبيحة يومها من رسول الله ﷺ قال : فلما تعالى النهار إنتهى علي ﷺ إلى الباب ، فدقّه دقاً خفيفاً له عرف رسول الله ﷺ دقه و انكرته ام سلمة ، فقال لها : يا ام سلمة قومي ، فافتحي له الباب فقالت : يا رسول الله من هذا الذي يبلغ من خطره أن

أقوم ، فافتح له الباب ، وقد نزل فينا بالأمس من قول الله عز وجل : « واذا سئلموهن متاعاً فاسئلهن من وراء حجاب » .

فمن هذا بلغ من خطره ان استقبله بمحاسني و معاصمي ؟ قال : فقال لها رسول الله ﷺ كهيئة المغضب : « من يطع الرسول فقد أطاع الله » قومي فافتح له الباب فان بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالمعجول في أمره ، يحب الله ورسوله و ليس بفاتح الباب حتى يتورى عنه الوطىء ، فقالت ام سلمة و هي لا ترى من بالباب غير انها قد حفظت النعت والمدح : فمشت نحو الباب و هي تقول : بنح لرجل يحب الله ورسوله و يحبه الله ورسوله ، ففتحت له الباب فامسك بعضادتي الباب ، و لم يزل قائماً حتى خفى عنه الوطىء و دخلت ام سلمة ، فقال : أتعرفينه ؟ قالت : نعم و هنيئاً له هذا على بن أبيطالب صلوات الله عليه وآله ، فقال : صدقت يا ام سلمة هذا على بن أبي طالب لحمه من لحمي و دمه من دمي و هو منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي يا ام سلمة اسمعي و اشهدي هذا على بن أبيطالب أمير المؤمنين و سيد الوصيين و هو عيبة علمي ، و بابي الذي ادتي منه وهو الوصي على الاموات من أهل بيتي ، و الخليفة على الاحياء من امتي و أخى في الدنيا و الآخرة ، و هو معي في السنام الاعلى اشهدي يا ام سلمة و احفظي انه يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين .

و في أمالي الشيخ قدس سره : باسناده عن ابن عباس قال : دخل الحسين بن عليّ على أخيه الحسن عليه السلام في مرضه ، فقال له : اكتب يا أخى هذا ما اوصى به الحسن بن عليّ إلى أخيه الحسين بن عليّ عليه السلام أو صانى أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أن يعبده حق عبادته لا شريك له في الملك ، و لا ولي له من الذل و انه خلق كل شيء فقدره تقديراً ، و انه أولى من عبد و أحق من حمد من أطاعه رشد ، و من عصاه غوى ، و من تاب إليه اهتدى فاني اوصيك يا حسين بمن خلفت من أهلي و ولدي و أهل بيتك ، و أن تصفح عن مسيئهم و تقبل

من محسنهم ، وتكون لهم خلفاً ووالداً وأن تدفننى مع رسول الله ﷺ فانى أحق به ، وببيته ممن دخل بيته بغير إذنه ، ولا كتاب جاءهم من بعده قال الله فيما أنزله على نبيه ﷺ فى كتابه :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ، فوالله ما أذن لهم فى الدخول فى حياته بغير إذنه ولا جاءهم الاذن فى ذلك من بعد وفاته ، ونحن ما ذون لنا فى التصرف فيما ورتناه من بعده فان رأيت ان تفاقم عليك الامر ، فانشدك بالقرابة التى قرب الله عز وجل منك والرحم المماسه من رسول الله ﷺ أن تهرق (تهريق خ) فى محجمة من دم حتى تلقى رسول الله ﷺ فنختمهم إليه ، فنجره بما كان من الناس بعده ثم قبض ﷺ .

وفى الدر المنثور : فى قوله تعالى : « وما كان لكم أن تؤذوا » الآية أخرج ابن أبى حاتم عن السدى قال : بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال : أيجبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا ؟ لئن حدث به حدث لنتزوجن نساؤه من بعده فنزلت الآية .

وفى أسباب النزول للمواحدى فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » قال ابن عباس فى رواية عطاء : قال رجل من سادة قريش : لو توفى رسول الله ﷺ لتزوجت عائشة ، فأنزله الله تعالى ما أنزل .

وفى تفسير القمى : وأما قوله عز وجل : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً » فانه كان سبب نزولها انه لما أنزل الله : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم » وحرم الله نساء النبي على المسلمين غضب طلحة ، فقال : يحرم محمد علينا نساؤه ويتزوج هونساؤنا لئن أمات الله عز وجل محمداً لتركض بين خلاخيل نساؤه كما ركض بين خلاخيل نساؤنا ، فأنزله عز وجل : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً » .

وفي الطرائف لابن طاووس قال : ومن طرائف ما شهدوا به على عثمان و طلحة ما ذكره السدي في تفسيره للقرآن في تفسير سورة الاحزاب في تفسير قوله تعالى : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً » قال السدي : لما توفي أبو سلمة وحش بن حذافة (حذافة خ) وتزوج رسول الله ﷺ إمرأتيهما ام سلمة وحفصة ، قال طلحة و عثمان أينكح محمد ﷺ نساءنا إذ امتنا ، ولانكح نساءه إذ مات والله لو قدمنا لقد اجلنا على نساءه بالسهام ، وكان طلحة يريد عائشة وكان عثمان يريد ام سلمة ، فأنزل الله : « ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » الآية ، وأنزل : « إن تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليمًا » وأنزل : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً . »

وفي الكافي باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما قبض رسول الله ﷺ صلت عليه الملائكة والمهاجرون والانصار فوجاً فوجاً قال : وقال أمير المؤمنين عليه السلام سمعت رسول الله ﷺ يقول في صحته وسلامته إنما انزلت هذه الآية في الصلاة على بعد قبض الله لي : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .

وفي تفسير الثعلبي : في قوله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي » باسناده عن عبدالرحمن بن سعد مولى أبي أيوب الانصاري قال : قال رسول الله ﷺ صلت الملائكة على وعلى علي سبع سنين ، وذلك انه لم يصل معي أحد غيره .

وفيه : باسناده عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : صلت الملائكة على وعلى علي ، وذلك انه لم يرفع إلى السماء شهادة أن لا إله إلا الله و ان محمداً عبده ورسوله إلا مني ومنه .

وفي أسباب النزول للواحدى باسناده عن كعب عجرة قال : قيل للنبي ﷺ : قد عرفنا السلام عليك وكيف الصلاة عليك ، فنزلت : « إن الله وملائكته

يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .
وفي شواهد التنزيل : للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن مقاتل بن
 سليمان البلخي بتفسيره وفيه : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما
 اكتسبوا - يعني بغير جرم - فقد احتملوا بهتاناً - وهو ما لم يكن - وإنما مييناً »
 يعني يئيناً ، يقال : نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك إن نقرأ من المنافقين
 كانوا يؤذونه ويكذبون عليه ، وإن عمر بن الخطاب في خلافته قال لأبي بن كعب :
 إني قرأت هذه الآية فوقعت مني كل موقع ، والله اني لأضربهم وعاقبهم ، فقال له
 ابي : انك لست منهم انك مؤدب معلم .

ثم قال : فان ثبت النزول فيه خاصة فقد ثبت ، وإلا فالآية متناولة له بالاخبار
 المتظاهرة عن النبي على الخصوص ، منها الحديث المسلسل ، وفي بعض رواياته :
 من آذى شعرة منك - فهو خاص له - وفي بعضها : شعرة مني ، وهي متناولة له
 لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أخبار : أنت مني وأنا منك .

وفيه : باسناده عن علي بن الحسين وهو أخذ بشعره قال : حدثني الحسين
 بن علي وهو أخذ بشعره قال : حدثني علي بن أبي طالب وهو أخذ بشعره قال :
 حدثني رسول الله وهو أخذ بشعره فقال : من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن
 آذني ، فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله .

وفيه : باسناده عن جابر قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي : من آذاك
 فقد آذاني .

وفيه : باسناده عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت : قد سمعت رسول الله
 يقول لعلي ابن أبي طالب : أنت أخي وجيبي من آذاك فقد آذاني .

أقول : روى جماعة من أعلام العامة نزول قوله تعالى : « والذين يؤذون
 المؤمنين والمؤمنات . . » الآية في علي عليه السلام :

منهم : أبو حيان الاندلسي في تفسيره (البحر المحيط)

ومنهم : السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور)
 ومنهم : القرطبى فى (الجامع لاحكام القرآن)
 ومنهم : القاضى البيضاوى فى تفسيره (أنوار التنزيل)
 ومنهم : الخازن البغدادى فى تفسيره (لباب التأويل)
 ومنهم : البغوى فى تفسير (معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن)
 ومنهم : ابن عيسى الاربلى فى (كشف الغمة)
 ومنهم : الواحدى النيسابورى فى (أسباب النزول)
 وفى الخصائص : عن النطنزى باسناده عن جابر كلهم عن عمر بن الخطاب
 قال : كنت أجفوعياً ، فلقاني رسول الله ﷺ فقال : انك آذيتنى يا عمر ، فقلت :
 أعوذ بالله من أذى رسوله ، قال : انك قد آذيت علياً ومن آذى علياً فقد آذانى .
 وفى تفسير القمى : وقوله عز وجل : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
 الله فى الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً » قال : نزلت فىمن غضب أمير المؤمنين
 عليه السلام حقه ، وأخذ حق فاطمة صلوات الله عليها وأذاها ، وقد قال رسول الله ﷺ :
 من آذاها فى حياتى كمن آذاها بعد موتى ، ومن آذاها بعد موتى كمن آذاها فى
 حياتى ومن آذاها فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله وهو قول الله عز وجل : « ان
 الذين يؤذون الله ورسوله » الآية .
 وفيه : وأما قوله عز وجل : « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك و نساء
 المؤمنین یدنین علیهن من جلا بیهن » فانه كان سبب نزولها ان النساء كن یرجن
 إلى المسجد ویصلین خلف رسول الله ﷺ فاذا كان باللیل ، وخرجن إلى صلاة
 المغرب والعشاء الاخرة یقعدها الشباب لهن فى طریقهن ، فیؤذونهن ، ویتعرضوا لهن
 فأنزل الله عز وجل : « يا أيها النبى قل لازواجك وبناتك و نساء المؤمنین - إلى
 قوله تعالى - ذلك أدنى أن یعرفن فلا یؤذین وكان الله غفوراً رحیماً » .
 وفى الدر المنثور : عن ام سلمة قالت : لما نزلت هذه الآية : « یدنین

عليهن من جلابيهن ، خرج نساء الانصار كأن على رؤسهن الغربان من أكسية سود يلبسناها .

وفي أسباب النزول للسيوطي : في قوله تعالى : « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك » الآية أخرج البخاري عن عائشة قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر ، فقال : يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين ، قالت : فانكفأت راجعة ، ورسول الله ﷺ في بيتي وانه ليتعشى وفي يده عرق ، فدخلت فقالت : يا رسول الله اني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر : كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله إليهم ثم رفع عنه ، وإن العرق في يده ما وضعه ، فقال : انه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن .

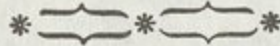
وفيه : وأخرج ابن سعد في الطبقات عن أبي مالك قال : كان نساء النبي ﷺ يخرجن بالليل لحاجتهن ، وكان ناس من المنافقين يتعرضون لهن ، فيؤذبن فشكوا ذلك فقيل ذلك للمنافقين ، فقالوا : إنما نفعله بالاماء ، فنزلت هذه الآية : « يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذبن » .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون » نزلت في قوم منافقين كانوا في المدينة يرجفون برسول الله ﷺ إذا خرج في بعض غزواته يقولون : قتل واسر ، فيقتل المسلمون لذلك ، ويشكون إلى رسول الله ﷺ عز وجل في ذلك : « لئن لم ينته - إلى قوله - إلا قليلا » أي نأمرك باخراجهم من المدينة إلا قليلاً .

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام ان بنى إسرائيل كانوا يقولون : ليس لموسى ما للرجال ، وكان موسى إذا أراد الاغتسال ذهب إلى موضع لا يراه فيه أحد من الناس ، فكان يوماً يفتسل على شط نهر وقد وضع ثيابه على صخرة ،

فأمر الله الصخرة فتباعدت عنه حتى نظر بنو إسرائيل إليه ، فعلموا انه ليس كما قالوا فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً » .

وفيه: : قال ان المراد : « يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا رسول الله ﷺ في علي والأئمة كما آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا » .



﴿ القراءاة ﴾

قرأ نافع « النبيء » بالهمزة و همزة « اتق » همزة وصل ، وليس من باب
الهمزتين والباقون بالياء المشددة .

و قرأ أبو عمرو « بما يعملون خبيراً » على الغيبة بناء على رجوع الضمير
إلى « المناققين » والباقون « تعملون » بالتاء ، و قرأ حمزة و عاصم و ابن عامر
« اللائي » بهمزة ممدودة بعدها الياء ساكنة وصلأ و وقفاً ، و قرأ نافع « اللاء »
مهموزة ممدودة مكسورة لاياء بعدها ، والباقون « اللاي » بغير همزة ولا مدّ .
و قرأ عاصم « تظاهرون » بضم التاء و كسر الهاء من باب المفاعلة ، و قرأ
حمزة « تظاهرون » من باب التفاعل على حذف إحدى التائين ، و قرأ ابن عامر
« تظَاهرون » على إدغام إحدى التائين في الظاء ، والباقون « تظهرون » بتشديد
الظاء والهاء .

و قرأ نافع « النبيء أولى » بالهمزة في « النبيء » فاجتمعت همزتان :
الاولى مضمومة والثانية مفتوحة ، فتبدل في الوصل واواً ، والباقون بياء مشددة .
و قرأ أبو عمرو « بما يعملون بصيراً » بياء الغيبة ، والباقون بتاء الخطاب .
و قرأ أبو عمرو و حمزة « إذ زاغت » مدغمأ ، و قرأ حمزة في رواية
« و زاغت » مماله .

و قرأ نافع و ابن عامر و أبو عمرو « الظنوننا » و « السبيلا » بالالف وقفاً
و وصلأ ، و قرأ أبو عمرو أيضاً بغير الالف في الحالين ، والباقون بالالف وقفاً ،

و بغيرها وصلأ ، و قد اتفقت المصاحف على إثباتها .

وقرأ حفص « لامقام » بضم الميم ، والباقون بفتحها ، وقرأ حفص « بيوتنا » بضم الباء والباقون بكسرها ، وقرأ نافع و أبو جعفر و ابن كثير « لآتوها » مقصوداً من الايتان ، والباقون بالمدّ من الايتاء بمعنى الاعطاء .

و قرأ عاصم « اسوة » بضم الهمزة في مواضع ثلاثة من القرآن الكريم ، والباقون بكسرها .

وقرأ ابن عامر و ابن كثير « نضعف » بالنون و تشديد العين و كسرها من باب التفعيل و قرأ أبو جعفر و أبو عمرو : « يضعف » بالياء المضمومة و فتح العين و تشديدها من باب التفعيل أيضاً مبنياً للمفعول ، والباقون « يضاعف » مبنياً للمفعول من باب المفاعلة وهذه قراءة مشهورة و « العذاب » بالنصب على الاول ، و بالرفع على الأخيرين .

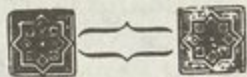
و قرأ حمزة « يقنت » و « يعمل » و « يوتها » كلها على التذكير والغيبة حملاً على لفظ « من » على أن الافعال اسندت إلى ضمير « من » ولم يتبين فاعل الفعل بعد ، والباقون قرؤا « تقنت » و « تعمل » بالتاء على التأنيث حملاً على المعنى أى: أبة امرأة منكن تقنت أو تفعل ، و قرؤا « نوتها » بالنون المضمومة من باب الافعال .

و قرأ أبو جعفر و نافع و عاصم « قرن » بفتح القاف ، والباقون بكسرها ، و قرأ حفص « بيوتكن » بضم الباء والباقون بكسرها . و قرأ عاصم و حمزة « أن يكون لهم الخيرة » على التذكير ، والباقون « أن تكون » بتاء التأنيث .

في تفسير آلوسى : ما لفظه : « قرأ على و إبنه ربحاننا رسول الله ﷺ و الحسن والحسين و إبنه محمد بن الحنفية و جعفر الصادق رضى الله تعالى عنهم أجمعين (زوجتكها) بتاء الضمير للمتكلم وحده .

و في الجامع لاحكام القرآن : للقرطبي : « وقرأه أهل البيت (زوجتكها) »

و قرء عاصم « خاتم » بفتح التاء فالمعنى : انه صلى الله عليه وسلم آخر النبيين لا نبي بعده ،
 والباقون بكسر ها على أنه ختمهم فهو خاتمهم . و قرأ حمزة و أبو جعفر و نافع
 و حفص « ترجى » بغير همزة والباقون بالهمزة . و قرأ أبو عمرو « لا تحل لك
 النساء » بقاء التانيث والباقون بياء التذكير للفصل بالجار والمجرور .
 و قرأ أبو عمرو « اناه » بالامالة . و قرأ ابن عامر « ساداتنا » بالالف و كسر
 التاء جمع اسادة على أنه جمع الجمع من غير قياس ، إشارة إلى كثرة من أضلهم
 و أغواهم من رؤسائهم ، والباقون « ساداتنا » على جمع التكسير للسيد و قيل :
 جمع للسائد . و قرأ عاصم « كبيراً » بالباء الموحدة ، والباقون « كثيراً » بالياء المثلثة .



﴿الوقف والوصل﴾

«المنافقين ط» لاستئناف الكلام التالي، وإن كان في موضع التعليل، و«حكيماً لا» لعطف الكلام التالي بما قبله، و«ربك ط» و«خبيراً لا» كما سبق، و«على الله ط» كالمقدم، و«جوفه ج» فصلاً بين بيان الحالين المختلفين مع إفتاق الجملتين، و«امهاتكم ج» لذلك، و«أبناءكم ط» لتمام الكلام، و«بأفواهكم ط» لما تقدم، و«عند الله ج» للشرط مع العطف، و«مواليكم ط» لتمام الكلام، و«أخطأتم به لا» لان التقدير ولكن فيما تعمدت قلوبكم وكذا إن كان خبر مبتداءً محذوف أي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وذلك للاستدراك، و«قلوبكم ط» لتمام الكلام، و«امهاتهم» لما سبق و«معروفاً ط» لاستئناف الكلام التالي.

«عيسى ابن مريم ص» للعطف و«غليظاً لا» للتعليل التالي، و«صدقهم ج» لان الماضي لا ينعطف على المستقبل ولكن التقدير: وقد أعد، و«أيماع» علامة لانتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين.

«لم تروها ط» لتمام الكلام، و«بصيراً ج» لاحتمال أن يكون المراد: واذكر إذ جاؤكم ولا سيما على قراءة «يعملون» على الغيبة، و«الظنوناي» علامة العشر، وتوضع عند انتهاء عشر آيات، و«فارجعوا ج» لظاهر الواو وإن كانت للاستيناف، و«بعودة ط» بناء على أن ما بعده ابتداء إخبار من الله تعالى،

و من وقف على عودة و جعل إبتداء الاخبار من هناك لم يقف ، و « الادبار ط » لاستئناف التالي ، و « رحمة ط » كالمقدم و « إيناج » لاحتمال كون ما بعده إستئنافاً أو حالاً ، و « قليلاً لا » لان ما بعده حال و « عليكم ج » لعطف الجملتين المختلفتين .

« من الموت ج » فصلاً بين تناقض الحالين ، و « على الخير ط » لتمام الكلام ، و « أعمالهم ط » لاستئناف التالي ، و « لم يذهبوا ج » لاحتمال العطف والاستئناف ، و « أنباء كم ط » بناء على إستئناف التالي ، و « كثيراً ط » لتمام الكلام ، وابتداء القصة و « الأحزاب لا » لان التالي جواب « لما » و « رسولهم » الثاني لاحتمال الاستئناف ، و الحال أوجه ، و « تسليم ط » لاستئناف التالي ، و « عليه ج » لابتداء التفصيل مع الفاء ، و « ينتظر ز » لاحتمال الحال ، و جانب الابتداء بالنفي أرجح ، و « تبديلاً لا » للتعليل التالي ، و « عليهم ط » لابتداء الكلام التالي و إن كان في موضع التعليل .

« رحيماً ج » للآية ، و احتمال الحال أى و قد ردّ ، و « خيراً ط » لتمام الكلام ، و « القتال ط » كما سبق ، و « عزيزاً ج » للعطف والاية ، و « فريقاً ج » لاحتمال أن يكون ما بعده حالاً أو إستئنافاً ، و « لم تطوها ط » و « ضعفين ط » لاستئناف التالي ، و « مرتين لا » على تقدير: وقد اعتدنا ، و « معروفاً ج » للعطف والاية ، و « رسولهم ط » لابتداء الكلام التالي ، و « تطهيراً ج » لوقوع العوارض بين المعطوفين ، و « الحكمة ط » لتمام الكلام ، و « الذاكرات لا » للنعته التالي ، و « من أمرهم ط » لما سبق .

« الناس ج » لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف ، و « أن نخشاه ط » لتمام الكلام ، و « وطراً ط » الثاني لما سبق ، و « له ط » و « قبل ط » لما تقدم ، و « مقدوراً لا » للنعته التالي ، و « إلا الله ط » لاستئناف الكلام التالي ، و « النبيين ط » لما تقدم ، و « كثيراً لا » للعطف التالي ، « إلى النور ط » لتمام الكلام ، و

« سلام ج » لاحتمال الجملة التالية حالاً على تقدير « وقد أعد » و إستئنافاً، و
 « نذيراً لا » للعطف التالي ، و « على الله ط » لاستئناف الكلام التالي و إن كان
 في موضع تعليل لما تقدم ، و « تعتدونهاج » لانقطاع النظم مع الفاء ، و « معكز »
 لاحتمال ما بعده العطف ، والنصب على المدح مع أن طول الكلام يرجح جانب
 الوقف . « أن يستنكحها ق » للعدول على تقدير : جعلناها ، و « المؤمنين ط »
 بناء على إستئناف الكلام التالي ، و « حرج ط » لتمام الكلام ، و « من نشاء ط »
 لان ما بعده واو إستيناف دخلت على الشرط ، و « عليك ط » و « كلهن ط » و
 « قلوبكم ط » لتمام الكلام و إستيناف التالي ، و « يمينك ط » لما سبق ، و
 « إناه لا » للعطف مع الاستدراك ، و « لحديث ط » لابتداء التالي .

« منكم ز » فصلاً بين وصف الخلق و حال الحق مع إنفاق الجملتين ، و
 « من الحق ط » لابتداء حكم آخر ، و « حجاب ط » و « قلوبهن ط » لتمام
 الكلام و إستيناف التالي ، و « أبدأط » و « أيمانهن ج » ولو كانت الواو للاستيناف ،
 فالوقف هو التحقيق ، و « اتقين الله ط » لابتداء الكلام التالي ، و « على النبي ط »
 لاستيناف التالي بالنداء ، و « جلايبهن ط » و « يوزين ط » لما تقدم .

و « قليلاً ج » لان قوله تعالى : « ملعونين » يحتمل أن يكون حالاً أو
 منصوباً على الشتم ، و « ملعونين ج » لان الجملة الشرطية تصلح وصفاً و إستينافاً ،
 و « من قبل ج » لان ما بعده يحتمل الحال و الاستيناف ، و « الساعة ط » و
 « عندالله ط » لابتداء الكلام و إستيناف التالي ، و « سعيراً لا » للحال التالية و
 « أبدأج » لاحتمال ما بعده الحال و الاستئناف ، و « نصيراً ج » لاحتمال تعلق
 الظرف بـ « لايجدون » أو بـ « يقولون » أو بـ « اذكر » ، و « مما قالواط » لابتداء
 الكلام التالي ، و « سديداً لا » لان الجملة التالية بمنزلة الجزاء لما قبلها .

« ذنوبكم ط » لتمام الكلام و إستيناف التالي بالشرط ، و « الانسان ط »
 لابتداء التالي ، و « جهولاً لا » لتعليل التالي ، و « المؤمنات ط » لاستيناف التالي .

* اللغة *

٤٨ - الجوف - ٢٨٤

جافه يجوفه جوفاً - من باب منع - : قعره . وأصل الجوف : الخلاء .
جوف الانسان : بطنه وباطنه . قال الله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه » الاحزاب : ٤)

الجوف : السعة مصدر قولك : شئء أجوف والجوفى : الواسع الجوف .
الاجوفان : البطن والفرج ، سميا لاتساع أجوافهما ، وفي الحديث : « لاتنسوا
الجوف وما وعى » أى ما يدخل فيه من الطعام والشراب ، ويجمع فيه ، والمراد
به الحض على الحلال من الرزق ، والنهى عن الحرام . وقيل : أراد بالجوف :
القلب وما وعى : ما حفظ من معرفة الله . وقيل : أراد بالجوف البطن والفرج معاً ،
ومنه الحديث : « إن اخوف ما أخاف عليكم الأجوفان » .
الأجوف : ما خلا داخله . والأجوفان : العصبان المجوفان فى العينين .
الجوفاء : مؤنث الاجوف ، ومن الدلاء : الواسعة . ومن الشجرة : ذات جوف .
والجوفان : جمع الاجوف . والجوفان : ذكر الرجل . ويقال : جاف زيدا بالطعنة :
بلغ بها جوفها . وجافه الطعن والداء : إذا بلغ جوفه . والجوف : باطن البطن .
وجوف البيت والكعبة : داخلهما . والجوف أيضاً : المظمتن من الارض . وجوف
الليل : ثلثه الآخر وهو الجزء الخامس من أسداس الليل . وفي الحديث : قيل له :
أى الليل أسمع ؟ قال : جوف الليل الاخر أى ثلثه الاخر .

الجائف : الذى ينتهى إلى الجوف ، وفى الحديث : « فجوفوه » أى أطعنوه فى جوفه .

وجاف الصيد: أدخل السهم فى جوفه ، ولم يظهر من الجانب الاخر . والجائف: عرق يجرى على العضد إلى نفض الكتف وهو الضليق . والجائفة : الطعنة التى تبلغ الجوف جمعها : جوائف . جوائف النفس : ماتقعر من الجوف فى مقدار الروح . وفى الحديث : « فى الجائفة ثلث الدية » هى الطعنة التى تنفذ إلى الجوف . وجوفه: جعل له جوفاً ، وأخرج ما فى جوفه . وفى الحديث : « ليس عليك مضمضة ولا إستنشاق لانهما من الجوف » أى من الباطن ، وجوف كل شىء : داخله . وتجوّف الشىء : صار أجوف .

وفى حديث خلق آدم عليه السلام : « فلما رآه أجوف عرف انه خلق لا يتمالك ، أى لا يتماسك . والمجوف : المقعر لا يقابل المحدد ، ومن لا قلب له . ورجل مجوف : جبان ضعيف القلب .

الأجوف من الكلمات ما تكون عينه حرف علة من الواو أو الياء أصليتان أو منقلبتان من الألف . والأجوف من الألفاظ ما لا يستعمل ظرفاً إلا بالحروف لانه صار مختصاً كاليدو الرجل . والجوفى والجواف - بضم الجيم - : ضرب من السمك . وأجفت الباب : رددته . وفى الحديث : « من أجاف من الرجال على أهله باباً أو أرخى ستراً فقد وجب عليه الصداق » . وأجيفوا أبوابكم : ردوها . وفى حديث الحج : « انه دخل البيت وأجاف الباب » أى رده عليه . إستجاف الشىء ، وإستجوف إستجافة وإستجواً : إتسع .

٧٧ - الحنجر - ٣٦٥

حنجرت العين تحنجر حنجرة وحنجاراً - من ياب دحرج - : غارت . و يقال : حنجرت : شخصت من الفزع ، وصعدت عن مواضعها من الخوف إليها .

وحنجر فلاناً : ذبحه .

الحنجرة : الحلقوم جمعها : حناجر . والحنجرة : رأس الغلصمة حيث تراه
ناتئاً من خارج الحلق ، وهي مجرى النفس من داخل الحلق .
قال الله تعالى : « وإذ زاعت الابصار وبلغت القلوب الحناجر » (الاحزاب : ٤)
أراد أن الفرع يشخص قلوبهم أى تقلص إلى حناجرهم .
وفي الحديث : « وسئل عن رجل ضرب حنجرة رجل ، فذهب صوته فقال :
عليه الدية » .

الحنجور : الحنجرة . والمحنجر ، إسم فاعل : والمحنجر : داء فى البطن .

٤- يشرب - ١٧١٤

يشرب : مدينة نبي المسلمين ﷺ قال الله تعالى : « يا أهل يشرب »
(الاحزاب : ١٣)

أى أهل المدينة . يصح أن يكون أصله من باب ثرب ، فالياء فيه زائدة ،
وأن يكون علماً بهذا الوزن من غير زيادة الياء .

قيل : يشرب إسم رجل من العمالقة ، وهو الذى بنى مدينة النبي الكريم
ﷺ فسميت باسم بانها ، ثم طائفة من بنى إسرائيل ثم نزلها الاوس والخزرج
لما تفرق أهل سبأ بسيل العرم . وقيل : سميت باسم أول من سكنها من ولد سام
بن نوح . وقيل : يشرب إسم للناحية التى منها المدينة . وقيل : إسم للناحية منها .
وقيل : إسم الارض المدينة .

وعلى أى تقدير : كانت مدينة نبينا محمد ﷺ تسمى بيثرب قبل الاسلام ،
فلما جاء الاسلام غيره النبي الكريم ﷺ فقال : « بل هى طابة وطيبة » فكأنه
ﷺ كره ذلك الاسم لما يؤول إليه من التشريب بمعنى التفرير والتعسير
والاستقصاء فى اللوم .

والنسبة إليها يثربى وأثربى بالهمزة وكسر الراء وفتحها .

٩٤ - العوق - ١٠٥٩

عاقه يعوقه عن الشيء عوقاً ، وعوقه تعويقاً - من باب نصر نحو قال :- منعه
وصرفه عنه ، فهو معوق . والجمع : معوقون .

قال الله تعالى : « قد يعلم الله المعوقين منكم » الاحزاب : ١٨) أى الصارفين
عن طريق الخير : والمانعين عن سواء السبيل ، وهم المنافقون يقولون لاخوانهم
من ضعفة المسلمين : هلم إلينا ما محمد وأصحابه إلا كأكلة رأس .

من الحسى رجل عوق : جبان - هذلية - والعوق : الامر الشاغل ، وكل
ما عاقتك وشغلك من أمر تقول : عاقنى عائق جمعه : عوائق وعوق .

عوائق الدهر : الشواغل من أجدانه والعائق : الصارف عما يراد من خير .
وفي الحديث : « رجل تزوج بامرأة عائقة » أى مانعة أن لا يفتضحها زوجها .
ويقال : ما عافت المرأة ولا لاقت عند زوجها : أى لم تلتصق بقلبه . وأصل
التركيب ما عافت زوجها عن النظر والمحبة إلى الغير ، وللاقت عنده أى لصقت .
أعوق بى الدابة أو الزاد إعواقاً : قطع أى عجزت عن السفر والعواق
والعويق : صوت يخرج من بطن الدابة اذا مشت وعاق عاق : حكاية صوت الغراب
والعوق - بفتح العين وضمها - الرجل الذى لاخير عنده و يمنع الناس عن وجوه
البر ، والعوق - بفتح العين والواو - : الجوع . وجمعه : أعواق .
العيوق : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الايمن لا يتقدمه ، بجيال الثريا
فى ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء سمي بذلك لانه يعوق الدبران عن لقاء الثريا ،
وأصله : فيعول فادغم .

٧٠ - السلق - ٧٢٩

سلقه بلسانه يسلقه سلقاً - من باب نصر - : بسط لسانه فيه بما يؤذيه ،

والسلق : بسط إما باليد أو باللسان ، والسلق : شدة الصوت .

قال الله تعالى : « فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد » الاحزاب : ١٩)
 أى آذوكم بألسنة سليطة ذرية وهى شدة القول باللسان ، وبالغوا فى عيبكم
 ولائمتكم بألسنتهم ، وبالغوا فيكم بالكلام الغليظ ، وخاصموكم فى الغنيمة أشد
 مخاصمة وأبلغها .

إمرأة سالقة : رافعة صوتها عند المصيبة . وفى الحديث : « لعن الله السالقة
 والحالقة » وفى الحديث : « ليس منامن سلق » أى رفع صوته عند المصيبة . وقيل :
 السالقة : اللاطمة وجهها جمعها : سواق . السالقة - بالفتح - : بذاعة اللسان ، و
 بالضم : الماء المتخذ من الاودية بعد غليها ، و سلق الرأس فى الماء الحار حتى ذهب
 شعره . وكل شىء طبخته بالماء بحتاً فقد سلقته ، و سلفت البيض سلقاً : إذا غليته
 بالنار ، و سلق البرد النبات : أحرقه ، و السليق من الشجر : الذى سلقه البرد فأحرقه .
 السلائق : آثار الاقدام و الحوافر فى الطريق و السليق : الناقة السريعة و الماضية فى
 سيرها ، و السلق : المطمئن من الارض ، و السلق : أن تدخل إحدى عروتى الجوالق
 فى الاخرى ، و السلق : الواسع من الطرفان .

يقال : فلان سلق امرأته : إذا بسطها فجامعها و قال مسلمة : إن شئت
 سلقناك و إن شئت على أربع . يقال : سلق فلان جاريته إذا ألقاها على قفاها
 لبياضها .

وفى حديث : « فاذا رجل مسلق » أى على قفاه و اسلنقى : نام على ظهره .
 سلق اللحم عن العظم : إلتحاه أى قشره ، و سلق فلاناً بالرمح : طعنه و صدمه ،
 و سلقه : طعنه فألقاه على جنبه . و السليقة : الطبيعة المتباينة ، و السليقة : خبر مرفق .
 و السليقة : شىء عينسجه النحل فى الخلية طولاً . و يقال : فلان يتكلم بالسليقية
 أى عن طبعه لاعتن تعلم . و باللغة التى يسترسل فيها المتكلم على سليقته من غير

تعتمد إعراب ولا تجنب لحن . يقال : اضطرب كلام العرب و غلبت السليقية .
وفي حديث أبي الاسود: «انه وضع النحو حين اضطرب كلام العرب و غلبت السليقية» .
السَّلَاق - فعال للمبالغة - : بليغ و لسن . يقال: خطيب سلاق و مسلاق و مسلق:
ذو بلاغة . و في حديث الامام علي عليه السلام: « ذاك الخطيب المسلق الشحشاح » ، إذا
كان نهاية في الخطابة . والسلاق - بضم السين - : عيد صعود المسيح عليه السلام سريانية
ومعناها صعوده عليه السلام إلى السماء . و سلق : صعد على حائط . و سلوق : قرية باليمن
تنسب إليها الدروع والكلاب . السلوقي : أجود السيف والكلاب والدروع .
والسلفقية : المرأة التي تحيض من دبرها . و هي من إحدى الطوائف الخمس
الذين يبغضون الامام أمير المؤمنين علياً و أولاده المعصومين صلوات الله عليهم
أجمعين . و هؤلاء الطوائف هم : الكافر ، والمنافق ، و ولد الزنا ، و من انعقد
الحمل و امه طامت ، والسلفقية . وأوردنا الروايات الواردة في ذلك عن الطريقين
في محلها المناسب في هذا التفسير .

١٦ - النحب - ١٤٩١

نحب ينحب نجباً - من أبواب نصر ومنع وضرب - : إذا أوجب على نفسه
شيئاً . النحب : النذر يوجب الانسان على نفسه كأن ينذر المشي إلى مكة حاجاً ،
ويقال: قضى نحبه : إذا و في بنذره و فعل ما التزمه ، والنحب يقال أيضاً للموت
كأن الموت لما كان في رقبة كل حيّ نذر ، نذره الحيّ على نفسه ، ومن هذا
يقال : قضى نحبه إذا مات أو قتل في سبيل الله تعالى كأن الموت نذر في عنقه .
قال الله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر » (الاحزاب: ٢٣)
أى قضى نذره فكأن جماعة من الصحابة نذروا أن يقاتلوا مع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ،
حتى يفوزوا بالشهادة ، فمن نال الشهادة منهم ، فقد قضى نحبه و وفي بنذره ، و
يصح أن يكون المراد : مات على ما تقدم .

نحب القوم في سيرهم : جدوا و ساروا حتى قربوا من الماء ، وسير منحب
بكسر الحاء - : سريع . و نجبوا في عملهم أى جدوا فيه . النحب : الخطر العظيم ،
وفلان على نحب : على خطر عظيم . والنحيب - إسم - : بكى بكاء شديداً ، أو
رفع صوته ببكاء طويل . والنحبة - بالضم - : القرعة ، و فى الحديث : « لو علم
الناس ما فى الصف الاول لاقتلوا عليه وما تقدموا إلا بنحبة » أى بقرعة ، والنحيب :
شدة القرب للماء . والنحيب : الاكباب على الشئ لا يفارقه ، و يقال : نحب
فلان على أمره .

تناحبوا : تواعدوا للقتال إلى وقت ما ، و قد يكون فى غير القتال ، وناجه
على الامر : خاطره ، و ناحب الرجل : حاكمه و فاخره ، و المناحبة : المخاطرة
والمراهنة . النساء النواحب : اللاتى يرفعن أصواتهن بالبكاء والنوادب من
الباقيات على الميت . والنحب : السعال ، و نجبه : أخذه السعال .

٦١ - الصياصة - ٨٩١

صاص يصيص صيصه - من باب ضرب نحو: باع - : تحصن و إمتنع . و كل
ما يتحصن به يقال له : صيصه ، و بهذا النظر قيل لقرن البقر : صيصه . و صياصى
البقر : قرونها ، واحدها : صيصه .

قال الله تعالى : « و أنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم »
الاحزاب: ٢٦) أى حصونهم و قلاعهم التى يمانعون فيها و يتحصنون بها . و من
هذا سمي كل ما يتحصن و يحارب فيه: صيصه ، فالحصون صياصى . صيصه: الودد
الذى يقلم و يقلع به التمر والصنارة التى يغزل بها و ينسج . و فى الحديث:
« انه ذكر فتنة تكون فى أقطار الارض كأنها صياصى بقر » شبه الفتنة بها
لشدتها، و صعوبة الامر فيها، و فى حديث: « أصحاب الدجال شوار بهم كالصياصى »
يعنى انهم يطيلونها و يقتلونها حتى تصير كأنها قرون بقر .

الصيصة والصيصية: شوكة الحائك التي يسوى بها السداة واللحمة، وشوكة الديك في رجليه، وفي الحديث: «كل من الطيور ما كانت له صيصة» وهي الشوكة التي في الرجل في موضع العقب.

و قرن البقر والظباء والحصن وكل ما إمتنع به، والراعى الحسن القيام على ماله صيصة، جمعها صياص، وصياصي الجبال: أطرافها العالية. والصيصاء: حب الحنظل الذي ليس في جوفه لب.

قيل: ان الكلمة معربة عن المصرية القديمة من كلمة صص بمعنى الرأس.

السياسة:

و لم ترد هذه المادة في القرآن الكريم، ولكن لتقاربها من الصياصة معنى نذكر معناها في المقام إستطراداً:

ساس الدواب يسوسها سياسة - من باب نصر - : قام عليها ورضها وأدبها وذلها، وساس السلطان والوالي الرعية: تولّى أمرها و دبرها، وأحسن النظر إليها، ويقال للمجرب: قد ساس الامر، و قام به، و سوس - مبنياً للمفعول - فلان أمر الناس: ملك عليهم، و ساس - إسم فاعل - جمعه ساسة و سواس. ويقال: كيف تكون الرعية مسوسة إذا كان راعيها سوسة. و يقال: سوس فلان أمر بنى فلان أى كلّف سياستهم و هم يتحصنون به فى شئونهم و فى وصف الائمة **عليها السلام**: «أتم ساسة العباد» و فى حديث: «الامام عارف بالسياسة».

السياسة: إستصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجى فى العاجل والآجل. والسياسة المدنية: تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة. والسياسة: فعل الساس.

و فى الحديث: «ثم فوض إلى النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** أمر الدين والامة ليسوس عباده» كل ذلك من سست الرعية سياسة: أمرتها و نهيتها.

وفى الخبر: «كان بنو إسرائيل تسوسهم أنبياءهم» أى تتولى أمرهم كالامراء

والولاء بالرعية من السياسة ، وهو القيام على الشيء بما يصلحه .
السياسة : منتظم فقار الظهر ، جمعه : سياسى .
السوس : الطبع والخلق والسجية . يقال : الفصاحة من سوسه ، والكرم من
سوسه أى من طبعه .

سوس أى وقع فى الطعام سوس ، والسوس والسوسة : دود يقع فى الصوف
والطعام . والسوس : نبات يشبه الريحان عريض الورق ليس له رائحة كالريحان .
والسوس : شجر معروف فى عروقه حلوة شديدة ، وفى فروعه مراة وهو ببلاد
العرب كثيرة . والسوس - محرقة - : داء يحدث فى عجز الدابة . والسواس -
كغراب - : داء فى أعناق الخيل يأخذها ويبسها حتى تموت .

٤٨ - الوطر - ١٦٨١

الوطر : كل حاجة للمرأة له بهامة وعناية شديدة ، وإذا بلغ هذه الحاجة
و نالها قيل : قضى وطره وأربه .
قال الله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً - إذا قضوا منهن وطراً »
الاحزاب : ٣٧) فالنساء أو طار للرجال ، و جمع الوطر : أو طار ، و لا يبنى
منه فعل .

١٢ - الاغراء - ١٠٨١

غرى به يغرى غراً و غراء - من باب علم نحو : رضى - : ولع به .
و اغراء بالشيء اغراء أى لعه به و حظه عليه و أثار و لوغسه ، و أغرى
بينهم العداوة : ألقاها كأنه ألزقها بهم ، و ألزمهم عليها . و ورد من المادة الاغراء
فعالان : للتكلم وحده من الماضى ، و للتكلم مع الغير من المضارع .
قال الله تعالى : « فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ، المائدة ١٤) أى هيجناها

بينهم و ألقنا بهم ذلك ، كأنه من الغراء و هو ما يلصق به ، فأفسد بينهم .
و قال : « لنغرينك بهم » الاحزاب : ٦٠) أى لنسلطنك عليهم يعنى إن لم
ينته المنافقون عن عداوتهم لنامرنهم أن تفعل بهم ما يسؤهم و يضطرهم إلى طلب
الجلاء من المدينة فسمى ذلك إغراء - و هو التحريش - على سبيل المجاز .
وفي الحديث : « أو مغرى بالجمع والادخار » أى شديد الحرص على جمع
المال و إدخاره كأن أحد يغريه بذلك و يبعثه عليه ، وفي حديث : « فلما رأوه
أعروا بى تلك الساعة » أى لجؤوا فى مطالبتى و ألقوا .
الغرى - كالغنى - : صبغ أحمر كأنه يغرى ، غرى العد : برد ماؤه ، و
غرى فلان : تمادى فى غضبه ، و غرى بكذا : لهج به و لصق . و أصل ذلك من
الغراء ، و هو ما يلصق به ، و قد أغريت فلاناً بكذا : ألهمت به ، و غرى بالشىء :
اولع به ، من حيث لا يحمله عليه حامل و منه إغراء الكلب بالصيد . و منه يكون
معنى الحسن ، فالغرى - بفتح الراء و كسر ها - : الحسن ، و منه يجيىء معنى
العجب ، و قولهم : لا غرو و لا غروى : لا عجب .
والغرى : الحسن من الانسان و غيره ، و البناء الجيد و قوس ، و من المثل :
« أدركنى و لو بأحد المغروين » أى بأحد السهمين . قوس مغروة و مغرية :
ملصقة بالغراء . و غرى الشىء تغرية : طلاه بالغراء و ألقه به ، و الغراء - بالفتح - :
الولوع بالشىء و - بالكسر - : ماطل به و ما الصق به معمولاً من الجلد و الدقيق ،
و قد يستخرج من السمك . و رجل غراء - بكسر الغين - : لادابله ، و الاسم : الغروى .

﴿ النحو ﴾

١ - (يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

« يا » حرف نداء و « أي » مضموم لانه نداء مفرد ، و « ها » للتنبيه لازم ل « أي » و « النبي » نعت من « أي » عند النحويين إلاّ الاخفش ، فانه يقول : انه صلة ل « أي » و « اتق » فعل أمر ، من باب الافتعال ، و « لا » حرف نهى ، ومدخولها فعل مضارع من باب الافعال ، مجزوم بحرف النهى ، و « الكافرين » مفعول به و « المنافقين » عطف على « الكافرين » و « ان » حرف تأكيد و « الله » إسمها ، و « كان » فعل ناقص ، و إسمه ضمير راجع إلى « الله » و « عليماً » خبره و « حكيماً » خبر بعد خبر ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

٢ - (و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)

« و اتبع » عطف على « اتق » و قيل : على « لا تطع » من عطف الامر على النهى ، و « ما » موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و « يوحى » فعل مضارع مبنى للمفعول من باب الافعال ، و « إليك » متعلق بـ « يوحى » و « من ربك » متعلق بمحذوف ، في موضع نصب ، نعت من « ما » و « خبيراً » خبر لـ « كان » والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « بما » متعلق بـ « خبيراً » قدّم لرعاية الفواصل ، و « ما » موصولة ، و « تعملون » صلتها على حذف العائد ، و جمع الفعل لانه عنى بقوله تعالى : « اتبع » أنت و أصحابك و امتك .

٣ - (و توكل على الله و كفى بالله و كيلاً)

«توكل» عطف على «اتق الله» و «على الله» متعلق بـ «توكل» و «كفى» فعل ماض ، و «بالله» في موضع رفع ، فاعل الفعل على زيادة الباء للتأكيد ، و «و كيلاً» منصوب على البيان أو الحال .

٤ - (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه و ما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن امهاتكم و ما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

«ما» الثلاثة كلها نافية ، و «لرجل» متعلق بـ «جعل» و «من قلبين» في موضع نصب ، مفعول به «جعل» على زيادة «من» و «أزواجكم» مفعول به ، جمع الزوج ، وهو يطلق على الذكر والانثى بغير تاء على لغة الفصحى و هي لغة القرآن الكريم قال تعالى: «اسكن أنت و زوجك الجنة» البقرة : ٣٥ و «اللاتي» جمع التي ، والاصل إثبات الياء ، ويجوز حذفها ، إجتزاء بالكسرة ، ويجوز تليين الهمزة و قلبها ياء و «تظاهرون» فعل مضارع ، لجمع المذكر المخاطب ، من باب المفاعلة ، صلة الموصول ، و «امهاتكم» جمع الام ، مفعول بها ، و «ادعياءكم» مفعول به الاول ، والادعياء جمع دعى وهو من يدعى لغير أبيه إبناً له ، و «أبناءكم» جمع إبن ، مفعول ثان ، و «ذلكم» مبتداء و «قولكم» خبره و «بأفواهكم» في موضع رفع ، نعت من «قولكم» و «الله» مبتداء و «يقول» خبره ، و في نصب «الحق» وجهان :

أحدهما - أن يكون مفعولاً لـ «يقول» . ثانيهما - أن يكون صفة لمصدر محذوف على تقدير : والله يقول القول الحق .

٥- (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فآخوانكم في الدين و مواليتكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

« ادعوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، و « هم » فى موضع نصب ، مفعول به ، و « هو » مبتداء على تقدير : دعاؤكم ، فالضمير راجع إلى مصدر يدل عليه الفعل ، و « أقسط » صيغة تفضيل من القسط ، خبر المبتداء و « فاخوانكم » الفاء للجزاء ومدخولها خبر لمحذوف أى فهم إخوانكم ، والجملة جزاء للشرط ، و « ما » موصولة فى موضع جر ، عطفاً على « ما » فى « فيما » ويجوز أن يكون فى موضع رفع ، على الابتداء على حذف الخبر أى تواخذون به أو يؤاخذكم به .

٦ - (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أولياءكم معروفاً كان ذلك فى الكتاب مسطوراً)

« النبى » مبتداء و « أولى » خبره ، و « أزواجه » مبتداء و « امهاتهم » خبره على حد قولهم : زيد أبو عمرو أى يقوم مقامه و يسد مسده ، و « اولوا » مبتداء اضيف إلى « الارحام » و فى « بعضهم » وجهان : أن يكون بدلاً ، و أن يكون مبتدأ و « أولى ببعض » خبره والجملة خبر للاول ، و « فى كتاب الله » متعلق بـ « أولى » ويجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال ، والعامل فيه معنى « أولى » و لا يكون حالاً من « اولوا الارحام » للفصل بينهما بالخبر ، و لانه لا عامل إذاً و فى « من المؤمنين » وجهان : أن يكون متصلاً بـ « اولوا الارحام » فينتصب على التبيين أى أعنى . و أن يكون متعلقاً بأولى ، فمعنى الاول : و اولوا الارحام من المؤمنين أولى من الاجانب .

و على الثانى : و اولوا الارحام أولى من المؤمنين والمهاجرين الأجانب ، و فى « إلا أن تفعلوا » وجهان : فى موضع رفع على الابتداء على حذف الخبر وتقديره : فعلكم إلى أولياءكم معروفاً جائز . و فى موضع نصب على أن الاستثناء منقطع . و « فى الكتاب » متعلق بـ « مسطوراً » .

٧ - (واذخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و من نوح و ابراهيم وموسى

و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

«إذ» ظرف ، عامله محذوف أى اذ كر يا محمد ﷺ حين «أخذنا» فعل ماضى للتكلم مع الغير فاعله هو الله تعالى وحده ، و جاء بالجمع تعظيماً ، و «من النبيين» متعلق بـ «أخذنا» و «ميثاقهم» مفعول به و «منك» عطف على «من النبيين» و «أخذنا» الثانى عطف على الاول و «ميثاقاً» مفعول به ، و «غليظاً» نعت من «ميثاقاً» .

٨ - (ليسئل الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذاباً أليماً)

«ليسئل» اللام للتعليل ، و قيل : هى للغاية ، و مدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ «أن» مقدرة ، و فاعل الفعل ، ضمير مستتر فيه راجع إلى «الله» والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر مجرور باللام ، متعلق بمحذوف يدل عليه قوله تعالى : «أخذنا» أى فعل ذلك و «الصادقين» مفعول به ، و «عن صدقهم» متعلق بـ «يسئل» والواو فى «و أعد» تحتل الحال ، فمدخولها فعل ماضى من باب الافعال على تقدير : و قد أعد ، و تحتل الاستئناف ، و تحتل العطف ، عطف على «أخذنا» و قيل : على محذوف أى أخذ الميثاق ، و «عذاباً» مفعول به ، و «أليماً» صفة لـ «عذاباً» .

٩- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

فى «إذ» و جهان: أن يكون ظرفاً للنعمة أو ظرفاً للاستقرار فى «عليكم» إذا جملمته حالاً ، فعلى الاول فموضع «إذ» نصب بـ «اذكروا» .

١٠ - (اذ جاءكم من فوقكم و من أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنون)

فى «إذ» و جوه : أحدها - أن يكون بدلاً من «إذ» فى «إذ جاءكم» ثانياً - أن يكون عطف بيان لـ «إذ جاءكم» ثالثاً - فى موضع نصب لمحذوف أى اذ كر حين جاؤكم . و كذلك الوجوه فى «إذ زاغت الابصار» و «الحناجر» .

جمع الحنجرة، مفعول به، و ان الألف في « الظنونا » لرعاية السجع، ومن هذا القبيل « الرسولا » و « السبلا » تدخل لرعاية الفواصل .

١١ - (هناك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزلاً شديداً)

« هنا » إسم يشار به إلى المكان القريب، وقد تدخل عليه اللام والكلام، فيكون للبعيد واذا دخلت عليه الكاف فقط فيكن للمتوسط فقط، وقد يشار به إلى الزمان إتساعاً . و في عامله وجهان : أحدهما - أن يكون « ابتلى » عاملاً فيه، وعلى هذا فلا يوقف على « هنالك » ثانيهما - أن يكون « تظنون » عاملاً فيه، فيوقف على « هنالك » . و « ابتلى » فعل ماض من باب الافتعال، مبنى للمفعول و « المؤمنون » ناب مناب الفاعل، و « زلزلوا » فعل ماض لجمع المذكر المغائب مبنى للمفعول، و « زلزالاً » منصوب على المصدر، و « شديداً » وصف لـ « زلزالاً » .

١٢ - (و اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً)

في « إذ » وجهان : أحدهما - عطف على « إذ زاغت الابصار » . ثانيهما - أن يتعلق بفعل مقدر أى اذ كر حين يقول . . و « مرض » مبتداء و « في قلوبهم » متعلق بمحذوف و هو الخبر، والجملة صلة الموصول، و « ما » نافية و « نا » في موضع نصب، مفعول به، والجملة المنفية مقولة القول، و « غروراً » منصوب على الاستثناء .

١٣ - (و اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا و يستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة و ما هي بعورة ان يريدون الا فراراً)

والكلام في « إذ قالت » هو الكلام فيما سبق، و « يثرب » إسم المدينة قبل الاسلام ثم غلب عليه إسم مدينة الرسول بعد الهجرة، ثم المدينة الطيبة،

و هو لا ينصرف للعلمية و وزن الفعل ، و « لا » حرف نفى للجنس ، و « مقام » : مصدر بمعنى الإقامة أو موضعاً يقيمون فيه ، و « مقام » إسم لحرف النفي ، و « لكم » متعلق بمحذوف ، و هو الخبر ، و « فارجموا » الفاء للتفريع ، و مدخولها فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، على حذف المعمول أى فارجموا إلى منازلكم . « و يستأذن » فى الواو وجهان : أحدهما - أن تكون للحال ، فمدخولها فى موضع نصب ، على الحال من « طائفة » . ثانيهما - أن تكون للاستئناف على أن الكلام تمّ عند قوله : « فارجموا » و « عورة » على حذف المضاف أى ذات عورة ، و « ما » حرف نفى تشبه بليس ، و « هى » إسمها ، و « بعورة » خبرها على زيادة الباء جيئت للتأكيد ، و « إن » حرف نفى و « يريدون » فعل مضارع لجمع المذكر الغائب من باب الافعال و « فرأى » مفعول به .

١٣ - (و لودخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآ توها و ما تلبثوا بها الا يسيراً)

« لو » حرف إمتناع ، و « دخلت » فعل ماض مبنى للمفعول ، و فاعله النيابى ضمير مستتر فيه ، راجع إلى البيوت ، و قيل : راجع إلى المدينة ، و الضمير فى « عليهم » راجع إلى أهل البيوت وهم المنافقون ، و الضمير فى « أقطارها » راجع إلى البيوت و الاقطار : جمع القطر بمعنى الناحية ، و جمعها : النواحي ، « ثم » حرف عطف و « سئلوا » فعل ماض لجمع المذكر الغائب ، مبنى للمفعول ، و « الفتنة » مفعول به ، و قيل : منصوب بنزع الخافض ، « لآ توها » اللام للجواب ، و مدخولها فعل ماض من باب الافعال ، و الضمير راجع إلى المدينة ، و « ما » حرف نفى و « تلبثوا » فعل ماض من باب التفعيل و الضمير فى « بها » راجع إلى المدينة ، و « يسيراً » نعت لمصدر محذوف أى تلبثوا يسيراً أو زماناً يسيراً فهو صفة ظرف زمان محذوف .

١٥ - (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار و كان عهد الله مسئولا)

اللام في « لقد » للقسم، و « عاهدوا » بمنزلة القسم، و « لا يولون » جوابه، وأصل « يولون » : يوليون فعل مضارع من باب التفعيل، و لما ثقلت الضمة على الياء، نقلت إلى اللام بعد حذف كسرها، ثم إلتقت الساكنان، فحذفت الياء، و « الادبار » : جمع الدبر، مفعول به .

١٦- (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل و اذاً لا تمتعون الا قليلاً)

« إذاً » حرف جواب و جزاء، تنصب مستقبلاً إذا لم يعتمد على ما قبلها كقولك: إذن تدخل الجنة لمن قال : آمنت، و أما مع الحال أو الاعتماد فلا، و مع العطف و جهان : النصب و الرفع، و لم يعمل « إذاً » هنا لوقوعه بين الواو و الفعل المنفى . و « تمتعون » فعل مضارع، مبنى للمفعول، من باب التفعيل، و « قليلاً » صفة لمحذوف أى تمتيعاً قليلاً أو زماناً قليلاً .

١٧- (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً)

« من » للاستفهام، فى موضع رفع على الابتداء و « ذا » خبره و « الذى » نعت لـ « ذا » أو بدل منه، و لا يجوز أن تكون « من » و « ذا » بمنزلة إسم واحد كما كانت « ما ذا » لان « ما » أشد إبهاماً من « من » إذ كانت « من » لمن يعقل، و « يعصمكم » صلة الموصول، و ضمير الخطاب فى موضع نصب، مفعول به .

١٨- (قد يعلم الله المعوقين منكم و القائلين لاخوانهم هلم الينا و لا يأتون البأس الا قليلاً)

« قد » للتحقيق، و ليست للتقليل، و « هلم » إسم فعل أمر بمعنى أقبل، و يلزم حالاً واحدة فى التذكير و التأنيث، و التثنية و الجمع فى لغة الحجاز، و غيرهم يقولون : هلموا للجماعة، و هلمى للمرأة على أن الاصل « ها » التى للتثنية ضمت إليها « لم »، ثم حذفت الالف إستخفافاً، و بنيت على الفتح، و لم

يجز فيها الكسر ولا الضم لانها لا تنصرف . و يجيىء « هلم » تارة لازماً كما في المقام ، و تارة متعدياً كقوله تعالى : « قل هلم شهداءكم » الانعام : ١٥٠) « ولا يأتون » فيه وجهان : أحدهما - عطف على « القائلين » لانه في معنى : الذين يقولون . ثانيهما - الواو للحال ، والجملة في موضع نصب ، حال من الضمير في « إخوانهم » و « قليلاً » نعت لمصدر محذوف أى إتياناً قليلاً .

١٩- (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً) « أشحة » جمع شحيح ، و فى نصبها وجوه : أحدها - أن يكون منصوباً على الذم . ثانيها - أن يكون المعنى : يعوقون أشحة . ثالثها - أن يكون التقدير : والقائلين أشحة . رابعها - على تقدير : أن يأتونه أشحة على الفقراء بالغنيمة ، و « أشحة » حال من ضمير الجمع فى « يأتونه » . و « ينظرون » فى موضع نصب ، حال من ضمير الجمع فى « رأيتمهم » وفى « تدور أعينهم » وجهان : أحدهما - أن يكون حالاً من الواو فى « ينظرون » ثانيهما - أن يكون حالاً بعد حال .

فى « كالذى » وجهان : أحدهما - أن يكون صفة لمصدر محذوف أى كأنه : تدور أعينهم دوراناً كدوران الذى يغشى عليه أى كدور عين الذى يغشى عليه من حذر الموت أو من خوف الموت ، أو من مفارقتة الموت . ثانيهما - أن يكون فى موضع نصب ، حالاً من الضمير فى « أعينهم » أى تدور أعينهم مشبهين الذى يغشى عليه ، فيكون الكاف على هذا حالاً ، و على القول الاول وصفاً للمحذوف منه ، و « أشحة على الخير » حال من الواو فى « سلقوكم » و هو العامل فيه . ٢٠- (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا و ان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلاً)

في «يحسبون» وجهان : أحدهما - أن يكون في موضع نصب ، حالاً من أحد الضمائر المتقدمة . ثانيهما - أن يكون مستأنفاً ، و « بادون » جمع باد ، و « في الاعراب » وجهان : أحدهما - الرفع على أنه خبر بعد خبر لحرف التأكيد على تقدير : لو انهم بادون كائنون في جملة الاعراب . ثانيهما - النصب على الحال من الضمير في « بادون » و « يستلون » في موضع نصب ، حال من الضمير في « بادون » . و « قليلاً » نعت من مصدر محذوف أى قتالاً قليلاً أو لظرف محذوف أى زماناً قليلاً .

٢١ - (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر و ذكر الله كثيراً)

« لكم » في موضع نصب ، خبراً لـ « كان » و « في رسول الله » فيه وجوه : أحدها - في موضع نصب ، على الحال . ثانيها - ظرف يتعلق بالاستقرار ، و لا يجوز أن يكون متعلقاً بـ « اسوة » ثالثها - أن يتعلق بـ « كان » رابعها - أن يكون خبراً لـ « كان » و « لكم » تخصيص و تبين . و « اسوة » إسم للتأسي وهو المصدر ، إسم لـ « كان » و « حسنة » صفة لـ « اسوة » و في « لمن » وجوه : أحدها - في موضع رفع على أنه صفة ثانية لـ « اسوة » على تقدير : اسوة حسنة كائنة لمن كان . . . و لا يجوز أن يتعلق بنفس « اسوة » إذا جعل بمعنى التأسي لان « اسوة » وصفت ، و إذا وصف المصدر لا يعمل ، فكذلك ما كان في معناه . ثانيها - بدل من ضمير الخطاب في « لكم » باعادة الجار ، و منع منه الاكثرون على أن ضمير المخاطب لا يبدل منه . ثالثها - أن يكون متعلقاً بـ « حسنة » رابعها - أن يكون صفة « حسنة » . و ذكر ، عطف على « كان » و « كثيراً » نعت لمصدر محذوف أى ذكراً كثيراً .

٢٢ - (ولما رأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايماناً و تسليماً)

في « هذا » وجوه : أحدها - إشارة إلى الخطب . ثانيها - إلى البلاء والنصر .
ثالثها - إلى ما شاهدوه مجرداً عن سائر الخصوصيات . رابعها - إلى ما أيقنوا
من ان عند الفزع الشديد يكون النصر والجنة ، وفي « ما » الاولى وجهان :
أحدهما - موصولة و « وعدنا الله » صلتها على حذف العائد . ثانيها - مصدرية
فلا تحتاج إلى عائد ، و « ما » الثانية نافية و « زاد » فعل ماض ، فاعله ما يدل
عليه قوله تعالى : « رأى » و إنما قال : زادهم بالتذكير و لم يقل : زادتهم لان
الرؤية بمعنى النظر ، فالمعنى : ما زادهم نظرهم إليهم لهم إلا إيماناً .

٢٣ - (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

« من المؤمنين » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « رجال » مبتداء ، ويجوز
الابتداء بالنكرة هنا لوجهين : أحدهما - لكون خبره ظرفاً متقدماً . ثانيها -
لان قوله تعالى : « صدقوا » في موضع النعت لـ « رجال » و « ما » الاولى موصولة
في موضع نصب ، مفعول به لـ « صدقوا » وقيل : مصدرية على تقدير : صدقوا الله في العهد .
« فمنهم » الغاء لفصيحة ، والمجرور متعلق بمحذوف ، خبر مقدم و « من »
موصولة في موضع رفع على الابتداء ، و « قضى » صلة الموصول و « نحبه » مفعول به ،
والباقى ظاهر .

٢٤ - (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب
عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً)

اللام للضرورة ، و تسمى للعاقبة وقيل : للغاية ، ومدخولها فعل مضارع ،
منصوب لـ « أن » المقدره ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر ، مجرور باللام ،
متعلق بـ « بدلوا » وقيل : بـ « زادهم » وقيل : بـ « صدقوا » والباء في « بصدقهم »
للسببية و « يعذب » فعل مضارع ، منصوب بالعطف على « ليجزى » و كذلك
« أو يتوب » و « رحيماً » خبر بعد خبر لـ « كان » .

٢٥- (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

الواو للاستئناف ، و « ردّ » فعل ماض من باب المضاعف نحو: مدّ ، و « الله » فاعل الفعل ، و « الذين » موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و « كفروا » صلتها ، و « بغيظهم » في موضع نصب حال للكافرين أى متلبسين بالغيظ أو متغيظين كقوله تعالى : « تنبت بالدهن » وقيل : مفعول به على زيادة الباء ، و « لم ينالوا خيراً » حال بعد حال ، وفي « القتال » وجهان : مفعول ثان ، أو منصوب بنزع الخافض .

٢٦- (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيههم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً)

الواو للعطف ، و « أنزل » فعل ماض من باب الافعال ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى « الله » و « الذين » في موضع نصب ، مفعول به ، و « ظاهروهم » صلة الموصول ، و « من أهل الكتاب » في موضع نصب ، حال من ضمير الفاعل في « ظاهروهم » و « من صياصيههم » متعلقة بـ « أنزل » و « فريقاً » منصوب بـ « تقتلون » و « فريقاً » الثاني منصوب بـ « تأسرون » .

٢٧- (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً)

عطف على ما سبق ، و « أورث » فعل ماض من باب الافعال ، و ضمير الخطاب في موضع نصب ، مفعول أول ، و « أرضهم » مفعول ثان ، و « ديارهم » جمع دار ، عطف على « أرضهم » و « لم تطؤوها » في موضع نصب ، نعتاً من « أرضاً » .

٢٨- (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعن واسر حكن سرا حاً جميلاً)

« ان » حرف شرط و « كنتن » فعل ماض لجمع المؤنث المخاطبة من الافعال الناقصة و « تردن » فعل مضارع لجمع المؤنث المخاطبة من باب الافعال ،

والجملة في موضع نصب، خبراً لفعل الناقص، والجملة بتمامها شرطية، و «الحياة» مفعول بها، و «الدنيا» صفة لـ «الحياة» و «فتعالين» الفاء للجزاء ومدخولها فعل أمر لجمع المؤنث المخاطبة بمعنى أنزلن، أصله من العلو إلا أنه كثر استعماله، ونقل عن أصله حتى إستعمل في معنى «انزل» فيقال للمتعال: تعال أي أنزل أو أقبل.

وقيل: أصل «تعال» أن يكون الأمر في مكان مرتفع، والمأمور في مكان مستفل ثم كثر واستعير للأمر باقبال القلب وهو المراد هنا.

والجملة جزاء للشرط، و «امتعن» فعل مضارع للتكلم وحده من باب التفعيل مجزوم لوقوعه موضع الجواب لـ «فتعالين» وضمير الخطاب للنساء في موضع نصب، مفعول بها، وكذلك «اسرحكن» و «جميلاً» صفة لـ «سراحاً».

٢٩- (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)

عطف على ماتقدم من الشرط، و «فان» الفاء للجزاء، ومدخولها حرف تأكيد، و «الله» إسمها، و «أعد» فعل ماض من باب الافعال، في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، و «من» في «منكن» للتبويض لا للتبيين لعدم دخول الكل تحت الارادة قطعاً.

٣٠- (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان على الله يسيراً)

«من» إسم شرط، و «يأت» فعل الشرط، مجزوم بالشرط، و «مبينة» صفة لـ «بفاحشة» و «يضاعف» فعل مضارع من باب المفاعلة، مبني للمفعول، جزاء للشرط، و «العذاب» نائب مناب الفاعل، و «ضعفين» منصوب على الحال من «العذاب» و «على الله» متعلق بـ «يسيراً» وهو خبر «كان».

٣١- (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين و

أعدناها رزقاً كريماً

عطف على ما تقدم ، و « يقنت » فعل الشرط ، وجاء بالتذكير حملاً على لفظ « من » و « تعمل » عطف على « يقنت » وجاء بالتأنيث حملاً على معنى « من » لأن المراد بها المؤنث و « نؤتها » فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافعال ، مجزوم بالشرط والجملة جزاء الشرط وضمير التأنيث في موضع نصب ، مفعول به الاول ، راجع إلى بعض النساء و « أجرها » مفعول ثان و « مرتين » مصدر ، والعامل فيه من غير لفظه ، و « أعدنا » فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب الافعال و « لها » متعلق بـ « أعدنا » .

٣٢- (يانساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)

« إن » حرف شرط و « اتقيتن » فعل الشرط ، وفي جوابه وجهان : أحدهما - أن يكون قوله تعالى : « فلا يخضعن بالقول » . ثانيهما - أن يكون ما دل عليه قوله تعالى : « لستن كأحد من النساء » على تقدير : إن اتقيتن انفردتن بخصائص من جملة سائر النساء و دل على هذا التقدير : « لستن » والفاء في « فيطمع » تفریع على النهي ومدخولها منصوب لوقوعه بعد الفاء في جواب النهي ، و « الذي » موصولة في موضع رفع ، فاعل الفعل ، و « في قلبه » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « مرض » مبتداء مؤخر ، والجملة صلة الموصول ، و « قلن » فعل أمر لجمع المؤنث المخاطبة ، و « قولاً » منصوب على المصدر و « معروفاً » صفة « قولاً » .

٣٣- (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى و أقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

« وقرن » عطف على « قلن » و « قرن » فعل أمر لجمع المؤنث المخاطب من قرين قراراً أصله : إقررن فنقلت فتحته الراء الاولي إلى القاف ، فحذفت

إحدى الرائين ، فلما فتحت القاف استغنى عن همزة الوصل لأنها إنما اجتلبت لسكون القاف ، فلما تحركت القاف استغنى عنها فحذفت ، وإنما حذفت الراء لتكررها مع نظيرها ، و تكررها في نفسها ، فانها حرف تكدير ، و إذا إستثقل التكدير والتضعيف في حرف غير مكرر ففي المكرر أولى . و « لا تبرجن » فعل مضارع لجمع مؤنث المخاطب ، في موضع جزم بحرف النهي ، والفعل من باب التفعّل على حذف إحدى التائين ، عطف على « قرن » من باب عطف النهي على الامر ، و « تبرج » منصوب على المصدر ، اضيف إلى « الجاهلية » والتقدير . تبرج نساء أيام الجاهلية ، و « الاولى » نعت من « الجاهلية » .

« وأقمن » فعل أمر لجمع المؤنث المخاطب من باب الافعال ، عطف على « قرن » وكذلك « آتين » و « أطعن » ، و « إنما » كلمة حصر ، و « يريد » فعل مضارع من باب الافعال ، واللام في « ليذهب » للغاية ، ومد خولها فعل مضارع ، منصوب بـ « أن » المقدرة ، وان الفعل بعد إنسباكه إلى المصدر ، متعلق بـ « يريد » و « عنكم » متعلق بـ « ليذهب » و « الرجس » مفعول به ، وفي نصب « أهل البيت » وجهان : أحدهما - أن يكون منصوباً على النداء أي يا أهل البيت . ثانيهما - أن يكون منصوباً على المدح والتخصيص أي أعني وأخص وأمدح أهل البيت كقوله صلى الله عليه وآله : « سلمان منا أهل البيت » واللام في « البيت » للمهدى هم المنصوصون المعصومون من أهل بيت الوحي والرسالة ، و « يطهر » فعل مضارع من باب التفعيل و « كم » في موضع نصب ، مفعول به ، و « تطهراً » منصوب على المصدر .

٣٤- (واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

عطف على « اطعن الله » أو على « قرن » و « ما » موصولة في موضع نصب ، مفعول به ، و « يتلى » فعل مضارع مبني للمفعول ، صلة الموصول ، و « في بيوتكن »

متعلق بـ « يتلى » و« من » في « من آيات الله » بيان لـ « ما » سدّت مسدّ عائداً للصلة ، و « خبيراً » خبر بعد خبراً « كان » .

٣٥- (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرأ عظيماً)

« ان » حرف تأكيد ، و« المسلمين » إسمها ، والباقي منصوب ، عطفاً عليه ، و« أعدت » فعل ماض من باب الافعال في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و في الآية عطفان : أحدهما - عطف الاناث على الذكور . ثانيهما - عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع ما قبله ، وفي الاول دلالة على اشتراك الصنفين في الوصف المذكور ، وهو الاسلام في الاول ، والايمان في الثاني إلى آخر الاوصاف . والثاني من باب عطف الصفة على الصفة ، فيؤول معناه إلى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم ...

٣٦- (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)

« ما » حرف نفى ، و « إذا » ظرف لنفي الاختيار ، و« أمراً » مفعول به لفعل القضاء و« الخيرة » إسم لـ « يكون » و« لهم » متعلق بـ « الخيرة » وضمير الجمع راجع إلى جميع المؤمنين والمؤمنات فان النكرة « مؤمن - مؤمنة » في سياق النفي تفيد العموم ، و « من أمرهم » في موضع نصب ، خبراً لـ « يكون » والجملة سدّت مسد الممولين لـ « كان » و « من » إسم شرط ، و « يعص » فعل الشرط ، مجزوم بحذف اللام والفاء في « فقد » للجزاء و « ضل » جزاء الشرط و « ضلالاً » منصوب على المصدر و « مبيناً » نعمت من « ضلالاً » .

٣٧- (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوكناهما لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً)

« إذ » ظرف لمحذوف أى اذ كر حين تقول ، و « أمسك » فعل أمر من باب الافعال مقولة القول ، والواو في « وتخفى » للحال ، و « ما » موصولة في موضع نصب ، مفعول به لفعل الاخفاء و « الله » مبتداء و « مبديه » خبره والجملة صلة الموصول ، والواو في « وتخشى » للحال أيضاً ، و « الله » الواو تحتمل الحال والاستيناف ، و « الله » مبتداء ، و « أحق » خبره و « أن تخشاه » مجرور بـ « من » المحذوف ، والمجرور متعلق بـ « أحق » والفاء في « فلما » للتفريع على « و تخفى في نفسك ما الله مبديه » ومدخولها إذا دخلت في الماضى كانت لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى و « وطراً » مفعول به و « زوكناهما » فعل ماضى للتكلم مع الغير من باب التفعيل جواب « لما » و « كنهنا » ضميران في موضع نصب ، مفعولان لفعل التزويج ، و « لكي » تعليل للتزويج ومصلحة للحكم ، و « أدعيائهم » جمع الدعوى وهو المتبنى .

٣٨- (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

« ما » حرف نفى ، و « من » في « من حرج » زائدة ، و « ما » في « فيما » موصولة ، وفي نصب « سنة الله » وجوه : أحدها - منصوب على المصدر لفعل دل عليه ما قبله ، لان ما قبله من قوله تعالى ، « فيما فرض الله » يدل على أنه سن له سنة ، ثانيها - إسم وضع موضع المصدر ، فيكون مفعولاً مطلقاً . ثالثها - مفعول به لفعل محذوف على تقدير : سننا بك سنة الذى . . . الخ رابعها - منصوب بنزع الخافض أى كسنة الله . و « مقدوراً » نعت « قدراً » وقيل : خبر بعد خبر .

٣٩- (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله وكفى

بالله حسيباً)

في موضع «الدين» وجوه : أحدها - الجبر بدلاً من «في الذين خلوا» .
 ثانيها الجبر نعتاً لهذه الجملة . ثالثها - النصب على تقدير : أعنى الذين يبلغون ،
 فالجملة بيان للجملة المتقدمة . رابعها - الرفع على تقدير : هم الذين . . . ففي
 الجملة مدح . والباء في « بالله » زائدة مؤكدة ، و«الله» فاعل الفعل ، و«حسيباً»
 منصوب على التمييز وقيل : على الحال أي محاسباً .

٤٥- (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين و
 كان الله بكل شيء عليماً)

«ما» حرف نفي ، و«كان» من أفعال الناقصة ، و«محمد» إسمها و«أباً أحد»
 خبرها ، وفي «رسول الله» وجوه : أحدها - النصب ، على أن يكون «لكن» حرف
 إستدراك ، مخففة من الثقيلة ، و«رسول الله» إسمها ، على حذف خبرها . ثانيها -
 النصب على تقدير : ولكن كان محمد رسول الله وكان خاتم النبيين . و«لكن» حرف
 إستدراك جيئت للعطف . ثالثها - الرفع على تقدير : ولكن هو رسول الله ﷺ .
 و«بكل شيء» متعلق بـ «عليماً» .

٤١- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

«اذكروا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، و«الله» مفعول به ، و«ذكراً»
 مفعول مطلق ، و«كثيراً» نعت لـ «ذكراً» .

٤٢- (وسبحوه بكرة وأصيلاً)

الواو للعطف و«سبحوا» فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب التفعيل ،
 وضمير الوصل المفرد في موضع نصب ، مفعول به ، و«بكرة وأصيلاً» منصوبان
 على الظرفية أي في كل بكرة وهي أول النهار ، وفي كل أصيل وهو آخر النهار .

٤٣- (هو الذي يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور
 وكان بالمؤمنين رحيماً)

«هو» مبتداء و «الذى» موصولة فى موضع رفع ، خبر المبتداء و «يصلتى» فعل مضارع ، من باب التفعيل ، و فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، و «عليكم» متعلق بـ «يصلتى» و «ملائكته» عطف على «الله» و اللام فى «ليخرجكم» للغاية ، و مدخولها فعل مضارع من باب الافعال ، منصوب بـ «أن» المقدره ، و ضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، و «بالمؤمنين» متعلق بـ «رحيماً»
 ٤٤- (تحييتهم يوم يلقونه سلام و أعد لهم أجراً كريماً)
 «تحييتهم» مبتداء ، و «يوم» منصوب على الظرفية ، و «سلام» خبر المبتداء ، و «كريماً» نعت لـ «أجراً» .

٤٥- (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) .

«أرسلنا» فعل ماضى للتكلم مع الغير ، و كاف الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، و الجملة فى موضع رفع ، خبراً لحرف التأكيد و «شاهداً» حال من كاف الخطاب ، و «مبشراً و نذيراً» عطفان على «شاهداً» .

٤٦- (وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً)

عطف على «شاهداً» و «إلى الله» متعلق بـ «داعياً» و «باذنه» متعلق بمحذوف ، و هو حال مما يدل عليه «داعياً» أى حالكون دعوته باذن الله تعالى ، و «سراجاً» عطف على «شاهداً» فالوصف للنبي ﷺ ويجوز أن يكون عطفاً على الكاف فى «أرسلناك» فيكون وصفاً للقرآن الكريم ، وقيل : على تقدير: ذ اسراج أو تالياً سراجاً ، و «منيراً» وصف لـ «سراجاً» .

٤٧- (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)

«لهم» متعلق بمحذوف ، وهو الخبر لحرف التأكيد و «من الله» متعلق بمحذوف ، وهو صفة لـ «فضلاً» و «فضلاً» إسم لحرف التأكيد و «كبيراً» نعت لـ «فضلاً» والمعنى : بان للمؤمنين فضلاً كبيراً ثابتاً أو كائناً من الله تعالى .

٤٨- (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله و كفى

بالله وكيلا)

عطف على «بشر المؤمنين» و «دع» فعل أمر، خطاب للنبي الكريم ﷺ وفي «أذاهم» وجوه : أحدها - أن تكون الاضافة ، إضافة المصدر إلى الفاعل ، فالمعنى : أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك ولا تشتغل به . ثانيها - أن تكون من إضافة المصدر إلى المفعول والمعنى : دع أن تؤذيتهم مجازاة على إذايتهم إياك . ثالثها - على حذف المفعول والجار والتقدير : دع الخوف من أذاهم .

٤٩- (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فمالكن عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن و سرحوهن سرا حاً جميلاً) «إذا» ظرف زمان ، يتعلق بما يتعلق به «لكم» فالتقدير : إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فلم يثبت لكم عليهن عدة . النكاح هو الوطى والجماع ثم قيل للعقد : نكاح من باب تسمية السبب باسم المسبب مجازاً إذ العقد سبب لجواز الوطى والجماع والفاء في «فما» للجزاء ومدخولها حرف نفي ، و «من» في «من عدة» زائدة مؤكدة ، وفي موضع «تعتدونها» وجهان : أحدهما - الجر ، نعتاً من لفظ «عدة» ثانيهما - الرفع ، نعتاً على الموضع ، والفاء في «فتمتعوهن» للتفريع و«سرا حاً» إسم للتسريح ، منصوب على المصدر وليس بمصدر ، و«جميلاً» نعت من «سرا حاً» .

٥٠- (يا أيها النبي انا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفوراً رحيماً) «أحللتنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير ، والجملة في موضع رفع خبر لحرف التأكيد ، و «مما أفاء الله عليك» الجار والمجرور وفي موضع نصب على الحال من

الضمير المحذوف في قوله : «ملكته» أى ملكته ، وفي «إمرأة مؤمنة» وجوه :
أحدها - عطف على «أحللنا» والمعنى : وأحللنا لك امرأة تهب نفسها من غير
صداق . ثانيها - أن يكون منصوباً بالعطف على «أزواجك» والعامل فيه «أحللنا» .
ثالثها - أن يكون منصوباً بفعل محذوف على تقدير : ونحل لك امرأة مؤمنة
إن وهبت نفسها للنبي . وليس معطوفاً على المنصوب ؛ «أحللنا» لان الشرط
والجزاء لا يصح في الماضي الأتري انك لو قلت : إن قمت أمس كنت مخطئاً .

«إن وهبت نفسها للنبي» شرط على حذف الجزاء . وتقديره : إن وهبت
نفسها للنبي أحللناها له . وجزاء الشرط الذى هو «إن أراد النبي أن يستنكحها»
الشرط والشرط والجزاء المتقدم وتقديره : إن أراد النبي أن يستنكحها إن وهبت
نفسها له أحللناها له . وقيل : «إن وهبت» بدل اشتمال من «إمرأة» و«أن يستنكحها»
في موضع نصب بأنه مفعول به «أراد» وفي «خالصة» وجوه : أحدها - حال من
«إمرأة» ثانيها - حال من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمرة وتقديره :
أحللنا لك أزواجك وأحللنا لك امرأة مؤمنة أحللنا خالصة . ثالثها - حال من
الضمير في «وهبت» رابعها - صفة لمصدر محذوف أى هبة خالصة . وهى مصدر و
قد جاء فاعلة مثل العاقبة والعافية . وقيل : على تقدير : أخلصت ذلك لك إخلاصاً .
وقيل : هى مصدر مؤكد أى خالص لك الاحلال خلوصاً . وقيل : الهاء فيه للمبالغة .
«قد علمنا - ملكت أيما نهم» معترضة . واللام فى «لكيلا يكون» لغاية الاحلال ،
والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر ، متعلق بـ : «إننا أحللنا لك أزواجك» .

٥١- (ترجى من تشاء منهم ونؤى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت
فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن و يرضين بما آتيتهن
كلهن و الله يعلم ما قلوبكم والله عليماً حليماً)

«ترجى» فعل مضارع من باب الافعال ، خطاب للنبي الكريم ﷺ و

«من» موصولة فى موضع نصب ، مفعول بها ، و «تشاء» صلة الموصول ، و «منهن»

عائدها ، و «تؤى إليك من تشاء» عطف على ما قبلها ، مع حذف العائد لدلالة ما قبلها عليه . وفي «من ابتغيت» وجهان : أحدهما - إسم شرط ، فى موضع نصب ؛ «ابتغيت» وهو الشرط ، و «فلا جناح عليك» جواب الشرط . ثانيهما - موصولة فى موضع رفع على الابتداء على حذف العائد وتقديره : «والتي ابتغيتها و«فلا جناح عليك» خبر المبتداء ، و «ذلك» مبتداء و «أدنى» إسم تفضيل ، خبره و «أن تقر» بعد إنسباكه إلى المصدر ، مجرور بـ «من» المقدره أو «إلى» و الجار والمجرور متعلق بـ «أدنى» و «كلهن» تأكيد للضمير فى «يرضين» .

٥٢- (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً)

«النساء» فاعل «يحل» وجاء بالتذكير لفصل الجار والمجرور بين الفعل و فاعله ، و«تبدل» فعل مضارع من باب التبدل ، خطاب للنبي الكريم ﷺ على حذف إحدى التائين ، وفى موضع «من أزواج» نصب ، مفعول به «تبدل» على زيادة «من» وفى موضع «ما ملكت يمينك» وجوه : أحدها - الرفع على البدل من «النساء» فالجملة إستثناء من «لا يحل لك النساء» . ثانيها - النصب ، على أصل الإستثناء وهو من الجنس ، ويجوز أن يكون من غير الجنس . ثالثها - النصب ، بدلاً من «أزواج» . و «ما» فى تلك الوجوه موصولة تفتقر إلى صلة وهى «ملكت» وإلى عائد ، حذف للتخفيف . رابعها - النصب ، على أن الإستثناء منقطع و «ما» مصدرية . أى الاملك يمينك ، وملك بمعنى مملوك وهو فى موضع نصب ، لأنه إستثناء من غير جنس الاول . و «على كل شيء» متعلق بـ «رقيباً» .

٥٣- (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم والله لا يستحى من الحق واذا سئلتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر

لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه
من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً)

«إِذَا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» إستثناء من النهي، وقيل: في موضع نصب، على الحال
من فاعل «لا تدخلوا» أي لا تدخلوا إلّا مأذوناً لكم. وقيل: «أن» في موضع
نصب على معنى: «إلا بان يؤذن لكم» و«إلى طعام» متعلق بـ«يؤذن» لانه
بمعنى «تدعوا» و«غير ناظرين» حال من الضمير في «تدخلوا» وقيل: حال من
ضمير «لكم» و«إناء» مفعول به «ناظرين» والضمير راجع إلى «النبي» والآناء
مصدر أنى يأتي وقيل: واحد الآنية، والفاء في «فادخلوا» و«فانتشروا» جواب
«إذا» لازمة لما فيها من معنى المجازاة، ومدخولهما فعلان أمران و«لامستأنسين»
عطف على «غير ناظرين» وهو حال بعد حال. أي غير ما كثر في حال إنتظار
الآناء قبل الطعام، ولا في حال الاستئناس لحديث بعد الطعام.

«ان» حرف تأكيد و«ذلكم» في موضع نصب، إسم لحرف التأكيد، و
«كان» ومعمولاه في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد، والجملة تعليل للنهي
المتقدم، والضمير في «قلوبهن» راجع إلى أزواج النبي ﷺ و«أن تؤذوا
رسول الله» في موضع رفع، لانها إسم «كان» وكذلك قوله تعالى: «ولا أن
تنكحوا» لانه عطف على «أن تؤذوا».

٥٤- (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً)

«إن» حرف شرط، و«تبدوا» فعل مضارع، لجمع المذكر المخاطب
من باب الافعال، و«شيئاً» مفعول به، و«أوتخفوه» عطف على «تبدوا» و«فان
الله...» جزاء الشرط. و«بكل شيء» متعلق بـ«عليماً».

٥٥- (لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن
ولا أبناء اخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على
كل شيء شهيداً)

« لا » حرف نفى للجنس ، و « جناح » إسمها و « عليهن » متعلق بمحذوف ، وهو خبر « لا » و « في آبائهن » متعلق بالاستقرار المحذوف ، ولا يجوز أن يكون « عليهن » في موضع نصب بـ « جناح » و « في آبائهن » الخبر لان إسم « لا » إذا عمل ينون . و « لا آبائهن » - ولا ما ملكت أيمانهن « عطف على « آبائهن » و « اتقين » فعل أمر لجمع المؤنث المخاطبة ، خطاب لازواج النبي الكريم ﷺ ، و « على كل شيء » متعلق بـ « شهيداً » .

٥٦- (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

« يصلون » فعل مضارع لجمع المذكر المغائب من باب التفعيل ، و ضمير الجمع راجع إلى الله تعالى وملائكته ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيدي ، و أصل « يصلون » يصلون ، و لما نقلت الضمة على الياء نقلت الضمة إلى اللام بعد حذف كسرها ، فالتقت الساكنان ، فحذفت الياء ، و « صلوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب وأصله : صليوا والكلام فيه هو الكلام في « يصلون » و « تسليماً » مفعول مطلق .

٥٧- (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعدلهم عذاباً مهيناً)

« ان » حرف تأكيد ، و « الذين » في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيدي ، و « يؤذون » فعل مضارع من باب الافعال ، والجملة صلة الموصول وأصل يؤذون : يؤذون والكلام في حذف الياء منه هو الكلام في حذفها من « يصلون » ، و « الله » مفعول به و « رسوله » عطف على « الله » و « لعنهم الله » في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيدي ، و « عذاباً » مفعول به ا « أعد » و « مهيناً » صفة لـ « عذاباً » .

٥٨- (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)

عطف على صدر الآية السابقة، والفاء في «فقد احتملوا» للتفريع، و«بهتاناً» مفعول به، و«مبيناً» وصف لـ «إنمأ».

٥٩- (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً) في «يدنين» وجوه: أحدها - أن يكون جواباً لـ «قل» وتقديره: قل لهن: ادنين يدنين أي إن تقل لهن ادنين يدنين، وهذا مردود لان قول الرسول ﷺ لهن لا يوجب أن يدنين. ثانيها - أن يكون التقدير: قل لهن: ادنين يدنين، على أن «يدنين» المذكور جواب لـ «ادنين» المحذوف.

وهذا خطأ لوجهين: أحدهما - انه لا بد أن يخالف الشرط جوابه، إما في الفعل أو في الفاعل، أو فيهما، وأما إذا كان مثله في الفعل والفاعل فهو خطأ كقولك: قم تقم. والتقدير علي هذا الوجه: إن يدنين يدنين. ثانيهما - ان الامر المقدر للمواجهة، ويدنين على لفظ الغيبة وهو خطأ إذا كان الفاعل واحداً. ثالثها - ان «يدنين» مجزوم محلاً بلام محذوفة على تقدير: ليدنين، فهو أمر مستأنف، وجاز حذف اللام لدلالة «قل» على الامر.

و«من» في «من جلابيبهن» للتبعض، و«جلابيب»: جمع جلباب، و«ذلك» في موضع رفع على الابتداء و«أدنى» إسم تفضيل، خبر المبتداء، و«أن يعرفن» فعل مضارع لجمع المؤنث المغائب، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر مجرور؛ «من» أو «إلى» المقدره، والجار والمجرور متعلق بـ «أدنى» والفاء في «فلا يؤذين» للتفريع، ومدخولها حرف نهى، و«يؤذين» فعل مضارع لجمع المؤنث المغائب، مبنى للمفعول.

٦٠- (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض و المرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً)

اللام في «لئن» قسيمة، واللام في «لنغرينك» جوابية للقسم، ولا جواب

للشرط لتقدم القسم على الشرط ، والباء في «بهم» سببية ، و «ثم لا يجاورونك» عطف على «لنغرينك» كأنه قيل : إن لم ينتهوا لا يجاورونك ، و «قليلاً» وصف لظرف محذوف أى زماناً قليلاً . و قيل : منصوب على الحال من الضمير فى « يجاورونك » .

٦١- (ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تفتيلاً)

فى « ملعونين » وجوه : أحدها - أن يكون منصوباً على الذم والشتم أى أذم ملعونين . ثانيها - حال من معمول « ثقفوا » أو « اخذوا » و هذا باطل لان الشرط له الصدر ، ولا يعمل ما بعد الشرط فيما قبله . ثالثها - حال من «المنافقون» ومن عطف عليهم أى حالكونهم ملعونين أينما وجدوا . رابعها - حال من الواو فى «لا يجاورونك» . خامسها - حال من فاعل محذوف وتقديره : يخرجون منها ملعونين .

« أينما » إسم شرط ، منصوب على الظرفية ، متعلق بـ « ثقفوا » وإنما جاز ذلك لان الجازم فى الاصل «إن» الشرطية المحذوفة ، فصار أينما يتضمن معناها ، فيغنى عنها ويقوم مقامها ، ولا يجوز أن يعمل فيه « اخذوا » لانه جواب الشرط ، ولا يعمل الجواب فيما قبل الشرط .

٦٢- (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

« سنة الله » منصوب على المصدر أى سن الله ذلك سنة و « تبديلاً » مفعول به لـ « تجد » .

٦٣- (يستللك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً)

« إنما » كلمة حصر ، و«علمها» مبتداء ، و «عند الله» متعلق بمحذوف وهو الخبر ، و «ما» إسم استفهام فى موضع رفع على الابتداء بمعنى : أى شىء ، و«يدريك» فى موضع رفع ، خبر المبتداء ، و « لعل » حرف ترج وتوقع ، و«الساعة» إسمها و

« تكون قريباً » فى موضع رفع ، خبرها .

٦٤- (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً)

« لعن الكافرين » فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « سعيراً » مفعول

بها ل « أعد » .

٦٥- (خالدین فیها أبدأ لا یجدون ولیاً ولا نصیراً)

« خالدین » حال مقدره من « الكافرين » أى مقدرأ خلودهم ، والضمیر فى

« فیها » راجع إلى « سعيراً » وانث الضمیر لان السعیر بمعنی النار ، و « ابدأ »

منصوب على الظرفية ، و « لا یجدون » فى موضع نصب ، حال ثانية و « ولیاً » مفعول به .

٦٦- (یوم تقلب وجوههم فی النار یقولون یالیتنا أظعنا الله وأظعنا الرسول)

فى « یوم » وجوه : أحدها - أن یكون ظرفاً ل « یجدون » . ثانیها - أن

یكون ظرفاً ل « نصیراً » ثالثها - أن یكون ظرفاً ل « یقولون » و « یقولون »

على الوجهین الاولین حال من الوجوه لان المراد أصحابها ، و « تقلب » فعل

مضارع من باب التفعیل ، مبنى للمفعول .

٦٧- (وقالوا ربنا انا أظعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبیلا)

« ربنا » منصوب بالتداء المقدره أى یاربنا ، و « سادتنا » مفعول به ل « أظعنا »

والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، والسادة جمع السید ، و « كبرائنا »

جمع الكبیر ، والفاء فى « فأضلونا » للنتیجة ، ومدخولها فعل ماض من باب

الافعال و « نا » فى موضع نصب ، مفعول أول ، و « السبیلا » مفعول ثان . و یجوز

أن یكون منصوباً بنزع الخافض أى عن السبیل ، فلما حذف الجار وصل الفعل ،

فنصب مع أن الاضلال لا یتعدى إلى مفعولین من غیر توسط حرف الجر كقوله :

« لقد أضلنى عن الذکر » .

٦٨- (ربنا آتهم ضعفین من العذاب والعنهم لعناً كبیراً)

« ربنا » منصوب بالتداء المقدره ، و « آت » فعل أمر ، و ضمیر الجمع فى

موضع نصب ، مفعول أول ، و « ضعفين » مفعول ثان ، و « لعنا » مفعول مطلق ، و « كبيراً » نعت من « لعناً » .

٦٩- (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)

« لا » حرف نهى و « تكونوا » فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر من أفعال الناقصة ، مجزوم بحرف النهي على حذف نون الرفع ، و « كالذين » في موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، و « آذوا » فعل ماضٍ لجمع المذكر المتعاقب من باب الافعال ، صلة الموصول ، و « ما » في « مما » موصولة ، و « قالوا » صلتها ، على حذف العائد ، و « عند الله » متعلق بـ « وجيهاً » .

٧٠- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)

« اتقوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب من باب الافتعال ، و « قولاً » منصوب على المصدر و « سديداً » وصف لـ « قولاً » .

٧١- (يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

« يصلح » مجزوم بـ « إن » الشرطية المقدرة لوقوع فعل المضارع بعد الأمر ، وإنما اضمرت « إن » لان الأمر يدل على أن الجزء الثاني مشروط بالاول ، فيدل على ان هناك شرطاً مقدرأ ، و « أعمالكم » مفعول به ، و « يغفر » عطف على « يصلح » و « من » إسم شرط ، و « يطع » فعل الشرط ، والفاء في « فقد » للجزاء و « فاز » جزاء الشرط ، و « فوزاً » منصوب على المصدر و « عظيماً » نعت لـ « فوزاً » .

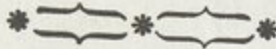
٧٢- (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

« انا » حرف تأكيد مع إسمها ، و « عرضنا » فعل ماضٍ للتكلم مع الغير ، والجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « الامانة » مفعول بها ، و « على »

السموات « متعلق بـ » عرضنا « وقيل : على حذف المضاف أى على أهل السموات...
والفاء فى « فأبين » للتفريع ، و« حملها الانسان » عطف على « فأبين » ، و« ظلوماً »
خبر « كان » ، والجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد و « جهولاً » خبر بعد خبر .
٧٣- (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً)

اللام فى « ليعذب » للغاية ، و مدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ « أن » ،
مضمرة ، والفعل بعد إنسباكه إلى المصدر ، مجرور باللام متعلق بـ « حملها » أى
حملها ليعذب العاصي ويشيب المطيع فهى لام التعليل لان العذاب نتيجة لسوء
حمل الامانة .

وقيل : متعلق بـ « عرضنا » المترتب عليه حمل الانسان ، و « يتوب » عطف
على « ليعذب » وفى « رحيماً » وجوه : أحدها - أن يكون منصوباً على الحال
من المضمرة فى « غفوراً » وهو العامل فيه . ثانيها - أن يكون صفة « غفوراً » ،
ثالثها - أن يكون خبراً بعد خبر .



﴿ البيان ﴾

١ - (يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

نداء موجه إلى النبي الكريم ﷺ يؤمر فيه بتقوى الله جل وعلا ، وينهى عن إطاعة الكافرين والمنافقين . فى نداء الله تعالى نبيه ﷺ بوصف النبوة : « يا أيها النبي » دون الاسم تعظيم لنفسه ﷺ وتكريم بشأنه وتنويه بمحلته وفضيلته ، وتنبيه على سمو مكانه وعلو مقامه ... إذ جاء نداء غيره من الانبياء والمرسلين بأسمائهم كقوله تعالى : « يا آدم » و « يا نوح » و « يا إبراهيم » و « يا موسى » و « يا داود » و « يا عيسى » ... و ما صرح الله عز وجل باسم نبيه الخاتم ﷺ إلا ذكر بعده لفظ النبي أو الرسول بلا فصل آية أو معه ولكن بوحدة السياق كقوله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (الاحزاب : ٤٠) وقوله : « والذين آمنوا و عملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، محمد ﷺ : ٢ و ٣٣) .

ان تسئل : لو كان النداء بالوصف دون الاسم تعظيماً و تشريفاً له ﷺ كما ذكر لعدل عن اسمه إلى نعته فى الاخبار عنه كما عدل فى النداء فى قوله سبحانه : « و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » (آل عمران : ١٤٤) وقوله : « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم » (الفتح : ٢٩) ؟

تجيب : إنما عدل عن نعته في الاخبار لتعليم الناس انه رسول الله ﷺ و تلقينهم أن يسموه بذلك ويدعوه به ولذلك ذكره بنعته لا باسمه كما ذكره في النداء وفي مواضع من الاخبار أيضاً و لأن المقام مقام تعيين وتشخيص وإزالة إشتباه مع قصد أن لا يكون القرآن الكريم خالياً عن بركة إسمه العلم ، وحيث لم يقصد هذا المعنى ذكره بنحو ما ذكره في النداء .

قوله تعالى : « إتق الله » في الامر بالتقوى تفخيم و تعظيم للتقوى نفسها حيث أمر الله تعالى بها رسوله الاعظم و نبيه الخاتم ﷺ و حيث ان مراتبها لا تنتهي و لها باب واسع و عرض عريض لا ينال مداها إلا من يشاء الله تعالى مع كون المقصود هو الدوام والثبات عليها . وقيل : لم يجعل الأمر لامته ﷺ هنا وان كانوا هم مأمورين بها في غيرها لان سياق ما بعد الآية لامر يخصه ﷺ من قصة زيد بن الحارثة ، و لامر خطير من تنسيخ حكم الظهار والتبني حيث كانا دار جين في الجاهلية ، فلعظم غرض هذه السورة يحتاج قبل الخوض فيها إلى الامر بالتقوى والنهي عن طاعة غير الله جل وعلا ، فالامر والنهي فيهما إشعار بعظم الامر والغرض في هذه السورة كما يشعر قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » تنبيه بامتناع عدم التقوى والانباغ لما يوحى ، وامتناع إطاعة الكافرين والمنافقين مع الاعتماد والثقة بالله جل و علا .

ففي أمره تعالى نبيه ﷺ بالتقوى تمهيد للنهي الذي بعده : « ولا تطع الكافرين والمنافقين » و ذلك لما هاجر النبي الكريم ﷺ إلى المدينة و كان يحب إسلام يهود قريظة والنضير و غيرهم ، و قد تابعه ناس منهم على النفاق كان يلين لهم جانبه و يكرم صغيرهم و كبيرهم فنزلت . . . ففي الجملة كشف عن البلاء الذي يحيط بالكافرين والمنافقين ، و فيها تنبيه للنبي ﷺ إلى أن يأخذ حذره و أن يتوقى هذا الداء الذي يفتال هؤلاء المصابين به .

وقال بعضهم : إن تسئل : كيف صح أن يخاطب النبي ﷺ بتقوى الله

تعالى و عدم إطاعته الكافرين والمنافقين ؟

تجيب : ان الغرض من الخطاب ليس حقيقة هو النبي ﷺ وإنما اريد منه الأمة ، فقد جرت العادة أن يخاطب مدره القوم ورئيسهم بشيء ، فيقوم خطابه بمقام خطابهم جميعاً لانه يمثلهم ، وبدلك على ذلك قوله تعالى ، «واتبع ما يوحى إليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً» و لم يقل : بما تعمل خبيراً . ولا يخفى ما فى هذا الخطاب الشريف للبشر بوساطة مركز الوحي وصاحب الشريعة من الحسن لانه إما أوقع فى التوحيد والانذار أو انه صدر تعظيماً للنبي ﷺ أو ترفعاً منه جل وعلا عن جعل من سوى النبي الذى هو أمينه على وحيه طرفاً لخطابه وهذا لا يخفى حسنه على كل من له أقل الامام بأساليب الكلام .

فى المحكم والمتشابه : للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه فى قوله تعالى : «يا أيها النبي اتق ولا تطع الكافرين والمنافقين» قال : والمخاطبة للنبي ﷺ والمراد بالخطاب امته .

وقوله تعالى : «ولا تطع الكافرين والمنافقين» فى الجمع بين الكافرين والمنافقين فى النهى عن إطاعتهم دلالة على أن الكافرين كانوا يسألون النبي الكريم ﷺ عن أمر لا يرتضاه الله تعالى وكان المنافقون يؤيدونهم فى مسألتهم ويلحون فى إستجابته ﷺ لهم ، فقد قضى الله جل وعلا بخلافه بالوحي إلى رسوله ﷺ ، فحذره عن إجابتهم إلى ملتسمهم .

وقوله تعالى : «ان الله كان عليماً حكيماً» مستأنف بيانى سيق تعليلاً للامر والنهى وتأكيداً لوجوب الامتثال بانه تعالى هو الذى يعلم حقائق الامور وجميع الاشياء من المصالح والمفاسد ، فلا يأمرك إلا بما فيه مصالح لك وللمؤمنين ، ولا ينهاك إلا عما فيه مفاسد كذلك ، فلا يحكمك إلا بمقتضى الحكمة البالغة . . . وفى الجملة دلالة على أنه ﷺ كان يميل إليهم إستدعاءً لهم إلى الاسلام . أى لو علم الله تعالى أن ميلك إليهم فيه مفعة لمانهاك عنه لانه حكيم . وقيل : ان الخطاب

له ﷺ ولامته .

٢ - (و اتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)
 أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ باتباع ما هو رشد وصلاح وهو القرآن الكريم فقط ، وتأكيده لوجوب الامتثال بأن الأمر لك هو مر بيك في نعمه الغامر لك باحسانه ، فهو الجدير أن يتبع أمره ويجتنب نهيه ، ففى تعرض عنوان الربوبية تأكيده لوجوب الامتثال بالامر وزجر عن إتياع مراسم الجاهلية وأمر بجهادهم ومنايذتهم ، وفى الامر دلالة على ترك إتياع الآراء مع وجود النص . وهذا الامر هو أمر من لوازم النهى الذى جاء فى قوله جل وعلا : «ولا تطع الكافرين والمنافقين» ومن لازم هذا النهى أن يتبع النبى ﷺ ما أوحى إليه من ربه فقط .

وفى هذا الامر - كما فى النهى السابق عليه - تأكيد لما بين النبى ﷺ وبين الكافرين والمنافقين من بعد بعيد ، وان كلاً منهما على طريق ، فلا يلتقيان أبداً إلا إذا حاد هؤلاء الكافرون والمنافقون عن طريقهما ، وسلكو طريق النبى ﷺ واتبعوا سبيله . . أما النبى ﷺ فهو ماض على ما معه من آيات ربه لا يلتفت يميناً أو شمالاً .

قوله تعالى : «ان الله كان بما تعملون خبيراً» مستأنف بيانى سيق تعليلاً لما يرغبه فى إتياع الوحي ، وبما ينأى به عن طاعة الكافرين والمنافقين . قيل : ان الجمع للتعظيم ، فالخطاب للنبي ﷺ . وقيل : خطاب للنبي ﷺ و للمؤمنين . وقيل : خطاب للغائبين بطريق الالتفات . وعلى أى تقدير ان الجملة تعليل آخر للامر ، وتأكيده لموجهه على سبيل الترغيب والترهيب على الاولين ، و على الترغيب فقط على الاخير ، فلا بد من إتياع الوحي .

وفى الجملة تهديد للكافرين والمنافقين ، وان الله تعالى مطلع على ما هم فيه من كفر ونفاق ، وسيجزى بهم بما كانوا يعملون .

٣ - (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بالاتكال عليه وحده وتفويض اموره إليه وحده ، وفي الآية تثبيت له ﷺ وايناس له من ربه بالتوكل عليه وحده ، وانه لا وحشة ولا خوف عليه من قطيعة الكافرين والمنافقين الذين يساكنونه ويعيشون بين جماعة المسلمين ، فانهم وإن كانوا كثرة في العدد ووفرة في المال ، ولكنهم أخف ميزاناً وأضعف شأناً ممن يسند ظهره إلى الله جل وعلا ويسلم اموره إليه تعالى وفيها إشعار بأن المخالفة لما سئله ﷺ الكافرون والمنافقون كانت صعباً لا بد من الثقة بالله تعالى من غير خوف ولا رجاء ممن سواه .

قيل : ان الآية كالأية السابقة عامة في حد نفسها ، ولكنها لوقوعها في سياق النهي السابق تدل على أن الامر بالتوكل على الله جل وعلا فيما يأمر به الوحي ، وتشعر بأنه أمر صعب المنال بالنظر إلى الاسباب الظاهرية لا يسلم القلب معه من عارضة المخافة والاضطراب إلا التوكل على الله سبحانه فانه السبب الوحيد الذي لا يغلبه سبب مخالف .

٤- (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه و ما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

هذا شروع في إلقاء الوحي الذي أمر ﷺ باتباعه ، وهذا مثل ضرب به الله تعالى تمهيداً لما يعقبه من قوله تعالى : « وما جعل أزواجكم ... الخ » و تقرير للامر بالتوكل على الله جل وعلا وحده ، ونفي الاعتماد والاتكال على غيره ، و إشارة إلى أن القلب الواحد لانسان واحد لا يتمكن أن يتوجه إلى غير الله مسع توجهه إليه جل وعلا إذ لم يجعل لآحد قلبين يتوجه بأحدهما إلى الله و بالآخر إلى من سواه ، وإشارة إلى إمتناع إجتماع خوف من الله تعالى ، وخوف من سواه وإذا لم يكن للمرء إلا قلب واحد ، فمتى إتجه لآحد الشئين صد عن الآخر فطاعة الله تصد عن طاعة سواه . ورد على المنافقين الذين يظهرون الاسلام و

بيطنون الكفر بعدم إجتماع الايمان والكفر في قلب واحد .

قيل : إن المراد بالقلب النفس ، فقوله تعالى : « في جوفه » لافادة زيادة التقرير كقوله تعالى : « ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » الحج : ٤٦ » وقيل : إن الفائدة هي مبالغة في التأكيد ، وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلى للمدلول عليه لأنه إذا سمع به صور لنفسه جوفاً يشتمل على قلبين فكان أسرع إلى الإنكار .

وقيل : إن الجملة الاولى نوطئة وتمهيد كالتعليل لما يليها من إلغاء أمر الظهار والتبني حيث ان في الظهار جعل الزوجة بمنزلة الام وفي التبني والدعاء جعل ولد الغير ولداً لنفسه ، والجمع بين الزوجية والامومة ، وكذا الجمع بين بنوة الغير وبنوة نفسه جمع بين المتنافيين لا يجتمعان إلا في قلبين .

وقيل : ان الجملة في مقام التعليل لما قبلها من النهي عن إطاعة الكافرين والمنافقين وإتباع السوحي حيث إن طاعة الله تعالى وولايته وطاعة الكفار والمنافقين وولايتهم جمع بين المتنافيين كالشرك لا يجتمعان في القلب الواحد . والتعميم غير بعيد ، فتكون الجملة تعليلاً لما قبلها ولما بعدها .

وقوله تعالى : « وما جعل أزواجكم اللائي . . . » تقرير لعدم جعل زوجة الرجل أمه بمجرد إستعماله صيغة الظهار ، وعدم جعل دعوى الرجل إبناً له بمجرد تبنيه ، « وأدعياءكم » كناية عن الأبناء بالتبني . وقوله : « ذلكم قولكم بأفواهكم » كناية عن إنتفاء الاثر لهذا القول كقوله تعالى : « انها كلمة هو قائلها » المؤمنون : ١٠٠)

وإشارة إلى أن الكلمة إذا لم تكن عن وعي وإدراك ، ولم تقل على منطلق وحجة كانت لغواً وهذراً لا وزن له . وفي قوله تعالى : « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » دلالة على أن هذا ليس من الحق والصدق في شيء ، وهو مردود على أصحابه ، وان الله تعالى هو الذي يقرّر الحق والصدق ويهدي إلى سبيلهما .

٥- (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفوراً رحيماً)

تقرير لما هو الحق وطريق الصلاح وسبيل الرشاد ، على طريق الامر بتسمية الابناء بالتبني باسم آباءهم الحقيقيين ونسبتهم إليهم ، فهو الاقسط عند الله جل وعلا والمتفق مع الحق والحقيقة ، فاذا لم يعرف آباءهم ، فهم إخوان متبنيهم في الدين ومواليهم ، وفيه دلالة على أن التبني كان معمولاً به في الجاهلية والاسلام واللام في «لآبائهم» للاختصاص أى ادعوهم وهم مخصوصون بآبائهم أى انسبوهم إلى آبائهم فقط ولا يجوز الانتساب إلى غير الاب .

وقوله تعالى : « هو أقسط عند الله » تعليق لما قبله ، والضمير راجع إلى مصدر « ادعوا » كقوله تعالى : « اعدلوا هو أقرب للتقوى » و أقسط أفعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقاً . القسط بمعنى العدل أى الدعاء لآبائهم بالغ فى العدل والصدق فى حكم الله جل وعلا وقضائه .

وقوله تعالى : « فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين و مواليتكم » فيه تلقين جليل مستمر المدى فى توطيد الاخوة الدينية بدون إعتبار أى فارق طبقى ، حتى إذا لم يعرف آباء الأبناء بالتبني فهم إخوان المسلمين فى الدين و مواليتهم ، لهم مالهم وعليهم ما عليهم .

وقوله تعالى : « وليس عليكم جناح . . . » تقرير لكون مسؤولية المرء عن أخطائه إنما تكون فيما يقع منه من ذلك عن عمد وقصد لعل سبيل الخطأ والسهو ، وهذا هو ما تكرر تقريره فى مواضع عديدة من القرآن الكريم .

وقوله تعالى : « وكان الله غفوراً رحيماً » تنبيه على أن الله تعالى غفور رحيم لا يؤاخذ المسلمين فيما أخطأوا به من غير عمد وقصد ، وإنما يؤاخذهم بما يصدر منهم من أخطأ عن عمد وعلم .

٦- (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى اولياءكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً)

تقرير بحق النبي الكريم ﷺ على المؤمنين فهو ﷺ أولى بهم من أنفسهم ، وتقرير بحق أزواجه ﷺ على المؤمنين فهن امهاتهم أيضاً ، وتقرير الاولوية لذوى الارحام من المؤمنين فيما بينهم . وتنبه على أن تقرير الاولوية بين ذوى الارحام من المؤمنين لا يحول دون مساعدة المؤمنين لاولياءهم من غير ذوى الارحام وإسداء المعروف إليهم ، وهذا هو حكم الله الذى كتب عليهم من المؤمنين والمهاجرين غير ذوى الارحام الذين لهم نصيب فى الميراث . وفى الاطلاق إشعار باولوية ﷺ منهم فى كل شىء من امور المعاش والمعاد ، والدين والدنيا وفى صالح الاعمال لا التصرف بكل ما يريد وهو ﷺ لا يريد كذلك ، فلا يتصرف النبي ﷺ فى الأموال والانسف والاعراض بغير حق كيف لا وهو معصوم ﷺ .

وقوله تعالى : « من المؤمنين والمهاجرين » يحتوى قيماً احترازياً على ما يتبادر لاجراء غير المؤمنين من ذوى الارحام من الاولوية ، وحقوق الارث و حصر ذلك بين المؤمنين ، ولعل إختصاص المهاجرين بالذكر هو بسبب أن بعض ذوى أرحامهم كانوا ما يزالون كفاراً ، وعدم التوارث بين المسلم وغير المسلم من القواعد الشرعية الجارية منذ العهد النبوى ، وقد تكون هذه الاية من مستندات ذلك .

وقوله تعالى : « كان ذلك فى الكتاب مسطوراً » مستأنف بيانى سيق كالخاتمة للاحكام المذكورة .

٧- (واخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

تأكيد للامر بالاتقاء على طريقى العام والخاص إذ ذكر « النبيين » أولاً

بلفظ عام يشمل الجميع ، ثم عطف عليهم خمسة من مشاهيرهم على طريق الخطاب والتقريب بأسمائهم بقوله تعالى : « ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم » وفيه تذكير على سبيل التقرير بأن الله جل وعلا قد أخذ من الانبياء وبخاصة من النبي الكريم ﷺ نفسه ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ﷺ ميثاقاً قوياً مؤكداً على حمل رسالته وتبليغها للناس . وإنما خص هؤلاء الخمسة وإن دخلوا في زمرة النبيين تفضيلاً لهم ، ولأنهم اولوا العزم وأصحاب الشرائع والكتب السماوية . و هذا من باب عطف الخاص على العام ، و معنى العطف : إخراجهم من بينهم وتخصيصهم بالذكر كأنه قيل : وإن أخذنا الميثاق منكم أيها الخمسة ومن باقى النبيين . ولم يخصهم بالذكر على هذا النمط إلا لعظمة شأنهم ورفعة مكانهم .

وقدم نبينا محمداً ﷺ على مشاهير الانبياء ، على طريق الخطاب فى الذكر لبيان شرفه وعظم شأنه وفضله عليهم ﷺ ، ولانه خاتم النبيين وان رسالته هى مجتمع رسالاتهم ، فالانبياء ﷺ وان سبقوه زمناً ، وهو ﷺ آخرهم زماناً ، ولكنهم ﷺ متأخرون عنه رتبة فهو ﷺ إمامهم الذى إنتظم عقدهم بمبعثه ، ثم رتب بحسب وجودهم ، وعددهم على ترتيب زمانهم ﷺ .

وأما تقديم نوح فى قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك . . . » الشورى : (١٣)

فلو صف البعث والوصية مقدم عليه ﷺ ولان المقصود هنا لك وصف الدين بالاصالة والاستقامة ، فكأنه قال : شرع لكم من الدين الاصلى الذى بعث عليه نوح ﷺ فى العهد القديم ، ومحمد ﷺ خاتم الانبياء وبعث عليه من توسط بينهما من مشاهير الانبياء ﷺ وإنما نسب الدين القديم إلى نوح ﷺ لانه لا إلى آدم ﷺ لان نوحاً كان أصلاً ثانياً للناس بعد الطوفان ، وخلق آدم كان كالعماراة ونبوته كانت إرشاداً للولاد ولهذا لم يكن فى زمانه إهلاك قوم ولا تعذيب كما فى زمن

نوح عليه السلام .

وقوله تعالى : « وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » تأكيد وتغليظ للميثاق، ووصف الميثاق بالجلالة والعظم إستعارة من وصف الأجرام به .
الميثاق : هو الحبل المقنول استعير ههنا للعهد والرابطة بين الله تعالى والمختارين من عباده .

٨- (ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً)

مستأنف بياني سيق لتقرير ما هو داع إلى ما ذكر من أخذ الميثاق ، وغاية له بأن الله تعالى فعل ذلك ليسئل الذين صدقوا في تبليغ رسالاتهم ويستشهدهم على أممهم ، فمتعلق بمقدر لا بـ « أخذنا » أي فعل الله تعالى ذلك ليسئل يوم القيامة الانبياء عليهم السلام عن صدقهم ووفائهم بما عاهدوا ، وفي وضع الظاهر «الصادقين» موضع ضمير «هم» ايذان من أول الامر بانهم صادقون فيما يسئلون عنه، وكشف عن أنهم أهل وفاء وإيمان ، وإنما السؤال لحكمة تقتضيه ، أي ليسئل الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوه لقومهم . وفي هذا تنبيه لغيرهم أي اذا كان الانبياء سوف يسئلون فكيف من سواهم . وقيل : إن فائدة سؤالهم توبيخ الكفار وتبكيتهم كقوله تعالى : « أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » ، المائدة : (١١٦) وقيل : « ليسئل » تعليق لقوله تعالى : « أخذنا » وقيل : تقرير للغاية من إرسال الرسل .

وقيل : ان وجه الالتفات من التكلم مع الغير : « أخذنا » إلى الغيبة « ليسئل » ان الميثاق على عبادته تعالى وحده لاشريك له وإن كان أخذه منه جل وعلا بوساطة من الملائكة المصحح لقوله : « أخذنا » وأما السؤال عن صدق الصادقين ومعدّ الجزاء للكافرين فبالحقيقة هو تعالى وحده ليعبد وحده .

وقوله تعالى : « وأعد للكافرين عذاباً أليماً » عطف على محذوف أي فعل ذلك أي أخذ الميثاق . . . وأعد للكافرين . . . ولم يقل : وليعد للكافرين . . . عطفاً

على « ليسئد » تنبيهاً إلى أن العذاب ليس من العلل الغائية لاخذ الميثاق، وإنما العذاب على النقص من ناحيتهم والخلف من قبلهم بسوء اختيارهم .
 وفي الجملة تهديد ووعيد شديد على الذين كفروا برسالات الانبياء و لم يصدقوهم ، ونقضوا الميثاق الذى أخذه الله تعالى منهم على أنبياءهم . و فى ايثار المضارع فى السؤال ، والماضى فى إعداد الجزاء ما لا يخفى على القارىء الخبير فتدبر جيداً .

٩- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فارسنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً)

تصوير إجمالى لقصة غزوة الخندق ، وما عقبها من أمر بنى قريظة، وتذكير للمؤمنين بما أنعم الله تعالى عليهم أيام الخندق بنصرهم و صرف جنود المشركين عنهم وقد كانوا جنوداً مجندة من شعوب وقبائل شتى كغطفان وقريش والأحابيش وكنانة ويهود بنى قريظة والنضير الذين أحاطوا بهم من فوقهم من أسفل منهم ، فسلب الله تعالى عليهم الريح ، وأنزل ملائكة لخذلانهم .

وقوله تعالى : « إذا جاءكم جنود » ظرف للنعمة أو لثبوتها ، وقيل: تعليل لوجوب الشكر والذكر للنعمة الالهية عليهم .

وقوله تعالى : « فأرسلنا عليهم ريحاً . . . » عطف على « جاءكم » سيق لبيان النعمة إجمالاً و هو الارسال المتفرع على مجيئهم ، وفى قوله تعالى : « و كان الله بما تعملون بصيراً » حث المؤمنين وتحريضهم على ذكر الله تعالى على ما أنعمه الله تعالى عليهم .

١٠- (اذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

عطف بيان وتفصيل لقوله تعالى : « إن جاءكم جنود » و « إذ زاغت الابصار . . . » عطف بيان آخر ، و تصوير للحال التى إستولت على المسلمين من هذا الخطر

الزاحف عليهم . و ان زيع الابصار و بلوغ القلوب الحناجر كناية عن كمال غشيان الخوف و شدة الكرب بحيث حوّلهم إلى حال المحتضر الذي يزيع بصره و تبلغ روحه الحلقوم ، حتى اضطرب لذلك تفكيرهم و غابت وجوه الرأى عنهم ، فلم يتبينوا ماذا يأخذون أو يدعون من أمرهم و ماذا يفعلون فاضطربوا اضطراباً شديداً ألمّ بهم بسبب كثرة الغزاة و إحاطتهم بهم من طرفى الشرق والغرب ، و قوة جهازهم ، و موقف اليهود الغادر الذين كانوا من ورائهم .

ثم تميزوا فالفتنة المخلصة الصادقة إلتفت حول النبي الكريم ﷺ وأيدته و أظهرت إستعدادها التام للدفاع والقتال ، و اعتبرت الزحف إختياراً ربانياً من نوع ما أخبرهم الله به ، و اعتزمت على الصدق والثبات و إزدادت ايماناً وتسليماً له ، فكانت موضع ثناء الله تعالى و تنويهه . . . و أما المنافقون و مرضى القلوب فلم يتورعوا من التظاهر بالكفر والجحود و إساءة الادب مع رسول الله ﷺ فى مثل قولهم : « ما وعدنا الله و رسوله إلاّ غروراً » ، والتثبيط و دعوة إخوانهم إلى العودة إلى بيوتهم والفرار من الميدان بحجة كاذبة ، و يظهر انهم كانوا وعدوا النبي ﷺ بأن لا يفرّوا من الميدان و أن لا يقعدوا عن القتال .

وقوله تعالى : « و تظنون بالله الظنون » فى التعبير عن حدث الظن بفعل المستقبل دون الماضى الذى جاء تعبيراً عن حدث الزيع و بلوغ القلوب الحناجر إشارة إلى أن زيع الابصار و اضطراب القلوب إنما هما حال لبست المسلمين مرة واحدة عند إستقبالهم لهذا المكروه . . أما الظن بالله سبحانه فهو أحوال متجددة بحدوث الحوادث ، تعاود المسلمين حالاً بعد حال . . . حيث يتردون بين الرجاء واليأس وبين اليقين والشك ، حسب الاحوال النفسية أو العادية التى تعرض لهم ! وفى جمع « الظنون » - جمع الظن وهو مصدر - دلالة على كثرة الظنون و أنواعها ، فظن المؤمنون الابتلاء والفتنة ، فخافوا الزلل و ضعف الاحتمال ، و ظن المنافقون عدم صدق ما وعدهم الله تعالى إذ كانوا يقولون : « ما وعدنا الله

و رسوله إلا غروراً، و منهم من يقول: ان الكفار سيغلبون و يستولون على المدينة، و منهم من يقول: ان الاسلام سينمحق والدين سيضيع، و منهم من يقول: ان الجاهلية ستعود كما كانت.

ومن فوائد جمع الظن: ان يعلم قطعاً ان فيهم من أخطأ الظن، فان الظنون المختلفة لا تكون كلها صادقة، فاما أن تكون كلها كاذبة أو بعضها فقط، و ان المقام مقام تقرير نتائج الخوف وشدته، حيث ان العيون من شدة الخوف تتحرك زائفة يميناً و شمالاً، و ان القلوب يشتد خفقانها حتى كأنها ترتفع من مكانها إلى الحناجر، وخاصة الجبناء، إذ يظنون ان محمداً صلى الله عليه وآله وأصحابه سيستأصلون و يستولي المشركون على المدينة و تعود الجاهلية سيرتها الاولى و ما إليها من الظنون التي تجول في القلوب يومئذ بالنصر والغلبة، و باليأس والهزيمة. مع أن الظنون المختلفة كانت تعاود الشخص الواحد كما أنها تختلف من شخص إلى شخص.. فهناك من المؤمنين من هم على يقين من أمر ربهم فلا يظنون الاخيراً، و ان الله تعالى منجز لهم ما وعدهم في عدوهم.. إن لم يكن في هذه المعركة ففي معارك اخرى قادمة إن لم يشهدوهاهم فيشهدها من بعدهم من إخوانهم..

١١ - (هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزلاً شديداً)

مستأنف بياني سيق لتقريب الغاية للابتلاء بيوم الخندق، حيث إستشعر المؤمنون يومئذ بالبلاء العظيم الذي ابتلوا به، و «هناك» إشارة إلى زمان بعيداً أو مكانه، ولكن المراد منها في المقام هو زمان مجيء الجنود كان شديداً عليهم لغاية بعيدة، والمعنى في ذلك الزمان الشديد إمتحن المؤمنون.

وقوله تعالى: «و زلزلوا زلزلاً شديداً» بيان لما في هذا البلاء من شدة هزّت كيان المسلمين هزاً حين إضطربوا خوفاً إضطراباً شديداً، و منضت مشاعرهم كما يمحض اللبن حتى تنكشف الرغوة عن الصريح.

١٢ - (و اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و

رسوله الاغروراً

عطف على « إذ زاغت الابصار » لبيان ما عرض للمنافقين و من في قلوبهم مرض إذ كانوا يظنون بالله ظن السوء ، و كان قولهم في مواجهة هذا الابتلاء هو الكفر الصريح ، و في الآية كشف عن مطويات الضمائر ، و ما تخفى صدور المخالفين .

١٣ - (و اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة و ما هي بعورة ان يريدون الا فراراً)

عطف على ماتقدم ، و سيق لبيان مقالة طائفة من طوائف هؤلاء المنافقين ، و من في قلوبهم مرض . . انهم لم يقفوا عند حد هذه الوسوس السوء من الظنون ، بل جاوزوا هذا إلى إذاعتها في الناس ، و إلى تبيسهم و زعزعة ايمانهم ، فينادون في الناس بهذا النداء الشيطاني المشؤم : « يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ، أي ما ذا تنتظرون ؟ و ما متعلقكم بتلك الأمانى الباطلة ؟ انكم مخدوعون . . فما مقامكم فيما أنتم فيه ؟ إرجعوا إلى دياركم و أهليكم ، حيث ان الأمن والسلامه ، والراحة من هذا العبث الذي لا شيء وراءه . . .

و في مناداتهم : « يا أهل يثرب » و هو إسم مدينة قبل الاسلام مع غلبة إسم مدينة الرسول عليه بعد الهجرة - دعوة إلى ردة ، يريدون بها دفع هذه المشاعر الجديدة التي عاش بها المسلمون في مجتمعهم الجديد حيث إتخذت المدينة في ظل الاسلام إسماً جديداً و هو مدينة الرسول بدلاً من إسمها : « يثرب » الذي عاشت فيه مع الكفر والشرك ! انهم يريدون بهذا النداء أن يجلسوا عن المشاعر هذا الاسم الكريم كما أرادوا أن يجلسوا عنها الدين الحنيف !

و قوله تعالى : « و يستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة » عطف على محذوف ، سيق لبيان إستجابة بعض المنافقين دعوة بعض الآخرين منهم ،

فاستجاب لها بعضهم و من فى قلوبهم مرض ، و ان الدعوة هى : « يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا » و كانت الاستجابة لهذه الدعوة على اسلوبين : اسلوب الرجوع بلا إستئذان من النبى الكريم ﷺ ، و اسلوب الرجوع بعد الاذن منه ﷺ على أن المستجيبين على فريقين : فرقة إستجابوا للدعوة بلامهلة و لا إلتفات إلى شىء ، و لا مراجعة إلى أنفسهم أو إلى النبى ﷺ ، و فرقة أرادوا أن يداروا نفاقهم و يسترؤا ضعف ايمانهم بهذا العذر الذى كانوا يعتذرون به للنبى ﷺ و هو ان بيوتهم مهددة بمن يعتدى عليها ، و يهتك سترها . . . و هذا ما يشير إليه قوله تعالى حكاية لقولهم : « يقولون ان بيوتنا عورة » أى فى عرضة الاعتداء عليها و على المدينة لأعدائنا . . .

فى تلخيص البيان للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه فى قوله تعالى : « يقولون ان بيوتنا عورة . . . » قال : و هذه إستعادة لان المراد بالعودة ههنا الموضع الذى يتوقى منه الرجل فى الحرب والغيلة يقال : أعور فلان لعدوه أى أمكنه من ظهره . و منه قولهم : رجل معور أى مكشوف العيوب لمن أراد عيبه وأصله : مأخوذ من عودة الانسان ، وهى ما يستفحش ظهوره للناس فكان المعنى : ان بيوتنا مكشوفة وللغارة معرضة لان يدخل منها العدو إلى المدينة ، فصارت بمنزلة العودة للمدينة كما يخاف الرجل فى الحرب أن يؤتى من عودة ، ويرى من موضع غفلة . إنتهى كلامه و رفع مقامه الشريف .

وفى قوله تعالى : « وماهى بعودة » تكذيب لتلك المقالة الكاذبة الفاجرة . . بأن بيوتهم ليست عورة ، بل هى فى حمى المسلمين جميعاً ، و ما يجرى على بيوت المسلمين يجرى على بيوتهم . . فلو دخل المشركون المدينة لما استباحوا بيوت هؤلاء المعتذرين و حدهم ، بل لاستباحوا بيوت المسلمين جميعها .

و قوله تعالى : « إن يريدون إلا فراراً » بيان للسبب الحقيقى لهذه المقالة بأن هؤلاء المعتذرين ما يريدون بها إلا فراراً من هذا الموقف الذى هم فيه ،

و ضناً بأنفسهم عن أن يشهدوا القتال ، و أن يكونوا في المقاتلين .

١٤- (و لو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآ توها وما تلبثوا بها الا يسيراً)

تقرير لمصداق ما أرادوا من الفرار عن نصره النبي الكريم ﷺ و عن قتال المشركين معتذرين بما اعتذروا ، و من هنا إذا طلب منهم الارتداد عن الاسلام لفعلوا بالتردد .

وبيان لضعف إعتقادهم بما أظهروا فكأنه معلق بخيط دقيق ينقطع بأدنى هزة ، ولقوة ما أبطنوا من الكفر بحيث لو طلبوا بالارتداد لارتدوا بلا تلبث . و في ذلك ايماء إلى أن الايمان لا قرار له في أنفسهم ، ولا أثر له في قلوبهم ، فهو لا يستطيع مقابلة الصعاب ، و لا مقاومة الشدائد ، فلا تعجب لاستئذانهم و طلبهم الفرار من ميدان القتال ، و ان شدة الخوف والهلع الذي تمكن في قلوبهم مع خبث طويبتهم و إضمارهم النفاق و إبطانهم الكفر - تحملهم على الاشرار بالله سبحانه و الرجوع إلى دينهم عند أدنى صدمة تحصل لهم من العدو ، فايما نهم طلاء ظاهري لا قرار له في أنفسهم ولا أثر في قلوبهم بحال ، فلا عجب إذا هم تسللوا لو اذاً و بلغ الخوف من أنفسهم كل مبلغ .

مع أنهم يحرسون على حياتهم أكثر من حرصهم على ايمانهم أو حرمان بيوتهم حتى لو دخل المشركون على هؤلاء المعتذرين بيوتهم من كل مدخل منها ثم دعوهم إلى الخروج منها لخرجوا منها ، و نزلوا عنها لهم من غير أن يدافعوا عنها ، و يؤدوا حق حرمتها عليهم . .

وقوله تعالى : « دخلت عليهم - ثم سئلوا » في ايثار الفعلين الماضيين المبنيين للمفعول إشارة إلى أن هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب لحرصهم على الحياة الدنيا يسلمون بيوتهم لأي داخل عليهم ، و دينهم لأي طالب منهم فرادياً بأنفسهم .
وقوله تعالى : « وما تلبثوا بها الا يسيراً » إشارة إلى مبادرة هؤلاء المستخفين

بالحرمان إلى الخروج من دينهم من غير تأخير إلا بمقدار الطلب والسؤال من الزمان ، فهؤلاء فتنوا في دينهم بموقفهم المتخاذل في مواجهة العدو ثم فرارهم من ميدان المعركة ، وخروجهم من دينهم بلا تردد .

١٥- (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار وكان عهد الله مسئولا) تقرير لما كان هؤلاء المنافقون وعدوا النبي الكريم ﷺ بأن لا يفرّوا من معارك القتال ، وأن لا يقعدوا عنه على طريق القسم ، و « يولون الأديار » بيان للعهد ، و « كان عهد الله مسئولا » بيان لحرمة العهد و تهديد بهم على نقضه ، و في إثبات الماضي « كان » تأكيد للسؤال عن العهد .

ان تسئل : كيف يصح أن يوجه السؤال إلى العهد ؟

تجيب : ان التقدير : كان عهد الله مسئولا عنه للجزاء عليه ، فحذف « عنه » لانه معلوم لاختفاء .

١٦- (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذا لامتمتعون الا قليلا)

قطع لتلك الآمال الكاذبة التي يعيش فيها اولئك الذين فرّوا من ميدان القتال ظانين ان ذلك يحفظ عليهم حياتهم ، ويرد غائلة الموت عنهم ، وهم في هذا مخدوعون قد غطى على أبصارهم حب الحياة حتى لقد أنساهم ذلك تلك الحقيقة المائلة أمامهم ، وانهم مقضى عليهم بالموت المحكوم به على كل حي . وان هذا الفرار من الموت - على أية صورة من صورته حتماً أو قتلاً - إلى أين ينتهي بهم الطريق الذي يركبونه فارين منه ؟ انه منته بهم إلى الموت حتماً ، إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد . . . انه آت لا شك فيه ، طال الطريق أم قصر .

وقوله تعالى : « من الموت أو القتل » بيان للصورة التي يقع عليها الموت ، وهو إما أن يكون موتاً طبيعياً ، أو في حدث من الاحداث كالحرب وغيرها . . .

وقوله تعالى : « واذا لامتمتعون إلا قليلاً » وعيد شديد بهم ، وتهديد بانتهاء

آجالهم .

١٧- (قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

تأكيد للتقرير المتقدم ، وتنبية لهم على أن حياة الانسان مقضى مؤجل لا ينفذ فراد من الزحف ، ولا وجه له ، وإنما هذا الفرار سوء ظن منهم بسلطان الله جل وعلا و قدرته ولو علموا بعض ما لله تعالى من علم وقدره لما تحوّلوا عن هذا الموقف الذى هم فيه ، مقدرين ان الفرار ينجيهم من الموت أو القتل ، ويمدّ لهم فى آجالهم التى يخيل إليهم ان القتال سيختصر مقامهم فى الحياة الدنيا ، ويحصد حياتهم قبل أوانها . .

وتنبية لهم أيضاً بأن الخير والشر تابعان لارادة الله تعالى محضاً ، فلا يمنع عن نفوذها سبب من الاسباب ، ولا يعصم الانسان منها أحد ، فالحزم ايكال الامر إلى إرادته تعالى والقرار على أمره بالتوكل عليه .

ان تسئل : إذا صح للانسان أن يطلب معتصماً يعتصم به حال الضر والسوء ، فكيف يصح أن يطلب معتصماً حين يراد به الخير والرحمة ؟ وإذا صح أن يفرّ الانسان من مواطن الخطر والشر ، فهل يصح أن يفرّ من مواطن الخير والاحسان ؟ وإذا فما تأويل قوله سبحانه : « من ذا الذى يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة » ؟

تجيب عنه : أولاً : ان الانسان لا يملك مع أمر الله تعالى شيئاً ، وأن ما يساق إليه من سوء أو رحمة هو من عند الله جل وعلا ، فانه إذا رأى بلاء الله تعالى واقعاً به ، وطلب معتصماً يعتصم به ، وملجأً يلجأ إليه من هذا البلاء فلن يجد ، كما انه إذا أراد الله تعالى به خيراً ورحمة ، فان هذه الرحمة وذلك الخير لا بد أن يصل إليه مهما حاول هو - عن جهل وغباء - أن يفرّ منهما .

وثانياً : ان تقدير الانسان للامور لا يقع على وجه صحيح فى كل حال ، فقد

يفرّ من أمرٍ ويعرض عنه، متكرهاً له، طالباً السلامة منه، وهو في صميمته خير له وبركة عائدة عليه وإن الله تعالى، لو أراد به الخير لأمسكه على هذا المكروه، ولماصرفه عنه، ولو أراد به السوء لخلّى بينه وبين ما أراد، فيقع في المكروه الذي يتوقع النجاة منه باعراضه عنه وفراده منه، وذلك بما يفوته من الخير المطوى في هذا المكروه.

قال الله تعالى: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحببوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون» البقرة: ٢١٦ وهذا هو حال المنافقين الذين يفرّون من معارك القتال، فانهم تكرهون هذا الأمر ويفرّون منه، وهو في صميمه خير ورحمة وبركة، وإذا لم يرد الله تعالى بهم خيراً، فقد خلّى بينهم وبين ما أرادوا، على حين أنه تعالى أمسك على هذا المكروه من أراد بهم الخير والرحمة من عباده المؤمنين.

وقوله تعالى: «ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً» تأكيد لما قبله ونفى له، وحث على الاعتصام بالله والاتكال عليه تعالى وترك النفاق والفرار من القتال، وتهديد بهم إذا خالفوا. ووجه الالتفات من الخطاب: «يعصمكم بكم» إلى الغيبة: «لا يجدون» لعلهم كان لهؤلاء المنافقين، ومرضى القلوب، وهم في حضور مع المؤمنين في معركة القتال، يعيشون بتلك الخواطر المريضة والمشاعر الكاذبة، ويدبرون في كيانهم وجوه الاعذار التي يعتذرون بها للفرار من هذا الموقف.. هذا هو حالهم قبل أن يفرّوا.. فلما اجتمع لهم الرأي على الفرار - كان الحكم عليهم غيابياً في مواجهة المؤمنين.. فلا يستمعون هم إلى هذا الحكم، ولا يدرون ماذا يريد الله بهم، حتى يفجئهم العذاب، وينزل بهم البلاء، وهم في غفلة.. وفي هذا بلاء فوق البلاء وعذاب فوق العذاب.

١٨- (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لأخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس الا قليلاً)

مستأنف سيق لكشف موقفين من مواقف المنافقين ، و مرضى القلوب :
موقف التخلف عن الخروج للقتال ، وموقف إمساك غيرهم معهم عن الخروج ،
وتزيين القعود لهم مع القاعدين . وفي ايثار المضارع «يعلم» باعتبار تجدد أفعال
المنافقين ، وفيه تهديد وتحذير لهم من أن يقعوا في هذا المحذور المنكر قبل
أن يقع . وفي «والفائلين لاخوانهم هلم إلينا» دلالة على أنهم يقولون هذا وكانوا
هم خارجين من معسكر النبي ﷺ متوجهين نحو المدينة فراراً من الزحف
إذ لو كانوا في المعسكر لاعتذروا وتأخروا منهم ما أمكن لهم .

١٩- (أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتمهم ينظرون اليك تدور أعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة
على الخيرا ولئلك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً)
توصيف لهم بالجبن والخوف ، وبالبخل والفخر الكاذب ، وما إليهما من دنى
الصفات بعد أن فضحت الايات السابقة ما في قلوبهم من زيغ ، وما في نفوسهم
من مرض . . فهم إذا جاء الخوف أى حضر البأس والقتال . . وقد عبّر القرآن عنه
بالخوف بالاضافة إليهم لان القتال يطلع عليهم بما يملأ نفوسهم خوفاً وهلعاً أما
المؤمنون فانهم إذا جاء القتال ، وفي إقامة الخوف مقام القتال إشارة إلى أن
المنافقين أجبن الناس ، وأشدهم حرصاً على الحياة ، وان مجرد ذكر كلمة
الحرب عندهم تملأ قلوبهم فزعاً ورعباً - فالحرب بالاضافة إليهم خوف متجسد . .
وقوله تعالى : «رأيتمهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من
الموت» تصوير للمحال التي تستولى على هؤلاء المنافقين ، ومرضى القلوب حين
تتحرك أمامهم أشباح الحرب ، وتلوح لهم جيوش العدو فكيف يكون حالهم من
الفرع والرعب حين يلقون العدو وتسل السيوف وتشرع الرماح ؟ انهم يموتون
بصعقات الخوف قبل أن يموتوا بضربات السيوف وطعنات الرماح !!

وان الخطاب «رأيتمهم . . .» للنبي ﷺ ونظرة المنافقين إلى النبي ﷺ

نظرة مدعورة يائسة تطل من أشباح مضطربة متهالكة متهاوية ..

و في تلخيص البيان : في قوله تعالى : «فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد» قال : وهذه إستعادة والمراد بـ «سلقوكم» ههنا طعنواكم بألسنتهم وغمروكم بدمهم وعيبيهم ، وأصل السلق شدة وقع الصوت ، ومنه خطيب سلاق و سلاق - وعندى ان ذلك مأخوذ من قولهم : سلق الراكب ظهر البعير إذا أدبره يسلقه سلقاً فيكون قوله تعالى : «سلقوكم بألسنة حداد» أى أثاروا فيكم بأقوالهم و حزوا في قلوبهم بكلامهم كما أثار هذا الراكب في ظهر البعير بأدمان السير و انماط الرحل ، و وصف الألسنة بالحدة محض الاستعادة تشبيهاً لها بمضارب الصفاح ولهازم الرماح لشدة وخزها في القلوب وحزها في الجنوب .

وقوله تعالى : «أشحة على الخير» بيان لما دعاهم إلى بسط ألسنتهم فيهم وهو قلة نقتهم بالله جل وعلا لعدم تمكن الوازع النفسى في قلوبهم .
وقوله تعالى : «اولئك لم يؤمنوا» تشهير بهم ، وفضح لهم على الملأ ، و تعرية لهم من الايمان الذى لبسوه ظاهراً ، ولم يفسحوا له مكاناً في قلوبهم ...
وبعد الاشارة لبعده منزلتهم وهذا هو وجه الالتفات من خطاب الجمع إلى الافراد فتدبر جيداً .

وقوله تعالى : «وكان ذلك على الله يسيراً» إشارة إلى ما يقع على أعمالهم من إحباط لها كلها ، فلا ينجح لهم كيد ، ولا يستقيم لهم تدبير ، انهم يكيدون الله جل وعلا ويحاربون ربهم بهذه الأسلحة الباطلة ، والله لا يصلح عمل المفسدين .
٢٠- (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً)
تقرير لطرف آخر من جبن المنافقين وخوف مرضى القلوب وهلمهم التى لحقت بهم ، وبيان لثباتهم على الكفر مع مشاهدتهم هذه المعجزة العظيمة من غلبة المسلمين مع قتلهم على الكافرين مع كثرتهم . ومن جملة جبنهم وضعف

إحتمالهم انه : « وإن يأت الاحزاب . . . » كسرة ثانية تمنوا « انهم يادون » أى خارجون إلى البدو وحاصلون فيما بين الاعراب حذراً من عيان القتال ، وعن مسرح الحرب لحرصهم على الحياة الدنيا ، ومن أجلها كانوا يبيعون الشرف والمرؤة والرجولة . فيكون حالهم إذ ذاك انهم : « يسئلون عن أخباركم » قانعين من العيان بالأثر ومن الحضور بالخبر .

وقوله تعالى : « يسئلون عن أنباءكم » مستأنف بيانى مسوق لكشف حال من أحوال المنافقين ، وهو انهم لما ركبهم الخوف والجبن كانوا يسئلون عن أنباء المسلمين فى جبهة القتال لإطمئناناً على المسلمين ، ولكن إستكشافاً للامر ، وتعرفاً على الموقف حتى يأخذوا العدو لانفسهم على الوجه الذى يرونه ، فان جائتهم الأنباء بأن المسلمين رجحت كفتهم ، وهبت عليهم ريح النصر انحا زوا إليهم وخلصوا أنفسهم بهم ، وإن كان الامر على غير هذا ، فلن يعدموا وسيلة يتوسلون بها إلى الأحزاب . . .

وقوله تعالى : « ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلّا قليلاً » إنكار على المنافقين أن يسئلوا عن أنباء هذا الموقف ، وهم بمعزل عنه وكان الامر يقتضيه أن يشاركوا فى القتال ، وأن يكونوا بين المقاتلين إن لم يكن ذلك دفاعاً عن الدين ، فليكن عن الاهل والدار والوطن !!

ومع هذا فانه لم يفت المسلمين خير كثير من تخلف هؤلاء المتخلفين لانهم لو شهدوا القتال لما قاتلوا ، أو قاتلوا قتال المنحرفين الذين يطلبون السلامة لانفسهم قبل كل شىء : « ولو كانوا فيكم » أى لو شهدوا القتال معكم : « ما قاتلوا إلا قليلاً » أى لم يكن لهم إلا قتال هزيل لأثر له .

٢١- (لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)

عتاب للمتخلفين عن معارك القتال ، وحث جميع المكلفين على مواسة

تذکره آثار و خدمات

(علاءالدین محمد بن علی قزوینی)

و مجلدات دیگر آن زیر چاپ که بتوفیق خداوند قادر متعال یکی پس از دیگری طبع و منتشر خواهد شد .
هزینه چاپ این تفسیر هم اکنون به بیش از صد میلیون ریال بر آورد شده است که حدود ده میلیون ریال آن
از طرف افراد خیر و نیکوکار که خدای متعال خیرشان دهد رسید ، و بویلیکه از فروش این تفسیر گرفته میشود
تذکر بنیاد مدرسه ایست بنام مبارک حضرت (قائم) ولی عصر امام زمان ارواحنا له الفداء که مؤلف در آغاز امر
بدان متعهد شده است ، علاقه مندان بقرآن کریم و عترت رسول خدا ﷺ میتوانند جهت کمک بچاپ این
تفسیر که پس از اتمام آن در بنیاد مدرسه فوق الذکر صرف میشود بشماره حساب (۴۳۹) بانک صادرات شعبه
(۱۲۳۹) شهرستان قم واریز نموده و رسید بانکی آنرا بجه آدرس ذیل ارسال و مؤلف را با شماره تلفن ذیل
آگاه سازند جهت اظهار نظر و رفع ابهام میتوانند بشماره تلفن ۳۱۹۷۲ شهرستان قم مستقیماً با مؤلف تماس
بگیرند و یا با نامه بآدرس : قسم کوی بیمارستان فاطمی کوچه حکیم زاده منزل مؤلف نظرات و با ابهام
را مطرح نمایند .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال رسول الله ﷺ :

«رائي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ابداء»
حديث متواتر از دو طریق شیعه و سنی

(تفسیر البصائر)

« تفسیر البصائر مبین : « بیان کننده » مفاهیم دو ثقلی است که رسول خدا (ص) در بین مسلمانان بود یعنی از مراجع عظام

گزارده است »

تفسیر البصائر تفسیر بست درشت (۶۰) جلد باضافه یک جلد بنام : «مفتاح البصائر» و دو جلد بنام :

«تبصرة البصائر» که مجموع آن بیش از پنجاه هزار (۵۰۰۰۰) صفحه میباشد

در پیرامون این تفسیر نظرات فراوان از مراجع عظام و علماء اعلام و محققین و الامامان و صاحبان آریان و مذاهب مختلفه از داخل و خارج از کشور آمده است که ان شاء الله تعالی تمامی آنها بصورت کتاب مستقلی بنام :

(حسابه الی از تفسیر البصائر) چاپ و منتشر خواهد شد .

این تفسیر در سال (۱۳۵۶ ش) در دو مطبعه شروع به چاپ شد از جلد اول و از جلد چهارم و یکم ، و لکن بر اثر سرعت کار و تقید مؤلف در نظارت بر چاپ و نیاز بوقت بیش از حد معین ، مقرر شد که قسمت دوم آن بحول و قوه الهی چاپ سپس بطبع قسمت اول آن اقدام شود و هم اکنون : سال (۱۳۶۳ ش) نوزده (۱۹) جلد آن چاپ و منتشر گردید که عبارت است از :

| | | | | | | | | | |
|----------|----|----|---------|---|-----------------|---------------------------------|------|----|---------|
| صفحه ۴۹۱ | در | ۱ | جهد اول | : | مشمول بر ۱ سورة | (فاتحة الكتاب) | سورة | ۱ | جهد اول |
| » | » | ۲ | » | » | » | (الذاريات والطور) | سورة | ۲ | » |
| » | » | ۳ | » | » | » | (النجم والقمر) | » | ۳ | » |
| » | » | ۴ | » | » | » | (الرحمن والواقعة) | » | ۴ | » |
| » | » | ۵ | » | » | » | (الحديد والمجادلة) | » | ۵ | » |
| » | » | ۶ | » | » | » | (الحشر والممتحنة) | » | ۶ | » |
| » | » | ۷ | » | » | » | (الصف والجمعة والمنافقون) | سورة | ۷ | » |
| » | » | ۸ | » | » | » | (التغابن والطلاق والتحريم) | » | ۸ | » |
| » | » | ۹ | » | » | » | (الملك والقلم والحاقة) | » | ۹ | » |
| » | » | ۱۰ | » | » | » | (المعارج ونوح والجن) | » | ۱۰ | » |
| » | » | ۱۱ | » | » | » | (المرمل والمدثر والقيامة) | » | ۱۱ | » |
| » | » | ۱۲ | » | » | » | (الانسان والمرسلات والنبأ) | » | ۱۲ | » |
| » | » | ۱۳ | » | » | » | (النازعات وعبس والتكوير) | » | ۱۳ | » |
| » | » | ۱۴ | » | » | » | (الانفطار والمطففين والانشقاق) | » | ۱۴ | » |
| » | » | ۱۵ | » | » | » | (البروج والطارق والاعلى) | » | ۱۵ | » |
| » | » | ۱۶ | » | » | » | (الغاشية والفجر والبلد) | » | ۱۶ | » |
| » | » | ۱۷ | » | » | » | (الشمس والليل والضحى والانشراح) | سورة | ۱۷ | » |

و أخيراً بر اثر تأکید بسیاری از صاحب نظران فوق الذکر در یک مطبعه دیگر ده جلد این تفسیر : از جلد سی و یکم - الی جهلم قرار داد بسته شد که دو جلد آن نیز چاپ و منتشر شد :

| | | | | | | | | | |
|----------|----|----|--------------|---|------------------|-----------------|----|------|------|
| صفحه ۵۱۹ | در | ۱۸ | جهد سی و یکم | : | مشمول بر دو سورة | (لقمان وسجدة) | در | ۱۹ | صفحه |
| » | » | ۱۹ | » | » | » | (الاحزاب وسباء) | » | ۱۰۴۴ | » |

النبي ﷺ وموارزته كما واساهم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مداحض
الاقدام . . . وفي ايثار الماضي : «لقد كان لكم» الدال على الاستقرار او لاستمرار
إشارة إلى كونه تكليفاً ثابتاً مستمر المدى . . .

ان تسئل: ما حقيقة قوله تعالى : «لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة»؟
تجيب عنه بوجهين: أحدهما - انه ﷺ نفسه أسوة حسنة أى قدوة و
الاسوة : إسم للمتأسى به أى المقتدى به كما تقول في الذهب عشرون مناً حديداً
أى هى فى نفسها هذا المقدار. ثانيهما - أن فيه ﷺ خصلة من حقها أن
يؤتى بها وتبوع ، وهى مواساته بنفسه أصحابه وصبره على الجهاد وثباته يوم احد
حين كسرت ربايعته وشج وجهه .

وفى وصف الاسوة بانها اسوة حسنة إشارة إلى أن هناك اسوة سيئة يقوم
على رأسها كبير من كبار المنافقين يدعو إلى النكوص على الاعقاب والفرار من
مواجهة الاحزاب . . .

والدعوة هنا عامة للمؤمنين أن يقتدوا برسول الله ﷺ وأن يكونوا
من ورائه جنداً مجاهدين فى سبيل الله تعالى ، فذلك هو طريق الخير والفوز
لايسره الله إلا لمن كان يؤمن بالله جل وعلا ويرجو ما عنده من الجزاء ، وكان
ذكر الله تعالى دائماً ملء قلبه حتى يجد من هذا الذكرا ما يستحضر به عظمة الله
جل وعلا وفضله وإحسانه ، فيصبر على البلاء ويستخف بالحياة الدنيا فى سبيل
رضوان الله فى الآخرة .

فقوله تعالى : «لمن كان يرجو الله» بدل من قوله : «لكم» وهو تخصيص بعبد
العموم للمؤمنين ، وذلك للدلالة على أن التأسى برسول الله ﷺ خصلة جميلة
زاكية لا يتصف بها كل من تسمى بالايمان ، وإنما يتصف بها جمع ممن تلبس
بحقيقة الايمان ، وتعلق قلبه بالله تعالى فأمن به وتعلق قلبه باليوم الآخر فعمل
صالحاً ومع ذلك ذكر الله كثيراً فكان لا يغفل عن ربه ، فتأسى بالنبي ﷺ فى

أفعاله وأعماله . . .

٢٢- (ولم أرا المؤمنين الا حزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايماناً وتسليماً)

هذا وصف لحال المؤمنين لما شاهدوا الاحزاب ، ونزول جيوشهم حول المدينة ، فكان ذلك سبب رشدهم وتبصرهم في الايمان ، وتصديقهم لله تعالى ورسوله ﷺ على خلاف ما ظهر من المنافقين ومرضى القلوب من خوف وجبن وإرتياب وسيء القول .

وقوله تعالى : « وصدق الله ورسوله ، إنما أظهر الاسمين هنا مع تقدم ذكرهما آنفاً لئلا يكون الضمير الواحد عن الله تعالى وغيره .

٢٣- (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً)

وصف لبعض الكلمة من المؤمنين الذين صدقوا عند اللقاء واحتملوا البأساء والضراء ، إذ في «رجال» إشارة إلى ان منهم اناساً قد كملت رجولتهم ، وسلمت لهم انسانياتهم ، فكانوا رجالاً حقاً لم ينتقص من انسانيتهم شيء . . . فالكفر والشرك والنفاق وضعف الايمان كلها أمراض خبيثة ونفائص تغتال إنسانية الانسان ، وتفقد معنى الرجولة فيه . . . فالرجل كل الرجل هو من تحرر عقله من الضلال وصفت روحه من الكدر وسلم قلبه من الزينغ . . . ثم لاعليه بعد هذا ألا يمسك بيده شيء من جمال الصورة أو وفرة المال أو قوة السلطان ، مع أن فسى تنكير «رجال» معنى التفخيم والتعظيم مالا يخفى على القارىء الخبير أى رجال فسى غاية العظمة عندنا .

وقوله تعالى : « ومنهم من ينتظر » إشارة إلى أن المؤمن وصادق الايمان ينتظر لقاء ربه - مضافاً إلى إنتظاره لقضاء الله تعالى فيه موتاً أو إستشهاداً في معركة القتال - وهو في شوق إلى هذا اللقاء يعد له اللخطاب ، ويستطيل أيام الحياة الدنيا

في طريقه إلى ربه . . شأن من ينتظر أمراً محبوباً هو على موعد معه .
وقوله تعالى : « وما بدلوا تبديلاً » إشارة إلى أن إيمانهم بالله تعالى ، و
 يقينهم بلقاء جزائه لم يزايل مكانه من قلوبهم لحظة ، ولم ينحرف عن موضعه أى
 انحراف . . فهم على حال واحدة من أمر ربهم ، ومن الثقة بما وعدهم الله جل و
 علا على بدرسوله صلى الله عليه وآله وسلم على حين أن كثيراً ممن كان معهم ممن أسلموا ، ولم يدخل
 الايمان في قلوبهم قد بدلوا موافقهم ، و كثر ت تحركاتهم بين الايمان والكفر .
 ٢٤- (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب
 عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً)

تعليق لهذا الابتلاء والتمحيص ، و بيان لغاية جميع من تقدم ذكرهم من
 المنافقين والمؤمنين ، وفي إقامة الظاهر : « الصادقين » مقام المضر ولم يقل :
 « ليجزيهم الله » تنويه بهم ، ولالباسهم هذه الصفة التي حققوها في أنفسهم ، وهي
 الصدق فكانوا الصادقين حقاً . . ولم يذكر القرآن ما يجزيهم الله به إشارة إلى
 انه جزاء معروف ، وهو الاحسان . . فما يجزي المحسنون إلا إحساناً كما يقول
 تعالى : « هل جزاء الاحسان إلا الاحسان » الرحمن : ٦٠) فهو جزاء لا يحتاج
 إلى بيان .

وقوله تعالى : « ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم » في قيد العذاب
 بالمشيئة الالهية إشارة إلى أن رحمة الله تعالى قد تدرك بعض المنافقين ، فيعدلون
 عن طريق النفاق بالتوبة والاستغفار ، وإذن فليطلب المنافق السلامة لنفسه وليسع
 سعيه ليكون ممن يتوب الله تعالى عليهم ، وليعلم أن في هؤلاء المنافقين من هو
 أهل للعذاب ، فعلى المنافق أن يحذرا استطاع أن يكون منهم . . ثم ليعلم قبل
 هذا كله ان الامر لله تعالى من قبل ومن بعد ، وان المطلوب منه ، هو أن يعمل
 على سلامة نفسه وأن يطلب الخير والسعادة وحسن الجزاء لها ، وليس له أن يعلم
 ما الله تعالى قاض فيه ! فذلك لله وحده لا شريك له فيه .

وقوله تعالى : « ان الله كان غفوراً رحيماً » مستأنف في موضع التعليل ، و
 حث على الاستغفار والتوبة في كل حين ، وبيان نفعها للتابعين ، وإطماع في رحمة
 الله جل وعلا وفي مغفرته للعصاة والمذنبين أياً كان ما هم فيه من ضلال . . فرحمة
 الله واسعة ، ومغفرته عامة لمن طمع في رحمته ومغفرته ، وعمل على مصالحته ربه
 والتوب إليه .

قيل : في الآية من حيث كونها بيان غاية نكتة لطيفة هي ان المعاصي ربما
 كانت مقدمة للسعادة والمغفرة لا بما أنها معاصي بل لكونها سائقة للنفس من الظلمة
 والشقوة إلى حيث تتوحش النفس وتتنبه فتتوب إلى ربها ، وتنتزع عن معاصيها
 وذنوبها فيتوب الله عليها في الغاية .

٢٥- (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين
 القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

تتميم للنعمة التي سبق ذكرها في قوله تعالى : « فأرسلنا عليهم ريحاً و
 جنوداً لم تروها » ووسط بينهما بهذا الاعتراض بتلك التعقيبات على ما ذكر من
 أحداثها ، وبايضاح ما نزل بهم من الطامة التي تحير العقول والافهام ، والداهية
 التي زلت فيها الاقدام وما صدر من الفريقين : فرقة سالحة مؤمنة ناجية . و فرقة
 كافرة هالكة وناقصة ضالة من الاحوال والاقوال لاطهار عظمة النعمة ، وإبانة جليل
 خطرها ومجيئها حين إشتداد الحاجة إليها .

وقوله تعالى : « لم ينالوا خيراً » تأكيد لما أصاب الاحزاب من خزي و
 كمد ، وانه لم يكن لهم في كيدهم هذا الذي كادوا أي وجه من وجوه النفع بل
 كان شراً خالصاً و بلاء محضاً .

وقوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال » إظهار للمنة التي إمتن الله
 جل وعلا بها على المؤمنين بامامهم على بن أبي طالب عليه السلام بقتله عليه السلام عمرو بن عبدود
 العامري وكان ذلك سبب هزيمة الاعداء وده عليه السلام دفع هذا المكروه الذي نزل

بساحة المؤمنين ، وأوشك أن يشتمل عليهم دون أن يكون منهم قتال .
 وقوله تعالى : « وكان الله قوياً عزيزاً » مستأنف بياني سيق لمالله تعالى من
 سلطان قاهر ، وقوة غالبية ، فلا يملك أحد مع سلطان الله سلطان ، ولا مع قوة الله
 جل وعلا قوة ، وفي الجملة إيماء إلى أن الامام أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان مقوياً
 بقوة الله تعالى ، ومؤيداً من عنده جل وعلا في قتل عمرو بن عبدود .

٢٦- (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيةهم وقذف في
 قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً)

إشارة إلى مشهد جهادي ضد فريق من أهل الكتاب وهم اليهود الذين
 خرجوا وعاونوا المشركين على رسول الله ﷺ ولعل التعبير بالانزال دون
 الاخراج لان المتحصنين يصعدون بروج الحصون ، ويشرفون منها و من أعالي
 الجدران على أعدائهم في خارجها ومعاصريهم .

في تلخيص البيان : في قوله تعالى : « وقذف في قلوبهم الرعب » قال : و
 هذه إستعارة والمراد بها انه تعالى ألقى الرعب في قلوبهم من أثقل جهاته ، وعلى
 أفطع بغتاته تشبيهاً بقذفة الحجر إذ صكت الانسان على غفلة منه فان ذلك يكون
 أملاً لقلبه وأشد لروعه . إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وقوله تعالى : « فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً » بيان لما انتهى إليه أمر
 اليهود في هذه الغزوة فقد مكّن الله تعالى النبي الكريم ﷺ والمؤمنين منهم
 فنزلوا على حكم النبي ﷺ فيهم ، فقتل من قتل وأسروا من اسر .

ان تسئل : لم لم يعبر تعالى في الجملتين المتعاطفتين بنسوق واحد و لم
 يقل : « فريقاً تقتلون و فريقاً تأسرون » ولا العكس ؟ وما النكتة في ذلك ؟

تجيب : لعل السر في التغيير هو لرعاية الفواصل حيث ان آيات سورة
 الاحزاب كلها تمت بالالف إلا آية : (٤) مع احتمال الاشارة إلى أن الاسر كالقتل
 من غير فرق ولا فاصل بينهما ، فاتصالهما في الالفاظ يشير إلى إتصالهما في المعنى .

وقيل : قد تم مفعول «تقتلون» لان القتل وقع على الرجال ، وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أشد ولم يكن في الاسراء هذا الاعتناء بل بقاءهم هناك بالاسراء أشد لانه لو قال : «وفريقاً تأسرون» فاذا سمع السامع قوله : «وفريقاً» ربما ظن انه يقال بعده : يطلقون أولاً يقدرّون على اسرهم ولمثل هذا قدم قوله : «وأنزّل» على قوله : «وقذف» وإن كان قذف الرعب قبل الانزال ، وذلك ان الاهتمام والفرح بذكر الانزال أكثر .

٢٧- (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً)

بيان لما أنعم الله تعالى على المسلمين بعد أن أجلوا اليهود الغنيد عن مدينة الرسول ﷺ فأورث المسلمين ما كان لليهود من أرض وديار وأموال ، فلا بد للمسلمين من أن يذكروا الله جل وعلا ويشكروه .

وقوله تعالى : «وأرضاً لم تطؤوها» إشارة إلى ماسوف يورث الله جل وعلا المسلمين بعد ذلك من أرض لم يطئوها من قبل . . وهي أرض خيبر أو الارض التي وراء حدود الجزيرة العربية ، مما استمدت إليه فتوح المسلمين ، وتطلع عليه شمس الاسلام ، في مشارق الارض ومغاربها . . .

وقوله تعالى : «وكان الله على كل شيء قديراً» مستأنف سيق لتأكيد ما وعدهم الله تعالى من فتح البلاد ، وتطمين لقلوب المؤمنين على مستقبل الاسلام الذي وعدهم الله جل وعلا بنصره وإعزازه والتمكين له في الارض ، فان هذا الوعد من الله جل وعلا القوى العزيز الذي بقوته وعزته يجعل من هؤلاء القلة من المسلمين كثرة ، ومن ضعفهم قوة تنهار أمامها قوى أعظم دولتين كانتا تسيطران على العالم في هذا الوقت ، وهما دولتا الفرس والروم .

وفي الآية إشارة إلى ما أراد الله تعالى باليهود الغنيد من إذلال ومهانة و مسكنة ، فقد عرضهم جل وعلا في عرضة الاستباحة والاستخفاف بدمائهم وأموالهم

وديارهم وإغراء المسلمين بهم ، ففي قوله تعالى : «فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً» إستباحة لدمائهم وإراقها بغير حساب ، وفي قوله جل وعلا : «وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم» دعوة للمسلمين إلى تمكين أيديهم من هذا الذي كان في يدا القوم ، فالمسلمون أحق به منهم وأولى ..

٢٨- (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعنن واسر حكن سراحاً جميلاً)

خطاب للنبي الكريم ﷺ ، وأمر له ﷺ من الله جل وعلا أن يلقى نساءه بهذا القول الذي أمره ربه أن يلقاهن به ، وأن يعرف رأيهن فيه ، وموقفهن منه ﷺ فخيرهن بين أن يطلق الرسول ﷺ سراجهن ويمتنعن متعة المطلقات لتأخذ كل واحدة منهن حظها الذي تقدر عليه من متاع الحياة الدنيا خارج بيت النبوة ، وبين أن يرضين الحياة مع رسول الله ﷺ على تلك الحال التي هن فيها في بيت النبي ﷺ .

وفي الآية تنبيه لآزواج النبي ﷺ بأن ليس لهن من الدنيا وزينتها إلا الكفاف والعفاف إن اخترن زوجية النبي ﷺ وان الآية وتاليها تلهمان: ان النبي الكريم ﷺ كان يعيش في بيته عيشة شظف وزهد وان أزواج النبي ﷺ أو بعضهن كانت لا يرضين ذلك ، وهو ما أيدته الروايات التي تبلغ حد اليقين كثرة وتواتراً ، فلما وسع الله تعالى بما وسع ظن نساء النبي ﷺ انه آن لهن أن ينعمن بالحياة وتتسع نفقاتهن فطالبن بما أزعج النبي ﷺ لم يكن الفقر هو الذي جعله يعيش عيشة الزهد والشظف ، وإنما كان ذلك بسبب إستغراقه في الله تعالى ودعوته وصالح المؤمنين إستغراقاً لم يبق به محل للتفكير في نعيم الدنيا ومتاعها ، فلم يلبث الوحي أن نزل بهذا الفصل الرائع في أسلوبه وتلقينه ومداه . فواجبات النبوة ومهامها أعظم من أن تتسع للحياة الدنيا وزينتها ، وإيمان النبي الكريم ﷺ بمهمته وإستغراقه فيها يملآن كل فراغ منه ، وسد الخلة

بالكفاف هو كل الكفاية بالنسبة للمظهر أو الاحتياج الانساني المادى فى النبى ﷺ وما دخل فى حيازته ، فهو لصالح المسلمين بعد التصرف بما فيه الكفاف لعيشته ، ونساء النبى ﷺ جزء منه ليس لهن معدى من السير بسيرته إذا كن يفضلن البقاء فى عصمته والاحتفاظ بشرف الصلة العظيم به .

وقوله تعالى : «فتعالين امتعنكن» جزاء لمن أراد منهن الحياة الدنيا و زينتها ، ومفارقة النبى ﷺ بالطلاق والتمتع من مال الدنيا .

وما يظهر من الآية وقاليها : ان الله تعالى أمر نبيه ﷺ بتخيير أزواجه ﷺ بين أن يردن الحياة الدنيا وزينتها وبين أن يردن الله جل وعلا وسوله والدار الآخرة ، وهذا التخيير والترديد يدل أولاً أن الجمع بين سعة العيش و صفائها بالتمتع من الحياة وزينتها وزوجية النبى ﷺ والعيشة فى بيته ﷺ مما لا يجتمعان .

وثانياً ان كلامن طرفى الترديد مقيد بما يقابل الآخر ، والمراد بارادة الحياة الدنيا وزينتها : جعلها هى الاصل سواء اريدت الآخرة أم لا ، والمراد بارادة الآخرة : جعلها هى الأصل فى تعلق القلب بها سواء توسعت معها الحياة الدنيا ونيلت الزينة و صفاء العيش أم لم يكن شىء من ذلك ، ثم الجزاء أعنى نتيجة إختيارهن كلاً من طرفى الترديد مختلف ، فلهن على تقدير إختيارهن الحياة الدنيا وزينتها بمفارقة النبى ﷺ أن يطلقهن ويمتعهن جمعاء من مال الدنيا ، وعلى تقدير بقائهن على زوجية النبى ﷺ وإختيار الآخرة على الحياة الدنيا وزينتها الأجر العظيم عند الله تعالى لكن لا مطلقاً بل بشرط الاحسان وصالح الاعمال... ويظهر من ذلك أن ليس لزوجية النبى الكريم ﷺ من حيث هى زوجية كرامة عند الله تعالى وإنما الكرامة لزوجيته المقارنة للاحسان والتقوى ، و لذلك لما ذكر ثانياً علو منزلتهن قيده أيضاً بالتقوى إذ قال : «لستن كأحد من النساء إن اتقيتن» وهذا كقوله تعالى فى نبيه ﷺ وأصحابه : «محمد رسول الله

والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً - إلى قوله -
وعدا لله الذين آمنوا منهم وعملوا الصالحات أجرأ عظيماً» (الفتح : ٢٩) حيث
مدحهم عامة بظواهر أعمالهم أولاً ثم قيّد وعدهم الأجر العظيم بالايان و صالح
الاعمال . . .

٢٩- (وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات
منكن أجراً عظيماً)

ان المقابلة بين هذه الآية وما قبلها تقيّد كلياً منهما بخلاف الأخرى
وعدمها . . . وقوله تعالى : « فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً »
جزاء لمن أراد منهن زوجية النبي ﷺ واختارت الآخرة على الحياة الدنيا
وزينتها ولكن لا على الإطلاق بل بشرط الاحسان و صالح الاعمال . . . وفيه دلالة
على أن أزواج النبي ﷺ لم يكن كلهن محسنات وإن اخترن زوجية النبي
ﷺ ولم يطلقن ، ولكنهن بقين على زوجيته من غير رضاء على ضيق العيش
والحرمان من زينة الحياة الدنيا .

٣٠- (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وكان ذلك على الله يسيراً)

تلوين الخطاب وتوجيهه إليهن لاطهار الاعتناء بنصحهن وعظتهن ، ولتهديد
هن اذا هن فعّلتن ما يسوء النبي ﷺ وأوعدهن بمضاعفة العذاب ، وتسجيل ما
لهن من التكليف وزيادة التوكيد ، وندائهن ههنا وفيما بعده بالاضافة إليه ﷺ
لانها التي يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام . . .

في تلخيص البيان في قوله تعالى : «من يأت منكن بفاحشة مبينة»
قال : و هذه إستعارة على قراءة من قرأ «مبينة» بكسر الياء فكأنه تعالى جعل
الفاحشة تبين حال صاحبها وتشير إلى ما يستحقه من العقاب عليها ، وهذا من
أحسن الاغراض وأنفس جواهر الكلام .

وقوله تعالى : «وكان ذلك على الله يسيراً» مستأنف بياني سيق للاشارة إلى أنه لامانع من ذلك من كرامة الزوجية ونحوها إذ لا كرامة إلّا للتقوى و زوجية النبي ﷺ إنما تؤثر الأثر الجميل إذا قارن التقوى وأما مع المعصية فلا تزيد إلّا بعداً ووبالاً . وفي ايثار الماضي «كان» تأكيد للوعيد . وفي الآية دلالة على ايذاء بعض أزواج النبي الكريم ﷺ في الحياة الدنيا ، وان الآية و تاليها تقرير وتوضيح بنحو لما يستفاد من قوله تعالى : «فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً» إثباتاً ونفيّاً .

٣١- (ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين و أعتدنا لها رزقاً كريماً)

ان الآية الكريمة تقابل الآية السابقة إذ فيها مقام الاساءة وجزائها ، وفيها مقام الاحسان وجزائه ، وكما ان زلة أهل الاحسان كبيرة ومؤاخذتهم عليها أكبر ، فان إحسانهم عظيم وجزاءهم عليه أعظم . وفي عطف «رسوله» على «الله» تكريم عظيم للرسول ﷺ وإشارة إلى مقامه العظيم عند ربه ، وقوله تعالى : «وتعمل صالحاً» عطف على «يقنت» إشارة إلى أن القنوت - وهو الولاة والخشوع - من عمل القلب . . . وانه لكي يكون لهذا القنوت أثر ينبغي أن يخرج إلى مجال العمل هو المحك الذي يظهر عليه ما في القلب من مشاعر ومعتقدات . . .

وقوله تعالى : «نؤتها - وأعتدنا» في الالتفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير ايدان بالقرب والكرامة لمن اختارت الآخرة ، وأعرضت عن الحياة الدنيا خلاف البعد والخزي المفهوم من قوله تعالى : «يضاعف لها العذاب ضعفين» .

وقوله تعالى : «رزقاً كريماً» لعل الوجه في وصف الرزق بالكريم : ان رزق الدنيا ولو كان مقدراً من الله تعالى ، ولكنه يجري على أيدي الناس - مضافاً إلى الاسباب الارضية والسماوية - كالتاجر الذي يسترزق من السوق ، والصناع من المستعملين ، والملوك من الرعية ، والرعية بعضهم من بعض بالاسباب

فالرزق في الحياة الدنيا لا يأتي بنفسه وبلا واسطة ، وإنما هو مسخر للغير بمسكه ويرسله ، وأما رزق الآخرة فلا يكون له مرسل وممسك ، وإنما يأتي بنفسه باذن الله تعالى ، فلذلك وصف بالكريم . فالمعنى : ان الرزق الكريم ما سلم في كل آفة ونقصان يجري بنفسه إلى المرزوق .

٣٢- (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)

بيان لنفي مساواتهن لسائر النساء «إن اتقيتن» ورفع منزلتهن على غيرهن كالعالم العامل بالنسبة إلى عوام الناس مع ايمانهم ، وإلتزامهم بلوازم الايمان و في تقييد الفضيلة بالتقوى تنبيه لهم بأن فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ . وفي النداء دعوة لهم إلى تلك الصفة الرفيعة لاشأن لغيرها من الصفات بدونها .

وقوله تعالى : «فلا تخضعن بالقول» بيان لموارد التقوى ، وان الخضوع بالقول : مضغ الكلام ولينه تدللاً ، وهذا من المرأة أشبه بكشف العورة وإبداء الزينة إذ كان الصوت من بعض مفاتنها . . وصوت المرأة إذا كان على طبيعته لاشء فيه بما في التصنع الذي يجعل من صوتها داعياً يدعو إلى الريبة ، و إثارة شهوة الرجال . وان غيرهن مشتركات بهن في تلك الخصال ، ويجب عليهن كما يجب على غيرهن ، والتقوى هو التقوى والعفة هي العفة ، وإنما عدم التساوي والترفع لهم لاختيارهن الآخرة ، وقربهن من النبي ﷺ وهن مترددات بين الحياة الدنيا والتمتع بها ، وبين الآخرة والصبر على ضيق العيش ، ومن أجل ذلك فعذابهن على ما يقترفن من إثم ومعصية ، وثوابهن على ما يفعلن ما صالح و يظهرن من الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ مضاعفان . .

قيل : فتصدير الكلام بقوله تعالى : «لستن كأحد من النساء إن اتقيتن» ثم تفريع هذه التكاليف المشتركة عليه ، يفيد تأكيد هذه التكاليف عليهن كأنه

قيل : لستن كغير كن فيجب عليكم أن تبالغن في إمتثال هذه التكليف، وتحمطن في دين الله جل وعلا أكثر من سائر النساء . وتدل على تأكد تكليفهن مضاعفة جزائهن خيراً وشرأ كما دلّت عليها الآية السابقة ، فان مضاعفة الجزاء لانفك عن تأكد التكليف .

٣٣- (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

أمر من الله تعالى لنساء النبي ﷺ بلزوم بيوتهن، ونهاهن عن الجاهلية القديمة بأن لا يغشين المجالس والطرفات . . . وان بيوتهن هي مساجدهن لا بد أن يعشن فيها ، بعيدات عن صخب الدنيا ومتاعها ، وأمرهن الله تعالى أمراً خاصاً بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، ثم أمرهن أمراً عاماً لجميع الطاعات لله جل وعلا ورسوله ﷺ ، وخصّ تعالى هذين الأمرين بالذكر لكونهما ركنين في العبادات والمعاملات ولما لهما من كبير الأثر في تزكية النفس وطهارة المال . وإضافة البيوت إلى أزواج النبي ﷺ إضافة محل .

قيل : إن تسئل : كيف أمر الله تعالى نساء النبي ﷺ بالزكاة في قوله تعالى ، « وآتين الزكاة » ولم يملكن نصاباً حولاً كاملاً ؟ تجيب : ان المراد بالزكاة هنا الصدقة النافلة ، فالأمر أن يردب .

وقوله تعالى : « إنما يريد الله » من هنا إنقطعت مخاطبة نساء النبي ﷺ وأخذ بالخطاب لأهل بيت رسول الله ﷺ ، و كلمة « إنما » تدل على حصر إرادة الله تعالى في إذهاب الرجس ، والتطهير كما يدل تقديم « عنكم » على « الرجس » على إختصاص إذهاب الرجس والتطهير بالمخاطبين « عنكم » فقط . وفيه من الدلالة على العصمة مما لا يخفى على عاقل منصف حرّ ، ذى فطرة سليمة مستقيمة ، وفي الجملة إلى تمامها قصران : قصر الإرادة في إذهاب الرجس والتطهير، وقصر

إذ هاب الرجس والتطهير في أهل البيت المخصوصين بالنبي الكريم بخصوصية خاصة .

وذلك لأن لفظة «إنما» محققة لما أثبت بعدها ، ونافية لما لم يثبت ، فان قول القائل : إنما لك عندى درهم ، وإنما فى الدار زيد ، يقتضى : انه ليس عنده سوى الدرهم ، وليس فى الدار سوى زيد ، وإذا تقرّر هذا فلا تخلو الإرادة فى الآية أن تكون هى الإرادة المحضة أو الإرادة التى يتبعها التطهير وإذ هاب الرجس ، ولا يجوز الوجه الاول لان الله تعالى قد أَرَادَ من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة ، فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ، ولان هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ، ولا مدح فى الإرادة المجردة ، فثبت الوجه الثانى ، وفى ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح ، وقد علمنا : ان من عدم من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته ، فثبت ان الجملة المقصورة مختصة بالمعصومين من أهل بيت النبوة لبطان تعلقها بغيرهم .

ان تسئل : ان صدر الآية وما بعدها فى نساء النبي ﷺ فلا وجه لما ذكر من نزولها وإختصاصها بالمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ؟
تجيب : ان هذا مما لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم ، فانهم ينتقلون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه ، وان القرآن الكريم مملوء من ذلك وهو بنفسه أكبر شاهد إذ يقول :

«وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم»
ثم قطع الله تعالى كلام لقمان فقال : «ووصينا الانسان بوالديه . . .» ثم وصل كلام لقمان مع ابنه فقال : «يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل» لقمان :
١٣-١٦) وغير ذلك من مواضع كثيرة فى الكتاب الحكيم ، وله نظائر عديدة فى كلام العرب لا يسعها المقام .

وقوله تعالى : «يريد الله» ايثار المضارع باعتبار تجدد وجود بقیة أهل

بيت التسعة من الأئمة المعصومين ، و تنبيه بأن هؤلاء التسعة المعصومين الذين سيخقلهم الله تعالى داخلون في هؤلاء الخمسة الموجودين صلوات الله عليهم أجمعين .
و ان لفظه « أهل البيت » إسم خاص في عرف الكتاب بهؤلاء الخمسة وهم النبي و علي و فاطمة و الحسن و الحسين ، و في عرف السنة يضاف عليهم التسعة المعصومون من أولاد الامام الحسين بن علي عليه السلام واحداً بعد واحد إلى الحجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين ، لا تطلق هذه اللفظة على غيرهم ، و لو كان من أقرباء النبي صلى الله عليه وآله الاقربين .

و قوله تعالى : « ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » إستعادة الرجس للمعصية و الترشيح بالتطهير لمزيد التفسير عنها . و في هذا ما فيه من عظم الرعاية الربانية و العناية الخاصة لأهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، و هذا هو طهر خالص لا تعلق به شائبة من دنس أو رجس .

ثم عطف على نساء النبي صلى الله عليه وآله فقال : « و اذكرن ما يتلى في بيوتكن . . . » و من غير ريب في أن المقصود من جملة الحصر هم أهل البيت و هم المعصون كما يدل عليه السياق بلفظ « عنكم » لا « عنكن » جيء معترضة إهتماماً بشأن أهل البيت و تأديباً لأزواج النبي صلى الله عليه وآله حيث يردن تارة حياة الدنيا كما صرح جل و علا : « قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها : ٢٨) و اخرى نهين عن الفاحشة و هددن بقوله تعالى : « يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين » و ثالثة نهين عن تشبههن بغيرهن من نساء الامة بقوله جل و علا : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » و رابعة أمرهن بلزوم بيوتهن و ألا يغشين المجالس و الطرقات : « و قرن في بيوتكن » و خامسة نهين عن تبرج الجاهلية : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » و سادسة امرن بالصلاة و الزكاة : « و أقمن الصلاة و آتين الزكاة » و سابعة أمرن باطاعتهم أمر الله تعالى و أمر رسول الله صلى الله عليه وآله : « و أطعن الله و رسوله » كل ذلك يدل

على أن آية التطهير لاتناسب بحال نساء النبي ﷺ أبداً . وهذا مما لاينكره من له أدنى فهم و إنصاف ، وكان خالياً عن العصبية الجهلاء ، والتقاليد العمياء ...
 في تفسير الفخر : في قوله تعالى : « انما يريد الله ... » قال : فيه لطيفة وهى ان الرجس قد يزول عيناً و لا يطهر المحل فقوله تعالى : « ليذهب عنكم الرجس » أى يزيل عنكم الذنوب و يطهر كم أى يلبسكم خلع الكرامة .
 ٣٤- (واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

عطف على ما سبق من الكلام فى أزواج النبي ﷺ ، حث لهن على حفظ القرآن والسنة ومذاكرتهن بهما ، و على الانتهاء والائتمار فيما كلفنه وتحريماً لما يرضى الله تعالى و رسوله ﷺ من قول و فعل ، و تأكيد لما ذكر من التكليف المذكورة ، و ان الخطاب ، و إن كان متوجهاً إليهن ولكن غيرهن مشتركات بهن فيه .

وقوله تعالى : « فى بيوتكن » فى جمع البيوت دلالة على أن لكل واحدة من أزواج النبي ﷺ بيتاً يخصها كما ورد فى الروايات الواردة عن الطرفين . و فى جمع البيوت أيضاً دلالة على أن الوحي كان ينزل على جميعها .
 وقوله تعالى : « ان الله كان لطيفاً خبيراً » ايدان بأن تلك التكليف من الاوامر والنواهي كلها لطف من الله جل وعلا فى شأن أزواج النبي ﷺ كما أن إذهاب الرجس عن أهل البيت المعصومين و تطهيرهم من كل شائبة إثم قلبى و قولى و فعلى والله تعالى هو أعلم بالمصطفين الاخيار .

٣٥- (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرآ والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرآ عظيما) تنويه بكل مسلمة ومسلمة يخلصان في إسلامهما النفس لله تعالى، والإيمان به و يلتزمان حدوده و يراقبانه ، ويطيعون أوامره و يخشعان لذكره و يقومان بواجباتهما التعبدية والاجتماعية والاخلاقية ، و تقرير إستحقاقهما رفيع المنزلة والاجر عند الله تعالى على السواء فالاية حاسمة الصراحة في إعتبار المرأة مخاطبة في القرآن الكريم كالرجل سواء بسواء بكل التكليف التعبدية والاخلاقية ، و أهلاً لكل ما يترقب على ذلك كالرجل سواء بسواء : تسوية بين الرجل والمرأة في مقام التكليف والجزاء . . و قد ذكرت هنا عشرة أوصاف للرجال والنساء ، فمن حققها من أى من الرجال والنساء استحق ما وعد الله به من المغفرة والاجر العظيم .

و في الاية عطفان : أحدهما - عطف الاناث على الذكور . ثانيهما - عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع ما قبله . والاول يدل على إشتراك الصنفين في الوصف المذكور و هو الاسلام في الاول ، والإيمان في الثاني إلى آخر الاوصاف . والثاني من باب عطف الصفة على الصفة ، فيؤول معناه إلى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله تعالى لهم . .

قوله تعالى : « ان المسلمين والمسلمات » يدل على أن الاسلام لا يفرق بين الرجال والنساء في التلبس بكرامة الدين كما أشار إلى ذلك بقوله : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى » الحجرات : ١٣) كما صرح بذلك في قوله تعالى : « انى لاضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى » آل عمران : ١٩٥ .

فالمقام لعله تفصيل لكلا المقامين السابقين ، ولا يخفى ان المقابلة بين الاسلام والايمان تفيد المغايرة بينهما نوعاً من المغايرة كما صرح بذلك في قوله: « قالت الاعراب آمنة قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبهم » الحجرات : ١٤) .

و فيه إفادة على أن الاسلام هو مجرد تسليم في الدين باظهار الشهادة من غير اعتقاد قلبي سواء عمل باحكامه أم لا ، و أما الايمان فهو ما ركب في الاعتقاد القلبى والعمل الجوارحى فى الازهان الباطنى الذى يترتب عليه العمل بالجوارح فعلى هذا كل مؤمن مسلم ، ولا كل مسلم مؤمن كما هو ما يقتضيه العقل السليم حتى فى عرف الناس حيث لا يقولون لتارك الصلاة : انه مؤمن ولا يقولون لهمج الرعاء : انه مؤمن ولكنهم يقولون : انه مسلم .

فالاسلام هو مجرد الاقرار والاعتراف بالتوحيد وبعده مرتبة يرتقى إليها وهو الايمان و هو التوافق بين القلب واللسان كما قال الامام على عليه السلام : « و على ألسن نطقت بتوحيدك صادقة » ثم القنوت ناشىء عنهما ثم الصدق و هو علامة الايمان كما أن الكذب علامة على النفاق ، فذكر الايمان بعد الاسلام من ذكر الخاص بعد العام حيث ان الايمان والاسلام إختلفاً مفهوماً أو صدقاً أو هما معاً .

و قوله تعالى : « والخاشعين والخاشعات » قيل : هذا إشارة إلى الصلاة لان الخشوع من لوازمها اذ قال : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » فذلك أردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن ، فضم إلى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التى هى ممنوع منها فى الصوم مطلقاً و فى غير الصوم مما وراء الأزواج والسرارى . . .

و قوله تعالى : « والحافظين فروجهم » فى تخصيص الذكور بحفظ الفروج دليل على وجوب حفظهم فروجهم وهو عودة لهم كما أن اطلاق « والحافظات » دليل على أن النساء جميع أعضائهن عورة يجب تستيرها ، خلافاً لبعض المتجددين

المستغربين والمستشرقين الذين يؤثرون كلام الله جل و علا إلى ما لا يرضى صاحبه ، وهم بعيدون عن فهمه ، و هو برىء منهم .

و قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً » إنما وصف الذكر بالكثرة في أكثر المواضع فقال في أوائل هذه السورة « لمن كان يرجو الله واليوم الآخر و ذكر الله كثيراً » : (٢١) و يجيء بعد ذلك : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً » : (٤١) و في غير هذه السورة أيضاً . . . لان الاكثار من الافعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ، ولكن لامانع من أن يذكر الله تعالى و هو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف . . . على أن جميع الاعمال و أقوالها صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى و هي النية . ففيه إشارة إلى أن المرء لا ينبغي أن يغفل عن ذكر ربه في كل حال ، فالمراد بالذكر أعم من الذكر اللفظي ، فيشمل ذكره تعالى قلباً بالتوجه إليه جل و علا باطنياً .

و في إطلاق « الذكرات » ما لا يخفى على القارى الخبير فتدبر جيداً .
و في تنكير « أجراً عظيماً » تفخيم و تعظيم .

٣٦ - (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)

مستأنف مسوق للخطر والمنع ، و ان الجملة الاولى تجيء لخطر الشيء والحكم بانه لا يكون كما في هذه الآية ، و ربما تجيء لامتناع ذلك الشيء عقلاً كقوله تعالى : « وما كان لكم أن تنبتوا شجرها » النمل : (٦٠) و قد تجيء للعلم بامتناعه شرعاً كقوله عز وجل : « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة » آل عمران : (٧٩) و قد تجيء في المندوبات كما تقول : ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل و نحو هذا . . .

و في صيغة النهي المشدد - ما كان لمؤمن و لا مؤمنة » تنبيه على أنه لا

ينبغي لمؤمن ولamuمنة إذا أمر الله ورسوله ﷺ بشيء يتعلق بخاصة أمورهم أن يختاروا غير ما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ فان العاصي لله جل وعلا ورسوله ﷺ في شيء هو عظيم الضلال وإنحراف عن الانحراف وفيه .

وقوله تعالى : « أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » جمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي . وقيل : ان الضمير الثاني للرسول ﷺ والجمع للتعظيم . وفي وضع الظاهر موضع المضمرة حيث قيل : « من أمرهم » ولم يقل : أن يكون لهم الخيرة فيه للدلالة على منشأ توهم الخيرة وهو إنتساب الامر إليهم .

وقوله تعالى : « ومن يعص الله ورسوله الخ » تأكيد لما سبق . وقيل : ان الآية عامة لكنها لوقوعها في سياق الآيات التالية يمكن أن تكون كالتمهيد لما سيجييء من قوله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » الآية حيث يلوح منه ان بعضهم كان قد اعترض على تزوج النبي ﷺ بزوجة زيد وتعبيره بأنها كانت زوج ابنة المدعولة بالتبني .

٣٧ - (واذ تقول للذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً و كان أمر الله مفعولاً)
تذكير موجه للنبي الكريم ﷺ بأن هذا القول - حيث أمر النبي ﷺ زيدا بأن أمسك زوجته و لا يطلقها و يتقى الله تعالى في أمرها - قد صدر منه خشية من كلام الناس و إخفاءً لما أراد الله جل وعلا أن يظهره و فعله مع أن الله تعالى هو أحق بالخشية فلا يصح إخفاء أمره أو تركه خشية من الناس ، و إشارة إلى هذا الامر الذي يريد الله تعالى إظهاره وهو زواجه من زوجة زيد ابنة بالتبني المكنى عنه بجملة الذي أنعم الله عليه و أنعمت عليه بعد قضاء وطره منها ليكون

قدوة للمؤمنين ، فلا يشعرون بحرج في التزوج بزوجات أبنائهم بالتبني إذا ما انفصلن عنهم بالطلاق أو الموت . وتقرير بأن هذا هو قضاء الله تعالى وأمره الذى يجب أن يكون النافذ الجارى ، وتصريح على وجوب الرضا بقضاء الله جل و جلا ورسوله ﷺ وبيان حكمة الله تعالى فى أمره فى إزالة الحرج عن المؤمنين ، وليس على النبى ﷺ فقط ففى تزوج زوجات أبنائهم بالتبني إذا طلقوهن أو ماتوا عنهن ، وواجب النبى الكريم ﷺ فى تنفيذ أمر الله تعالى ، وتقرير كون ما فعله هو إرادة الله جل و علا وإلهامه ، وفى هذا وبخاصة فى جملة : «لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أديعائهم إذا قضوا منهن و طراً» مفتاح الحادث وتعليقه الحق الصادق .

وقوله تعالى : «أمسك عليك زوجك» كناية عن الكف عن تطليقها، وإشعار

باصرار زيد على تطليقها .

وقوله تعالى : «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» وما يأتى من قوله جل و علا: «الذين يبلغون رسالات الله ولا يخشون أحداً إلا الله» دليل على أن خشيته ﷺ الناس لم تكن خشية على نفسه بل كان خشية فى الله ، فأخفى فى نفسه ما أخفاه إستشعاراً منه انه لو أظهره عابه الناس وطعن فيه بعض من فى قلبه مرض ، فأنثر ذلك أثر سيئاً فى ايمان عامة الناس، وهذا الخوف - كما ترى - ليس خوفاً مذموماً بل خوف الله جل و علا هو فى الحقيقة خوف من الله تعالى .

فقوله سبحانه : «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» الظاهر فى نوع من العتاب ردع عن نوع من خشية الله تعالى ، وهى خشيته عن طريق الناس، وهداية إلى نوع آخر من خشيته جل و علا، وأنه كان من الحرى أن يخشى الله سبحانه دون الناس ، ولا يخفى ما فى نفسه ما الله مبدية . وهذا نعم الشاهد على أن الله تعالى كان قد فرض له ﷺ أن يتزوج زوج زيد الذى كان تبناً ليرتفع بذلك الحرج عن المؤمنين فى التزوج بأزواج الادعياء وهو ﷺ كان يخفيه فى نفسه

إلى حين مخافة سوء أثره في الناس فأمنه الله جل وعلا بعبابه عليه .
 فظاهر العتاب الذي يلوح من قوله تعالى : «وتخشى الناس والله أحق أن
 تخشاه» مسوق لانتصاره وتأيد أمره قبال طعن الطاعنين ممن في قلوبهم مرض، و
 من الدليل على أنه إنتصار وتأيد في صورة العتاب قوله بعد : «فلما قضى زيد منها
 وطراً زوجناكها» حيث أخبر عن تزويجه إياها كأنه أمر خارج عن إرادة النبي
 ﷺ وإختياره ثم قوله : «وكان أمر الله مفعولاً» .

وقوله تعالى : «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها» تفرع وزيادة بيان
 لما سبق من قوله تعالى : «وتخفى في نفسك ما الله مبديه» وقضاء الوطر منها كناية
 عن الوطاء والجماع .

وقوله تعالى : «لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم
 لما قضوا منهن وطراً» تعليل للتزويج ، وبيان كاشف عن الحكمة من هذا الامر
 السماوي للنبي ﷺ بالزواج من مطلقة متبناه ، وهو أن يدفع الحرج عن
 المؤمنين في التزوج من مطلقات أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً ، وذلك انه إذا
 كان النبي ﷺ قد فعل هذا ، فلا حرج إذن على المؤمنين أن يفعلوا ما فعل
 وأن يتأسوا به .

وقوله تعالى : «وكان أمر الله مفعولاً» إعتراض تذييلي ، مقرر لما قبله مشير
 إلى تحقق الوقوع وتأكيد للحكم ، وإلى أن النبي الكريم ﷺ سيفعل ذلك
 الامر . والمعنى : ما يريد تكوينه من الامور فهو مكوّن لامحالة .

وفي الآية : تلقين جليل مستمر المدى للزعماء والعظماء ودعاة الاصلاح في صد
 إصلاح وإبطال ما يكون ضاراً أو باطلاً أو غير متسق مع العقل والمنطق والمصلحة
 والنصوص الصافية من العادات والتقاليد ، أو في إنشاء ما هو صالح ضروري لخير
 المجموع وسلامته الاجتماعية والاخلاقية من عادات وتقاليد دون مبالاة بنقد
 ولا معارضة ، ومباشرة ذلك بأنفسهم ، فيكونون فيه القدوة والاسوة . وفيها تذكير

لنبيه ﷺ بما وقع منه ليزيده تثبيتاً على الحق ، وليدفع عنه ما حاك في صدور ضعاف العقول ومرضى القلوب .

٣٨- (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

تعقيب على الحادث وتأكيد لما سلف ، ينطوي على التثبيت ، وتنزيه لجانب النبي الكريم ﷺ عن أقاويل الناس فيه ﷺ وعن إنتقادات لاكت بعض الافواه وخاصة أفواه المنافقين ومرضى القلوب ، فليس على النبي ﷺ من حرج في تنفيذ ما أمر الله تعالى وفي الاستمتاع بما فرضه الله جل وعلا له ﷺ فهذه سنة الله تعالى في أنبيائه السابقين أيضاً .

وقوله تعالى : « فيما فرض الله له » إشارة إلى أن كل ما يفرض الله تعالى للنبي ﷺ وبيحه له لاحرج فيه ولا إلتفات معه إلى أي قول يقال من عدو أو صديق . . .

وقوله تعالى : « سنة الله في الذين خلوا من قبل » بيان بأن خاتم الانبياء ﷺ ليس بدعاً في الرسل فيما أباح الله له ﷺ من الزوجات والسراري...
وقوله تعالى : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » مستأنف بياني سيق لتأكيد ما سبق .
٣٩- (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيباً)

ثناء على المرسلين السابقين ، ووصفهم بصفات الكمال والتقوى والاخلاص ، وبالخشية وتبليغ الرسالة وأداء مهمتهم ، تعريضاً بما صرح الله تعالى به في قوله : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » وان الله جل وعلا قد اختار أنبياءه لتبليغ رسالاته ، وتنفيذ أوامره وعدم خشية أحد غيره وكفى به معتمداً ووكيلاً وان أوامر الله جل وعلا مقدرة بمقتضيات المصلحة ، وهي واجبة التنفيذ .

٤٠- (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين و

كان الله بكل شيء عليماً

تأ كيد لما سبق ، وتعقيب آخر ينطوي على التعليل والتوضيح ، موجه إلى المؤمنين فمحمد رسول الله ﷺ ليس هو أبازيد أو غيره منهم ، وإنما هو رسول الله وخاتم النبيين ﷺ وكان الله تعالى وما يزال العليم بكل شيء ، ووصفه ﷺ بالرسالة والنبوة بعد التصريح باسمه الشريف تنبيهاً على تأدب امته بعدم ذكرهم باسمه الشريف حيث لم يذكر الله جل وعلا إسمه إلا ذكر بعده وصفه بالرسالة أو بالنبوة بلا فصل آية أومعه ، فكيف الامة ، ففي الآية تعليم للناس ليلقبوه بأحدهما ويدعوه بأحدهما : الرسول أو النبي ﷺ .

وان الآية تقرر حقيقة واقعة تدفع كل باطل ، وتفضح كل زيف ، وهي أن محمداً رسول الله ﷺ لم يكن أباً أحد نسباً في زمن النزول من الرجال على نعت الرجولية ، وهذه حقيقة واقعة لا يمارى فيها أحد ، يدفع بها إعتراض المناققين ومرضى القلوب على النبي الكريم ﷺ بأنه تزوج زوج ابنته ، ومحصل الدفع : انه ليس أباً أحد زيد ولا أباً أحد من الرجال الموجودين في زمن الخطاب حتى يكون تزوجه بزواج أحدهم بعده تزوجاً بزواج ابنته ، فالخطاب في قوله : «من رجالكم» للناس الموجودين في زمن نزول الآية ، والمراد بالرجال ما يقابل النساء والولدان . . .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : «ما كان محمد أباً أحد من رجالكم» وهو ﷺ كان أباً للطاهر والطيب والقاسم وإبراهيم ؟

تجيب : انهم خرجوا من حكم النفي بقوله : «من رجالكم» لوجهين : أحدهما - انهم كانوا أبناءه ﷺ حقيقة لكنهم ماتوا قبل أن يبلغوا مبلغ الرجال ، فلم يكونوا رجالاً حتى ينتقض الآية ، وزيد بن الحارثة ما كان ابناً له ﷺ نسباً ، وما اضيف إلى زيد فهو مصطنع لإعتبارله ، ولا يترتب عليه شيء من آثار الابوة والبنوة ، ونفي الابوة نفى تكويني لا تشريعي ، ولا تتضمن الجملة شيئاً من التشريع .

ثانيهما - ان الله تعالى قد أضاف الرجال إليهم إذ قال : «من رجالكم» وهؤلاء رجاله ﷺ لا رجالهم .

ان تسئل : : ألم يكن النبي ﷺ أباً للحسن والحسين عليهما السلام وهو ﷺ يقول مراراً : « هذا ان إبنائى إمامان قاما أو قعدا » ؟

تجيب : ان الحسنين عليهما السلام لم يكونا عند نزول هذا الوحي رجلين مع أنهما كانا من رجاله ﷺ لامن رجالهم ، مع أن المراد بالولد هو الولد الصلبي لابن البنت لولم نقل : انها خاصة بالرجال الموجودين فى زمن النزول على نعت الرجولية .

وقوله تعالى : «ولكن رسول الله» إستدراك للنفى الذى شمل عموم نسبة الابوة لأى رجل من الرجال إلى محمد رسول الله ﷺ وليس معنى ذلك : قطع الصلة بينه ﷺ وبين الناس على أنه وإن إنقطعت ابوة النسب بينه وبين أى أحد من رجال المخاطبين ، فان المؤمنين جميعاً ينتسبون إليه ﷺ نسباً أولى وأقرب من هذا النسب ، بحكم انه رسول الله ﷺ فيهم ، ومبلغ رسالة الله جل وعلا إليهم ، فهو بهذه الصفة أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وهذا أعظم وأشمل مما تعطيه ابوة النسب . وفى الآية ايماء إلى أن إرتباط النبي ﷺ وتعلقه بالمؤمنين تعلق الرسالة والنبوة وان ما فعله كان بأمر من الله جل وعلا .

وقوله تعالى : «وخاتم النبيين» إشارة إلى أنه ﷺ أب لكل مؤمن ومؤمنة ، من كل دين حيث انه ﷺ وارث النبيين جميعهم ، والمهيمن برسالته على رسالات الرسل كلهم ، فلا رسول ولا نبي بعد إلى يوم الدين ، لان الرسول هو الذى يحمل رسالة من الله إلى الناس والنبي هو الذى يحمل نبأ الغيب الذى هو الدين وحقائقه ، ولازم ذلك أن يرتفع الرسالة بارتفاع النبوة ، فان الرسالة من أنباء الغيب ، فاذا انقطعت هذه الأنباء إنقطعت الرسالة ، و من هنا يظهر ان كونه ﷺ خاتم النبيين يستلزم كونه خاتماً للرسل . . . إن ختمت به ﷺ

رسالات السماء واضيفت شعاعاتها كلها إلى شمس شريعته، فأصبحت تلك الشعاعات، مضموناً من مضامينها وقبساً من أقباسها، فلاهدى بعد هذا إلّا من هداها ولا نوراً إلّا من نورها . . .

و في تلخيص البيان : في قوله تعالى : «خاتم النبيين» قال : على قراءة من قرأ خاتم ففتح التاء وكسرها ، والمعنيان متفقان وهذه إستعارة ، والمراد بها ان الله تعالى جعله ﷺ حافظاً لشرائع الرسل ﷺ وكتبهم وجامعاً لمعالم دينهم وآياتهم كالخاتم الذي يطبع به على الصحف وغيرها ليحفظ ما فيها، ويكون علامة عليها ، وفيه أيضاً معنى آخر وهو أن الخاتم الذي يختم به ما يكتب بعد الفراغ من كتابة على الأغلب ، فكأنه من هذا الوجه يدل على أن الله سبحانه بعثه بعد تقضى مباحث الرسل وإنقطاع إرسالهم إلى الامم ، ولم يبق منهم من يرجى مولده ولا ينتظر مولده . إنتهى كلامه ورفع مقامه .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : «خاتم النبيين» وعيسى ابن مريم ﷺ ينزل بعده ﷺ في آخر الزمان وهو نبي ؟

تجيب : ان معنى كونه ﷺ خاتم النبيين : انه لا يتنبأ أحدهم من الله تعالى بعده ﷺ وعيسى عليه السلام ممن نبيء قبله ، وحين ينزل عاملاً بشريعة محمد ﷺ مصلياً إلى قبلته وراء خاتم أوصيائه المهدي المنتظر أرواح العالمين له الفداء فكأنه بعض امته ﷺ وأتباع آخر أوصيائه ﷺ .

و قوله تعالى : « وكان الله بكل شيء عليماً » مستأنف بيانى مسوق لتأكيد ما سبق كما أن في ايثار الماضي : « كان » تأكيداً لذلك . و بهذه الآية ختمت قصة زواج النبي ﷺ من زينب .

٤١ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

خطاب من الله تعالى ، و تنبيه للمؤمنين إلى ما يجب عليهم من كثرة ذكر الله تعالى و شكره و مراقبته في كل وقت و حال ، فالذكر هنا يعم التلطف بما

يدل عليه تعالى من أسمائه و صفاته ، و توجيه الادراك نحو المذكور ، و إن لم يتلفظ بشيء من الاسماء والصفات . . .

٤٢ - (و سبحوه بكرة و أصيلاً)

التسبيح هو التنزيه ، و هو مثل الذكر لا يتوقف على اللفظ ، و ان كان التلفظ بمثل سبحان الله بعض مصاديق التسبيح ، قيل : خص التسبيح بالذكر من بين الاذكار لفضله على غيره من الاذكار إذ في التسبيح تنزيه ذاته جل و علا عما لا يجوز عليه . قيل : و هذا مردود بقول النبي الكريم ﷺ : أفضل الذكر : « لا إله إلا الله » و يجوز أن يراد بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها ، و يراد بالتسبيح الصلاة ، وبالوقتین العموم أو صلاة الفجر والعشائین لان أدائها أشق و مراعاتها أشد .

وان الانسب أن يكون المراد بالبكرة أول النهار ، وبالاصيل آخر النهار خصوصاً وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلها على سائر الأوقات لكونهما مشهورين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها . و قيل : خصهما بالذكر لان لهما مزية على غيرهما من حيث ان ملائكة الليل والنهار يجتمعون فيهما . و تقييد التسبيح بالبكرة والاصيل لما فيهما من تحوّل الاحوال فيناسب تسبيحه و تنزيهه من التغير والتحول و كل نقص طار .

٤٣ - (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و كان بالمؤمنين رحيماً)

مستأنف جار مجرى التعليل لما قبله من الامرین : الذكر الكثير ، والتسبيح بكرة و أصيلاً ، فان صلاته تعالى عليهم مع عدم إستحقاقهم لها ، و غناه جل و علا عن العالمين مما يوجب عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره و تسبيحه . و فى الآية تحريض المؤمنين على ذكر الله تعالى لأن الله تعالى يذكرهم حين يذكرونه جل و علا . و فيها بشارة لجميع المؤمنين ، و إشارة إلى أن تلك

الرحمة لا تخص السامعين وقت الوحي .

وقوله تعالى : « ليخرجكم من الظلمات إلى النور » تقرير لغاية الصلاة وهي إخراج المهتدين برسالة نبيه ﷺ من ظلمات الضلال إلى نور الهدى ، وإشارة إلى أن ذكر المؤمن ربه وتسيحه بحمده جل وعلا يدينه من ربه ويقربه من منازل رحمته الخاصة ، ويصله بعباده المقربين من ملائكته ، وبهذا يستقيم على طريق الله جل وعلا ، ويخرج من عالم الظلام والضلال ، من عالم الجهل والغفلة ، من عالم الكفر والاستكبار ، ومن عالم المعصية والطغيان إلى عالم النور والهدى ، إلى عالم العلم والذكر ، إلى عالم الإيمان والخشوع ، وإلى عالم الطاعة والعبودية . . .

قيل : شبه الجهل بالظلمات وشبه المعرفة بالنور لأن هذا يقود إلى الجنة ، وذلك يدعو إلى النار .

وقوله تعالى : « ليخرجكم من الظلمات إلى النور » في أفراد النور وجمع الظلمات دلالة على أن نور الله تعالى واحد متصل شامل ، وما عداه ظلمات تعدد وتختلف باختلاف الأهواء . . . وما يخرج الناس من نور الله تعالى إلا ليعيشوا في ظلمة من الظلمات أو في الظلمات مجتمعة ، وما ينقذهم من الظلام إلا نور الله الذي يشرق في قلوبهم ، ويغمر أرواحهم ويهديهم إلى فطرتهم وهي فطرة هذا الوجود .

قال الله تعالى : « ان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل » (الانعام : ١٥٣) .

وقوله تعالى : « وكان بالمؤمنين رحيماً » معترض مقرر لمضمون ما قبله ، ومستأنف بياني مسوق للاخبار برحمة الله تعالى وعنايته بالمؤمنين تأنيباً لهم ، وانهم هم الذين ينالون رحمة الله تعالى ، ويختصون بفضله وإحسانه ، وفي تخصيص المؤمنين بشمول الرحمة عليهم إشعار بأن هذه الرحمة رحمة خاصة

تعم بشرط الايمان ، حيث ان تعليق الحكم على الوصف مشعر بالعلية ، فسبب هذه الرحمة هو الايمان كما أن سبب الرحمة العامة هو الوجود من غير شرط فيها. وقيل : في وضع الظاهر موضع في « بالمؤمنين » بدل « بكم » دلالة على سبب الرحمة و هو وصف الايمان .

٤٤ - (تحييتهم يوم يلقونه سلام و أعد لهم أجراً كريماً)

بيان للأحكام الآجلة لرحمة الله تعالى بالمؤمنين وإحسانه إليهم بعد بيان آثارها العاجلة التي الاعتناء بأمرهم و هدايتهم إلى الطاعة ، و تنبيه لهم إلى مالهم من كرامة عند الله جل و علا .

و قوله تعالى : « و أعدّ لهم أجراً كريماً » بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم ، وما يلقونه بعد دخول الجنة من جزاء كريم من الله تعالى إثر بيان آثار رحمته الواصلة إليهم قبل ذلك . و ايثار الماضي للترغيب و التشويق إلى الموعود ببيان أن الاجر الذي هو المقصد الاقصى من بين آثار الرحمة موجود بالفعل ، مهياً لهم . وفي إعداد هذا الاجر إشارة إلى أنه أجر عظيم قد هيئ لهم ، و رصد للقائهم من قبل أن يلقوه ، و في هذا مزيد إعثناء بهم بهذا الاستعداد للقائهم .

٤٥ - (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ تأنيساً و تكريماً و تنبيهاً له ﷺ و تنويهاً بمهمته العظمى التي جعله الله تعالى بها شاهداً على امته ، و مبشراً للمؤمنين بالجنة و نعيمها ، و نذيراً للكافرين و أذناهم بالنار و عذابها ، ففي الآية إشارة إلى مقام النبي الكريم ﷺ عند ربه ، و إلى مكانته في المؤمنين ، و انه هو المرسل من عند الله جل و علا ، شاهداً على الناس بما كان منهم من ايمان أو كفر ، و مبشراً للمؤمنين بالاجر الكريم ، و منذراً للكافرين و إخوانهم بالعذاب الأليم .

٤٦ - (و داعياً الى الله باذنه و سراجاً منيراً)

ان تسئل : قد فهم من قوله تعالى : « انا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً

و داعياً إلى الله » انه ﷺ مأذون له في دعوة الناس إلى الله جل و علا ، فما فائدة قوله سبحانه : « باذنه » ؟

تجيب : ان معناه بأمره تعالى لا أنك تدعوهم من تلقاء نفسك . و قيل : أى بتسهيله و تيسيره .

ان الله تعالى وصف النبي ﷺ بالسراج بأن ظلمات الضلال تنجلي بظلام الليل بالسراج ، وقد أمد الله تعالى بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار . . . و إنما لم يشبهه بالشمس لأن الشمس لا يؤخذ منه شيء ، و يؤخذ من السراج سرج كثيرة ، و وصف السراج بالانارة لأن السراج قديكون فاتراً و من السراج ما لا يضيء إذا قل سليطه و دقت فتيلته ، و منه قولهم : ثلاثة تضنى : رسول بطيء ، و سراج لا يضيء ، و مائدة ينتظر لها من يجيبه .

و قيل : هذه إستعارة للنور الذى يتضمنه شرعه ، فيكشف للناس طريق الحق و يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الايمان ، من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، من ظلمات الباطل إلى نور الحق ، من ظلمات المعصية إلى نور الطاعة ، و من ظلمات الغفلة و النسيان إلى نور الذكر و الفكر . . .

و فى تلخيص البيان : قال : « وهذه إستعارة ، والمراد بالسراج المنير ههنا انه ﷺ يهتدى به فى ضلال الكفر و ظلام الغي كما يستصبح بالشهاب فى الظلماء ، و تستوضح الغرة فى الدهماء . »

ان تسئل : كيف شبه الله تعالى النبي ﷺ بالسراج دون الشمس ، و الشمس أتم و أكمل ؟

تجيب : إنما شبه بالسراج لان السراج يتفرع و يتولد منه سرج لا تعد و لاتحصى بخلاف الشمس ، و النبي ﷺ تفرع منه بواسطة إرشاده و هدايته جميع العلماء من عصره إلى يوم القيامة .

وقيل : إنما شبهه بالسراج لان الله تعالى بعث نبيه ﷺ في زمان يشبه الليل بظلمات الكفر والجهل والضلال .

ان تسئل : كيف شبهه ﷺ بالسراج دون الشمع ، والشمع أشرف ونوره أتم و أكمل و أشرق من نور المصباح ؟

تجيب عنه : بوجهين : أحدهما - إنما لم يمثله بنور الشمع لان في الشمع غشا لامحالة بخلاف الزيت الموصوف ، ولومثله تعالى بنور الشمع لتطاول المنافع المغشوش إلى إستحقاق نصيب في المعرفة . ثانيهما - انه تعالى إنما لم يمثله بنور الشمع لانه مخصوص بالاغنياء ، بخلاف نور المعرفة فانه في الفقراء أغلب .

٤٧- (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)

بشارة للمؤمنين بما لهم عند الله تعالى من الاجر والكرامة ، وفي الاية تحريض المؤمنين على إدامة الايمان ، وحث غيرهم على الايمان .

٤٨- (ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)

عطف على الامر السابق ، ومنه يفهم ضمناً . وأندركافرين والمنافقين بان لهم عذاباً أليماً ، ويفهم أيضاً كذلك : واستجب للمؤمنين واستمع لهم واقرب منهم وشاورهم في الامر . وفي الاية تهيبج لرسوله ﷺ على ما هو عليه من مخالفتهم كما في أول السورة : «يا أيها النبي لاتطع الكافرين والمنافقين» .

وقوله تعالى : «دع أذاهم . . .» أمر بعدم الأبوة بالكافرين والمنافقين ، ومقاتلتهم ومكائدهم ودسائسهم المؤذية بسبيل ما يدعو إليه ، ويقوم به من إصلاح وخير ، وجعل إعتماده على الله تعالى وحده وله فيه نعم الكفاية والوكالة .

وقوله تعالى : «وكفى بالله وكيلاً» في إظهار الاسم الجليل موضع الاضمار لتعليل الحكم وتأكيد إستقلال الاعتراض التذييلي .

وفي الاية تلقين جليل في صدد صورة إجتماعية عامة تتكرر دائماً ، ففي

سبيل كل دعوة إلى الخير والاصلاح يقف المنافقون ومرضى القلوب والاخلاق حجر عثرة يشيرون الافكار، ويبثون الوسوس والدسائس ويثبطون الهمم، فواجب الدعاء عدم الأبّه لهم و السير قدماً في طريق الخير والاصلاح الذي إضطلمعوا بالسير فيه .

٤٩- (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً)

خطاب للمؤمنين على سبيل التشريع ، والتنبيه يقر لهم فيه بانّه ليس لهم فرض عدة على الزوجة التي يطلقها زوجها قبل مسّها ، وبأن على الزوج المطلق أن يؤدي لمطلقتها حقها من المتعة ، وأن يسرحها سراحاً جميلاً لا أذى فيه ولا ضرر .

وقوله تعالى : «إذا نكحتم المؤمنات» في تخصيص المؤمنات بالذكردون الكتابيات ايذان بانهن أولى بتخيّرهن للنطفة ، وإشارة إلى أن من شأن المؤمن أن يقصر نفسه على زواج المؤمنة ، وإن كان قد ابيح له التزوج بالكتابيات فان الزواج من المؤمنات أفضل وأولى .

ان تسئل : كيف خصّ تعالى «المؤمنات» بعدم وجوب العدة في الطلاق قبل المسيس مع أن حكم الكتابية كذلك أيضاً ؟

تجيب : ان هذا خرج مخرج الاغلب والاكثر لاتخصيص .

وقوله تعالى : «ثم طلقتموهن» تنبيه على أنه لاتفاوت في هذا الحكم بين قريبة العهد من النكاح وبين بعيدة العهد منه ، فاذا لم تجب العدة على بعيدة العهد فلأن لاتجب على قريبة العهد أولى . وقد يستدل بكلمة «ثم» على أن تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان المعية تنافي التراخي .

وقوله تعالى : «فما لكم عليهن» يدل على أن العدة حق واجب الرجال على

النساء وإن كان لا يسقط باسقاطه لها فيها من حق الله تعالى أيضاً .
 وقوله تعالى : « فمتعوهن وسرّحوهن سراحاً جميلاً » إشارة إلى ما توجبه
 الشريعة السمحاء : من الرفق والمياسرة والابقاء على الصلات الانسانية عند انقسام
 الحياة الزوجية ، وان المراد بالمتعّة هو ما يعطيه الرجل مطلقته من مال أو متاع ،
 جبراً لخطرها ، وتأميناً لحياتها المستقبلية التي كان هذا الطلاق سبباً في اضطرابها...
 ففي الآية حث على الرفق بالمرأة وأداء حقها وحسن معاملتها في حالة طلاقها ،
 وهو الهدف الرئيسي فيها ، وقد انطوى فيها تعليل أو حكمة تشريع ، فالعدة هي
 لاستبراء الرحم ولإعطاء مجال للزوج المطلق لمراجعة زوجته ، فاذا لم يقع مسرّ
 فلا يبقى محل لذلك .

٥٥- (يا أيها النبي انا أحللتك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن و ما ملكت
 يمينك مما أفاء الله عليك و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك
 اللاتي هاجرن معك و امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها
 خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم و ما
 ملكت أيماهم لكي لا يكون عليك حرج و كان الله غفوراً رحيماً)

خطاب للنبي الكريم ﷺ بشأن انكحته على سبيل التشريع يؤذن فيه ،
 وإخبار بحل الأزواج ، إنما هو تأكيد لحلهن ، ووصف كاشف للحال التي هن عليها ،
 ومنهن زينب المطلقة متبني النبي ﷺ وفي هذا رد على الكافرين والمنافقين و
 مرضي القلوب الذين جعلوا زواج النبي ﷺ من مطلقة متبناه مادة للغمز
 والاتهام . . وكان الرد إفحاماً للكافرين و أذناً بهم ، و كتباً لهم إذ نادى نبيه ﷺ :
 : « يا أيها النبي انا أحللتك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن » داعياً نبيه ﷺ
 إلى ألا يشغل نفسه بأقاويل هؤلاء السفلة ، وأن يتمتع بما أحل له من طيبات ،
 فهو من قبيل قوله تعالى : « فكلوه هنيئاً مريئاً » النساء : ٤)

ثم ان الله تعالى لكي يزداد أهل الضلال والنفاق غمماً إلى غم ذكر في هذا
 المقام ما اختص به نبيه الكريم ﷺ مما لم يكن لامته من هذه السعة في الحياة

الزوجية ، وهن سبعة أصناف من النساء :

الاول : ما في قوله تعالى : «أزواجك اللاتي آتيت اجورهن» وهن من النساء اللاتي تزوجهن بمهر عند نزول هذه الآية تسع نسوة . . . ونصاب المسلم لا يتجاوز أربعة . وفيه تنبيه على أن الله تعالى اختار لنبيه ﷺ الافضل والاولى ، فان ايتاء المهر اولى وأفضل من تأخيره لينقضي الزوج عن عهدة الدين و شغل ذمته به ، ولان تأخيره يقتضى أن يستمتع بها مجاناً دون عوض تسلمته .

الثاني : ما في قوله تعالى : «وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك» أباح الله تعالى لنبيه ﷺ التمتع بالاماء اللاتي ملكهن من الفيء والغنائم ، وهذا حكم عام للمسلمين جميعاً ، على أن للنبي ﷺ من الغنائم ما يصطفيه من السبي قبل قسمة الفيء ، وهذا من خصوصيات النبي ﷺ هنا . وتقيد ملك اليمين بكونه مما أفاء الله عليه كتنقيح الأزواج بقوله : «اللاتي آتيت اجورهن» للتوضيح للاحتراز .

الثالث والرابع : ما في قوله تعالى : «بنات عمك وبنات عماتك» أباح الله تعالى لنبيه ﷺ التزوج ببنات عمه ﷺ وبنات عماته اللاتي هاجرن مع المهاجرين فراراً بدينهن واشاراً لله تعالى ورسوله ﷺ فهؤلاء المهاجرات هن ممن ابيح للنبي ﷺ التزوج بهن إلى أزواجه التسع اللاتي كن معه ﷺ . . .

الخامس والسادس : ما في قوله تعالى : «بنات خالك وبنات خالاتك

اللاتي هاجرن معك» قيل : يكون الامر هنا منظوراً فيه إلى بعض المهاجرات من أقارب النبي ﷺ ممن تستدعى حالهن البر والمواساة في تلك الغربية . . . و أفرد العم والخال ، وجمعت العممة والخالة لان العم والخال على وزن المصدر مثل «الضم» و«القال» وان المصدر يطلق على الفرد والجمع ، و ليس وزن العممة والخالة وزن مصدر ، فجمعتا لذلك .

ان قلت : هذا منقوض بقوله تعالى : «أويوت أعمامكم - أويوت أخوالكم»

النور: (٦١)

قلت: ان العم والنخال ليسا مصدرين حقيقة بل على وزن المصدر فاعتبر هنا شبههما بالمصدر، وهناك حقيقتهما عملاً بالجهتين . مع احتمال أن يكون العم والنخال من إطلاق إسم الجنس ، وليس كذلك العمه والنخالة ، مع أن في جمع البنات دلالة على ذلك لامتناع إجتماع اختين تحت واحد ، ولم يحسن هذا الاقتصار في العمه والنخالة لامكان سبق الوهم إلى أن التاء فيهما للوحدة .

السابع : ما في قوله تعالى : «امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها» أباح الله تعالى للنبي ﷺ التزوج بالمرأة المؤمنة على اسلوب لا يحل لغيره ﷺ من المسلمين وهو أن تبذل غير المتزوجة نفسها للنبي ﷺ بأن ترضى أن يتزوج بها من غير صداق ، إن أراد النبي ﷺ أن يستنكحها .

وقوله تعالى : «امرأة مؤمنة» يدل على أن الكافرة لا تحل للنبي ﷺ وفيه إشارة إلى أن هذه الهبة إنما أرادت بها المرأة المؤمنة التقرب إلى الله تعالى والاستظلال بظل رسول الله ﷺ والظفر بالقرب منه . . . وأما غير المؤمنة من الكتابيات فانها لا تهب نفسها للنبي ﷺ إلا طلباً لمرضاة نفسها بأن تكون زوجاً لهذا الانسان العظيم الذي له هذا السلطان الروحي الذي لا حدود له على المسلمين ، ولو أنها كانت تحب النبي ﷺ حقاً لآمنت به ، ولدخلت في دين الله تعالى .

وقوله تعالى : «ان وهبت نفسها . . .» يدل على أن النكاح عقد معاوضة على صفات مخصوصة . وقد شرط في إستحلال الواهبة نفسها إرادة إستنكاح رسول الله ﷺ وعلق الزواج على رضاه ﷺ وقبول الهبة ممن بذلت نفسها له فكأنه قال : أحللتها لك إن وهبت لك نفسها ، وأن تريد أن تستنكحها . وفيه انه لا بد من قبول الهبة حتى يتم النكاح .

وقوله تعالى : « خالصة لك » وفيه إيذان بأن الحكم مختص برسول الله ﷺ فإن الاحلال لغيره ﷺ من المؤمنين مشروط بانشاء النكاح بلفظه أو بلفظ التزويج في الدائم ، و بلفظ التمتع في المنقطع كما قال تعالى : « من دون المؤمنين » فحليّة المرأة المؤمنة للرجال ببذل النفس من خصائص النبي ﷺ لايجرى في المؤمنين .

و في الالتفات عن الخطاب «معك» إلى الغيبة « للنبي » وفي إظهار «النبي» بدلاً من الضمير في قوله تعالى : « إن أراد النبي » تعظيم لشأن النبي ﷺ بذكر إسمه ثم بتكرار هذا الذكر ، هذا من جهة ، و من جهة اخرى : ان في ذكر النبي بصفته وهي النبوة إشارة إلى أن هذا الحكم إنما هو خاص بمن كان في هذا المقام دون غيره .

و هؤلاء الاصناف السبعة من النساء قد أحل الله تعالى لنبيه الخاتم ﷺ ضمهن إلى بيت الزوجية ، و إتخاذهن شريكات للحياة معه . .

ومن البديهي ان هذه التوسعة على النبي الكريم ﷺ في الحياة الزوجية لم تكن لمجرد قضاء الشهوة كما تقول بذلك أهل الضلالات والكيد للاسلام ، بل ان هذه الخصوصيات التي للنبي ﷺ إنما كانت في مقصدها الاول علاجاً لحالات نفسية و إجتماعية و أخلاقية و إقتصادية لا تجدد لها الدواء الناجع إلا في ظلال النبي ﷺ كما رأينا ذلك في زواج النبي ﷺ من زينب مطلقة متبنيه ، والذي كان من حكمته رفع الحرج عن المسلمين في التزوج من نساء أديانهم . . و كما في زواج النبي ﷺ من صفية : بنت حبي بن أخطب ، وكان أبوها سيداً من سادات اليهود ، فلما وقعت في السبي استمقذها النبي الكريم ﷺ و حفظ كرامتها بزواجه منها . . و هكذا نجد مع كل زواج تزوجه النبي ﷺ حكماً قائمة وراءه أسمى و أعظم من طلب المتعة و قضاء الشهوة .

وقوله تعالى : « قد علمنا ما فرضا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيما نهم »

مستأنف بياني مسوق لتقرير حكم الاختصاص ، و أن ليس للمسلمين أن يتأسوا بالنبي ﷺ في تلك الخصائص ، فقد عرفوا ما فرض الله تعالى عليهم في أزواجهم و ما ملكت أيمانهم فليس لهم أن يتجاوزوا هذا الذي بينه الله تعالى لهم . والمعنى : انا علمنا ما يجب على المؤمنين في حق الأزواج و في الاماء على أي حد وصفة ينبغي أن يكون .

وقوله تعالى : « لكيلا يكون عليك حرج » بيان لغاية الاحلال ، و ايماء إلى أن تلك الاحكام أحكام الله تعالى ، فليأخذها النبي ﷺ غير متحرج و لا ناظر إلى قوله كافر أو منافق و مرضى قلب .

وقوله تعالى : « و كان الله غفوراً رحيماً » تحريص للمتقولين في تلك الاحكام على التوبة و الانابة و الاستغفار ، و إشارة إلى ما لله جل و علا من مغفرة و رحمة تسع اولئك المتقولين الذين تجرى ألسنتهم بقوله سوء فيما اختص الله تعالى نبيه الكريم ﷺ به لو تابوا من قريب و رجعوا إلى الله جل و علا و استغفروا لذنوبهم . . .

٥١- (ترجى من تشاء منهمن و تؤى اليك من تشاء و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن و لا يحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن و الله يعلم ما فى قلوبكم و كان الله عليماً حليماً)

خطاب للنبي الكريم ﷺ يرسم له ﷺ السياسة التي يأخذها النبي ﷺ في وجوه المعاشرة الزوجية بما أحل الله تعالى له ﷺ من العدد الكثير من النساء اللاتي جمعهن إليه ﷺ من غير ايجاب قسم بينهن لانه ﷺ بالنسبة إلى امته كالسيد المطاع ، فزوجاته كالمملوكات . . . فلا قسم لهن كما اشترط عليهن حينما أوردن البقاء أن يتصرف كما يشاء فله ﷺ أن يتصرف بما يترأى له في أمر المعاشرة الجنسية معهن ، فيترك أو يهمل . فله ﷺ أن يطلق أو يمسك ، و إذا أمسك ضاجع أو ترك ، و اذا ضاجع قسم أو لم يقسم ، و إذا طلق

أو عزل ، فاما أن يترك المعزولة أو يبتغيها و هذه قسمة جامعة للغرض .
 و في ذلك تخفيف عن النبي الكريم ﷺ و رفع لاعنائه و إرهاقه بعد
 أن حمل هذا العبء الثقيل من النساء إلى جانب ما حمل من أعباء فقال ...
 فلو حاسبت نساء النبي ﷺ محاسبة الزوجات لأزواجهن ، و اقتضين
 حقوق الزوجية كاملة منه ﷺ لكان ذلك عبئاً ثقيلاً على رسول الله ﷺ الذي
 يحمل أعباء ثقلاً تنوء بها الجبال في إقامة بناء المجتمع الاسلامي ، و إرساء
 قواعد الدين ، فمن رحمة الله تعالى برسوله ﷺ و إحسانه إليه أن أخلى يديه
 جميعاً من تلك الواجبات المفروضة على الرجال قبل أزواجهم في المعاشرة و المباشرة
 و ذلك حتى يفرغ النبي الكريم ﷺ للمهمة العظمى التي أقامه الله تعالى عليها...
و قوله تعالى : « ذلك أدنى ... » مستأنف بياني سيق لتقرير سبب الايواء
 و الارزاء ، و انه كان في هذا التدبير مصلحتهن ، و من شأن هذا التدبير السماوي
 أن يجعل نساء النبي ﷺ كلهن إلى يده ﷺ ، و فيه إرضاء لهن جميعاً ،
 و قرّة عين و روح و روح و سكن فؤاد ...

و قوله تعالى : « والله يعلم ما في قلوبكم » حث على تحسين ما في القلوب ،
 و بعث على تواطؤ قلوبهن و التوافق على رضا رسول الله ﷺ ، و وعيد لمن لم
 يرض منهن بما دبّر الله تعالى له ﷺ و ان القلوب هنا تجتمع بين الرجال
 و النساء في حياة زوجية و هي ملاك الامر في إصلاح هذه الحياة ، و إزديادها ،
 و إرواء النفوس من بناييع الرحمة و المودة . . . و ذلك إذا صلحت القلوب و خلصت
 النيات .. كما إذا انطوت القلوب على فساد و تلاقى على غش و خداع ، فلن
 تثمر الحياة الزوجية إلا ثمرأ نكداً ، يطعم منه الزوجان ما يشقيهما و يضيئهما ،
 و يزرع العداوة و الشنآن بينهما .. و في الالتفات من الخطاب للنبي ﷺ إلى
 الخطاب لامته ﷺ ما لا يخفى على القارئ الخبير فتأمل جيداً .

و قوله تعالى : « وكان الله عليماً حليماً » مستأنف بياني سيق للوعد و الوعيد ،

و في وصف الله تعالى بالحلم دعوة إلى كل من الأزواج والزوجات إلى الأناة والرفق ، وإلى الصبر والاحتمال لما يقع في الحياة الزوجية من أمور يضيق بها أحد الزوجين أو كلاهما . . فالحياة يسر وعسر وإستقرار وإضطراب وإستقامة و عوج . . ومن أرادها على الوجه الذي يحب فانما يريد أمراً غير واقع أبداً .

٥٢- (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيباً)

بيان بأنه ليس للنبي الكريم ﷺ بعد الآن أن يتزوج بامرأة زوجاً بعقد ، ولا يترك إحدى زوجاته ليأخذ مكانها غيرها ، ولو أعجبه ﷺ حسنهما باستثناء ملك اليمين الذي يظل مباحاً له ﷺ . ان الآية تحتوى تشريعاً إستثنائياً سلبياً بالنسبة للنبي ﷺ مقابل التشريع الاستثنائي الإيجابي الذي إحتوته الآية السابقة ، فان الله تعالى بعد أن أباح له ﷺ في الآية السابقة الاحتفاظ بزوجاته جميعهن حرم عليه ﷺ في هذه الآية الزوج بالمرّة باستثناء ملك اليمين .

ونص الآية وخاصة قوله تعالى: «من بعد» صريح بالنهاي إطلاقاً أي ان المنع مؤبد ولوماتت بعض نساؤه ﷺ أو جميعهن أو طلقهن ، ولكن الغرض هو نهى النبي ﷺ عن تطليق إحدى نساءه ﷺ لأجل أخذ غيرها مكانها تفيداً بالعدد الذي أباحه الله تعالى له ﷺ .

وقوله تعالى : «ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن» تطيب لخواطر نساء النبي ﷺ وتطمين لقلوبهن ، ألا يدخل عليهن من النساء من يشا ركنهن الحياة مع النبي ﷺ والسكن إليه في بيت النبوة . . وانهن في أمان من أن يخرجن من هذا الجناب الكريم أو يفارقن النبي ﷺ بالطلاق . . وهذا جزاء عاجل من الله تعالى لهن حين أوردن الله تعالى ورسوله ﷺ ورضين الحياة الروحية مع رسول الله ﷺ ، مؤثرات ذلك على الحياة الدنيا وزينتها . .

وقوله تعالى : «من أزواج» تأكيد للنفي ، وفائدته إستغراق جنس جماعات الأزواج بالتحريم .

وقوله تعالى : «ولو أعجبك حسنهن» شرط على حذف الجواب يدل عليه ما قبله وهو «لا يحل» وفائدة هذه الشرطية التأكيد والمبالغة . «والأما مملكت يمينك» إستثناء ممن حرم عليه «كان الله على كل شيء رقيباً» تحذير عن مجاوزة حدود الله تعالى .

٥٣- (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانثروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق واذا سئلتموهن متاعاً فسلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً)

هذا شروع في بيان ما يجب مراعاته على الناس من حقوق نساء النبي الكريم ﷺ وأدب الدخول في بيوته ﷺ إثر بيان ما يجب مراعاته ﷺ من الحقوق المتعلقة بهن ، والخطاب موجه إلى المؤمنين ينهاهم عن الدخول في بيوت النبي ﷺ إلا بدعوة إلى طعام على أن لا يأتوا قبل ايدانهم بنضجه بقصد إنتظار ذلك في هذه البيوت ، فاذا نضج الطعام ودعوا واذنوا فليدخلوا ، فلا يتعجلوا الحضور قبل أن ينضج الطعام ، وذلك حتى لا يطول مكثهم في بيت النبي ﷺ ، وإذا دعوا واذنوا ودخلوا وأكلوا فليبادروا إلى الخروج من غير مكث بقصد السمر والحديث .

وفي الآية تعليم للناس على أن لا يدخلوا بيوت النبي ﷺ بغير إذن و تعليم للامة المسلمة في طوال الاعصار على أن لا يدخل بعضهم بيوت بعض من غير إذن . وفي «بيوت النبي» دلالة على أن البيت للرجل ، ويحكم له به ، فان الله

تعالى أضاف البيوت إلى نبيه ﷺ ، وفي جمع البيوت دلالة على تعدد البيت للنبي ﷺ وكان كل واحد منها منفصلاً مستقلاً عن الآخر.

ان تسئل: أكان للنبي ﷺ بيوت غير ما كان لأزواجه من البيوت إذ قال الله تعالى فيما تقدم: «واذ كرن ما يتلى في بيوتكن»: (٣٤) وقال هنا: «بيوت النبي»؟

تجيب: ان إضافة البيوت إلى النبي ﷺ إضافة ملك ، وإضافتها إلى نسائه ﷺ إضافة محل ، إذ جعل فيها الاذن للنبي ﷺ والاذن إنما يكون للمالك .

وقوله تعالى: «إلّا أن يؤذن لكم» إستثناء مفرغ من أعم الاحوال . . . أى لا تدخلوها في حال من الاحوال إلّا حال كونكم مأذونين فيها من جانبه ﷺ . وقيل: حال من أعم الاوقات . . . أى لا تدخلوها في وقت من الاوقات إلّا وقت أذن لكم ويدعوكم إلى طعام .

وقوله تعالى: «ولكن إذا دعيتم فادخلوا» إستدراك من النهي عن الدخول بغير اذن ، وفيه دلالة على أن المراد بالاذن إلى الطعام هو الدعوة إليه ، وفيه تأكيد للمنع ، وخص وقت الدخول بأن يكون عند الاذن على جهة الأدب وحفظ الحضرة الكريمة من المباشطة المكروهة ، وتقدير الكلام: ولكن إذا دعيتم و أذن لكم في الدخول فادخلوا . وإلّا فنفس الدعوة لا تكون إذناً كافياً في الدخول.

وقوله تعالى: «فاذا طعتمم فانتشروا» أمر من الله تعالى بأن يتفرق جميعهم وينتشروا بعد الاطعام . وفي «ولامستانسين لحديث» إشارة إلى بعض ما يدعوههم إلى إطالة المكث في بيوت النبي ﷺ وهو الانس بالرسول ﷺ والمتعة الروحية بالحديث إليه ، وهذا وإن كان مما يجب من المسلم ويجب له إلّا أن هذا ليس وقته إذ لابد من الراحة بعد الطعام ، ومن السكن والهدوء والانفراد بالنفس .

وقوله تعالى : «ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيى منكم» بيان لسبب النهي عن المكث وطول الاقامة في بيوت النبي ﷺ . وفيه إشارة إلى ما كان يجده النبي ﷺ من أذى وتضررفي تراحم المؤمنين على بيته ، وطول مكثهم فيه ، وكان النبي ﷺ يتحمل هذا صابراً ، ويمنعه الحياء أن يظهره ضيقاً أو ضجراً . . وفيه إيحاء إلى أن لا ينبغي للمدعو إلى أن يتلبس بعد أن يطعم إذا كان في ذلك أذى لرب البيت ، ولو كان في غير بيت النبي ﷺ فإن التثقيل مذموم في كل مكان محتقر لدى كل إنسان .

وقوله تعالى : «والله لا يستحيى من الحق» إعلام من الله تعالى بمالم يصرح به النبي الكريم ﷺ وإن كان حقاً ، فالنبي ﷺ إنسان طبع على الحياء تمنعه إنسانيته من أن يصرح الناس بما يسوؤهم ، مادام ذلك لا يجور على حق من حقوق الله تعالى أو على حق من حقوق الناس ، وإن كان فيه جور على نفسه، ولهذا فقد دافع الله تعالى عن النبي الكريم ﷺ وتولى جل وعلا حمايته ودفع هذا الأذى عنه .

وقوله تعالى : «وإذا سئلموهن متاعاً فسئلهن من وراء حجاب» نهى تلويحي للمؤمنين عن أن يسئلهن نساء النبي ﷺ شيئاً من متاع أو نحوه إلا من وراء الحجاب ، والحجاب هنا هو الباب الذي يدخل منه إلى بيوت النبي ﷺ ، ونهى تلويحي أيضاً لنساء النبي ﷺ عن أن يجبن السائلين مشافهات ، وان كن مستورات وفي ذلك تعليم لنا ولأزواجنا ، فاذا كان هذا هو حكم الله تعالى فكيف يجوز أن تشترك النساء في البرلمانات ومجلس الشورى . . إلا أن يدعين الضرورة ولو كان هذا ضرورة لكانت طلاقة العنان في الطرقات والشوارع وما إليها أيضاً ضرورة . نعم هذا لعدم الغيرة والخروج عن الفطرة الانسانية ، والمجاورة عن حدود الدين الاسلامي .

وقوله تعالى : «ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن» بيان لسبب ما تقدم أي ذلك

السؤال من وراء الحجاب أظهر لقلوبكم وقلوبهن من وساوس الشيطان ، والريب لان العين وزيرة القلب ، فاذا لم تر العين لم يشته القلب ، و أما إذا رأت العين فقد يشتهي القلب ، وقد لا يشتهي ، فالقلب عند عدم الرؤية أظهر ، وعدم الفتنه حينئذ أظهر كما قال تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » .

وقوله تعالى : « وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله » تكرر للملة وتأكيده لحكمها ، وتأكيده العلة أقوى في الاحكام . . . وفي الجملة إستبعاد من أن يقع من أحد من المؤمنين بالله تعالى و رسوله ﷺ أن يؤذى رسول الله ﷺ بالنظر إلى نساءه نظر إشتهاء ، فذلك ما لا يجتمع معه ايمان أبداً .

و قوله تعالى : « و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً » إعلام تعظيم للنبي ﷺ بعد وفاته كما يجب عليهم حين حياته .

و قوله تعالى : « ان ذلكم كان عند الله عظيماً » تقرير لسبب ما تقدم أى ان ذلك الايذاء و زواج نساء النبي ﷺ من بعده أمر هائل و خطب جليل لا يقادر قدره إلا الله تعالى ، و فيه تعظيم لشأن رسول الله ﷺ و ايجاب حرمة حياً و ميتاً ، و لذلك بالغ في التهديد والوعيد حيث قال : « إن تبدوا شيئاً ، مما لا خير فيه لنكحهن على ألسنتكم . . . و معنى البعد في الاشارة « ذلكم ، ايذان ببعد منزلته في الشر والفساد . . .

٥٤ - (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً)

نهى تلويحى عن أن يظهر أو نكح زواج النبي ﷺ بعده ﷺ أو يخطروه بيالهم .

و قوله تعالى : « فان الله كان بكل شيء عليماً » تأكيد لما تقدم ، ومبالغة في التهديد والوعيد ، فعليهم أن يذكروا دائماً ان الله تعالى عليم بما لاخير فيه من نكاحهن على ألسنتهم أو إخفاء ذلك في صدورهم ، فاذا لاينبغي لهم أن يخطروا نكاح زواج النبي ﷺ بيالهم فكيف أن يظهره بألسنتهم . . .

٥٥ - (لاجناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً)

مستأنف بياني مسوق لتقرير من لا يجب إحتجاب نساء النبي ﷺ عنهم على طريق الاستدراك والاستثناء من عموم حكم وجوب الحجاب الذي إحتوته الايات السابقة ، والضامر فيها عائدة بالتبعية إلى نساء النبي ﷺ فليس من جناح أن يدخل على نساء النبي ﷺ آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء إخوانهن وأبناء أخواتهن والنساء المؤمنات وخدمهن الذين هم ملك أيمانهن ، وعليهن مع ذلك كله بقوى الله تعالى ، وإلتزام حدوده وملاحظة كونه حاضراً في كل آن وشهيداً على كل شيء . و قدّم الآباء لأن إطلاعهم على بناتهم أكثر ولتقدمهم على غيرهم قرابة ، ثم الابناء لقرابهم منهن كقربهن من آبائهن ثم الاخوة ثم بنى الاخوة لان بنى الاخوات آباءهم لسوا بمحارم ، إنما هم أزواج خالات أبناءهم ، وقد يصف الابن خالته عند أبيه ففي ذلك نوع مفسدة ، فواجبت التأخر عن رتبة المحرمة .

و لم يذكر العم والخال إما لكونهما بمنزلة الأب أو بجريان مجرى الوالدين ، وقد يسمّى العم أباً قال الله تعالى : « قالوا نعبد إلهك وإله آباءك إبراهيم وإسماعيل ، البقرة : ١٣٣) .

و إسماعيل كان عمّاً . وقال تعالى : « و إن قال إبراهيم لأبيه آزر ، الانعام : ٧٤) على أن الأب هنا هو العم . و إما باكتفاء ذكر أبناء الاخوة وأبناء الاخوات ، فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن و بين الفريقتين عين ما بينهن و بين العم والخال من العمومة والخوثة لما انهن عمات لأبناء الاخوة وخالات لأبناء الاخوات... وقيل : ترك ذكرهما مخافة أن يصفاهن لأبنائهما ، فان العم والخال ربما يصفان المرأة لولديهما ، وان المرأة تحل لابن العم و ابن الخال ، فلا يجوز رؤيتهما .

وقوله تعالى : «ولانسائهن» في إضافة النساء إلى ضميرهن دلالة على النهي عن التكشف للكفريات في وجهه ، وللنساء غير المعروفات لهن التعاملات في قضاء حوائجهن ، وذلك سداً لذرائع الفتنة التي قد تجيء من النساء الواردات من موارد مختلفة لا يعرف وجهها . .

وقوله تعالى : «ولامملكتم أيمانهن» من المماليك والمراد هنا العبيد وهم من المحارم .

قيل : محرميتهم كالامر الضروري ، وإلا فالمفسدة في التكشف لهم ظاهرة ولهذا عقبه بقوله تعالى : «واتقين» فالتكشف لهم مشروط بسلامة العاقبة والأمن من الفتنة .

وقوله تعالى : «واتقين الله» في الالتفات من الغيبة إلى الخطاب فضل تشديد وبعث على سلوك كهن طريقة التقوى فيما امرن به من الاحتجاب . كأنه قيل : وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأنقن غير محتجبات ليفضل سركن عنكن . وخص النساء بالذكر ، وعيّنهن في هذا الامر للمبالغة في تحفظهن والنهي عن إسترسألهن . وفي دعوة نساء النبي ﷺ إلى تقوى الله تعالى بعد دعوتهن إلى ضرب الحجاب بينهن وبين مهامهن دلالة على أنه ليست العبرة في العفة بضرب الحجاب فقط ، وإن كان الحجاب أمراً لازماً لسد الذرائع ، وإنما العبرة بما في القلب من تقوى الله تعالى وخشيته والعمل على مرضاته . .

وقوله تعالى : «ان الله كان على كل شيء شهيداً» تأكيد للأمر بالتقوى ، وفيه نوع تهديد ، وفيه انه لا يتفاوت في علمه ظاهر الحجاب وباطنه ثم كمل بيان حرمة ﷺ بانه محترم في الملأ الاعلى ، فليكن واجب الاحترام في الملأ الأدنى .

٥٦- (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

تقرير تنويهي بما للنبي ﷺ عند الله تعالى وملائكته من عظيم المنزلة ورفعة الشأن : فالله تعالى يصلي عليه ﷺ بشموله الدائم بعطفه ورحمته ، والملائكة يصلون عليه ﷺ بدعائهم وتأييدهم ، وأمر للمؤمنين بأن يصلواهم عليه ﷺ ويسلموا صلاة و تسليماً متناسبين مع رفعة شأنه وعلو منزلته بالدعاء والتعظيم والاجلال . و صدر الآية إخبار من الله تعالى بمنزلة نبيه الخاتم ﷺ عند الله جل وعلا وفي المبدأ الأعلى بأنه ينشئ عليه ﷺ وملائكته المقربون يصلون عليه . وفيه تعظيم وتكريم للنبي ﷺ بالأصالة وتشريف للملائكة بالتبع ، وذلك لان أفراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفضيلاً للمذكور على المعطوف ، فكأنه تعالى شرف الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة صلاتهم على النبي ﷺ .

وفي ذكر صلاته تعالى وصلاة ملائكته على النبي الكريم ﷺ قبل أمر المؤمنين بالصلاة عليه ﷺ دلالة على أن في صلاة المؤمنين له إتباعاً لله تعالى وملائكته ، وتأكيداً للنهي الآتي .

وقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » خطاب من الله تعالى وتنبيه للمؤمنين إلى ما يجب عليهم من الصلوات والسلام على النبي الكريم ﷺ دون غيره من الأنبياء تشريفاً له ﷺ وأما آله المعصومون فهم نفسه ﷺ إذ قال الله تعالى : « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم » آل عمران : ٦١) وفي الاطلاق دلالة على استمرار الحكم في حياته وبعد موته ﷺ وذكر المصدر في التسليم للتأكيد ليكمل السلام عليه ﷺ ولم يؤكد الصلاة هذا التأكيد لانها كانت مؤكدة بقوله تعالى : « إن الله وملائكته يصلون » .

و ان الاطلاق شامل لكل مؤمن ومؤمنة في كل وقت ومكان ، موجب عليهم أداء حق النبي ﷺ من التوقير والتعظيم والدعاء والترحم وعظيم الشكر

في سبيل تسجيل الاعتراف بماله ﷺ عليهم من فضل خالد الأثر في هداهم إلى الحق والخير و سعادة الدارين و إخراجهم من الظلمات إلى النور الوهاج الذي سيبقى ساطعاً في الخافقين ، والذي سيزداد سطوعاً كلما إستقامت عقول الناس وحسنت نواياهم وإستنارت بصائرهم فاستبانوا سبيل الهدى والسعادة بفضل ذلك النور والقرآن معجزة نبوته العظمى .

٥٧- (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخره وأعد لهم عذاباً مهيناً)

نهى تلو يحيى عن ايذاء الله تعالى و ايذاء رسوله ﷺ و في تقديم ذكر « الله » تعظيم إذ جعل أذى رسوله ﷺ أذى له جل و علا تشريفاً و تكريماً له ﷺ فكانه قال: لو جاز أن يناله ﷺ أذى من شيء لكان ينالني من هذا، و من هنا يظهر إتصال الآية بما قبلها فكانه تعالى قال : صلوا عليه و لا تؤذوه فان من أذاه فهو كافر . و ان من قصد رسولنا ﷺ بسوء فقد قصدني به و من قصدني به فهو كافر . على أن الله تعالى منزّه من أن يناله الأذى و كل ما فيه وصمة النقص والهوان . و قيل : ايذاء الله تعالى هو المخالفة عن أوامره والارتكاب بزواجه و ايذاء الرسول ﷺ بالصاق عيب و نقص به .

و قوله تعالى : « لعنهم الله . . . » إنذار شديد بلعنة الله تعالى في الدنيا والآخرة ، و عذاب المهين لمن يؤذى الله و رسوله ﷺ بأي نوع من أنواع الأذى و سوء الأدب والبذاءة والقذف والاحراج والبغى والغمز واللمز في حق الله سبحانه و في حق رسوله ﷺ و فيه تلقين مستمر المدى في شجب الذين يصدر منهم شيء من مثل ذلك في كل وقت و مكان و مناسبة . و في وصف العذاب بالمهين إشارة إلى المقابلة بين العمل والجزاء لانهم كانوا يقصدون باستكبارهم في الحياة الدنيا إهانة الله جل و علا و رسوله ﷺ فقولوا في الآخرة بعذاب يهينهم .

٥٨- (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا

بهتاناً واثماً مبيناً)

بيان لشدة إثم الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ، و ينسبون إليهم ما لم يصدر عنهم بقصد أذيتهم والتشنيع عليهم والدعوة إلى الوقوف منهم موقف الشدة والتأنيب والتنكيل . و في إطلاق الإيذاء في ناحية الله سبحانه و رسوله ﷺ و تقييده في جانب المؤمنين بالاكتساب و عدمه تنبيه على أن أذى الله و رسوله ﷺ لا يكون إلا بغير حق ، و أما أذى المؤمنين فقد يكون بحق وهو جائز ، فإذا صدر عن أحدهم ذنب جاز إيذاؤه على الوجه المحدود في الشرع كما في القصاص والحد والتعزير من غير إثم فيه . و فيه دليل على عصمة النبي الكريم ﷺ بأنه لن يفعل ما نهى عنه ، و لا يترك ما امر به حتى يستحق الأذى . و في تعليق الحكم على المؤمنين والمؤمنات ما لا يخفى على القارىء الخبير .

٥٩- (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً)

خطاب موجه للنبي الكريم ﷺ يأمر فيه بالابراز إلى أزواجه وبناته وسائر نساء المؤمنين بضم جلابيهن على أجسامهن حتى يعرفن بهذا الزى فلا يؤذين ببذاء الكلام ، ففي الآية دعوة لهن جميعهن إلى أن يحمين أنفسهن من أسننة السوء ، و ذلك بأن يدنين عليهن من ثيابهن ، و أن يرسلنها حتى تكسو أجسامهن إلى مواضع أقدامهن . . . و هذا هو لباس المحتشمات على خلاف ما كان عليه لباس المتبرجات ، الداعيات للرجال إلى أنفسهن . . . و بهذا الزى ينزل نساء النبي ﷺ و بناته و نساء المؤمنين عن غيرهن ممن لا يسؤهن قول أو فعل من ذوى السيرة السيئة من المنافقين والمرجفين والفاسق و مرضى القلوب الذين كانوا يتعرضون للنساء و لا يبالون أن يتعرض لنساءهم لعدم الغيرة .

وقوله تعالى : « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » تعليق لما تقدم ، يفيد ان إناء الجلابيت تعليم بزى خاص يعرف به المؤمنات ، و يفرق به بين الحرائر

والعواهر، وان هذا الزى السائر الذى يتزيا به نساء النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين هو معلم من معالم المرأة الحرة العفيفة التى لا يطمع فيها أحد، وفي «أدنى» إشارة إلى أن هذا الزى ليس وحده بالذى بقى الحرائر والعفيفات من أسنة أهل الفجور والفسق، ولكنه على أى حال وقاءً يجمل الحرة ويزين العفيفة، و يضى على طهرها طهراً، و على عفتها جلالاً و عضة، فهو وإن لم يكن الكمال كله فهو من سمات الكمال و إن لم يكن العفة كلها، فهو مظهر من مظاهرها ...

٦٠- (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنگرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً)

تقرير حكم قرآنى مو كول تنفيذه إلى النبى الكريم ﷺ بتأديب أهل النفاق ومن على شاكلتهم إذا لم ينتهوا عن الفساد وإذاعة الفحشاء و أذى المؤمنين والمؤمنات بعد الانذار، والحكم هو الطرد و إهدار الدم والقتل دون هوادة و تسامح، و انه عام شامل مستمر المدى و مو كول لاولى الامر فى المسلمين حيث يوجب عليهم سلوك سبيل الشدة فى القمع والتنكيل مع من لم يرتدع عن موقف الاذى والدس والارجاف والأراجيف وإثارة الشائعات الكاذبة والافساد والفتنة و سوء أدب و ذوق و بداعة و ولوغ فى الأعراض و إثارة الريب و من إليها من أعمال المنافقين ... سواء أكانت فى حق الله تعالى ورسوله ﷺ أم فى حق المؤمنين والمؤمنات ... لسلامة المجتمع و طمأنينته .

و فى الآية وعيد و تحذير و إنذار مزلز قاصم لفتات المنافقين و مرضى القلوب ومثيرى الشائعات الكاذبة فى المدينة على طريق القسم بأنهم إذا لم ينتهوا عما يبثونه من وساوس و دسائس، و عما يوقعونه من أذى و قلاقل، فان الله يغرى نبيه ﷺ بهم و يسلط عليهم و يقدره على طردهم من المدينة .

و قوله تعالى: «ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً» تنبيه إلى أن هؤلاء

المنافقين ومن انضوى إليهم إذا سلط عليهم النبي الكريم ﷺ لن يجدوا القوة التي يدفعون بها بأسه وقوته بما مكن الله تعالى لنبيه ﷺ في الارض، وبما جمع له من جنده الله جل و علا و أنصاره . . .

٦١ - (ملعونين أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلاً)

مستأنف بياني سيق لتقرير مآل أمر المنافقين، ومن على شاكلتهم في الحياة الدنيا من الخزي والهوان والقتل الذريع بدون هوادة واستثناء وتساهل أين ما وجدوا، وهم بهذه اللعنة التي خرجوا بها من المدينة لن يجدوا مأوى يؤوون إليه ولا معتصماً يعتصمون به . . . وأينما وقعو اليد النبي الكريم ﷺ والمؤمنين أصبحوا في عداد الاسرى وليس لهم بعد الأسر إلا القتل .

٦٢ - (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

تنبيه على أن هذه هي سنة الله تعالى فيمن مضى من أمثالهم من الامم، وهي السنة التي لا تتبدل في حال، فهذا الحكم على المنافقين و مرضى القلوب بنحو هذا هو شرعة الله تعالى في أشباههم من قبل فهو ليس ببدع فيهم .

٦٣ - (يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً)

تذكير بالساعة، وإلفات إلى يوم البعث والجزاء بعد ما تهدت الآيات السابقة فئات المنافقين و مرضى القلوب الذين هم صنّاع الأراجيف والشائعات، والمثيرون الفتنة والفساد . . . وذلك لعلمهم يرجعون إلى الله تعالى بالتوبة و يخلون بالاستغفار لقلوبهم من النفاق، ويطهرون بالاخلاص أنفسهم من تلك الآفات الخبيثة التي إستوطنتها . . . وذلك على طريق الحكاية عما سئل النبي الكريم ﷺ من الساعة وما أمر الله تعالى من الجواب عنه على سبيل قصر العلم بهافي الله تعالى .

وقوله تعالى : « وما يدريك » تأكيد لنفي على الساعة عن أحد غير الله

تعالى . وقوله تعالى : « لعل الساعة تكون قريباً » إخبار عن قرب وقوع الساعة ، وفيه تبيكيت للمتحنين والمتعنتين ، وتهديد للمستعجلين المستهزئين . . .

٦٤- (ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً)

حملة شديدة على الكافرين على طريق الاخبار والايذان المؤكد بابعادهم عن رحمة الله تعالى وطردهم عن شمول لطفه ، وبمالهم فى الآخرة من شديد العذاب . وفى الآية تهديد لفئات المنافقين ومن على شاكلتهم الذين إن لم يصححوا إيمانهم أصبحوا فى عداد الكافرين .

٦٥- (خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً)

إيئاس لهم من وجود ما يدفع عنهم العذاب أو يستنقذهم من السعير من ولى أو نصير ، فهم ينزلون أسوأ منزل فى جهنم لا يخرجون من عذابها المطبق عليهم أبداً .

٦٦- (يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الرسولاً)

عرض لصورة من صور العذاب التى يلقاها الكافرون يوم القيامة حيث تقلب وجوههم فى النار ، وتأخذهم الحسرة والندامة ، ويتمنون لو كانوا أطاعوا الله تعالى ورسوله ﷺ وأنى لهم أن يصلحوا ما أفسدوا ؟ لقدفات الأوان !

٦٧- (وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلاً)

بيان لبعض معاذيرهم بالقائمى التبعة على من أضلوهم من كبرائهم وسادتهم ، وفى هذا إحالة الذنب على غيرهم كماهى عادة المذنب يفعل ذلك وهو يعلم انه لا يجديه نفعاً ، وفى الآية إشارة إلى أنهم يلقون باللائمة على سادتهم وكبرائهم وقد كانوا تبعاً لهم فأوردوهم هذا المورد الويبيل .

وقوله تعالى : « وقالوا » حكاية لما سيقولونه يوم القيامة ، وعبّر عنه بالفعل الماضى لحتمية وقوع هذا القول ، وتلك حجة داحضة ، وعذر غير مقبول ، لقد باعوا أنفسهم لسادتهم ، وعطلوا العقل الذى وهبه الله تعالى إياهم ، فلم يصغوا إلى آيات الله جل وعلا ولم يستمعوا إلى دعوة الرسول ﷺ ولم يلتفتوا بعقولهم

وقلوبهم إلى هذا النور الذي غمر الآفاق من حولهم . . . بل تركوا لغيرهم مقودهم وأسلموه زمامهم . . . فاذا دفع بهم فأندهم إلى الهاوية الملمومون ولا لوم على أحد .

٦٨- (ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

دعاء على سادتهم وكبرائهم الذين هم أطاعوهم ، فأضلوهم باللعنة ومضاعفة العذاب على طريق التشفى إذ كانوا سبب ضلالهم ووقوعهم في هذا المورد الوخيم ، وإن كانوا هم يعلمون أن ذلك لا يخلصهم مما هم فيه من اللعن والعذاب ، وإنما سئلوا لهم ضعفى العذاب لانهم ضلوا فى أنفسهم ، وأضلوا غيرهم ، ولذلك أيضاً سئلوا لهم اللعن الكبير ، وهم يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر والنفاق . والجمع دليل على كثرتهم . والتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار ، وما كانوا عليه فى الحياة الدنيا من الاشتهار بهما وإلآ فهم فى مقام التحقير والاهانة .

٦٩- (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)

خطاب من الله تعالى للمؤمنين تحذيراً لهم من التعرض لايداء نبيهم ﷺ ونهياً عن تشبههم بنبي إسرائيل فى إذايتهم نبيهم موسى ﷺ على ما كان من وجاهته وطهارته عند الله تعالى عما كانوا يتهمونه ويفترونه . وفى توصيفهم بالايمن ايماء إلى أن من شأن صفة الايمان أن يمنعهم من ايداء من آمنوا به ﷺ نظير قولك : يا أيها العالم ! لاتفعل هذا وأنت تعلم أنه حرام . . .

وفى الآية تأديب ربانى مستمر التلقين فى وجوب الامتناع عن إتهام الناس بما ليس فيهم ، وإلتزام حدود الحق والساد فى كل ما يصدر عن المرء من قول .

٧٠- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)

مبالغة فى نصح المؤمنين ، وإشارة إلى ما ينبغى أن يكون عليه المؤمنون ، من تقوى لله جل وعلا ، وعدم التفوه بغير ما فيه الحق والساد ، وهما من أهم صفات

المؤمنين حقاً .

٧١- (يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

تقرير لأهم آثار التقوى والقول السديد من إصلاح الاعمال وغفران الذنوب...
وقوله تعالى : « ومن يطع الله... » حث على طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ
و وعد جميل على الاتيان بجميع صالح الاعمال ، والاجتناب عن جميع المناهي
بترتيب الفوز العظيم على طاعة الله جل وعلا ورسوله ﷺ .

و قوله تعالى : « فقد فاز » في ايثار الماضي لحتمية الفوز وترتبه على
الاطاعة والانقياد حيث ان الطاعة سبب أوغلة لتحقيق الفوز أو لترتب الفوز .

٧٢- (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها
وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

مستأنف بياني مسوق لتقرير خطورة شأن الانسان وأهليته للتكليف وواجباته
وقابليته للخير والشر والاستقامة والانحراف... وليست هذه شأن الكائنات الأخرى
بعيث لو عرض ذلك على السموات والأرض والجبال وهي ماهي من العظمة والسعة
والجلال لما كان من طبيعتها قبول الامانة وحملها ، فأبت من حملها لفقد مقتض
الحمل فيها ، وحملها الانسان نتيجة لتأهيل الله تعالى له بالتمييز والارادة وقابلية
الخير والشر والاختيار بينهما مما لم يكن حظ غيره من المخلوقات... غير انه لم
يرعها حق رعايتها ، فمم بذلك عن جهل لخطورة ما حمل ، وعن ظلم لنفسه بتقصيره
في القيام بما حمل .

وقد اختص الانسان بالأمانة كوسيلة لاختيار الناس حتى يميز خبيثهم من
طيبهم ، وطالحهم من صالحهم ، ومقصرهم من القائم بواجباته منهم ، وفيه إنذار
للذين يختارون الضلال ويسرون في طريقه ، وبشرى للذين يختارون الهدى و
يسرون في طريقه كذلك ، وفيه تكريم للانسان ، وتصوير لعظم الامانة و ثقل

حملها ، فمثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على تلك الاجرام العظام . . . وسمى التكليف أمانة لان من قصر فيه فعليه الخسارة ، ومن أداه فله الكرامة ، فعرض الامانة بهذا المعنى على تلك الاجرام وإبائها من حملها هو عدم صلوحها لهذا الامر .

وفي تخصيص الثلاثة - السموات والارض والجبال - بالذكر لأنها أشد الامور وأحملها للأنقال وأعظمها .

وقوله تعالى : « أن يحملنها » في الحمل تنبيه على أن في حمل الامانة مشقة ، ولم يقل : « فأبين أن يقبلنها » وقبلها الانسان : « وحملها الانسان » وفيه إشارة إلى أن في حملها أجراً وثواباً كما أن الحمل إذا حمل شيئاً ، فوصله إلى محله يستحق الاجرة من صاحبها ، فالتكاليف والأوامر والنواهي والاحكام كلها أحمال وأثقال يحملها الانسان المكلف ، وفي التعبير بالحمل ايماء إلى أن هذه الامانة ثقيلة ثقلاً لا يحتملها السموات والارض والجبال .

وقوله تعالى : « وأشفقن » قيل : في تعبير الاشفاق بدلاً من « خفن منها » لان الخائف مضطر إلى أن يتحرك ، ويتعد عن مصدر الخطر الذي يتهدد وجوده بخلاف المشفق إذ لا خطر يتهدده . . انه أشبه بحلم مزعج من أحلام اليقظة وتلك الكائنات لم تكن في عرض الامانة عليها في مواجهة خطر يتهددها إن انه مجرد عرض للإلزام معه ، فهي إما أن تقبل بطبيعتها الامانة وتستجيب لها ، وإما ألا تقبلها ولا تتجاوب معها . . وليس من الكائنات قبول التكليف وحملها ولا عدمه .

وقوله تعالى : « انه كان ظلوماً جهولاً » مستأنف بياني سيق لوصف الانسان بالظلم والجهل على صيغتي المبالغة تنبيهاً إلى شدة الخسارة ووخامة العاقبة التي خسرها الانسان بتضييع الامانة التي كان من شأنه أن يؤدي حقها ، ويحفظ كرامته على غيره من الكائنات . . وهذا اسلوب من أساليب البلاغة في إظهار عظمة الشيء بدم من فرط فيه وقصر في حفظه وحراسته . . كما يقال عن انسان كانت بين يديه

فرصة عظيمة مسعدة، فأضاعها بالتساهل والتواني والاهمال ، فلا يجد إلا من يلوم
ويقرّع بمثل هذه الكلمات . غبي ! حيوان ! جاهل ! بليد ! ..

وعلى هذا لا يكون قوله تعالى : « انه كان ظلوماً جهولاً » تعقيباً على « وحملها
الانسان » وإنما هو تعقيب على محذوف ، فتقديره : و حملها الانسان فلم يحسن
حملها ولم يؤدها على وجهها . . . بسوء إختياره وانه بهذا التقصير كان ظلوماً جهولاً .
وقيل : وصف بالظلم لانه صرف الاستعداد في غير ما خلق لأجله ، وبالجهل
لانه جهل خاصة عاقبة إفساد إستعداده بسوء إختياره أو علم و لم يعمل بعلمه ،
فنفى عنه العلم لانتفاء ثمرته .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « انه كان ظلوماً جهولاً » و فعول من
أوزان المبالغة فيقتضى تكرار الظلم والجهل منه ، و انه منتف ؟

تجيب : لما كان عظيم القدر ، رفيع المحل كان ظلمه وجهله لنفسه أقبح
و أفحش ، فقام عظم الوصف مقام الكثرة . وقيل : إنما سماه ظلوماً جهولاً لتعدى
ضرر ظلمه وجهله إلى جميع الناس ، فانهم أخرجوا من الجنة بواسطته وتسلط
عليهم إبليس و جنوده . . . و من غير بعيد أن تكون المبالغة باعتبار تكرار
الظلم و موارده : الظلم بالله تعالى و بنفسه و بالناس ، و تكرار الجهل . . .

٧٣- (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله
على المؤمنين والمومنات و كان الله غفوراً رحيماً)

بيان للغرض الصحيح والحكمة البالغة في عرض الأمانة ، و إشارة إلى مآل
أمر الذين أضاعوا حق الأمانة ، و إلى عاقبة الذين أدوا حقها على وجهها ، أي
انا عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافقين وشرك المشركين ، فيعذبهم الله تعالى ،
و يظهر ايمان المؤمنين فيتوب الله جل و علا عليهم و يرحم بهم .

و قوله تعالى : « ليعذب الله » في الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، والاتيان
باسم الجلالة للدلالة على أن عواقب الامور إلى الله تعالى لانه الله جل و علا .

وقوله تعالى: « و يتوب الله » في وضع الظاهر موضع المضمرة إشعاراً بكمال العناية في حقهم والاهتمام بأمرهم ، و في تقديم عذاب الخائنين على ثواب المؤمنين إلى شدة وخامة الخيانة و تضييع الأمانة .

وفي إختصاص المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بالعذاب هنا إشارة إلى أنهم الذين ضيّعوا الأمانة كلها ، و لم يبق في أيديهم شيء منها . . . انهم جميعاً على الكفر بالله سبحانه . . . فالمنافق : منافق و كافر ، والمشرك : كافر و مشرك .

و ذكر المؤمنات مع المؤمنين ، والمنافقات مع المنافقين ، والمشركات مع المشركين هو نتيجة و تبع لتعبير الانسان ، وطبيعة شموله للجنسين ، ومع ذلك فان فيه دلالة خاصة على أن الميدان في عهد النبي ﷺ و إزاء دعوته و رسالته لم يكن خالياً من المرأة كان هناك مؤمنات مخلصات كما كان هناك مشركات عنيدات ومنافقات خائنات أولاً ، و على أن القرآن الكريم يجعل المرأة صنواً للرجل في أهلية التكليف والقابلية والاختيار ، و في النتائج المترتبة على ذلك في الدنيا والاخرة ثانياً .

و هذا و ذلك متسق مع ما تكررت فيه الدلالات القرآنية ، و مع شمول ما إنطوى في الآية السابقة من مقاصد لجميع الناس في جميع الأزمان ، فان ذكر المؤمنين والمشركين والمنافقين في هذا المقام يجعل الصلة وثيقة بينها ، و بين سامعي القرآن الكريم بالذات من مختلف الفئات . . .

و قوله تعالى : « و كان الله غفوراً رحيماً » تعليل لقبول توبة المؤمنين ، و إختصاص رحمته بالمؤمنين ، و وعدهم بالمغفرة في تقصير بعض الطاعات من غير تعهد و قصد .

﴿ الإعجاز ﴾

ونحن نكتفي بموارد من وجوه إعجاز هذه السورة على طريق الاختصار -
فعلى القارئ الخبير التدبر جداً - لتنوع المباحث الآتية في الفصل الثاني من
هذه السورة من الابحاث الاعتقادية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والحكمية
والتاريخية . . .

ومن وجوه اعجازها : نزولها في أعقاب غزوة الاحزاب التي جمعت
لها قريش كل قواها، وسافت لها أخلافها وأحلافها وأسندت فيها إلى اليهود دور الغدر
بالنبي الكريم ﷺ وبالمسلمين حين يلتحم القتال ، ويتعرض ظهر المسلمين ،
وقد إنتهت هذه الحملة بما لم يكن يقع في حساب قريش ، ومن إجتماع على
نصرتها من يهود وغيرهم ، ففرق الله تعالى جمعهم من غير حرب ، ومزق وحدتهم
من غير قتال فقال : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم تكم
جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً»
(الاحزاب : ٩)

ثم يجيء دور اليهود في هذه الحملة فيقول : «وأنزل الذين ظاهروهم من
أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون
فريقاً وأوردتكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل
شيء قديراً» (الاحزاب : ٢٦-٢٧)

وكان هذا أول لقاء مسلح مع اليهود ، وفيه دارت الدائرة عليهم ، ونزلوا

على حكم المسلمين وبه أخرج بنو قريظة وهم أقوى فرق اليهود بالمدينة من ديارهم وأموالهم وسبى منهم من سبى وقتل من قتل ! وذلك انه بعد أن انكفأت قريش عن المدينة راجعة بالخزى ، و وضع النبي ﷺ والمسلمون السلاح جاء أمر السماء إلى النبي ﷺ يدعو إلى حرب بني قريظة من اليهود ، فدعا النبي ﷺ المسلمين إلى هذا الامر ، وحرّضهم على الجدي فيه ، فقال : من كان يؤمن بالله ورسوله فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة . . . وهناك حاصرهم النبي ﷺ والمسلمون أياماً ثم استسلموا ، فقتل منهم المقاتلة وسبى الذراري والنساء ، وغنم الاموال والديار ! .

وبقيت جماعات اخرى من اليهود لم يكونوا قد أعلنوا الحرب كما أعلنته بنو قريظة ، ولكنهم مع ذلك كانوا يترصون بالمسلمين الدوائر . . . وفي ذلك قال الله تعالى : «لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً» (الاحزاب : ٦٠-٦١)

ولاشك ان هذه الآية نذير للبقيّة الباغية من اليهود في المدينة وما حولها ، وان يومهم قد دنا وإقرب .

ومن وجوه الاعجاز : ما جاء في قوله تعالى : «ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله» (الاحزاب : ٢٢) من الاخبار بانه يتظاهر عليهم الاحزاب ، ويقاثلونهم ووعدهم الظفر بهم ، فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله تعالى وكان ذلك معجزاً له .

وعن عائشة : انها قالت : لو كنتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحى الله تعالى إليه لكنتم هذه الآية : «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه . . .» الآية . وقال الحسن : ما انزلت على النبي الكريم ﷺ آية كانت أشد عليه ﷺ منها قوله : «وتخفى في نفسك ما الله مبديه» ولو كان نبي الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكنتمها .

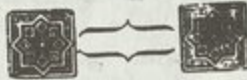
وقال بعض المحققين: ان قوله تعالى: «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» دليل من دلائل رسالة النبي الكريم ﷺ ومن علائم صدق نبوته، وإخبار عن الغيب حيث اخبر بختمية رسالته ونبوته.

ومنها: ما جاء في قوله تعالى: «يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً» (الاحزاب: ٤٥-٤٦) وذلك لان شأن قريش مع النبي الكريم ﷺ كان أعجب وأغرب.. إذ كانوا يلقبونه بالصادق الامين قبل بعثته، وكان فيهم المثل الاعلى للكمال.. إذما أخذ الناس عليه بادرة من بوادر السوء.. ثم لما ساق الله تعالى إليه هذه الرحمة، فجعله رسولاً إلى العالمين، نكصت قريش على عقبها، وكذبت على نفسها وأصمت آذانها عن الاستماع له، وهم مع ذلك يعلمون عن يقين انه لايقول إلا حقاً، ولهذا يكشف الله جل وعلاما بنفوسهم له بقوله: «فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» (الانعام: ٣٣)

وإذن فنستطيع أن نقرر أن الرسول ﷺ نفسه هو معجزة من معجزات القرآن الكريم، ووجه من وجوه إعجازه، ودليل من أدلة هذا الاعجاز، فهو ﷺ هاد إلى القرآن ودليل عليه ومبين له كما قال في خطابه تعالى لنبيه ﷺ هذا الخطاب الحبيب الكريم: «يا أيها النبي انا أرسلناك...»

ففي قوله تعالى: «وسراجاً منيراً» إشارة مشرقة من إشارات الحق إلى مكان الرسول ﷺ من الرسالة، وإلى موضعه من المعجزة التي تحملها الرسالة في كلمات الله جل وعلامه سراج منير.. يكشف للناس مواقع الاعجاز من القرآن الكريم، فمن لم يكن له كاشف من بصيرته إلى الاعجاز القرآني، فان في الرسول الذي يحمل هذه المعجزة أضواء تلتقي مع أضواء القرآن، فتجلى المعجزة لكل ناظر، ولو كان أعشى النظر كليل البصر!

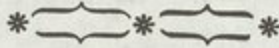
ومنها : قوله تعالى : «واتقين الله» الاحزاب : (٥٥) و ذلك لان الله تعالى لما ذكر الرخصة في هذه الاصناف ، و انجزمت الاباحة عطف بأمرهن بالتقوى عطف جملة ، و هذا في غاية البلاغة والايجاز، كأنه قال : اقتصرن على هذا و اتقين الله تعالى فيه أن تتعدينه إلى غيره .



* التكرار *

- عشر سور بدأت بحرف النداء: خمس منها خطاب للنبي الكريم ﷺ وهي:
- ١- سورة الاحزاب . ٢- سورة الطلاق . ٣- سورة التحريم . ٤- سورة المزل . ٥- سورة المدثر . و ثلاث منها خطاب للمؤمنين خاصة و هي :
- ١ - سورة المائدة . ٢- سورة الحجرات . ٣- سورة الممتحنة .
و ثنتان اخريان موجهتان إلى عامة الناس وهما- سورتا النساء والحج .
و نشير في المقام إلى صيغ تسع لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :
- ١ - جاءت كلمة (الجوف) على صيغها في القرآن الكريم نحو : مرة واحدة : و هي في سورة الاحزاب : (٤) .
- ٢ - » » (الحنجر) » » : مرتين : أحدهما - في سورة الاحزاب : (١٠) ثانيهما - في سورة غافر : (١٨) .
- ٣ - » » (يثرب) » » : مرة واحدة وهي في سورة الاحزاب : (١٣) .
- ٤ - » » (العوق) » » : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب : (١٨) .
- ٥ - » » (السلق) » » : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب : (١٩) .

- ٦ - ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ (النخب) ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب : ٢٣) .
- ٧ - ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ (الصياصة) ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ : مرة واحدة و هي في سورة الاحزاب : ٢٦) .
- ٨ - ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ (الوطر) ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ : مرتين : و هما - في سورة الاحزاب : ٣٧) .
- ٩ - ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ (الانغراء) ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ : مرتين : أحدهما - في سورة الاحزاب : ٦٠) ثانيهما - في سورة المائدة : ١٤) .



﴿التناسب﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - : التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها - : التناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها - : التناسب بين آى هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة آل عمران على التحقيق

فالتناسب بينهما فبامور :

منها : لما ختمت سورة آل عمران بأمر المؤمنين بالتقوى « واتقوا الله لعلكم تفلحون » بدئت سورة الاحزاب بأمر النبي الكريم ﷺ بالتقوى ليكون لهم فيه ﷺ اسوة حسنة فيها .

ومنها : ان الله تعالى لما أشار في سورة آل عمران إلى إصطفائه الانبياء و أخذ الميثاق منهم لما جاء به نبينا محمد ﷺ فجعله أول الانبياء خلقاً بقوله تعالى : « ان الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين - و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه » آل عمران : ٣٣-٨١) أمر نبيه محمداً ﷺ في سورة الاحزاب بالاستقامة في أمره و القيام بمهمته قياماً تاماً لا تساهل فيه ولا هوادة من دون تأثر بأى إعتبار ، فلا بد له في ذلك من الحذر من إطاعة كافر أو منافق ، و عليه ﷺ من إبتاع الوحي السماوى فقط و التوكل على الله

تعالى لاستحالة الجمع بين إتباع الوحي والاطاعة لمنكريه ، و هذا هو الميثاق الغليظ أخذه الله جل و علا من جميع الانبياء والمرسلين مع بيان العلة فكل مسئول عنه ، و مع الاشارة إلى أنه ﷺ خاتم الانبياء بعثه بقوله تعالى : « و إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم - ما كان محمد أباً أحد » : (٧ - ٤٠) .

و منها : لما جاء في سورة آل عمران تنويه للانبياء الماضية و فضل آل عمران ، و رفعة شأن امهم المؤمنين في قوله تعالى : « ان الله اصطفى آدم و نوحاً و آل ابراهيم و آل عمران على العالمين - ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة ... » آل عمران : (٣٣ - ١١٤) .

جاء في هذه السورة تنويه للنبي ﷺ من عظيم المنزلة و فضل أهل بيته ﷺ و رفعة شأن أمته ﷺ ما يرجح ما جاء في السابقة بقوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً - هو الذي يصلى عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور - ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » الاحزاب : (٣٣ و ٤٣ و ٥٦) .

و منها : ان الله تعالى لما أشار في سورة آل عمران إلى قصة امرأة عمران و إلى فنوت مريم و عبوديتها و طهارتها و عفتها بقوله تعالى : « و إذ قالت امرأة عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً - قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر » : (٣٥ - ٤٧) جاء في هذه السورة بما يحث نساء النبي ﷺ أن يكون لهن فيهما اسوة حسنة .

و منها : ان الله تعالى لما أمر المؤمنين في سورة آل عمران بالاعتصام بجبل الله تعالى و الاتحاد بقوله : « واعتصموا بجبل الله جميعاً و لا تفرقوا ... » آل عمران : (١٠٣) نبههم في هذه السورة بآثار الاعتصام و الاتحاد من نصر الله تعالى لهم ، و بأن الاعتصام بغيره لا ينفع فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا

اذكروا نعمة الله عليكم - قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة « الاحزاب : ٩ - ١٧) وغيرها من المناسبات فعلى القارئ الخبير التأمل .

و أما الثانية : فالتناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً فبامور أيضاً :
أحدها - : ان الله تعالى لما نفى في أول سورة السجدة الريب من هذا الكتاب السماوي و بين علة نزوله و إرسال رسوله ﷺ إلى قوم ما نزل عليهم كتاب و لا ارسل إليهم رسول من قبل، وأشار إلى موقف الكافرين في هذا الكتاب وفي هذا الرسول ﷺ بدء سورة الاحزاب بأمره نبيه ﷺ بالحدز عن هؤلاء الكفار ، و ما نبت لهم من الأذنان من المنافقين في هذا الفصل الزمني بين نزول سورة السجدة و نزول هذه السورة ، ونهاه ﷺ عن إطاعة الكافرين و المنافقين ، وأمره ﷺ باتباع ما يوحى إليه من ربه فقط، مع التوكل عليه جل و علا فحسب .
ثانيها - : لما جاء في السورة السابقة و عيد الكافرين بالعذاب في الحياة الدنيا قبل عذاب الآخرة في قوله تعالى : « و لنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر - فاعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون » : ٢١ - ٣٠) وفيه وعد للمؤمنين بالنصر و الغلبة على أعدائهم تلويحاً ، أشار في سورة الاحزاب إلى تحقق ما وعدهم من قبل في قوله تعالى : « و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله - و أورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تظؤها و كان الله على كل شيء قديراً » : ٢٢ - ٢٧) .

ثالثها - : ان الله تعالى لما أشار في السورة السابقة إلى فضل الأئمة في قوله جل و علا : « و جعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا آياتنا يوقنون » : (٢٤) بين في سورة الاحزاب عصمة أهل بيت نبينا محمد ﷺ و طهارتهم من كل ما لا يليق بساحة العصمة في قوله : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » : ٣٣) و غير ذلك من التناسب بينهما فعلى القارئ

الخبير التأمل جداً . و قد اتصلت السورتان بعضهما ببعض مع أن السابقة مكية والتالية مدنية ، و بينهما فصل زمني ممتد ، وفي ذلك دلالة على توقيفية ترتيب السور مصحفاً كترتيب نفس الايات في السور . . .

و أما الثالثة : فلما بدئت السورة بالخطاب للنبي الكريم ﷺ أمر بالتقوى تعظيماً لما يذكر بعدها من الامر والنهي ، وذلك كلما ورد في القرآن الكريم الامر بالتقوى يرد بعدها الأمر أو النهي ، فالامر بالتقوى تعظيماً لما بعدها من الامر والنهي ، فالامر بالتقوى كالتوطئة والاعلام لذكر الامر والنهي ، ثم ضرب مثلاً لبيان إمتناع إجتماع الخوف من الله تعالى والخوف من سواه من أحد ، إذ ليس لرجل قلبان يطيع بأحدهما الله تعالى و بالآخر عدوه ، و هذا المثل كالتوطئة لما يأتي من الاحكام ، فلا تجتمع الزوجية والامومة في امرأة ، ولا البنوة الحقيقية والتبني في إنسان لدفع مقالة الناس عن نبيه ﷺ ، فقال : « يا أيها النبي اتق الله - إلى - و كان الله غفوراً رحيماً » : (١ - ٥) .

ان الله تعالى لما ألغى التبني وما يترتب عليه من أحكام وكان للنبي ﷺ ابن بالتبني فليس محمد ﷺ أباً لزيد بن حارثة أخذ باقامة العلاقات بين ذوات متباعدة في النسب و يجعل بينها من التلاحم والتواد و رعاية الحرمات فيكون المؤمن أخاً لمؤمن في الدين فالنبي ﷺ بمثابة أب لجميع المؤمنين ، وانه أولى بهم من أنفسهم فلا محل ليكون له ابن خاص بالتبني ، و ابوته أشرف من ابوة النسب لان بها الحياة الحقيقية ، و ان هذه الخصوصية للنبي ﷺ لانقضاء ما بين ذوى القربى من صلوات قام عليها نظام الحياة الاجتماعية ، و أقرها الله تعالى في كتابه من التواد والتواصل والتوارث فهم أحق بالتوارث فيما بينهم كما ان هذا لا يمنع المعروف في حق الاولياء ، فلكم ان توصوا من ثلث مالكم وما دونه إلى من ترون الوصية له من المؤمنين والمهاجرين . فقال : « النبي أولى بالمؤمنين - كان ذلك في الكتاب مسطوراً » : (٦) .

لما بدئت السورة بما تحتوى ثبتيّاً للنبي الكريم ﷺ وأمرأ له ﷺ بتقوى الله تعالى و عدم إطاعة الكفار والمنافقين و إتباع وحيه والاعتماد عليه وحده ، فالله تعالى في تحميله إياه رسالته قد أخذ عليه عهداً بالقيام بالمهمة قياماً تاماً لا تساهل فيه و لا هوادة ، و دون تأثر بأى إعتبار كما أخذ مثل ذلك من الانبياء السابقين و عليه ﷺ أن يقوم بها و أن يعرف انه مسؤول عنها يوم القيامة ، فأخذ العهد على النبيين أن يبلغوا رسالات ربهم و لا سيما اولوا العزم منهم فقال : « و إن أخذنا من النبيين ميثاقهم . . . » و لما ذكر الميثاق على نحو العام و ذكر أصحاب الميثاق عاد إلى وصف الميثاق نفسه بقوله تعالى : « وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » : (٧) ميثاق غليظ متين ، و هو الجبل المفتول المعنوى بين الله جل و علا والمختارين من عباده ليلقوا وحيه و يبلغوا عنه ، و يقوموا على منهجه في أمانة و إستقامة . ثم علل ذلك بقوله تعالى : « ليسئل الصادقين . . . » : (٨) . و من المحتمل أن يكون من باب عطف حدث على حدث على أن المعطوف ما بين الانبياء من رحم تجمعهم على ولاء بعضهم لبعض ، و مناصرة بعضهم لبعض . و انه إذا كانت بين ذوى الارحام و سائج القربى ، و لحمة الدم فان بين الانبياء جامعة الايمان بالله تعالى و الدعوة إلى الله تعالى و الجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمته فهم كلهم على طريق واحد ، و في مواجهة معركة واحدة بين الايمان و الكفر ، بين الهدى و الضلال ، بين الحق و الباطل ، و بين النور و الظلمات . . . و ان أى لبنة من لبنات الحق يرضها نبي من أنبياء الله تعالى على هذه الارض هي دعم للحق و إعلاء لصرحه . . . ولهذا قال رسول الله ﷺ : « الانبياء أبناء علات - اى هم الاخوة لاب - امهاتهم شتى و دينهم واحد » .

ثم أخذ بذكر معجزات نبيه الخاتم ﷺ يوم الاحزاب ، و ذكر ما أنعم عليه ﷺ و على المؤمنين من النصر إذ صرف عنهم أعداءهم و هزمهم حين تألبوا عليهم يوم الخندق مع ما أعد لهم من الثواب . و من المحتمل أن يكون وجه

الاتصال ان الآيات التالية تذكر غزوة الاحزاب التي اجتمع فيها اليهود مع أهل مكة على حرب النبي ﷺ و انه إذا كان للمشر كين أن يحاربوا النبي ﷺ فإنه ما كان لليهود - و هم أهل الكتاب و أتباع نبي من أنبياء الله - أن ينقضوا الميثاق ، و ينحازوا إلى جبهة الشرك ، و أن يكونوا معهم حرباً على المؤمنين .. ان الحق يقتضيهم أن يوفوا العهد ، و أن يكونوا على ولاء من المؤمنين إذ كان نبينهم على ولاء مع هذا النبي ﷺ و لا ينقض الميثاق ، ولكنهم خرجوا على هذا الولاء الذي يطالبهم به دينهم، فكفروا بما في الكتاب الذي في أيديهم بغياً و حسداً . و من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله . . .

فقال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم - إلى قوله - و كان الله على كل شيء قديراً » : (٩ - ٢٧) .

ثم أخذ ببيان الحكم في أزواج النبي ﷺ تارة مخاطباً لرسوله ﷺ بقوله : « يا أيها النبي قل لازواجك .. » : (٢٨ و ٢٩) و اخرى مخاطباً لازواج النبي ﷺ بقوله : « يا نساء النبي من يأت منكن .. » : (٣٠ و ٣١) ثم بالغ تعالى في ترغيبهن إلى الطاعة بتكرار النداء و نسبتهن إلى زوجيتهن للنبي ﷺ لاتباع سيرته ﷺ بقوله : « يا نساء النبي .. » : (٣٢) و ذلك ان الله تعالى بعد أن نصر نبيه ﷺ فرد عنه الاحزاب و فتح عليه قريظة و النصير ظن أزواجه انه اختص بنفائس اليهود و ذخائرهم ، فقعدن حوله و قلن : يا رسول الله ﷺ : بنات كسرى و قيصر في الحلبي و الحللي و الاماء و الخول - الخدم و الحشم - و نحن على ما تراه من الفاقة و الضيق و آلمن قلبه الشريف و أزعجته و أجزته و آذينه بمطالبهن من توسعة الحال و معاملتهن معاملة نساء الملوك و أبناء الدنيا من التمتع بزخرفها من المآكل و المشارب و المساكن و المطاعم .. فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتلو عليهن ما نزل في شأنهن ، فأمرن بما أمرن به و نهين عما نهين عنه .

و بين الخطاب لأزواج النبي الكريم ﷺ جاء بخبر الارادة الالهية التي اتبعها التطهير و إذهاب الرجس ، و ان هذا مما لا ينكره من عرف عادة الفصحاء و دأب البلغاء في كلامهم ، حيث يذهبون من خطاب إلى غيره ، ثم يعودون إليه ، و القرآن الكريم مملؤ من ذلك ، و كذلك كلام الفصحاء و أشعار البلغاء ... فقال : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » ثم عاد الكلام إلى نساء النبي ﷺ . ان الله تعالى لما أمر نساء نبيه ﷺ بامور ، و نهاهن عن اخرى أخذ بذكر التسوية بين الذكر و الانثى في مقام التكليف التبعيدية و الاخلاقية ، سواء بسواء ، و بما أعد للصنفين من الأجر و الكرامة عنده تعالى في الدار الآخرة بقوله : « ان المسلمين و المسلمات ... » (٣٥) .

لما ذكر صفات عشر لا بد من إجتماعها في المؤمن الكامل الايمان أخذ بذكر أهم أثر من آثار هذا الايمان بأن يقيم في كيان صاحبه ولاء خالصاً لله جل و علا الذي آمن به و لرسوله ﷺ الذي بلغه رسالته ربه و شريعة دينه . . و انه لا ايمان مطلقاً إذا لم يكن هذا الولاء ركيزة له و أساساً يقوم عليه ، فاذا قضى الله و رسوله ﷺ أمراً لم يكن لمؤمن أن ينازع في هذا الامر أو يتوقف في إعضائه أو يبدل في صفته ، و إلا فهو ليس من الايمان في شيء بل يكون عاصياً لله تعالى و لرسوله ﷺ خارجاً عن سلطانهما ، فقال : « وما كان لمؤمن و لا مؤمنة .. » (٣٦) .

و من المحتمل أن يكون وجه الاتصال انه لما تقدم ذكر نساء النبي الكريم ﷺ و أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخير أزواجه بين البقاء معه و التسريح سراحاً جميلاً ، و فهم من هذا ان النبي ﷺ لا يريد ضرراً لغيره ، فمن كان ميله إلى شيء مكنه منه و ترك حظ نفسه لحظ غيره - ذكر هنا ان زمام الاختيار ليس بيد الانسان في كل شيء كما اعطى ذلك للازواج بل هناك امور لا اختيار لمؤمن و لا مؤمنة فيها و هي ما حكم الله تعالى فيه ، فما أمر به فهو المتبع ، و ما

أراد النبي فهو الحق ، ومن خالفهما فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ، فجاء بذكر قصة زيد بن حارث و زوجته زينب بقوله تعالى : « و إن تقول للذي - إلى - قدراً مقدوراً » (٣٧ - ٣٨) .

ثم أشار إلى أن الانبياء هم مأمورون في تبليغ رسالاتهم ، ومنهم النبي الخاتم محمد ﷺ وهو ليس بأب لآحد من الرجال الموجودين تأكيداً لتنفيذ الحكم السابق بقوله : « الذين يبلغون رسالات الله - إلى - وكان الله بكل شيء عليماً » (٣٩ - ٤٠) .

ان الله تعالى لما بين قضية زواج الرسول ﷺ بزَيْنَب وكانت أمراً هائلاً مبطللاً لما عادت به العرب ، وتحتوى حكماً جديداً من الاحكام وكان مبعث ظنون ومثار شغب عند المنافقين ومرضى القلوب ، وليس يحمي المؤمنين من غبار هذه الظنون و دخان هذا الشغب إلا أن يعتصموا بالله تعالى ، و أن يذكروا جلاله وعظمته ، و أن يستحضر واعلمه وقدرته فذلك هو الذي يحفظ عليهم ايمانهم ، و يدفع عنهم غواشى الشكوك والريب التى يسوقها إليهم الكافرون والمنافقون ، أمر المؤمنين بذكره ليربط قلوبهم بمن فرض على رسوله ﷺ ما فرض من زواجه بزَيْنَب واختار لامته ما اختار لنفسه يريد بها الخير والرشاد والخروج من الظلمات إلى النور بقوله : « يا أيها الذين آمنوا - وكفى بالله كيلاً » (٤١ - ٤٨) وفى هذه القطعة تثبيت للنبي ﷺ وتنويه بمهمته العظمى التى جعله الله تعالى بها شاهداً على امته ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله تعالى وسراجاً منيراً ، ونهى عن الأبوة بالكافرين والمنافقين وأقاربهم ومكائدهم و دسائسهم المؤذية بسبيل ما يدعو إليه و يقوم به من إصلاح وخير ، وجعل إعتماده على الله تعالى وحده وله فيه نعم الكفاية والوكالة .

لما اشير فى الايات السابقة إلى حال من أحوال الطلاق والزواج ، و هو طلاق إمراة الابن المتبنى ثم زواجها من أيه المتبنى له ، وأمر المؤمنين بالتسليم

في الحكم الالهى ذكر بعض أحكام المرأة المطلقة من حيث العدة والنفقة قبل أن يمسه المؤمن فى قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا - وسرحوهن سراحاً جميلاً» : (٤٩)

ومن المحتمل أن يكون وجه الاتصال ان الله تعالى لما أدب نبيه ﷺ بمكارم الاخلاق بقوله : «يا أيها النبي اتق الله» : (١) وثنى بتذكيره بحسن معاملة أزواجه بقوله : «يا أيها النبي قل لازواجك . . .» : (٢٨) وثلك بذكر معاملته لامته بقوله : «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً . . .» : (٤٥) وكان كلما ذكر للنبي ﷺ مكرمة وعلمه أدباً ذكر للمؤمنين ما يناسبه ، فارشدهم أولاً فيما يتعلق بجانبه تعالى بقوله : «يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً» : (٤١) وثانياً فيما يتعلق بما تحت أيديهم من الزوجات بقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات . . .» : (٤٩) وثالثاً فيما يتعلق بنبيهم ﷺ فى قوله : «لا تدخلوا بيوت النبي . . .» : (٥٣) وقوله : «يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً» : (٥٦) .

لما جاء فى الايات السابقة ما انتقض به بناء من أبنية الجاهلية التى قامت على الضلال وهو تبنيهم أبناء غيرهم ، ثم تجاوزوا هذا إلى تحريم مطلقات هؤلاء الابناء الادعاء عليهم . . . تمكيناً لهذه النبوة المدعاة ومعاملتها معاملة نبوة النسب سواء بسواء ، وقد كان من تدبير الله تعالى أن يكون للنبي الكريم ﷺ ابن متبنى ، وان يكون هذا الابن متزوجاً ، ثم يجيء حكم الله جل وعلا أمراً بابطال هذا التبني وبالزام النبي ﷺ أن يتزوج مطلقة متبناه بعد أن طلقها ، وإنقضت عدتها ، وكان ذلك مدعاة للكافرين والمنافقين أن يشنعوا على رسول الله الخاتم ﷺ وأن يكثروا من الاقاويل الباطلة ، والاحاديث المفتراة الواهية . . . جاء بما فيه رد على هؤلاء الكافرين والمنافقين الذين جعلوا زواج النبي ﷺ من مطلقة متبناه مادة للغمز والاتهام والافتراء . . . بقوله تعالى : «يا أيها النبي

إنا أحللنا لك أزواجك . . . » : (٥٠ و ٥١) ان الله تعالى لما بين الحكم فى أزواج رسول الله ﷺ وان الاختيار بيد رسوله ﷺ فى أمر من هدّ الرجال والنساء على سوء الظن به ﷺ وبمخالفته بقوله : « والله يعلم ما فى قلوبكم » . ان الله تعالى لما أباح لرسوله ﷺ سبعة أصناف من النساء فى قوله : « يا أيها النبى إنا أحللنا لك - وكان الله عليماً حليماً » : (٥٠ - ٥١) منعه ﷺ من أن يبدل واحدة منهن بغيرها وزوج مكانها غيرها بقوله تعالى : « لا يحل لك النساء . . . » : (٥٢) .

ان الله تعالى لما بين أحكام أزواج رسوله الاعظم ﷺ وما بينه ﷺ وبينهن أخذ بذكر تأدب الامة فى معاشرتهم برسوله ﷺ بدخولهم فى بيته و مكالمتهم أزواجه ﷺ بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى . . . » لما كان النهى عن الدخول بغير الاذن قد يوجب التأذى والقطع بحيث لا يدخل بعض المؤمنين أصلاً توهماً انه نهاهم بالتعام ولو بالدعاء ، فأمرهم بالدخول مع الدعوة بقوله : « ولكن إذا دعيتم فادخلوا » ثم ذكر أدب مكالمتهم بأزواجه ﷺ وطلب الماعون منهن عند الحاجة بقوله تعالى : « وإذا سئلتموهن . . . » ثم ذكر تأدب مكالمتهم بالرسول ﷺ بقوله : « وما كان أن تؤذوا فى حياته ولا بعد رحلته ، أو بالتعرض لأزواجه فى حياته وبعد رحلته .

ثم بالغ فى التهديد فى الايذاء بقوله تعالى : « ان تبدوا شيئاً . . . » : (٥٤) ثم ذكر جواز معاشرتهن بأصناف سبعة بقوله : « لاجناح عليهن . . . » : (٥٥) مع مخاطبتهن بأمر التقوى فيما امرتن به من الاحتجاب والتجيب عن العصيان بقوله : « واتقين الله . . . » ثم بالغ فى إكرام نبيه ﷺ وتعظيمه بقوله : « ان الله وملائكته . . . » بدأ بنفسه إظهاراً لشرفه ﷺ وترغيباً للامة إلى ذلك .

ومن المحتمل أن يكون وجه الاتصال ان الله تعالى لما صد السورة بذكر نبيه ﷺ وقرّفى أننا نهاذ كر تعظيمه ، وما يخصه به ﷺ كحل التزوج

بعدد من النساء لا يحل لغيره من المسلمين التزوج بهن ، وكالتزوج ممن يهين أنفسهن له من غير مهر، وكالحراسة التي أقامها على بيت النبوة من خارج و داخل ، وبتلك الخصوصيات يعرف بعض ما للنبي ﷺ من منزلة كريمة، ومقام عظيم عند ربه ختم ذلك كله بتعظيم لا يقاربه تعظيم ، ولا يدانيه بقوله : « ان الله وملائكته . . » تنبيهاً للامة إلى ان يعرفوا ان ما تقدم من التعظيم ليس هو كل ما للنبي ﷺ عند ربه ، بل ان له عند ربه أكثر وأكثر من ذلك في الملائكة الاعلى . ان الله تعالى لما بين كرامة نبيه ﷺ في الملائكة الاعلى وأمر المؤمنين بتعظيمه نهى عن ايداء الله تعالى بمخالفة أوامره وإرتكاب نواهيه ، وعن ايداء رسوله ﷺ بالافتراء عليه وتكذيبه ، وعن ايداء المؤمنين من غير حق بقوله : « ان الذين يؤذون الله ورسوله - إثمًا مبینًا : (٥٧-٥٨)

ثم أخذ بذكر ما يدفع عن أزواج النبي ﷺ وعن امته المثالب التي هي مظان لصوق العار والافتراء أمرأ نبيه ﷺ بأن يأمر بعض المتأذين بفعل ما يدفع الايداء عنهم في الجملة من التستر والتميز بالزى واللباس حتى يبتعدوا عن الأذى بقدر الامكان - بقوله : « يا أيها النبي قل لازواجك . . » : (٥٩)

لما جاء في الايات السابقة دستور سماوى للحياة الروحية في بيت النبوة ولحراسة بيوتها من العيون الفاجرة ، والألسنة البذيئة . . وفي المدينة منافقون كثيرون ، ومؤمنون لم تخلص قلوبهم بعد للإيمان ، ومن اولئك وهؤلاء تهب ريح خبيثة على المجتمع الاسلامى الظهور الذى أقامه النبي ﷺ في المدينة . . فكان من الحكمة ، وقد حصن الله تعالى قلوب المؤمنين ، وأقامهم على طريق الايمان والتقوى أن يعزل عنهم هذا الداء الخبيث الذى يتمشى فى أجواء المدينة من المنافقين ، وممن فى قلوبهم مرض من المؤمنين . . . فقال : « لئن لم ينته المنافقون - ولن تجد لسنة الله تبديلاً » : (٦٠-٦٢) .

ان الله تعالى لما بين أحوال هؤلاء الفئات الثلاث الشاردة فى الحياة

الدنيا ، وهددهم باللعن والهوان والقتل أخذ بذكر ما يسئل الناس النبي ﷺ عنه من وقوع الساعة تذكيراً لهم بيوم القيامة وما لهم من اللعن والعذاب والعداوة بين الاتباع المردة والرؤساء المضلة . . . بقوله : « يسئلك الناس عن الساعة - والعنهم لعناً كبيراً » : (٦٣-٦٨)

ان الله تعالى لما ذكر المنافقين والكفار الذين آذوا رسول الله ﷺ والمؤمنين أذية مؤبدة إلى الكفر والنفاق ، ومرض القلوب حذر المؤمنين من التعرض للايذاء إطلاقاً قولاً وفعلاً ، ونهاهم عن التشبه ببني إسرائيل في إذائتهم نبهم موسى عليه السلام ثم أرشدهم إلى ما ينبغي أن يصدر منهم من الأقوال والأفعال التي تكون سبباً في الفوز والنجاة من النار، والقرب من الله تعالى ، بقوله : « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى - فقد فاز فوزاً عظيماً » : (٦٩-٧١)

ان الله تعالى لما بيّن في هذه السورة جملة من التكليف والآداب والأخلاق والأوامر والنواهي والترغيب في الطاعة والترهيب عند المخالفة أمر بالتزام أوامره ، وأشار إلى ان ذلك كله أمانة قبلها الانسان لما فيه من الاستعداد والصلاحية إلى مدارج الكمال ما ليس في غيره وإن كان أشد خلقاً وأكبر جرماً وأعظم جسماً منه ، فلا بدل للانسان أن يأتي بالامانة ويؤدي حقها ، ثم ختم الله تعالى السورة ببيان وخيم عاقبة الخيانة في الامانة بالمخالفة قلباً ، وقولاً وعملاً ، وبيان مآل أمر الذين أذوا حقها وفازوا فوزاً عظيماً بحفظ التكليف والطاعة المسماة بالامانة ، فقال : « إنا عرضنا الامانة - غفوراً رحيماً » : (٧٢-٧٣) .

وأما التناسب بين بدء السورة وختامها من تلاق وتجاوب بحيث يرى وجه أحدهما في الآخر، كما يرى الشيء وصورته في مرآة مجلوة فمما لا يخفى على القارئ الخبير المتأمل إذ جاء في بدئها : « يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » و في ختامها : « ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات »

وجاء بعد بدئها بقليل : «ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه» و قبل ختامها بقليل : «انا عرضنا الامانة على السموات والارض . . .» ففي الاولى إشارة إلى أنه كما لا يجتمع في الجوف قلبان ، إذ يبطل كل منهما عمل الآخر، كذلك لا يجتمع في القلب شيان ينقض أحدهما ما يبنيه الآخر . . . فلا يجتمع في القلب ايمان وكفر ولا يسكن إليه ايمان يخالظه نفاق . . . وفي الاخرى إشارة إلى أن الامانة هي مما يحمل القلب وانه كما انفرد القلب بالسلطان على الجسم، كذلك تنفرد الامانة بالسلطان على القلب .

وعلى ضوء هذا نستطيع أن نفهم «الامانة» على انها التكليف والوظائف الشرعية التي ائتمن الله تعالى الانسان عليها ، و دعاه إلى رعايتها و حفظها وأداء حقها فيثاب على أدائها ، ويعاقب على إضاعتها وخيانتها وعدم الوفاء بها . . .

وإنما العقل هو مناط التكليف ، إذ لا يقع التكليف على غير قادر مرید مدرك لما كلف به ، وبغير العقل لا يكون إدراك ولا تجميع إرادة ولا تتحرك قدرة . . . و إذ كان الانسان هو الكائن الذي اوتى عقلاً وإدراكاً فكلف بحمل الامانة ، فالعقل هو المتلقى لتلك الامانة التي عجزت السموات والارض والجبال عن حملها ، وبالعقل استحق الانسان أن يخاطب من الله جل وعلا خطاب تكليف ، و أن ينظر بعقله فيما كلف به من أمر أو نهى وأن يتعرف به ما أحل الله وما حرم ، و أن يميز به الطيب من الخبيث، وان الانسان بهذا العقل سلطان على نفسه مالك التصرف كيف شاء ، فله أن يؤمن أو يكفر، يصدق أو يكذب ، يصلح أو يفسد ، يطيع أو يعصى ، أن يتقدم أو يتأخر ، و أن يتدرج أوج الكمال أو ينحط إلى أسفل السافلين ، و ليس هذا شأن الكائنات الاخرى .

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

و قد ذهب أكثر المفسرين إلى أن التبنّي كان معمولاً به في الجاهلية ، و في صدر الاسلام ، يتوارث به ويتناصر إلى أن نسخ الله تعالى ذلك بقوله : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » (الاحزاب : ٤) فرفع الله جل وعلا حكم التبنّي و منع من إطلاق لفظه .

و قال النحاس : هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبنّي ، و هو من نسخ السنة بالقرآن ، فان الحكم الاول كان ثابتاً بغير القرآن ، فنسخه القرآن ، فأمر أن يدعوا من دعوا إلى أبيه المعروف ، فان لم يكن له أب معروف نسبوه إلى ولاته فان لم يكن له ولاء معروف قال له : يا أخى يعنى فى الدين ، قال الله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة »

أقول : ومن غير بعيد أن الحكم كان موقوتاً إلى أن نزل القرآن الكريم ، فلما نزلت هذه الآية توقف العمل بهذه الرخصة ، و ليس هذا من النسخ كما يبدو في ظاهره ولكنه إنهاء لحكم رخصة موقوتة .

ومنهم : من ذهب إلى أن الله تعالى أزال بقوله : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ... » (الآية : الاحزاب : ٦) أحكاماً كانت معمولاً في صدر الاسلام :

منها : ان رسول الله ﷺ كان لا يصلّى على ميت عليه دين ، فلما فتح الله عليه الفتوح قال : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم فمن توفى وعليه دين فعلى قضاؤه ومن ترك مالاً فلورثته .

ومنها : حرمة تزويج نساء النبي ﷺ على امته لانهن بمنزلة امهاتهم في حرمة النكاح .

ومنها : ان قوله تعالى : «واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض ..» نسخ التوارث بالهجرة لاذكان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لبالقربة لقوله تعالى : «والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا» (الانفال : ٧٢) فكان لايرث الاعرابي المسلم من قريبه المسلم المهاجر، فنسخه الله تعالى بآية الاحزاب وجعل التوارث بحق القرابة . وقيل : آية الاحزاب ناسخة للتوارث بالحلف والمؤاخاة في الدين . وفي الميزان : قال : «والاية ناسخة لماكان في صدرالاسلام من التوارث بالهجرة والموالاتة في الدين» .

أقول : ومن غير خفى على القارىء الخبير المتأمل ان تعبير «من المؤمنين والمهاجرين» يحتوى قيماً إحترازياً لاخراج غير المؤمنين من ذوى الارحام من الاولوية ، وحقوق الارث، وحصر ذلك بين المؤمنين، وان إختصاص المهاجرين بالذكر هو بسبب ان بعض ذوى أرحامهم كانوا مايزالون كفاراً ، وعدم التوارث بين المسلم وغير المسلم من القواعد الشرعية الجارية منذ العهد النبوي ، ونفس الاية دليل على ذلك، وقد قال رسول الله ﷺ : «لايرث المسلم الكافر، ولايرث الكافر المسلم»

وان آية الانفال : «واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض» : (٧٥) تحتوى تقرير الاولوية بين ذوى الارحام بدون هذا القيد ، فظل الامر ملتبساً على المسلمين ، فافتضت الحكمة توضيحه بهذه المناسبة في القرآن الكريم والحديث . فالقول بان آية الاحزاب تحتوى نسخاً لقوله تعالى : «والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا» (الانفال : ٧٢) يقر بالتناصر والمعاونة والتضامن بين المتأخين من مسلمي الانصار ومهاجريهم على ما يظهر

من الآية نفسها وخاصة قوله تعالى: «وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر» غير وجهه إذ لافى آية الانفال ولا فى آية الاحزاب ما يلهم أصلاً ونسخاً .

ولو كان المراد من آية الانفال: (٧٢) التوارث بين المتآخين من المهاجرين والانصار لكان القول بنسخها بآية الانفال: (٧٥) أولى .

فى المجمع: فى قوله تعالى: «ولانطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم...»: وقيل: معناه كف عن أذاهم وقتالهم وذلك قبل أن يؤمر بالقتال عن الكلبي. فنسخت الآية بتشريع القتال .

وفى رسالة المحكم والمتشابه: للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه عن الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على عليه السلام انه قال: ان الله تبارك وتعالى لما بعث محمداً صلى الله عليه وآله أمره فى بدو أمره أن يدعو بالدعوة فقط، وأنزل عليه: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولانطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله كيلاً» الاحزاب: (٤٥ - ٤٨) فبعثه الله تعالى بالدعوة فقط، وأمره بأن لا يؤذيههم فلما أرادوا وهموا به من بيته (تبييته خ) أمره الله تعالى بالهجرة وفرض عليه القتال فقال سبحانه: «اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير» فلما امر الناس بالحرب جزعوا وخافوا فأنزل الله تعالى: «ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - إلى قوله سبحانه - أينما تكونوا يدر ككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة» فنسخت آية القتال آية الكف .

وفى الجامع لاحكام القرآن: فى قوله تعالى: «ودع أذاهم» أى دع أن تؤذيههم مجازاة على إذايتهم إياك، فأمره تبارك وتعالى بترك معاقبتهم، والصفح

عن زلهم، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين: وناسخه آية السيف.

وفيه معنى ثان: أى أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك، ولا تشتغل به، فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل. وهذا تأويل مجاهد، والآية منسوخة بآية السيف.

وقيل: ان صدر هذه الصورة بصدد تشريع القتال، وان الآية نزلت بعد تشريع القتال لما صدرت السورة عن وقعة الاحزاب.

أقول: ولعل الآية تنويه بسمه نبوية مثلي، تجعل من الداعية وسطاً لا إنديما جاذباً مع العامة، ولا إصطداماً عنيفاً هذا اذا كان «أذى» مضافاً إلى المفعول به، وأما إذا كان مضافاً إلى الفاعل فيصير معناها: «لأنجاملهم فى مداهنة، ولا تهتم بدسائسهم الخبيثة بعد ما ذهب رونقهم وإنكسرت شوكتهم، فلا تجعل بموقفهم المتدهور، ولانبال بشأنهم الخافت بعد ذلك».

قال ابن حزم: ان قوله تعالى: «لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تتبدل بهن من أزواج ..» (الاحزاب: ٥٢) منسوخ بآية قبلها، وهى قوله تعالى: «إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت اجورهن»: (٥٠) وقالت عائشة: لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحل الله تعالى له أن يتزوج من النساء ماشاء. وقد اضطربت كلمات المفسرين فى المقام اضطراباً شديداً جداً حتى جعل بعضهم آية: (٥٢) ناسخة لآية: (٥٠) وبعضهم بالعكس.

أقول: ومن المحتمل أن يكون المعنى: انه لا يحل للنبي ﷺ أن يتزوج بعد نزول هذه الآية من آية إمراة اخرى .. بل يقف عند هذا الحد .. أما ما ملكت، أو تملك يمينه بعد هذا من نساء فهن حل له على الاطلاق. وعلى هذا فلانسخ. وذلك لما يأتى:

أولاً: هذا الامر للنبي ﷺ بالوقوف عند هذا الحد من التزوج بالنساء،

هو في الواقع تخفيف عن النبي ﷺ ، و رفع للحرج الذى يجده من حمل نفسه على التزوج ممن يهين أنفسهن له ، وهن كثيرات طامعات فى رضا الله تعالى بالقرب من الرسول ﷺ والعمل على مرضاته . . و كذلك الشأن فيمن هن قريبات له ، وتعرض لهن ظروف قاسية ، تدعو النبي ﷺ إلى موساتهن بضمهن إليه كمن يستشهد أزواجهن فى سبيل الله . . ومن غير ترديد ان هذا تخفيف عن النبي ﷺ ودفع للحرج بهذا الامر السماوى الذى لا يجعل له سبيلاً إلى التزوج بمن تهب نفسها له ، أو بمن تدعو الحال بضمها إليه ، وتزوجه منها ، من بنات عمه أو بنات عماته ، أو بنات خاله أو بنات خالاته . .

وثانياً : فى الابقاء على حل ما ملك أو يملك النبي ﷺ من إماء هو أيضاً من باب التخفيف و دفع الحرج عن النبي ﷺ وذلك لان مؤونة الاماء أخف إذ ليس لهن ما للحرائر الزوجات من حقوق تقابل ما للرجال عليهن من واجبات . .

وثالثاً : وعلى هذا يكون ما جاء فى قوله تعالى : « يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك . . » الآية هو إقرار الامر الواقع ، و وصف كاشف للحياة الزوجية فى بيت الرسول ﷺ وما ضم من تلك الاصناف الاربعة التى ذكرتها الآية من اصناف النساء . . ويكون قوله تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك » أمراً للنبي ﷺ بالوقوف عند من تزوج بهن إلى وقت نزول هذه الآية ، وان النبي ﷺ ليس له أن يتزوج أية امرأة اخرى غير اللاتي كن معه ﷺ أو ما ملكت أو تملك يمينه على أصل الاباحة له . .

وأما ما جاء فى قوله تعالى : « وإمرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين » فهو على الاباحة التى تضمنها من أن يتزوج النبي ﷺ من أية امرأة مؤمنة - غير متزوجة - تهب

نفسها للنبي ﷺ ويقبل النبي ﷺ هذه الهبة . . . وذلك الحكم موقوف إلى أن نزل قوله تعالى : «لايحل لك النساء من بعد» فلما نزلت هذه الآية توقف العمل بهذه الرخصة . . . وعلى هذا فلم يكن للنبي ﷺ أن يتزوج من أية مؤمنة غير متزوجة تهب نفسها للنبي ﷺ بعد نزول هذه الآية . وليس هذا من النسخ كما يبدو في ظاهره ولكنه إنهاء لحكم رخصة موقوتة جاء قوله تعالى : «لايحل لك النساء من بعد» محدداً نهاية هذا الوقت . . . وهذا يعني انه قد كان بين نزول الآيتين فسحة من الوقت ، بحيث كان من المؤمنات غير المتزوجات من وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقبل منهن من قبل .

فلاناسخ بين الآيتين ، بل الآية الاولى ظلت عاملة إلى أن نزلت الآية الثانية ، فأقرت الاوضاع التي إنتهى إليها بيت النبوة ، وما ضم عليه من أزواج النبي ﷺ وبقيت الآيتان تمثلان دورين من أدوار التشريع للنبي ﷺ خاصة من حياته الزوجية . . . وهذا الدوران يسبقهما دور ثالث ، وهو الاباحة المطلقة للنبي ﷺ بالتزوج ممن يشاء من النساء بأي عدد شاء منهن . . .

وعلى هذا فكانت مراحل التشريع للحياة الزوجية للنبي ﷺ ثلاثاً :
المرحلة الاولى: الحل المطلق في الزواج من أية امرأة مؤمنة يحل زواجها في الشريعة الاسلامية دون قيد بعدد . . .

المرحلة الثانية فيما يتقرر:

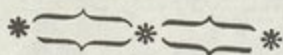
أولاً : الوقوف بالعدد من الزوجات عند الحد الذي كان موجوداً عند نزول الآية وهو تسع نساء . . .

وثانياً : إن أراد النبي أن يتزوج على من عنده من النساء فلايجوز له أن يتزوج من غير صنفين من النساء : بنات عمه أو بنات عماته ، وبنات خاله أو بنات خالاته . . . ثم من أي امرأة مؤمنة غير متزوجة تهب نفسها للنبي ﷺ وهذا صنف جديد جاءت بحله هذه الآية خاصاً بالنبي ﷺ .

المرحلة الثالثة: وفيها تستقر الاوضاع للحياة الزوجية في بيت النبوة ، فلا يدخل عليها جديد من النساء ، ولا يخرج منها أحد ممن هن فيها . . .

وأما الجمع بين الآيتين وبين الروايات الآتية في المقام فيمكن أن يكون مفاد الآيتين : ان الله تعالى أحل لنبيه ﷺ أن ينكح من النساء ما أراد على أى وجه شاء ولو كان على وجه الاستبدال بالنساء التي كانت تحته ﷺ لا النساء التي حرمن عليه ﷺ بأعيانهن كما في قوله تعالى : « حرمت عليكم امهاتكم وبنائكم . . . » النساء : ٢٢) أو المعوض عنهن المتبدل بهن كما في قوله تعالى : « ولا أن تبدل بهن من أزواج » فيكون بتمامها من المحكمات دون المنسوخات. ويؤيده التشبيه بالمحرمات في الظهار فانه سبب للتحريم فيجوز أن يكون التعويض عنهن أيضاً له سبباً . وهذا لعدم طرح الاخبار بالجرح والتعديل .

وأما المتشابهة: فلم أجد كلاماً يدل على أن في هذه السورة آية متشابهة فأياتها محكمات والله تعالى هو أعلم .



﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١ - (يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

في الخطاب أقوال : ١ - قيل : خطاب للنبي الكريم ﷺ فقط ، وفيه تمهيد للنهي عن إطاعة الكافرين والمنافقين ، إذ كان الكافرون يسئلونه ﷺ أمراً لا يرتضيه الله تعالى ، و كان المنافقون يؤيدونهم في مسألتهم ، و يلحون في إستجابته ﷺ و قد كان الله تعالى بعلمه و حكمته قضى بخلافه . ٢ - قيل : خطاب للمؤمنين و تنبيه لدعاة الدين و هذا من باب « إياك أعني و اسمعي يا جاره » و هو المراد . ٣ - قيل : اريد به العموم .

أقول : والاول هو المؤيد بسياق السورة نفسها، وخاصة قصة الظهار والتبني الدارجين في الجاهلية ، و جاءت السورة بتنسيخهما . و أما الرواية فمن باب الجري والانطباق .

و في قوله تعالى : « اتق الله » أقوال : ١ - قيل : هذا من باب التأكيد عليه ﷺ في الطاعة والاقنياد . والمعنى : إتق الله جل وعلا بطاعتك إياه وأداء فرائضه ، و واجب حقوقه عليك ، والانتهاء عن محارمه و إنتهاك حدوده . . . ٢ - قيل : هذا تحذير عما طلب منه ﷺ أبو سفيان في كفّ سبّ الاصنام التي تعبدها قريش ، و كان مع أبي سفيان أذنبه من الكافرين ، و كان المنافقون يؤيدونهم في مسألتهم .

٣ - قيل : فيه أمر برسوله ﷺ ونهى عن المعصية ، وذلك من الأعلى للمأدنى حائز ولو كان الأدنى معصوماً . وفيه درس ثمين لأصحاب الجاه والسلطان ، و انهم مهما بلغوا من السمو والرفعة ، فليسوا فوق أن يؤمروا بالعدل والتقوى حيث أمر رسول الله ﷺ بالتقوى .

٤ - قيل : ان بعض المسلمين هموا بقتل الكافرين الذين قدموا المدينة بأمان ، فقال الله تعالى : اتق الله في نقض العهد . ٥ - قيل : أى واظب على ما أنت عليه من التقوى و أثبت عليه . ٦ - قيل : أى اتق الله في إجابة المشركين إلى ما التمسوه ودم على حذرك منهم و إعراضك عنهم .

أقول: والآخر هو المؤيد بما ورد في النزول من غير تناف بينه و بين بعض الأقوال الأخر .

و فى قوله تعالى : « ولا تطع الكافرين والمنافقين » أقوال : ١- قيل أى و لا تطع الكافرين الذين يقولون لك : اطرده عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك و لا تطع المنافقين الذين يظهرون لك الايمان بالله والنصيحة لك ، و يضمرون الكفر ، و هم لا يألونك و أصحابك و دينك خبالاً ، فلا تقبل منهم رأياً و لا تستشرهم فانهم كيفما لك أعداء لن يحبوك أبداً ، و إن ظهروا لك المودة و ادعوا لك .

٢- قيل: أى لاتساعد الكافرين من أهل مكة و هم أبو سفيان بن الحرب ، وعكرمة بن أبى جهل ، و أبو الأعور السلمى قدموا على النبي ﷺ فى المواعدة التى كانت بينه و بينهم ، فطلبوا منه ﷺ إن قالوا : إرفض ذكر آل هتتنا اللات والعزى و مناة بدون سب ، و دع عقائدنا و آدابنا بدون تسفيه ، و دعنا و شأننا من غير تجهيل . و قل : ان لتلك الآلهة شفاعة و منعة لمن عبدها و ندعك و ربك . و لا تطع المنافقين من أهل المدينة و هم عبدالله ابى ، و طعمة ، و عبدالله بن سعد ، و معتب بن قشير ، و الجد ابن قيس ، فهم كانوا يؤيدون أهل مكة . فلا

تمل إليهم .

٣ - قيل: أى لاتطع الكافرين من أهل مكة فيما طلبوا منك من أن ترجع عن دينك و دعوتك الناس إلى الله تعالى وحده فيعطوك شطراً من أموالهم ويزوجوك بنت شيبه بن ربيعة ، و لا تطع المنافقين فيما يخوفونك : انهم يقتلونك إن لم ترجع . ٤ - قيل : أى لا تطع الكافرين و هم يهود بنى قريظة والنضير وغيرهم و لا المنافقين الذين يلينون لهم جانبهم ، و يكرمون صغيرهم و كبيرهم . ٥ - عن ابن عباس : ان أهل مكة و منهم الوليد بن المغيرة و شيبه بن ربيعة دعوا النبي ﷺ أن يرجع عن قوله: على أن يعطوه شطراً من أموالهم ، و خوفه المنافقون و اليهود بالمدينة إن لم يرجع قتلوه . ٦ - قيل : جاء وفد من ثقيف ، و طلبوا من النبي ﷺ أن يمتعهم باللات والعزى سنة حتى تعلم قريش منزلة ثقيف عنده ﷺ .

٧ - قيل : ان الآية بصدد مراجعة فريق آخر من الكفار و المنافقين في صدد التساهل في بعض الشؤون . ٨ - قيل : أى لاتطع الكافرين و المنافقين فيما يخالف شريعتك . ٩ - قيل : ان الآية مقدمة للآيات التالية التى فيها حملة على بعض التقاليد و الرسوم الجاهلية الراسخة ، و أمر بالغائها على سبيل التثبيت و التشجيع و التنبيه على وجوب تنفيذ وحي الله تعالى و أمره ، و عدم المبالاة باعترض الكفار و المنافقين .

أقول: و الاخير هو الانسب بظاهر السياق مع عدم التنافى بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

و فى قوله تعالى : « ان الله كان عليماً حكيماً » أقوال : ١ - قيل : أى ان الله كان عليماً بخبث أعمالهم و نياتهم ، حكيماً فى تأخير الامر بقتالهم . ٢ - قيل : أى ان الله كان عليماً بكفرهم ، حكيماً فيما يفعل بهم . ٣ - قيل : ان الله كان عليماً بما تميل إليهم إستدعاء لهم إلى الاسلام . أى لو علم الله تعالى أن

مهلك إليهم فيه منفعة لما نهاك عنه لانه حكيم .

٤ - قيل : أى ان الله كان عليما بما تضره نفوسهم ، و ما الذى يقصدون فى إظهارهم لك النصيحة مع الذى ينطون لك عليه ، حكيماً فى تدبير أمرك و أمر أصحابك ، و فى تدبير دينك و خلقه .

٥ - قيل: أى ان الله كان عليماً بالصواب ، حكيماً فيما أمرك به من التقوى و ما نهاك عنه من إطاعة الكافرين والمنافقين و إتباع آرائهم و أهوائهم . . .

٦ - قيل : أى انه كان عليماً بعواقب الامور . . . حكيماً فى أقواله وأفعاله و تدبير شئون خلقه ، فهو أحق أن تتبع أوامره و تطاع . ٧ - قيل : أى ان الله كان عليماً بما يكون قبل كونه ، حكيماً فيما يخلقه .

٨ - قيل : أى عليماً فبعلمه كشف هذا الخطر الذى يتهدد النبى ﷺ من إستجابته للكافرين والمنافقين إلى ما يدعونه إليه من أن يعبد ما يعبدونه ، و أن يعبدواهم ما يعبده ، حكيماً ، فبحكمته أمر بتجنب الخطر قبل الوقوع فيه ، فان توفى الداء خيراً و أسلم من علاجه .

أقول: والخامس هو الانسب بسياق التعليل و قريب منه الثالث .

٤ - (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه و ما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم و ما جعل أديعائكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

فى قوله تعالى : « ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه » أقوال: ١ - قيل: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق ، إذ وصفوا رسول الله ﷺ بأنه ذو قلبين فردهم الله تعالى ذلك عن نبيه ﷺ و كذبهم كما عن ابن عباس انه قال : قام رسول الله ﷺ يوماً فصلّى فخطر خطرة أى سهو سهواً فقال المنافقون الذين يصلون معه ﷺ : ان له قلبين : قلباً معكم و قلباً معهم . فأنزل الله تعالى هذه الآية . و قيل : سهو النبى ﷺ فى صلاته ، فقالت اليهود و أهل النفاق :

لمحمد قلبان : قلب مع أصحابه و قلب معكم .

٢- قيل: ان الجملة تتصل بما قبلها فتكون كالتعليق لقوله تعالى: « لا تطع الكافرين والمنافقين » و « و اتبع ما يوحى إليك من ربك » و « توكل على الله و كفى بالله وكيلاً » على أن طاعة الله تعالى و إتباع وحيه و ولايته، و طاعة الكفار والمنافقين و الثقة بهم و ولايتهم متنافيتان متباينتان : كالإيمان والكفر، و التوحيد والشرك ، و الاهتداء والضلالة لا يجتمعان فى القلب الواحد ، كما لا يجتمع خوف من الله تعالى و خوف من سواه فى قلب واحد ، و ليس الانسان قلبان حتى يطيع بأحدهما و يعصى بالآخر و إذا لم يكن للمرء إلا قلب واحد ، فمتى اتجه لاحد الشئيين صدّ عن الآخر فطاعة الله تعالى تصد عن طاعة عدوه . فلا يجتمع فى كيان انسان ولاء لله تعالى و ولاء لاعداء الله ، فذلك من شأنه أن يفسد الامرين معاً لانه جمع بين النقيضين ، فاما ولاء لله تعالى و إما ولاء لعدوه و فى هذا قال عيسى بن مريم : « لا يقدر أحد أن يخدم سيدين لانه إما أن يبغض الواحد و يحب الآخر او يلازم الواحد و يحتقر الآخر » .

قيل : ان المراد من القلب هو النفس ، و لكل إنسان نفس واحدة و بها شخصيته فان تعدد الشخصية بتعدد النفس ، و ليس للانسان إلا نفس واحدة .
وقيل: ان القلبين لرجل واحد يوجب فساد نظام الجسد، إذ يقوم فى كيانه قوتان ، تعمل فيه كل قوة عمل الاخرى ، و من هنا تعمل كل منهما على إجلاء الاخرى من مكانها فيقع الجسد نهياً لهذا الصراع بينهما ، إذ كل منهما تريد أن يكون لها السلطان عليه فاذا لا ينتظم أمر الرجل الواحد مع القلبين ، فكيف تنتظم امور العالم و له إلهان معبودان .

٣- عن أبى مسلم : ان هذا ردّ على المنافقين الذين يظهر و ان الإيمان و يبطنون الكفر والمعنى : ليس لاحد قلبان يؤمن بأحدهما و يكفر بالآخر ، و إنما هو قلب واحد ، فاما أن يؤمن و إما أن يكفر فان النفس الواحدة لاتسع

إعتقادين متناقضين و رأيين متناقضين .

٤ - عن ابن عباس أيضاً و مجاهد و قتادة : كان رجل من قريش يسمى من دهائه أى من عقلائه ذا القلبين ، فأنزل الله تعالى هذا في شأنه ، و هو رجل من بنى فهر و كان يقول : ان فى جو فى قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد ﷺ . ٥ - عن الزهرى : عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله ﷺ كان تبتاه فضرب الله تعالى بذلك مثلاً ، فكأنه تعالى قال : يا أيها النبى اتق الله حق تقاته و هو أن يكون فى قلبك تقوى غير الله فان المرء ليس له قلبان حتى يتقى بأحدهما الله تعالى و بالآخر غيره كما جاء فى قصة زيد : « و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه » فلم يكن لخوفك من الناس وجه فى أمر زيد ، ولو كان أمراً مخوفاً ما كان يجوز أن تخاف غير الله إذ ليس لك قلبان فى الجوف . و قيل : ان الجملة توطئة لما يتلوها من إلغاء أمر الظهار والتبني ، فان فى الظهار جعل الزوجة بمنزلة الام و فى التبني جعل ولد الغير ولداً لنفسه ، و الجمع بين الزوجية و الامومة و كذا الجمع بين بنوة الغير و بنوة نفسه جمع بين المتناقضين ولا يجتمعان إلا فى قلبين و ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه . ٥ - قيل : كان أبو معمر رجلاً من أحفظ العرب و كان يقال له ذو القلبين .

وقيل : هو جميل بن معمر الفهرى و كان رجلاً حافظاً لما يسمع فقالت قريش : ما يحفظ هذه الاشياء إلا وله قلبان . و كان يقول : لى قلبان أعقل بهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم المشركون يوم بدر ، و معهم جميل بن معمر رآه أبوسفیان فى العير و هو معلق إحدى نعليه فى يده و الاخرى فى رجله ، فقال أبوسفیان : ما حال الناس ؟ قال : إنهمزوا .

قال : فما بال إحدى نعليك فى يدك و الاخرى فى رجلك ؟ قال : ما شعرت إلا أنهما فى رجلى ، فمرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده ، فأكذب الله قولهما و ضربه مثلاً فى الظهار والتبني ، و فى الآية رد على من قال

لزوجته : أنت على كظهرامى . و ردّ على المتنبيين بأن لا يمكن أن يكون الزوج زوجاً لزوجته و إبناً لها . ولا يمكن أن يكون شخص واحد إبناً لرجل و إبناً لرجل آخر .

٦- عن الحسن و عكرمة : نزلت فيمن يقول : ان لى نفسين : نفس تأمرنى و نفس تنهىنى .

أقول: والانساب هو الثانى من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخرى .

٥- (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم و ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

فى «مواليكم» أقوال: ١- قيل : أى بنو أعمامكم . ٢- قيل: أى أولياءكم مع جماعة المؤمنين فى الدين فى وجوب النصرة . عن الزجاج . ٣- قيل : أى معتقوكم ومحرروكم إذا اعتقتموهم من رق ، فلكم ولاءهم ، فقولوا: فلان مولا فلان ولهذا قيل لسالم بعد نزول الاية : مولى حذيفة . وكان قد تبناه من قبل . وذلك حيث كان من الجارى عند العرب قبل الاسلام أن يطلب شخص أو عشيرة أو قبيلة من العرب أن يلتحق بشخص أو عشيرة أو قبيلة اخرى بقصد الحماية والاستنصار ، فاذا قبل ذلك الملحق به أعلنه على الملأ حتى يعرف الناس ، وحينئذ يدعى مولى الشخص الملحق به إذا كان فرداً أو موالى القبيلة الملحق بها إذا كانوا جماعة ، ويسمى ذلك مولى ولاء أو موالى ولاء ، و يصبح المولى أو الموالى من عصبية الملحق به الاجتماعية لهم مالهم و عليهم ما عليهم حتى انهم كانوا يتوارثون .

و ما يصادفه قارىء الكتب العربية القديمة من تعابير فلان مولى فلان أو مولى بنى فلان أو القبيلة الفلانية موالى القبيلة الفلانية هو من هذا الباب . و من هنا جاء إطلاق تعبير (موالى) على المسلمين من غير العرب ، فكأنهم

يدخلهم الاسلام قد إلتحقوا بالعرب و اندمجوا فى عصبياهم . و كلمة «مولى» تطلق كذلك على المملوك ولكن تقاليد الولاء الذى ذكرناه ليس من ذلك . و ان الآية تعنى : انه إذا لم يعرف آباء الابناء بالتبني فهم إخوان المسلمين فى الدين و موالهم ، لهم مالهم و عليهم ما عليهم إستمداداً من العرف الجارى فى دلالة التعبير .

أقول: و على الثانى جمهور المفسرين و قريب منه الثالث .

٦- (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى اولياءكم معروفاً ذلك كان فى الكتاب مستظوراً)

فى قوله تعالى : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » أقوال : ١ - عن ابن زيد : أى ان النبى ﷺ أحق بتدبيرهم ، و حكمه أنفذ عليهم من حكمهم على أنفسهم لوجوب طاعته ﷺ التى هى مقرونة بطاعة الله تعالى : « أطيعوا الله و أطيعوا الرسول » النساء : ٥٩ .

و قد أرسل الله تعالى رسوله ليطاع إذ قال : « وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع باذن الله » النساء : ٦٤) كما أنت أولى بعبدك ما قضيت فيه من أمر جائز .

٢- عن ابن عباس وعطاء : أى ان النبى ﷺ أولى بالمؤمنين فى الدعوة ، فاذا دعاهم الرسول ﷺ إلى شىء و دعتهم أنفسهم إلى شىء آخر كانت إطاعته ﷺ أولى من طاعة أنفسهم . و قال مجاهد والحسن و قتادة : ان كل نبى أب لامته من حيث انه أصل فيما به حياتهم الابدية و لذلك صار المؤمنون اخوة .

٣- قيل : هذا مثل لاجتهاد النبى ﷺ فى نجاته من هلكات الكفر والجهل والضلالة والظغيان إلى الايمان والعلم والهدى والطاعة . فالنبى ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم لان أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك و هو ﷺ يدعوهم إلى النجاة لقوله ﷺ : « أنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمون فيها تفحمتم »

الفراش» وقيل: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم لأنه ﷺ رأسهم و رئيسهم ،
فدفع حاجته والاعتناء بشأنه أهم كما ان رعاية العضو الرئيس و حفظ صحته
وإزالة مرضه أولى. وإلى هذا أشار النبي ﷺ بقوله: «إبدأ بنفسك ثم بمن تعول» .
٤ - قيل : يعلم من إطلاق الجملة : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم »

في كل شيء من أمور الدنيا والدين . فولاية النبي وولاية عامة تشمل رسم منهاج
الحياة بحذافيرها ، وأمر المؤمنين فيها إلى الرسول ﷺ ليس لهم أن يختاروا
إلا ما اختاره لهم بوحي من ربه . لما ورد : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه
تبعاً لما جئت به » و تشمل الولاية العامة كذلك التزاماتهم . . . لما ورد : « ما
من مؤمن إلا و أنا أولى الناس به في الدنيا والاخرة إقرؤا إن شئتم : « النبي
أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فأيا مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا ، و إن
ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه » أي انه ﷺ يؤدي عنه دينه إن مات
و ليس له مال يفي بدينه ، و يعول عياله من بعده إن كانوا صغاراً .

فكلما يراه المؤمنون لأنفسهم من الحفظ والكلاءة والمحبة والكرامة
و إستجابة الدعوة و إنفاذ الحكم والارادة فالنبي ﷺ أولى بذلك من أنفسهم ،
و كذلك إذا توجه شيء من المخاطر إلى نفس النبي ﷺ فليقه المؤمنون
بأنفسهم و يقدون أنفسهم لديه ، وليكن النبي ﷺ أحب إليهم من أنفسهم وأكرم
عندهم من أنفسهم ، فلو دعتهم أنفسهم إلى شيء و دعا النبي ﷺ إلى خلافه أو
أرادت أنفسهم منهم شيئاً و أراد النبي ﷺ خلافه كان المتعين إستجابة النبي
ﷺ وطاعته و تقديمه على أنفسهم .

٥ - قيل: ان «أولى» بمعنى أرف و أعطف ، والمعنى: النبي أشفق وأرأف
بأمته من أنفسهم إذ لا يأمرهم إلا بما فيه خيرهم وصلاحهم وسعادتهم ، ولا ينهاهم
إلا عما فيه شرهم وفسادهم و شقائهم في الدنيا والاخرة و أما النفس فانها أماراة
بالسوء لا تقدم المصالح على المفاسد ، ولا المنافع على المضار ، والنبي ﷺ

يقدمها و يؤخرها ، فهو أرف بالمؤمنين من أنفسهم لقوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » (التوبة : ١٢٨) فالنبي ﷺ أشد ولاية و نصرة و نصحة لهم من أنفسهم ، و مما يلزم ذلك أن يكون حكمه نافذاً فيهم ، مقدماً على ما يختارونه لانفسهم كما قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » (النساء : ٦٥) فولايته ﷺ على المؤمنين فوق ولاية بعضهم على بعض المدلول عليه بقوله جل و علا : « المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض » (التوبة : ٧١) .

أقول: والرابع هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

و في قوله تعالى : « اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » أقوال:

١ - عن ابن زيد و قتادة : أى اولوا الارحام الذين يرث بعضهم من بعض هم أولى بميراث بعض من المؤمنين و المهاجرين أن يرث بعضهم بعضاً بالهجرة و الايمان دون الرحم . و ذلك الحكم ثابت في القرآن الكريم . فالأقارب أولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية الدينية و من المهاجرين بحق الهجرة . هذا بناء على أن « من المؤمنين » متعلق بـ « أولى » . ٢ - عن قتادة أيضاً : أى مكتوب عند الله تعالى ألا يرث كافر مسلماً .

٣ - قيل : أى الأقارب من هؤلاء بعضهم أولى بأن يرث بعضاً من الأجانب . و هذا بناء على أن « من المؤمنين » متعلق بـ « اولوا الارحام » و هذا الحكم ثابت في اللوح المحفوظ . و عن القرظي : أى ثابت في التوراة . وقيل : في الكتب السماوية النازلة على الانبياء . و قيل : أى في هذه السورة . و قيل : أى فيما فرض عليكم . فالكتاب : الفرض كقوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » . ٤ - قيل : أى الاقارب أحق من الأجانب في كل نفع من ميراث و هبة و هدية و صدقة و غير ذلك ...

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

و في قوله تعالى : « الا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً » أقوال : ١- عن قتادة والحسن والسدى وعطاء : أى إلا أن تفعلوا إلى إخوانكم فى الدين إحساناً فى الحياة و وصية عند الموت بشىء من التركة .

٢- عن قتادة أيضاً و محمد بن الحنفية و عكرمة : أى إلا أن توصوا لذوى قرابتكم من غير أهل الايمان والهجرة ، إذ لاميراث لأهل الشرك من المؤمنين ولكن الوصية لذوى القرابات من المشركين فتجوز . و قيل : هذا لا يصح لانه تعالى نهى عن ذلك بقوله : « لا تتخذوا عدوى و عدوكم أولياء » وقد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابة الكافرة . و أجاز بعضهم للموالدين والولد فقط .

٣- عن مجاهد: أى إلا أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحق الايمان والهجرة والحلف فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم . ٤- عن ابن زيد : أى إلا أن توصوا إلى أولياءكم من المهاجرين وصية إذ كان النبى ﷺ أخى بينهم . وذلك لما نسخ التوارث بالمؤاخاة والهجرة أباح الوصية ، فيوصى لمن يتولاه بما أحب من الثلث فمعنى المعروف هنا الثلث . والمعنى: إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولى أرحام منكم ثلثاً من المهاجرين والانصار . ٥- قيل : أى لكن إن فعلتم إلى أولياءكم المؤمنين و خلفائكم ما يعرف حسنه و صوابه فهو حسن . فالمعروف هو الثلث و ما دونه حدّهما الشرع و ليس للموالى ميراث .
أقول: والاخير هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

و في قوله تعالى : « كان ذلك فى الكتاب مسطوراً » أقوال : ١- قيل : أى كان فى اللوح المحفوظ ألا يرث المشرك المؤمن و لو كان من أقاربه . ٢- قيل : أى كان نسخ الميراث بالهجرة والمؤاخاة الدينية ، و رده إلى اولى الارحام من القرابات مكتوباً فى القرآن الكريم . ٣- قيل : أى كان حكم فعل المعروف بالوصية مكتوباً فى هذه السورة . ٤- قيل : أى كان كل ذلك : من كون النبى

﴿الذين آمنوا﴾ أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وكون الأقارب المؤمنين أولى في الميراث من غيرهم ، و جواز فعل المعروف بالوصية مكتوباً في هذا الكتاب الكريم .
أقول: والآخر غير بعيد وإن كان الثالث هو الأقرب بالاشارة .

٧ - (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و من نوح و ابراهيم وموسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

في قوله تعالى : « واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » أقوال: ١ - عن قتادة :
أى أخذنا من النبيين خصوصاً ميثاقهم بأن يصدق بعضهم بعضاً ، ويتبع بعضهم بعضاً .
٢ - قيل : أى أخذنا منهم ميثاقهم على وحدة الكلمة في الدين و عدم الاختلاف فيه كما في قوله تعالى : « ان هذه امتكم امة واحدة و أنا ربكم فاعبدون » الانبياء : ٩٢) و قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذى أوحينا إليك و ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه » الشورى : ١٣) .

٣ - عن مقاتل : أى أخذنا من النبيين ميثاقهم على أن يعبدوا الله تعالى وحده و أن يدعوا الناس إلى عبادة الله تعالى و أن يصدق بعضهم بعضاً و أن ينصحوا لقومهم . لقوله تعالى : « و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون » الانبياء : ٢٥) .

أقول: و لكل وجه من غير تناف بينها .

و في قوله تعالى : « و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً » أقوال: ١ - عن قتادة :
أى ميثاقاً واحداً ، منهجاً واحداً ، أمانة واحدة يتسلمها كل منهم حتى يسلمها .
و في التكرار تأكيد و تغليظ للميثاق المذكور سابقاً . و المعنى : و أخذنا من النبيين عهداً و ثيقاً عظيماً على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالة ، و أن يعبدوا الله تعالى وحده ، و أن يبشروا بعضهم ببعض ، و يصدق بعضهم بعضاً .

٢ - قيل: اريد بالميثاق الاول الاقرار بالربوبية لله تعالى ، و بالثاني الاقرار

بالنبوة لمحمد ﷺ وبالامامة للائمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين. ٣- قيل: اريد بالميثاق الغليظ اليمين بالله تعالى على الوفاء بما حملوا فلا إعادة لاختلاف الميثاقين. ٤- قيل: اريد بالميثاق الاول اليمين بالله تعالى، والثاني تأكيد للميثاق الاول باليمين.

أقول: والثاني هو المروي.

٨- (ليسئل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً)

في قوله تعالى: « ليسئل الصادقين عن صدقهم » أقوال: ١- عن مجاهد: أى ليسئل الله تعالى الانبياء ما الذى أجابتهم به امهم، و ما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من رسالة. كما فى قوله تعالى: « يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم » المائدة: ١٠٩).

٢- قيل: أى ليسئل الله تعالى المصدقين للانبياء عن تصديقهم و ايمانهم بهم، إذ من قال للصادق: صدقت كان صادقاً فى قوله، فالؤمنون يسئلون عند وقوف الأشهاد عن صدقهم، صدقوا عهدهم و وفوا به، ويشهد لهم الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين. ٤- قيل: أى ليسئل الانبياء ﷺ يوم القيامة الذين صدقوا عهدهم فآمنوا بهم وعملوا ما قالوه لهم. ٥- قيل: أى ليسئل الله تعالى يوم القيامة الصادقين فى أقوالهم عن صدقهم فى أفعالهم فى الحياة الدنيا. ٦- قيل: أى ليسئل الله تعالى يوم القيامة الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله تعالى أو غيره؟ فيكون فيه تهديد للكاذبين.

٧- قيل: أى ليسئل الله تعالى الانبياء ﷺ عن الوفاء بالميثاق الذى أخذه عليهم وعن تبليغهم الرسالة ويسئل الله تعالى امهم عن الذين ارسلوا إليهم من الانبياء وما بلغوا رسالات الله إليهم. فاذا يسئل الله تعالى الافواه الصادقة عن القلوب المخلصة فكيف من سواهم؟ قال رسول الله ﷺ: كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته.

٨- قيل: هذا تبكيت للذين كفروا بالانبياء ﷺ وإثبات الحججة عليهم، وفائدة

سئوهم توبيخ الكفار كما قال تعالى: «أأنت قلت للناس» ٩ - قيل: أى ليستل الله تعالى الصادقين فى توحيد الله و عدله و الشرائع عن صدقهم أى عما كانوا يقولونه فيه سبحانه فيقال لهم: هل ظلم الله سبحانه أحداً؟ هل جازى كل إنسان بفعله؟ هل عذب أحداً بغير ذنب؟ ونحو ذلك... فيقولون: نعم عدل فى حكمه و جازى كلاً بفعله.

١٠ - قيل: أى ليستل الله تعالى الانبياء ﷺ فى الحياة الدنيا عن صدقهم ما أخذهم منهم فى الذر قبل الدنيا، بأن يطالب منهم فى الدنيا أن يظهر ما فى باطنهم من الصدق فى مرتبة القول والعمل من كلمة التوحيد و توحيد الكلمة والعبادة و صالح الاعمال، و إبلاغ الرسالة و دعوة الناس إلى الله تعالى، فبلغوا رسالاتهم فى الحياة الدنيا، و وفوا بما عاهدوا فى عالم الذر. و هذا هو المستفاد من قوله تعالى: «ليستل الصادقين عن صدقهم».

و ذلك للفرق بين قولك: سئلت الغنى عن غناه، و العالم عن علمه و بين قولك: سئلت زيداً عن ماله أو عن علمه. فان المتبادر من الاولين: انك طالبتهم أن يظهر لك غناه أو علمه، و من الاخيرين: انك طالبتهم أن يخبرك هل له مال أو له علم؟ أو يصف لك ماله من المال أو العلم.

أقول: و على السابع أكثر المفسرين، و لذلك تقدم له بيان فى البيان، ولكن الانسب بظاهر السياق هو الثانى من الاقوال فتدبر و اغتنم جداً.

٩- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

فى «جنود لم تروها» أقوال: ١- قيل: ان الجنود غير المرئية هى المشاعر التى تسلطت على المشركين و إخوانهم اليهود من الخوف و القلق، و من سوء ظن بعضهم ببعض.

٢ - قيل: هى وساوس و خواطر تمشى بها بعض العقلاء بين الجماعات

المتحالفة والاحزاب المتآلفة فأفسدهم بينهم . ٣ - قيل : هي الرعب الذى قذفه الله تعالى فى قلوبهم فانهزموا بلا قتال . ٤ - قيل : هي ملائكة من ملائكة الله تعالى جاءت مع الريح فضاغت من أفاعيلها و بالغت فى آثارها ...
أقول: والآخر هو المروى .

١٥ - (ادجاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

فى قوله تعالى : « إذ زاغت الابصار » أقوال : ١ - عن قتادة : أى عدلت الابصار عن مقرّها ، و شخصت طامحة . ٢ - قيل : أى مالت عن كل شيء ، فلم تنظر إلاّ إلى عدوها مقبلاً من كل جانب ، و دهشاً من فرط الهول ، فالعيون من شدة الخوف تتحرك زائفة يميناً و شمالاً .

٣ - قيل : أى عدلت الأبصار عن مقرّها من الدهش والحيرة ، فانحرفت عن مستوى نظرها كما يكون الجبان فلم يعلم ما يبصر . ٤ - قيل : زيغ البصر كناية عن غاية غشيان الخوف للمسلمين حتى حوّلهم إلى حال المحتضر الذى يزيغ بصره . ٥ - قيل : زيغان الابصار كناية عن الكرب الذى دخل على المسلمين حتى اضطرب لذلك تفكيرهم ، وغابت وجوه الرأى عنهم فلم يتبينوا ماذا يأخذون أو يدعون من أمرهم .

أقول: و لكل وجه ، والمآل واحد .

و فى قوله تعالى : « بلغت القلوب الحناجر » أقوال : ١ - عن الفراء و ابن عباس: هذا مبالغة على إضمار « كاد » أى كاد تبلغ القلوب الحناجر . و ذلك لان الرئة تنفتح عند شدة الخوف ، فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة مثلاً ولهذا يقال للجبان : إنفتح سحره . والسحر : الرئة . ٢ - قيل : هذا مثل ضرب فى شدة الخوف والرعب ببلوغ القلوب الحناجر ، وإن لم تنزل عن أماكنها مع بقاء الحياة . والمعنى : فرغت القلوب فرعاً شديداً . ٣ - عن قتادة : أى زالت عن

أما كنهها من الصدور حتى بلغت الحلاقيم ، ولولا ان الحلقوم ضاقت عنها لخرجت .
 ٤ - قيل : اريد ببلوغ القلوب الحناجر الحقيقة لان القلب عند الخوف
 يجتمع فيقلص و يلتصق بالحنجرة و قد يفضى إلى سدّ مخرج النفس فيموت .
 ٥ - عن عكرمة : أى بلغ فزعها . على أن القلوب يشتد خفقانها حتى كأنها
 ترتفع من مكانها إلى الحناجر ، و إن لم يبلغها فى الحقيقة .

أقول: و على الأخير أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « تظنون بالله الظنوننا » أقوال : ١ - عن الحسن : أى
 ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون ، و ظن المؤمنون انهم ينصرون ، وسيظهر
 دينه على الدين كله و لو كره المشركون .

٢ - قيل : هذا خطاب للمنافقين ، و ضعاف الايمان و مرضى القلوب ،
 فمنهم من ظن ان رسول الله ﷺ يغلب ، و منهم من ظن ان محمداً ﷺ و
 أصحابه هلكوا ، و منهم من ظن ان ما وعده الله تعالى من النصر لا يكون و كانوا
 يقولون : « ما وعدنا الله و رسوله إلا غروراً » فالظنون كلها كاذبة . والمعنى :
 تذهبون مذاهب فى إساعة ظنكم بالله تعالى .

٣ - قيل : خطاب لمن كان مع رسول الله ﷺ فى أيام الخندق فمنهم
 من ظن بالله تعالى النصر على أعداء الله جل و علا و إن كانوا كثيرين ، و منهم من
 أيس و قنط ، و منهم من ظن ان الكفار يغلبونهم ، و منهم من ظن ان المشركين
 و إخوانهم اليهود يستولون على المدينة ، و منهم من ظن ان الجاهلية ستعود
 كما كانت ، و منهم من ظن ان ما وعد الله و رسوله من نصره الدين و ظهوره على
 الدين كله ، و أهله على الكفار غرور ، فأقسام الظنون كثيرة خصوصاً ظن
 الجبناء و المنافقين .

أقول: و الاخير هو الانسب بظاهر السياق .

١١ - (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً)

في «زلزلوا زلزلاً شديداً» أقوال : ١- عن ابن سلام ومجاهد : أي حرّكوا بالخوف والفتنة تحريكاً شديداً وازعجوا إزعاجاً عظيماً . و ذلك لان الخائف يكون قلقاً مضطرباً لا يستقر على مكانه . ٢- عن الضحاك : هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لم يكن لهم إلا موضع الخندق .

٣- عن الجبائي : انه إضطرابهم عما كانوا عليه ، فمنهم من إضطرب خوفاً على نفسه من القتل ، و منهم من إضطرب في دينه ، و منهم إضطرب في نفس النبي الكريم ﷺ ، و منهم من إضطرب في أمواله و أولاده و دوره . . .

٤- قيل : أي زلزل المنافقون و ضعاف النفوس و مرضى القلوب و اضطربوا إضطراباً شديداً حين رأوا المشركين و اليهود ، و أما المؤمنون المخلصون فكانوا مستقيمين فيما كانوا عليه .

أقول: والآخر هو الظاهر من السياق فتدبر جيداً .

١٢- (واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة و ما هي بعورة ان يريدون الا فراراً)

في قوله تعالى : « و إذ قالت طائفة منهم » أقوال : ١- عن السدي : هم عبدالله بن ابي رأس المنافقين ، و أناباه . ٢- عن مقاتل : هم بنو سالم من المنافقين . ٣- عن يزيد بن رومان : هم أوس بن قيطي والد عرابة بن أوس الذي يقول فيه الشماخ و من وافقه على رأيه .

أقول: كل محتمل إذ ليس لنا دليل يعنى به في تعيين أحدها فالتعميم غير بعيد .

و في قوله تعالى : « و يستأذن فريق منهم » قولان : أحدهما - عن ابن

عباس : هم بنو حارثة ابن الحارث ، و بنو سلمة . ثانيهما - عن يزيد بن رومان : هم أوس بن قيطي عن ملأ من قومه .

أقول: والثاني مردود بنفس قوله فيما تقدم لاختلاف الطائفتين ، فالمتعين

هو قول ابن عباس و عليه أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « ان بيوتنا عورة » أقوال : ١ - عن مجاهد : أى ذات خلل و قصيرة الجدران لا يأمن أصحابها السراق على متاعهم . ٢ - عن قتادة : أى انها معرضة للعدو ، فانها سائبة ضائعة ليست بحصينة و هى مما يلى العدو فلا نأمن على أهلينا ٣ - عن مجاهد أيضا و ابن عباس : أى ليست بحريزة مكشوفة ليست بحصينة ، يخشى عليها . ٤ - عن الحسن : أى خالية من الرجال فهى ممكنة للسراق .
أقول: والثالث هو المؤيد بمفهوم الرواية الآتية .

و فى قوله تعالى : « إن يريدون إلا فراراً » أقوال : ١ - قيل : أى لا يريدون إلا الهرب من القتل . ٢ - قيل : أى لا يريدون إلا الفرار من الدين . ٣ - قيل : أى لا يريدون إلا فراراً من القتال و نصره المؤمنين .
أقول: والاول هو المستفاد من قوله تعالى : « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل » : (١٦) .

١٤ - (و لو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآ توها و ماتلبثوا بها الا يسيراً)

فى قوله تعالى : « و لو دخلت عليهم من أقطارها » قولان : أحدهما - عن قتادة و ابن زيد : أى ولو دخلت عليهم هؤلاء العساكر المتحزبة التى كانوا يفرّون منها من أقطار المدينة و أكنافها . . . ثانيهما - قيل : أى و لو دخلت الأحزاب على هؤلاء المنافقين من جوانب بيوتهم . . .

أقول: و على الاخير أكثر المفسرين و إن كان للاول وجه .

و فى قوله تعالى : « ثم سئلوا الفتنة » أقوال : ١ - عن الضحاك : أى سئلوا القتال فى العصبية لاسرعوا إليه . والمعنى : لو دخل على هؤلاء المنافقين هؤلاء المشركون من نواحي بيوتهم كلها لاجل النهب والسبى ثم عرضوا عليهم الكفر و يقال لهم : كونوا على المسلمين لتساعدوا إليه و ما تعلموا شىء . ٢ - عن ابن

عباس و قتادة و ابن زيد والحسن : أى ثم سئلوا الشرك والارتداد عن الدين لأجابوا إليهما مسرعين .

٣ - قيل : إن الفتنة هي خروجهم من ديارهم ، حيث ان الخروج من الديار أشبه بالفتنة في الدين لان حرمة البيوت عند الاحرار تعدل حرمة النفس والدين .
٤ - قيل : ان المعنى : لو دخلت الاحزاب بيوتهم و أخذوها منهم لرجعوا عن نصرة المؤمنين على أن رجوعهم عنك ليس لحفظ البيوت بل لشدة إشتياقهم إلى الكفر و مقتهم الاسلام .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخر فان المنافقين و ضعاف الايمان هم مجمع الازداد . . .

و فى قوله تعالى : « وما تلبثوا بها إلا يسيراً » أقوال : ١ - عن السدى و الحسن و الفراء : أى و ما تلبثوا بيوتهم بعد إعطاء الكفر و الردة عن الدين إلا قليلاً حتى يهلكوا . ٢ - عن قتادة : أى و ما احتبسوا عن الاجابة إلى الكفر إلا قليلاً ، إذ يجيبون بالشرك مسرعين ، و ذلك لضعف نياتهم و لفرط نفاقهم ، فلو اختلطت بهم الاحزاب لظهروا الكفر .

٣ - قيل : أى و ما تلبثوا بالمدينة ولا بيوتهم إلا يسيراً فيخرجون منها و يسلمونها ليد طالبها منهم دون إمهال و تردد أو تلبث . ٤ - قيل : أى و لم يلبثوا بالفتنة و لم يقيموا عليها - وهى الردة عن الدين و قبول الكفر - إلا قليلاً ثم تزول و تكون العاقبة للمتقين . ٥ - قيل : أى لا يقاومون ذلك الطلب إلا مقاومة خفيفة و ظاهرة .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

١٥ - (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأديار و كان عهد الله مستوثاً)

فى العهد والمعاهدين أقوال : ١ - قيل : هم هؤلاء الباقون فى بيوتهم الذين عاهدوا الله من قبل غزوة الخندق أن لا يرتدوا عن الاسلام و لا يرجعوا إلى الكفر

والضلالة . قيل : العهد هو بيعتهم بالايمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وبما جاء بهم .

٢- قيل : هم هؤلاء المعتذرون الذين هم بين يدي رسول الله ﷺ عاهدوا

الله تعالى من قبل ذلك أن لا يفرّوا عن القتال . قيل : العهد هو : الجهاد الذي

يحرم عليهم الفرار منه . ٣- عن مقاتل والكلبي : هم سبعون رجلاً بايعوا النبي

ﷺ ليلة العقبة ، وقالوا للنبي ﷺ : اشترط لنفسك ولربك ماشئت ، فقال :

اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشرّكوا به شيئاً ، وأشترط لنفسى أن تمنعوني مما

تمنعون منه نساءكم وأموالكم وأولادكم فقالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك يا نبي الله؟

قال : لكم النصر في الدنيا والآخرة وذلك قوله تعالى : « وكان عهد الله

مسئولاً » عنهم يوم القيامة . قال ابن عباس : عاهدوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة

أن يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم . من غير ذكراهم سبعون رجلاً .

٤- عن قتادة : أى ان هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب لما غابوا عن بدر ،

ثم رأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من النصر والكرامة قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً

نقاتلن . ٥- عن يزيد بن رومان : هم بنو حارثة همّوا يوم احد أن يفشلوا مع

بنى سلمة ، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ألا يعودوا لمثلها ، فذكر الله لهم

الذي أعطوه من أنفسهم . وقال محمد بن إسحق : عاهدوا يوم احد أن لا يفرّوا

بعد أن نزل فيهم ما نزل .

أقول : ولكل وجه لاطلاق « من قبل » ولكن الوجه هو الثاني لاطلاق تولى

الادبار على الفرار من القتال .

١٨- (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم إلينا ولا يأتون

البأس الا قليلاً)

قوله تعالى : « القائلين لاخوانهم » فى القائلين والاخوان أقوال : ١- عن

قتادة : ان المنافقين كانوا يقولون للمسلمين : ما محمد ولا أصحابه إلا أكلة رأس

وهو ﷺ ومن معه سيهلكون فهلم إلينا . وهم يريدون انهم قليلو العدد ، ولو

كانوا لِحماً لآلِتهمهم أبوسفيان وأصحابه .

٢- قيل : ان المنافقين كانوا يقولون لمرضى القلوب وضعاف الايمان تعالوا إلينا ودعوا محمداً وأصحابه . ٣- قيل : ان اليهود من بنى قريظة كانوا يقولون لآخوانهم من المنافقين : تعالوا إلينا وفارقوا محمداً فانه هالك ، و ان أباسفيان إن ظفر لم يبق منكم أحداً .

٤- عن ابن زيد : ان هذا يوم الاحزاب ، حين إنطلق رجل من عندرسول الله ﷺ فوجد أخاه - من أبيه وامه - بين يدي رغيث وشواء ونيذ ، فقال له : أنت في هذا ، ونحن بين الرماح والسيوف ؟ فقال : هلم إلي هذا ، فقد تبع لك ولا صحابك أى وقد احيط بك وبصاحبك والذي تحلف به لا يستقل بها محمد أبداً ، فقال : كذبت ، والله لاخبرتك بامرئ ، فذهب إلى النبي ﷺ يخبره ، فوجده قد نزل عليه ﷺ جبرئيل ﷺ بهذه الآية .

٥- قيل : ان طائفة من المنافقين كانوا يقولون لبعض الاخرين من المنافقين .
أقول : والثاني هو الانسب بالسياق .

وفي قوله تعالى : « ولا يأتون البأس إلا قليلاً » أقوال : ١- عن السدى : أى لا يحضرون القتال إلا رياءً وسمعة من غير احتساب . ٢- قيل : أى لا يحضرون الحرب إلا خوفاً من الموت . ٣- قيل : أى لا يأتون الحرب إلا إتياناً قليلاً منهم . ٤- قيل : أى لا يحضرون القتال إلا زمناً قليلاً . وقيل : أى الاقتالاً قليلاً . و قيل : أى إلا بأساً قليلاً ، لانهم كانوا يعتذرون ويتشبثون ما أمكن لهم أو يخرجون مع المؤمنين ، ولكن لا يقاوتون إلا قليلاً لقلّة الرغبة كقوله تعالى : « ما قاتلوا إلا قليلاً » . ٥- قيل : ان هذا من تنمة كلامهم فالمعنى : لا يأتى أصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم إلا قليلاً .

٦- قيل : ان العدد من الذل لانهم لكفرهم لا يكثرون عند البأس ، فهم خلاف الانصار الذين قال فيهم : انكم لتكثرون عند الفزع والشدة وتقلون عند الطمع .

٧- عن قتادة : أى هم لا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين .
 ٨ - عن يزيد بن رومان : أى ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلا تعذيراً و دفعاً عن أنفسهم المؤمنين . قيل : إن المراد بالقللة هنا قلة الغناء في الحرب ، و ضعف الأثر الذى لهم فى القتال فهم و إن شهدوا الحرب إنما يشهدون بنفوس مريضة و قلوب واجفة و أبصار زائغة أما إخوانهم الذين قعدوا من أول الامر و لم يخرجوا مع المسلمين ، فانهم لا يأتون البأس قليلاً أو كثيراً .
 أقول : و على الرابع أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض

الاقوال الاخر .

١٩ - (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله يسيراً)
 فى « أشحة عليكم » أقوال : ١ - عن مجاهد و قتادة : أى بخلاء عليكم فلا يعاونونكم بحفر الخندق ، ولا ينصرونكم بالنفقة فى سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الحق و نصره دينه ، و لا بالشهود فى معركة القتال على الاعداء . . . ٢ - قيل : أى حال كونهم بخلاء بظفر كم و إغتنامكم فلا يريدون أن يكونوا لكم .
 ٣ - عن السدى : أى بخلاء بالغنائم إذا أصابوها . ٤ - قيل : أى بخلاء بالنفقة على فقرائكم و مساكينكم . ٥ - قيل : أى لا يأتون الحرب إلا قليلاً بخلاء بالقتال معكم ، ضائين بأنفسهم على أن يبذلوها فى سبيل الله تعالى .

أقول : والتعميم غير بعيد فان المنافقين هم مجمع الازداد . . .

و فى قوله تعالى : « فاذا جاء الخوف » قولان : أحدهما - عن السدى : أى فاذا جاء الخوف من قتال العدو إذا أقبل . ثانيهما - عن ابن شجرة : أى فاذا جاء الخوف من النبى ﷺ إذا غلب .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

و في قوله تعالى : «سلقوكم بألسنة حداد» أقوال: عن قتادة : أى بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون: اعطونا اعطونا، فانا قد شهدنا معكم، فلستم بأحق بها منا، فهم عند الغنيمة أشح قوم و أبسطهم لساناً، و وقت الحرب والقتال أجبن قوم و أخوفهم و أخذ لهم للحق.

٢- قيل : أى بالغوا في مخاصمتكم والاحتجاج عليكم، خاصموكم بألسنة سليطة ذرية، فائلين: وقرروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم، و قاتلنا معكم و بنا نصرتم و بمكاننا غلبتم عدوكم. ٣- عن ابن عباس و ابن زيد و القتيبي و الفراء: أى آذوكم بالكلام الشديد، و أطلقوا لألسنتهم العنان في النبي ﷺ و المسلمين بكل بهتان من القول و خبيث من الكلم، فعصوكم بألسنة ذرية.

٤- عن يزيد بن رومان: أى سلقوكم من القول بما تحبون نفاقاً منهم لا يرجون آخرة و لاتحملهم حسبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو مابعده. ٥- قيل: أى طعنوكم و ضربوكم و هاجموكم بألسنة ماضية بالبذاءة و الأذى. أقول: و لكل وجه و المآل واحد.

و في قوله تعالى : «أشحة على الخير» أقوال : ١- عن يحيى بن سلام : أى حريصين على الغنائم إذ يشاحون المؤمنين عند القسمة. ٢- قيل: أى بخلاء على المال و الثواب، حريصين على أن ينفقوه في سبيل الله تعالى. ٣- قيل: أى بخلاء على الدين. ٤- عن الجبائي: أى بخلاء على الكلام الجميل بأن يتكلموا معكم بكلام فيه خير و صلاح.

أقول: و الاول هو الانسب بظاهر السياق.

و في قوله تعالى: «وكان ذلك على الله يسيراً» أقوال : ١- قيل: أى وكان نفاقهم على الله تعالى هيناً. ٢- قيل: أى وكان إحباط عملهم على الله هيناً، فلا وزن لاعمالهم. و قيل: إذا كان إعدام الجواهر هيناً على الله تعالى فإعدام الاعراض و لا سيما بمعنى عدم إعتبار نتائجها أولى بأن يكون هيناً. ٣- قيل: أى وكان غلبة

المسلمين ونصرتهم على أعدائهم يسيراً لا يحتاج إليهم حتى يمتنوا بعد ذلك .

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين .

٢٠- (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون

في الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلاً)

في «يحسبون» أقوال : ١- قيل : هم الذين فرّوا من القتال ورجعوا إلى المدينة . ٢- قيل : هم الذين بقوا ونالوا بالغنائم . ٣- قيل : هم من المنافقين الذين كانوا في أطراف المدينة لم يحضروا الخندق ، وجعلوا يسئلون عن أخبار المسلمين و يتمنون هزيمتهم .

أقول: وعلى الثاني جمهور المفسرين .

٢١- (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم

الآخر وذكر الله كثيراً)

في «لكم» أقوال : ١- قيل : خطاب للمنافقين عطفاً على ما تقدم من خطابهم . ٢- قيل : خطاب للمؤمنين لقوله تعالى : «لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر» . ٣- قيل : خطاب لجميع المكلفين .

أقول: والثاني هو الأنسب بظاهر السياق .

و في قوله تعالى : « لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر » أقوال : ١ - عن سعيد بن جبیر : أي لمن كان يرجوا لقاء الله تعالى بإيمانه و يصدق بالبعث الذي فيه جزاء الافعال . . . ٢ - عن ابن عباس : أي لمن كان يرجوا ثواب الله تعالى ونعيم الجنة في اليوم الآخر . ٣ - عن مقاتل : أي يخشى الله و يخافه البعث الذي فيه جزاء الاعمال . . .

أقول: وعلى الثاني جمهور المفسرين .

٢٢- (و لما رأ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق

الله ورسوله و ما زادهم الا ايماناً و تسليماً)

في « هذا ما وعدنا الله ورسوله » أقوال : ١- عن ابن عباس: أي هذا الخطب أو البلاء ما وعدنا رسول الله ﷺ بأن الاحزاب المتحزبة سيتظاهرون على المؤمنين ، فلما شاهدوهم تبين لهم ان ذلك هو الذي وعدهم . و ذلك إذ خطب رسول الله ﷺ عام ذكرت الاحزاب ، فقال: « أخبرني جبرئيل عليه السلام : ان امتي ظاهرة عليها - يعني على قصور الحيرة و مدائن كسرى - فابشروا بالنصر » فاستبشر المسلمون وقالوا: الحمد لله موعد صادق إذ وعدنا بالنصر بعد الحصر ، فلما طلعت الاحزاب يوم الخندق ، فقال المؤمنون : هذا ما وعدنا الله ورسوله ﷺ و ان الله تعالى سينصرنا على عدونا ، و كان ذلك معجزاً له ﷺ .

٢ - عن قتادة : ان المؤمنين كانوا قد سمعوا قوله تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء و زلزلوا حتى يقول الرسول و الذين آمنوا معه متى نصر الله ألا ان نصر الله قريب » البقرة : ٢١٤) فتحققوا انهم سيعيبيهم ما أصاب الانبياء و المؤمنين بهم من الشدة و المحنة التي تزلزل القلوب و تدهش النفوس ، فلما رأوا الاحزاب يوم الخندق أيقنوا انه من الوعد الموعود ، و ان الله سينصرهم على عدوهم .

٣ - قيل : إن الجمع بين القولين هو الصواب ، نظراً إلى جمعهم بين الله تعالى ورسوله في الوعد إذ قالوا : « هذا ما وعدنا الله ورسوله » . ٤ - قيل : ان « هذا » إشارة إلى ما أيقنوا من ان عند الفزع الشديد يكون النصر و الجنة ، و ذلك لما عين المؤمنون بالله تعالى ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليماً منهم لأمر الله و ايقاناً منهم بان ذلك إنجاز و عده لهم الذي وعدهم . ٥ - قيل : أي هذا الابتلاء و النصر .

أقول: و الثالث هو الظاهر .

و في قوله تعالى : « و ما زادهم إلا ايماناً و تسليماً » أقوال : ١- عن الفراء و الحسن : أي و ما زادهم النظر إلى الاحزاب إلا ايماناً بربهم و تسليماً لقضائه .

٢ - قيل : أى و ما زادهم الرؤية و مشاهدة عدوهم إلا ايماناً بمواعيده
 و تسليماً لقضائه . ٣ - عن الجبائى : أى و ما زادهم إجتماع الاحزاب عليهم إلا
 ايماناً بالله تعالى و تسليماً لقضائه و أمره بنصرة دينه و الجهاد فى سبيله .
 ٤ - عن قتادة : أى و ما زادهم كثرة المشركين إلا أصبراً على البلاء و تسليماً
 للقضاء و تصديقاً و يقيناً بتحقيق وعد الله و ثباتاً فى الحرب . ٥ - قيل : أى و ما
 زادهم النصر إلا تصديقاً بوعد الله تعالى و تسليماً لأمره .

أقول : و على الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .
 ٢٣ - (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه
 و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

فى قوله تعالى : « ما عاهدوا الله عليه » أقوال : ١ - قيل : أى بايعوا أن
 لا يفرّوا فصدقوا فى لقائهم العدو . ٢ - قيل : أى أوفوا بما عاهدوا عليه من
 الصبر على البأساء والضراء و حين البأس . ٣ - قيل : أى ما عاهدوا الله عليه من
 الثبات مع النبى ﷺ .

أقول : و لكل وجه ، و التعميم هو الوجه .

و فى قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » أقوال : ١ - قيل : أى مات
 أو قتل فى سبيل الله تعالى فأدرى ما تمنى فذلك قضاء النحب . ٢ - عن محمد بن
 إسحق : فمنهم من فرغ عن عمله و رجع إلى ربه يعنى من استشهد يوم بدر واحد .
 ٣ - عن الحسن : قضى أجله على الوفاء و الصدق . و قال ابن عباس : من
 قضى نحبه كحمزة بن عبدالمطلب و من قتل معه و أنس بن النضر و أصحابه . . .
 و قال ابن قتيبة : أصل النحب : النذر . و كان قوماً نذروا إن يلقوا العدو أن
 يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا . فقيل : فلان قضى نحبه إذا قتل .

أقول : و المعانى متقارب ، و المآل واحد .

٢٤ - (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب

عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً)

فى قوله تعالى: « ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم » أقوال : ١ -
 قيل : أى إن شاء الله تعالى قبل توبة المنافقين وأسقط عقابهم ، وإن شاء لم يقبل
 توبتهم فيعذبهم على أن إسقاط العذاب بالتوبة تفضل من الله تعالى لا يجب عقلاً .
 ٢- عن الجبائى : أى ويعذب المنافقين بعذاب عاجل فى الدنيا إن شاء أو يتوبوا
 فتاب عليهم . ٣- عن قتادة : أى ويعذب المنافقين فى الآخرة إن شاء أن يعذبهم
 بكفرهم ونفاقهم أى لم يوفقهم للتوبة ، وإن لم يشاء أن يعذبهم تاب عليهم قبل
 الموت ، فيهديهم للإيمان . ٤- قيل : أى يعذب المنافقين لكثرة ذنبهم وقوة
 جرمهم ، ولو كان دون ذلك لغفر لهم .

أقول: وعلى الثالث أكثر المفسرين ، وقريب منه الرابع .

٢٥- (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين
 القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

فى قوله تعالى: « لم ينالوا خيراً » أقوال : ١- قيل : أى لم ينالوا مرادهم
 وأملهم من الظفر والغلبة على النبى ﷺ والمؤمنين ، وإنما سماه خيراً لأن
 ذلك كان عندهم خيراً . ٢- قيل : اريد بالخير المال كما فى قوله تعالى : « وانه
 لخب الخير لشديد » . ٣- قيل : أى لم يصيبوا من المسلمين غنائم ولا اسارى .
 أقول: والتعميم غير بعيد .

وفى قوله تعالى: « كفى الله المؤمنين القتال » قولان : أحدهما - عن
 عبدالله بن مسعود : أى بعلى بن أبي طالب عليه السلام وقتله عمرو بن عبدود إذ كان ذلك
 سبب هزيمة القوم . ثانيهما - قيل : أى كفى الله المؤمنين القتال مباشرة بما ذكر
 من إرسال الريح الشديدة والملائكة بأن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً حتى رجعوا ،
 و رجعت بنو قريظة إلى صياصيمهم ، فكفى أمر قريظة بالرعب فى قلوبهم .

أقول: والاول هو المروى من غير تناف بينه وبين الثانى إذ كان قتله عليه السلام

عمر وبن عبدود يوماً وكان إرسال الريح والجنود ليلته الآتية .

٢٧- (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شيء قديراً)

في قوله تعالى : « وأرضاً لم تطؤوها » أقوال : ١- عن قتادة : هي أرض مكة . ٢- قيل : هي أرض الروم . ٣- عن مقاتل وإبن زيد ويزيد بن رومان : هي أرض خيبر . ٤- قيل : هي أرض اليمن . ٥- قيل : هي أرض بنى قريظة وديارهم وأموالهم التي لم يطؤوها بعد ثم وطؤوها وأورثهم الله تعالى إياها . ٦- عن عكرمة : هي كل أرض تفتح إلى يوم القيامة ، ومنها خيبر . ٧- قيل : هي أرض فارس . ٨- عن الحسن : هي فارس والروم وما فتح الله تعالى عليهم .

٩- عن يزيد بن رومان وإبن زيد ومقاتل أيضاً : أي حنين ، ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله تعالى إياها . ١٠- عن أبي مسلم : هي ما أفاء الله تعالى على رسوله مما لم يوجب عليه بخيل ولا ركاب . ١١- قيل : أريد بها نساؤهم . ١٢- قيل : هي أرض بنى قريظة وهي القلاع المحكمة نفسها .

أقول : والسادس هو الأنسب بالسياق وقصة الصخرة .

وفي قوله تعالى : « وكان الله على كل شيء قديراً » أقوال : ١- عن محمد بن إسحق : أي قدير على ما أراد بعباده من نقمة أو نعمة ومن عفو أو عذاب . ٢- عن النقاش : أي قدير على ما أراد أن يفتحه من الحصون والقرى . ٣- قيل : أي قدير على ما وعدكموه لا ترد قدرته ، ولا يجوز عليه العجز قدير على أن أورث المؤمنين ذلك وعلى نصره إياهم .

أقول : والتعميم هو الأنسب بظاهر الاطلاق .

٣٠- (يا أيها النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً)

في قوله تعالى : « بفاحشة مبينة » أقوال : ١- قيل : هي عصيانهن رسول الله تعالى ونشوزهن وطلبهن منه ^{بالتصريح} ما يشق عليه ^{بالتصريح} . ٢- قيل : هي كل

الكبائر . . . ٣- قيل : هي الزنا المعروف أوجب الله تعالى عليه الحد ، ٤- قيل : هي المعصية الكبيرة والنشوز وسوء الخلق وايداء النبي ﷺ والافتراء والغيبة والنمامة . . . ان الفاحشة هي الفعلة البالغة في الشناعة والقبح ، والمبينة هي الظاهرة .

أقول : وعلى الاخير جماعة من المفسرين .

وفي قوله تعالى : « ضعفين » أقوال : ١- عن قتادة : أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة . ٢- عن ابن عباس : أى ضعفى عذاب غير هالان قبح المعصية منهن أشد ، فكان عذابها أكثر ومن ثم كان ذم العقلاء للعالم العاصي أشد منه للجاهل العاصي ، كما أن الاجر للعالم العامل أكثر من المقلد الجاهل العامل ، ولما كان نعم الله تعالى عليهن أكثر وأوفر لكان النبي ﷺ منهن ونزول الوحي في بيوتهن كانت المعصية منهن أفحش والعقوبة بها أعظم وأكثر . وقيل : لان العذاب على قدر قبح المعصية ، وقبح المعصية على قدر العلم به ، ونساء النبي ﷺ أشد صحبة له ﷺ و يشاهدن الوحي كأن علمهن بالاحكام كالضوري فأضعف لهن العذاب لذلك .

٣- عن أبي عبيدة : الضعفان : أن يجعل الواحد ثلاثة فيكون عليهن ثلاثة حدود لان ضعف الواحد مثله ، وضعفى الشيء مثلاه ، فللمعاصية من أزواج النبي ﷺ عذاب ثلاثة أمثاله لغيرها من العاصيات . ٤- قيل : أى مثلين .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين .

٣٢- (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً)

فى قوله تعالى : « فى قلبه مرض » أقوال : ١- عن قتادة والسدى : أى ريبة وشك ونفاق . ٢- قيل : أى تشوّف لفجور وهو الفسق والغزل . ٣- عن عكرمة : أى فى قلبه شهوة للزنا . ٤- قيل : أى فى قلبه ضعف من الايمان ، وبه يشتهى

إتيان الفواحش . . .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « قولاً معروفاً » أقوال : ١- عن ابن زيد : أى قولاً جميلاً حسناً معروفاً فى الخير . ٢- قيل : أى قولاً قد أذن الله تعالى لكن به و أباحه عند الحاجة والضرورة . ٣- عن ابن عباس : أى أمرهن بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمرأة تندب إذا خاطبت الأجانب ، وكذا المحرمات عليها بالمصاهرة إلى الغلظة فى القول من غير رفع صوت ، فان المرأة مأمورة بخفض الكلام . ٤- قيل : أى حديثاً واضحاً صريحاً ، غير داع إلى السرية ولا مثير إلى الشهوة ، مستقيماً جميلاً بريئاً من التهمة ، بعيداً عن الغمز ، مجانباً عن الاشارة ، وموافقاً للدين والاسلام .

أقول : وعلى الاخير جمهور المفسرين .

٣٣- (وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)

قوله تعالى : « ولا تبرحن تبرج » فى التبرج أقوال : ١- عن قتادة ومجاهد : التبرج : التبخر والتكبر والتكسر والمعنى : ولا تبخرن تبخرت الجاهلية ولا تكبرن على زوجكن . ٢- عن ابن أبي نجیح : التبرج : هو التهمتک وإبراز المرأة محاسنها للرجال ، وإظهار زينتها للأجانب وما يستدعى به شهوة الرجل . والتبرج : هو إبداء المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره . ٣- عن مجاهد أيضاً : كانت النساء يتمشين بين الرجال فذلك التبرج . ٤- عن مقاتل : التبرج هو أن تلقى الخمار على رأسها ، ولا تشده فتوارى فلائدها و قرطها فيبد وذلك منها .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى « الجاهلية الاولى » أقوال : ١- عن قتادة و ابن عطية :

الجاهلية الاولى هي جاهلية الكفر قبل الاسلام من سيرة الكفرة لانهم كانوا لا غير
لنساءهم ، وكان أمر النساء دون حجاب ، وقد وقع إسم الجاهلية الاولى على قبل
البعثة والشرع في الاسلام، كما أن الجاهلية الاخرى بعد الاسلام هي جاهلية الفسوق
والابتداع في الاسلام. روى : قال رسول الله ﷺ لأبي درداء : ان فيك جاهلية فقال
: أجاهلية كفر أو إسلام ؟ فقال ﷺ : جاهلية كفر .

٢- عن الشعبي وعامر : هي ما بين عيسى ابن مريم عليها السلام ومحمد ﷺ . ٣-
عن الكلبي والحكم بن عيينة : هي ما بين آدم و نوح عليهما السلام وهي ثمانمائة سنة ، و
حكيت لهم سيردسيمة . وكان نساءهم من أقبح ما يكون من النساء و رجالهم
حسان ، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه .

٤- عن ابن عباس : هي ما بين نوح وإدريس عليهما السلام وكانت هي ألف سنة . ٥-
قيل : هي إتيان العمل على خلاف الفطرة ، ولا فرق في ذلك بين زمان و زمان ،
وبين مكان و مكان كما نشاهد اليوم وكان هذا قبل الاسلام .

٦- قيل : هي الأيام القديمة التي يقال لها : الجاهلية الجهلاء وهي الزمن
الذي ولد فيه إبراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين
وتلبس الثياب الرقاق ولا توارى بدنها ، فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على
الرجال . ٧- قيل : هي الجاهلية العريقة في الجهل . ٨- قيل : هي ما بين موسى و
عيسى عليهما السلام .

٩- عن أبي العالية : هي زمان داود وسليمان كان فيه للمرأة قميص من
الدر غير مخيط الجانبين . ١٠- عن أبي العباس المبرد : هي الجاهلية الجهلاء
التي كانت النساء فيها يظهرن ما يقبح إظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها
وخلتها ، فينفرد خلها بما فوق الازار إلى الأعلى ، وينفرد زوجها بما دون الازار
إلى الأسفل ، و ربما سئل أحدهما صاحبه البذل ، فكان الخل يقبلها ويعانقها .

أقول: وعلى الاول أكثر المحققين .

وقوله تعالى : « إنما يريد الله » في الإرادة : قولان : أحدهما - قيل : هي إرادة تشريعية . ثانيهما - قيل : هي إرادة تكوينية .

أقول : والثاني هو الصواب ، وذلك لأن الله تعالى يريد تشريعاً أن يكون جميع الناس مطهرين عن الذنوب ، و مبعدين عن المعاصي كما نهاهم عن الصغير والكبير من المعاصي . . . وقال : « ولكن يريد ليظهركم و يتم نعمته عليكم » المائدة (٦) ولا إختصاص فيها بطائفة دون طائفة ، وقد اقتصت الجملة المحصورة بأهل البيت عليهم السلام فأراد الله تعالى أن يطهر أهل البيت عليهم السلام من كل ما لا يليق بالمعصوم تكوينياً ، ولولم يكن المراد بالإرادة إرادة تكوينية لما كان للاختصاص وجه .

و في قوله تعالى : « أهل البيت » أنوال : ١ - عن أبي سعيد الخدرى و ام سلمة و جابر بن عبدالله الانصارى و زيد بن أرقم و ابن عباس و ثوبان مولى النبى صلى الله عليه وآله و عبدالله بن جعفر و أنس بن مالك و وائلة بن الاسقع و عائشة و قتادة و عدة آخريين من الصحابة و عن أهل البيت عليهم السلام من على و الحسن بن على و على بن الحسين . . . صلوات الله عليهم أجمعين : ان أهل البيت هم الذين طهرهم الله تعالى من كل سوء و قبيح فعلى ظاهرى و إعتقادى باطنى و خصتهم برحمة منه و ان الجملة المحصورة في النبى و على و فاطمة و الحسن و الحسين و هم الخمسة الطيبة صلوات الله عليهم أجمعين . و أما التسعة الاخرون من أئمتنا المعصومين فهم داخلون فيهم بالادلة الاخر و المراد بالبيت بيت النبوة و الرسالة فاللام للمعهد . و فى المجمع : و قد انفقت الامة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت فى الآية أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله .

٢ - عن عكرمة و عروة : اريد بهم نساء النبى صلى الله عليه وآله و أهله الذين هم أهل بيته . ٣ - قيل : هم أقرباء النبى صلى الله عليه وآله من آل عباس و عقيل و جعفر و على عليه السلام . ٤ - قيل : البيت : بيت الحرام و أهله هم أهل التقوى و اليقين على الإطلاق لقوله تعالى : « ان أوليائه إلا المتقون » .

٥ - قيل : البيت : مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله و أهله من مكّنه رسول الله صلى الله عليه وآله .

فيه ولم يخرججه ولم يسدّ بابه . ٦ - قيل : هم كل من كان ملازماً للنبي ﷺ من الرجال والنساء والازواج والامساء والاقارب من آل علي عليه السلام وآل عباس وعقيل و جعفر .

أقول: والاول هو المؤيد بالروايات الكثيرة الواردة بأسانيد عديدة عن طريق العامة و طريق الشيعة الامامية الاثني عشرية نشير إليها في هذه السورة إن شاء الله تعالى، ولعمري ان التلجلج في إختصاص الجملة المحصورة بالخمس الطيبة إما ناش عن النفاق والكفر الخفي ، وإما عن العصبية الجهلاء أو التقاليد العمياء ... أعاذنا الله تعالى منها بحق محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

٣٤ - (و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

في قوله تعالى : « و اذكرن » أقوال : ١ - عن قتادة : أى و اشكرن لله تعالى إذ صيركن في بيوت يتلى فيها الوحي والقرآن والسنة . ٢ - قيل : أى و اذكرن آيات الله و اقدرن قدرها و فكّرن فيها حتى تكون على بال لتتعظن بمواعظ الله تعالى و من كان هذا حاله ينبغي أن تحسن أفعاله ... ٣ - قيل : أى احفظن ما يتلى عليكم من القرآن لتعملن بموجبه .

أقول: والثاني هو الانسب بسياق الحث على الائتمار والانتهاة والطاعة لله تعالى و رسوله ﷺ .

٣٦ - (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)

قوله تعالى : « إذا قضى الله و رسوله أمراً » في القضاء أقوال : ١ - قيل : اريد بالقضاء قضاء تكويني لقوله تعالى بعد ذلك : « و كان أمر الله قدراً مقدوراً » على أن الآية كالتوطئة للآيات التالية التي أشار فيها إلى قضاءه تعالى لإزدواج النبي

الكرِيم ﷺ بزِينب . ٢- قيل : ان المراد بالقضاء قضاء تشريعى ، على أن قضاء الله تعالى حكمه التشريعى فى شىء مما يرجع إلى أعمال العباد أو تصرفه فى شأن من شئونهم بواسطة رسول من رسله ، وقضاء رسوله هو الثانى من القسمين ، وهو التصرف من شأن من شئون الناس بالولاية التى جعلها الله تعالى له بمثل قوله : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » فقضاء النبى ﷺ قضاء منه بولايته ، وقضاء من الله تعالى لانه الجاعل لولايته المنفذ بأمره ، ويشهد سياق قوله تعالى : « إذا قضى الله ورسوله أمراً » حيث جعل الامر الواحد متعلقاً لقضاء الله ورسوله معاً على أن المراد بالقضاء التصرف فى شئون الناس دون الجعل التشريعى المختص بالله ٣- قيل : اريد بالقضاء التعميم حيث قال : « قضى الله » فهو أمر تكوينى أمر به رسوله ﷺ فهو تشريعى حيث ان كل أمر تكوينى يشترع فهو تشريعى يبلغه برسوله إلى عباده . وقيل : لا يبعد أن يجعل الله تعالى أمراً واحداً متعلقاً لقضائه ورسوله معاً ، ولا يلزم على ذلك كون التشريع من جانب الرسول .

أقول : وعلى الثانى جمهور المحققين .

٣٧- (واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى فى نفسك ما لله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً)

فى قوله تعالى : « أنعم الله عليه و أنعمت عليه » قولان : أحدهما - عن السدى والثورى : أى أنعم الله تعالى على زيد بن حارثة بمحبة رسوله ﷺ و أنعم الرسول ﷺ عليه بالتبنى . ثانيهما - قيل : أى أنعم الله تعالى على زيد الهداية إلى الايمان ، وأنعم عليه النبى ﷺ بالعتق وحسن التربية وتقريبه منه وتخصيصه بنفسه .

أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

وفي قوله تعالى : « واتق الله » أقوال : ١- قيل : خطاب من النبي ﷺ لزيد علي طريق النصح والوعظ : اتق الله يا زيد في طلاق زوجتك زينب فلا تفارقها. نهى تنزيهه لاتحريم .

٢- قيل : أى اتق الله يا زيد فيما تقول عن زوجتك ولا تدمتها بالنسبة إلى الكبر وابداء الزوج . وذلك لان زيدا كان يشكو عند النبي ﷺ من زينب غلظة قول وعصيان أمر وأذى باللسان وتعظيم شرف وكرامة لنفسها . ٣- قيل : خطاب من الله تعالى لنبيه ﷺ على طريق اللطف والرفق منه تعالى به ﷺ من هذا الارهاق الذى يرهق به نفسه فى إصلاح أمر يعلم - مما أعلمه ربه - ان مقضى فيه ، فليتق النبي ﷺ الله فى نفسه وليرفق بها ولا يحاول إصلاح أمر أن يصلح أبداً .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

وفي قوله تعالى : « وتخفى فى نفسك ما الله مبديه » أقوال : ١- عن قتادة : ان الذى أخفاه النبي ﷺ فى نفسه هو مودة مفارقة زيد زوجته لمتزوج بها النبي ﷺ ان الله تعالى هو فارقها وهو يبدي ما كان يخفيه فى نفسه من ذلك . ٢- قيل : هو تعلق قلبه ﷺ بها . ٣- قيل : هو علمه ﷺ بأن زيدا سيطلقها . ٤- عن البلخي : ان النبي ﷺ استحسّن زينب فتمنى أن يفارقها زيد ، فيتزوجها ، وكنتم ذلك لان هذا التمنى قد طبع عليه البشر ، ولا حرج على أحد فى أن يتمنى شيئاً إستحسنه .

٥- قيل : الذى أخفاه فى نفسه ﷺ هو انه إن طلقها زيد تزوجها . وذلك لان زينب كانت شريفة فزوجها رسول الله ﷺ من زيد مولاه ، و لحقها بذلك بعد العار فأراد النبي ﷺ أن يزيدا شرفاً بأن يتزوجها وهذا هو السبب فى تزويجها من زيد ، فعزم أن يتزوج بها إذا فارقها .

٦- عن الجبائى : ان النبي ﷺ أضمراً أن يتزوج زينب إن طلقها زيد

من حيث انها كانت إبنة عمته ، فأراد ضمها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه ، فأخبر الله تعالى الناس بما أضمره نبيه ﷺ من ايثار ضم زينب إلى نفسه ليكون ظاهره مطابقاً لباطنه . ٧- قيل : أراد النبي ﷺ أن يتزوج بها إذا فارقها ، ولكنه عزم أن لا يتزوجها مخافة أن يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح . نسيئة الناس .

٨- عن أبي مسلم : ان العرب كانوا ينزلون الاديعاء منزلة الابناء في الحكم ، فأراد النبي ﷺ أن يبطل ذلك بالكلمة وينسخ سنة الجاهلية ، فكان يخفي في نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا يقول الناس انه تزوج بامرأة إبنة و يقرفونه بما هو منزله عنه ، ولهذا قال : أمسك عليك زوجك .

اقول : والآخر هو المردى . وقال الطبرسي في المجمع : ويشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها . . . » وقال بعض العامة : فعلى بن الحسين عليه السلام جاء بهذا من خزانة العلم جوهرأ من الجواهر ، و درأ من الدرر .

ان تسئل : لأى معنى قال له : « أمسك عليك زوجك » وقد أخبره الله انها زوجته ؟

تجيب : أراد أن يختبر منه ما لم يعلمه الله تعالى من رغبته فيها أو رغبته عنها فأبدى له زيد من النفرة عنها والكرهه فيها ما لم يكن علمه منه في أمرها . ان تسئل : كيف يأمره بالتمسك بها وقد علم أن الفراق لا بد منه؟ وهذا تناقض .

تجيب : بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لاقامة الحججة ومعرفة العاقبة ، ألا ترى ان الله تعالى يأمر العبد بالايمان ، وقد علم أنه لا يؤمن ، فليس في مخالفة متعلق الامر لمتعلق العلم ما يمنع من الامر به عقلاً وحكماً . فتدبروا غنتم .

وفي قوله تعالى : « وتخشى الناس » أقوال : ١- قيل : أى تستحييهم ٢-

قيل : أى تخاف وتكره لائمة المسلمين لوقلت لزيد : طلق زوجتك . فيقولون : أمر النبي ﷺ رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها . ٣- قيل : إنما هو إرجاف المنافقين فى تزويج نساء الابناء ، والنبي ﷺ معصوم فى حر كاته و سكناته ...

أقول : ولكل وجه من غير تناف بينها .

وقوله تعالى : « والله أحق أن تخشاه » أقوال : ١- قيل : أى فى كل الاحوال ... ٢- قيل : أى والله أحق أن تستحيى منه ولأن امر زيداً بامساك زوجته بعد أن أعلمك الله انها ستكون زوجتك فعاتبه الله على جميع هذا ، ولم يرد خشية التقوى لانه ﷺ كان يتقى الله حق تقاته و يخشاه فيما يجب أن يخشى فيه ، ولكنه أراد خشية الاستحياء لان الحياء كان غالباً على شيمة الكريمة للنبي ﷺ كما قال تعالى : « ان ذلكم كان يؤذى النبي فيستحيى منكم » . ٣- قيل : ان حسنات الابرار سيئات المقربين ، فلعل الاولى بالنبي أن يسكت عن إمساك حذراً من عقاب الله على ترك الاولى كما سكت عن تطليقه حياء من الناس .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً » أقوال : ١- عن قتادة : أى طلقها . وفيه كناية عن عدم حاجة لزيد فى زينب ، وكان حاجته الشهوة فاستمتع بها فانتهى أوفانتهت نفسه منها ، فلم يبق له بها حاجة الشهوة فطلقها ، فالو طر بمعنى الطلاق .

٢- قيل : الو طر : إنقضاء العدة فلم يبق فى قلب زيد ميل إليها و لاله فيها رغبة ، ولا وحشة فى فراقها ، فطلقها وانقضت عدتها لان القضاء بمعنى الفراغ من الشىء على التمام . ٣- قيل : الو طر كل حاجة للمرء له فيها همة . وقال ابن عباس : أى بلغ ما أراد من حاجته يعنى الجماع . وفيه إضمار : أى لما قضى وطره منها و طلقها زوجنا كها .

أقول : والاخير هو الانسب بمعناه اللغوى وبظاهر السياق .

٣٨- (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

في قوله تعالى : « سنة الله في الذين خلوا من قبل » أقوال : ١- قيل : أى سن لمحمد ﷺ في التوسعة عليه في النكاح سنة الانبياء الماضية كداود إذ كانت له مائة امرأة وثلاثمائة سريّة ، وسليمان إذ كانت له ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سريّة .
٢- عن مقاتل وابن الكلبي : إشارة إلى داود عليه السلام حيث جمع الله تعالى بينه وبين من فتن بها .

٣- قيل : أى كسنة الله في الانبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم في زوال الحرج والضيق والائتم عنهم وعن امهم بما أحل الله تعالى من ملازمهم . ٤- قيل : إشارة بالنسبة إلى أن النكاح من سنة الانبياء كما قال : النكاح سنتي فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتي .

٥- قيل : أى سنة الله تعالى نفى الحرج سنة في الانبياء الذين خلوا . ٦- قيل : السنة هنا : الحكم والشأن والمعنى : سننّابك سنة الذى خلوا من الرسل ، فلست بدعاً من الرسل في الاخذ بحكم الله تعالى وإمتثال أمره على وجهه من غير إلتفات إلى مقولات الناس ولا خشية لما يتخرص به المتخرصون . ٧- قيل : أى ليس على النبي من حرج في تنفيذ ما أمر الله تعالى وفي الاستمتاع بما فرضه الله له فهذه سنة الله تعالى في أنبيائه السابقين أيضاً .

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

وفي قوله تعالى : « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » أقوال : ١- عن ابن زيد : أى كان ما ينزل الله تعالى على أنبيائه من الامر الذى يريد قضاء مقضياً . ٢- قيل : أى جارياً على مقدار لا يكون فيه تفادى من جهة الحكمة . ٣- قيل : أى ان

القدر المقدور هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

٤٠- (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليماً)

قوله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » في نفى ابوته ﷺ من الرجال مع كونه ﷺ أباً للقاسم والطيب والظاهر وإبراهيم والحسين ﷺ أقوال :
١- قيل : ان النبي ﷺ لم يكن أباً أحد من هؤلاء الرجال الذين بلغوا الرجولية حتى يكون تزوجه بزواج أحدهم بعده تزواً منه بزواج إبنة وزيد أحد هؤلاء الرجال ، فتزوجه ﷺ بعد تطليقه زوجه ليس تزواً بزواج إبنة حقيقة ، وأما تبنيّه ﷺ زيداً فلا يترتب عليه أثر من آثار البنوة والابوة ، و ان الخطاب في قوله تعالى : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » للمخاطبين ، فليس فيه نظر إلى أبناء الرسول ﷺ ولو فرض انهم كانوا بالغين .

٢- قيل : ان الخطاب كان عاماً ولكن لم يكن أبناء الرسول ﷺ بالغين وماتوا قبل بلوغهم ، فلم يكونوا رجالاً حينئذ وكذا الحسين ﷺ وهما إبنا رسول الله ﷺ ولكن قبض رسول الله ﷺ قبل بلوغهما ، و ان الآية فيمن إتصف حد الرجولية . ٣- قيل : إن الخطاب بسياق المورد وإن كان عاماً ولكن النظر يزيد خاص كما تدور عليه القصة .

٤- قيل : ان الله تعالى أضاف الرجال إليهم ، وان أبناء النبي ﷺ والحسين رجاله ﷺ لارجالهم . وأما كونه ﷺ أباً للامة فهوامة روحية و شفقة ونصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه يدخل في هذه الابوة كل مؤمن ومؤمنة .
أقول : ولكل وجه والمآل واحد .

٤١- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

في الذكر الكثير أقوال : ١- عن مجاهد : هو أن لا ينساه العبد أبداً . ٢- قيل :

هو أن يذكر الله تعالى بصفاته العلى وأسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق بساحة قدسه.
 ٣ - عن مقاتل : هو أن يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
 على كل حال . ٤ - قيل : الذكر الكثير ما جرى على وجه الاخلاص من القلب ،
 والقليل : ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان رثاءً . ٥ - قيل : اريد
 بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها .

أقول : والاول هو الاعم الانسب ، فان الذكر هو : ما يقابل النسيان و هو
 توجيه الادراك نحو المذكور ، و أما التلطف بما يدل عليه من أسمائه الحسنى و
 صفاته العلى فهو من بعض مصاديق الذكر .

٤٢ - (وسبحوه بكرة و أصيلاً)

في الآية أقوال : ١ - عن قتادة أى صلّوا لله تعالى غدوة صلاة الصبح ، وعشيّاً
 صلاة العصر . ٢ - قيل : التسبيح هو التنزيه ، و المراد بالبكرة والاصيل جميع
 ساعات الليل و النهار . و قيل : البكرة و الاصيل معاً كناية عن الدوام كالليل
 و النهار فى قوله تعالى : « يسبحون له بالليل و النهار ولا يسمون » فصلت : (٣٨)
 ٣ - عن الكلبي : اريد بالتسبيح الصلاة و اريد بالوقتين العموم و المراد بالبكرة
 صلاة الفجر ، و بالاصيل صلاة الظهر و العصر و العشاءين ، و سميت الصلاة تسبيحاً
 لما فيها من التسبيح و التنزيه . ٤ - قيل : اريد بالتسبيح الصلاة وقت الفجر و
 العشاءين لأن أداءها أشق و مراعاتها أشد ، و أنها أحق بالتحريض عليها لاتصالها
 بأطراف الليل ، و لهما مزية على غيرهما من حيث ان ملائكة الليل و النهار
 يجتمعون فيهما .

٥ - قيل : أى ادعوا لله تعالى . ٦ - قيل : اريد بالبكرة والاصيل وقتها
 الخاص فان التسبيح فى البكرة و الاصيل غير التسبيح فى غيرهما من الاوقات ...
 ٧ - قيل : أى اشتغلوا ألسنتكم فى معظم أحوالكم بالتسبيح و التهليل و التحميد
 و التكبير .

أقول: و السادس هو الانسب بظاهر السياق .

٤٣- (هو الذى يصلى عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و كان بالمؤمنين رحيماً)

فى صلاة الله تعالى على عباده المؤمنين أقوال : ١ - عن سعيد بن جبير و الحسن : هى المغفرة و الرحمة و الاحسان و الرضا عنهم . فالمعنى : يفرلكم و يرحمكم ، فيذكركم أيها المؤمنون بالرحمة و الرضوان لكونكم ذا كرين الله تعالى . ٢ - قيل : هى قوله تعالى : سبح قدس رحمتى سبقت غضبى . ٣ - قيل : صلاة الله تعالى هى هدايتهم ٤ - عن أبى العالىة : هى الثناء عليهم بأن الله تعالى يثنى عليهم بحسن الثناء .

٥ - قيل : اريد بالصلاة هنا العناية بحال المؤمنين و ذلك لان الصلاة فى الاصل : التعطف لان المصلى يتعطف فى ركوعه و سجوده ، فاستعير لمن يتعطف على غيره حنوياً و ترؤفاً . و هذا يختلف باختلاف ما نسب إليه و لذلك قيل : إن الصلاة من الله تعالى الرحمة و من الملائكة الاستغفار و من الناس الدعاء ، و لكن الذى نسب من الصلاة إلى الله تعالى فى القرآن الكريم هو الصلاة بمعنى الرحمة الخاصة بالمؤمنين ، و هى التى تترتب عليها سعادة العقبى و الفلاح المؤبد . ٦ - عن سفيان : صلاة الله تعالى هى الكرامة ، فالله جل و علا يخص المؤمنين بعلو المنزلة و الكرامة .

أقول: و على الخامس جمهور المفسرين وهو المروى من غير تناف بينه وبين أكثر الأقوال الأخرى . وفى صلاة الملائكة أقوال : ١ - عن ابن عباس وأبى العالىة : هى دعائهم للمؤمنين فيطلبون من الله تعالى أن يزيد المؤمنين عزة و شرفاً ، و ذخراً و كرامة . ٢ - قيل : هى طلبهم إنزال الرحمة من الله تعالى عليهم . ٣ - قيل : هى إستغفارهم لهم كما قال تعالى : « و يستغفرون للذين آمنوا » . ٤ - قيل : إن المراد بصلاة الملائكة هى قولهم : اللهم صل على المؤمنين . ٥ - قيل :

صلاة الملائكة هي تأييدهم إياهم .

أقول: و على الثالث جمهور المفسرين .

٤٤- (تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعدلهم أجراً كريماً)

في الآية الكريمة أقوال : ١- عن قتادة : أى تحية بعض المؤمنين لبعض يوم دخول الجنة: أمنة لنا ولكم بدخولها هذا المدخل من الله تعالى أن يعذبنا بالنار أبداً . ٢- قيل : هذه التحية من الله تعالى ، و الضمير في « يلقونه » راجع إلى الله جل و علا أى كان الله بالمؤمنين رحيماً ، فهو يؤمنهم من عذابه يوم القيامة ، وفي ذلك اليوم يلقونه فيسلمهم من الآفات أو يبشرهم بالأمن من المخافات ... ٣- قيل : أى تحية المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه أن يسلم عليهم ملك الموت . و قد ورد : انه لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه ملك الموت . و عن البراء بن عازب قال : فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه ، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه . و في هذا إخبار بالسلامة عن كل مكروه و آفة إذ ليس في الجنة من الآفات والعاهات و ما إليها مما كان في الحياة الدنيا .

٤- قيل : أى تحية الملائكة المؤمنين بذلك إذا دخلوا الجنة يلقونه من الله تعالى تحمله إليهم الملائكة ، وهم يدخلون من كل باب يبلغونهم التحية العلوية إلى جانب ما أعد لهم : سلام من كل خوف ، سلام من كل تعب ، و سلام من كل كد . و قيل : يوم يلقون ثواب الله تعالى بأن يقولوا : السلامة لكم من جميع الآفات سلام لا يصيبهم مكروه و لا يمسه عذاب ، و لقاء الله تعالى هو لقاء ثوابه . ٥- قيل : أى تحية المؤمنين يوم لقاء الله سبحانه عند الخروج من القبور . فإريد بيوم اللقاء يوم القيامة لان الخلق مقبلون على الله تعالى بكليتهم بخلاف الدنيا .

أقول: و الاخير هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر ، و قريب منه الرابع .

٤٥- (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

في «شاهداً» أقوال : ١- قيل : أى شاهد أعلى امتك بتبليغ الرسالة إليهم ،

وعلى سائر الامم بتبليغ الانبياء رسالتهم إلى اممهم . ٢ - عن قتادة: أى شاهدأعلى امتك بأبلاغك إياهم . ٣ - قيل : أى شاهدأعلى امتك فيما يفعلونه من ايمان أو كفر، من طاعة أو معصية ، ومن هدى أو ضلالة ، لتشهد لهم وعليهم يوم القيامة ونجازيهم بحسبه ، فقولك مقبول عندالله تعالى لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل . وقيل : وفيه ان الله تعالى جعل النبي شاهدأعلى وجوده بل على وجدانيته لان المدعى هو الذى يذكر شيئاً بخلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس .

وقيل : ان النبي ﷺ شاهد فى الحياة الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراف ، وشاهد فى الآخرة بأحوال الدنيا من الايمان والكفر والطاعة والمعصية ومن الصلاح والفساد . وقيل : انه ﷺ شهيد الشهداء لقوله تعالى : « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » البقرة : ١٤٣) وشهادته ﷺ على الاعمال أن يتحملها فى هذه النشأة ويؤديها يوم القيامة .

أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

٤٦ - (و داعياً الى الله باذنه وسراجاً منيراً)

فى « داعياً الى الله » أقوال : ١ - عن قتادة : أى إلى الشهادة : أن لا إله إلا الله . ٢ - قيل : أى إلى طاعة الله تعالى . ٣ - قيل : أى داعياً إلى الاقرار بوحدانيته فى الالهوية والربوبية ، وما يجب الايمان به مما جاء به الرسول ﷺ ومكافحة الكفرة .

أقول : والآخر هو الاعم .

وفى قوله تعالى : « باذنه » أقوال : ١ - قيل : أى بتسهيله وتيسيره لان دعوة المشرك إلى التوحيد صعب جداً لا يمكن إلا بتسهيل الله تعالى أمره على الداعى . ٢ - قيل : أى بأمره فلا تدعهم من تلقاء نفسك . ٣ - قيل : أى بعلمه .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « وسراجاً منيراً » قولان : أحدهما - قيل : أى جلياً

من ظلمات الشرك كالمصباح المضيء الذي يهتدى به الضالون إذا استضاء به ، فيستضاء به عن ظلمات الجهل والضلالة ، ويقبس من نوره أنوار البصائر كما يهتدى الإنسان بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته إما بفعله ، وإما لكونه سبباً له كما أن القمر والسراج منيران لذلك والله تعالى منير السموات والأرض . وقيل : وصف الله تعالى رسوله الخاتم بِالْبُرْهَانِ بالسراج لان ظلمات الضلال تتجلى به كما يتجلى ظلام الليل بالسراج ، وقد أمد الله تعالى بنور نبوته نور البصائر كما تمد بنور السراج سرج كثيرة من أهل بيت النبوة والعلماء المحققون . وقيل : لان الشمس والقمر والكواكب لا تنقل من مكان إلى مكان ، والنبي وَالرَّسُولُ يذهب من مكان إلى مكان كما ذهب من مكة إلى المدينة .

ثانيهما - عن الزجاج : اريد بالسراج هنا القرآن الكريم . أى و بعثناك ذا سراج منير على حذف المضاف : و قيل : على تقدير : كتاب نير . وقيل : تالياً سراجاً .

أقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

٤٨- (ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)

فى قوله تعالى : «ولاتطع الكافرين والمنافقين» أقوال : ١- قيل : أى ولاتطع لقول كافر ولا منافق ، فسمع منه دعاءك إياك إلى التقصير فى تبليغ رسالات الله تعالى إلى من أرسلك بها إليه من خلقه . ٢- قيل : أى لاتطعمهم فيما يشيرون عليك من المداهنة فى الدين ولاتمالئهم الكافرين هم : أبوسفیان و عكرمة ابن أبى جهل ، و أبو الاعور السلمى قالوا : يا محمد لاتذكر آلتهنا بسوء تتبعك . والمنافقين هم : عبدالله بن ابى وعبدالله بن سعد وطعمة بن ابيرق حثوا النبى وَالرَّسُولُ على إجابتهم بتعلة المصلحة .

٣- قيل : أى لاتسمع إليهم ولاتأمن جانبهم . ٤- قيل : أى ولا تطع

الكافرين والمنافقين فيما يخالف شريعتك .

أقول: والاخير هو الانسب بما اختارناه في أول السورة .

و في قوله تعالى : «ودع أذاهم» أقوال : ١- عن مجاهد : أى أعرض عنهم وأقوالهم ومكائدهم ودسائسهم المؤذية . ٢- قيل : أى خذ بظاهرهم وادفع عنهم الاسر والقتل وحسابهم على الله تعالى . ٣- عن قتادة : أى اصبر على أذاهم ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله تعالى فى عباده والنفوذ لما كلفك ، فدع أن تؤذيهم مجازاة على إذايتهم . ٤- عن الكلبي : أى كف عن أذاهم وقتالهم وذلك قبل أن يؤمر بالقتال .

أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

٤٩- (يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن و سرحوهن سراحاً جميلاً)

فى قوله تعالى : « وسرحوهن سراحاً جميلاً » أقوال : ١- عن الجبائى : أى طلقوهن طلاقاً للسنة من غير ظلم عليهن . وقال أبو حنيفة : التسريح كناية عن الطلاق . ٢- عن ابن عباس : انه دفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة ، وهذا إذا لم يكن سمى لها صداقاً فاذا فرض لها صداقاً فلها نصفه ولا تستحق المتعة . وقيل : السراح الجميل : هو الانفصال بالمودة والاحسان من غير كيد ولا مضادة . والتسريح : أن ترعى الابل ، والسرح هو شجر له ثمرة ثم جعل لكل إرسال فى الرعى ثم لكل إرسال وإخراج . والمعنى ههنا : اخر جوهرن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة إخراجاً مشتملاً على كلام طيب عارياً عن أذى و منع واجب . ٣- عن قتادة : انه طلاقها طاهراً من غير جماع . وقيل : طلاق سنة غير بدعة . ٤- قيل : أى خلوا سبيلهن تخلية بالمعروف . قيل : أى فاخر جوهرن بعد الطلاق إلى أهلهن فلا يجتمع الرجل والمطلقة فى موضع واحد ، فليس على المطلقة

عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحاً جميلاً بغير جفوة ولا أذية ولا ضرر .
أقول: والثاني هو المؤيد بالروايات الآتية .

٥١ - (ترجى من تشاء منهم و تؤوى اليك من تشاء و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن و لا يحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم و كان الله عليماً حليماً)

في قوله تعالى : « ترجى من تشاء منهم و تؤوى إليك من تشاء » أقوال :

١ - عن ابن عباس : أى تؤخر من تشاء من أزواجك عن نوبتها ، و تضم إليك من تشاء . نهن فتأتيها . ٢ - عن مجاهد والجبائي و أبى مسلم : أى تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء و ترد إليك منهن بعد ذلك إياها بلا تجديد عقد .
٣ - عن قتادة والضحاك و أبى رزين : أى لك أن تبعد من تشاء منهم و أن تدعو و تأتي من تشاء منهم بغير قسمة بينهم . و قد كان النبي ﷺ يقسم بينهم ، فأحل الله تعالى له ﷺ ذلك .

٤ - عن ابن عباس أيضاً و ابن زيد : أى تطلق و تخلى من شئت من نسائك ، و تمسك من شئت منهم فلا تطلق . ٥ - عن قتادة أيضاً والحسن : أى تترك نكاح من شئت ، و تنكح من شئت من نساء امتك . و قال الحسن : إذا خطب النبي ﷺ امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها و يتركها .

٦ - عن أبى رزين انه قال : أراد النبي ﷺ أن يطلق أزواجه قلن له : افرض لنا من نفسك و مالك من شئت ، فأمر الله تعالى فأوى أربعاً و أرجى خمساً .

٧ - قيل : أريد بذلك التوسعة على النبي ﷺ في ترك القسمة بين أزواجه فلا يجب على النبي ﷺ بين زوجاته . فالنبي ﷺ كان مخيراً في أزواجه إن شاء أن يقسم بينهم قسم ، و إن شاء أن يترك القسم ترك ، فخص النبي ﷺ بان جعل الامر إليه فيه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون أن فرض ذلك عليه تطيباً لنفوسهن و صوتاً عن أقوال الغيرة التي تؤى إلى ما لا ينبغي .

٨ - عن الشعبي و زيد بن أسلم : أى تتزوج من تشاء من الواهبات ، وتترك منهن ، فتقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويها إليك ، و تترك من تشاء منهن فلا تقبلها . ٩ - قيل : ترجى أى تترك و تهمل أو تؤجل ، و تؤوى إليك و تدخل إليك .

أقول: والخامس هو المروى .

و فى قوله تعالى : « و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك » أقوال :

١ - عن قتادة و ابن زيد : أى و من نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح فعزلتها عن الجماع ، فلا جناح عليك فى ذلك .

٢ - عن ابن عباس : أى و من استبدلت ممن ارجيت ، فخليت سبيله من نسائك أو ممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك . ٣ - قيل : أى و من طلبت التى كنت تركتها فلا جناح عليك . ٤ - قيل : أى إن أردت أن تؤوى إليك امرأة ممن عزلت من القسمة ، وتضمها إليك فلا بأس عليك فى طلبها وضمها إليك .

أقول: والثالث هو الظاهر .

و فى قوله تعالى : « ذلك أدنى أن تقر أعينهن . . . » أقوال : ١ - عن

ابن عباس و مجاهد : أى انهن اذا علمن ان له صلى الله عليه وسلم ردهن إلى فراشه بعد ما اعتزلهن قرأت أعينهن ، ولم يحزن و يرضين بما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من التسوية والتفضيل لانهن يعلمن انهن لم يطلقن .

٢ - عن قتادة : أى ذلك التخيير الذى خيرناك فى صحبتهن ، وذلك التفويض إلى مشيئتك من الارجاء والايواء أدنى إلى رضاهن إذ كان من عندنا و أطيّب لنفوسهن و أقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك الرخصة بذلك من الله تعالى و يرضين بما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم من التسوية والتفضيل . و قررة العين عبارة عن السرور .

٣ - عن الجبائى : أى ذلك المعرفة منهن بانك اذا عزلت واحدة كان لك أن تؤويها بعد ذلك أدنى بسرورهن و قررة أعينهن . ٤ - قيل : أى نزول الرخصة

من الله تعالى أقرت لآعينهن وأدنى إلى رضاهن بذلك لعلمهن بما لهن في ذلك من الثواب في طاعة الله تعالى ، ولو كان ذلك من قبلك لحزن و حملن ذلك على ميلك إلى بعضهن .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « والله يعلم ما في قلوبكم ... » أقوال : ١ - قيل : أى الله يعلم ما في قلب النبي ﷺ من محبة شخص دون شخص ، وما فيه من الرضا والسخط والميل إلى بعض النساء دون بعض وانما خيّرناك فيهن تيسيراً عليك في كل ما أردت. وكان الله عليماً بمصالح عباده ، حليماً في ترك معاجلتهم بالعقوبة. ٢ - قيل : هذا وعيد لمن لم يرض من نساء النبي ﷺ بما دبر الله تعالى لها ، و كان الله عليماً بذات الصدور ، حليماً مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فتحاً لباب التوبة .

٣ - قيل : أى والله يعلم ما في قلوبكم من الخطورات والضامرات من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة ، و كان الله عليماً بكل ما تبدونه أو تخفونه حليماً غير عجول من العقوبة فلا تغترّوا بتأخيرها .

أقول: و على الأخير أكثر المفسرين .

٥٢ - (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك و كان الله على كل شيء رقيباً)

في قوله تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد » أقوال : ١ - عن ابن عباس و قتادة والضحاك و عكرمة و ابى ابن كعب و أبى رزين : أى لا يحل لك النساء من بعد الاصناف التى سميت . فالتسع نصاب رسول الله ﷺ كما ان الاربع نصاب امته منهم . ٢ - قيل : أى لا يحل لك النساء من اليهوديات ولا النصرانيات لئلا تكون كافرة أمماً للمؤمنين .

٣ - عن مجاهد و أبى صالح : أى لا يحل لك النساء من اللواتى نصّ على

إحلالهن من الاجناس الاربعة ، و أما غيرهن من الكتابيات والاماء بالنكاح والاعرايات والغرائب فلا يحل لك التزوج بهن . فالاية ليست بصدد تحريم غيرهن و لا المنع من طلاقهن .

٤ - عن ابي بن كعب و قتادة و عكرمة والضحاك : أى لا يحل لك النساء بعد التى أحللنا لك بقولنا: « يا أيها النبي انا احللنا لك أزواجك - إلى - اللاتى هاجرن معك و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » والمعنى : لا يحل لك من النساء الا التى أحللناها لك و حرّمنا عليك غيرها . فلو ماتت إحدى نساءه فله أن ينكح من هؤلاء الاصناف . و كان له أن يتبدل منهن و يتزوج منهن أكثر من تسع نساء حتى إن شاء ثلاثاً منهن . ٥ - قيل : يريد المحرمات فى سورة النساء فى قوله تعالى : « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم ... » : (٢٣) .
أقول: والرابع هو المردى .

و قوله تعالى : « و لا أن تبدل بهن من أزواج » أقوال : ١ - عن مجاهد وأبي رزين: أى و لا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من النصارى واليهود والمشركين .
٢ - عن الضحاك: أى و لا أن تبدل بأزواجك اللواتى هن فى حبالك أزواجاً غيرهن بان تطلقهن و تنكح غيرهن . فلا يصلح لك أن تطلق شيئاً من أزواجك ليس يعجبك فلم يكن يصلح ذلك له .

٣ - عن ابن زيد: أى و لا أن تبادل من أزواجك غيرك بان تعطيه زوجتك و تأخذ زوجته . و ذلك لان العرب كانت فى الجاهلية يتبادلون بازواجهم يعطى هذا امرأته هذا و يأخذ امرأته . فحرّم الله تعالى ذلك فى الاسلام و أجاز ذلك فى الاماء . فيجوز التبادل فى الاماء و أما الحرائر فلا .

أقول: و على الثانى أكثر المفسرين .

٥٦ - (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً)

في الصلاة قولان : أحدهما - عن ابن عباس : ان الصلاة من الله تعالى البركة على النبي ﷺ و من الملائكة الانعطاف عليه بالتركية ، والاستغفار ، و من المؤمنين الدعاء بالرحمة . ثانيهما - قيل : ان الصلاة من الله تعالى رحمته و رضوانه ، و من الملائكة الدعاء والاستغفار ، و من الامة الدعاء والتعظيم لأمره . و قيل : ان الصلاة من الله تعالى المغفرة والثناء ، و من الملائكة طلبهم إنزال الرحمة منه تعالى ، و من الامة الدعاء عليه .

أقول : والثاني هو المراد وإن كان لكل وجه .

و في قوله تعالى : « و سلموا تسليماً » أقوال : ١ - قيل : التسليم هنا : الانقياد للنبي ﷺ في جميع ما أمركم الله تعالى به والامتثال له والطاعة له لقوله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم لا يجدون من أنفسهم حرجاً مما قضيت و يسلموا تسليماً » .

٢ - قيل : اريد بالتسليم : التحية والسلام بصيغة : « السلام عليك أيها النبي و رحمة الله وبركاته » كما بعد التشهد في سلام الصلاة . ٣ - قيل : التسليم هنا : الدعاء أي ادعوا النبي الله محمد ﷺ دعاءً . ٤ - قيل : أي سلموا على النبي ﷺ بالدعاء . أي قولوا : السلام عليك يا رسول الله ﷺ .

أقول : قيل : الثاني هو الصواب لمكان العطف و للتبادر العرفي و عليه جمهور المفسرين . ولكن الاول هو المؤيد بالروايات الآتية ، و نحن لا نرى تنافياً بين الاقوال فتدبر جيداً .

٥٧ - (ان الذين يوذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة و أعد لهم عذاباً شديداً)

في إذاية الله سبحانه أقوال : ١ - قيل : أي بالكفر و نسبة صاحبة و الولد والفقر والشريك إليه سبحانه او وصفه بما لا يليق به كقول اليهود لعنهم الله تعالى : يدالله مغلولة و قول النصارى : المسيح ابن الله . وقول المشركين : الملائكة بنات

الله و الاصنام شركاؤه .

- ٢ - عن عكرمة : أى بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله الا الله بنحت الصور ورمى تكوين خلق كخلق الله تعالى وغير ذلك من نحييف الاقوال وباطل العقائد ...
- ٣ - قيل : أى بالمعصية و ارتكاب المحرمات و ترك الأوامر . . .

أقول: و التعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

و فى إذاية الرسول ﷺ أقوال : ١ - قيل : أى كل ما يؤذيه ﷺ من الاقوال و تكذيبهم إياه ﷺ كقولهم : انه ساحر كذاب، شاعر مجنون، مفترى كاهن . . . و من الافعال ككسر ربايعته و شجّ وجهه يوم احد ، و بمكة إلقاء السلى على ظهره و هو ساجد . . . ٢ - عن ابن عباس : هى طعنهم على النبى ﷺ فى نكاحه صفية بنت حبي بن أخطب اليهودى .

٣ - فى تفسير القرطبى قال: قال علماءنا : والطعن فى تأمير اسامة بن زيد إذاية له ﷺ . روى الصحيح عن ابن عمر قال : بعث رسول الله ﷺ بعثاً وأمر عليهم اسامة ابن زيد ، فطعن الناس فى إمرته فقام رسول الله ﷺ فقال : إن تطعنوا فى إمرته فقد كنتم تطعنون فى إمره أبيه من قبل ، و أيسم الله إن كان لخليقاً للإمارة و إن كان لمن أحب الناس إلى بعده .

أقول: و يتبادر من الاطلاق شمول الاذى لكل نوع من أنواع الاذى وسوء الادب والبذاءة والقذف والاحراج والبغى والغمز والسخرية واللمز والاستهزاء و التكذيب فى حق الله تعالى و حق رسوله ﷺ .

٥٨ - (و الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و اثماً مبيناً)

فى إيداء المؤمنين و المؤمنات أقوال : ١ - قيل : هى بالاقوال القبيحة و الافعال السيئة كالبهتان و التكذيب الفاحش المختلف . ٢ - قيل : هى تعبيرهم

بحسب مذموم أو حرفة مذمومة أو شيء يثقل عليهم إذا سمعوه . ٣ - قيل : نزلت الآية في ناس من المنافقين الذين كانوا يؤذون علياً عليه السلام . ٤ - عن مجاهد : أى والذين يقفون المؤمنين و المؤمنات و يعيبونهم طلباً لشينهم بغير ما عملوا . ٥ - عن الضحاك والسدى والكلبي : نزلت في قوم من الزناة كانوا يمشون في الطرقات ليلاً فإذا رأوا امرأة غمزوها و كانوا يطلبون الاماء .

أقول: و لكل وجه و التعميم هو الاوجه .

٥٩- (يا أيها النبي قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين و كان الله غفوراً رحيماً)

قوله تعالى: «يدنين عليهن من جلابيبهن» في كيفية إرخاء الجلابب أقوال:

١- عن ابن عباس : بان تلويه المرأة حتى لا يظهر منها الآ عين واحدة تبصر بها . فالمعنى : أن يغطين وجوههن و رؤسهن فلا يظهرن منهن الآ عيناً واحدة . ٢ - عن ابن عباس أيضاً و قتادة : بان تلويه فوق الجبين و تشده ثم تعطفه على الانف ، و إن ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر و معظم الوجه .

٣- عن الحسن : بان تغطى نصف وجهها . ٤- قيل : أى يستترن بها فلا يظهر جيوبهن و صدورهن للناظرين . ٥ - عن قتادة أيضاً : أى أن يقنعن على الحواجب .

أقول: و الاول هو الاحوط و الاقرب إلى التقوى .

و فى «جلابيبهن» أقوال : ١ - عن ابن عباس و ابن مسعود : الجلابيب جمع الجلاب و هو الرداء التى تستر بها النساء . ٢ - عن الحسن : الجلابب المملأة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ، فتستر موضع الجيب ، و تغطى جميع بدنها . ٣- قيل : الجلابب هو ثوب أكبر من الخمار يستر جميع البدن . ٤ - عن ابن عباس أيضاً و مجاهد : هو قناع تغطى النساء جباههن و رؤسهن إذا خرجن لحاجة بخلاف الاماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤس و الجباه .

٥ - عن أبي مسلم والجبائي : الجلابيب : الثياب والقميص والخمار و ما تستتر به المرأة . ٦ - قيل : الجلابيب هو العباءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار . ٧ - قيل : الجلابيب : هو الخمار الذي تستر به شقوق الثياب .
أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين .

و في قوله تعالى : « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أقوال : ١ - قيل : أى ذلك الارضاء أقرب أن يعرفن انهن حرائر حتى لا يختلطن بالاماء فاذا عرفن لم يقابلن بادنى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية ، فتقطع الاطماع عنهن . روى انه لما كانت الحرائر والاماء فى المدينة يخرجن ليلاً لقضاء الحاجة فى الغيطان و بين النخيل بلا فارق بين الحرائر والاماء ، و كان فى المدينة فساق يتعرضون للاماء و ربما تعرضوا للحرائر فاذا كلموا فى ذلك قالوا : حسبناهن إماء - فطلب من رسول الله ﷺ أن يأمر الحرائر أن يخالفن الاماء فى الزى والتستر ليتمايزن و يهين فلا يطمع فيهن طامع .

٢ - قيل : أى ذلك التستر أقرب إلى أن يعرفن انهن لسن بزانيات ، فان التى سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها . فبذلك يفرق بين الحرائر والعواهر فيمتنع بذلك أذى الفسقة والفجار عنهن .

٣ - قيل : أى بذلك تعرف المرأة و تعلم من هى . ٤ - عن الجبائي : أى ذلك أقرب إلى أن يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لان الفاسق اذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها .

أقول: وعلى الاخير جمهور المحققين .

٦٠ - (لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً)

فى قوله تعالى : « لئن لم ينته المنافقون » أقوال : ١ - قيل : أى لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم . ٢ - قيل : أى لئن لم ينته المنافقون عن ايداء نساء

المؤمنين ومرادتهم . ٣ - قيل: أى لئن لم ينته المنافقون عن إيذاء المسلمين و عما يثيرون فيهم من وساوس و دسائس . . .

٤ - قيل: أى لئن لم ينته المنافقون عن إيذاء الله تعالى ورسوله ﷺ . ٥ - قيل: أى لئن لم يكف المنافقون عن الافساد في الحرث والنسل وإشاعة الفحشاء .
أقول: والتعميم غير بعيد عن ظاهر الاطلاق .

و في قوله تعالى: « والذين في قلوبهم مرض » أقوال : ١ - عن عكرمة و قتادة و أبي صالح و ابن زيد و شهر بن حوشب : أى الذين في قلوبهم شهوة الزنا و حب الفجور فهم يؤذون المؤمنين باتباع نسايتهم .

٢ - قيل : هم صنف من أهل النفاق لقوله تعالى: « و من الناس من يقول آمّن بالله و باليوم الآخر و ما هم بمؤمنين - في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » البقرة : ٨ - ١٠) - ٣ - قيل : هم ضعاف الايمان .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين الثاني .

و في قوله تعالى: « والمرجفون في المدينة » أقوال : ١ - عن قتادة و ابن زيد : هم قوم كانوا يخبرون المؤمنين بما يسوؤهم من عدوهم فيقولون اذا خرجت سرا يا رسول الله ﷺ : انهم قد قتلوا أو هزموا و ان العدو قد أتاكم ، و ان محمداً ﷺ قد غلب و سيخرج محمد ﷺ من المدينة ، و سيؤخذ أسيراً و نحو ذلك مما يراد به إظهار ضعف المؤمنين و سحق الناس منهم ، و إلقاء الاضطراب بين المؤمنين .

٢ - قيل : هم قوم كانوا يقولون : أصحاب الصفة قوم عزّاب فهم الذين يتعرضون للنساء . ٣ - قيل: هم قوم من المسلمين ينطقون بالاخبار الكاذبة حباً للفتنة، و قد كان في أصحاب الافك قوم مسلمون، ولكنهم خاضوا حباً للفتنة و قال ابن عباس : الارجاف إلتماس الفتنة وإشاعة الكذب و الباطل للاغتمام به و إلقاء الاضطراب بسببه .

٤ - قيل : هم قوم يتبعون النساء للريبة . ٥ - قيل : هم قوم يشككون

المسلمين فان الارجاف : تحريك القلوب ، يقال : ارجفت الارض : تحركت و
تزلزلت فهم الخائضون في أخبار السوء من غير حقيقة لها سمى بذلك لكونه
خبيراً متزلزلاً غير ثابت من الرجفة و هي الزلزلة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر.

و في قوله تعالى : « لنغرينك بهم » أقوال : ١ - عن ابن عباس : أى

لنسلطنك عليهم يا محمد ﷺ و ندعونك إلى قتالهم و إجلائهم عن البلاد .

٢ - عن أبي مسلم : أى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم و تخلى عنهم المدينة .

و قد حصل الاغراء بهم بقوله تعالى : « جاهد الكفار والمنافقين و اغلظ عليهم »

التوبة : (٧٣) ٣ - عن الجبائى : أى لنحرضنك عليهم ولكن لم يحصل التحريض

والاغراء بهم لانهم انتهوا . قال : و لو حصل التحريض والاغراء لقتلوا و شردوا

و اخرجوا عن المدينة .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

و في قوله تعالى : « ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً » أقوال : ١ - قيل :

أى لا يجاورونك في المدينة الا في حال قتلهم . ٢ - قيل : أى لا يقون معك

في المدينة الا مدة يسيرة و وقتاً قليلاً . ٣ - قيل : أى لا يجاورونك في المدينة الا

جواراً قليلاً حتى يهلكوا او تخلوا المدينة منهم بالموت او الاخراج . ٤ - قيل :

أى لا يجاورونك الا أفلاء أذلاء . ٥ - قيل : أى لا يساكنونك في المدينة الا

يسيراً و هو ما بين الامر بالقتل و ما بين قتلهم .

أقول: والاخير هو الانسب بظاهر السياق فتدبر جيداً .

٦٨ - (ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

في « ضعفين من العذاب » أقوال : ١ - عن قتادة : أى عذاب الدنيا وعذاب

الآخرة . ٢ - قيل : أى عذاب الكفر والضلال ، و عذاب الاضلال . فضعفاً لضلالهم

في أنفسهم وضعفاً لضلالهم إيانا . والمعنى : عذبهم مثلى ماتعذبنا فانهم ضلوا و أضلوا .

٣ - قيل : أى اللعنة والعذاب فى الآخرة .

أقول : وعلى الثانى جمهور المحققين .

٦٩ - (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا و كان عند الله وحيهاً)

فى قوله تعالى : « كالذين آذوا موسى » أقوال : ١ - عن ابن عباس وابن زيد والحسن : ان من بنى اسرائيل من قالوا : ان موسى عليه السلام عتبن لا يقدر الجماع . وذلك كان موسى عليه السلام حياً ستيراً يغتسل وحده فقالوا : ما يستمر منا الا لعيب فى رجولته وليس له قضيب ، فذهب موسى عليه السلام يوماً يغتسل فى عين بأرض الشام ، فوضع ثوبه على حجر فمرّ الحجر بثوبه ، فطلبه موسى و اتبعه عرياناً يقول : نوبى حجر نوبى حجر - أى دع نوبى يا حجر - حتى انتهى إلى ملأ من بنى اسرائيل فرأوه عرياناً كاحسن الرجال خلقاً وأعد لهم صورة فبرأه الله تعالى مما قالوا فيه . ان قلت : كيف نادى موسى عليه السلام الحجر نداء من يعقل ؟

قلت : لانه صدر عن الحجر فعل من يعقل كالشجر والبقر باذن الله تعالى .

٢ - قيل : ان قومه عليه السلام نسبوه إلى عيب فى بدنه من برص لشدة تستره .

٣ - عن أبى العالية : ان قارون قرّر مع امرأة فاحشة أن تنسبه عليه السلام إلى الزنا . وذلك ان قارون استأجر مومسة - فاجرة - لتفذف موسى عليه السلام بنفسها على رأس الملأ فعصمه الله تعالى من ذلك . ٤ - قيل : ايذاءهم تكذيبهم رسالته عليه السلام .

٥ - قيل : ايذاءهم حيث قالوا : « لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة » وقالوا

« لن نصبر على طعام واحد » . ٦ - قيل : انهم قالوا : ان به عليه السلام ادرة وهى نفخة فى الخصية . ٧ - عن أبى مسلم : نسبوه إلى السحر والجنون والكذب بعد ما رأوا الايات فبرأه تعالى .

٨ - عن ابن عباس أيضاً و الجبائى : أى صعد موسى و هارون الجبل فمات

هارون فقال بنو اسرائيل لموسى عليه السلام : انت قتلته إذ كان ألين لنا منك و أشد حياءً

فآذوه من ذلك فأمر الله تعالى الملائكة فمرّوا به على مجالس بنى اسرائيل فتكلمت بموته حتى عرفوا انه قدمات و برآه الله من ذلك ، فما عرف موضع قبره الا الرخم و ان الله تعالى جعله أصم و أبكم ، ومات هارون قبل موسى في التيه ومات موسى عليه السلام قبل انقضاء مدة التيه بشهرين .

أقول: و على الاول أكثر المعسرين وهو الاشهر .

وفي قوله تعالى : « وكان عند الله وجيهاً » أقوال : ١ - قيل : أى عظيم القدر و رفيع المنزلة . يقال : وجه وجاهة فهو وجيه اذا كان ذا جاه و قدر و منزلة و مكانة . ٢ - عن ابن عباس : أى كان عند الله خطيراً لا يسئله شيئاً إلا أعطاه ، الوجيه فى كلام العرب : المحب المقبول . ٣ - قيل : أى كلمه تكليماً . ٤ - أى مشفعاً فيما يسئله ذواجه و منزلة عنده بطاعته إياه .

أقول: و لكل وجه و المآل واحد .

٧٠- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً)

فى قوله تعالى : « قولاً سديداً » أقوال : ١ - عن ابن عباس : أى صواباً بريئاً من الفساد ، خالصاً من شائبة الكذب و اللغو ، موافق الظاهر للباطن . ٢ - عن قتادة و مقاتل : أى قولاً سديداً فى شأن زيد و زينب و لا تنسبوا النبى صلى الله عليه وسلم إلى ما لا يحل و لا يليق به . ٣ - عن ابن عباس أيضاً و عكرمة و الحسن : القول السديد : لإله الآلهة . ٤ - قيل : القول السديد ما يوافق ظاهره باطنه و يطابق الواقع و يخلو عما يفسد به إصلاح ، و يصل به إلى الحق . ٥ - قيل : هو ما يريد به وجه الله تعالى دون غيره .

٦ - قيل : القول السديد : هو الإصلاح بين المتشاجرين وهو مأخوذ من

تسديد السهم ليصاب به الغرض ، و القول السداد يعم الخيرات فهو عام فى جميع ما ذكر و غير ذلك . ٧ - قيل : أى قولاً قاصداً غير جائز حقاً غير باطل . ٨ - قيل : القول السداد : الامتناع عن اتهام الناس بما ليس فيهم و إلتزام حدود الحق و

السداد في كل ما يصدر عن المرء من قول و عدم التفوه بغير ما فيه السداد . ٩ -
 عن قتادة أيضاً و الكلبي : أى قولاً صدقاً و عدلاً في منطقتهم و عملهم كله .
 أقول: والسابع هو المؤيد بالرؤية الآتية من غير تناف بينه و بين الاقوال
 الاخر .

٧١- (يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم و من يطع الله و رسوله فقد
 فاز فوزاً عظيماً)

في « يصلح لكم أعمالكم » أقوال: ١ - عن ابن عباس ومقاتل : أى يتقبل
 الله حسناتكم . ٢ - قيل : أى يزكى أعمالكم . ٣ - قيل : أى يوفقكم الله تعالى
 لصالح الاعمال إذ ترتب إصلاح الاعمال و مغفرة الذنوب على ملازمة القول السديد
 ، و ذلك لان النفس إذا لازمت القول السديد انقطعت عن كذب القول و لغو الحديث
 و الكلام الذى يترتب عليه فساد ، و برسوخ هذه الصفة فيها تنقطع طبعاً عن الفحشاء
 و المنكر و اللغو فى الفعل ، وعند ذلك يصلح أعمال الانسان ، فيندم بالطبع على
 ماضيه من عمره فى موبقات الذنوب إن كان قد ابتلى بشيء من ذلك و كفى
 بالندم توبة .

و يحفظه الله تعالى فيما بقى من عمره عن اقتحام المهلكات ، و إن رام شيئاً
 من صفات الذنوب غفر الله له فقد قال تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
 نكفر عنكم سيئاتكم » النساء : ٣١) فملازمة القول السديد تسوق الانسان إلى
 صلاح الاعمال و مغفرة الذنوب باذن الله تعالى .

أقول: و على الاخير أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى: « فقد فاز فوزاً عظيماً » أقوال: ١ - قيل : أى فقد أفلح
 إفلاحاً عظيماً . ٢ - قيل : أى فقد ظفر برضوان الله تعالى و كرامته . ٣ - قيل:
 أى نال بغاية مطلوبه .

أقول: و لكل وجه و المآل واحد .

٧٢- (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فايين أن يحملنها
و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

قوله تعالى : « انا عرضنا الامانة » في عرض الامانة أقوال : ١ - عن الجبائي :
ان العرض هنا حقيقة و لكن على تقدير المضاف أى انا عرضنا الامانة على أهل
السموات و أهل الارض و أهل الجبال من الملائكة و الانس و الجن . فحذف
المضاف واقيم المضاف إليه مقامه والعرب يخبر عن أهل الموضوع بذكر الموضوع
و يسميهم باسمه كقوله تعالى : « و اسئل القرية التي كنا فيها و العير » يريد
أهل القرية و أهل العير .

و قال : اذالم يصح حمل الامانة على نفس السموات و الارض والجبال فلا بد
أن يكون المراد به أهلها لانه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم
لان ذلك لا يصح الآ فيهم . و المراد من عرض الامانة عليهم هو التعريف لهم بان
في تضييعها اثم و عقاب و في أدائها أجر و ثواب . و انما ذهب الجبائي إلى هذا
التكلف لاستبعاد طلب الطاعة من الجمادات . . . و قال بعض المتكلمين : ان معنى
« عرضنا » أظهرنا . والمعنى : أظهرنا الامانة و تضييعها على أهل السموات و أهل
الارض و أهل الجبال من الملائكة و الانس و الجن . و قيل : ان المقصود من
السموات والارض و الجبال هو أهلها و يدخل في ذلك الملائكة و الحيوان على
اختلافه عدا بنى آدم فان بنى آدم حملوا الامانة ولم يابوا .
قيل : و قد كان العرض على أهل السموات و الارض و أهل الجبال قبل خلق
آدم و خيروا بين التكليف لما كلفه آدم و بنوه فاشفقوا من التفريط فيه و استعفوا
منه فأعفوا ، فتكلفه الانسان ففرط فيه .

٢ - عن ابن عباس : أى انا عرضنا الامانة على نفس السموات و الارض و
الجبال . . و قد حفظها الملائكة و الانبياء و المؤمنون و قاموا بنفس الامانة .
قيل : و هذا على سبيل التفخيم لشأن الامانة و تعظيم حقها ، وان من عظم منزلتها :

انها لو عرضت على السموات والارض والجبال مع عظمها و كانت تعلم بأمرها لاشفت منها غير انه خرج مخرج الواقع لانه أبلغ من المقدر .

وقال علم الهدى السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه في تفسير هذه الآية : انه لم يكن عرض في الحقيقة على السموات والارض والجبال بقول صريح أو دليل ينوب مناب القول و انما الكلام في هذه الآية مجاز اريد به الايضاح عن عظم الامانة وثقل التكليف بها و شدته على الانسان ، و ان السموات والارض والجبال لو كانت مما يقبل لأبت حمل الامانة ، و لم تؤد مع ذلك حقها ، و نظير ذلك قوله تعالى : « تكاد السموات يتفطرن منه و تنشق الارض و تخرب الجبال هداً » و معلوم ان السموات والارض والجبال جماد لا تعرف الكفر من الايمان ، ولكن المعنى في ذلك إعظام ما فعله المبطلون و نفوّه به الضالون ، و أقدم به المجرمون من الكفر بالله تعالى ، و انه من عظمه جار مجرى ما يثقل باعتماده على السموات والارض والجبال ، و ان الوزر به كذلك ، و كان الكلام في معناه ما جاء به التنزيل مجازاً و استعادة كما ذكرناه .

و مثل ذلك قوله تعالى : « و ان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » و معلوم ان الحجارة جماد لا يعلم فيخشى أو يرجو و يؤمل ، و انما المراد بذلك تعظيم الوزر في معصية الله تعالى ، و ما يجب أن يكون العبد عليه من خشية الله تعالى ، و قد بين الله تعالى ذلك بقوله في نظير ما ذكرناه : « و لو أن قرآناً سيرت به الجبال » فبين بهذا المثل عن جلاله القرآن و عظم قدره و علو شأنه ، و انه لو كان كلام يكون به ما عدّه و وصفه لكان بالقرآن لعظم قدره على سائر الكلام . انتهى كلامه رفع مقامه .

و قيل : إن فائدة هذا العرض إظهار ما يجب حفظها ، و عظم المعصية في تضييعها ، فأخبر الله تعالى بعظم شأن الامانة و جلاله قدرها و فظاعة خيانتها و ترك أدائها . و ان الله تعالى أوجد السموات مع عظمها لانحمل الامانة ولكن الانسان

حملها مع معرفته بعظمتها و ضمان القيام بها و أداء الحق فيها ولكن خانها ولم يؤد حقها . فالمراد تعظيم شأن الامانة لامخاطبة الجماد . والعرب تقول: سئلت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب . و انما هو اخبار عن الحال عبر عنه بذكر السؤال والجواب . و تقول : أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال .

٣ - عن الحسن : أى أظهرنا للسموات والارض والجبال ثواباً و عقاباً فى حمل الامانة و تضييعها ، فلم يحملن وزرها و أشفقن و قلن : لا نبتغى ثواباً و لا عقاباً فاننا لا نطيعه و نحن لك سامعون و مطيعون فيما امرن به و سخرن له . قيل: و من المعلوم : ان الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة . فالعرض عرض تخيير لا الزام و ان العرض على الانسان إلزام .

٤ - عن القفال: ان العرض فى هذه الاية ضرب مثل أى ان السموات والارض على كبر أجرهما لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرائع لما فيها من الثواب والعقاب . أى ان التكليف أمر حقه أن تعجز عنه السموات والارض والجبال و قد كلفه الانسان فهو ظلوم جهول لو عقل . و هذا كقوله تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل » ثم قال : « وتلك الامثال نضربها للناس » فتحمل الاية على ضرب المثل . فالمراد تصوير عظم الامانة و ثقل حملها ، فمثلت حال التكليف فى صعوبته و ثقل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على هذه الاجرام العظام .

٥ - عن أبى مسلم : ان الاية من المجاز والمعنى : اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السموات والارض والجبال رأينا رجحان الأمانة وان السموات . . . لانطيقها ، و انها لو تكلمت لأبت و أشفقت ، فعبّر عن هذا المعنى بعرض الامانة كقولك : عرضت الحمل على البعير فأباه و أنت تريد : قايست قوته بثقل الحمل فرأيت انها تقصر عنه

وقيل : ان العرض أسهل من الفرض ، ولهذا كفر ابليس بالاباء ولم يكفر

هؤلاء بالاباء لان هناك استكباراً و ههنا استصغاراً بدليل قوله : « وأشفقن منها ». والمعنى : عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت هذه الاشياء عن الامانة و رجحت الامانة بثقلها عليها فان هذه الامانة في جلاله موقعها وعظم شأنها لو عورضت وقيست السموات . . . بهذه الامانة لكانت الامانة أثقل وزناً . و معنى : « فأبين أن يحملنها » ضعفن عن حملها كذلك و « أشفقن منها » لان الشفقة : ضعف القلب ، ولذلك صار كناية عن الخوف الذي يضعف عنده القلب ثم قال : ان هذه الامانة التي من صفتها انها أعظم من تلك الاشياء العظيمة تقلدها الانسان ، فلم يحفظها بل حملها و ضيعها لظلمه على نفسه ولجهله بمبلغ الثواب والعقاب . ٦- قيل : ان هذا العرض عرض امتحان لهذه العوالم و ما فيها ومن فيها في مواجهة الانسان حتى يظهر عجزها و يبين فضل الانسان عليها . . . وهذا مثل عرض الاسماء على الملائكة امتحاناً لهم في مواجهة آدم . . . فلما ظهر عجزهم اعترفوا لآدم بماله من فضل استوجب سجودهم له !!

أقول: وعلى الثاني أكثر المحققين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر . وفي « الامانة » أقوال : ١- عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قتادة و أبي العالية : هي الفرائض التي افترضها الله تعالى على عباده فرائض تشريعية من الأوامر والنواهي . . . فالامانة تعم جميع وظائف الدين ائتمن الله جل وعلا عليها عباده وسميت أمانة من قبل أنها حقوق أوجبها الله تعالى على المكلفين و ائتمنهم عليها و أوجب عليهم تلقيها بالطاعة والانقياد و أمرهم بالمحافظة عليها و أدائها دون الاخلال بشيء منها .

٢- قيل : الامانة هي القرآن الكريم . ٣- عن ابن زيد و قتادة : هي الدين الاسلامي اصولاً وفروعاً . قيل: معناه : لو كانت السموات والارض والجبال ذوى عقول و عرضنا الدين الاسلامي عليها عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها و شدتها و قوتها ولا متنعت من حملها خوفاً من القصور عن أداء حقها

ثم حملها الانسان مع ضعف جسمه و لم يخف الوعيد لظلمه و جهله . ٤ - عن عبدالله بن مسعود : هي أمانات الناس و ودائعهم فيما بينهم من الاموال و غيرها لا بد من أدائها إلى أصحابها و الوفاء بالعهود .

٥ - قيل : هي الامانة من كل شيء : الصلاة أمانة ، و الجهاد أمانة ، و الصوم أمانة ، و الحج أمانة ، و الجاه و العلم : الادلاد و الزوجة و الولد و الملك و الحديث... أمانات تأخذ من الانسان بعد يوم أو أيام . . . و القوى الظاهرة و الباطنة كلها أمانات . . . قيل : ان الآية تقرير للوعد السابق بتعظيم الطاعة و سماها أمانة من حيث انها واجبة الاداء ، و المعنى انها لعظمة شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام ، و كانت ذات شعور و إدراك لابين أن يحملنها ، و حملها الانسان مع ضعف بنيته و رخاوة قوته لاجرم فازالراعى لها و القائم بحقوقها بخير الدارين « انه كان ظلوماً » حيث لم يف بها و لم يراع حقها « جهولاً » بكنه عاقبتها و هذا وصف للجنس باعتبار الاغلب .

٦ - عن السدى : عنى بالامانة هنا إئتمان آدم ابنه قابيل على أهله و ولده ، و خيانة قابيل أباه في قتله أخاه هايل . و قيل : فى قصة قبول قربان أحدهما و رد الآخر . ٧ - عن بعض المتكلمين : اريد بالامانة ما خلق الله تعالى فى هذه الاشياء التى تدل على وحدانيته و ربوبيته . قال الشاعر :

و فى كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فالامانة على هذا ما أودع الله تعالى فى السموات و الارض و الجبال من الدلائل على وحدانيته و ربوبيته ، فأظهرتها ، و أما الانسان الكافر كتمها و جردها لظلمه . و يرجع إليه ما قيل : المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية و الاختيارية و المراد بعرضها استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار و إرادة صدوره من غيره ، و بحملها الخيانة فيها و الامتناع عن أدائها . و منه قولهم : « حامل الامانة و محتملها » لمن لا يؤدبها فتبرأ نعتة ، فيكون الاباء عنه اتياناً بما يمكن

أن يتأتى منه ، والظلم والجهالة للخيانة والتقصير .

٨ - عن ابي ابن كعب: ان المرأة او تمتت على فرجها والرجل على فرجه ، فعليهما أن يحفظهما من الفاحشة . ٩ - قيل : الامانة هنا الشهوة المركبة التي جعلت في الانسان فلا بد من صرفها فيما يحل .

١٠ - قيل : ان في الاية بيان لما جعل الله تعالى في الانسان من المقتضى لقبول الامانة التشريعية و أدائها على وجهها ، و الا فغير الانسان مكلف تكويناً كما قال تعالى : « فقال لها و للارض اثتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين » وهذا الاقتضاء الذي يعبر عنه بالاستعداد في الانسان يجعله مميزاً مما سواه و أعطاه الله تعالى ما يؤيده و يأمره بأداء الامانة لئلا يخونها وهو العقل ، و ذلك لان الانسان يستعد أن تجمع فيه جميع الصفات الحسنة أو القبيحة فهو وحده يليق بذلك الاستعداد أن يحمل الامانة و بذلك يعطى العقل والشعور واللسان فيتعقل ويستشعر ويتكلم . فالمعنى : انا لم تخلق ما سوى الانسان مستعداً لقبول الامانة الالهية ليقبلها ولكننا خلقنا الانسان مستعداً لذلك ، وفي وسعه أن يحفظها و يؤدي حقها مختاراً ، ولولا الاختيار لما كان قادراً في حملها و أداءها .

وقيل: ان المراد بالامانة العقل والتكليف ، و بعرضها على السموات . . . اعتبارها بالاضافة إلى استعدادهن ، و بابائهن الالباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد ، و بحمل الانسان قابليته و استعدادها لها ، فالامانة هي أهلية التكليف أو التكليف نفسه بما فيه من الاخلاص لله تعالى وعبادته و التزام أو امره و نواهيته ... و كونه ظلوماً جهولاً لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية ، وعلى هذا يحسن أن يكون علة للحمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمناً على القوتين حافظاً لهما عن التعدي ومجاوزه الحد و معظم مقصود التكليف تعديلهما و كسر سورتهما .

و قال النظام في تفسيره : والظاهر عندى ان الامانة هي الاستعداد الذي

جبل كل نوع من المخلوقات عليه ، و حمل الامانة عبادة عن عدم أداء حقها كما يقال : فلان ركب عليه الدين فكل من أخرج ما في قوته إلى الفعل فهو مؤد للامانة وقاض حقها ، و الآ فهو حامل لها ، ولا ريب ان السموات مسخرات بأمره كل يجري لأجل مسمى والارض ثابتة في مستقرها ، والجبال راسخة في أمكنتها وهكذا كل نوع من الانواع مما يطول تعدادها ، وإليه الاشارة بقوله سبحانه : « و ما منا الا له مقام معلوم » الا الانسان ، فان كثيراً من الاشخاص بل أكثرها مائلة إلى أسفل السافلين الطبع فلا جرم لم يقض حق الامانة وانحط إلى رتبة الأنعام ، فوصف بالظلمية لأنه صرف الاستعداد في غير ما خلق لأجله و بالجهولية لأنه جهل وخامة عاقبة إفساد الاستعداد أو علم و لم يعمل بعلمه فنفي عنه العلم لانتفاء ثمرته فاللام في الانسان للجنس و حمل الشيء على بعض الجنس يكفى في صدقه على الجنس .

١١- قيل : هي كلمة التوحيد : لا اله الا الله . ١٢- قيل: اريد بها معرفة الله تعالى بما فيها ١٣- عن أبي الدرداء : الامانة هي غسل الجنابة ، لان الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها . ١٤- قيل: الامانة هي تعليم الاسماء اذ قال تعالى : « و علم آدم الاسماء كلها » و مفاد « علمه البيان » وخلافة الهية « انى جاعل في الارض خليفة » ١٥ - قيل : اريد بالامانة هنا أداء الامانة ضد الخيانة . و قيل : قبول الامانة .

١٦- قيل: ان المراد بالامانة الامامة والخلافة الكبرى للامام أمير المؤمنين على ابن أبي طالب عليه السلام و حملها إدعائها بغير حق ، والمراد بالانسان هو أول من غضبها ، هي عرضت على السموات والارض والجبال فأبين أن يدعوها ويغضبوها أهلها و حملها أول من ادعاها و غضبها . كما ان الوحي كان أمانة حيث اطلق على جبرائيل في إرسال الوحي أميناً كما في دعاء الرجب : « اللهم صل على جبرائيل أمينك على وحيك » وأطلق على الانبياء امناء في تبليغ رسالاتهم إلى الناس .

أقول: والاخير هو المؤيد بكثير من الروايات الواردة سيأتيك بعضها. والحق ان جميع الاقوال داخل في الاية الكريمة بحسب بطونها كما قيل : ان المراد بامانة التكليف بالعبودية لله جل و علا على وجهها و التقرب بها إلى الله تعالى كما ينبغي لكل عبد بحسب استعداده لها ، و أعظمها الامامة و الخلافة الالهية لأهلها ثم تسليم من لم يكن من أهلها لأهلها وعدم إداء منزلتها لنفسه ، ثم سائر التكليف ، و المراد بعرضها على السموات والارض والجبال النظر إلى استعدادهن لذلك ، و بابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عبارة عن عدم اللياقة ، و تحمّل الانسان إياها تحمّله لها من غير استحقاق غضباً على أهلها ، أو مع تقصيره بحسب وصف الجنس باعتبار الاغلب، فهذه معانيها الكلية و كل ما ورد في تأويلها في مقام يرجع إلى هذه الحقائق كما يظهر عند التدبر و التوفيق من الله جل و علا أعاذنا الله القادر المتعال من العصبية الجهلاء و الحمية العمياء و وفقنا للائتمام بامامة مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبي طالب و باحدى عشر من أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين و للتبرّي من أعدائهم . . . و الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

و في قوله تعالى : «حملها» أقوال : ١ - قيل : إى التزام القيام بحق الامانة .
 ٢ - قيل : ان المراد بالحمل هنا قبول الامانة لكونه مستعداً لها فاشتمل على صلاحيتها و التهيؤ للتلبس بها على ضعفه و صغر حجمه ، فما فيه من الاستعداد هو أكبر من السموات و الارض و الجبال . ٣ - عن الحسن و الجبائي : أى خان في الأمانة و ضيّعها لان نفس الامانة قد حملتها الملائكة و قامت بها . وقال الزجاج : كل من خان الامانة فقد حملها و من لم يحمل الأمانة فقد أداها ، و كذلك كل من أتم فقد احتمل الاثم قال الله تعالى : « و ليحملن أثقالهم و أثقالاً مع أثقالهم » فقد أعلم الله تعالى ان من باء بالاثم يسمى حاملاً للاثم ، و من هنا حمل الكافر و المنافق الامانة أى خانا و ضيّعاً حقها .

أقول: و الاخير هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه وبين الاول لما اخترناه سابقاً فتد برجيدياً .

و في «الانسان» أقوال : ١ - عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و الضحاك: ان المراد بالانسان آدم عليه السلام. و ذلك قال الله تعالى لآدم : يا آدم انى عرضت الامانة على السموات و الارض و الجبال فلم تقبها فهل أنت حاملها بما فيها؟ فقال : و ما فيها يا رب؟ قال : إن حملتها أجرت و إن ضيعتها عذبت ، فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة إلاّ قدر ما بين صلاة الاولي إلى العصر حتى أخرجه الشيطان منها . ٢ - عن الحسن و الزجاج : اريد بالانسان هنا الكافر و المنافق و العصاة . ٣ - قيل : اريد بالانسان النوع كله . ٤ - عن السدى : الانسان هنا قابيل وهو كان جهولاً حين حمل أمانة آدم و لم يحفظ له أهله .

أقول: و لكل وجه يظهر وجهه في المختار السابق .

وفي قوله تعالى : « ظلوماً جهولاً » أقوال : ١ - عن ابن عباس و ابن جبير و الجبائي : ظلوماً على نفسه بالخيانة مع كمال شأن الامانة و عظيم رفعتها و علو منزلتها ، و على غيره بالغصب ، و إدعائها لنفسه وهو غير يليق بها ، و على الأمانة نفسها لصرها عن أهلها إلى غير يليق بها ، و إلى غير مستحق لها ، جهولاً بموضع الامانة ، و درك حقيقتها في نفسه بان له صفة إختيار في القبول بأن يقبل الأمانة باختياره و في العمل بان يؤديها باختيار ، جهولاً لقدر ما دخل فيه وهو غير لائق به غرآ بأمر الله تعالى ، و جهولاً عن حقها و بموضع الامانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها و الثواب في أدائها و ردها إلى أهلها .

٢ - قيل : أى كثير الظلم لنفسه لما غلب عليه من القوة الغضبية ، جهولاً : كثير الجهل لعواقب الامور لما غلب عليه من القوة الشهوية ، جاهلاً بما تعقبه هذه الامانة لو خانها من وخيم العاقبة و الهلاك الدائم . ٣ - عن الحسن و الزجاج و الضحاك : ظلوماً لنفسه بتحملة ما يشق عليها ، جهولاً بربه المتعال ، و بنفسه و قدره

و منزلته لما فيه من الاستعداد ما ليس في غيره من الخلق ، و جهولاً فيما احتمل فيما بينه و بين ربه . ٤ - قيل : ظلوماً لنفسه بارتكاب المعاصي و جهولاً بمبلغ الثواب و العقاب . ٥ - قيل : ظلوماً حيث لم يف بها ، و لم يراع حقها ، جهولاً بكنه عاقبتها . ٦ - قيل : ان الانسان كان ظلوماً جهولاً في ظن الملائكة إذ قالوا : أنجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء .

أقول: و التعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

و في المقام كلام لبعض الحكماء نوره أفراداً لما فيه من لطائف و نكات خاصة على طريق الاختصار : « قد تشعب أقوال العلماء و أئمة ، و اختلفت آرائهم في أن المراد من هذه الامانة المخصوص بحملها الانسان ماذا ؟ فقائل : ان المراد منها هو العقل ، فينتقض بالملك ، و قائل : انه التكليف فهو منقوض بالجن لانه مساهم للانسان في كونه مكلفاً ، و قائل : انه التركيب بين الروح و الجسد ، فنوقض بالفلك ، و قائل : انه الهيئة الاجتماعية الحاصلة من إجتماع القوى الفاعلة و المنفعلة و النفسانية و البدنية المدركة بأنواع الادراكات الحسية و الخيالية و الوهمية و العقلية المحركة بأنواع الحركات الفكرية و الارادية و الطبيعية و الكمية و الكيفية و الأينية و الوضعية .

و بالجملة كون الذات الواحدة بحيث يوجد فيها انموذج سائر الأشياء ، و هو أيضاً كما ترى لانتقاضه بصورة العالم الكبير لانه أيضاً شخص واحد له وحدة طبيعية ، و لان شبه الجمعية المذكورة يوجد في بعض الحيوانات التامة الحواس سيما عند من يرى ان لها نفساً مدركة للكليات ، على أنه قد أهمل في كل من هذه الاحتمالات رعاية معنى الامانة و مؤداها من كونها عارية مدة من الزمان ثم مردودة إلى أهلها و صاحبها .

و تحقيق هذا المقام يستدعي تمهيد قاعدة ، وهي ان جميع الموجودات سوى الانسان له حد خاص من قسط الوجود لا يتعداه و كل له مقام معلوم لا يتجاوزه

و هو له ثابت بالفعل ليس فيه قوة الانتقال من طور إلى طور ومن كون إلى كون ، فالملك في ملكيته ، و الملك في ملكيته ، و الشيطان في شيطنته و الجماد في جماديته و النبات في نشوه و نمائه ، و الحيوان في شهوته و غضبه ، كل منها في غاية ماله من الكمال و الفعلية و التمام .

و أما الانسان الكامل فانه في كل ماله من الكمالات بلغ إليه ما بين صرافة القوة و محوضة الفعل كما هو شأن المتحرك ، بما هو متحرك ، ألا ترى انه ضعيف الجسمية ليس كالجبال و المعادن ، و انه ضعيف النباتية ليس كالأشجار في قوة التغذية و التسمية و التوليد ، و انه ناقص الحيوانية ليس كالأسد و الفيل و الحية و الطير و غيرها من الحيوانات التامة في قوة الحس و الحركة ، و لهذا يحتاج في بقائه الدنيوى إلى معاونات و معونات خارجية تعارنه و تعينه و تحفظه و تصونه عن الآفات و الأضداد . . .

كما قال الله تعالى: «وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة» (الانعام: ٦١)

وقال: «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» (الرعد: ١١)

وقال: «خلق الانسان ضعيفاً» (النساء: ٢٨)

وقال: «ان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب»

(الحج: ٧٣) و بالجملة ليس له مادام الحياة الدنيوية مقام خاص في الوجود لا

يتعداه: «يا أهل يثرب لا مقام لكم» (الاحزاب: ١٣)

و لأجل هذه الخاصية يمكنه النظر في الأطوار و الخروج من كل ماله من الكون المستعار و الانتقال من هذه الدار إلى عالم الآخرة و دار الأبرار و المهاجرة من بيته الذى فيه مهاجراً إلى الله الواحد القهار كما في قوله: «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله و رسوله ثم يدر كه الموت فقد وقع أجره على الله» (النساء: ١٠٠)

و إذ ليس له مقام معين ، فله السير إلى جميع المقام ، و إذ ليس له صورة

معينة ، فله التصور بكل صودة و التحلى بكل حليته .
قال الشاعر :

لقد صار قلبي قابلاً كل صودة فمرعى لغزلان و ديراً لرهبان
إذا تقرر ما ذكرناه فنقول : ان حقيقة الأمانة و هى المعبر عنها تارة
بفضل الله : « ذلك فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » الجمعة : ٤)
هى الفيض الالهى الأتم بلا واسطة ، والمراد منه الفناء عن كل شىء ، والبقاء بالله
تعالى والانسان من بين الممكنات مخصوص بذلك ، وإنما سميت أمانة لان الفيض
بلا واسطة هو من صفات الحق تعالى ، و قد حمله الانسان لاغير ، لما ذكرنا من
أن ما سواه غير مستعد لقبوله لتقيد كل منها بوجوده الخاص ، فالفلكية غير
منسلخة من الفلك حتى يبقى فارغاً عنها قابلاً لغيرها .
وهكذا الأرضية من الارض والجبلية من الجبال ، وكذا كل من فى السموات
والارض والجبال ، إذ المراد من الآية عرض الأمانة على كل الممكنات لاعلى
بعضها ، والتقدير : إننا عرضنا الأمانة على أهل السموات والارض والجبال ، و
معنى عرض الأمانة عرض تحمل الفيض الوجودى على وجه العارية المأخوذة أولاً
المردودة إلى أهلها أخيراً ، و قبول الفيض الوجودى الفائض من الله تعالى بلا
واسطة على الوجه المذكور مختص بالانسان الكامل دون غيره كما علمت ، فكان
العرض عاماً على الممكنات ماراً على المخلوقات كلها ، فلم يقبلها أحد للعلة
المذكورة إلا الانسان الكامل لفقره وعجزه و ضعف قوته وبرائة نعمته عن جميع
الشواغل الوجودية ، و قطع إلتفاته عن ما سوى الحبيب المطلق كما حكى الله
عز وجل عن خليله بقوله : « فانهم عدو لى إلا رب العالمين » الشعراء : ٧٧)
و بقوله : « انى ذاهب إلى ربي سيهدين » الصافات : ٩٩) .
و أما قوله عز وجل : « انه كان ظلوماً جهولاً » على صيغة المبالغة ، ففيه
الاشارة إلى أن الظالم من يظلم غيره ، والظلوم من يظلم نفسه ، و كذا الجاهل

من يجهل غيره ، والجهول من يجهل نفسه ، أما ظلم الانسان على نفسه فافئائه ذاته وإماتته نفسه بالارادة ، و أما جهله بنفسه فلانه ما عرف نفسه ، و لم يعلم أنه ليست ذاته هذه البهيمة الاكلة الشاربة الناكحة المايئة ، و ما علم أن هذه البهيمة الحيوانية هي قشر ذاته ، و لها لب هو روحها و روحها أيضاً قشر و له لب هو روح روحها ، وهو محبوب الحق كما قال : « يحبهم ويحبونه » (المائدة : ٥٤).

و معلوم عند أهل البصيرة ان محبوب الحق ماذا يمكن أن يكون ، و ان محب الحق ماذا يمكن أن يكون ، فان الشيء لا يحب إلا ذاته ، و لا يحبه أيضاً إلا ذاته فمن أحب غير الله عزوجل ، فقد رغب عن ملة إبراهيم ، حيث انه قال حكاية عن حاله : « فانهم عدو لى إلا رب العالمين » (الشعراء : ٧٧) .

و أيضاً لا جهل أعظم من جهل الانسان نفسه لاستلزام ذلك جهله بربه ، قال الله عزوجل : « نسوا الله فأنساهم أنفسهم » (الحشر : ١٩) و هو بمنزلة عكس النقيض لقوله وَاللَّهُ يَسْتَكْبِرُ : « من عرف نفسه فقد عرف ربه » و فى الحكمة العتيقة : « من عرف ذاته تأله فمن جهل نفسه فقد ظلم على نفسه غاية الظلم » « اولئك الذين خسروا أنفسهم » (هود : ٢١) .

و اعلم أن علم النفس بذاتها حيث لا يمكن إلا بحضور ذاتها لها ، فتحصيل هذه المعرفة لا يمكن و لا يتصور إلا بتبديل الوجود الظلمانى النفسانى إلى الوجود النورانى الروحانى ، و فى قوله وَاللَّهُ يَسْتَكْبِرُ : « ان الله خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور فقد اهتدى » .

إشارة إلى هذا المطلب ، فان الظلمة إشارة إلى ذوات الأشخاص النفسانية الظلمانية قبل خروجها من القوة إلى الفعل ، و من الظلمة إلى النور و مخرج الاشياء من الظلمات إلى النور هو الله تعالى ، والنور هو الفيض الوارد على النفوس القابلة للخارجة به من الظلمات إلى النور كما تخرج القوة البصرية باسراق النور الشمسى عليها من القوة إلى الفعل ، فيصير به مبصرة بالفعل بعدما كانت مبصرة بالقوة .

إذا تقرر هذا فنقول : لما عرض الله الأمانة على المخلوقات فكل مخلوق لم يكن منوراً برشاش نور الله عز وجل ما عرف شرف الأمانة و ما قصدها ، أما الاجسام فلبعد مناسبتها، و أما أرواح الملائكة وغيرهم فلأنهم لم يكن لهم راحلة تحملها بقوة الظلومية والجهولية ، فما قصدوا وما عرفوا حق المعرفة ، فايين أن يحملنها و أشفقن منها لخطر حملها ، و حملها الانسان لأجل إستعداد الجسدية و قوة الظلومية والجهولية ، فصارت الظلومية والجهولية في حق حامل الأمانة ، و مؤدى حقها مدحاً ، وفي حق الخائنين فيها ذمماً ، والله تبارك وتعالى هو أعلم .



﴿ التفسير والتأويل ﴾

١- (يا أيها النبي اتق الله و لا تطع الكافرين و المنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

يا أيها النبي ﷺ اتق الله جل و علا فيما اوحى إليك من ربك ، واصبر لحكمه فان الحكم حكم الله تعالى و إن خالف عقائد الجاهلية و مشتبهيات الكافرين و المنافقين فلا تطع الكافرين الذين يطلبون منك خلاف ما امرت به من الاحكام ، و تنسيخ التقاليد و الرسومات الجاهلية الراسخة ، من غير مبالاة باعتراضهم ، و لا تتبع أهواء المنافقين الذين يؤيدون هؤلاء الكافرين في مسألتهم و يلحون في الاستجابة قدم على حذرک منهم و إعراضك عنهم لان الله تعالى كان عليماً بمصالح العباد و شؤونهم و بظواهرهم و خفاياهم ، حكيماً في أوامره و نواهيه ، فلا يأمرهم بما إلاّ و فيه مصالحهم و خيرهم في الدنيا و الآخرة ، و لا ينهاهم عما إلاّ و فيه مفاسدهم و شرهم في الدارين .

و ان الآية الكريمة في معنى قوله تعالى : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثماً أو كفوراً » الانسان : ٢٣ - ٢٤ و قوله : « فلا تطع المكذبين و دّالوا تدهن فيدهنون » القلم : ٨ - ٩ و قوله : « و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطاً » الكهف : ٢٨)

و قوله : « و أن احكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و احذرهم

أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك - أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من
الله حكماً « المائدة : ٤٩ - ٥٠)

٢- (و اتبع ما يوحى إليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)

و اتبع أيها الرسول ما يوحى إليك من ربك وحده من الرشد و الصلاح و
الخير و السعادة . . . و اعمل بما ينزل الله تعالى عليك من وحيه و آى كتابه ثم
بلغه لان الله تعالى كان بما تعمل أنت و امتك بهذا الوحي السماوى خبيراً لا يخفى
عليه شىء من أعمالكم . . . فيجازيكم بحسبها إن خيراً فخير أو إن شراً فشرأ .
قال الله تعالى : « و اوحى إلىّ هذا القرآن لاندركم به و من بلغ - اتبع
ما اوحى إليك من ربك « الانعام : ١٩ - ١٠٦)

و قال : « قل إنما أتبع ما يوحى إلىّ من ربى هذا بصائر من ربكم و هدى
و رحمة لقوم يؤمنون « الاعراف : ٢٠٣)

و قال : « يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام و يخرجهم من الظلمات
إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم « المائدة : ١٦)

و قال : « و السلام على من اتبع الهدى - فمن اتبع هداى فلا يضل ولا
يشقى « طه : ٤٧ - ١٢٣)

و قال : « و لا تجزون إلاّ ما كنتم تعملون « يس : ٥٤)
و قال : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرة شراً يره «
الزلزلة : ٧ - ٨)

٣- (و توكل على الله و كفى بالله وكيلاً)

وثق بالله تعالى أيها الرسول ﷺ و اعتمد عليه جل و علا فى العمل بما
يوحى إليك و فى إبلاغه من غير خوف من إعتراض الكافرين و ذبذبة المنافقين
و أذاهم ، و كفاك الله تعالى حافظاً مما تخافه منهم .
قال الله تعالى : « و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع أذاهم و توكل على

الله وكفى بالله وكيلاً « الاحزاب : ٤٨)

و قال : « و اصبر لحكم ربك فانك باعيننا « الطور : ٤٨)

و قال : « قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون « الزمر : ٣٨)

و قال : « ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون « يوسف : ٦٧)

٤- (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه و ما جعل أزواجكم اللاتي

تظاهرون منهن امهاتكم و ما جعل أديعاءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم

والله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين فى جوفه حتى يؤمن بالله تعالى بأحدهما ، و يكفر بالله سبحانه بالآخر ، و يحب الله جل و علا بأحدهما ، و يحب أعداءه بالآخر ، و يطيع الله عز و جل بأحدهما ، و يطيع عدوه بالآخر ، و يتبع الوحي السماوى بأحدهما و يتبع هواه النفسى بالآخر . فالرجل الواحد لا يسهه أن يعتقد بالمتنافيين ، و يصدق بالمتناقضين ، و إن كان هناك متنافيان فهما لقلبين و لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين فى جوفه . فالجمع بين إعتقادين المتنافيين فى قلب واحد هو الجمع بين الحق و الباطل ، بين الصواب و الخطاء ، بين الكفر و الايمان ، بين هداية و الضلالة بين النور و الظلمة ، بين الجنة و النار ، بين الليل و النهار ، و بين السواد و البياض فى شىء واحد على أن الشىء مع حفظ وحدته سواد حالكونه بياضاً و بياض حالكونه سواداً فى آن واحد و هكذا . . .

فلا يجتمع قبول دعوة الحق و دعوة الباطل فى شخص واحد قال الله تعالى : « اولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة « البقرة : ٢٢١) وقال حكاية عن مؤمن : « و يا قوم ما لى أدعوكم إلى النجاة و تدعوننى إلى النار تدعوننى لا كفر بالله و اشرك به ما ليس لى به علم و أنا أدعوكم إلى العزيز الغفار « المؤمن : ٤١-٤٢) و قوله تعالى : « و ما جعل أزواجكم . . . » : و لم يجعل الله تعالى أيها الرجال نساءكم اللاتي تقولون لهن : اتن علينا كظهور امهاتنا امهاتكم بل جعل

ذلك من قبلكم كذباً وألزمكم عقوبة لكم كفارة . ان الظهار هو : قول الرجل لامرأته : أنت على كظهر امي . و كان الظهار طلاقاً عند أهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة ، و هو في الاسلام - بعد ما نهى عنه - يقتضى الطلاق والحرمة إلى أداء الكفارة غرامة لانتهائه حرمة الدين إذ حرّم ما أحل الله تعالى .

فلا يجتمع ذات امرأة واحدة أن تكون امماً و زوجاً فان الزوج زوج والام ام لا يجتمعان في شخص واحد بالنسبة إلى واحد ، و ان الامهات على الحقيقة هي اللاتي و لدن .

قال الله تعالى : « الذين يظاهرون منكم من نساءهم ما هن امهاتهم إن امهاتهم إلا اللاتي ولدنهم و انهم ليقولون منكراً من القول و زوراً - والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا - فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً » (المجادلة : ٢ - ٤) و قد كان الظهار عادة جاهلية لتحريم الزوج على نفسه وطأ زوجته مع ابقائها في عصمته ، و كان الزوج يعمد إلى ذلك إذا كره زوجته أو كانت و لود بنات فقط أو أراد كيدها أو ابتزاز أموالها و حملها على التنازل عن مهرها و حقوقها أو استبقائها حاضنة لاولادها أو أنفة من أن تزوج غيره و كانت هذه العادة ظلماً و بغياً على النساء فألغاها الاسلام .

و قوله تعالى : « و ما جعل ادعياءكم أبناءكم » : و لم يجعل الله تعالى الذين دعوتهم أبناءكم ادعياءكم حقيقة بحيث يترتب عليهم أحكام البنوة . الادعياء : جمع الدعى و هو من يدعى لغير أبيه على أنه ابنه و هو في الواقع ابن غيره ، فالمتبني غيره ، فالمتبني غير الابن ، و لا يجتمع المتبني والابن في ذات واحدة لرجل واحد .

و قد كان أهل الجاهلية والامم الراقية كالروم و فارس ، و صدر الاسلام

يتخذون أبناء غيرهم أبناء لانفسهم ، و يعاملونهم معاملة الابناء من الصلب في الميراث وحرمة الازدواج و غيرهما . و لعل ذلك لان الناس كانوا تحت ظروف الحياة التي تعتمد على الاستكثار من الرجال . . . يعملون جاهدين على إلحاق غير أبناءهم بهم ممن يتوسمون فيهم القوة والشجاعة ، فلما جاء الاسلام و أقام حياة الناس على العدل ، و دفع بأس بعضهم عن بعض ، لم تعد ثمة داعية إلى الإبقاء على هذه العادة ، ولكن كان هناك كثير من الحالات أدركها الاسلام ، وقد أخذت وضعها في المجتمع ، ولم يكن من اليسير التخلص منها بعمل فردي ، ومن أجل هذا فقد جاء التوجيه السماوي بانهاء هذه العلاقة المصطنعة التي كانت قائمة بين الأدياء والآباء ، و إقامة علاقة اخرى مقامها أوثق عرى و أقرب قرابة ، هي علاقة الاخوة في الدين و قرابة الولاء لله تعالى بين المؤمنين .

و قوله تعالى : «ذلكم قولكم بأفواهكم» : ذلك الظهار والدعى قول منكم تقولونه بألسنتكم لاحقيقة له عندالله تعالى ، ولا أثر له في ترتب الاحكام الشرعية التي تريدونها .

و قوله تعالى : « والله يقول الحق و هو يهدى السبيل » : والله تعالى هو الذى مطلع على حقائق الاشياء و واقعيات الامور ، يقول الحق المطابق للواقع كقوله تعالى : « فالحق والحق أقول » (ص : ٨٤) وهو الله تعالى يهدى من اهتدى سبيل الحق في جميع الامور من الاصول والفروع ، و فى المعاش والمعاد . . . فاتركوا الجاهلية ورسوماتها ، وخذوا الحقائق التي تنزل عليكم من الله جل وعلا . قال الله تعالى : « قل الله يهدى للحق أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فمالكم كيف تحكمون » (يونس : ٣٥) .

٥ - (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عندالله فان لم تعلموا آباءهم فآخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

ادعوا أيها المؤمنون هؤلاء المتبئين وانسبوهم إلى آباءهم الذين ولدوهم فان الدعاء لآبائهم هو الحق والصواب والعدل عند الله تعالى ، فان لم تعرفوا لهؤلاء المتبئين آباءهم بأعيانهم حتى تنسبوهم إليهم ، فلا تنسبوهم إلى غير آباءهم فهم إخوانكم في الدين إذا كانوا مؤمنين «إنما المؤمنون إخوة» (الحجرات: ١٠) وهم عتقاءكم إذا اعتقتموهم أو أحياءكم على أن الولاية دينية. ولا إثم عليكم فيما أخطأتم به لسهو أو نسيان فدعوتموهم لغير آبائهم ، ولكن الاثم فيما قصدته قلوبكم بعد النهي عن حكم الجاهلية ، وكان الله تعالى يغفر لكم ما أخطأتم به ، و يرحم بكم إذا فعلتم ما جاء من الله تعالى من الاحكام ...

٦- (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى اولياءكم معروفاً كان ذلك في الكتاب مسطوراً)

النبي الكريم ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في كل شيء من الامور الدينية والدينية و من شؤون المعاش والمعاد ، و إنما ولايته ﷺ من ولاية الله تعالى كما ان ولاية الائمة المعصومين من ولايته ﷺ قال الله تعالى: «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راكمون و من يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون » (المائدة : ٥٥ - ٥٦) و قد ثبت نزول الآية عن الطريقين في مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و قد صرح القرآن الكريم بكونه «الخلافة» النبي ﷺ ، و قد ثبتت الولاية للائمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين بالادلة الاربعة التي أوردناها في محلها في هذا التفسير .

فيجب على المؤمنين أن يكون النبي ﷺ أحب إليهم من أنفسهم ومقدماتهم في إنفاذ الحكم والارادة و في الكرامة والحفظ و إستجابة الدعوة ... فان حقه ﷺ أكثر لديهم من حقوقهم و شفقتهم عليهم أقدم من شفقتهم على

أنفسهم ، وهو ﷺ أب لهم في الدين ، و من هنا كان المؤمنون إخوة إذ قال :
«أنا وعلى أبوا هذه الامة» .

و يجب عليهم طاعته ﷺ فيما يأمرهم به ، و ينهاهم عنه ، فان طاعته
ﷺ هي طاعة الله كما ان طاعة الائمة المعصومين عليهم السلام هي طاعته ﷺ ،
و في طاعته ﷺ خيرهم و صلاحهم لانه لا يأمر إلا بما فيه سعادتهم في الحياة
الدنيا ، و فوزهم بالجنة ، و لا ينهى إلا عما فيه شقائهم في الدنيا و خسراتهم
في الآخرة فما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا فانه لا ينطق عن
الهووى إن هو إلا وحي يوحى .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولي
الامر منكم - من يطع الرسول فقد أطاع » النساء : ٥٩ - ٨٠ .

و قال : « يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا
الرسولا - و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً » الاحزاب : ٦٦ - ٧١ .
و قال : « ما ضل صاحبكم و ما غوى و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي
يوحى علمه شديد القوى » النجم : ٢ - ٥ .

و قال : « وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا » الحشر : ٧ .
و قوله تعالى : « و أزواجه امهاتهم » و أزواج النبي الكريم ﷺ بمنزلة
امهات المؤمنين في تحريم إزدواجهن عليهم كتحريم الام على أولادها في النكاح ،
فلسن امهاتهم على الحقيقة و فيه تشبيه لهن بالامهات في بعض الآثار الامومة
كتحريم النكاح كما قال : « ولا أن تنكحوا أزواجهن من بعده أبداً » الاحزاب :
٥٣) و وجوب تعظيمهن و إحترامهن لا في جميع آثار الامومة كالتوارث بينهن
و بين المؤمنين والنظر في وجوههن ، و ليست بناتهن أخوات المؤمنين ، و لا
آبائهن أجدادهم ، و لا امهاتهن جداتهم ، و لا إخوتهن أخوالهم ، و لا أخواتهم
خالانهم ...

و قوله تعالى : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » و اولوا الارحام هم ذوو القربات والانساب بعضهم أولى ببعض في التوارث من الانصار المؤمنين والمهاجرين الذين ليسوا من ذوى القربات، فلا توارث إلا بالولادة والرحم ، و من كان أقرب في قرباه فهو أحق بالميراث من الابدع ، و هذا الحكم ثابت في القرآن الكريم وهو يقول : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون و للنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قلّ منه أو أكثر نصيباً مفروضاً - يبين الله لكم أن تصلوا والله بكل شيء عليم » النساء : ٧ - ١٧٦) .

و قوله تعالى : « إلا أن توفوا لهؤلاء المؤمنين و المهاجرين الذين ليسوا بذوى الارحام الوارثين معروفاً بوصية من ثلك مالكم و مادونه فهم أحق بها من القريب الوارث .

و قوله تعالى : « كان ذلك في الكتاب مسطوراً » : كان ذلك الحكم من جواز فعل المعروف بالوصية لغير الوارث أو كلما تقدم من أولوية النبي الكريم ﷺ بالمؤمنين من أنفسهم ، و أولوية ذوى الارحام بالميراث من غيرهم ، و جواز فعل المعروف بالوصية لغير الأقارب مسطوراً في القرآن الكريم .

٧- (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

و اذكر أيها الرسول للناس كافة ، وللمؤمنين خاصة حين أخذنا من النبيين كلهم ميثاقهم - و هم في ظهر آدم ﷺ - بالاقرار على الربوبية لله تعالى وحده ، و ميثاقهم على كلمة التوحيد و توحيد الكلمة ، و على الوفاء بما التزموا من تبليغ الرسالات و أداء الامانات الالهية ، و تصديق بعضهم بعضاً و بشارة بعضهم ببعض ، و دعوة الناس إلى الدين القيم و إلى التقوى و صالح الاعمال ، و أخذنا منك أيها النبي ﷺ و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم على ذلك ،

و أخذنا من النبيين ميثاقاً غليظاً و عهداً و ثيقاً شديداً على إقرار النبوة لك يا محمد ﷺ و على الامامة لاهل بيتك المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .
قال الله تعالى : «و إذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب و حكمة
ثم جاءكم رسول الله مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه قالء أقررتم و أخذتم
على ذلكم إصرى قالوا أقررننا قال فاشهدوا و أنا معكم من الشاهدين » آل عمران : (٨١)
و قال : « و لقد بعثنا فى كل امة رسولاً أن اعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت »
النحل : (٣٦)

و قال : « إذ جائتهم الرسل من بين أيديهم و من خلفهم ألا تعبدوا إلا الله »
فصلت : (١٤)

و قال : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحاً انى بما تعملون
عليهم و ان هذه امتكم امة واحدة و أنا ربكم فاتقون » المؤمنون : (٥١ - ٥٢)
و قال : « ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين
خلوا من قبل و كان أمر الله قدراً مقدوراً الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه
و لا يخشون أحداً إلا الله » الاحزاب : (٣٨ - ٣٩)

و قال : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً و الذى أوحينا إليك و
ما وصينا به إبراهيم و موسى و عيسى أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه » الشورى : (١٣)
و قال : « و ما امرؤ إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا
الصلاة و يؤتوا الزكاة و ذلك دين القيمة » البينة : (٥)

٨- (ليسئل الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذاباً أليماً)

و ذلك أخذ الميثاق من النبيين و إرسالهم إلى الناس ليسئل يوم القيامة عند
وقوف الأشهاد الذين آمنوا بهم و صدقوهم ، و أتمروا بما أمرهم به و اتهموا
عما نهوهم عنه فى الحياة الدنيا ، و أعد للذين كفروا برسالات الانبياء و لم يصدقوهم
عذاباً موجعاً مولماً .

و قريب من الآيتين قوله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح
والنبيين من بعده - رسلاً مبشرين و منذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد
الرسال » النساء : ١٦٣ - ١٦٥)

و قوله : « و الذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند
ربهم لهم أجرهم و نورهم و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك أصحاب الجحيم،
الحديد : ١٩)

و قوله : « من آمن بالله و اليوم الاخر و الملائكة و الكتاب و النبيين - اولئك
الذين صدقوا و اولئك هم المتقون » البقرة : ١٧٧)

٩ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا
عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

يا أيها الذين آمنوا بالله و رسوله و باليوم الاخر ، اذكروا نعمة الله التي
أسبغها عليكم حين جاءكم جنود الاحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ
أيام الخندق : من قريش و غطفان و يهود بنى النضير و بنى قريظة و تظافروا
على ذلك ، و حوصرتهم مع رسول الله ﷺ فأرسلنا عليهم ريحاً باردة في ليلة
شائية ، و أرسلنا عليهم ملائكة لم تروها ، و كان الله تعالى بما تعملون من حفر
الخندق و التحرز من العدو و ترتيب وسائل الحرب لاعلاء كلمته جل و علا و إدهاض
الباطل ، و مقاساتكم من الجهد و الشدائد ما لا حصر له ، بصيراً بما لا يخفى
عليه شيء منها و هو يجازيكم عليها .

و ذلك ان في وقعة الخندق إشد الأمر على المسلمين لاجتماع المشركين
و اليهود من شعوب و قبائل شتى ، و إحاطتهم بهم ، فآمن الله تعالى المسلمين ،
و هزم عدوهم و دفعهم عنهم بالريح و جنود من عنده من غير قتال إذ أرسل عليهم
ريحاً فيها روح ما هبت على محزون من المسلمين إلا زال حزنه ، و هي ريح
الرحمة و الراحة ، و كانت للمؤمنين الصبا ، و على الكافرين الدبور إذ أحصرتهم

وسفت التراب في وجوههم .

فالريح الواحدة تكون لجماعة راحة ، وللآخرين نقمة ، فألقت دور الكفار ، ونزعت فساطيط المشركين ، وكانت هذه الريح معجزة للنبي الكريم ﷺ لان النبي ﷺ والمسلمين كانوا قريباً منها ، ولم يكن بينهم وبينها إلا عرض الخندق ، وكانوا هم في عافية وراحة منها ، ولا خبر عندهم من أذاها . وأرسل الله تعالى على المشركين واليهود ملائكة لم يكن يراها المسلمون ، فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط ، وأطفأت النيران وأكفأت القدور وجالت الخيل بعضها في بعض فتفرقت الخيول ، وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان سيّد كل خباء يقول : يا بني فلان هلمّ إليّ ، فاذا اجتمعوا قال لهم : النجاء النجاء لما بعث الله تعالى عليهم من الرعب وقذفه في قلوبهم . . . وهذه نعمة إلهية على المؤمنين تستوجب الشكر .

١٠ - (إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم و إذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

إذ جاءكم أيها المسلمون جنود الكفر والشرك من أعلى الوادي من قبل المشرق من ناحية نجد و هؤلاء الجاؤون من الجانب الشرقي للمدينة هم غطفان و من تابعهم من أهل نجد ، و يهود بنى النضير و بنى قريظة ، و إذ جاءكم أيها المسلمون عبدة الطاغوت و أحزاب الشيطان من أسفل الوادي من قبل المغرب من ناحية مكة ، و هؤلاء الجاؤون من الجانب الغربي للمدينة هم قريش و أهل مكة و كان على أهل مكة أبو سفيان بن حرب ، و من انضم إليهم من الأحابيش و كنانة . . .

و قوله تعالى : « و إذ زاغت الابصار » : و حين مالت الابصار و تحيرت من شدة الخوف والدهشة والفرع لكثرة الجنود الشيطانية والاحزاب الطاغوتية ، فلم تلتفت إلا إلى عدوها دهشاً من فرط الهول .

وقوله تعالى : « وبلغت القلوب الحناجر » ، وإذ اضطربت القلوب وكثرت ضرباتها واشتد خفقانها ، وقلقت من شدة الخوف والهول والفرع ، فكأنها لشدة إضطرابها بلغت الحلاقيم ، وإن لم تبلغها في الحقيقة .

وقوله تعالى : « و تظنون بالله الظنونا » : و تظنون بالله جل وعلا أنواع الظنون المتخالفة . . . فظن المخلصون الثبت القلوب : إن الله تعالى منجز وعده في إعلاء كلمته وإدهاض كلمة الباطل ، و نصرة دينه و ظهوره على الدين كله و لو كره المشركون ، والغلبة على الأعداء والأحزاب الشيطانية و هزيمتهم . . أو ممتحنهم فخافوا الزلل و ضعف الاحتمال ، و ظن ضعاف النفوس والمنافقون و مرضى القلوب : كذب محمد ﷺ و تكذيب الله تعالى محمداً ﷺ و ظن الاستيصال و ظن الغارة على المدينة ، و منهم من أيس و قنط ، و منهم من ظن إن الجاهلية ستعود كما كانت . . .

١١ - (هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزلاً شديداً)

يوم الخندق إختبر المؤمنون ليظهر بذلك حسن نياتهم، و صبرهم وإستقامتهم و ثباتهم على ما أمرهم الله تعالى به من جهاد أعدائه . . . فظهر يومئذ المخلص من المنافق ، سليم القلب من مرضى القلب ، زكى النفس من خبيث النفس ، الثابت من المترزّل، القوى في الايمان من الضعيف فيه ، والباقي في ميدان الحرب من أصحاب الفرار . . . و يومئذ إضطرب المنافقون إضطراباً شديداً من شدة الخوف والهلع ، والجوع والفرع ، و من الحصر والنزال و كثرة العدو و قلة المسلمين ، و مما فيهم من الظنون المتخالفة و لذلك كانوا يقولون : « ما وعدنا الله و رسوله إلاغروراً » (الأحزاب : ١٢) و أما المؤمنون فما كان فيهم إضطراب لقوله تعالى : « و لما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم إلا إيماناً و تسليماً » (الأحزاب : ٢٢) .

والغرض الأصيل من ذلك الابتلاء إظهار خلوص إيمان المؤمنين، و ظهور

نفاق المنافقين ومرضى القلوب وضعاف النفوس . . .

١٢- (و اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الاغوراً)

وحين يقول المنافقون يوم الخندق والذين في قلوبهم مرض شك في الايمان وضعف في الايمان : ما وعدنا الله ورسوله من الظفر والفتح والغلبة على الاعداء و ظهور الاسلام على الدين كله وإعلاء كلمة الحق وإبطال كلمة الباطل وزهاقها وعز المسلمين وذل الكافرين إلا وعد غرور : وعداً مموهاً باطلاً يغرّابه . وهم يقولون : كيف يعدنا محمد ﷺ كنوز كسرى ومدائن فارس وملك الروم ؟ ونحن لانستطيع أن نتبرّر لاحتنا ، ولانؤمن أن نذهب إلى الخلاء ، وإنما قالوا ذلك ، لما فشي في أصحاب النبي ﷺ من قوله عند ضرب الصخرة .

كما كانوا يقولون يوم بدر : « غرّهؤلاء دينهم » (الانفال : ٤٩)

وهذا دأب المنافقين وضعاف النفوس ومرضى القلوب في كل وقت ومكان.

١٣- (و اذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة و ما هي بعورة ان يريدون الا فراراً)

وحين قالت طائفة من المنافقين أيام الخندق كعبد الله ابن ابي و أضرابه لأهل المدينة : يا أهل يثرب وسكان المدينة لإقامة لكم ، ولا موضع لكم تقومون فيه للقتال في معسكر محمد ﷺ ولا يصح ولا ينبغي توقفكم فيه مع كثرة العدو، وقلة جند محمد ﷺ و وضوح هلاككم بأيديكم أو لامقام لكم في دين محمد ﷺ فارجعوا إلى ما كنتم عليه من الشرك والكفر والجاهلية - كما كان المنافقون يقولون في احد : فاقبلوا إلى أعقابكم - فارجعوا إلى منازلكم بالمدينة، واحفظوا أنفسكم من القتل والاسر وأموالكم من النهب ، فان الكفار سيغلبون ويستولون على المدينة ، وان الاسلام سينمحق والدين سيضيع ، فارجموا لوجه لاقامتكم هنا

قبال ذلك جنود المشركين وإخوانهم اليهود ، إذا الغلبة لهم لامحالة ، فارجعوا إلى منازلكم فانا مع القوم فأنتم آمنون ، وأسلموا محمداً إلى أعدائه أو أتر كوه بين أعدائه حتى يفعلوا ما أرادوا .

وقوله تعالى : « ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة و ما هي بعورة » : ويستأذن حينئذ في الرجوع فريق من المنافقين و مرضى القلوب و ضعاف النفوس كبنى حارثة و بنى سلمة النبي ﷺ حفظاً لخاطره احتياطاً و تحصيلاً لرضاه عنهم و هم يقولون معتذرين من الرجوع : يا رسول الله ﷺ ان بيوتنا خربة ، و منازلنا مكشوفة : و مختلّة نخشى عليها العدو و السراق لامكان دخولهم فيها بسهولة ، فنرجع و ندخلها و نعلم خرابها و نحصنها من الدخول فيها ، ثم نرجع إلى معسكرك و نكون معك ، فأذن لهم رسول الله ﷺ و لكن الله تعالى أكذبهم و أكذب عذرهم بقوله تعالى : « و ما هي بعورة » : و ليست تلك البيوت مكشوفة ، بل هي معمورة حصينة محرزة .

وقوله تعالى : « ان يريدون الآفراة » لا يريد هؤلاء المنافقون و مرضى القلوب بذلك الاعتذار إلا فراً من الموت و القتل حباً للحياة الدنيا .
١٤- (و لو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها و ما تلبثوا بها الا يسيراً)

و لو دخلت جنود الشرك و الكفر على هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب من نواحي المدينة أو من جوانب البيوت ، و هم فيها ثم طلبوا منهم أن يرتدوا عن الدين و الرجعة إلى الشرك و الكفر و الضلالة أو دعوا إلى القتال على وجه الحمية الجاهلية لجاؤا إليها ، و أجابوهم مسئولهم ، و ما تلبثوا باجابة الفتنة و ما تمكثوا بها إلا زمناً قليلاً قدر ما يسمعون السؤال و يردون الجواب فضلاً عن التعلل باختلال البيوت عند سلامتها كما فعلوا الآن ، فهم يقيمون على الدين مادام الرخاء ، فاذا هجمت عليهم الشدة و البأس لم يلبثوا دون أن يرجعوا .

١٥- (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الا دباراً وكان عهد الله مسئولاً)
وهؤلاء المنافقون و مرضى القلوب المعتذرون والله تعالى لقد عاهدوا الله
جل وعلا من قبل غزوة الخندق وبعد بدر إذ بايعوا رسول الله ﷺ وخلفوا له :
انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن أنفسهم ، وانهم لا يولون الا دباراً في
جهاد الكفار ، ولا يفرّون من معركة القتال ، ولا يتركون العدو في القتال خلف
ظهورهم ولا يفرّون منهم كما فرّوا في ذلك اليوم ، ولكنهم مع ذلك العهد فرّوا
من هذه الواقعة ، فنقضوا عهدهم ، والحال انه كان عهد الله مسئولاً عنهم يوم القيامة
بانهم وفوا ما عاهدوا أم نقضوا ما بايعوه .

قال الله تعالى : « ان الذين بايعوك إنما بايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث
فإنما ينكث على نفسه - بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً
وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً » (الفتح : ١٠-١٢)
وقال : « الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون »

(الانفال : ٥٦)

١٦- (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذاً لا تمتعون
الا قليلاً)

قل أيها النبي ﷺ لهؤلاء المنافقين و مرضى القلوب المعتذرين : لو
فرض عدم العقوبة على نقض عهدكم ومعصية الله تعالى ورسوله ﷺ ، لن ينفعكم
فراركم من معركة القتال إن فررتم من خوف الموت إذ لا بد لكل نفس من الموت
لأجل مقضى محتوم لا يتأخر عنه ساعة ولا يتقدم عليه ، فالفرار لا يؤثر في تأخير
الاجل شيئاً .

قال الله تعالى : « ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها » (المنافقون : ١١)

وقال : « قل إن الموت الذي تفرّون منه فإنه ملائكم » (الجمعة : ٨)
وقال : « أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة »

(النساء : ٧٨)

وكذلك إن كان فراركم من خوف القتل ، فإن المقدركائن لامحالة . و قد كان الامام مولى الموحدين سيد الشجعان أمير المؤمنين على عليه السلام يقول عند اللقاء :
دهم الامر وتوقد الجمر :

أى يومى من الموت أفرّ
يوم لا يقدر لأرهبه
يوم لا يقدر أم يوم قدر
ومن المقدور لا ينجى الحذر

فلا بد لكل إنسان إما الموت بحتف الانف فى وقت معين ، وإما القتل بالسيف ونحوه ، فجرى عليه القلم لاراد لقضائه .

قوله تعالى : « وإذا لامتمعون إلا قليلا » : ولوفرض أن ينفعكم الفرار فى تأخير آجالكم إذا لامتمعون بالحياة الدنيا بعد فراركم إلا تمتمتاً قليلا ، ولا تنتفعون بلذائذ الدنيا إلا زماناً قليلاً إلى أن تنقضى آجالكم ، وكل ماهوآت فهو قريب .

١٧- (قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً)

قل يا أيها الرسول صلى الله عليه وسلم لهؤلاء المعتذرين : من ذا الذى يجيركم من الله تعالى إن أراد بكم سوءاً من الهزيمة أو القتل أو الاسر ، أو يحفظكم إن أراد بكم الهلاك والدمار والهوان ونحوها ، أو أراد الله جل وعلا بكم رحمة ونعمة من الغلبة على العدو والغنيمة والعز والعلو والشرف وما إليها . . . وهم لا يجدون لأنفسهم من دون الله ولياً يلى أمورهم وينفعهم ، ولا نصيراً ينصرهم ويدفع عنهم سوء .

قال الله تعالى : « فمن يجير الكافرين من عذاب أليم » الملك : (٢٨)
وقال : « وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال »

(الرعد : ١١)

وقال : « قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً

بل كان الله بما تعملون خبيراً » الفتح : (١١)

وقال: « وما لهم في الارض من ولي ولا نصير » التوبة : (٧٤) .

١٨ - (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون
البأس الا قليلاً)

قد علم الله تعالى المنافقين الذين يعوّقون غيرهم منكم أيها المسلمون
عن نصره رسول الله ﷺ ودينه ، ويمنعونهم عن شهود الحرب معه ﷺ
و يصرفونهم عن سلوك طريق كل خير ، و يصدونهم عن سبيل الله تعالى تخذيلًا
عن الاسلام و أهله ، و قد علم الله جل و علا المنافقين الذين يقولون لموافقهم
في الكفر والنفاق من مرضى القلوب و ضعاف الايمان و خبيث النفوس : أقبوا
إلينا و اقربوا منا و احضروا عندنا ، و اتركوا محمداً و من معه ، فانا نخاف عليكم
الهلاك بهلاكه و أصحابه ، و هؤلاء المنافقون و إخوانهم لا يحضرون القتال في
سبيل الله تعالى ، ولا يقاتلون الاعداء إلا قتالاً قليلاً لانفع فيه للاسلام و المسلمين ،
فهم في صفوف المسلمين لاخير فيهم ، ولا نفع يرجى منهم ، بل ان يعودهم مع
القاعدين خير للمسلمين من خروجهم .

قال الله تعالى فيهم : « إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر
و ارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون و لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة و
لكن كره الله انبعاثهم فثبطهم و قيل اعدوا مع القاعدين لو خرجوا فيكم ما
زادوكم إلا خبالاً و لا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة و فيكم سمّاعون لهم و الله
عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل و قلبوا لك الامور حتى جاء الحق و ظهر
أمر الله و هم كارهون و منهم من يقول إنذني لي و لا تفتني ألا في الفتنة سقطوا
و ان جهنم لمحيطة بالكافرين إن تصبك حسنة تسؤهم و إن تصبك مصيبة يقولوا
قد أخذنا أمرنا من قبل و يتولوا و هم فرحون » التوبة : (٤٥ - ٥٠) .

١٩ - (أشحة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم
كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة

على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيراً)
 حالكون هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب بخلاء عليكم ، فلا يعاونونكم
 بحفر الخندق و لا يساعدونكم في تجهيز القوى و لا ينفقون بأموالهم في إعلاء
 كلمة الله تعالى و نصرته دينه ، و لا ينصرونكم في معركة القتال على الأعداء ،
 فإذا جاء الخوف من الأعداء بظهور مخائل القتال و كرت الشجعان والحملة على
 عسكر المؤمنين رأيت أيها النبي ﷺ هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب الباقين
 على تلك الحالة ينظرون إليك خوفاً من الأعداء إتجاءاً بك ، و هم من شدة العجب
 والخوف من القتال والقتل تتحرك أعينهم في أحداقها يميناً و شمالاً كدوران
 عين الذي يغشى عليه ، تعرضه الغشوة ، و يزول عنه الشعور ، و ذهب منه العقل
 والادراك من خوف الموت بحيث لا يقدر على النزول والقتال .

و قوله تعالى : « فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنه حداد أشحة على الخير » :
 فإذا ذهب عنهم الخوف بانكسار العدو والظفر والغلبة على الكفار ، و اجتمعوا
 على الغنائم أطلقوا عنان ألسنتهم ، فأذوكم أيها المؤمنون بألسنة حداد قاطعة
 ماضية ، وأقوال خسنة ، و كلمات سيئة من إظهار المنة عليكم بالمساعدة والقتال
 معكم و إدعاء الشجاعة لانفسهم بقولهم : لو لم نكن معكم لما هزمتم العدو وما
 نجيتم من القتل بسيفهم ، فبنا غلبتموهم ، و نصرتم عليهم فوقروا حظنا من
 الغنائم ... أشحة على الخير ، حريصين على تكثير السهام ، و توفير الغنائم في
 القسمة ، مع كونهم راضين في أول القتال من الغنيمة بالاياب ، فهم قليلوا الخير
 في الحالين ، كثيروا الشر في الوقتين لكونهم بخلاء و شحاء قبل القتال و بعده .
 قال الله تعالى : « الذين يترصبون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم
 نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم و نمنعكم من المؤمنين »
 النساء : (١٤١) .

و قوله تعالى : « اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم ... » : هؤلاء

المنافقون ومرضى القلوب لم يؤمنوا حقيقة ، وإن أظهروا الشهادتين ، فلم يدخل
الايمان في قلوبهم ، وان كان ظاهرهم الايمان ، فالمنافق كافر على الحقيقة لوصفهم
الله تعالى بالكفر ، كما آمن غيرهم ، وإلا لما فعلوا ذلك ، فأحبط الله تعالى
أعمالهم الحسنة من حضورهم في القتال ، و لم يشبههم عليها لعدم الاخلاص فيه ، إذ
لم يقصدوا وجه الله تعالى بها ، وكان ذلك الاحباط على الله تعالى هيناً إذ لا ظلم فيه .
قال الله تعالى فيهم : « لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم - اولئك حبطت
أعمالهم في الدنيا والاخرة و اولئك هم الخاسرون » التوبة : ٦٦ .

٢٠ - (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا و ان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم
بادون في الاعراب يستلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا)
يظن هؤلاء المنافقون و مرضى القلوب من شدة جبنهم و هلعهم و خوفهم
و ضعف إحتمالهم: ان الاحزاب المتحزبة من قريش و غطفان و اليهود العنيدالذين
تحزبوا على رسول الله ﷺ لم ينهزموا بعد و قد انهزموا و تفرقوا في كل
واد . و لما لم يقاتل المنافقون و لم يشهدوا معركة القتال لخوفهم و جبنهم ، فكأنهم
غائبون و لا يعلمون ان الاحزاب الشيطانية من اليهود و المشركين انهزموا .

قوله تعالى : « و إن يأت الاحزاب . . . » و إن يأت هؤلاء الاحزاب الشيطانية
كرة ثانية إلى المدينة للقتال بعد ذهابهم و تركهم المدينة يود هؤلاء المنافقون
و إخوانهم : مرضى القلوب و ضعاف الايمان و تمنوا لو انهم خارجون من المدينة
و أن يكونوا في البادية مع الاعراب مقيمين في البادية ، بعيدين عن مسرح
الحرب ، و معركة القتال ، و لا يكونوا معكم حذراً من القتل و ترصاً للدوائر . . .
يستلون الركب و القادمين إليهم من المدينة عن أخباركم و ما جرى عليكم
مرة ثانية فيتحدثون : أما هلك محمد ﷺ و أصحابه ؟ أما غلبت أبو سفيان و
أذنابه ؟ فهم قانعون من العيان بالامر ، و من الحضور بالخبر .

و قوله تعالى : « ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا » : و لو كان هؤلاء

المنافقون ومرضى القلوب معكم في الكرة الثانية لم يقاتلوا معكم أعداءكم إلا قتالاً قليلاً كالرمي بالنبل والحجارة من مكان بعيد خوفاً من التعبير، وظهور نفاقهم وإخفاء النفاق، وليوهموا انهم في جملتكم لا ينصرونكم ويجاهدوا معكم، فكان قتالهم إبداءاً للعدو على سبيل الرياء والسمعة من غير احتساب، ولو كان لله تعالى لما كان قليلاً إذ كان القليل لله تعالى عنده كثيراً، فلا فائدة في لزومهم إياكم كونهم معكم وفيكم.

٢١- (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)

لقد كان لكم أيها المؤمنون في أفعال رسول الله ﷺ الصالحة، وأقواله الصادقة، وأخلاقه الحسنة وخصاله الجميلة، وفي حضوره في القتال والشبات في الجهاد وتحمل المشاق حيث بذل نفسه لنصرة دين الله تعالى في خروجه إلى الخندق وشدائده، وقد شج وجهه وكسرت دبايعته وقتل عمه حمزة يوم أحد، ولم يلف إلا صابراً محتسباً شاكراً راضياً، فوأساكم مع ذلك بنفسه لوجه الله تعالى ورضائه قدوة صالحة وسنة حسنة يحق التأسي والافتداء بها لمن كان يرجو رضا الله تعالى وحده في الدنيا، ويرجو لقاء ثوابه ونعيم جنته في اليوم الآخر، وذكر الله تعالى في جميع أوقاته وأحواله... ذكر كثيراً بقلبه ولسانه، ولا يغفل عنه قط. قال الله تعالى: « ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم » البقرة: (٢١٨)

وقال: « يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » الانفال: (٤٥)

وقال: « فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً » الكهف: (١١٠)

وقال: « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة

ربه « الزمر : ٩)

وقال : « يا أيها الذين آمنوا انكروا الله ذكراً كثيراً وسجوه بكرة وأصيلاً »

(الاحزاب ٤١ - ٤٢)

٢٢- (ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق

الله ورسوله وما زادهم الا ايماناً وتسليماً)

ولما رأى المؤمنون المخلصون الذاكرون الله تعالى الاحزاب الشيطانية

من مشركي مكة ويهود المدينة وأذناهم المجتمعة على محاربة الله جل وعلا و

رسوله ﷺ أيام الخندق قالوا : هذا البلاء العظيم الذي نراه ما وعدنا الله تعالى

من قبل ذلك في كتابه بقوله : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل

الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين

آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » (البقرة : ٢١٤)

ووعدنا رسول الله تعالى بقوله ﷺ : « سيشتد عليكم الامر باجتماع الاحزاب

عليكم ولكن العاقبة لكم عليهم » وبقوله ﷺ : « ان الاحزاب سائررون إليكم

تسع ليال أو عشراً » أي في آخر تسع ليال أو عشر حين الاخبار .

ونعترف بأنه صدق الله جل وعلا في كل ما وعده ، وصدق رسوله ﷺ في

جميع بشاراته . . وما زاد المؤمنين مارأوه من إجتماع الاحزاب المتحيزة على

محاربة الله تعالى ورسوله ﷺ إلا ايماناً بالله جل وعلا ورسوله ﷺ وتسليماً

لقضائه وإقياداً لأمرهما حيث كانوا يعلمون ان سعادة الدارين في طاعتهما .

وهم الذين قال الله تعالى فيهم : « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا

لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من

الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله » آل عمران : ١٧٣ - ١٧٤)

و قال : « هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع

ايمانهم والله جنود السموات والارض - وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فمجمل

لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً»
الفتح : ٤ - ٢٠)

وقال : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون
في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » النساء : ٦٥)

وقال : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » الاحزاب : ٥٦)
٢٣ - (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

بعض المؤمنين رجال كاملون في صفات الرجولية صدقوا ما عاهدوا الله عليه،
من الثبات في نصرة دين الله تعالى ونصرة رسوله ﷺ ومحاربة أعدائه ، على
العزم الراسخ في إعلاء كلمة التوحيد ، وإبطال كلمة الكفر ، في إهتزاز راية الحق
والإيمان ونسقيط لواء الكفر والطغيان ، في تحرير الانسانية من عقيدة الشرك و
عبادة الاوثان ، وإزالة الاوهام من الأذهان ، وتنجية البشرية من العبودية للشيطان
وفي انقاذ المجتمع البشري من شفا حفرة من نار الشهوة والطغيان . . .

قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » : فمن هؤلاء المؤمنين المخلصين
من قضى نحبه ووفى بعهده ونال برجائه ، فقاتل حتى قتل كحمزة بن عبدالمطلب ،
وجعفر بن أبيطالب ومصعب بن عمير رضوان الله تعالى عليهم ومن سلك مسلكهم...
قيل : اولئك عاهدوا الله تعالى يوم احد ونذروا إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ
بعد ذلك ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا .

وقوله تعالى : « ومنهم من ينتظر » : ومن المؤمنين الكاملين في الإيمان
والرجولية من ينتظر بوفاء عهده من نصرة دينه والظفر على عدوه ، ويتوقع وصول
الشهادة إليه مع شدة إشتياقه إليها كالامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي
بن أبيطالب عليه السلام فأخر الله تعالى شهادته إلى الوقت المعلوم الذي أخبره الرسول
ﷺ به. ومن شيعته عليهم السلام ينتظر قضاء الله تعالى فيه موتاً أو إستشهاداً في معركة القتال.

وقوله تعالى : « وما بدّلوا تبديلاً » : وما بدّل هؤلاء المؤمنون المخلصون الكاملون عهدهم الذي عاهدوه ربهم بالعودة مع القاعدين ، ولا نكثوه بالفرار من معركة القتال ، ولا نقضوه بتقديم المصالح الواهية على المصالح الالهية . . . فما غيروه تبديلاً يسيراً بخلاف المنافقين ومرضى القلوب وضعاف الايمان ، حيث نقضوا عهدهم وبدّلوا تبديلاً واضحاً ، وغيروه تغييراً ظاهراً .

قال الله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » (النور : ٣٧)

وقال : « والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (البقرة : ١٧٧)

وقال في المنافقين : « ومنهم ما عاهدوا الله لئن آتينا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » (التوبة : ٧٧)

وقال : « ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولّون الاذبار » (الاحزاب : ١٥)

٢٤- (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً)

ليجزى الله تعالى المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، ووفوا بعهدهم قولاً وعملاً جزاءً حسناً بسبب صدقهم في ميثاقهم ، و يعذب المنافقين الذين نقضوا ما عاهدوا الله جل وعلا ، وبدّلوا ميثاقهم تبديلاً إن شاء الله تعالى فيما لم يتوبوا لقوة نفاقهم وشدة كفر باطنهم أو يتوب عليهم إن تابوا لخفة نفاقهم وضعف كفرهم ، إن الله جل وعلا كان غفوراً : يغفر الذنوب لمن تاب ، ويستر العيوب لمن أناب ، رحيماً : يرحم بمن استغفر ، وينعم بالجنة على من آمن .

قال الله تعالى « والله مافي السموات وما في الارض ليجزى الذين أساؤا بما

عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى « النجم : ٣١)

وقال : « ومن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم - ألم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده « التوبة : ١٠١-١٠٤)

وقال : « واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى « طه : ٨٢)

وقال : « وكان بالمؤمنين رحيماً « الاحزاب : ٤٣)

٢٥- (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

ورد الله تعالى بقدرته هؤلاء الاحزاب الشيطانية من أبي سفيان و أذنا به ، و من اليهود العنيد الذين كفروا إلى أوطانهم بغيظهم و حسرتهم و شدة غضبهم ، حال كونهم لم يصيبوا ما أرادوا من الظفر والغلبة ، وما تمنوا من الاسارى والغنيمه مع غاية جدتهم و جهدهم فيهما ، وسماهما خيراً لأن ذلك كان عندهم خيراً فجاء على استعمالهم وزعمهم .

وقوله تعالى : « وكفى الله المؤمنين القتال « بامامهم وأميرهم على ابن ابي طالب عليه السلام أولاً بقتله عليه السلام عمرو بن عبدود ، وعقبه بارسال الريح والملائكة و قذف الرعب في قلوب الكافرين ، فدفع عن المؤمنين كلفة التصدي للقتال يوم الخندق .

وقوله تعالى : « وكان الله قوياً عزيزاً « : وكان الله تعالى قوياً في ملكه و سلطانه ، قوياً على إحداث ما يريد ، و قادراً على كسر شوكة الكافرين و نصر المؤمنين ، عزيزاً في قهره و إنتقامه ، غالباً على كل شيء ، فلا يمتنع عليه شيء من الاشياء ...

قال الله تعالى : « ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان

كفور اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا و ان الله على نصرهم لقدير « الحج :
(٣٨ - ٣٩)

وقال : « ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين كتب الله لأغلبن
أنا ورسلى إن الله قوى عزيز « المجادلة : ٢٠ - ٢١)

٢٦- (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيتهم وقذف في
قلوبهم الرعب فريقاً وتأسرون فريقاً)

وأنزل الله تعالى يهود بنى قريظة الذين عاونوا المشركين على رسول الله
ﷺ وهؤلاء اليهود من أهل الكتاب هم عاهدوا رسول الله ﷺ أن لا ينصروا
عليه ﷺ عدواً فنقضوا عهدهم أنزلهم الله جل وعلا من قلاعهم وحصونهم المحكمة،
وأزالهم من أماكنهم التي تحصنوا فيها، وألقى الله تعالى في قلوب هؤلاء المنافقين
الرعب والخوف والفرع بحيث سلموا أنفسهم للقتل ، وأهليهم وأولادهم ونساءهم
وذريتهم للأسر، فأنتم أيها المسلمون تقتلون فريقاً منهم وهم الرجال ، وتأسرون
فريقاً آخرين منهم وهم صبيانهم ونساءهم من غير أن يكون من ناحيتهم حركة
فضلاً عن المخالفة .

٢٧- (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها و كان الله
على كل شيء قديراً)

وأورثكم الله تعالى أيها المؤمنون أرض يهود بنى قريظة التي كانوا مقيمين
فيها ، ومنفعين بها بالزراعة والغرس فيها ، وأورثكم ديارهم وحصونهم وبيوتهم
وأموالهم من المواشى والأثاث والسلاح والنقود وغيرها . . . وأورثكم أرضاً
أخرى لم تطؤوها ولم تضعوا إلى الآن أقدامكم فيها كأرض خيبر و أرض فارس
والروم وغيرها من الأراضي التي ستفتحونها إلى يوم القيامة ، و كان الله جل و
علا على كل شيء مما شاهدتموه وما لم تشهدوه بعد قديراً : قدير على إعزاز
المؤمنين وإذلال الكافرين ، قدير على ما أراد بالمنافقين من نقمة ، و بالمخلصين

من نعمة . وقادر على نصره الصادقين وغلبة الناكثين .

٢٨ - (يا أيها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا و زينتها فتعالين امتعن و اسرحن سراحاً جميلاً)

يا أيها النبي ﷺ قل لازواجك اللاتي يكنن الآن في حباتك : إن كنتن تردن الحياة الدنيا و زخرفها من السعة والتنعيم فيها ، و تردن زينتها من الثياب الفاخرة والحلى والحلل ، فأقبلن إليّ باختيار كن حتى امتعن و اعطيكن من مالي ما تنتفعن به ، و أطلقكن و أرسلكن إليّ بيوتكن و قبائلكن إرسالاً جميلاً لا ضرر فيه و لا تنازع . والسراح الجميل : هو إرسال الزوجة المطلقة إلى بيتها قبل الزواج و قبيلتها من غير منازعة و لامشاجرة و مخاصمة بين الزوجين ، و لا منع واجب لها .

قال الله تعالى : « الطلاق مرتان فامسك بمعروف أو تسريح بإحسان و لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً - و إذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف و لا تمسكوهن ضراراً تعتدوا » البقرة : ٢٢٩ - ٢٣١) .

٢٩ - (وان كنتن تردن الله و رسوله و الدار الاخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)

و إن كنتن تردن الله تعالى و رسوله ﷺ و تطعنهما و تطلبين رضاهما و قربهما و الصبر على ما عليه النبي ﷺ من العيش و تردن ثواب الدار الاخرة و نعيمها التي لا تعد الدنيا و ما فيها عندها شيء ، فان الله جل و علا هيئاً للمحسنات الصالحات منكن في الاخرة أجراً عظيماً لا يعرف كنهه ، و جزاء جزيلاً لا يعرف غايته . و أما المسيئات منكن فلهن عذاب الدنيا و نيران الاخرة .

٣٠ - (يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيراً)

يا نساء النبي الكريم ﷺ من يأت منكن بفعلة شنيعة ، ظاهرة القباحة من مخالفة الله تعالى ورسوله ﷺ وايداء نبيه ﷺ من النشوز وسوء الخلق وإرادة الدنيا وترك الآخرة يضاعف لها العذاب في الآخرة ضعفي عذاب غيرها من سائر النساء العاصيات لغير النبي ﷺ مضافاً إلى عذاب الدنيا ، وذلك لعظم الضرر في جرائمها بايداء النبي الكريم ﷺ فكانت العقوبة على قدر عظم الجريمة في ايداء رسول الله ﷺ ومعصيته . . .

قال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة » (الاحزاب : ٥٧) . و كان ذلك التضعيف من العذاب على العاصية من أزواج النبي الكريم ﷺ على الله تعالى سهلاً يسيراً ، فلا يمنعه زوجيتهن للنبي ﷺ .

٣١- (و من يقنت منكن لله ورسوله و تعمل صالحاً نُؤْتها أجرها مرتين و أعتدنا لها رزقاً كريماً)

و من يخضع منكن لأمر الله تعالى و يواظب على طاعة رسول الله ﷺ و تعمل عملاً صالحاً مرضياً عند الله تعالى ورسوله نُؤْتها ثوابها يوم القيامة مثلي ثواب غيرها من سائر نساء الأمة المسلمة ، و هيأتنا لها رزقاً كريماً لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه ، مضافاً إلى تضعيف الثواب .

قال الله تعالى : « فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن و اهجروهن في المضاجع و اضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً » (النساء : ٣٤) .

و قال : « و مريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا و صدقت بكلمات ربها و كتبه و كانت من القانتين » (التحريم : ١٢) .

٣٢- (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض و قلن قولاً معروفاً)

يا نساء النبي الكريم ﷺ لستن كأحد من نساء هذه الامة المسلمة في الفضل والمنزلة ، في الشرف والرفعة ، وفي الجزاء و نعيم الجنة لصحبة الرسول ﷺ وعظيم المحل منه ﷺ إن اتقيتم الله تعالى و أطعن رسوله ﷺ فيما أمر كن و نها كن ، و خفتن الله جل و علا و احترزتن عن مخالفة الله جل و علا و رسوله ﷺ فالاتصال بالنبي ﷺ لا يفيد شرفاً وفضلاً إلا إذا انضم بالتقوى والخضوع والطاعة ، فاذا علمتن ذلك فلا تخضعن بالقول خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال ، ولا تلتن عند مكالمة الأجانب بالقول كما هو دأب النساء المطاعم إذ ترقيق الصوت و تلمين الخطاب من النساء يورث تهيج الشهوة في الرجال و طمعهم فيهن ، فلا تفعلن ذلك فيطمع فيكن الرجل الذي في قلبه مرض من الميل إلى الفسق والفجور ، و يشتهي إتيان الفواحش . . . و قلن عند الحاجة والضرورة إلى التكلم معهم قولاً يكون في الشرع و عند العقل معروفاً ، و بعيداً عن التهمة والاطماع والريبة .

٣٣- (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلاة و آتين الزكاة و أطعن الله و رسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)

و استقررن في بيوتكن و ألزمنها ولا تخرجن منها إلا لحاجة وضرورة ، و لا تظهرن زينتكن للأجانب ، و لا تبدين محاسنكن للرجال على عادة النساء في زمن الجاهلية قبل الاسلام ، و أقمن الصلاة المفروضة عليكن و آتين الزكاة الواجبة في أموالكن ، و أطعن الله جل و علا و رسوله ﷺ فيما يأمرانكن به ، و ما ينهيانكن عنه .

و قوله تعالى : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » : إنما يريد الله جل و علا بارادة تكوينية لان يذهب عنكم - يا محمد و علي و فاطمة والحسن والحسين أهل بيت الوحي والنبوة والرسالة - الرجس :

رجس الخطاء وخبث الجهل ، و قذارة المعصية و ذميمة الاخلاق ، وتفكير الفسق و وسوسة الفجور ، و ظلمة السهو و رجس الزلل في الفكر والقول والعمل ، و كل ما ليس لله تعالى فيه رضى . . . و يطهركم الله تعالى تطهيراً : طهارة البقاء عن دنس الشرك وخبث الكفر ، و رجس النفاق ، و كساد الاقوال وفساد الاعمال . . . و هذه هي العصمة الموهبة الالهية للمعصوم غير المكتسبة بالعمل ، تحفظه من باطل الاعتقاد ، و سوء القول و فساد العمل ، و من التخلف عن إرادة الله جل و علا التشريعية .

ومن المعلوم : ان لله تعالى إرادتين : أحدهما - إرادة تكوينية ، و هي إرادة لأفعال نفسه كخلق الكون و ما فيه و رزق الحيوان و إرسال الرسل و إيهاء فعل الخيرات إلى الائمة المعصومين و تطهيرهم من الرجس ، و تفضيل الانبياء بعضهم على بعض و كلاً على العالمين . . . و ان الارادة التكوينية عبارة عن علمه الموجب لوجود الفعل في وقت دون وقت ، و في مكان دون مكان و في شخص دون شخص بسبب إشماله على مصلحة إلهية داعية للإيجاد في ذلك الوقت و المكان و الشخص دون وقت و مكان و شخص .

و الدليل على كونه جل و علا مريداً لأفعال نفسه انه خصص ايجاد الحوادث في وقت دون آخر ، و الاوقات كلها صالحة للإيجاد ، فلا بد من مخصص لاستحالة التخصيص من غير مخصص ، و ذلك المخصص هو الارادة الالهية ، فيكون مريداً لأفعال نفسه و ليس في هذه الارادة تخلف قط لأنه تعالى هو المباشر بفعله .

قال الله تعالى: « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (يس : ٨٢).

و قال : « و إذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له » (الرعد : ١١) .

و قال : « فأراد أن يستفزهم من الارض فأغرقناه و من معه جميعاً »

(الاسراء : ١٠٣) .

و قال : « فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة و أقرب رحماً - فأراد

ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك « الكهف: ٨١-٨٢).
وقال: « قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة »
الاحزاب: ١٨) .

و قال : « ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين
ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » آل عمران : ٣٣) و قال : « الله يصطفى
من الملائكة رسلاً و من الناس » الحج : ٧٥) .

و قال : « و تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء
ان ربك حكيم عليم و وهبنا له إسحق و يعقوب - و كلاًّ فضلنا على العالمين »
الانعام : ٨٣ - ٨٦) .

و قال : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض - ولكن الله يفعل ما يريد »
البقرة : ٢٥٣) .

و قال : « و جعلناهم أئمة يهدون بأمرنا و أوحينا إليهم فعل الخيرات -
و أدخلناهم في رحمتنا انهم من الصالحين » الانبياء : ٧٣ - ٨٦) .

وقال : « و اذكر عبادنا إبراهيم و إسحق و يعقوب اولى الايدي و الابصار
انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار و انهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » ص :
٤٥ - ٤٧) .

فإرادة الله جل و علا باذابه الرجس عن أهل بيت الوحي عليهم السلام و تطهيره
تعالى إليهم بالمباشرة من كل ما لا يرضاه هي إرادة تكوينية لا ينكرها بل لا يتأجلج
فيها إلا من كان فاسد العقل أو مريض القلب أو فاقد الفهم .

ثانيهما : إرادة تشريعية ، و هي إرادة لأفعال عباده كالأمر بالصلاة و الزكاة
و الحج و الجهاد و الصوم و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر . . . و كالنهى عن
الكفر و النفاق و الفساد فى الارض . . . و ان الارادة التشريعية عبارة عن طلب
إيقاع الافعال المجوزة المشرعة ، و عن ترك الافعال المحرمة المنهية على وجه

الاختيار، والدليل على أنه تعالى مرید من عباده أفعالاً لأمره تعالى إياهم بالطاعة، فيكون مریداً لها فان الحكيم لا يأمر إلا بما يريد كما لا ينهى عن شيء إلا وهو يكرهه .

و في هذه الارادة تخلف لان العبادهم المباشرين بمتعلقاتها ...

قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم - ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (المائدة : ٦) .

وقال: « شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر و لتكملوا العدة و لتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون » (البقرة : ١٨٥) .

و قال: « يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً يريد الله أن يخفف عنكم » (النساء : ٢٦ - ٢٨) .

و قال: « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » (الانفال : ٦٧) .

٣٤ - (و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفاً خبيراً)

و اذكرن يا نساء النبي الكريم ﷺ ما يتلى في بيوتكن من آيات الله تعالى والحكمة واقدرن قدرها وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال لتأمرن بما أمرتن به ، و تنتهين عما نهين عنه ، و لتتعظن بمواعظ الله جل وعلا و تطعن الله تعالى و رسوله ﷺ ان الله سبحانه كان لطيفاً بعباده المؤمنين ، خبيراً بأفعال عباده : خيرها و شرها ، صالحها و فاسدها ، و حسنها و قبيحها ...

٣٥ - (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات

والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات
والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فر وجهم
والحافظات والذاكرين الله كثير أو الذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجر أعظيماً)

« ان المسلمين » : الذين نطقوا بالشهادتين اللتين هما بمنزلة جناحي
السلم الذي يرتقى به المرء إلى منازل الشريعة وكرامات الدين ، وهما المدخل
الذي يدخل منه في دين الله تعالى وانقادوا للدين بحسب العمل وظاهر الجوارح...
« والمسلمات » كذلك قال الله تعالى : « قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان في قلوبكم » الحجرات : ١٤) .

و قوله تعالى : « والمؤمنين والمؤمنات » : الذين آمنوا بالله تعالى و
رسوله ﷺ و باليوم الآخر و صدقوا بالقلب من غير ريب و أذعنوا بالباطن
بلا تردد و التزموا بصالح الاعمال وترك المعاصي . . . و ان الايمان بمنزلة درجات
السلم لا بد للمرء أن يسدو بباطنه في عروجه إلى الكمال والسعادة فاذا اجتمع
الاقرار باللسان والاعتقاد القلبي والالتزام بالعمل فلا بد من الحركة النفسية
والعملية والقولية إليه .

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا
وجاهدوا بأموالهم و أنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥) .
وقال : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم
آياته زادتهم ايماناً و على ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم
ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم »
الانفال : ٢ - ٤) « والمؤمنات » كذلك .

و قوله تعالى : « والقانتين والقانتات » : الذين يواظبون ما التزموا به
من الائتمار بما امروا به ، والانتها عما نهوا عنه ، و يداومون الطاعات و صالح
الاعمال في هدوء و طمأنينة ، من غير توان و لا تسامح و لا تساهل . ان القنوت

هو إستجابة القلب و تقلبه لهذا الايمان الذى إستقر فيه و اطمأن به ، و هو أول حركة إلى مدارج الكمال بعد الاظهار والاعتقاد .

قال الله تعالى : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الاخرة و يرجوا رحمة ربه » (الزمر : ٩) « و المؤمنات » كذلك

قال الله تعالى : « و من يقنت منكن لله ورسوله و تعمل صالحاً نؤتيها اجرها مرتين » (الاحزاب : ٣١)

و قال : « يا مريم اقمى لربك و اسجدى و ار كعى مع الرا كعين » (آل عمران : ٤٣)
و قوله تعالى : « و الصادقين و الصادقات » : و الذين صدقوا فيما عاهدوا

الله تعالى عليه و صدقوا فى أقوالهم و أعمالهم ، و فيما يلتزمون أنفسهم به .
قال الله تعالى : « من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من

قضى نحبهم و منهم من ينتظرو ما بدلوا تبديلاً » (الاحزاب : ٢٣)
و قال : « و الذين آمنوا بالله و رسله اولئك هم الصديقون و الشهداء عند

ربهم » (الحديد : ١٩)
و قال : « و الموفون بعهدهم إذا عاهدوا - اولئك الذين صدقوا و اولئك هم المتقون » (البقرة : ١٧٧) « و الصادقات » كذلك .

و قوله تعالى : « و الصابرين و الصابرات » : الذين صبروا فى سبيل الهدى و طريق النجاة و الثبات على دينه ، صبروا على الطاعات و تحمل المشاق فى أداء العبادات و ترك الشهوات ، صبروا على المصائب و المكروه و الشدائد ، و صبروا فى البأساء و الضراء و حين البأس .

قال الله تعالى : « و لنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع و نقص من الاموال و الانفس و الثمرات و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله و إنا إليه راجعون - و الصابرين فى البأساء و الضراء و حين البأس » (البقرة : ١٥٥ - ١٧٧)
و قال : « و أطيعوا الله و رسوله و لا تنازعوا فتفشلوا و تذهب ريحكم و

اصبروا ان الله مع الصابرين « الانفال : ٤٦)

و قال : « و الذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لننبؤنهم فى الدنيا حسنة و لاجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا و على ربهم يتم كلون - ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا و صبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم « النحل : ٤١ - ١١٠)

و قال : « الذين إذا ذكر الله و جلت قلوبهم و الصابرين على ما أصابهم و المقيمى الصلاة و مما رزقناهم ينفقون « الحج : ٣٥) « و الصابرات » كذلك .
و قوله تعالى : « و الخاشعين و الخاشعات » و الذين تخشع قلوبهم لله جل و علا و جلاً منه و من عقابه ، و يظهر آثار الخشوع فى أنفسهم و أقوالهم و أعمالهم . . . فان الخشوع هو السكون و الطمأنينة و التؤدة و الوقار و التذلل الباطنى و الحامل عليه الخوف من الله تعالى و مراقبته فى أنفسهم و أقوالهم و أعمالهم . . . و من آثار الخشوع : هو الخضوع و هو التذلل الظاهرى بالجوارح . . . فلا بذلك مؤمن من الخشوع فى نفسه و قوله و عمله .

قال الله تعالى : « قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون »
المؤمنون : ١ - ٢)

و قال : « قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين ادتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجداً و يقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً و يخرون للاذقان يبكون و يزيدهم خشوعاً « الاسراء : ١٠٧ - ١٠٩)

و قال : « ألم يان للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق و لا يكونوا كالذين ادتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقتت قلوبهم و كثير منهم فاسقون « الحديد : ١٦) « و الخاشعات » كذلك .

وقوله تعالى : « و المتصدقين و المتصدقات » : الذين يؤدون حقوق الله تعالى فى أموالهم فرضاً و نفلاً . و التصدق هو : إنفاق المال فى سبيل الله جل و

إعلاء كلمته، وفي وجوه البر من رفع حوائج المحتاجين والاحسان والتعاون الاجتماعي ومن التصدق: الزكاة الواجبة .

قال الله تعالى: « وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين » (المنافقين: ١٠). وقال: « فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين » يوسف: ٨٨). وقال: « وان كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة و أن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » البقرة: ٢٨٠) « والمتصدقات » كذلك .

وقوله تعالى: « والصائمين والصائمات »: والذين يصومون شهر رمضان الذي فرض الله تعالى الصوم على عباده لما فيه من الفوائد الاجتماعية والاخلاقية والنفسية والجسمية . من المساواة بين الملوك والسوقة ، بين الابيض والاسود ، بين الذكر والانثى ، بين العالم والجاهل ، و بين الفقراء والاعنياء . . . في أصل الحكم و وحدته ، يصومون من وقت معين ، ويفطرون في وقت معين ، و يجتنبون عن عشرة امور . . . و ذلك يدعوهم إلى وحدة الامة .

ولما في الصوم من تعليم الامة نظاماً في المعيشة ، ومن تربية قوة الارادة والعزيمة على ضبط النفس في ترك الشهوات المحرمة ، ولما فيه من تربية الروح وتزكية النفس ، من تكامل الروح وتطهير النفس ، ومن تهذيب الروح وقمع النفس عن الانقياد إلى بواعث الشهوات ، و كبح جماح قوتى الشهوة والغضب اللتين هما أصل كل جريمة والسبب في هتك كل حرمة ، ولما فيه من الشفقة والرحمة الداعيتين إلى البذل والاحسان والانفاق عند الجوع إذا يتذكر من لا يجد قوتاً من الفقراء واليتامى والمساكين ، فيرق قلبه لهم ويشفق عليهم ، فيرق على الضعيف ويرحم الجائع إذ بالصوم يمس الغنى الجوع والعطش . . . ولما في الصوم من تكافل للامة وشعور بالاخوة الدينية والمواساة بين إخوان المؤمنين، ولما فيه من ابتلاء إخالفي الخلق، ولما فيه من الخير والفلاح وتغذية الايمان بالتقوى وتقويته بمراقبة الله تعالى ولما فيه من صحة الجسم . . .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون - و أن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم فليصمه - و لتكبروا الله على ما هداكم و لعلكم تشكرون » البقرة : ١٨٣ - ١٨٥) « والصائمات » كذلك .

و قوله تعالى : « والحافظين فروجهم » والذين يحفظون فروجهم عن المحارم والآثام كلها إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم ...
قال الله تعالى : « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم و يحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » النور : ٣٠) .

و قال : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » المعارج : ٢٩ - ٣١) .

و أما النساء فلا بداهن من أن يحفظن جميع أعضائهن عن المحارم والآثام كما يجب عليهن أن يحفظن فروجهن عما لا يحل .

قال الله تعالى : « و قل للمؤمنين يغضضن من أبصارهن و يحفظن فروجهن و لا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها و ليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى أخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت أيماهنهن أو التابعين غير أولى الأربعة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء و لا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن » النور : ٣١) .

و قوله تعالى : « والذاكرين الله كثيراً » والذين يذكرون الله تعالى قياماً و قعوداً و على جنوبهم بقلوبهم و ألسنتهم و جوارحهم ذكراً كثيراً ، و هم الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله جل و علا ، و تملأ باستحضار جلاله و عظيمته ،

وعلمه وحكمته ، وقدرته وعزته ، وكل ما لله تعالى من صفات الكمال والجلال ...
 وبهذا الذكر يكون المؤمن دائماً في انس من ربه ، وقرب من جلاله وعظمته
 فلا يعمل عملاً ، ولا يتكلم بكلام ولا يتفكر في أمر ، ولا ينظر إلى شيء ...
 إلا تحت هذا الشعور والمراقب لله تعالى والخائف من عقابه ، والراجي رحمته .
 قال الله تعالى : « الذين آمنوا وطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله
 تطمئن القلوب » (الرعد : ٢٨) .

و قال : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في
 خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار »
 آل عمران : ١٩١) .

و قال : « أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجوا
 رحمة ربه - ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله » (الزمر : ٩ - ٢٣) .
 و قال : « رجال لانلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء
 الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » (النور : ٣٧) .

و أما النساء فيذكرن الله تعالى في بيوتهن ، وليس لهن ذكر كالرجال
 لو قوفهن في البيوت وإستقرادهن فيها .

قال الله تعالى : « و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى -
 و اذ كرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة » (الاحزاب : ٣٣ - ٣٤) .
 فاذا تحقق للمرء سلم الكمال بالاسلام والايمان فلا بد له في عروجه إلى
 الكمال من حركة نفسية و قولية و جسمية و مالية اشير إليها في هذه الاية بثمان
 صفات ، و تلك الصفات كلها بناء متكامل يقوم بعضه على بعض و يستند التالي
 منه إلى السابق بمعنى ان هذا الترتيب الذي جاءت عليه أمر لازم لكي يتألف
 منها هذا النعم المتساوق الذي يقيم في كيان الانسان ايماناً صحيحاً مثمراً ، فليست
 هذه الصفات بمعزل عن بعضها ، وإنما الصفات كلها صفة واحدة مجتمعة ، مع

كونها صفات عشر مفصلة ، و هي في إجمالها و تفصيلها على سواء كما أن الصفات الثمان لازمة في بناء الايمان السوى في كيان المؤمن تماماً كبناء الجسد كل عضو فيه - و إن قل شأنه - ضرورى لهذا الجسد ، و في فقدته نقص و عيب ، بل لا أثر لواحدة من تلك الصفات دون اخرى أثراً صحيحاً مثمراً لا في النفس ، و لا في المجتمع البشرى .

و قوله تعالى : « أعد الله لهم مغفرة و أجراً عظيماً » : هياً الله تعالى لهؤلاء المتصفين بتلك الصفات العشر جميعها من الذكر و الانثى مغفرة يغفر لذنوبهم الصغائر لا يخلو غير المعصوم عنها ، و لهم أجراً عظيماً لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه .
 ٣٦ - (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله و رسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله و رسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)

وليس لاحد من المؤمنين و المؤمنات إذا قضى الله تعالى و رسوله ﷺ عليهم أمراً أن ينازعوا فيه أو يتوقفوا في الائتمار به أو يجعلوا لانفسهم فيه إختياراً فيكون لهم الخيرة في الفعل و الترك من أمرهم الذى أمرهم الله تعالى و رسوله به ، فليس لهم إختيار عند قضاء الله تعالى و حكم رسوله ﷺ فان قضاء الله جل و علا هو المتبع و حكم الرسول ﷺ هو الحق .

و من يعص الله تعالى و رسوله ﷺ فى أمر من الامور المقضية عند الله تعالى و رسوله ﷺ ويعمل فيه برأيه و خالف حكم الله جل و علا فقد ضلّ عن طريق الحق ضلالاً مبيناً : بين الانحراف عن سنن الحق و الصواب ، و قد جار عن قصد السبيل و سلك غير سبيل الهدى و الرشاد ، و لان المقصد هو الله تعالى و الهادى هو النبي ﷺ فمن ترك المقصد و خالف الدليل فقد ضلّ ضلالاً لا يرعى بعده .

قال الله تعالى : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » (النور : ٦٣) .

و قال : « و من يعص الله و رسوله و يتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها

و له عذاب مهين « النساء : ١٤) .

٣٧ - (و اذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك و اتق الله و تخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس و الله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً و كان أمر الله مفعولاً)

و اذكر يا محمد ﷺ حين تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله تعالى عليه بالهداية إلى الايمان الذي هو أجل النعم و تحببته إلى النبي الكريم ﷺ و بتوفيق الاسباب حتى تبناه رسول الله ﷺ و أنعمت عليه بالاعتناق و أنواع التربية و الاختصاص: أمسك يا زيد عليك زوجك و هي زينب بنت جحش و احبسها و لا تطلقها ، و تقول له : اتق الله جل و علا في مفارقتها و مضارتها إذ وقعت بينهما مشاجرة ، فكان النبي ﷺ يعظ زيدا .

و كنت تخفى في نفسك تزويج زينب ، الله تعالى مظهره لتكون اسوة لمن تبعك ، و كنت تخشى مقالة الناس في إظهار ما تخفيه بان لو أظهرته لعابك المنافقون و مرضى القلوب و يطعنون فيك فكان له أثر سييء في عامة الناس .
والله أدلى أن تخشاه .

و قوله تعالى : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » الخ : فلما قضى زيد من زينب حاجته من نكاحها ، فطلقها و انقضت عدتها من غير أن يكون في قلبه ميل إليها ، و لا رغبة فيها و لا وحشة من فراقها أذناك في تزويجها ، وإنما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين حتى لا يكون عليهم إثم في أن يتزوجوا أزواج أدعيائهم الذين تبنوهم إذا قضى الادعاء منهن حاجتهم و فارقوهن ، و لا يكون ذلك نزولاً منهم لهم عنهن .

ان الله تعالى زوج النبي الكريم ﷺ بزینب نفيماً للحر ج عن المؤمنين في مثل هذه القضية فان عمله ﷺ حجة كقوله ﷺ في الاسلام .

و قوله تعالى : « و كان أمر الله مفعولاً » : وكان ما قضى الله تعالى في زينب بأن يتزوجها النبي ﷺ ماضياً مكوّناً لا محالة .
 ٣٨ - (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل و كان أمر الله قدراً مقدوراً)

ما كان على النبي الكريم ﷺ من منع يمنعه من إمتثال ما أوجب الله تعالى من نكاح امرأة من تبناه بعد فراق زوجها عنها ليُطل بذلك حكم الجاهلية في الادعاء وهذه سنة من سنن الله تعالى في أنبيائه السابقين الذين ارسلوا إلى الناس لابطال الآداب الجاهلية ، و دعوتهم إلى الواقع وما تقتضيه الفطرة البشرية ، و كان أمر الله تعالى الذي ينزله على أنبيائه قدراً مقدوراً عنده جل و علا لا بد من الائتمار به .

قال الله تعالى : « كتاب انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به »
 الاعراف : ٢) .

و قال : « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا و لا تجد لسنتنا تحويلاً »
 الاسراء : ٧٧) .

و قال : « يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم و يتوب عليكم والله عليم حكيم » النساء : ٢٦) .

٣٩ - (الذين يبلغون رسالات الله و يخشونه و لا يخشون أحداً الا الله و كفى بالله حسيباً)

اولئك الانبياء الذين خلوا من قبل محمد ﷺ هم الذين كانوا يبلغون رسالات الله تعالى كما بلغهم الله إياها على وجهها قولاً و عملاً إلى من ارسلوا إليهم من الامم ، و لا يكتمونها من غير التفات إلى أحد ، و لا نظر إلى ما يكون من سفهاء الناس و جهالهم إزاء تلك الرسالات المبلغة إليهم من إستجابة لها أو إعراض عنها أو إعتراض عليها ، و إنما همم كله هو إبلاغ الرسالات و الائتمار

بما امروا به والانتها عما نهوا عنه .

و يخافون الله تعالى في كل ما يأتون و يذرون و لا سيما في أمر تبليغ الرسالة حتى لا يخرمون منها حرفاً ، و لا يخافون أحداً إلا الله تعالى فيما يتعلق بالأداء و التبليغ فأنت يا محمد ﷺ خاتم الانبياء لا بد لك من إستمرار سنة الانبياء الماضين، و الائتمار بما امرت به ، و إن اعترض عليك المنافقون و مرضى القلوب من سفهاء الناس ، و كفالك يا محمد بالله جل و علا حافظاً و ناصرأ و معيناً في مهمتك و محاسبأ لأعمال خلقه و جزائهم عليها .

ان الآية الكريمة في معنى قوله تعالى : « أن قد أبلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شيء عدداً » الجن : ٢٨) و في قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك - و الله يعصمك من الناس - ما على الرسول إلا البلاغ و الله يعلم ما تبدون و ما تكتمون » المائدة : ٦٧ - ٩٩) .

٤٠ - (ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليماً)

ما كان أيها الناس محمد ﷺ أبأ زيد بن حارثة ، فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب ، و لا أبأ أحد نسبأ من رجالكم الموجودين في زمن الخطاب ، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها و لكنه ﷺ كان رسول الله و خاتم النبيين و آخرهم الذي ختم به النبوة ، فطبع عليها ، فلا تفتح لاحد بعد إلى قيام الساعة ، فلا يترك ما امر به بمقالة السفهاء و إعتراض الجهال . . . و كان الله تعالى بكل شيء من أعمالكم و أقوالكم و ما في صدوركم عليماً لا يخفى عليه منها شيء .

٤١ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

يا أيها الذين آمنوا بالله جل و علا و رسوله ﷺ و باليوم الآخر اذكروا الله تعالى بقلوبكم و أسنتكم و جوارحككم ذكراً كثيراً بحيث لا تخلوا من الذكر في حال من أحوال طاقتكم ذلك قياماً و قعوداً و على جنوبكم ، ليلاً و

نهاراً ، في البحر والبر ، سفراً و حضراً ، غنياً و فقيراً ، سقيماً و صحيحاً ، و في السر والعلانية ، و على كل حال يغلب الاوقات ، و يعمّ الانواع بما هو أهله من التقديس و التحميد و التهليل و التمجيد .

قال الله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً و قعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات و الارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار » آل عمران : (١٩١) .

و قال : « و اذكر ربك في نفسك تضرعاً و خيفة و دون الجهر من القول بالغدو و الآصال و لا تكن من الغافلين » الاعراف : (٢٠٥) .

و قال : « رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و اقام الصلاة و ايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الابصار » النور : (٣٧) .

و قال : « و ابتغوا من فضل الله و اذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون » الجمعة : (١٠) .

٤٢ - (و سبحوه بكرة و أصيلاً)

و سبحوا الله جل و علا أيها المؤمنون صباحاً و مساءً ، و تزهوه تعالى عن كل ما لا يليق بساحة قدسه من صفات العجز و النقص في أول النهار و آخره ، و مجدده قبل طلوع الشمس و عند غروبها ، و كبروه بالغدوة و العشي .

قال الله تعالى : « لتؤمنوا بالله و رسوله و تعزروه و توقروه و تسبحوه بكرة و أصيلاً » الفتح : (٩) و قال : « فسبحان الله حين تمسون و حين تصبحون » الروم : (١٧) .

و قال : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس و قبل غروبها » طه : (١٣٠) .

و قال : « و اذكر ربك كثيراً و سبح بالعشي و الابكار » آل عمران : (٤١) .

٤٣ - (هو الذي يصلي عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور و كان بالمؤمنين رحيماً)

إن ذكرتم الله تعالى ذكراً كثيراً وسبحتموه حين تمسون وحين تصبحون
فاعلموا ان الله تعالى هو الذى يذكركم بالعناية والمغفرة والرحمة .
قال الله تعالى : « فاذكرونى اذكركم - اولئك عليهم صلوات من ربهم
ورحمة و اولئك هم المهتدون » البقرة : ١٥٢ - ١٥٧) .

ويذكركم ملائكة الله تعالى بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم وصلاح
أمركم و ظهور شرفكم و دعائهم لكم .

قال الله تعالى : « ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و
علماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم - وقهم السيئات ومن
تق السيئات يومئذ فقد رحمته و ذلك هو الفوز العظيم » غافر : ٧ - ٩)

كل ذلك ليخرجكم من ظلمات الجهل و الكفر إلى نور المعرفة والايمان
، من ظلمات الضلالة و الباطل والطغيان إلى نور الهدى والحق والطاعة ، ومن
طريق الحيرة و الخسران إلى سواء السبيل و النجاة ...

و كان الله تعالى بالمؤمنين فقط رحيماً لاختصاص هذه الرحمة بمن تلبس
بالايمان . نظير قوله تعالى : « هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم
من الظلمات إلى النور و ان الله بكم لرؤف رحيم » الحديد : ٩)

و قوله : « فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم
ذكراً رسولاً يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا و عملوا الصالحات
من الظلمات إلى النور و من يؤمن بالله و يعمل صالحاً يدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها أبداً قد أحسن الله له رزقاً » الطلاق : ١٠ - ١١)

و قال : « و رحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة
و الذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ١٥٦)

٤٤- (تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعدلهم أجراً كريماً)

تحية المؤمنين يوم القيامة يلقون هذا اليوم لامحالة : سلام تلقاهم الملائكة

من الله تعالى لقاء كريماً بهذه البشرية المسعدة لهم حيث يلقونهم بهذه التحية : سلام عليكم و هيأ الله تعالى لهؤلاء المؤمنين أجراً كريماً في الآخرة على طاعتهم و صالح عملهم في الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « و سيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها و فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » الزمر : (٧٣) و قال : « الذين يوفون بعهده الله و لا ينقضون الميثاق - و الملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد : (٢٠ - ٢٤) و قال : « و ادخل الذين آمنوا و عملوا الصالحات جنات تجري من تحتها

الأنهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام » إبراهيم : (٢٣)

٤٥- (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

يا أيها النبي إنا أرسلناك إلى كافة الناس شاهداً على من بعثت إليهم بتصديقهم و تكذيبهم و إهداءهم و ضلالتهم ، شاهداً عليهم فيما يفعلونه من طاعة و معصية ، و من صلاح و فساد و من خير و شر ، فليعملوا بما يحسن هذه الشهادة التي لا تكذب و لا تزور و لا تبدل و لا تغير ، شاهداً عليهم بتبليغ الرسالة السماوية إليهم و على سائر الأمم بتبليغ الأنبياء رسالاتهم إلى أممهم ، و شاهداً عليهم في الحياة الدنيا و في الآخرة .

قال الله تعالى : « و ما أرسلناك إلا كافة للناس » سبأ : (٢٨)

و قال : « إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً لتؤمنوا بالله ورسوله و تعزروه

و توقروه » الفتح : (٨ - ٩)

و قال : « إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم » المزمل : (١٥)

و قال : « ليكون الرسول شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس »

الحج : (٧٨)

و قال : « فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد و جئناك على هؤلاء شهيداً »

(النساء : ٤١)

و قوله تعالى : « و مبشراً و نذيراً » : مبشراً بالجنة و الاجر الكريم لمن آمن و أطاع الله و رسوله ﷺ ، مبشراً بما ينتظر العاملين من رحمة و غفران و فضل و تكريم . . . و نذيراً بالنار و العذاب الاليم لمن كفر و عصى الله و رسوله ﷺ ، نذيراً على الغافلين بما ينتظر المسيئين من عذاب و نكال و ذلة و هوان ، فلا يؤخذوا على غرّة و لا يعذبوا إلاّ بعد إنذار .

قال الله تعالى : « الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجاً فيما لينذر بأساً شديداً من لدنه و يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً حسناً ما كثر فيه أبدأ و ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً » (الكهف : ١-٤)

و قال : « إن هو إلاّ نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (سبأ : ٤٦)

و قال : « إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول

الكافر يا ليقنى كنت تراباً » (النبأ : ٤٠)

و قال : « و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » (الاسراء : ١٥)

و قال : « ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم و آمنتم » (النساء : ١٤٧)

٤٦- (و داعياً الى الله باذنه و سراجاً منيراً)

و ارسلناك أيها النبي ﷺ إلى كافة الناس داعياً لهم إلى الله تعالى و أفراد الالوهية له و إخلاص الطاعة لوجهه دون من سواه ، داعياً إلى الله جل و علا في طريق واحد يصل إلى معرفة الله سبحانه و حقائق الكون و أسرار الوجود ، داعياً إلى شريعة الله تعالى و إلى إمتثال أوامره و نواهيه ، و داعياً إلى سعادة الدارين و إلى ما فيه حياة لهم و إلى طريق النجاة و سبيل الجنة . . . لا إلى دنياً و متاعها و لا إلى عزة قومية و لا إلى عصبية جاهلية ، و لا إلى مغنم و سلطان و لا إلى جاه و مقام ، و لا إلى شهوة و فساد . . .

قال الله تعالى : « قل إنما امرت أن اعبد الله و لا أشرك به إليه أَدْعُوا و إليه

مآب» الرعد : ٣٦)

وقال : «قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» يوسف : ١٠٨)
وقال : «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة» النحل : ١٢٥)
وقال : «يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم»
الانفال : ٢٤)

وقوله تعالى : «بإذنه سراجاً منيراً» : بإذن الله تعالى فما كان محمد ﷺ في دعوته بمبتدع ولا مبتطوع ، ولا بقائل من عنده شيئاً ، إنما هي بإذن الله تعالى له ﷺ وأمره ولا يتعداه بما يأذن الله جل وعلا له به وما يتلقى من لدن حكيم عليم . وصار نفس النبي ﷺ ووجوده بهذه الرسالة وتلقى الوحي مصباحاً يجلو الظلمات ، ويكشف الشبهات وكل باطل وضلال ويبين للناس طريق الحق والنجاة ويخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعصية والفساد إلى نور المعرفة والإيمان والطاعة والصلاح . . . ينير الطريق نوراً هادياً هادئاً كالسراج المنير في ظلمات الليل.
قال الله تعالى : «وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله» غافر : ٧٨)
وقال «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء انه على حكيم» الشورى : ٥١)

وقال : « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل : ٦)
وقال : «قل ما يكون لى أن يبدله من تلقاء نفسه إن أتبع إلا ما يوحى إلى»
يونس : ١٥)

وقال : «لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد» إبراهيم : ١)

٤٧- (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً)

وبشر أيها النبي ﷺ الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ وباليوم الآخر ، و التزموا بلوازم الإيمان بأن لهم في الآخرة من الله جل وعلا فضلاً كبيراً .

قال الله تعالى : « فأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات فيوفيهم اجرهم و يزيدهم من فضله » النساء : (١٧٣)

و قال : « و الذين آمنوا و عملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا و عملوا الصالحات » الشورى : (٢٢ - ٢٣)

٤٨- (و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع أذاهم و توكل على الله و كفى بالله و كيلاً)

و لا تطع أيها النبي ﷺ الكافرين و المنافقين فيما يخالف شريعتك من ترك التعرض لاصنامهم ، و من ترك تبليغ رسالتك و ما امرت به من الاحكام ... و اترك أذاهم إياك و لا تحفل به ، و أعرض عنهم ، و اتبع ما يوحى إليك ، و توكل على الله تعالى في جميع شؤون رسالتك و تبليغها ، فانه أرسلك إلى الناس و يكفيكهم ، فان جميعهم في سلطانه بمنزلة ما هو في قبضة عبد ، و كفاك الله و كيلاً تتمكل عليه في الاحوال كلها ...

قال الله تعالى : « و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه » الكهف : (٢٨)

و قال : « وإن تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله » الانعام : (١١٦)
و قال : « فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين » الحجر : (٩٤ - ٩٥)

و قال : « إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك و لا تطع منهم آثماً أو كفوراً » الانسان : (٢٣ - ٢٤)

و قال : « فلذلك فادع و استقم كما امرت و لا تتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لاعدل بينكم » الشورى : (١٥)

و قال : « و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا و اؤذوا حتى

أناهم نصرنا - اتبع ما اوحى إليك من ربك لا إله إلا هو و أعرض عن المشركين -
فذرهم و ما يفترون « الانعام : ٣٤-١١٢)

و قال : « فتوكل على الله انك على الحق المبين « النمل : ٧٩)

٤٩- (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن
تمسوهن فمالكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن و سرحوهن سراحاً
جميلاً)

يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم المؤمنات للنكاح - وسمى العقد نكاحاً لملاسته
له من حيث انه طريق إليه - ثم طلقتموهن من قبل أن تجمعهن ، فليس لكم
أيها المؤمنون على المؤمنات من عدة للطلاق من إحصاء أقراء و لا أشهر تحصونها
عليهن ، فأعظوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال إذ لم تسموهن صداقاً ، و
خلوا سبيلهن بعد الطلاق وأخرجوهن من بيوتكم إخراجاً مشتملاً على لئس
الكلام خالياً من الأذى و المضارة .

قال الله تعالى : « لاجناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضا
لهن فريضة و متعهن على الموسع قدره و على المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً
على المحسنين « البقرة : ٢٣٦)

ان الله تعالى أسقط العدة عن المطلقة قبل الدخول لبسراء رحمها ، فان
سألت تزوجت من يومها ، و جعل متعة للمطالقة التي لم يسم لها صداقاً ، وإلا فلها
نصف المسمى .

قال الله تعالى : « و إن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن و قد فرضتم لهن
فريضة فنصف ما فرضتم « البقرة : ٢٣٧)

٥٠- (يا أيها النبي أنا أحللك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن و ما ملكت
يمينك مما آفأ الله عليك و بنات عمك و بنات عماتك و بنات خالك و بنات خالاتك
اللاتي هاجرن معك و امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن

يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضا عليهم في أزواجهم
و ما ملكت ايمانهم لكيلا يكون عليك حرج و كان الله غفوراً رحيماً)

يا أيها النبي ﷺ إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى
و أعطيتهن مهورهن ، و أحللناك إماءك اللاتي ملكتهن بالسبي و السرية و صرن
لك بفتح الله تعالى عليك من الغنائم و الانفال ، و أحللناك بنات عمك و بنات
عماتك من نساء قريش ، و بنات خالك و بنات خالاتك من نساء بني زهرة اللاتي
هاجرن معك إلى المدينة دون اللاتي لم يهاجرن منهن معك . و أحللناك إمرأة
مؤمنة إن بذلت نفسها للنبي بغير صداق إن أراد النبي أن يستنكحها و قبل بذلها
حلت خالصة لك أيها النبي من دون المؤمنين من امتك إلى يوم القيامة ، فان
هذا من خصائص النبي ﷺ في النكاح ، فليس لامرأة مؤمنة أن تبذل نفسها
لغير النبي ﷺ .

قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من المهر في حق أزواجهم ، و حصرهن
بعدد محصور بأن لا يزيدوا على أربع نسوة بالزواج ، و ما أحللناهم من الاماء
اللاتي ملكت ايمانهم بالشراء و غيره .

أحللناك أيها النبي ﷺ هؤلاء الاصناف السبعة من النساء لكيلا يكون
عليك ضيق و مشقة في نكاح ما نكحت منهن اللواتي أبحت لك نكاحهن من المسميات
في هذه الاية . و كان الله تعالى غفوراً يفر لك و لامتك المؤمنين ، رحيماً يرحم
بك في رفع الحرج عنك و بمن اتبعك بالتوسعة و التيسير عليهم .

٥١- (ترجى من تشاء منهن و تؤوى اليك من تشاء و ممن ابتغيت ممن
عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن و لا يحزن و يرضين بما
آتيتهن كلهن و الله يعلم ما في قلوبكم و كان الله عليماً حليماً)

تؤخر من تشاء من النساء بأن تترك نكاحها أو تطلقها أو تترك مضاجعها و
قسمها و تضم إليك من تشاء ضمها و تقربها منهن بالنكاح و إبقائها فيه و قسمها و

مضاجعها ، و من طلبت نكاحها أو قسمها ممن تركت نكاحها أو طلقها أو تركت
القسمة لها فلا إثم ولا لوم ولا عتاب ولا ضيق عليك فى شىء من الامور الثلاثة
فان الاختيار فى أمرهن بيدك .

قوله تعالى: « ذلك أدنى . . . » : ذلك تفويض الامر إلى مشيئتكم وإختيارك
فى أمرهن أقرب إلى أن تقر أعينهن وتسر قلوبهن بمعاملتهم معهن ، ولا يحزن
بترجيح بعضهن على بعض ، و يرضين بما آتيتهن كلهن من النفقة و القسمة و
المضاجعة ، و تطيب نفوسهن به ليعلمن بأن جميع معاملتكم معهن لحكم الله تعالى
و إرادته ، فان سوّيت بينهن فبفضلك ، و إن رجّحت بعضهن فبطاعتك لله تعالى
لا بهوى نفسك .

والله تعالى يعلم ما فى صدوركم من الحب والبغض ، و من الرضا والسخط ،
و كان الله عليماً بكل ما تبدونه أو تخفونه حلماً غير عجول فى العقوبة فلا تنفروا
بتأخيرها .

٥٢- (لا يحل لك النساء من بعد و لأن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك
حسنهن الا ما ملكت يمينك و كان الله على كل شىء رقيباً)

لا يحل لك أيها النبى ﷺ أن تنكح النساء من بعد اللواتى أحللتهن لك
من الاصناف السبعة التى سبق ذكرها ، و لا يحل لك أن تبدل لهن من أزواج
بان تطلقهن أو بعضهن و تنكح بدل من طلقتهن ، ولو أعجبك حسن سواهن إلا ما ملكت
يمينك من الاماء فانه يحل لك التسرى بهن ، و كان الله على كل شىء ما أحل الله لك و
ما حرّم عليك و غير ذلك من الاشياء كلها حفيظاً راقباً لا يعزب عنه علم شىء من
أحوال خلقه و مصالح عباده ، و لا سبيل للذهول و الغفلة فى الله جل و علا .

٥٣- (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى
طعام غير ناظرين اناه و لكن اذا دعيتهم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا و لا
مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى

من الحق واذا سئلتموهن متاعاً فسلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً)

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﷺ و حجراته في حال من الاحوال إلا أن يعلن لكم ويدعوكم إلى طعام تأكلونه ، حال كونكم غير منتظرين نضح الطعام بان لا تدخلوا قبل نضح الطعام فيطول لبسكم في البيوت حتى حان وقت النضح ، ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ إلى الطعام ، وأذن لكم في الدخول ، فادخلوا بيوت النبي ﷺ التي أذن لكم بدخولها حفظاً لحرمة النبي ﷺ وطاعته وإلا فنفس الدعوة لا تكون إذناً كافياً في الدخول ، فاذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله ، فانتشروا وتفرقوا و اخرجوا من بيوته ﷺ من دون مكث و وقوف بعد أكل الطعام ، و لا مستحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام ايناساً من بعضكم لبعض به ، فيطول وقوفكم في بيوته .

وقوله تعالى : « ان ذلكم كان يؤذي النبي . . . » : ان الاستيناس بعد الاكل المستلزم لا طالة الجلوس في بيوت النبي ﷺ كان يؤذي النبي ﷺ ويؤلم قلبه الشريف لتضييق المنزل عليه ﷺ و على أهله ، و إشتغاله فيما لا يعنيه ، فيستحيي النبي ﷺ منكم و ينفعل أن يقول لكم : قوموا و اخرجوا وتفرقوا ، ولكن الله تعالى لا يستحيي من بيان الحق ، فلا يترك تأديبكم ، فيأمركم بالخروج من منزل نبيه ﷺ بعد أكل الطعام ، و ينهاكم عن الاستيناس وإطالة الجلوس عنده ﷺ الموجب لايذاءه .

وقوله تعالى : « وإذا سئلتموهن متاعاً فاسئلهن من وراء حجاب . . . » : وإذا طلبتم أيها المؤمنون من نساء النبي ﷺ متاعاً مما يتمتع به من الماعون و ما يحتاج إليه فاسئلهن ذلك المتاع من وراء الحجاب و خلف الستر ، هذا السؤال من وراء الحجاب أطهر لقلوبكم من الخطورات النفسانية والهواجس

الشیطانية ، و أظهر لقلوبهن ، فان الرجل والمرأة إذا لم ير أحدهما الآخر لم يقع في قلبه شيء بخلاف ما إذا رأى ، فانه لا يؤمن أحد من نفسه من الخواطر السيئة التي تعرض للرجال في أمر النساء ، و للنساء في أمر الرجال .

و قوله تعالى : « و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ... » : و ما كان يصح و لا يجوز لكم أيها المؤمنون أن تؤذوا رسول الله ﷺ بالتعرض لازواجه في حياته و لا أن تنكحوا و تتزوجوا أزواجه ﷺ اللاتي هن بمنزلة امهاتكم في حرمة النكاح من بعد رحلته ﷺ أبدأ إلى حياة الأزواج ، لان ايذاء النبي ﷺ في حياته و التزويج بأزواج النبي ﷺ من بعده كان عند الله جل و علا ذنباً عظيماً و إنما كبيراً لن يغفر .

٥٣ - (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً)

إن تظهروا بألسنتكم شيئاً من مراقبة النساء و قصد نكاحهن في حياة النبي ﷺ أو بعد رحلته و غير ذلك مما نهاكم الله تعالى عنه أو تخفوه في صدوركم و تسرّوه في أنفسكم فان الله تعالى كان بكل شيء من ايذاء النبي ﷺ حياً و ميتاً عليماً يجازيكم عليه .

٥٥ - (لا جناح عليهن في آبائهن و لا أبنائهن و لا إخوانهن و لا أبناء إخوانهن و لا نساءهن و لا مملكت أيمانهن و اتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً)

لا إثم و لا حرج على أزواج رسول الله ﷺ في ترك الحجاب لآبائهن ، فلا يجب عليهن الحجاب لآبائهن و لا لأبنائهن و لا لإخوانهن و لا لابناء إخوانهن ، و لا لابناء أخواتهن ، و لا لنساء المؤمنات دون الكوافر على أن غير المؤمنات داخلات في النهي ، و لا لما ملكت إيمانهن من العبيد و الاماء ، و خفن الله تعالى أيها النساء أن تتعدين ما حد الله جل و علا لكن ، فتبدين من زينتك ما ليس لكن أن تبدينه أو تترك الحجاب الذي أمر كرس الله جل و علا بلزومه إلا

فيما أباح لكن تركه وألزم طاعته ، ان الله كان على كل شيء شهيداً لا يغيب عنه شيء .

٥٦ - (ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً)

ان الله جل وعلا ينعطف على رسوله الخاتم محمد المصطفى ﷺ بالرحمة والرضوان والكرامة والغفران ، و ينعطف ملائكته على النبي الكريم ﷺ بنزول الرحمة عليه والاستغفار له ﷺ وبالثناء والتعظيم وتعليق مقامه وتشريفه بمزيد كرامته . . . يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبينا الاعظم ﷺ بأزكى الدعاء و أجمل الثناء و انقادوا لأوامره و ابدلوا الجهد في طاعته ، و في جميع ما يأمركم به و ما ينهاكم عنه و حيّوه بأحسن التحية و تنوّه بأجمل الثناء .

٥٧ - (ان الذين يؤذون الله و رسوله لعنهم الله في الدنيا و الآخرة و أعد لهم عذاباً مهيناً)

ان الذين يؤذون الله سبحانه من الكفار والمنافقين بالكفر والشرك والمعصية والفساد وإشاعة الفحشاء ، و يؤذون رسوله ﷺ بالتكذيب والمخالفة والاستهزاء أبعدهم الله تعالى من رحمته ، و من كل خير و برّ في الحياة الدنيا ، فيذرهم في طغيانهم يعمهون و في كفرهم و نفاقهم و ضلالتهم يترددون ، و أبعدهم في الدار الآخرة من الجنة و نعيمها ، و أعد لهم في الآخرة عذاباً يهينهم فيه .

٥٨ - (و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و اثماً مبيناً)

ان المنافقين الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما اكتسبوا من جنابة ولا إستحقاق أذى ، فينسبون إليهم ما لم يصدر عنهم بقصد أذيتهم ، و يرمونهم بغير ما عملوا ، فقد احتمل هؤلاء المنافقون المؤذون كذباً و فرية يبهت السامع العاقل لفظاعته ، و ذنباً واضحاً بيناً لبراءة المؤمنين و المؤمنات من مقتربات المنافقين .

٥٩ - (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً)
يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ولكافة نساء المؤمنين أن يحمين أنفسهن من أسنة سوء ومن مطمع الفساق والاراذل بان يدنين عليهن من ثيابهن ويرسلنها حتى تكسو أجسامهن إلى مواقع أقدامهن، فيغطين وجوههن ورؤسهن حتى لا يظهر منهن إلا عين تبصر بها بالملأة التي تشتمل بها المرأة فوق الثياب والخمار فتغطي بها جميع بدنها، فيجب على النساء المومنات زياً خاصاً يميزهن عن العواهر، ويمنع عنهن أذى الفساق والاراذل . . .

قوله تعالى: « ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين »: هذا الستر الذي يتزياه نساء النبي ﷺ وبناته ونساء المؤمنين هو معلم من معالم المرأة الحرة العفيفة التي لا مطمع لاحديها، فلا يقعن معرضة لتعرض الفساق كالمكشفات والعواهر . . . وهذا الزى أقرب إلى أن يعرفن بالستر والصلاح، فلا يتعرض لهن لان الاراذل إذ اعرفوا امرأة بالستر والعفة والصلاح لم يتعرضوا لها .

وقوله تعالى: « و كان الله غفوراً رحيماً » : يغفر لما سلف منهن من إخلال في الحجاب والستر، ويرحم بمن لم يتعدد حدود الله تعالى ولم يهتك الستر والعفة فلا يغفر لمن يهتك الحجاب ولا يرحم بمن هتك ستر العفة .

٦٠ - (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً)

اقسم بالله جل وعلا لئن لم ينته أهل النفاق الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان عن نفاقهم وذبدبتهم، وعن وساوسهم ودسائسهم، ولم ينتهوا عن مخالفة أوامر الله تعالى ونواهيها، وعن ابداء النبي الكريم ﷺ وابداء المؤمنين والمؤمنات، ولئن لم ينته الذين في قلوبهم مرض الفساد في الحرث والنسل، ومرض حب الشهوات ومراددة النساء وايذاهن بالسنتهم وحركانهم، وهم الذين يتبعون

النساء للريبة ويتعرضون لهن بالسوء ويفرّ ونهن على الفاحشة ، وهم الذين قصدوا باسلامهم سوءاً وإفساداً في الحرث والنسل ، ويشككون المسلمين .

ولئن لم ينته المرجفون الذين يثيرون الشائعات الكاذبة ، ويطلقون الأراجيف المصطنعة ، يشيعون الفاحشة عن ذلك ، ولم ينتهوا عما يبشرون من دسائس ودسائس وعمايو قعونه من أذى وقلاقل بين الناس ، ليشغلوهم بها ويفسدوا عليهم حياتهم ، ويخونوهم ويلقوا في قلوبهم الرعب ، يلتمسوا الفتنة والفساد . . .

وقوله تعالى : « لتغرينك بهم » : لتسلطنك يا محمد ﷺ على هؤلاء المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين ، فتستأصلهم بالقتل أو تفعل بهم ما يضطرهم إلى الجلاء ، فتخرجهم من المدينة على أسوأ حال كما خرجت اليهود من قبلهم ، ثم لا يجاورونك في المدينة ولا يسكنون فيها إلاّ زمناً قليلاً ريثما يتأهبون ، فيرحلون بأنفسهم وعيالهم فتحلوا المدينة من هؤلاء الأراذل . . . إما بالقتل وإما بالخراج . ان المنافقين وأذنابهم هم الذين يتخذون الطغاة والظالمين والاعداء أولياء يبتغون عندهم العزة ، ويساعدونهم على إزلال أمته واستعبادها ويخونون مصالح بلادهم وأمنها بسبيل منافعهم أو احقادهم أو الانتئين معاً .

وهم لا يبالون بما يقع على أمته من مصائب ومظالم وبغى ونكبات . . . ولا يقيمون إلاّ لمصالحهم الخاصة .

٦١ - (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً)

يخرجون - هؤلاء الأراذل والادباش - من المدينة كخوانهم اليهود العنيد منفيين منها ، مطرودين من المجتمع الاسلامي ، مبعدين عن رحمة الله تعالى في الحياة الدنيا إذ لا يجدون مأوى يؤون إليه ، ولا معتصماً يعتصمون به ، وفي الآخرة إذ لا شفيع ولا ناصر لهم وهم في النار خالدون ، وملعونين باللسنة المؤمنين ، وهم الذين دينهم الدرهم والدينار ، وعملهم الغش والفساد وقولهم

الكذب والخداع ، وهم إذا قاموا على النفاق وأصرّوا على الارجاف والفتنة و الفساد ، فأينما وجدوا ولقوا وظفر بهم ووقعوا بيد النبي ﷺ والمؤمنين أخذوا وقتلوا تقتيلاً : قتلًا ذريعاً بدون هوادة وإستثناء وتسامح ولانساهل فانهم حالكونهم على ذلك يصبحون فى عداد الاسرى فلادواء لهم إلا القتل لمحاربتهم الله تعالى ورسوله ﷺ وفسادهم فى الارض ، وهم مهدور الدم كالمشركين و اذنبهم لسلامة المجتمع البشرى وطمانينته و نصلحة الاسلام والمسلمين .

قال الله تعالى : «واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل - وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين» البقرة : ١٩١-١٩٣

وقال : «قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير» : ٣٨-٣٩

٦٢- (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

سن الله تعالى فى المنافقين ومرضى القلوب والمرجفين الذين كانوا فى الامم السابقة من قبل منافقى هذه الامة الاسلامية ، ومرضى قلوبهم ومرجفيهم، سنته أن يقتلوا حينما ثقفوا إذا قاموا على نفاقهم وأصرّوا على إرجافهم ، و استمروا على إفسادهم وفتنتهم ولم ينتهوا عما كانوا عليه ، وهذا هو حكم الله تعالى فى المفسدين فى الارض وهو حكم قائم ، ولن تجد يا محمد ﷺ لسنة الله جل وعلا تغييراً لا بتناءها على الحكم ومصالح العباد . . . فتجرى هذه السنة فى منافقى هذه الامة فى كل وقت ومكان كما جرت فى الامم الماضية من قبلهم .

قال الله تعالى : «فهل ينظرون إلا سنت الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين

من قبلهم و كانوا أشد منهم قوة و ما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليماً قديراً « الفاطر : ٤٣ - ٤٤) .

٦٣ - (يستلک الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله و ما يدريك لعل الساعة تكون قريباً)

يستلک الناس المؤمنون لرسول الله ﷺ عن الساعة متى هي قائمة على طريق التکذيب والاستهزاء ، وعلى سبيل السخرية والاستبعاد لما توعدوا بالعذاب موهمين انها لا تكون ، قل لهم جواباً عن سؤالهم : انما علم الساعة عند الله تعالى لا يعلم وقت قيامها غيره جل و علا ، و ما يعلمك يا محمد ﷺ و ما يشعرک لعل قيام الساعة يكون قريباً قد قرب وقت قيامها ، و دناحين مجيئها ، و انما اخفى وقت الساعة ليكون العبد مستعداً لها في كل وقت و ساعة .

قال الله تعالى : « يستلونك عن الساعة ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو نقلت في السموات والارض لا تأتیکم إلا بغتة يستلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله و لكن أكثر الناس لا يعلمون » الاعراف : ١٨٧) .

و قال : « إليه يرد علم الساعة » فصلت : ٤٧) .

و قال : « و ان الساعة آتية لا ريب فيها و ان الله يبعث من في القبور »

الحج : ٧) .

٦٤ - (ان الله لعن الكافرين و أعد لهم سعيراً)

ان الله تعالى طرد الذين كفروا بالله ورسوله و باليوم الاخر كفراً ظاهراً و كفراً باطناً و أبعدهم عن رحمته و عن كل خير بسبب كفرهم ، و هيأ الله تعالى لهم ناراً تلتهب التهاباً شديداً . و ان المشركين والمنافقين داخلون في الكفر و هم في العذاب على شرع سواء .

قال الله تعالى : « ولكن لعنهم الله بكفرهم - اولئك الذين لعنهم الله و من

يلعن الله فلن تجد له نصيراً « النساء : ٤٦ - ٥٢) .

و قال : « و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم و لعنهم و أعد لهم جهنم و ساءت مصيراً - و من لم يؤمن بالله و رسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيراً « الفتح : ٦ - ١٣) .

٦٥ - (خالدین فیها أبداً لا یجدون ولیاً و لا نصیراً)

حالكون هؤلاء الكافرين ما كثرين في النار المسعرة إلى غير نهاية ، لا يجدون فيها ولياً لانفسهم يحفظهم عنها أو يقف إلى جانبهم ، و لا نصيراً يدفع عنهم العذاب أو ينجيهم من عذاب الله تعالى والخلود فيه .

قال الله تعالى : « ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون و ما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ما كثون « الزخرف : ٧٤ - ٧٧) .

وقال : « و من يعص الله و رسوله فان له نار جهنم خالدین فیها أبداً حتى إذا رآوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصراً و أقل عدداً « الجن : ٢٣ - ٢٤) .

و قال : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار و لن تجد لهم نصيراً - و أما الذين استنكفوا و استكبروا فيعذبهم عذاباً أليماً و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً « النساء : ١٤٥ - ١٧٣) .

٦٦ - (يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسول)

يوم تقلب وجوه الكفار والمنافقين و تغير ألوانها بلفح النار ، فتسود مرة و تحمر أخرى و تصفر ثالثة ، و إذا بدلت جلودهم بجلود آخر فعندئذ يقولون متحسرين متأسفين : يا ليتنا أطعنا الله تعالى في الحياة الدنيا فيما يأمرنا به و ما ينهانا عنه و كنا مؤمنين به ، و أطعنا الرسول فيما يدعونا إليه و لم

نكذبه فننجو من هذا العذاب الاليم الدائم كما نجى المؤمنون بالايمان وصالح الاعمال . . .

قال الله تعالى : «فاما الذين اسودت وجوههم أ كفروا بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» آل عمران : (١٠٦)

و قال : « وجيىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان و أنى له الذكرى يقول يا ليتنى قدمت لحيوتى » الفجر : (٢٣ - ٢٤)

وقال : «ويوم بعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلاً» الفرقان : (٢٧-٢٨)

وقال : «ولو ترى إذ ذوقوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد و لا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين» الانعام : (٢٧)

٦٧- (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا و كبرائنا فأضلونا السبيلا)

وقال هؤلاء الكفار التبعة وأذنا بهم المنافقون المردة فى النار متأسفين نادمين منكسرين : ربنا اطعنا سادتنا فى الضلالة والطغيان ، و كبرائنا فى الشرك والعصيان الذين كنا ممثلين أمرهم ، مقتدين بهم وتبعة لهم بايديهم تدير السواد ، وهم كانوا قادة الكفر وأئمة الضلالة ، فأضلونا عن سبيل الحق والرشاد ، عن طريق الهدى والنجاة ، وعن طريق السعادة والصواب بما زينوا لنا الأباطيل والأراجيف والأكاذيب . . . فأطعناهم فى المعصية واتبعناهم فيما دعونا إليه من الكفر والفساد ، ويتبرأ المتبوعون من الاتباع والعكس يوماً لا ينفعهم التبرأ وما هم بخارجين من النار .

قال الله تعالى : «إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبتروا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار» البقرة :

وقال : « واذيتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهم انتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها »
غافر : (٤٧-٤٨)

٦٨- (ربنا آتتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً)

قالوا : ربنا آت هؤلاء السادة والكبراء ضعفين من العذاب بكفرهم و ضلالهم في نفوسهم تارة ، وبصدّهم وإضلالهم ايانا تارة اخرى ، فعذبهم مثل ما تعذب غيرهم فانهم ضلوا وأضلوا والعن عليهم لعناً كبيراً مرة بعد اخرى وزدهم غضباً إلى غضبك وسخطاً إلى سخطك .

قال الله تعالى : « وقال الذين كفروا ربنا انا الذين أضلنا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين » فصلت : (٢٩)

وقال : « هذا فوج مقتحم معكم لامرحباً بهم انهم صالوا النار قالوا بل انتم لامرحباً بكم انتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار » ص : (٥٩-٦١)

وقال : « الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون - يضاعف لهم العذاب - لاجرم انهم في الآخرة هم الاخسررون » هود : (١٩-٢٢)

وقال : « كلما دخلت امة لعنت اختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت اخراهم لا ولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون » الاعراف : (٣٨)

٦٩- (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)

يا أيها الذين آمنوا بالله جل وعلا ورسوله ﷺ لا تؤذوا نبينا محمداً ﷺ بقول يكرهه منكم كقصة زيد وزيب . . . ولا بفعل لا يحبه منكم كالاستيناس لحديث بعد أكل الطعام في بيوت النبي ﷺ . . . فلا تكونوا مع نبيكم كبنى

إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام آذوه إذرموه بعيب كذباً وباطلاً فبرّاه الله تعالى مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم ورميهم، وكان موسى عليه السلام عند الله تعالى ذا وجهة ومنزلة ومكانة فمن حق النبي والصلى الله عليه وآله أن يعظم ويبحل حياً وميتاً لأن يؤذى حياً وميتاً.

قال الله تعالى : «وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أنني رسول الله إليكم» (الصف : ٥)

٧٠- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله والصلى الله عليه وآله اتقوا الله جل وعلا بأن تعصوه بمخالفتكم أحكام الله سبحانه وإيذاءكم رسوله والصلى الله عليه وآله وإيذاء المؤمنين، فمستحقوا بذلك عقوبته، فراقبوا الله تعالى في حفظ ألسنتكم وتقويم أمركم، وقولوا في حق الرسول والصلى الله عليه وآله وفي حق إخوانكم المؤمنين كلاماً حقاً وصدقاً وصدماً : قولاً صواباً بريئاً من الفساد، قولاً خالصاً من شائبة الكذب واللغو والانهام، قولاً يوافق ظاهره واقعه، قولاً عدلاً غير جائر، وقولاً قاصداً حقاً غير باطل .

قال الله تعالى : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (الانعام : ١٥٢)

وقال : « حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق » (الاعراف : ١٠٥)

وقال : « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » (الصف : ٣)

وقال : « والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً » (الفرقان : ٧٢)

وقال : « والذين هم عن اللغو معرضون » (المؤمنون : ٣)

٧١- (يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

ان فعلتم ذلك أيها المؤمنون يصلح الله تعالى لكم أعمالكم بأن يلطف بكم فيها حتى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد، وعلى مهج الحق

وسواء السبيل من غير الاعوجاج ، ويوفقكم لما فيه الصلاح والرشاد ولما يحبه و
يرضاه ، ويغفر لكم ذنوبكم السالفة ، ويعف عنكم سيئاتكم السابقة ، فلا يعاقبكم
عليها بازاء إستقامتكم فى الايمان والقول السديد والعمل الصالح .

قال الله تعالى : « والذين آمنوا و عملوا الصالحات و آمنوا بما نزل على
محمد و هو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم و أصلح بهم - سيدهم و يصلح
بالمهم » محمد ﷺ : ٢ - ٥) .

و قوله تعالى : « و من يطع الله و رسوله الخ » فى الأوامر والنواهي وما
خالف فى شىء منها فقد فاز فى الدارين و نال بأعلى المقاصد ، و ظفر بالكرامة
العظمى من الله تعالى فوزاً عظيماً لا يقادر قدره و لا يتصور مثله ، و لا يخطر
ببال أحد من العز والكرامة ، من الجنة والنعيم الدائمة ، و من النجاة والراحة
الابدية . . .

قال الله تعالى : « و من يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » النساء : ٦٩) .
وقال : « و من يطع الله و رسوله و يخش الله و يتقه فأولئك هم الفائزون »
النور : ٥٢) .

و قال : « و من يطع الله و رسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار »
الفتح : ١٧) .

٧٢ - (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها
و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

انا عرضنا الامامة والخلافة الكبرى والولاية الالهية التى تستكمل بها الدين
الحق علماً و عملاً على السموات والارض والجبال على كبر أجرامها وعظم ثقلها
و شدتها .

قال الله تعالى : « لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن

أكثر الناس لا يعلمون « المؤمن : ٥٧) .

وقال : « عأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها » النازعات :

(٢٧ - ٢٨) .

فأبين أن يحملن تلك الامانة و خفن منها لفقدها استعداد الحمل فيها وعدم صلاحيتها و لياقتها للحمل ، فأبين من حمل الأمانة بعدم المقتضى لهن لاعلى سبيل التمرد ، فأبين تكويناً بعدم الاستعداد لحمل الأمانة ، فالقضية السالبة منتفية بانتفاع موضوعها ، تنبيهاً على أن الانسان هو الذى يستعد لحمل هذه الامانة التى فيها كمال الدين الحق و إستكمال المجتمع البشرى ، و سعادة الدارين . . . و ما سواه ليس فى وسعه ذلك . و فى ذلك كرامة و شرف لهذا الانسان الذى يليق بهذه الامانة كشرافة الوجود على العدم بأن ما سواه فى ذلك كالاعدام والانسان اللائق بها كالوجود كما ان الانسان الكلى الأمين بالنسبة إلى غيره كذلك .

قال الله تعالى : « كذلك يوحى إليك - تكاد السموات يتفطرن من فوقهن »

(الشورى : ٢ - ٥) .

وقال : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله »

(الحشر : ٢١) .

وقال : « ولو أن قرآننا سیرت به الجبال او قطعت به الارض » الرعد : ٣١) .

وهذه الامانة إحدى الثقليين تر كهما رسول الله ﷺ فينا لا بد من حفظها

و أداء حقها و ردها إلى أهلها .

و حمل الانسان مع صغر جرمه و ضعف جسمه هذه الامانة مع ثقلها و عظمها لكون الاستعداد فيه و صلاحيته لحمل هذه الامانة و أداء حقها على وجهها ، ولكنه خانها و غصبها من صاحبها و لم يردّها إلى من يستحقها و يليق بها ، انه كان ظلوماً على صاحب الامانة بالغضب ، و على نفسه بالعذاب ، و على المجتمع البشرى لصدّهم عن الاستكمال الدينى ، و عن سعادة الدارين ، جهولاً بمكانة

الامانة ، فحملها وهو غير لائق بها ، فالوصف بالظلم والجهل إنما يليق بمن خان الامانة و قصر في حقها لا بمن يتحملها و يأتمن و يؤدى حقها .

٧٣- (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات و كان الله غفوراً رحيماً)

انا عرضنا هذه الامانة ليظهر نفاق المنافقين والمنافقات ، و ليظهر شرك المشركين والمشركات ، و ليظهر ايمان المؤمنين والمؤمنات فيميز الخبيث من الطيب ، والمفسد من المصلح ، والطالح من الصالح ، والمحسن من المسيء ، والمخلص من المرأى ، والخائن من الامين ، والمقصر من القائم بواجبات الايمان ، فيعذب الله تعالى المنافقين والمنافقات الذين يدعون الخلافة الالهية وهم غير لائقين بها ، و يقولون ما ليس في قلوبهم ، و يظهرون الايمان ، و هم يبطنون الكفر ، و هم يدعون الأمانة و هم يخونونها . . . و يعذب المشركين والمشركات بالله سبحانه و يظهرن ما في قلوبهم من الكفر والشرك والخلاف والتكذيب ، و هم الذين قد اند مغوا بما اختاروه من طريق الضلالة والظلم والجهالة والفساد . . . و يقبل توبة المؤمنين والمؤمنات الذين قاموا بواجباتهم و داعوا الامانة حقها و إختاروا طريق الهدى و سبيل الرشاد ، فيتجاوز عن سيئاتهم ، و يجزيهم جزاء حسناً ، و كان الله تعالى غفوراً يغفر لهؤلاء المؤمنين والمؤمنات لو حصل منهم تقصير في الطاعات بعد طلبهم المغفرة ، رحيماً بهم .

قال الله : « و يعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء و غضب الله عليهم و لعنهم و أعد لهم جهنم و ساءت مصيراً » (الفتح : ٦) .

و قال : « هو الذى ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور و ان الله بكم لرؤف رحيم » (الحديد : ٩) .

﴿ جملة المعاني ﴾

٣٥٣٤ - (يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليماً حكيماً)

يا من تلبس بالنبوة السماوية لهداية الناس وإخراجهم من ظلمات الجهل والكفر والعصيان إلى نور المعرفة والايمان والطاعة احذر الله جل و علا في إبلاغ رسالتك ، و لا تطع الذين أظهروا كفرهم ، والذين أبطنوه ان الله تعالى كان عليماً بما في صدور الناس و ما يبدونه ، حكيماً في أوامره و نواهيه ...

٣٥٣٥ - (و اتبع ما يوحى إليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيراً)
و اتبع أيها الرسول ما يوحى إليك من ربك وحده لما فيه وحده من الرشد والصلاح ان الله تعالى كان بما تعملون أيها المسلمون بهذا الوحي السماوى ، خبيراً لا يخفى عليه شيء من الاعمال ...

٣٥٣٦ - (و توكل على الله و كفى بالله و كيلاً)

و اعتمد أيها الرسول على الله جل و علا في إبلاغ رسالتك من غير خوف من سوى الله تعالى و كفاك الله سبحانه حافظاً مما تخافه منهم .

٣٥٣٧ - (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه و ما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن امهاتكم و ما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل)

لم يجعل الله تعالى لرجل من قلبين في جوفه حتى يؤمن بأحدهما، ويكفر

بالاخر ، و لم يجعل الله جل وعلا أيها الرجال نساءكم اللاتي تقولون لهن : أنتن علينا كظهور امهاتنا امهاتكم ، و لم يجعل الله سبحانه الذين دعوتموهم أبناءكم أبناءكم حقيقة بحيث يترتب عليهم أحكام البنوة ، ذلك الظهار والدعى أيها الرجال قول منكم تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله تعالى ، والله جل و علا يقول ما هو يطابق الواقع ، والله سبحانه هو يهدى عباده سبيل الحق .

٣٥٣٨ - (ادعوهم لآ بائهم هو أقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين و مواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم و كان الله غفوراً رحيماً)

ادعوا أيها المؤمنون هؤلاء المتنبئين و انسبوهم إلى آباءهم نسباً ، هذا هو الحق والعدل عند الله تعالى ، فان لم تعرفوا لهم آباءً نسباً ، فهم إخوانكم في الدين ان اعتقتموهم و هم مواليكم إن بقوا على الملك ، ولا إثم عليكم فيما أخطأتم به لسهو أو نسيان فدعوتموهم لغير آباءهم ، ولكن الاثم فيما قصدته قلوبكم بعد النهى عن حكم الجاهلية ، و كان الله تعالى يغفر لكم ما أخطأتم به ، و يرحم بكم إذا فعلتم ما جاء من الله تعالى من الاحكام . . .

٣٥٣٩ - (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه امهاتهم و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفأ كان ذلك في الكتاب مسطوراً)

النبي الكريم ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في جميع الامور الدينية والديوية ، و أزواج النبي ﷺ امهاتهم في حرمة النكاح بهن ، و ذوا القربات بعضهم أولى ببعض في التوارث من الانصار المؤمنين والمهاجرين الذين ليسوا من ذوى القربات ، فلا توارث إلا بالولادة والرحم ، الا أن توصوا لهؤلاء المؤمنين والمهاجرين الذين ليسوا بذوى الارحام الوارثين معروفأ بوصية من تلك أموالكم و ما دونه ، كان ذلك مكتوباً في القرآن الكريم .

٣٥٤٠ - (و اذ أخذنا من النبيين ميثاقهم و منك و من نوح و ابراهيم و موسى و عيسى ابن مريم و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً)

و اذ كر أيها الرسول حين أخذنا من النبيين ميثاقهم بالتوحيد و إبلاغ الرسالة و أداء الأمانة الالهية ، و أخذنا منك و من نوح و إبراهيم و موسى و عيسى ابن مريم عليهم السلام على ذلك ، و أخذنا منهم ميثاقاً غليظاً .

٣٥٤١ - (ليسئل الصادقين عن صدقهم و أعد للكافرين عذاباً أليماً)

ليسئل الله تعالى الذين صدقوا عن صدقهم يوم القيامة ، و هيأ الله جل و علا للذين كفروا برسالات الانبياء عذاباً مولماً .

٣٥٤٢ - (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم حين جاءكم جنود الاحزاب الذين تحزبوا عليكم و على نبيكم صلى الله عليه و آله و سلم أيام الخندق ، فحاصروكم مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ، فأرسلنا عليهم ريحاً باردة في ليلة شامية ، و أرسلنا عليهم ملائكة لم تروها ، و كان الله جل و علا بما تعملون من حفر الخندق ، و التحرز من العدو بصيراً .

٣٥٤٣ - (اذ جاءكم من فوقكم و من أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

حين جاءكم أيها المسلمون جنود الكفر من أعلى الوادي ، و جنود الطغيان من أسفل الوادي ، و حين مالت الابصار و تحيرت من شدة الخوف و الدهشة ، و اضطربت القلوب بحيث كأنها بلغت الحناجر ، و كنتم عندئذ تظنون بالله سبحانه أنواع الظنون . . .

٣٥٤٤ - (هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالاً شديداً)

يوم الخندق اختبر المؤمنون ليظهر ثباتهم على ما أمرهم الله تعالى به ، و اضطرب المنافقون و مرضى القلوب اضطراباً شديداً .

٣٥٤٥ - (و اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً)

و حين يقول المنافقون يوم الخندق ، والذين في قلوبهم مرض شك : ما وعدنا الله تعالى ورسوله ﷺ من الظفر والغلبة على الاعداء إلا وعداً مموهاً باطلاً يغرّنا به .

٣٥٤٦ - (واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لامقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فراراً)

و حين قالت طائفة من المنافقين أيام الخندق : يا أهل يثرب وسكان المدينة لا موضع لكم تقومون فيه للقتال في معسكر محمد ﷺ ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه من الكفر ، واحفظوا أنفسكم من القتل والاسر ، ويستأذن حينئذ في الرجوع فريق من المنافقين و ضعاف الايمان النبي ﷺ يقولون معتذرين من الرجوع : يا رسول الله ﷺ ان بيوتنا خربة مكشوفة ، و حالكون البيوت غير مكشوفة ، لا يريد هؤلاء المنافقون و مرضى القلوب بذلك الاعتذار إلا فراراً من الموت والقتل حباً للحياة الدنيا .

٣٥٤٧ - (ولودخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآ توها وما تلبثوا بها الا يسيراً)

و لو دخلت جنود الكفر على هؤلاء المنافقين و مرضى القلوب من نواحي المدينة أو من جوانب بيوتهم ، وهم فيها ثم طلبوا منهم الارتداد عن الدين لأجابوهم مسئولهم و ما تلبثوا باجابة الفتنة إلا زمناً قليلاً .

٣٥٤٨ - (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الا دبار و كان عهد الله مسئلاً)

و اقسم بالله جل و علا ان المنافقين و مرضى القلوب قد كانوا عاهدوا الله

تعالى من قبل غزوة الخندق لا يولّون الأدبار في جهاد الكفار ، ولا يفرّون من معركة القتال ، و كان عهد الله تعالى مسؤولاً عنهم يوم القيامة .

٣٥٤٩ - (قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت أو القتل واذأ لا تمتعون الا قليلاً)

قل أيها النبي ﷺ لهؤلاء المنافقين ومرضى القلوب: لن ينفعكم فراركم من معركة القتال إن فررتم من الموت أو القتل ، ولو فرض أن ينفعكم الفرار في تأخير آجالكم إذأ لا تمتعون بالحياة الدنيا بعد فراركم إلاّ تمّتعاً قليلاً .

٣٥٥٠ - (قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة و لا يجدون لهم من دون الله ولياً و لا نصيراً)

قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المعتذرين : من ذا الذي يجيركم من الله تعالى إن أراد بكم سوءاً من الهزيمة أو القتل أو الاسر ، أو يحفظكم إن أراد بكم الهلاك والدمار أو أراد بكم رحمة من الفتح والظفر على الأعداء والعلو عليهم ، وهم لا يجدون لانفسهم من دون الله ولياً يلي امورهم ، ولا نصيراً ينصرهم .

٣٥٥١ - (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم الينا ولا يأتون البأس الا قليلاً)

قد علم الله تعالى المنافقين الذين يمنعون بعضكم أيها المسلمون عن نصره رسول الله ﷺ ، والذين يقولون لاخوانهم في الكفر : أقبلوا إلينا و اتركوا محمداً ﷺ و أصحابه ، و هؤلاء المنافقون و إخوانهم لا يشهدون القتال إلاّ قتالاً قليلاً لا نفع فيه للاسلام والمسلمين .

٣٥٥٢ - (أشحّة عليكم فاذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فاذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحّة على الخير اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم و كان ذلك على الله يسيراً)

حالكون هؤلاء المعتذرين بخلاء عليكم ، فلا يعاونونكم على الأعداء ،

فاذا جاء الخوف من الاعداء بظهور مخائل القتال ، رأيت أيها النبي ﷺ هؤلاء المعتذرين ينظرون إليك خوفاً من الاعداء إلتجاءاً بك تتحرك أعينهم في أحداقها يميناً و شمالاً كدوران عين الذي يغشى عليه الموت ، فاذا ذهب عنهم الخوف بانكسار الاعداء أطلقوا عنان أسنتهم عليكم ، حريصين على توفير الغنائم في القسمة ، اولئك لم يؤمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ فأحبط الله تعالى أعمالهم الحسنة ، و كان ذلك الاحباط على الله هيناً فلا ظلم فيه .

٣٥٥٣ - (يحسبون الاحزاب لم يذهبوا و ان يأت الاحزاب يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن أنباءكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا الا قليلاً)

يظن هؤلاء المنافقون و مرضى القلوب، ان الاحزاب الشيطانية لم ينهزموا بعد و قد انهزموا و تفرقوا في كل واد ، و إن يأت هؤلاء الاحزاب كرتة ثانية إلى المدينة للقتال بعد انهزامهم يودّ هؤلاء المنافقون و تمنوا لو انهم خارجون من المدينة ، وأن يكونوا في البادية مع الاعراب مقيمين فيها، يسئلون الركب ان والقادمين إليهم من المدينة عن أخباركم و ما جرى عليكم مرة ثانية ، ولو كان هؤلاء المنافقون و إخوانهم بينكم لم يقاتلوا معكم أعداءكم الا قتالاً قليلاً .

٣٥٥٤ - (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر و ذكر الله كثيراً)

لقد كان لكم أيها المؤمنون في أفعال رسوله ﷺ وأقواله قدوة صالحة بحق التأسي بها لمن كان يرجوا رضا الله تعالى و لقاء ثوابه في اليوم الآخر ، و ذكر الله تعالى في جميع أوقاته و أحواله . . . كثيراً .

٣٥٥٥ - (و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا إيماناً و تسليماً)

و لما رأى المؤمنون الاحزاب الشيطانية قالوا : هذا هو الذي وعدنا الله تعالى و رسوله ﷺ ، و نعترف بأنه صدق الله جل و علا في كل ما وعده ،

و صدق رسوله ﷺ في جميع بشاراته ، ولم يزد المؤمنين ما رآوه إلا إيماناً بالله تعالى و رسوله ﷺ و تسليماً لقضائه .

٣٥٥٦ - (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

بعض المؤمنين رجال كاملون في صفات الرجولية صدقوا ما عاهدوا الله تعالى عليه من الثبات في نصرة دين الله جل و علا ، فمن هؤلاء المؤمنين من و في بعده و نال برجائه ، و منهم من ينتظر بوفاء عهده ، و ما بدلوا عهدهم الذي عاهدوه بهم تبديلاً يسيراً .

٣٥٥٧ - (ليجزى الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفوراً رحيماً)

ليجزى الله تعالى المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله جل و علا عليه و وفوا بعهدهم قولاً و عملاً جزاء حسناً بسبب صدقهم في ميثاقهم ، و يعذب المنافقين الذين نقضوا ما عاهدوا الله تعالى و بدلوا ميثاقهم تبديلاً إن شاء الله فيما لم يتوبوا أو يتوب عليهم إن تابوا ، ان الله جل و علا كان غفوراً لذنوب من تاب ، رحيماً بمن آمن .

٣٥٥٨ - (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً و كفى الله المومنين القتال و كان الله قوياً عزيزاً)

و رد الله تعالى هؤلاء الاحزاب الشيطانية إلى أوطانهم مع شدة غضبهم ، حال كونهم لم يصيبوا ما أرادوا من الغنائم بعد الظفر ، و كفى الله جل و علا المؤمنين القتال بأمرهم ، و كان الله تعالى قوياً على ما أراد ، غالباً على ما يشاء .

٣٥٥٩ - (و أنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصبيهم و قذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون و تأسرون فريقاً)

و أنزل الله تعالى يهود بنى قريظة الذين عاونوا المشركين على رسول الله

وَاللَّهُ يَسْتَكْبِرُ عَنْ قُلُوبِ الْيَهُودِ الْعَنِيدِ الْخَوْفِ بِحَيْثُ سَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ لِلْقَتْلِ وَأَهْلِيهِمْ لِلْأَسْرِ، فَأَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ تَقْتُلُونَ فَرِيقًا مِنْهُمْ وَتَأْسِرُونَ مِنْهُمْ فَرِيقًا آخَرِينَ .

٣٥٦٠ - (و أورتكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تطؤوها و كان الله على كل شيء قديراً)

وَأُورِتْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ أَرْضَ يَهُودِ بَنِي قَرِيظَةَ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَ أُورِتْكُمْ اللَّهُ تَعَالَى أَرْضاً أُخْرَى لَمْ تَطُؤُوهَا بَعْدَ ، وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا .
٣٥٦١ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَرِيضَتُكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالَّذِينَ نَكَحْتُم مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَلَا تَصُدُّنَّهُمْ عَنْ أَصْحَابِ الْبُيُوتِ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَاذِلِينَ)

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ ﷺ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا وَ زَخْرَفَهَا فَاقْبَلْنَ إِلَىَّ حَتَّى أَمْتَعَنَّكُمْ مِنْ مَالِي مَا تَنْتَفِعْنَ بِهِ ، وَ ارْسَلِكُنَّ إِلَىَّ قِبَالِكُنَّ وَ بِيُوتِكُنَّ السَّابِقَةَ قَبْلَ الزَّوْجِ إِسْرَافًا لَا تَنَازَعُ وَ لَا ضَرَارَ فِيهِ .
٣٥٦٢ - (وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ فَانْتَبِهُوا لِمَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)
٣٥٦٣ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنَ الْبُيُوتِ يَصَافِحْ يَصَافِحْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)

وَ قُلْ لهنَّ : إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ تَعَالَى وَ رَسُولَهُ ﷺ وَ تَطْلُبْنَ رِضَاهُمَا وَ تَطْعَنُهُمَا وَ تَرُدْنَ ثَوَابَ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَ نَعِيمِهَا ، فَانْتَبِهُوا لِمَا كُنْتُمْ تُحِبُّونَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ .

٣٥٦٣ - (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنَ الْبُيُوتِ يَصَافِحْ يَصَافِحْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا)

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِأَيِّ فِعْلٍ قَبِيحٍ يَصَافِحْ لَهَا الْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلِي عَذَابٍ غَيْرِهَا مِنَ الْمَسِيئَاتِ ، وَ كَانَ ذَلِكَ التَّضْعِيفُ مِنَ الْعَذَابِ عَلَى الْعَاصِيَةِ مِنَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسِيرًا وَ لَا مَنَعَ وَ لَا ظَلَمَ .

٣٥٦٤ - (وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ قَلْبًا مُرِيدًا لِيُجْرَأَ وَ يَخْذَلَ عَيْنًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ)

و أعتدنا لها رزقاً كريماً)

و من يخضع لمنكناً لأمر الله تعالى و يواظب على طاعة رسول الله ﷺ و تعمل عملاً صالحاً تؤتها ثوابها يوم القيامة مثلى ثواب غيرها من سائر النساء الصالحات ، و هيأتنا لها رزقاً كريماً لا يقدر قدره .

٣٥٦٥ - (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض و قلن قولاً معروفاً)

يا نساء النبي ﷺ لستن كأحد من نساء هذه الامة المسلمة فى الفضل و الجزاء إن اتقيتن الله تعالى و أطعن رسوله ﷺ فاذا عرفن قدر كن فلا تخضعن بالقول ما يدخل فى قلوب الرجال من ترقيق الصوت و تلين الخطاب ، فيطمع فيكن مرضى القلوب و قلن عند الحاجة إلى التكلم مع الأجانب قولاً معروفاً عند الشرع و العقل .

٣٥٦٦ - (و قرن فى بيوتكن و لاتبرجن تبرج الجاهلية الاولى و أقمن الصلاة و آتين الزكاة و أطعن الله و رسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)

و استقررن يا نساء النبي ﷺ فى بيوتكن و ألزمنها و لاتخرجن منها إلا لضرورة و لاتبدلين محاسنكن للأجانب على عادة النساء فى زمن الجاهلية قبل الاسلام ، و أقمن الصلاة المفروضة عليكم ، و آتين الزكاة الواجبة ، و أطعن الله جل و علا و رسوله ﷺ فيما يأمرانكن به و ما ينهيانكن عنه .

إنما يريد الله تعالى باعادة تكوينية لان يذهب عنكم - يا محمد و على و فاطمة و الحسن و الحسين أهل بيت الوحي - رجس الخطاء و خبث الجهل و قذارة المعصية و ذميمة الاخلاق و ذبلة الصفات . . . و يطهركم الله تعالى طهارة البقاء عن دنس الشرك و خبث الكفر و رجس النفاق . . .

٣٥٦٧ - (و اذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله و الحكمة ان الله كان

لطيفاً خبيراً)

و اذ كرن يا نساء النبي ﷺ ما يتلى عليكم في بيوتكن من آيات الله تعالى والحكمة واقدرن قدرها ، ان الله جل وعلا كان لطيفاً بعباده خبيراً بأفعالهم... ٣٥٦٨- (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرًا عظيماً) ان الذين أظهروا الاسلام بالشهادتين ، و كذلك اللاتي أظهرنه بهما ، و ان الذين آمنوا بالله تعالى ورسوله ﷺ و كذلك اللاتي آمن ، والذين يواظبون ما التزموا به ، و كذلك اللاتي يواظبن ما التزم به ، والذين صدقوا فيما عاهدوا الله تعالى عليه و كذلك النساء الصادقات ، والذين صبروا في سبيل الله تعالى ، و كذلك النساء الصابرات ، والذين تخشع قلوبهم لله تعالى و كذلك الخاشعات ، والذين يؤدّون حقوق الله تعالى في أموالهم فرضاً و نفلاً ، و كذلك المتصدقات ، والذين يصومون شهر رمضان الذي فرض الله تعالى الصوم على عباده ، و كذلك الصائمات ، والذين يحفظون فروجهم ذلك ، واللاتي يحفظن تمام وجودهن عن الأجانب ، والذين يذكرون الله ذكراً كثيراً في جميع الاحوال ، و كذلك الذاكرات أحياناً ، هيأ الله تعالى لهؤلاء المتصفين بتلك الصفات العشر مغفرة لذنوبهم ، و لهم أجراً عظيماً لا يعرف كنهه .

٣٥٦٩ - (و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم و من يعص الله ورسوله فقد ضلّلاً مبيناً) و ليس لأحد من المؤمنين والمؤمنات إذا قضى الله تعالى ورسوله ﷺ عليهم أمراً أن يجعلوا لانفسهم فيه إختياراً في الفعل والترك من أمرهم ، و من يعص الله ورسوله ﷺ في أمر من الامور المقضية ، فقد ضلّ عن طريق الحق

ضالاً مبيناً .

٣٥٧٠- (واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله و تخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً)

واذ كرأبها الرسول ﷺ حين تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله تعالى عليه بالهداية إلى طراط مستقيم ، وأنعمت عليه بالاعتاق والتربية : أمسك يا زيد عليك زوجك زينب بنت جحش ولا تطلقها ، وتقول له : اتق الله تعالى في مفارقتها ، وكنت تخفي في نفسك تزويج زينب ، الله تعالى مظهره ، وكنت تخشى مقالة الناس في إظهار ماتخفيه ، والله تعالى أولى أن تخشاه في ترك أوامره و تقرير شرعه ، فلما قضى زيد من زينب حاجته من نكاحها ، فطلقها وانقضت عدتها ، وزوجناك زينب حتى لا يكون على المؤمنين ضيق في تزويج أزواج أدعيائهم ، إذا قضوا منهن حاجتهم و فارقوهن ، وكان ما قضى الله تعالى في زينب ماضياً مكوّناً لامحالة .

٣٥٧١- (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً)

ما كان على النبي ﷺ من منع يمنعه من إمتثال ما أوجب الله تعالى من نكاح امرأة من تبناه بعد فراق زوجها عنها ليبطل بذلك حكم الجاهلية في الادعاء ، هذه سنة من سنن الله تعالى في أنبيائه السابقين الذين ارسلوا إلى الناس لابطال الآداب الجاهلية ، و دعوتهم إلى ما تقتضية الفطرة ، و كان أمر الله تعالى قدراً مقدوراً عنده تعالى فلا بد من الائتماره .

٣٥٧٢- (الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله و كفى بالله حسيباً)

اولئك الانبياء الذين خلوا من قبل محمد ﷺ كانوا يبلغون رسالات

الله تعالى إلى امهم و يخافون الله جل و علا وحده في مهماتهم و في كل حال ،
 و لا يخافون غيره ، و كفاك الله تعالى يا محمد ﷺ حافظاً و معيناً في مهمتك .
 ٣٥٧٣- (ما كان محمد أباً أحدمن رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين
 و كان الله بكل شيء عليماً)

ما كان محمد ﷺ أباً أحد من رجالكم الموجودين في زمن الخطاب ،
 فلم يكن أبازيد بن حارثة فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب بعد فراقه إياها ،
 و لكنه كان رسول الله ﷺ و خاتم النبيين ، و كان الله تعالى بكل شيء عليماً
 لا يخفى عليه خافية .

٣٥٧٤- (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)

يا أيها الذين آمنوا بالله و رسوله ﷺ و باليوم الآخر اذكروا الله جل
 و علا ذكراً كثيراً في جميع الاحوال . . .
 ٣٥٧٥- (و سبحوه بكرة و اصيلاً)

و سبحوا الله جل و علا أيها المؤمنون ، و نزّهوه عن كل ما لا يليق بساحة
 قدسه و عزّ جلاله صباحاً و مساءً .

٣٥٧٦- (هو الذي يصلى عليكم و ملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى
 النور و كان بالمؤمنين رحيماً)

الله تعالى هو الذي يذكركم أيها المؤمنون بالعناية و المغفرة و الرحمة ،
 و يذكركم ملائكة الله تعالى بالاستغفار لكم ، ليخرجكم الله تعالى من ظلمات
 الجهل إلى نور المعرفة ، و كان الله تعالى بالمؤمنين رحيماً .

٣٥٧٧- (تحيتهم يوم يلقونه سلام و أعدلهم أجراً كريماً)

تحية المؤمنين يوم القيامة يلقون هذا اليوم لامحالة : سلام تلقاهم الملائكة
 من الله تعالى ، و أعد الله جل و علا لهؤلاء المؤمنين أجراً كريماً لا يقدر قدره .

٣٥٧٨- (يا أيها النبي انا ارسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً)

يا أيها النبي إنا أرسلناك إلى كافة الناس شاهداً عليهم فيما يفعلونه ، و
مبشراً بالجنة و نعيمها لمن آمن وأصلح ، و نذيراً بالنار وعذابها على من كفر
و عصى .

٣٥٧٩- (و داعياً الى الله باذنه و سراجاً منيراً)

و داعياً لهم إلى الله تعالى و توحيدِهِ و إلى عبوديته وحده باذن الله جل و
علا وأمره و أرسلناك إليهم سراجاً منيراً .

٣٥٨٠- (و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلاً كبيراً)

و بشرأيها النبي ﷺ الذين آمنوا ، و التزموا بلوازم الايمان بأن لهم
في الآخرة من الله تعالى فضلاً كبيراً لا يعرف كنهه .

٣٥٨١- (و لا تطع الكافرين و المنافقين و دع أذاهم و توكل على الله و
كفى بالله و كيلاً)

و لا تطع أيها النبي ﷺ الكافرين و المنافقين فيما يخالف ما يوحى إليك ،
و اترك أذاهم إياك ، و توكل على الله تعالى في جميع شئون رسالتك و تبليغها ،
و كفك الله تعالى و كيلاً في جميع الاحوال ...

٣٥٨٢- (يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من
قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن و سرحوهن
سراحاً جميلاً)

يا أيها الذين آمنوا إذا عقدتم المؤمنات للنكاح ثم طلقتموهن من قبل
أن تجامعهن ، فليس لكم أيها المؤمنون على المؤمنات من عدة للطلاق تحصونها
عليهن ، فاعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال ما لم تسمواهن صداقاً ،
و خلّوا سبيلهن بعد الطلاق ، و أخرجوهن من بيوتكم إلى بيوتهن السابقة قبل
النكاح إخراجاً مشتملاً على لين الكلام خالياً من الأذى و المضارة .

٣٥٨٣- (يا أيها النبي إنا أحللتناك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن و

ما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك و بنات عمك و بنات خالك و بنات خالاتك اللاتي هاجرن معك و امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضا عليهم في أزواجهم و ما ملكت أيماهم لكيلا يكون عليك حرج و كان الله غفوراً رحيماً)

يا أيها النبي ﷺ إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى، و أعطيتهن مهورهن ، و أحللنا لك إماءك اللاتي ملكتهن بالسيبي ، و أحللنا لك بنات عمك و بنات عماتك من نساء قريش ، و بنات خالك و بنات خالاتك من نساء بنى زهرة اللاتي هاجرن معك إلى المدينة ، و أحللنا لك امرأة مؤمنة باذلة نفسها للنبي ﷺ بغير صداق إن أراد النبي ﷺ أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين من امتك ، قد علمنا ما أوجبنا على المؤمنين من المهر في حق أزواجهم ، و ما أحللنا لهم من الاماء اللاتي ملكت أيماهم بالشرء و غيره .
أحللنا لك أيها النبي ﷺ هؤلاء الاصناف السبعة من النساء لكيلا يكون عليك ضيق في نكاح ما نكحت منهن ، و كان الله جل و علا غفوراً لك و لامتك المؤمنين ، رحيماً بك في رفع الحرج عنك و بامتك بالتوسعة عليهم .

٣٥٨٤- (ترجى من تشاء منهن و تؤى اليك من تشاء و من ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن و لا يحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن و الله يعلم ما في قلوبكم و كان الله عليماً حليماً)

ترك أيها النبي ﷺ نكاح من تشاء من هؤلاء النساء اللواتي أحللناهن لك بدواً أو بالطلاق أو بترك المضاجعة و القسمة ، و تضم إليك من تشاء منهن بالنكاح أو الابقاء و القسمة ، و من طلبت نكاحها أو إمساكها أو قسمها ممن تركت نكاحها أو طلقها أو تركت القسمة لها فلا إثم عليك ، ذلك التفويض إلى إرادتك أقرب إلى أن تقر أعينهن ، و لا يحزن بترجيح بعضهن على بعض ، و يرضين بما

آتيتهن كلهن من النفقة والقسمة والمضاجعة ، والله تعالى يعلم ما فى قلوبكم من الحب والبغض وكان الله عليماً بكل شىء ، حليماً غير عجول فى العقاب .

٣٥٨٥- (لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من أزواج و لو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شىء رقيباً)

لا يحل لك أيها النبي ﷺ أن تنكح النساء من بعد هؤلاء النساء اللواتي أحللتهن لك من الاصناف السبعة ، ولا يحل لك أن تبدل بهن من أزواج بأن تطلقهن كلهن أو بعضهن و تنكح بدل من طلقت ، و لو أعجبك حسن سواهن إلا ما ملكت يمينك من الاماء فانه يحل لك التسرى بهن ، وكان الله على كل شىء راقباً لا يعزب عنه علم شىء .

٣٥٨٦- (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه و لكن اذا دعيتهم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحيى من الحق و اذا سئلتموهن متاعاً فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهين وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ان ذلكم كان عند الله عظيماً)

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى ﷺ إلا أن يدعوكم ويعلن لكم إلى طعام تأكلونه ، حالكونكم غير منتظرين نضح الطعام ، ولكن إذا دعيتهم إلى الطعام و أذن لكم الدخول فادخلوا البيوت ، فاذا أكلتم الطعام و اخرجوا من البيوت وانتشروا من غير مكث ، ولا مستأنسين بحديث ، لان ذلك الاستيناس بعد الاكل المستلزم لاطالة الجلوس فى بيوت النبى ﷺ كان يؤذى النبى ﷺ فيستحيى النبى ﷺ منكم ، ولكن الله تعالى لا يستحيى من بيان الحق ، وإذا طلبتم أيها المؤمنون من نساء النبى ﷺ متاعاً فاسئلوهن ذلك المتاع من وراء حجاب ، ذلك السؤال من وراء الحجاب أيها المؤمنون أطهر لقلوبكم من الخطورات

النفسانية، وأطهر لقلوبهن، وما كان لكم أيها المؤمنون أن تؤذوا رسول الله ﷺ بالتعرض لأزواجه في حياته، ولا أن تتزوجوا أزواجه ﷺ من بعد حياته أبداً، لان ايذاء النبي ﷺ في حياته، والتزويج بأزواجه بعد وفاته أيها المؤمنون كان ذلك العمل منكم عند الله تعالى ذنباً عظيماً لا يغفر .

٣٥٨٧- (ان تبدوا شيئاً أو تخفوه فان الله كان بكل شيء عليماً)

إن تظهروا أيها المؤمنون بألسنتكم شيئاً من مراقبة لنساء النبي ﷺ وإرادة نكاحهن في حياته أو بعد وفاته أو تخفوه في صدوركم، فان الله تعالى كان بكل شيء من ايذاء النبي ﷺ حياً وميتاً عليماً فيجازيكم عليه .

٣٥٨٨- (لاجناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخواتهن ولا أبناء اخواتهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت ايمنهن واتقين الله ان الله كان على كل شيء شهيداً)

لا إثم على نساء النبي ﷺ في ترك الحجاب لآبائهن، ولا لأبنائهن ولا لاجنابهن ولا لابناء إخوانهن، ولا لابناء أخواتهن، ولا للنساء المؤمنات، ولا ما ملكت ايمنهن من العبيد والاماء وخفن الله تعالى أيها النساء أن تتعدين حدود الله تعالى، ان الله كان على كل شيء شهيداً لا يغيب عنه شيء .

٣٥٨٩- (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

ان الله تعالى ينعطف على رسول الله ﷺ بالرحمة والرضوان، و ينعطف ملائكته على النبي ﷺ بالاستغفار له وبالثناء والتعظيم . . . يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبِيِّكُمْ الاعظم ﷺ بازكى الدعاء وأجمل الثناء، وحيّوه بأحسن التحية. ٣٥٩٠- (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً)

ان الذين يؤذون الله ورسوله ﷺ بالكفر والطغيان أبعدهم الله تعالى

عن رحمته وعن كل خير في الدنيا، وأبعدهم عن الجنة ونعيمها في الآخرة، وأعد لهم في الآخرة عذاباً مهيناً .

٣٥٩١- (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً)

والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ايذاءً بغير ما اكتسبوا من عقيدة باطلة ، وكلام سييء ، وفعل قبيح ، فقد احتمل هؤلاء المؤذون كذباً وإثماً مبيناً يدرك كل عاقل قبحة حتى من غير حاجة إلى ورود النهي عنهما في الشرع وقد ورد .

٣٥٩٢- (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً)

يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ولكافة نساء المؤمنات أن يسترن عليهن من ستورهن ويرسلنها حتى تغطي أجسامهن إلى أفدامهن فلا يظهر منهن إلا عين تبصر بها ، ذلك الستر والحجاب أقرب إلى أن يعرفن فلا يؤذنين باعتراض الاراذل... وكان الله غفوراً لما سلف منهن من إخلال في الحجاب ، رحيماً يرحم بمن لم يتعد حدود الله تعالى .

٣٥٩٣- (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلاً)

اقسم بالله تعالى لئن لم ينته أهل النفاق ، والذين في قلوبهم مرض الفساد في الحرث والنسل والذين يشيرون الارجيف والاكاذيب بين المجتمع لنسلطك يا محمد ﷺ عليهم ثم لا يجاورونك في المدينة ولا يساكنون فيها إلا زمناً قليلاً

٣٥٩٤- (ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً)

يخرجون من المدينة ، مبعدين عن رحمة الله تعالى ، أينما وجدوا وظفر بهم من بعد الاخراج أخذوا وقتلوا قتلاً من غير تسامح ولا تساهل .

٣٥٩٥- (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

هذه سنة الله تعالى في الامم السابقة من قبل منافقي هذه الامة المسلمة ، و
 لن تجد يا محمد ﷺ لسنة الله جل و علا تغييراً لا ابتناءها على حكم الهية و
 مصالح للعباد .

٣٥٩٦- (يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله و ما يدريك
 لعل الساعة تكون قريباً)

يسئلك الناس أيها النبي ﷺ عن وقوع القيامة ، قل لهم : إنما علم
 الساعة عند الله تعالى ، و ما يشعرك يا محمد ﷺ لعل قيام الساعة يكون قريباً .

٣٥٩٧- (ان الله لعن الكافرين و أعدلهم سعيراً)

ان الله تعالى طرد الذين كفروا و أبعدهم عن رحمته و عن كل خير بسبب
 كفرهم و هيا لله تعالى لهم ناراً تلتهب إلتها بآ شديداً .

٣٥٩٨- (خالدین فیها أبداً لا یجدون ولیاً و لانصیراً)

حالكون هؤلاء الكافرين ما كثين في النار المسعرة إلى غير نهاية ، لا يجدون
 فيها ولیاً لانفسهم يحفظهم عنها ، و لانصیراً يدفع عنهم العذاب .

٣٥٩٩- (یوم تقلب و جوههم فی النار یقولون یا لیتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولاً)

یوم تقلب و جوه الكفار و المنافقين و تغیر ألوانها بلفح النار یقولون عندئذ
 متحسرين : یا لیتنا أطعنا الله تعالى فی الحیاة الدنيا و أطعنا الرسولاً فیما یأمرنا به ،
 و ما ینها ناعنه .

٣٦٠٠- (وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا و کبرائنا فأضلونا السبیلاً)

وقال هؤلاء الكفار و المنافقون - وهم فی النار - متحسرين : ربنا أطعنا
 سادتنا فی الكفر و الطغیان ، و کبرائنا فی الشرك و العصیان ، فأضلونا عن سبیل الهدی ،

٣٦٠١- (ربنا آتهم ضعفین من العذاب و العنهم لعناً کبیراً)

قالوا : ربنا آت هؤلاء السادة و الکبراء ضعفین من العذاب بسبب كفرهم ،

و إضلالهم ، و طردهم و أبعدهم عن رحمتك طرداً لا یردون إلى رحمتك قط .

٣٦٠٢- (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيهاً)

يا أيها الذين آمنوا لا تؤذوا نبينا محمداً ﷺ بقول بكرهه منكم ، ولا بفعل لا يحبه فلا تكونوا مع نبيكم كبنى إسرائيل مع نبيهم موسى عليه السلام آذوه إذ رموه بعيب فبرأه الله تعالى مما قالوا فيه ، وكان موسى عليه السلام عند الله تعالى ذا مكانة كريمة .

٣٦٠٣- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً)

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله جل وعلا بأن تعصوه بمخالفتكم أحكام الله تعالى وايداءكم رسوله ﷺ وايداء المؤمنين ، وقولوا في الله سبحانه وفي رسوله ﷺ وفي المؤمنين قولاً صواباً .

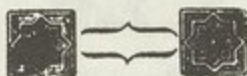
٣٦٠٤- (يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً)

إن فعلتم ذلك يصلح الله تعالى لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم السابقة ، ومن يطع الله جل وعلا ورسوله في الاوامر والنواهي ، فقد فاز في الدارين فوزاً عظيماً لا يقادر قدره .

٣٦٠٥- (انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً)

إنا عرضنا الامانة التي تستكمل بها الدين الحق على السموات على سعتها ، والارض على عظم ثقلها ، والجبال على شدتها ، فأبين أن يحملن هذه الامانة العظيمة لفقد استعداد الحمل فيها ، وخفن من حملها ، وحملها الانسان مع صغر جرمه وضعف جسمه لكون استعداد الحمل وصلاحيته فيه ، ان الانسان كان ظلوماً على صاحب الامانة بخيانتها وعلى نفسه بالعذاب ، وعلى المجتمع البشرى لصددهم عن الاستكمال الديني ، جهولاً بمكانة هذه الامانة .

٣٦٠٦- (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفوراً رحيماً)
 إنا عرضنا هذه الامانة وجعلنا الانسان مستعداً لحملها ليعذب الله تعالى
 الخائنين بها من المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، ويشيب الامناء
 المؤدين حقها من المؤمنين والمؤمنات ، ويقبل توبتهم ، وكان الله جل وعلا غفوراً
 لمن تاب ، رحيماً بمن آمن .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « يا أيها النبي إتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » قال : وهذا هو الذي قال الصادق عليه السلام : ان الله بعث نبيه صلى الله عليه وآله باياك أعني واسمعي يا جاره . فالمخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله والمعنى للناس .

وفيه : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه : لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان ، ان الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه ، فيحب بهذا و يبغض بهذا ، فأما محبنا فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه ، فمن أراد أن يعلم فليمتحن قلبه ، فان شارك في حبنا حب عدونا فليس منا ، و لسنا منه ، والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل والله عدو للكافرين .

وفي أمالي الشيخ قدس سره باسناده عن صالح بن ميثم التمار رحمه الله قال : وجدت في كتاب ميثم رضي الله عنه يقول : تمسينا ليلة عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال لنا : ان عبداً لن يقصر في حبنا لخير جعله في قلبه ، ولن يحبنا من يحب مبغضنا ان ذلك لا يجتمع في قلب واحد ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، يحب بهذا قوماً ويحب بالآخر عدوهم ، والذي يحبنا فهو يخلص حبنا كما يخلص الذهب لاغش فيه . الحديث . . .

وفي المجمع : وقال أبو عبد الله عليه السلام « ما جعل لرجل من قلبين في جوفه » يحب بهذا قوماً ويحب بهذا أعدائهم .

وفي البرهان : بالاسناد عن أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » قال : قال علي بن أبي طالب عليه السلام : ليس من عبد من عبيد الله ممن امتحن قلبه بالايان إلا و يجد مودتنا في قلبه فهو بودنا ، و ما من عبد من عبيد الله ممن سخط الله عليه إلا و يجد بغضنا على قلبه فهو يبغضنا ، فأصبحنا نفرح بحب المحب و نغتفر له و نبغض المبغض ، وأصبح محبنا ينظر رحمة الله جل و عز ، فكان ينظر إلى أبواب الرحمة قد فتحت له ، و أصبح مبغضنا على شفا جرف هار من النار ، فكان ذلك الشفا قد أنهار به في نار جهنم ، فهياً لأهل الرحمة رحمتهم ، و نعتساً لأهل النار مآواهم ، ان الله عز وجل يقول : « فلبئس مثوى المتكبرين » .

و انه ليس من عبد من عبيد الله يقصر في حبنا لخير جعله الله عنده إذ لا يستوى من يحبنا و يبغضنا و لا يجتمعان في قلب رجل أبداً ، ان الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا و يبغض بهذا أما المحب لنا ، فيخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه ، و مبغضنا على تلك المنزلة ، و نحن النجباء و إفراطنا إفراط الانبياء و أنا وصي الأوصياء و الفئمة الباغية من حزب الشيطان و الشيطان منهم ، فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه ، فان شارك في حبنا عدونا فليس منا ، و لسنا منه والله عدوه و جبرئيل و ميكائيل والله عدو للكافرين ، و قال علي عليه السلام : لا يجتمع حبنا و حب عدونا في جوف إنسان ، ان الله عز وجل يقول : « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه » .

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن حبيش بن المعتمر قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام و هو في الرحبة متكئاً ، فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين و رحمة الله و بركاته كيف أصبحت ؟ قال : فرقع رأسه و ردّ عليّ ، فقال : أصبحت محبباً لمحبتنا و مبغضاً لمن يبغضنا ، ان محبتنا ينتظر الروح و الفرج في كل يوم و ليلة ، و ان

مبغضنا بنى بناه، فأسس بنيانه على شفا جرف هار فكان بنيانه هار فانهار به في نار جهنم يا أبا المعتمر !

ان محبنا لا يستطيع أن يبغضنا و ان مبغضنا لا يستطيع أن يحبنا ان الله تبارك و تعالي جبل قلوب العباد على حبنا و خذل من يبغضنا ، فلن يستطيع محبنا بغضنا ، و لن يستطيع مبغضنا حبنا ، و لمن يجتمع حبنا و حب عدونا في قلب أحد ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوماً و يحب بالآخر أعدائهم .

وفي العلل : باسناده عن محمد بن سنان ، ان الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسائله: وعلته تحليل مال الولد لو والده بغير إذنه، وليس ذلك للولد لان الولد موهوب للوالد في قوله عز وجل : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور » مع أنه المأخوذ بمؤنته صغيراً أو كبيراً، والمنسوب إليه، والمدعوله لقوله عز وجل : « ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله » و لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « أنت و مالك لأبيك » و ليس للوالدة مثل ذلك لاناخذ من ماله شيئاً إلا باذنه أو باذن الأب ، و لأن الوالد مأخوذ بنفقة الولد ، ولا تؤخذ المرأة بنفقة ولدها. و في المجمع : قال عليه السلام : « من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله » .

وفي تفسير ابن كثير : في قوله تعالى : « فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين و مواليكم » قال : ان الله تعالى أمر برد أنساب الادعاء إلى آباءهم إن عرفوا ، فان لم يعرفوا فهم إخوانهم في الدين و مواليهم أى عوضاً عما فاتهم من النسب و لهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خرج من مكة عام عمرة القضاء و تبعتهم إبنة حمزة تنادى : يا عم يا عم ، فأخذها على عليه السلام وقال لفاطمة عليها السلام دونك إبنة عمك فاحتملتها ، فاختم فيها عليّ و زيد و جعفر في أيهم يكفلها فكل أدلى بحجة فقال علي عليه السلام ، أنا أحق بها وهي إبنة عمي ، وقال زيد : إبنة أخي،

وقال جعفر بن أبيطالب : ابنة عمي وخالتها تحتى يعنى أسماء بنت عميس، ففضى بها النبي ﷺ لخالتها وقال : « الخالة بمنزلة الام » وقال لعلي عليه السلام : أنت منى وأنا منك . وقال لجعفر : اشبهت خلقى وخلقى . وقال لزيد : أنت أخونا و مولانا .

و فى الكافى : باسناده عن الحسين بن ثوير ابن ابى فاخنة عن أبى عبد الله عليه السلام قال : لا تعود الامامة فى اخوين بعد الحسن والحسين عليهما السلام أبداً إنما جرت من على بن الحسين عليه السلام كما قال الله : « و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله » فلا تكون بعد على بن الحسين عليه السلام إلا فى الأعقاب و أعقاب الاعقاب .

وفى الخصال : باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام - فى حديث - قال : و أما عقوق الوالدين فى كتابه : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم و أزواجه امهاتهم » فعقوا رسول الله ﷺ فى ذريته و عقوا امهم خديجة فى ذريتها .

وفى الدر المنثور : عن جابر عن النبى ﷺ انه كان يقول : أنا أولى بكل مؤمن من نفسه فأيتما رجل مات، وترك ديناً فالىّ، و من ترك مالاً فهو لورثته . و فى التهذيب : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله قال : اختلف أمير المؤمنين على عليه السلام و عثمان بن عفان فى الرجل يموت ، وليس له عصبه يرثونه و له ذوقرابة لا يرثونه ، فقال على عليه السلام : ميراثه لهم يقول الله تعالى : « و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض » و كان عثمان يقول : يجعل فى بيت مال المسلمين . و فى الدر المنثور : عن بريدة قال : غزوت مع على عليه السلام اليمىن فرأيت منه جفوة فلما قدمت على رسول الله ﷺ ذكرت علياً عليه السلام فتنقصته ، فرأيت وجه رسول الله ﷺ تغير ، و قال : يا بريدة ألسنت أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قلت : بلى يا رسول الله قال : من كنت مولاه فعلى مولاه .

أقول: ان الله تعالى لما فضل رسوله ﷺ على المؤمنين كافة ، فضل بعض المؤمنين على بعضهم أيضاً بقوله تعالى : « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين » ثم وصف « اولوا الارحام » بوصفين : الاول : الايمان يستفاد من قوله تعالى : « من المؤمنين » . والثاني : الهجرة لقوله تعالى : « المهاجرين » فالولاية تتوقف على ثلاثة امور : الاول : القرابة . والثاني : الايمان . والثالث : الهجرة . ومن كان جامعاً لزامور الثلاثة ليس إلاً علياً عليه السلام لان أبي بكر ليس له قرابة وأما عباس فلم يكن مهاجراً . و من هنا لما اخبر علي عليه السلام على بيعة الناس بأبي بكر فقال : لم ؟ فقالوا : للصحبة والشورى . و قال أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر :

فان كنت بالشورى ملكت امورهم فكيف بهذا والمشرون غيب
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي و أقرب

وفي تفسير ابن العربي : في قوله تعالى : « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم » قال : لانه ﷺ مبدأ وجوداتهم الحقيقية و مبدأ كمالاتهم ، و منشأ الفيض الاستعدادى أولاً ، و المقدس الكمالى ثانياً فهو الأب الحقيقي لهم ، و لذلك كانت أزواجه امهاتهم في التحريم ، و محافظة الحرمة مراعاة لجانب الحقيقة ، و هو الوسطة بينهم و بين الحق في مبدأ فطرتهم ، فهو المرجع في كمالاتهم ، ولا يصل إليهم فيض الحق بدونه لانه الحجاب الاقدس واليقين الاول كما قال : « أول ما خلق الله نوري » فلو لم يكن أحب إليهم من أنفسهم لكانوا محجوبين بأنفسهم عنه ، فلم يكونوا ناجين إذ نجاتهم إنما هي بالفناء فيه لانه المظهر الاعظم .

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : باسناده عن الامام الحسين ابن علي عليه السلام عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال لي رسول الله ﷺ : يا علي بكم يفتح هذا الأمر ، و بكم يختم ، عليكم بالصبر ، فان العاقبة للمتقين أتم حزب الله و أعدائكم حزب الشيطان ، طوبى لمن أطاعكم ، و ويل

لمن عصاكم أنتم حجة الله على خلقه ، والعروة الوثقى من تمسك بها اهتدى ،
و من تركها ضلّ ، اسئَل الله لكم الجنة ، لا يسبقكم أحد إلى طاعة الله فأنتم
أولى بها .

و في كمال الدين : باسناده عن سعد بن عبدالله القمي عن الحجة القائم
المهدي عليه السلام - في حديث - : قلت : فأخبرني يا مولاي عن معنى الطلاق الذي
فرض رسول الله صلى الله عليه وآله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال : ان الله تقدس اسمه
عظم شأن نساء النبي صلى الله عليه وآله فخصهن بشرف الامهات ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله :
يا أبا الحسن ان هذا الشرف باق لهن ما من الله على الطاعة ، فأيتهن عصت الله
بعدي بالخروج عليك ، فأطلق لها في الازواج ، وأسقطها من شرف الامهات ، و
من شرف امومة المؤمنين .

و في العلل : باسناده عن علي بن الحسين بن فضال عن أبيه قال : سئلت
أبا الحسن عليه السلام فقلت له : لم كنتي النبي صلى الله عليه وآله بأبي القاسم ؟ فقال : لانه كان له
إبن يقال له : قاسم ، فكنتي به ، قال : فقلت : يا بن رسول الله فهل ترانسي أهلاً
للزيادة ؟ فقال : نعم أما علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أنا وعلى أبوا هذه الامة ؟
قلت : بلى ، قال : أما علمت ! ان علياً عليه السلام قاسم الجنة والنار ؟ قلت : بلى ، قال :
فقيل له أبو القاسم لا أبو القاسم الجنة والنار ، فقلت : و ما معنى ذلك ؟ فقال : ان
شفقة النبي صلى الله عليه وآله على امته كشفتها الاباء على الاولاد ، و أفضل امته على عليه السلام و
من بعده شفقة على عليهم كشفتها صلى الله عليه وآله لانه وصيه و خليفته والامام بعده .

فلذلك قال : أنا و علي أبوا هذه الامة ، وصعد النبي صلى الله عليه وآله المنبر ، فقال :
من ترك ديناً أوضياعاً فعلي و إلى و من ترك مالا فلورثته ، فصار بذلك أولى من
آبائهم و امهاتهم ، و صار أولى بهم منهم بأنفسهم ، و كذلك أمير المؤمنين عليه السلام
بعده جرى ذلك له مثل ماجرى لرسول الله صلى الله عليه وآله .

و في البرهان : بالاسناد عن محمد بن زيد عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلت

مولاي فقلت قوله عز وجل : « واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله » ؟
قال : هو علي بن ابي طالب عليه السلام معناه انه رحم النبي صلى الله عليه وسلم فيكون اولى به من
المؤمنين والمهاجرين .

وفي نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدین علی عليه السلام : « فوالله اني
لاولى الناس بالناس »

وفي الاحتجاج : عن عبدالله بن جعفر بن ابي طالب - في حديث - قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انا اولى بالمؤمنين من انفسهم ، من كنت اولى به من
نفسه ، فانت اولى به من نفسه ، وعلي بين يديه عليه السلام في البيت .

وفي روضة الكافي : باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام - في حديث - يقول : كان
علي افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واولى الناس بالناس حتى قالها ثلاثاً .

وفي الكافي : باسناده عن حنان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : أى شيء
للموالى ؟ فقال : ليس لهم من الميراث إلا ما قال الله عز وجل : « إلا أن تفعلوا إلى
أولياكم معروفاً » .

وفي تفسير القمي : باسناده عن ابن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : أول
من سبق إلى الميثاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان أقرب الخلق إلى الله تبارك و
تعالى وما كان بالمكان الذي قال له جبرئيل لما اسرى به إلى السماء تقدم : يا
محمد لقد وطئت موطئاً لم يطأه ملك مقرّب ، ولا نبي مرسل ولولا ان روحه
نفسه وكانت من ذلك المكان لما قدر ان يبلغه ، فكان من الله عز وجل كما قال الله
« كقاب قوسين أو أدنى » أى بل أدنى فلما خرج الامر وقع من الله إلى أوليائه .
عليه السلام ، فقال الصادق عليه السلام : كان الميثاق مأخوذاً عليهم لله بالسربوية و لرسوله
بالنبوة ولأمير المؤمنين والائمة عليهم السلام بالامامة ، فقال : « ألسنت بربكم » ومحمد
صلى الله عليه وسلم نبيكم ، وعلي عليه السلام إمامكم ، وائمة الهادين عليهم السلام أئمتكم ؟

قالوا : بلى فقال : الله شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أى لئلا تقولوا يوم

القيامة انا كنا عن هذا غافلين ، فأول ما أخذ الله الميثاق على الانبياء له بالربوبية وهو قوله : « وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم » فذكر جملة الانبياء ثم أبرز عز وجل أفضلهم بالاسامي فقال : « ومنك » يا محمد فقدم رسول الله ﷺ لانه أفضلهم « ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم » فهؤلاء الخمسة أفضل الانبياء و رسول الله أفضلهم ثم أخذ بعد ذلك الميثاق لرسول الله ﷺ على الايمان به (ميثاق رسول الله ﷺ على الانبياء بالايمان به خ) و على أن ينصروا أمير المؤمنين ﷺ فقال : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم » يعنى رسول الله ﷺ لتؤمنن به ولتنصرنه يعنى أمير المؤمنين ﷺ تخبروا اممكم بخبره وخبر وليه من الائمة ﷺ .

ثم قال على ابن ابراهيم : هذه الواو في قوله : « ومنك » وإنما هو منك و من نوح فأخذ الله عز وجل الميثاق لنفسه على الانبياء ثم أخذ لنبيه على الانبياء والائمة صلوات الله عليهم ثم أخذ للانبياء على رسوله ﷺ .

وفي الدر المنثور : عن ابن عباس قال : قيل : يا رسول الله متى أخذ ميثاقك ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد .

وفي الاحتجاج : روى عن موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن على ﷺ قال : ان يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين ﷺ : فان هذا هود ، قد انتصر الله له من أعدائه بالريح ، فهل فعل لمحمد شيئاً من هذا؟ قال له على ﷺ : لقد كان ذلك كذلك ، ومحمد ﷺ اعطى ما هو أفضل من هذا ، ان الله عز ذكره انتصر له من أعدائه بالريح يوم الخندق إذ أرسل عليهم ريحاً تذر الحصى ، وجنوداً لم يروها فزاد الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ على هود بثمانية آلاف ملك ، وفضله على هود بأن ريح عاد سخط وريح محمد ﷺ رحمة ، قال الله تبارك وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها » .

وفي المجمع : وقال أبو سعيد الخدري : قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله ، فقد بلغت القلوب الحناجر؟ فقال : قولوا : اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا ، قال : فقلناها ، ف ضرب وجوه أعداء الله بالريح فهزموا .
١٠- (اذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم و اذ زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنونا)

وفي الاحتجاج : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام - في رد التناقض من القرآن الكريم - : وأما قوله عز وجل للمنافقين : « وتظنون بالله الظنونا » فهو ظن شك وليس ظن يقين ، والظن ظنّان : ظن شك ، وظن يقين ، فما كان من أمر المعاد من الظن فهو ظن يقين ، وما كان من أمر الدنيا فهو ظن شك .

وفيه : قال علي عليه السلام : « وأما قوله في المنافقين : « وتظنون بالله الظنونا » فليس ذلك بيقين ، ولكنه شك ، فاللفظ واحد في الظاهر ، ومخالف في الباطن .
وفيه : عن الامام مولى الموحدين علي عليه السلام - في حديث - قال : اما انه سيأتي على الناس زمان يكون الحق فيه مستوراً والباطل ظاهراً مشهوراً ، و ذلك اذا كان أولى الناس به أعدائهم له ، واقترب الوعد الحق وعظم الالحاد ، وظهر الفساد « هنا لك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزلاً شديداً » ونحلهم الاخير أسماء الاشرار ، فيكون جهد المؤمن أن يحفظ مهجته من أقرب الناس إليه ثم يفتح الله الفرج لاولياته ، ويظهر صاحب الامر على أعدائه .

وفي المجمع : في قوله تعالى : « يقولون ان بيوتنا عودة و ماهي بعودة » : بل ربيعة السمك حصينة عن الصادق عليه السلام .

وفي تفسير العياشي : عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « رضوا بأن يكونوا مع الخوالم » فقال : النساء ، انهم قالوا : « ان بيوتنا عودة » و كان بيوتهم في أطراف البيوت (المدينة خ) حيث ينفرد الناس ، فأكذبهم قال : « و ماهي بعودة إن يريدون إلا فراداً » وهي ربيعة السمك حصينة .

وفي المجمع : في قوله تعالى : « وما هي بعورة » : بل هي ربيعة السمك
حصينة عن الصادق عليه السلام .

و في نهج البلاغة : - من كتاب الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى معاوية
بن أبي سفيان عليهما الهاوية والنيران جواباً - ثم ذكرت ما كان من أمرى وأمر
عثمان ، ذلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه ، فأينا كان أعدى له وأهدى إلى مقاتله ،
أمن بذل له نصرته فاستنقذه واستنكفه ؟ أم من إستنصره فتراخى عنه وبث المنون
إليه حتى أتى قدره عليه ؟ كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم
هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلاً .

وفي الاحتجاج : عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام - في حديث طويل -
ولان الصبر على ولاة الامر مفروض لقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « فاصبر كما
صبر اولوا العزم من الرسل » وايجابيه مثل ذلك على اوليائه وأهل طاعته بقوله :
« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » .

وفيه : عن مولى الموحدين علي عليه السلام - في حديث طويل - : وأما قولكم
اني جعلت الحكم إلى غيري ، و قد كنت عندكم أحكم الناس ، فهذا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة ، وكان أحكم الناس ، وقد قال الله :
« لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة » فتأسيت برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي تفسير القمي : باسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا صلى العشاء الآخرة أمر بوضوئه و سواكه يوضع عند رأسه
مخمرأ ، فيرقد ماشاء الله ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ، ويصلي أربع ركعات ، ثم يرفد
ثم يقوم فيستاك ويتوضأ ويصلي أربع ركعات ثم يرفد ، حتى إذا كان في وجه
الصبح قام ، فأوتر ثم صلى الركعتين ثم قال : « لقد كان لكم في رسول الله اسوة
حسنة » .

وفي الخصال : باسناده عن أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه قال :

دخلت على رسول الله ﷺ وهو في المسجد جالس إلى أن قال : قال ﷺ : عليك بتلاوة كتاب الله و ذكر الله كثيراً ، فإنه ذكر لك في السماء ، و نورك في الارض .

و في تفسير القمي : ثم وصف الله عز وجل المؤمنين أى المصدقين بما أخبرهم رسول الله ﷺ ما يصيبهم في الخندق من الجهد فقال جل ذكره : « و لما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله و ما زادهم إلا إيماناً » يعنى ذلك الجهد والخوف « و تسليماً » .

وفي الكافي : باسناده عن عنبسة بن مصعب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ من استقبل جنازة أورآها فقال : الله أكبر هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وصدق الله اللهم زدنا إيماناً و تسليماً ، الحمد لله الذى تعزز بالقدرة و قهر العباد بالموت لم يبق فى السماء ملك إلا بكى رحمة لصوته .
 ٢٣- (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فممنهم من قضى نجبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً)

فى الكافي : باسناده عن نصير أبى الحكم الخثعمى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : المؤمن مؤمنان : فمؤمن صدق بعهد الله و وفى بشرطه و ذلك قول الله عز وجل : « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فذلك الذى لانصبيه أهوال الدنيا و لا أهوال الآخرة ، و ذلك ممن يشفع و لا يشفع له ، و مؤمن كخامة الزرع ، تعوج أحياناً و تقوم أحياناً ، فذلك ممن تنصبيه أهوال الدنيا و أهوال الآخرة و ذلك ممن يشفع له و لا يشفع .

قوله عليه السلام : « كخامة الزرع » : أول ما ينبت على ساق أو اللطافة الغضة منه أو الشجرة الغضة منه .

و فى روضة الكافي : باسناده عن عبدالله بن ميمون القداح عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : يا على من أحبك ثم مات فقد قضى نجبه و

من أحببك ولم يمت فهو ينتظر، وما طلعت شمس ولا غربت إلا طلعت عليه برزق وإيمان - وفي نسخة نور - .

وفيه: بإسناده عن محمد بن سليمان عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال لأبي بصير: يا با محمد لقد ذكر كم الله في كتابه فقال: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» انكم وفيتم بما أخذ الله عليه ميثاقكم من ولايتنا، وانكم لم تبدلوا بنا غيرنا . الحديث ...

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن مالك بن ضمرة قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال من تابع هؤلاء الخمسة ثم مات وهو يحبك فقد قضى نحبه، ومن مات وهو يبغضك فقد مات ميتة جاهلية يحاسب بما عمل في الاسلام، ومن عاش بعدك وهو يحبك ختم الله له بالأمن والايمن حتى يرد على الحوض .

وفي ارشاد المفيد قدس سره في مقتل الامام سيد الشهداء عليه السلام ان الحسين بن علي عليه السلام مشى إلى مسلم بن عوسجة لما صرع، فاذا به رمق فقال: رحمك الله يا مسلم «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً» .

و في تفسير القمي: عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه» لا يغيروا أبداً «فمنهم من قضى نحبه» أي أجله وهو حمزة وجعفر بن أبي طالب «و منهم من ينتظر» أجله يعنى علياً عليه السلام يقول: «و ما بدلوا تبديلاً» .

و في مقتل الحسين لأبي مخنف ان الحسين عليه السلام لما أخبر بقتل رسوله عبدالله بن يقطر تغرغت عينه بالدموع، و فاضت على خديه ثم قال: «و منهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلاً» .

و في المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه: ان أصحاب

الحسين عليه السلام بكر بلا كانوا كل من أراد الخروج ودّع الحسين عليه السلام وقال: السلام عليك يا ابن رسول الله فيجيبه: و عليك السلام، ونحن خلفك و يقرأ «فمنهم من قضى نجبه و منهم من ينتظر».

و فيه: قال الصادق عليه السلام و ابن مسعود في قوله: «و كفى الله المؤمنين القتال» بعلى ابن أبي طالب عليه السلام وقتله عمرو بن عبدود.

و في الكافي: باسناده عن عيص بن القاسم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سئلته عن رجل خير إمرأته، فاختارت نفسها بانت منه؟ قال: لا إنما هذا شيء كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة أمر بذلك ففعل، ولو اخترت أنفسهن لطلقنهن (لطلقن) و هو قول الله عز وجل: «قل لأزواجك إن كنتم تن ترون الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن و اسرّ حكن سراحاً جميلاً».

و فيه: باسناده عن داود بن سرحان عن أبي عبدالله عليه السلام ان زينب بنت جحش قالت: يرى رسول الله إن خلتي سبيلنا أن لا نجد زوجاً غيره و قد كان اعتزل نساءه تسعة و عشرين ليلة، فلما قالت زينب الذي قالت، بعث الله جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «قل لأزواجك» الآيتين كليهما، فقلن: بل نختار الله و رسوله و الدار الآخرة.

و في تفسير القمي: باسناده عن حريز قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل: «يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين» قال: الفاحشة: الخروج بالسيف.

أقول: كما خرجت عائشة بالسيف على الامام أمير المؤمنين على عليه السلام بالجمل. و في كمال الدين: باسناده عن عبدالله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - قال صلى الله عليه وآله وسلم: ان يوشع بن نون وصى موسى عليه السلام عاش بعده موسى ثلاثين سنة، و خرجت عليه صفراء بنت شبيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحق منك بالامر، فقاتلها فقتل مقاتليها و أحسن أسرها، و ان ابنة أبي بكر - عائشة - ستخرج

عليّ عليّ في كذا وكذا ألقاً من امتي ، فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها ، فيحسن أسرها و فيها أنزل الله تعالى : « و قرن في بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » يعني صفراء بنت شبيب .

و في تفسير القمي : باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عليه السلام في هذه الآية : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » قال : أي ستكون جاهلية اخرى .

و فيه : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : أجزها مرتين وعذابها ضعفين ، كل هذا في الآخرة حيث يكون الاجر يكون العذاب .

و في كنز الفوائد للكرامچكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي : أتدرى ما الفاحشة المبينة ؟ قلت : لا قال : قتال أمير المؤمنين عليه السلام يعني أهل الجمل .

و في المجمع : في قوله تعالى : « يا نساء النبي من يأت منكن . . . » الآيتين و روى محمد بن أبي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي بن عبدالله بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام انه قال رجل : انكم أهل بيت مغفور لكم ، قال : فغضب ، و قال : نحن أخرى أن يجرى فينا ما أجرى الله في أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن نكون كما تقول ، انانرى لمحسننا ضعفين من الاجر ، ولمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين . .

٣٣- (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً)

و في تفسير العياشي : عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : ليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية تنزل أولها في شيء و أوسطها في شيء و آخرها في شيء ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » من ميلاد الجاهلية .

و في الاحتجاج : عن الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام - في

حديث - قال لبعض الشاميين : فهل تجد لنا في سورة الاحزاب حقاً خاصة دون المسلمين ؟ فقال : لا ، قال عليه السلام : أما قرأت هذه الآية : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » ! .

و في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفى باسناده عن أبي جميلة قال : خرج الحسن بن علي عليه السلام يصلى بالناس و هو بالكوفة ، فطعن بخنجر في فخذه فمر في شهرين ثم خرج فحمد الله و أثنى عليه ثم قال : يا أهل العراق ! اتقوا الله فينا فاننا أمراءكم و ضيفانكم و أهل البيت الذين سمي الله في كتابه : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً »

و فيه : باسناده عن هلال بن يساف قال : سمعت الحسن بن علي عليه السلام و هو يخطب و هو يقول : يا أهل الكوفة اتقوا الله فينا فاننا أمراءكم و اناضيفاكم و نحن أهل البيت الذين قال الله : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » الآية قال : فما رأيت يوماً قطّ أكثر باكياً من يومئذ .

و فيه : باسناده عن ام سلمة ان هذه الآية نزلت في بيتها : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قالت : وفي البيت رسول الله و علي و فاطمة و حسن و حسين ، قالت : و أنا جالسة على الباب ، فقلت : يا رسول الله أأنت من أهل البيت ؟ قال : انك إلى خير ، انك من أزواج النبي . و فيه : باسناده عن عامر بن سعد عن أبيه قال : مرّ معاوية بسعد - في المدينة - فقال : ما يمنعك أن تسبّ أباً تراب !! فقال سعد : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله فلا أسبّه ، لأن يكون لي واحدة منهن أحبّ إليّ من حمر النعم ، سمعت رسول الله يقول له و خلفه في بعض مغازيه ، فقال علي عليه السلام : يا رسول الله أتخلفني مع النساء و الصبيان ؟ فقال رسول الله : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لا نبي بعدي ، و سمعته يقول : لا عطينّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله ، و يحبّه الله و رسوله ، فتطاولنا لها ، فقال

رسول الله ﷺ : ادعوا علياً ، فأتى به أرمم فبصق في عينيه ، ودفع إليه الراية ، ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه الآية : « انما يريد الله . . . » الآية دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً ، وقال : اللهم هؤلاء أهلي .

وفي الدر المنثور : أخرج الطبراني عن ام سلمة ان رسول الله ﷺ قال لفاطمة : اثيني بزوجك وابنيه ، فجاءت بهم فألقى رسول الله ﷺ عليهم كساء فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء أهل محمد - و في لفظ آل محمد - فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد ، قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبته من يدي و قال : انك على خير .

أقول : وقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة لا يسعها المقام وسيأتي ذكرها فرادى إن شاء الله تعالى ، ونشير في المقام إلى نبذة ماورد عن طريق شيعة أهل البيت الحققة : الامامية الاثني عشرية الناجية :

في الكافي : باسناده عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » يعني الأئمة عليهم السلام ، وولايتهم من دخل فيها دخل في بيت النبي ﷺ .

وفي كمال الدين : باسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال في أثناء كلام له في جمع من المهاجرين والانصار في المسجد أيام خلافة عثمان : أيها الناس أتعلمون ان الله عز وجل أنزل في كتابه : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فجمعني وفاطمة وابني حسناً و حسيناً ، وألقى علينا كساء وقال : اللهم ان هؤلاء أهل بيتي ولحمتي يولموني ما يولمهم ، ويحرجني ما يحرجهم ، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فقالت ام سلمة : وأنا يا رسول الله ؟ فقال : أنت - أو انك - على خير ، انما انزلت في وفي أخي وإبنتي و في تسعة من ولد إبنی الحسين خاصة ليس معنا فيها أحد غيرنا

فقالوا كلهم: نشهد ان ام سلمة حدثنا بذلك ، فسللنا رسول الله ﷺ فحدثنا
كما حدثتنا ام سلمة رضى الله عنها .

وفي العلل : باسناده عن عبدالرحمن بن كثير قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام :
ما عنى الله عز وجل بقوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً » ؟ قال : نزلت هذه الآية فى النبى و أمير المؤمنين والحسن
والحسين وفاطمة عليها السلام ، فلما قبض الله عز وجل نبيه ﷺ كان أمير المؤمنين
ثم الحسن ثم الحسين عليه السلام ، ثم وقع تأويل هذه الآية : « و اولوا الارحام بعضهم
أولى ببعض فى كتاب الله » وكان على بن الحسين عليه السلام .

ثم جرت فى الائمة من ولده الاوصياء عليه السلام ، فطاعتهم طاعة الله و معصيتهم
معصية الله عز وجل .

وفي أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبى بصير قال : قلت
للصادق جعفر بن محمد عليه السلام : من آل محمد ؟ قال : ذريته ، قلت : من أهل بيته ؟
قال : الائمة الاوصياء ، فقلت : من عترته ؟ قال : أصحاب العباء فقلت : من امته ؟
قال : المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المتمسكون بالثقلين
الذين امروا بالتمسك بهما كتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً ، وهما الخليفتان على الامة بعد رسول الله ﷺ .

وفي العلل : باسناده عن الحسين بن على عن أبيه عليه السلام قال : دخلت على
رسول الله ﷺ فى بيت ام سلمة ، وقد نزلت عليه هذه الآية : « انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فقال رسول الله ﷺ : يا
على هذه الآية فىك وفى سبطى والائمة من ولدك ، فقلت : يا رسول الله وكم الائمة
بعدك ؟ قال : أنت يا على ثم ابناك الحسن والحسين ، وبعد الحسين على ابنه وبعد
على محمد ابنه وبعد محمد جعفر ابنه ، وبعد جعفر موسى ابنه ، وبعد موسى على
إبنه ، و بعد على محمد ابنه ، و بعد محمد على ابنه ، و بعد على الحسن ابنه ،

والحجة من ولد الحسين عليه السلام هكذا أسماؤهم مكتوبة على ساق العرش ، فسألت الله تعالى عن ذلك ، فقال : يا محمد هذه الائمة بعدك مطهرون معصومون ، و أعدائهم ملعونون .

وفى تفسير القمي : باسناده عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم » قال : نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام ، فقلت له : ان الناس يقولون : فماله لم يسمّ علياً وأهل بيته عليهم السلام في كتاب الله عز وجل ؟ قال : قولوا لهم : ان رسول الله عليه السلام نزلت عليه الصلاة ، ولم يسمّ الله لهم ثلثاً ولا أربعاً حتى كان رسول الله عليه السلام هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزلت عليه الزكاة ، ولم يسمّ لهم من كل أربعين درهماً درهماً حتى كان رسول الله عليه السلام هو الذي فسر ذلك لهم ، و نزل الحج ، فلم يقل لهم : طوفوا سبعاً ، وكان رسول الله هو الذي فسر ذلك لهم ، ونزلت أطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم و نزلت في علي والحسن والحسين عليهم السلام ، فقال رسول الله عليه السلام في علي من كنت مولاه فعلى مولاه ، وقال عليه السلام : ادعيكم بكتاب الله وأهل بيتي ، فاني سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما على الحوض ، فأعطاني ذلك .

وقال : لاتعلموهم فهم أعلم منكم ، وقال : ثم لن يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلوكم في باب ضلالة ، فلو سكت رسول الله عليه السلام فلم يبين من أهل بيته لا دعاها آل فلان وآل فلان ، ولكن الله عز وجل نزل في كتابه تصديقاً لنبيه عليه السلام « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » فكان علي والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام ، فأدخلهم رسول الله عليه السلام تحت الكساء في بيت ام سلمة ثم قال : اللهم ان لكل نبي أهلاً وثقلاً ، وهؤلاء أهل بيتي وثقلي ، فقالت ام سلمة : ألسنت من أهلك ؟ فقال : انك إلى خير ، ولكن هؤلاء أهلي وثقلي ، فلما قبض رسول الله عليه السلام كان علي أولى الناس بالناس لكثرة ما بلغ فيه رسول الله عليه السلام وأقامه للناس ، وأخذيده ، فلما مضى علي لم يكن يستطيع علي ، ولم يكن ليفعل

أن يدخل محمد بن علي ولا العباس بن علي ، ولأحداً من ولده إذا لقال الحسن والحسين ، ان الله تبارك وتعالى أنزل فيك وأمر بطاعتنا كما أمر بطاعتك وبلغ فينا رسول الله ﷺ كما بلغ فيك ، وأذهب عنا الرجس كما أذهب عنك فلما مضى علي كان الحسن أولى بها لكبره .

فلما توفي لم يستطع أن يدخل ولده ، ولم يكن ليفعل ذلك ، والله عز وجل يقول : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » فيجعلها في ولده إذا لقال الحسين عليه السلام أمر الله تبارك وتعالى بطاعتي كما أمر بطاعتك وطاعة أبيك وبلغ في رسول الله ﷺ كما بلغ فيك وفي أبيك ، وأذهب عنى الرجس كما أذهب عنك وعن أبيك ، فلما صارت إلى الحسين عليه السلام لم يكن أحد من أهل بيته ، يستطيع أن يدعى عليه كما كان هو يدعى علي أخيه وعلي أبيه ، ولو أراد أن يصرف الامر عنه ولم يكن ليفعل ثم صارت حين افضت إلى الحسين عليه السلام فجرى تأويل هذه الآية : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ثم صارت من بعد الحسين لعلي بن الحسين عليه السلام ثم صارت من بعد علي بن الحسين عليه السلام إلى محمد بن علي عليه السلام وقال : الرجس هو الشك ، والله لانك في ربنا أبداً .

وفي كنز الفوائد : باسناده عن الامام علي عليه السلام قال : ان الله عز وجل فضلنا أهل البيت لانكون كذلك ، والله عز وجل يقول : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فقد طهر الله من الفواحش ما ظهر منها ، و ما بطن على منهاج الحق .

وفي أمالي الشيخ قدس سره عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ان علياً عليه السلام و عثمان و طلحة و الزبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبي وقاص أمرهم عمر بن الخطاب أن يدخلوا بيتاً ، ويفلقوا عليهم بابه ، ويتشاوروا في أمرهم وأجلهم ثلاثة أيام ، فان توافق خمسة على قول واحد وأبى رجل منهم قتل ذلك الرجل ، وإن توافق أربعة ، و أبى اثنان قتل الاثنان ، فلما توافقوا جميعاً على رأى واحد قال

لهم على بن أبي طالب عليه السلام : إني أحب أن تسمعوا مني ما أقول لكم ، فإن يكن حقاً فاقبلوه وإن يكن باطلاً فانكروه قالوا : قل ، فذكر من فضائله عن الله سبحانه وعن رسوله ، وهم يوافقونه ويصدقونه فيما قال ، وكان فيما قال عليه السلام : فهل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير حيث يقول الله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » غيري وزوجتي وابني ؟ قالوا : لا .

وفي الخصال : في احتجاج الامام على عليه السلام على أبي بكر قال : فانشدك بالله ألى ولاهلي وولدي آية التطهير من الرجس أم لك ولاهل بيتك ؟ قال : بل لك و لأهل بيتك ، قال : فانشدك بالله أنا صاحب دعوة رسول الله ﷺ وأهلي و ولدي يوم الكساء اللهم هؤلاء أهلي إليك لاإلى النار أم أنت ؟ قال : بل أنت وأهل بيتك . وفيه : في احتجاجه عليه السلام على الناس يوم الشورى قال : انشدكم الله هل فيكم أحد أنزل الله فيه آية التطهير على رسوله ﷺ : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فأخذ رسول الله ﷺ كساءاً خبيرياً فضمنى فيه وفاطمة والحسن والحسين ، ثم قال : يارب هؤلاء أهل بيتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

وفي العلل : باسناده عن ابن أبي عمير عن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لما منع أبو بكر فاطمة عليها السلام فدكاً وأخرج وكيها جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى المسجد وأبو بكر جالس ، و حوله المهاجرون والانصار فقال : ياأبا بكر لم منعت فاطمة ما جعله رسول الله ﷺ لها وو كيها فيه منذ سنين - إلى أن قال أمير المؤمنين على عليه السلام لابي بكر - : ياأبا بكر تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قال : فأخبرني عن قول الله عز وجل : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » فينا أوفى غيرنا نزلت ؟ قال : فيكم ، قال : فأخبرني لسو أن شاهدين مسلمين شهدا على فاطمة عليها السلام بفا-حشة ما كنت صانعاً ؟ قال : كنت اقيم عليها الحد كما اقيم على نساء المسلمين ، قال : كنت إذن عند الله من الكافرين ، قال :

ولم ؟ قال : لانك كنت ترد شهادة الله وتقبل شهادة غيره لان الله عزوجل قد شهد لها بالطهارة فاذا رددت شهادة الله وقبلت شهادة غيره كنت عند الله من الكافرين ، قال : فبكى الناس وتفرقوا ودمدموا . الحديث .
قوله عليه السلام : « دمدموا » : كلّموه مغضبين .

وفي معاني الاخبار: باسناده عن عبد الغفار الخازن عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزوجل : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر كرم تطهيراً » قال : الرجس هو الشك .

وفي بصائر الدرجات: باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: الرجس هو الشك ، ولانشك في ديننا أبداً .

وفي الكافي : باسناده عن سعيد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ عشر آيات في ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ومن قرأ مائة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مائة آية كتب من الخاشعين . الحديث ..

وفي تفسير القمي: باسناده عن بريد بن معاوية العجلي قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ان الصواعق لا تصيب ذا كراً ، قلت : وما الذاكر ؟ قال : من قرأ مائة آية .
وفي المجمع : وروى أبو سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وتوضئاً وصلّى كتب من الذاكرين الله كثير أو الذاكرات . وفيه: وروى عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال : من بات على تسبيح فاطمة كان من الذاكرين كثيراً والذاكرات .

وفي الكافي: عن عبد العزيز بن مسلم قال : كنا مع الرضا عليه السلام بمرو فاجتمعنا في الجامع في بدومقدمنا ، فأداروا أمر الامامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها ، فدخلت على سيّدى عليها السلام فأعلمته خوض الناس فيه ، فتبسّم عليها السلام ثم قال : يا عبد

العزیز جهل القوم وخذعوا عن أديانهم ، ان الله عز وجل لم يقمض نبيه ﷺ حتى أكمل له الدين - إلى أن قال - : ولقد راموا صعياً وقالوا إفكاً وضلوا ضلالاً بعيداً ، ووقعوا في الحيرة إذ تر كوا الامام عن بصيرة ، وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدّهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ، رغبوا عن إختيار الله وإختيار رسولهم ﷺ إلى اختيارهم والقرآن يناديهم : « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من أمرهم سبحانه الله و تعالی عما يشركون » وقال عز وجل : « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » .

وفي عيون الاخبار: في باب مجلس الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عند المأمون مع أصحاب الملل والمقاتلات - في حديث أجاب فيه علي بن الجهم عن مسألة عصمة الانبياء عليه السلام قال : وأما محمد ﷺ وقول الله عز وجل : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه » فان الله تعالى عرف نبيه ﷺ أسماء أزواجه في دار الدنيا وأسماء أزواجه في الآخرة ، وانهن امهات المؤمنين ، وإحداهن من سمى له زينب بنت جحش ، وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة ، فأخفى ﷺ إسمها في نفسه ، ولم يبده لكيلا يقول أحد من المنافقين: انه قال في امرأة في بيت رجل : انها أحد أزواجه من امهات المؤمنين ، وخشي قول المنافقين قال الله عز وجل : « وتخشي الناس والله أحق أن تخشاه » يعني في نفسك ، وان الله عز وجل وما تولى تزويج أحد من خلقه الا تزويج حوا من آدم ، و زينب من رسول الله ﷺ بقوله عز وجل : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » و فاطمة من علي عليه السلام قال : فبكى علي بن محمد الجهم ، وقال : يا ابن رسول الله أنائب إلى الله تعالى من أن أنطق في ابياء الله عليه السلام بعد يومي هذا الا بما ذكرته .
وفي المجمع : في قوله تعالى : « وتخفي في نفسك ما الله مبديه » قيل : ان الذي أخفاه في نفسه هو ان الله سبحانه أعلمه انها ستكون من أزواجه ، وان زيدا سيطلقها ، فلما جاء زيد وقال له : اريد أن اطلق زينب قال له : امسك

عليك زوجك ، فقال سبحانه : لم قلت : امسك عليك زوجك وقد أعلمت أنك انما استكون من أزواجك ! و روى ذلك عن علي بن الحسين عليهما السلام .

٤٥- (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم و لكن رسول الله و خاتم النبيين و كان الله بكل شيء عليمًا)

في المجمع : وصح الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : انما مثلى في الانبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها و حسنها الأ موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها الأ موضع هذه اللبنة ، قال صلى الله عليه وآله وسلم : فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء . أورده البخارى و مسلم في صحيحهما .

و في الدر المنثور : عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : انه سيكون في امتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي ، و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدى . و في رواية : أربعة منهم نوسة .

و في ينابيع المودة : روى عن جعفر الصادق عليه السلام حديثاً فيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلى : لولا انى خاتم الانبياء لكنت شريكاً فى النبوة . و فى عوالى اللثالى : و قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أول الانبياء خلقاً ، و آخرهم بعناً .

و فى روضة الكافى : باسناده عن على بن عيسى رفعه قال : ان موسى ناجاه الله تبارك و تعالى فقال له فى مناجاته : لا يطول فى الدنيا أملك إلى قوله عز و جل له فى وصيته له بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا موسى انه امى و هو عبد صدق ، و يبارك عليه ، كذلك فيما وضع يده عليه ، كذلك كان فى علمى و كذلك خلقته ، به أفتح الساعة و بامته أختم مفاتيح الدنيا .

و فى الكافى : باسناده عن ابن القداح عن أبى عبد الله عليه السلام قال : ما من شيء الا وله حد ينتهى إليه إلا الذكر ، فليس له حد ينتهى إليه ، فرض الله عز و جل الفرائض فمن أدهن فهو حدّهن ، و شهر رمضان فمن صامه فهو حدّه و

الحج فمن حجب فهو حدة الآ الذكر، فان الله عزوجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلاً » فقال : لم يجعل الله عزوجل له حداً ينتهي إليه ، قال : وكان أبي عليه السلام كثيراً الذكراً لقد كنت أمشي معه ، وانه ليذكر الله و آكل معه الطعام ، وانه ليذكر الله ولقد كان يحدث القوم و ما يشغله ذلك عن ذكر الله و كنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا اله الا الله ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكرحتى تطلع الشمس ، و يأمر بالقراءة من كان يقرأ منا ومن كان لا يقرأ منا أمره بالذكر والبيت الذى يقرأ فيه القرآن ، و يذكركر الله عزوجل فيه تكثراً بر كته و تحضره الملائكة و تهجره الشياطين و يضيء لاهل السماء كما يضيء الكواكب الدرعى لاهل الارض ، و البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكركر الله فيه تقل بر كته و تهجره الملائكة و تحضره الشياطين .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا اخبركم بخير أعمالكم لكم أرفعها فى درجاتكم و أزكاها عند مليككم و خير لكم من الدينار و الدرهم و خير لكم من أن تلقوا عدوكم فقتلوهم و يقتلوكم ؟ فقالوا : بلى ، قال : ذكر الله عزوجل كثيراً ، ثم قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : من خير أهل المسجد ؟ أكثرهم لله ذكراً و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اعطى لساناً ذاكراً فقد اعطى خير الدنيا و الآخرة ، و قال : فى قوله تعالى : « ولا تمنن تستكثر » قال : لانستكثر ما عملت من خير الله . و فيه : باسناده عن أبى المعز ارفعه قال أمير المؤمنين عليه السلام : من ذكر الله فى السر فقد ذكر الله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانية و لا يذكرونه فى السر فقال الله عزوجل : « يراؤن الناس و لا يذكرون الله الا قليلاً » .

وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : شيعتنا الذين اذا خلوا ذكروا الله كثيراً .

وفيه: باسناده عن داود بن سرحان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أكثر ذكر الله عز وجل أحبه الله و من ذكر الله كثيراً كتبت له براءتان: براءة من النار و براءة من النفاق .

وفيه: باسناده عن زرارة بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام من الذكر الكثير الذي قال الله عز وجل: « اذكروا الله ذكراً كثيراً » .

و عن رسالة علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: سئلته عن قول الله عز وجل: « اذكروا الله ذكراً كثيراً » قال: قلت: من ذكر الله مأتى مرة كثير هو؟ قال: نعم .

و في قرب الاسناد: باسناده عن عبد الله بن بكير قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك و تعالي: « اذكروا الله ذكراً كثيراً » قال: قلت: ما أدنى الذكر الكثير؟ قال: فقال: التسبيح في دبر كل صلاة ثلاثاً و ثلاثين مرة .

و في الخصال: عن زيد الشحام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما ابتلى المؤمن بشيء أشد عليه من ثلاث خصال يحرمها ، قيل: و ما هي؟ قال: المواساة في ذات يده ، و الانصاف من نفسه ، و ذكر الله كثيراً . أما إنى لا أقول: سبحان الله و الحمد لله و لا اله الا الله و الله أكبر . و إن كان منه ولكن ذكر الله عند ما أحل له و ذكر الله عند ما حرم عليه .

و في الدر المنثور: عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة؟ قال: الذاكرون الله كثيراً . قلت: يا رسول الله! و من الغايزي في سبيل الله؟ قال: لو ضرب بسيفه في الكفار و المشركين حتى ينكسر و يختضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل درجة منه .

و في الكافي: باسناده عن اسحق بن فروخ مولى آل طلحة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا اسحق ابن فروخ من صلتني على محمد و آل محمد عشرأ صلى

الله عليه و ملائكته ألفاً ، أما تسمع قول الله عز وجل : « هو الذى يصلى عليكم و ملائكته ليخرجنكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً » .
 و فى بيان التنزيل لابن شهر آشوب قدس سره عن سليمان بن خالد الاقطع قال : قلت للصادق عليه السلام : أيجوز أن يصلى على المؤمنين ؟ قال : إى والله يصلى عليهم فقد صلتى الله عليهم ، أما سمعت قول الله : « هو الذى يصلى عليكم » .
 وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله قال : قال : اذا ذكر النبى صلى الله عليه وآله فأكثروا الصلاة عليه فانه من صلتى على النبى صلى الله عليه وآله صلاة واحدة صلتى الله عليه ألف صلاة فى ألف صف من الملائكة ، ولم يبق شىء مما خلق الله الا صلى على العبد لصلاة الله و صلاة ملائكته ، فمن لم يرغب فى هذا فهو جاهل مغرور قد برىء الله منه و رسوله و أهل بيته .

وفيه : باسناده عن ابى القداح عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من صلتى على صلتى الله عليه و ملائكته ، و ما شاء فليقل و من شاء فليكثر .
 و فى المجمع : عن أبى أيوب الانصارى عن النبى صلى الله عليه وآله قال : صلت الملائكة على و على على سبع سنين ، و ذلك انه لم يصل فيها أحد غيرى و غيره .
 و فى البرهان : روى عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال : لما كانت الليلة التى اسرى بى إلى السماء وقف جبرئيل فى مقامه ، و غبت عن نحية كل ملك ، و كلامه و صرت (سرتخ) بمقام انقطع عنى فيه الاصوات ، و تساوى عندى الاحياء و الاموات اضطرب قلبى و تضاعف كرى ، فسمعت منادياً ينادى بلغة على بن أبيطالب عليه السلام : قف يا محمد فان ربك يصلى ، قلت : كيف يصلى و هو غنى عن الصلاة لأحد ؟ و كيف بلغ على هذا المقام ؟ فقال الله تعالى اقرأ يا محمد : « هو الذى يصلى عليكم و ملائكته ليخرجنكم من الظلمات إلى النور » و صلاتى رحمة لك و لامتك ، فاما سماعك صوت على فان أخاك موسى بن عمران لما جاء جبل الطور عابن ماعابن من عظيم الامور أذهله ما رآه عما يلقي إليه فشغلته عن الهية بذكر أحب

الاشياء إليه وهي العصا إذ قلت له : « وما تلك بيمينك يا موسى » ولما كان على عليه السلام أحب الناس إليك ناديناك بلغته و كلامه ليسكن ما بقلبك من الرعب ، و لتفهم ما يلقي إليك ، و قال « ولي فيها ما رب اخرى » . الحديث .

وفي الدر المنثور : عن أبي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل أى العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال : الذاكرون الله كثيراً الله كثر أقلت : يا رسول الله و من الغازى فى سبيل الله ؟ قال : لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر و يختضب دماً لكان الذاكرون الله أفضل درجة منه .

وفي التوحيد : - فى حديث أجاب الامام على عليه السلام عما سئله رجل من الايات التى اشتبهت عليه - : واللقاء هو البعث فافهم جميع ما فى كتاب الله من لقاءه فانه يعنى بذلك البعث و كذلك قوله : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » يعنى انه لا يزول عن قلوبهم يوم يبعثون .

وفي العلل : باسناده عن الحسن بن على عليه السلام قال : جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئله أعلمهم فيما سئله ، فقال : لأى سميت محمداً وأحمد وأبا القاسم وبشيراً و نذيراً وداعياً ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أما الداعى فانى أدعو الناس إلى دين ربي عز وجل ، وأما النذير فانى انذر بالنار من عصاني ، وأما البشير فانى ابشر بالجنة من أطاعنى . الحديث .

وفي الفقيه : وروى عمرو بن شمر عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عز وجل : « ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » فمتعهن و سرحوهن سراحاً جميلاً ، قال ، متعهن أى أجملوهن بما قدرتم عليه من معروف ، فانهن يرجعن بكأبة و وحشة وهم عظيم و شماتة من أعدائهن ، فان الله كريم يستحيى و يحب أهل الحياء إن أكرمكم أشدكم إكراماً لحلائلهم .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سئله أبى وأنا حاضر عن رجل تزوج امرأة ، فادخلت عليه ، فلم يمسه ولم يصل إليها

حتى طلقها هل عليها عدة منه ؟ فقال : انما العدة من الماء قيل له : فان كان واقعها في الفرج ولم ينزل ؟ فقال : إذا أدخله وجب الغسل والمهر و العدة .

و فيه : باسناده عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فليس عليها عدة تتزوج من ساعتها إن شئت وتبينها تطليقة واحدة ، وإن كان فرض لها مهراً فلها نصف ما فرض .

و فيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فقد بانت منه ، و تتزوج إن شئت من ساعتها ، وإن كان فرض لها مهراً فلها نصف المهر ، وإن لم يكن فرض لها مهراً فليمتعها .

و فيه : باسناده عن أبي بصير أيضاً قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها ؟ قال : عليه نصف المهر إن كان فرض لها وإن لم يكن فرض لها شيئاً فليمتعها على نحو ما يمتع به مثلها من النساء .

و في الدر المنثور : أخرج عبد بن حميد عن حبيب بن ثابت قال : جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فسئله عن رجل قال : إن تزوجت فلانة فهسي طالق قال : ليس بشيء بدء الله بالنكاح قبل الطلاق ، فقال : « يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن » .

و فيه : عن المسور بن مخرمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا طلاق قبل نكاح و لا عتق قبل ملك .

و في فروع الكافي : باسناده عن الحلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عز وجل : « يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك » قلت : كم أحل له من النساء ؟ قال : ما شاء من شيء ، قلت : قوله : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » ؟ فقال : لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن ينكح ما شاء من بنات عمه و بنات عماته و بنات خاله و بنات خالاته و أزواجه اللاتي هاجرن معه و أحل له أن ينكح من عرض المؤمنين بغير مهر ، وهي الهبة و لانحل الهبة الا

لرسول الله ﷺ فأما لغير رسول الله ﷺ فلا يصلح نكاح الأيمهر، وذلك معنى قوله تعالى : « و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » قلت : أرايت قوله : « ترجى من نشاء منهن و تؤوى إليك من نشاء » قال : من آوى فقد نكح ومن أوجا فلم ينكح قلت : قوله : لا يحل لك النساء من بعد قال :

انما عنى به النساء اللاتي حرّم عليه فى هذه الاية : « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم و أخواتكم ... الخ » - النساء : ٢٣ - ولو كان الامر كما يقولون كان قد أحل لكم مالم يحل له إن أحدكم يستبدل كلما أراد ولكن ليس الامر كما يقولون ان الله عزوجل أحل لنبيه ﷺ ما أراد من النساء الا ما حرّم عليه فى هذه الاية التى فى النساء .

و فيه : عن أبى بكر الحضرمى عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله عزوجل لنبيه ﷺ : « يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك » كم أحل له من النساء ؟ قال : ما شاء من شىء قلت : قوله عزوجل : « و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » فقال لا تحل الهبة الا لرسول الله ﷺ وأما لغير رسول الله فلا يصلح نكاح الا بمهر، قلت : أرايت قول الله عزوجل : « لا يحل لك النساء من بعد » فقال : انما عنى به لا يحل لك النساء التى حرّم الله فى هذه الآية : « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم و أخواتكم و عماتكم و خالاتكم إلى آخرها » و لو كان الامر كما تقولون : كان قد أحل لكم مالم يحل له لان أحدكم يستبدل كلما أراد ولكن ليس الامر كما يقولون : ان الله عزوجل أحل لنبيه ﷺ أن ينكح من النساء ما أراد الا ما حرّم عليه فى هذه الاية فى سورة النساء .

و فيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قلت له : أرايت قول الله عزوجل : « لا يحل لك النساء من بعد » ؟ فقال : انما لم يحل له النساء التى حرّم الله عليه فى هذه الاية : « حرمت عليكم امهاتكم و بناتكم » فى هذه الاية كلها و لو كان الامر كما يقولون ، لكان قد أحل لكم مالم يحل له هو لأن أحدكم

يستبدل كلما أراد ولكن ليس الامر كما يقولون ، أحاديث آل محمد عليهم السلام خلاف أحاديث الناس ان الله عز وجل أحل لنبيه عليه السلام أن ينكح من النساء ما أراد إلا ما حرّم عليه في سورة النساء في هذه الآية .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن الحلبي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المرأة تهب نفسها للرجل ينكحها بغير مهر ، فقال : إنما كان هذا للنبي عليه السلام فأما لغيره فلا يصلح هذا حتى يعوضها شيئاً يقدم إليها قبل أن يدخل بها قل أو كثر ، ولو ثوب أو درهم . و قال : يجري الدرهم .

و فيه : بالاسناد عن أبي الصباح الكناني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تحلّ الهبة إلا لرسول الله عليه السلام وأما غيره فلا يصلح نكاح الأبهمة .

و فيه : بالاسناد عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : سألت عن قول الله عز وجل : « و امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » فقال : لا يحل الهبة إلا لرسول الله عليه السلام وأما غيره فلا يصلح نكاح الأبهمة .

و في الدر المنثور : عن علي بن الحسين في قوله : « و امرأة مؤمنة » هي أم شريك الأزديّة التي وهبت نفسها للنبي عليه السلام .

أقول : و في رواية : انها خولة بنت الحكيم . و في رواية أخرى : انها ليلى بنت الخطيم . و في ثالثة : انها ميمونة . و لعل ان الواهبة نفسها عدة من النساء .

و في المجمع : في قوله تعالى : « ولو أعجبك حسنهن » قال : يعنى ان أعجبك حسن ما حرّم عليك من جملةهن ولو حللن لك . و هو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام .

و في الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لما احتضر الحسن بن علي عليه السلام قال للحسين عليه السلام : يا أخى انى اوصيك بوصية فاحفظها ، فاذا أنامت فهيننى ثم وجهنى إلى رسول الله عليه السلام لآحدث به عهداً ،

ثم اصرفنى إلى امى فاطمة عليها السلام ، ثم ردتنى فادفنى فى البقيع ، واعلم انه سيصينى من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله ﷺ وعداوتها لنا أهل البيت ، فلما قبض الحسن عليه السلام وضع على سريره وانطلق به إلى مصلى رسول الله ﷺ الذى كان يصلى فيه الجنائز فصلى على الحسن عليه السلام فلما ان صلتى عليه حمل ، فادخل المسجد ، فلما أوقف على قبر رسول الله ﷺ بلغ عائشة الخبر ، وقيل لها

انهم قد اقبلوا بالحسن بن على عليه السلام ليدفنوه مع رسول الله ﷺ فخرجت مبادرة على بقل بسرج. فكانت أول امرأة ركبت فى الاسلام سرجاً - فوقفت وقالت: نحواً ابنكم عن بيتى ، فانه لا يدفن فيه شىء ولا يهتك على رسول الله حجابيه ، فقال لها الحسين بن على عليه السلام : قديماً هتكت أنت و أبوك حجاب رسول الله ﷺ و أدخلت بيته من لا يجب رسول الله ﷺ قربه ، وان الله سائلك عن ذلك يا عائشة ان أخى أمرنى ان اقربه من أبيه رسول الله ليحدث به عهداً واعلمى ان أخى أعلم الناس بالله ورسوله ، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله ﷺ ستره لان الله تبارك وتعالى يقول : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم » وقد أدخلت بيت رسول الله ﷺ الرجال بغير إذنه ، وقد قال الله عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى »

و لعمرى لقد ضربت أنت لايبك وفاروقه عند إذن رسول الله المعادل ، و قال الله عز وجل : « ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن قلوبهم للتقوى » و لعمرى لقد أدخل أبوك وفاروقه على رسول الله ﷺ بقر بهما منه الأذى ، ومارعيا من حقه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله ، ان الله حرم من المؤمنين أمواتاً حرم منهم أحياءاً ، والله يا عائشة لو كان هذا الذى كرهته من دفن الحسن عند أبيه عليه السلام جائزاً فيما بيننا وبين الله لعلمت انه سيدفن ، وان رغم معطسك . الحديث . . .

قوله **عَلِيًّا** : « معطسك » المعطس - كالمقعد - : الانف .

و فيه : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر **عَلِيًّا** - في حديث أزواج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** - : ان العامرية والكنديّة طلقها قبل الدخول ، فلما قبض **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** رخص لهما أبو بكر وعمر في النكاح ، فتزوجتا قال : وهم يستحلّون أن يتزوجوا امهاتهم إن كانوا مؤمنين ، وان أزواج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** في الحرمة مثل امهاتهم .
وفيه : - في حديث - فلما قبض رسول الله و ولّى الناس أبو بكر أتته العامرية والكنديّة وقد خطبتا فاجتمع أبو بكر وعمر وقال لهما : إختارا إن شئتما الحجاب وإن شئتما الباه ، فاختارتا الباه فتزوجتا ، فجذم أحد الزوجين وجن الآخر .

قال عمر بن اذينة : فحدثت بهذا الحديث زرارة والفضيل فرويا عن أبي جعفر **عَلِيًّا** انه قال : ما نهى الله عز وجل عن شيء الا وقد عصي فيه حتى لقد نكحوا أزواج رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** من بعده ، وذكرا هاتين العامرية والكنديّة . ثم قال أبو جعفر **عَلِيًّا** لو سلّتم عن رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لابنه ؟ لقالوا : لا فرسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** أعظم حرمة من آبائهم .

وفي الدر المنثور : أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم من طريق علي بن زيد عن الحسن في قوله : « ولا أن تبدّل بهن من أزواج » قال : قصره الله على نسائه التسع اللاتي مات عنهن . قال علي فأخبرت علي بن الحسين فقال : لو شاء تزوج غيرهن . و لفظ عبد بن حميد : فقال : بل كان له أيضاً أن يتزوج غيرهن .

وفي الخرائج : روى ان الصادق **عَلِيًّا** قال : لما حضرت الحسن بن علي **عَلِيًّا** الوفاة بكى بكاءً شديداً ، وقال : انى أقدم على أمر عظيم وهول لم أقدم على مثله قط ثم أوصى أن يدفنوه بالبقيع ، فقال : يا أخى احملنى على سرى قبر جدى رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** لأجدّ به عهدى ثم ردّنى إلى قبر جدتى فاطمة بنت أسد

فادفنتي، فستعلم يا ابن ام ان القوم يظنون انكم تريدون دفني عند رسول الله فيجلبون في منعكم، وبالله اقسم عليك أن تهرق في أمرى محجمة دم، فلما غسله وكفنه الحسين عليه السلام وحمله على سريره و توجه إلى قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليجد دبه عهداً أتى مروان بن الحكم، و من معه من بنى امية فقال: أيدفن عثمان في أقصى المدينة ويدفن الحسن مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ لا يكون ذلك أبداً ولحقت عائشة على بغل وهي تقول: مالي ولكم؟ تريدون أن تدخلوا بيتي من لاحب.

فقال ابن عباس لمروان بن الحكم: لا تريد دفن صاحبنا، فانه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله من أن يطرق عليه هجماً كما طرق ذلك غيره، و دخل بيته بغير إذنه انصرف فنحن ندفنه بالبيع كما وصى. ثم قال لعائشة: واسواتاه يوماً على بغل، ويوماً على جمل. وفي رواية: يوماً تجملت و يوماً تبغلت، وإن عشت تفيئت فأخذه ابن الحجاج الشاعر البغدادي:

يابنت أبي بكر لا كان ولا كنت لك التسع من الثمن وبالكل تملك

تجملت تبغلت وإن عشت تفيئت

قوله: « لك التسع من الثمن » إنما كان في مناظرة فضال ابن الحسن بن فضال الكوفي مع أبي حنيفة، فقال له الفضال: قول الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » منسوخ أو غير منسوخ؟ قال: هذه الآية غير منسوخة قال: ما تقول في خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو بكر وعمر؟ أم علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: أما علمت أنهما ضجيعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبره فأى حجة تريد في فضاهما أفضل من هذه؟ فقال له الفضال: لقد ظلما إذ أوصيا بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد أساءا إذا رجعا في هبتهما ونكناعهدهما، وقد أقررت ان قوله تعالى:

« لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » غير منسوخة

فاطرق أبو حنيفة ثم قال: لم يكن له دلالة خاصة، ولكنهما نظراني حق

عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع لحقوق ابنتيهما فقال له فضال: أنت تعلم ان النبي ﷺ مات عن تسع حشايا ، وكان لهن الثمن لمكان ولده فاطمة ، فاذا لكل واحدة منهن تسع الثمن ، ثم نظر نافي تسع الثمن ، فاذا هو شبر والحجرة كذا وكذا طولاً وعرضاً فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك ؟ وبعد فما بال عائشة وحفصة يرثان رسول الله وفاطمة بنته منعت الميراث ، فالمتناقضة في ذلك ظاهرة من وجوه كثيرة . . . فقال أبو حنيفة : نحووه عنى فانه والله رافضى خبيث .
قوله : « الحشايا » : الفرش كنى بها عن الزوجات .

وفي الكافي : باسناده عن معاوية بن عمار قال : كنا عند أبي عبد الله عليه السلام نحواً من ثلاثين رجلاً إذ دخل أبي فرحب بدأ أبو عبد الله عليه السلام وأجلسه إلى جنبه ، وأقبل عليه طويلاً ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : ان لأبي معاوية حاجة ، فلو خفتم ، فقمنا جميعاً فقال لى أبي : إرجع يا معاوية فرجعت ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : هذا ابنك ؟ قال : نعم وهو يزعم ان أهل المدينة يصنعون شيئاً لا يحل لهم ؟ قال : وما هو ؟ قلت : ان المرأة القرشية والهاشمية تركب وتضع يدها على رأس الاسود وذراعها على عنقه ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : يا بنى أما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال إقرأ هذه الآية : « لاجنح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن - حتى بلغ - وما ملكت ايمانهن » ثم قال : يا بنى لا بأس أن يرى المملوك الشعر والساق .
٥٦ - (ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)

في تفسير القمي : ثم ذكر ما فضل الله نبيه ﷺ فقال جل ذكره : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » قال : صلوات الله عليه تزيكية له وتناءاً عليه ، وصلاح الملائكة مدحهم له ، وصلاح الناس دعائهم له والتصديق والاقراء بفضله ، وقوله تعالى : « وسلموا تسليماً » يعنى سلموا بالولاية وبما جاء به .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن أبي حمزة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام

عن قول الله عز وجل : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » فقال : الصلاة من الله عز وجل رحمة ، ومن الملائكة تزكية ، و من الناس دعاء ، وأما قوله عز وجل : « سلموا تسليماً » فيما ورد عنه قال : فقلت له : فكيف نصلى على محمد وآله؟ قال : تقولون : صلوات الله وصلوات ملائكته وأنبيائه ورسوله وجميع خلقه على محمد وآل محمد عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته ، قال : قلت : فمناوب من صلى على النبي وآله بهذه الصلوات؟ قال : الخروج من الذنوب ، والله كهية يوم ولدته امه .

و في الكافي : باسناده عن أبي مريم الانصارى عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : كيف كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال : لما غسله أمير المؤمنين عليه السلام وكفنه سجاهاً ثم أدخل عليه عشرة فداروا حوله ، ثم وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وسطهم ، فقال : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » فيقول القوم كما يقول حتى صلى عليه أهل المدينة وأهل العوالي .

قوله عليه السلام : « سجاهاً » مدّ عليه ثوباً وغطاه به . و « أهل العوالي » أي أهل قرى بظاهر المدينة .

وفي أمالي الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : لما فرغ أمير المؤمنين عليه السلام من تفسير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكفينه وتحنيطه اذن للناس و قال : ليدخل منكم عشرة عشرة ليصلوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم فدخلوا و قام أمير المؤمنين عليه السلام بينه صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم و قال : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » و كان الناس يقولون كما يقول أبو جعفر عليه السلام وهكذا كانت الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم .

و في محاسن البرقي : باسناده عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا

صلوا عليه وسلموا تسليماً» قال : الصلاة عليه والتسليم له في كل شيء جاء به .
 وفي الاحتجاج : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في قوله تعالى : « ان
 الله وملائكته يصلون على النبي » الآية : لهذه الآية ظاهر وباطن ، فالظاهر قوله :
 « صلوا عليه » والباطن قوله : « و سلموا تسليماً » أي سلموا لمن وصاه واستخلفه
 عليكم فضله وما عهدته إليه تسليماً وهذا مما أخبرتك لا يعلم تأويله الا الله الا
 من لطف حسنه و صفا ذهنه و صح تمييزه .

و في نور الثقلين : بالاسناد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : لما قبض
 النبي صلى الله عليه وآله صلت عليه الملائكة والمهاجرون والانصار فوجاً فوجاً ، قال : و
 قال أمير المؤمنين عليه السلام : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول في صحته و سلامته :
 انما انزلت هذه الآية على بعد قبض الله لي : « ان الله وملائكته يصلون على النبي
 يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » .

و في الكافي : باسناده عن محمد بن مسعود قال : رأيت أبا عبد الله عليه السلام
 انتهى إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله فوضع يده عليه ، و قال : أسئل الله الذي إجتباك و
 اختارك و هداك و هدى بك أن يصلي عليه ، ثم قال : « ان الله وملائكته يصلون
 على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » .

و في محاسن البرقي : عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « ان
 الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً »
 قال : فقال : ائتوا عليه و سلموا له .

و في الخصال : عن الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام - في حديث الاربعمأة -
 قال : صلوا على محمد و آل محمد فان الله تعالى يقبل دعاءكم عند ذكر محمد
 و دعاءكم و حفظكم إياه إذا قرأتم : « ان الله و ملائكته يصلون على النبي »
 فصلوا عليه في الصلاة كنتم أو في غيرها .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات »

يعنى علياً و فاطمة صلوات الله عليهما « بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و
إثماً مبيناً » و هى جارية فى الناس كلهم .

وفى البرهان : بالاسناد عن زيد بن على بن الحسين و هو آخذ بشعره ،
قال : حدثنى الحسين و هو آخذ بشعره ، قال : حدثنى على بن أبى طالب عليه السلام
و هو آخذ بشعره ، قال : حدثنى رسول الله ﷺ و هو آخذ بشعره فقال : من
أذى شعرة منك فقد آذانى و من آذانى فقد أذى الله و من آذى الله فعليه لعنة الله .
وفيه : ابن مردويه بالاسناد عن محمد بن عبد الله الانصارى و جابر الانصارى
و ذوالفضائل عن أبى المظفر باسناده عن جابر الانصارى ، وفى الخصائص عن النظرى
باسناده عن جابر كلهم عن عمر بن الخطاب قال : كنت أجفوا علياً فلقانى رسول
الله ﷺ فقال : انك أذيتنى يا عمر قلت : أعوذ بالله من أذى رسول الله قال : انك
قد أذيت علياً عليه السلام و من أذاه فقد آذانى .

و فى رواية : قال رسول الله ﷺ حاكياً عن ربه تعالى : « شتمنى ابن
آدم و لم ينبغ له أن يشتمنى ، آذانى و لم ينبغ له أن يؤذينى ، فأما شتمه إياى
فقوله : انى اتخذت ولدأ . و أما أذاه فقوله : ان الله لا يعيدنى بعد أن بدأنى .
وفى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « ملعونين أينما ثقفوا اخذوا و قتلوا
تقتيلاً » قال : وفى رواية أبى الجارود عن أبى جعفر عليه السلام قال : « ملعونين » فوجبت
عليهم اللعنة بعد اللعنة بقول الله .

وفيه : فى قوله تعالى : « يوم تقلب وجوههم فى النار » قال : فانها كناية
عن الذين غضبوا آل محمد عليهم السلام حقهم « يقولون ياليتنا أطعنا الله و أطعنا الرسولا »
يعنى فى أمير المؤمنين عليه السلام « و قالوا ربنا انا أطعنا سادتنا و كبرائنا فأضلونا
السبيلا » و هما الرجالن و السادة و الكبراء هما أول من بدأ بظلمهم و غضبهم قال :
قوله : « وأضلونا السبيلا » أى طريق الجنة و السبيل أمير المؤمنين عليه السلام ثم يقولون
« ربنا آتاهم ضعفين من العذاب و العنهم لعناً كبيراً » .

و في الكافي : باسناده عن محمد بن سالم عن أبي جعفر عليه السلام - في حديث - قال : و لا يلعن الله مؤمناً قال الله عز وجل : « ان الله لعن الكافرين و أعد لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً و لا نصيراً » .

و في المصباح : للشيخ قدس سره - في خطبة لأمر المؤمنين على عليه السلام خطب بها يوم الغدير - قال عليه السلام فيها : « و تقربوا إلى الله بتوحيده و طاعة من أمركم أن تطيعوه و لا تمسكوا بعصم الكوافر ، و لا يخلج بكم الغي فتضلوا عن سبيل الرشاد باتباع اولئك الذين ضلوا و أضلوا قال الله عز من قائل في طائفة ذكرهم بالذم في كتابه : « انا أطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

و في اصول الكافي : باسناده عن محمد بن مروان رفعه إليهم عليه السلام في قول الله عز وجل : « و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ، في علي و الأئمة » كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا » .

و في روضة الكافي : باسناده عن يونس قال : قال أبو عبد الله عليه السلام لعباد بن كثير البصرى الصوفى : ويحك يا عباد غرك إن عف بطنك و فرجك إن الله عز وجل يقول في كتابه : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم » إعلم انه لا يتقبل الله منك شيئاً حتى تقول قولاً عدلاً .

و في الدر المنثور : عن سهل بن سعد الساعدي قال : ما جلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على هذا المنبر قط الا تلا هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولاً سديداً » .

و في كنز الفوائد للكرامى باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال : « و من يطع الله و رسوله في ولاية علي و الأئمة من بعده « فقد فاز فوزاً عظيماً » .

و في الكافي : باسناده عن اسحق بن عمار عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : « انا عرضنا الامانة » الآية قال : هي ولاية أمير المؤمنين عليه السلام في بعض التفاسير : قال : المراد بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ما كان هو أول

فاتح لبابه من هذه الامة وهو كون الانسان بحيث يتولّى الله سبحانه أمره بمجاهدته فيه باخلاص العبودية له دون الولاية بمعنى المحبة أو بمعنى الامامة ، وإن كان ظاهر بعض الروايات ذلك بنوع من الجرى والانطباق .

أقول: والعكس هو الصواب الذي لا يخفى على من كان الامام أمير المؤمنين على عليه السلام مولاه و لم يكن في أمر الولاية متزلزلاً أو لم يجعلها قرباناً للمصلحة الواهية . . . فالاول هو الانسب بنوع من الجرى والانطباق .

وفي غاية المراد : باسناده عن محمد بن الحنفية عن أمير المؤمنين عليه السلام ان المراد من الأمانة ولايته عليه السلام .

و في عيون الاخبار : باسناده عن الحسين بن خالد - في باب ما جاء عن الرضا عليه السلام من الاخبار المتفرقة - قال: سألت أبا الحسن على بن موسى الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها » الآية فقال: الامانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر . وفي معاني الاخبار : باسناده عن أبي بصير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » قال : الامانة الولاية والانسان أبو الشرور المنافق .

و في بصائر الدرجات : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك و تعالی : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها » قال : الولاية أبين أن يحملنها كفر أو حملها الانسان ، والانسان الذي حملها أبو فلان .

و في معاني الاخبار : باسناده عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ان الله تبارك و تعالی خلق الارواح قبل الاجساد بألفى عام ، فجعل أعلاها وأشرفها محمد و على وفاطمة والحسن والحسين والائمة بعدهم صلوات الله عليهم ، فعرضها على السموات والارض والجبال فغشيها نورهم ، فقال الله تبارك و تعالی للسموات

والارض والجبال : هؤلاء أحبائي وأوليائي وحبجبي على خلقي و أئمة بريتي ،
 ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منهم ، لهم ولمن تولاهم خلقت جنتي ، ولمن خالفهم
 و عاдахم خلقت ناري ، فمن ادعى منزلتهم مني ومحلهم من عظمتي عذبه عذاباً
 لا اعذبه أحداً من العالمين وجعلته مع المشركين في أسفل درك من ناري ،
 و من أقرّ بولايتهم و لم يدع منزلتهم مني و مكانهم من عظمتي جعلته معهم في
 روضات جناتي و كان لهم فيها ما يشاؤون عندي ، و أحببتهم كرامتي ، و أحللتهم
 جوارى ، و شفعتهم في المذنبين من عبادي و إمامي فولايته أمانة عند خلقي .
 فأيتكم يحملها بأثقالها و يدعيها لنفسه ؟ فأبت السموات والارض والجبال
 أن يحملنها و أشفقن منها من إهداء منزلتها ، و تمنى محلها من عظمة ربهم ،
 فلما أسكن الله عز وجل آدم و زوجته الجنة : « قال لهما كلامنها رغداً حيث
 شئتما ولا تقربا هذه الشجرة » يعني شجرة الحنطة « فتكونا من الظالمين » فنظرا
 إلى منزلة محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين و الأئمة بعدهم فوجدوا أشرف
 منازل أهل الجنة فقالوا : ربنا لمن هذه المنزلة ؟ فقال الله جل جلاله إرفعا رؤسكما
 إلى ساق العرش فرفا رؤسهما ، فوجدوا أسماء محمد و علي و فاطمة و الحسن
 و الأئمة عليهم السلام مكتوبة على ساق العرش بنور من نور الله الجبار جل جلاله ، فقالوا :
 يا ربنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك ، و ما أحبهم إليك و ما أشرفهم لديك ؟
 فقال الله جل جلاله :

لولاهم ما خلقتكما ، هؤلاء خزنة علمي و امنائي على سري ، إياكما أن
 تنظرا إليهم بعين الحسد ، و تمنيا منزلتهم عندي ومحلهم من كرامتي ، فتدخلان
 بذلك في نهبي و عصياني فتكونا من الظالمين قالوا : ربنا و من الظالمون ؟ قال :
 المدعون لمنزلتهم بغير حق ، قالوا : ربنا فأرنا منزلة ظالمهم في نارك حتى نراها
 كما رأينا منزلتهم في جنتك ، فأمر الله تبارك و تعالي النار فأبرزت جميع ما فيها
 من ألوان النكال و العذاب ، و قال عز وجل : مكان الظالمين لهم المدعين لمنزلتهم

في أسفل درك منها ، « كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها » و « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » .

يا آدم و يا حوا لا تنظرا إلى أنوارى و حججى بعين الحسد فاهبطكما عن (من خ) جوارى و احل بكما هوانى (عن هوانى خ) « فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماورى عنهما من سوآتهما و قال ما انها كما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين و قاسمهما انى لكما لمن الناصحين فدلأهما بفرور » و حملهما على تمنى منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتى أكل من شجرة الحنطة فعاد مكان ما أكل الشعيراً ، فأصل الحنطة كلها ما لم يأكل (يا أكلاه خ) و أصل الشعير كان مما عاد مكان ما أكله ، فلما أكل من الشجرة طار الحلى و الحلل عن أجسادهما و بقيا عريانين : « و طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة و ناداهما ربهما ألم أنهماكما عن تلكما الشجرة و اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالار بنا ظلمنا أنفسنا و إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » قال : اهبطا من جوارى ، فلا يجاورنى فى جنتى من يعصينى ، فهبطا موكولين إلى أنفسهما فى طلب المعاش ، فلما أراد الله عزوجل أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل عليه السلام فقال لهما : انكما ان ظلمتما أنفسكما بتمنى منزلة من فضل عليكما ، فجزاء كما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزوجل إلى أرضه ، فسار بكما بحق الاسماء التى رأيتموها على ساق العرش حتى يتوب عليكما ، فقالا :

اللهم انا نسئلك بحق الاكرمين عليك محمد و على و فاطمة و الحسن و الحسين و الائمة الآتت علينا ورحمتنا ، فتاب الله عليهما انه هو التواب الرحيم ، فلم ينزل انبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الامانة ، و يخبرون بها أوصياءهم و المخلصين من امتهم ، فيأبون حملها ، و يشفقون من ادعائها و حملها الانسان الذى قد عرف باصل (فاصل خ) كل ظالم منه إلى يوم القيامة ، وذلك قول الله

عز وجل : « انا عرضنا الامانة على السموات و الارض والجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « انا عرضنا الأمانة » قال : الامانة هي الامامة و الامر و النهي ثم قال : و الدليل على ذلك - ان الامانة هي الامامة - قوله عز وجل في الأئمة : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها » يعني الامامة ، فالأمانة هي الامامة عرضت على السموات و الارض ، فأبين أن يحملنها ، أبين أن يدعوها او يغصبوها أهلها ، « و حملها الانسان » أي الاول . وفيه : - في رواية - قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى لابن آدم : « لم اكلفك فوق طاقتك و لم احمك من الامانة الا ما قررت بها على نفسك » .

و في تفسير القشيري : ان أمير المؤمنين علياً عليه السلام كان اذا حضر وقت الصلاة تلوّن و تزلزل ، فقيل له : مالك ؟ فقال : جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات و الارض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان ، و أنا في ضعفي فلا أدري أحسن أداء ما حملت أولاً .

و في عوالي اللئالي : و في الحديث ان علياً عليه السلام إذا حضر وقت الصلاة يتململ و يتزلزل و يتلوّن ، فيقال له : مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : جاء وقت الصلاة وقت أمانة عرضها الله على السموات و الارض فأبين أن يحملنها و أشفقن منها .

و في الاحتجاج : - في احتجاج الامام علي عليه السلام على زنديق جاء مستدلاً عليه بأى من القرآن متشابهة - فقال الزنديق : وأجده يقول : « انا عرضنا الأمانة على السموات و الارض و الجبال فأبين أن يحملنها و أشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً » فما هذه الامانة ؟ و من هذا الانسان ؟ و ليس من صفته العزيز العليم التلييس على عباده .

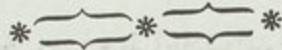
فأجاب عنه الامام عليه السلام وقال : و أما الامانة التي ذكرتها فهي : الأمانة التي

لا تنجب ولا تجوز أن تكون إلا في الانبياء وأوصيائهم، لان الله تبارك وتعالى إئتمنهم على خلقه، وجعلهم حججاً في أرضه والسمارى ومن أجمع معه وأعانه من الكفار على عبادة العجل عند غيبة موسى ما ثم إنتحال محل موسى من الطعام، والاحتمال لتلك الامانة التي لا ينبغي الا لظاهر من الرجس، فاحتمل وزرها ووزر من سلك سبيله من الظالمين وأعاونهم، ولذلك قال النبي ﷺ: ومن استن سنة حق كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن استن سنة باطل كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وفي التهذيب: باسناده عن اسحق قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول له: إبتع لى ثوباً فيطلب له فى السوق فيكون عنده مثل ما يجد له فى السوق، فيعطيه من عنده؟ قال: لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه، ان الله عز وجل يقول: «انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوماً جهولاً» وإن كان عنده خير مما يجد له فى السوق فلا يعطيه من عنده.

وفي الكافي: عن عقيل الخزاعي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان اذا حضر الحرب يوصى المسلمين بكلمات يقول: تعاهدوا الصلاة وحافظوا عليها واستكثروا منها وتقربوا بها، ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قرباناً لأهل الاسلام على أهل الاسلام، ومن لم يعطها طيب النفس بها يرجو بها من الثمن ما هو أفضل منها فانه جاهل بالسنة، مغبون الاجر، ضال العمر، طويل الندم بترك أمر الله تعالى، والرغبة عما عليه، صالحوا عباد الله يقول الله عز وجل: «ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى» من الامانة فقد خسر من ليس من أهلها، وضل عمله، عرضت على السموات المبنية والارض المهاده والجبال المنصوبة، فلا أطول ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها، لو امتنعت من طول أو عرض أو قوة أو عزة امتنعن، ولكن أشفقن من العقوبة. الحديث . . .

وفي نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام
 - في خطبة - : « ثم أداء الأمانة فقد خاب من ليس من أهلها ، انها عرضت على
 السموات المبنية والارض المدحوة ، والجبال ذات الطول المنصوبة ، فلا أطول
 ولا أعرض ولا أعلى ولا أعظم منها ، ولو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عز
 لا تمتنع ولكن أشفقن من العقوبة ، وعقلن ما جهل من أضعف منهن وهو الانسان ،
 انه كان ظلوماً جهولاً » .



﴿ بِحَبِّ قَهْقَرِي ﴾

يستدل بقوله تعالى: « وما جعل ادعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » الاحزاب: ٤ و ٥) على حرمة التبني، و حرمة دعوة الابن المتبني ابناً للاب المتبني له . و يستدل بقوله جل و علا: « فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم في الدين »: ٥) على إباحة اطلاق اسم الاخوة، و حظر اطلاق اسم الابوة من غير جهت النسب . قال رسول الله ﷺ: « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم انه غير أبيه فالجنة عليه حرام » قال الله تعالى: وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم »: ٥)

و يستدل بقوله تعالى: « واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين » الاحزاب: ٦) على ثبوت الارث بين ذوى القرابات، فلا توارث بين الأجانب . وفيه دلالة على ان الميراث بالقرابة، فلا توارث الآلات بالولادة و الرحم، فمن كان أقرب في قرباه فهو أحق بالميراث من الأبعد .
 في وسائل الشيعة: عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » ان بعضهم أولى بالميراث من بعض لان أقربهم إليه رحماً أولى به ثم قال أبو جعفر عليه السلام: أيهم أولى بالميت وأقربهم إليه؟ أمه؟ أو أخوه؟ أليس الام أقرب إلى الميت من إخوته و أخواته .
 و في تفسير العياشي: باسناده عن ابن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

اختلف على بن أبي طالب عليه السلام و عثمان في الرجل يموت وليس له عصة يرثونه ،
 و له ذوق رابة لا يرثونه ليس لهم سهم مفروض ، فقال علي عليه السلام : ميراثه لذوي
 قرابته لان الله تعالى يقول : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله »
 و قال عثمان : اجعل ماله في بيت مال المسلمين .

و في الكافي : باسناده عن زرارة قال : سمعت ابا عبدالله عليه السلام يقول : « و
 لكل جعلنا موما لي مما ترك الوالدان و الاقربون » قال : انما عنى بذلك اولوا
 الارحام في الموارث ، ولم يعن اولياء النعمة ، فأولاهم بالميت أقر بهم إليه من
 الرحم التي يجره إليها .

و فيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : الخال و الخالة يرثان
 اذا لم يكن معهما أحد ان الله تبارك و تعالى يقول : « و اولوا الارحام بعضهم أولى
 ببعض في كتاب الله » .

و فيه : باسناده عن الحسين بن الحكم عن أبي جعفر الثاني عليه السلام في رجل
 مات و ترك خالتيه و مواليه قال : « و اولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب
 الله » المال بين الخاليتين .

و يستدل بقوله تعالى : « إلا أن تفعلوا إلى أولياءكم معروفاً » الاحزاب :
 (٦) على جواز الوصية بين غير ذوي القربان من الاصدقاء و الموالى المؤمنين -
 للاضافة إلى ضمير المؤمنين « كم » - لان المعروف هو الوصية ، و عدى الفعل
 : « إلى » لتضمنه معنى الاسداء .

في فروع الكافي : باسناده عن حنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قلت له :
 أى شيء للموالى ؟ فقال : ليس لهم من الميراث الا ما قال الله تعالى ذكره :
 « إلا أن تفعلوا إلى أولياءكم معروفاً » .

و قال بعض الفقهاء : ان في الآية دلالة على انه لا وصية لو ارث . و قال
 بعض الاخرين : و هذا ليس بشيء لكثير من الروايات الواردة فى الجواز منها

ما في فروع الكافي : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلته عن الوصية للوارث فقال : تجوز قال : ثم تلا هذه الآية : « ان ترك خيراً الوصية للوالدين و الاقربين » .

و في زبدة البيان : قال : ففيها - الآية - دلالة على كون الوصية أولى من الارث و تقديمها على الارث ، و ليس فيها دلالة على عدم الوصية للوارث و هو ظاهر .

ثم قال : و يحتمل أن يكون : « الا أن تفعلوا » يشمل المنجزات أيضاً ، فيدل على كونها مقدمة على الارث و كونها من الاصل ، و خرجت الوصية بالاجماع و الخبر و صارت من الثلث ، و بقي المنجزات فتأمل . انتهى كلامه .

و قد اختلفت كلمات الفقهاء في جواز الوصية للقرابة الكافرة : فمنهم من أجاز مطلقاً و منهم من نهى مطلقاً لقوله تعالى : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء » و منهم من أجاز للوالدين و الولد فقط .

و منهم من قال : معنى قوله تعالى : « الا أن تفعلوا إلى اولياءكم معروفاً » : إلا أن يكون لك ذوقرابة ليس على دينك ، فتوصى له بشيء هو و عليك في النسب و ليس عليك في الدين .

أقول : تجوز وصية المسلم للكافر مطلقاً من أهل الكتاب للروايات الصحيحة منها :

في الفقيه : باسناده عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا يرث الكافر المسلم و للمسلم أن يرث الكافر إلا أن يكون المسلم قد أوصى للكافر بشيء .

و في وسائل الشيعة : بالاسناد عن محمد بن مسلم قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل أوصى بماله في سبيل الله قال : أعطه لمن أوصى له ، و إن كان يهودياً أو نصرانياً ، ان الله يقول : « فمن بدل له بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه » .

فتصح الوصية للذمي والمرتد الملى اذالم يكن المال مما لا يملكه الكافر كالصحف و العبد المسلم و أما صحتها للحربي و المرتد عن فطرة فلا تخلو عن إشكال .

و استدلل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » (الاحزاب : ٢١) على وجوب أفعال النبي ﷺ ولزوم التأسي به ﷺ فيها . وذلك لان التأسي به ﷺ هو الاقتداء به قولاً و فعلاً ، و قوله تعالى : « لمن كان يرجوا الله و اليوم الآخر » بعد ذلك يدل على أن التأسي به واجب حيث جعله شرطاً للإيمان كقوله تعالى : « و اتقوا الله إن كنتم مؤمنين » و نحوه من الألفاظ المقررة من الايمان ، فيدل على الوجوب .

وقد خالفه بعضهم فقال : ان قوله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة » يقتضى ظاهره الندب دون الايجاب لقوله تعالى : « لكم » كقول القائل : لك أن تصلى ، و لك أن تصوم . و هذا لا يدل على وجوب الصلاة و الصوم . بل يدل ظاهره على أن لك الفعل و الترك . وانما كان يدل على الايجاب لو قال : عليكم التأسي بالنبي ﷺ . فدلالة الآية على الندب أظهر منها على الايجاب . بل لا دلالة فيها على الايجاب حتى لو وردت بصيغة الامر لما دلت على الوجوب فى أفعاله ﷺ لان التأسي به ﷺ هو أن تفعل مثل ما فعل ، و متى خالفناه فى اعتقاد الفعل أو فى معناه لم يكن ذلك تأسيّاً به ألا ترى انه اذا فعله على الندب و فعلناه على الوجوب كنا غير متأسين به ، و اذا فعل ﷺ فعلاً لم يجز لنا أن نفعله على اعتقاد الوجوب فيه حتى نعلم أنه فعله على ذلك ، فاذا علمنا انه فعله على الوجوب لزمننا فعله على ذلك الوجه لامن جهة هذه الآية إذ ليس فيها دلالة على الوجوب لكن من جهة ما أمرنا الله تعالى باتباعه فى غير هذه الآية .

و منهم : من قال : تجب الاسوة اذا كانت فى امور الدين ، و تستحب اذا كانت فى امور الدنيا .

أقول: ان في لام التوطئة « لقد » دلالة على لزوم التأسي به وَاللَّهُ لَمُضَاهٍ مضافاً إلى ان سياق السورة بصدد التشريع نفيًا و اثباتاً ، و خاصة قصة ابطال التبنى ، و ما يترتب عليه من الاحكام ... فتأمل جيداً .

و قال بعض الفقهاء في قوله تعالى : « فمنهم من قضى نحبه » الاحزاب: (٢٣) : لما كان النحب قد يجوز أن يكون المراد به العهد و النذر ، و قد مدحهم الله تعالى على الوفاء به بعينه دل ذلك على أن من نذر قرابة فعلية الوفاء به بعينه دون كفارة اليمين .

و استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « يا أيها النبي قل لازواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا ... » الاحزاب : ٢٨) على ايجاب خيار النساء على البقاء و الفراق لمن يعجز عن النفقة لان الله تعالى أمر نبيه وَاللَّهُ لَمُضَاهٍ بتخير نساءه حيث اختار الفقر و الآخرة .

أقول: و فيه تأمل لان الله تعالى علّق اختيار النبي وَاللَّهُ لَمُضَاهٍ لفراقهن بارادتهن الحياة الدنيا و زينتها ، و من المعلوم ان من أراد من نساءنا الحياة الدنيا و زينتها لم يوجب ذلك تفرقاً بينها و بين زوجها ، فلما كان السبب الذي من أجله أوجب الله تعالى التخيير المذكور في الآية غير الموجب للتخيير في نساء غيره ، فلا دلالة فيه على التفريق بين إمراة العاجز عن النفقة ، و بينه مع أن اختار النبي وَاللَّهُ لَمُضَاهٍ للآخرة دون الدنيا و ايثاره للمفقر دون الغنى لم يوجب أن يكون عاجزاً عن نفقة نساءه لان الفقير قد يقدر على نفقة نساءه مع كونه فقيراً ، و لم يدع أحد من الناس ، و لا روى ان النبي وَاللَّهُ لَمُضَاهٍ كان عاجزاً عن نفقة نساءه بل كان يدخر لנסاءه قوت سنة .

و يستدل بقوله تعالى : « فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض » الاحزاب : ٣٢) على نهى المرأة عن الأذان ، اذ نهيت عن ترفيع صوتها بحيث يسمعها الرجال ، فيوجب الطمع فيهن . و يؤيده قوله تعالى : « ولا يضرن بأرجلهن

ليعلم ما يخفين من زينتهن « النور : ٣١) فاذا كانت المرأة منهية عن اسماع صوت خلخالها ، فكلامها أولى بالتهى عنه .

و يستدل بقوله تعالى : « و قرن في بيوتكن . . . » الاحزاب : ٣٣) على ان النساء مأمورات بلزوم البيوت ، منهيات عن الخروج الا لضرورة .

و يستدل بقوله تعالى : « و ما كان لمؤمن و لامؤمنة . . . الاية » الاحزاب : ٣٦) على ان صيغة « افعل » للوجوب في أصل وضعها لان الله تعالى نفى خيرة المكلف عند سماع أمره وأمر رسوله ﷺ ثم أطلق على من بقيت له خيرة عند صدور الامر إسم المعصية ثم علق على المعصية بذلك الضلال ، فلزم حمل الامر على الوجوب ، فدلالة الاية على وجوب أوامر الله تعالى و رسوله ﷺ من وجهين : أحدهما - أنها تنفى الخيرة للمكلفين في ترك أوامر الله جل و علا و رسوله ﷺ ولو لم يكن على الوجوب لكانوا مخيرين بين الترك و الفعل . ثانيهما - ان تارك الامر عاص لله تعالى و لرسوله ﷺ وضالاً ضاللاً مبيناً .

و يستفاد من قصة التبنى و زيد و زينب امور : أحدها - ان قوله تعالى : « واذ تقول للذى أنعم الله عليه و أنعمت عليك » الاحزاب : ٣٧) يدل على مشروعية تملك الانسان و عتقه بل رجحانه و كون المعتق منعماً . ثانيها - ان البنوة من جهة التبنى لا تمنع جواز النكاح . ثالثها - ان مناط تحريم زواج حليمة الابن هو سببية الوجود ، ولو بسائط ، و ان رسول الله ﷺ ما كان أباً أحد من الرجال الموجودين نسباً بانه ما كان سبياً في وجودهم كسببية آباءهم في وجودهم . رابعها - ان التساوى في النسب غير شرط في النكاح فان زينب كانت أشرف من زيد ، ولهذا زوج رسول الله ﷺ ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ابن عمه بالمقداد ابن عمرو وهو عامي النسب . خامسها - ان الامة مساوية للنبي ﷺ في الاحكام إلا ما خصه الله تعالى به لانه أخبر انه أحل ذلك للنبي ﷺ ليكون المؤمنون مساوين له ﷺ فيها .

سادسها - الابانة عن علة الحكم في اباحة ذلك للنبي ﷺ ، وان ذلك قد اقتضى اباحته للمؤمنين من غير قياس في الاحكام . . . سابعها - لا تجوز الخطبة في العدة لانه لما انقضت عدتها أمر زيداً بخطبتها وبدل عليه قوله تعالى : « ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله » البقرة : (٢٣٥) . ثامنها - ان في قوله تعالى : « زوجنا كلها لكي لا يكون على المؤمنين حرج . . . » دلالة على أن فعله ﷺ يدل على الجواز، وان نفي الحرج عنه يستلزم نفي الحرج عن امته . تاسعها - ان النكاح يقع بلفظ التزويج ، ووجوب كونه بصيغة الماضي . و غيرها من الاحكام التي تستفاد من القصة أغمضنا عن ذكرها لطول البحث فتأمل و إغتنم جداً .

في تفسير روح المعاني: في قوله تعالى : «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً الا الله» الاحزاب : (٣٩) قال الآلوسى : استدل بالاية على عدم جواز التقية على الانبياء ﷺ مطلقاً ، وخص ذلك بعض الشيعة في تبليغ الرسالة ، وجعلوا ما وقع منه ﷺ في هذه القصة المشار إليه بقوله تعالى : «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه» بناء على ان الخشية فيه بمعنى الخوف لاعلى ان المراد الاستحياء من قول الناس تزوج زوجة ابنه ، ولا فرق عندهم بين خوف المقالة القبيحة وإساءة الظن وبين خوف المضارفي أن كلاً يبيح التقية فيما لا يتعلق بالتبليغ - إلى ان قال - ان الشيعة أفرطوا حيث جوزوا بلأوجبوا التقية في إظهار الكفر لأدنى مخافة أو طمع .

أقول: لو كان مراده بالشيعة الشيعة الامامية الاثنى عشرية لفرط في الفرية والكذب عليهم ، وهم منه ومن فريته بريئون .

وفي المجمع : قال الطبرسي رضوان الله تعالى عليه في الآية : وفي هذا دلالة على ان الانبياء لايجوز عليهم التقية في تبليغ الرسالة .

أقول: ليس في هذا الكلام ما افتري به الآلوسى على الشيعة فتأمل جيداً.

وفي قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات . . الآية»
 (الاحزاب : ٤٩) بيان أحكام :

منها : ان النكاح لم يجيء في القرآن الكريم إلا بمعنى العقد و هو دليل
 على كونه حقيقة فيه شرعاً ولانه لو استعمل في الوطىء لكان تصريحاً بكونه
 حقيقة فيه لغة لاشرعاً لان من دأب القرآن التعبير عنه بالملاسة والمماساة
 والمقاربة والتغشى والياتيان والدخول والوطىء والكل كناية .
 ومنها : يستدل بقوله تعالى : «إذا نكحتم المؤمنات» على عدم جواز
 نكاح الكافرات .

ومنها : في قوله تعالى : «ثم طلقتموهن» دلالة على ان الطلاق لا يكون
 إلا بعد نكاح ، وان من طلق المرأة قبل نكاحها ، وإن عيّنهما ، فان ذلك لا يلزمه .
 وقال رسول الله ﷺ : «لا طلاق قبل نكاح» فلا يقع الطلاق حتى يحصل النكاح .
 وعن حبيب بن أبي ثابت : سئل على بن الحسين عليه السلام عن رجل قال لامرأة : إن
 تزوجتك فأنت طالق؟ فقال عليه السلام : ليس بشيء . ذكر الله عز وجل النكاح قبل الطلاق .
أقول : وقد أجاز مالك وجميع مرده ، وكثير من علماء العامة الطلاق قبل
 النكاح . وهذا اجتهاد إزاء الكتاب والسنة وهو مردود عليهم .

وفي الجامع لأحكام القرآن للقصرطبي : وقالت طائفة من أهل العلم : ان
 طلاق المعينة الشخص أو القبيلة أو البلد لازم قبل النكاح منهم مالك وجميع
 أصحابه وجمع عظيم من علماء الامة .

ومنها : يستدل بقوله تعالى : «أن تمسوهن» على جواز الدخول في القبل
 والذب على ان المراد بالمس الدخول مطلقاً قبلما كان أودبراً . فالمعنى : اذا طلقتم
 الزوجات قبل الدخول مطلقاً ليس لكم عليهن عدة أى يجوز لهن أن يتزوجن
 في الحال من غير أن يصرن ساعة اذلاعدة لكم عليهن تعتدونها وتستوفون عددها .
 ومنها : ان في قوله تعالى : «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» دلالة على

انه لاعدة مع عدم الدخول سواء تحقق الخلوة أم لا ، فليس للخلوة حكم الدخول في المهر والعدة فان المس هو الدخول والوطىء ، ولاشك ان مع الخلوة التي ما يتحقق معها الوطىء يصدق عليه قبل المس . خلافاً لابي حنيفة .

وفي الجملة دلالة أيضاً على ان العدة حق للزوج لكون الرجوع للزوج فيها لا بعدها والزوجة ، وان كان لها حق النفقة والاسكان لكن حقه أقوى لان المنع من التزويج بغيره لأجله لالهها .

ومنها : ان في قوله تعالى : « فمتعوهن » دلالة على ان لهن متعة عليكم ، فيجب ان تمتعوهن بشيء ، وهذا بناء على ان الامر للوجوب ، والآية تحمل على الندب اذ لامتعة لغير المفروضة عند الاكثر ، والآية تصف المهر المسمى .

ومنها : في قوله تعالى : « سرحوهن سراحاً جميلاً » دلالة على وجوب التخلية من غير اضرار ولا منع واجب من نفقة أو كسوة و متعة . فان المراد بالسراح : الاخراج من المنزل إجمالاً لعدم وجوب العدة هنا فلا يجب الاسكان ، خلافاً لابي حنيفة إذ قال : التسريح كناية عن الطلاق .

واستدل أبو الحسن الكرخي بقوله تعالى : « اللاتى آتيت اجورهن » (الاحزاب : ٥٠) على جواز وقوع النكاح بلفظ الاجارة . وتبعه بعض العامة . أقول : وهذا ليس بشيء لان الاجر هنا مستعار للمهر بالاجماع مع أن الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد ، فهما متنافيان .

ويستدل بقوله تعالى : « وامرأة مؤمنة » على ان الكافرة الباذلة لا تحل للنبي ﷺ . استدل بعض العامة وبقوله تعالى : « إن وهبت نفسها للنبي » على جواز وقوع النكاح بلفظ الهبة لغير النبي ﷺ . وقال أبو حنيفة : يجوز عقد النكاح بلفظ الهبة .

أقول : وهذا ليس بشيء أيضاً لقوله تعالى : « خالصة لك » فذلك يختص برسول الله ﷺ فلا يصح النكاح بلفظ الهبة . وقال بعض المحققين من الفقهاء :

ان المرأة عرضت نفسها للنكاح ، فليس فيه دليل على أن ينكح الرسول ﷺ
بغير لفظ النكاح والزواج وفيه دليل على تأثير اللفظ في النكاح .

و استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : «ولو أعجبك حسنهن» (الاحزاب: ٥٢)
على جواز النظر في المرأة الأجنبية عند إرادة النكاح قبل العقد ، اذ لا يعجب
حسن المرأة الا اذا نظر إليها .

و يستدل بقوله تعالى : «فاذا طعمتم فانتشروا» (الاحزاب : ٥٣) على أن
الضيف يأكل على ملك المضيف لاعلى ملك نفسه لان الله تعالى لم يجعل للضيف
أكثر من الاكل ، ولأضاف إليه سوى الاكل ، فيبقى الطعام الباقي على أصله .

واستدل الفقهاء بقوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه» (الاحزاب:
٥٦) على وجوب الصلوات على النبي الكريم ﷺ في الصلاة بعد التشهد لان
ظاهر الامر يقتضي الوجوب خلافاً لأبي حنيفة ومالك فانهما لم يوجباها ولم يجعلها
شرطاً في الصلاة . وقد وردت روايات كثيرة تدل على وجوب الصلوات على النبي
ﷺ في الصلاة .

منها : ما في وسائل الشيعة بالاسناد عن أبي بصير عن الامام جعفر بن محمد
الصادق عليه السلام قال : «من صلى ولم يصل على النبي وتر كه عمداً فلا صلاة له» و
قد أجمع علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية: ان الصلاة على النبي ﷺ واجب
في التشهدين معاً ، وأجمعوا أيضاً على انه يجب الصلوات على آل محمد ﷺ
في التشهدين ، وقد وردت فيه روايات كثيرة منها ما في المستدرک عن أبي مسعود
الانصاري قال : قال رسول الله ﷺ : «من صلى ولم يصل فيها علي و علي
أهل بيتي لم تقبل منه» .

وأما في غير الصلاة فتجب كلما ذكر النبي ﷺ لدلالة ذلك على التنويه
بذكر شأنه ، والشكر لاحسانه المأمور بهما ولانه لولاه لكان كذكر بعضنا بعضاً و
هو منهى عنه في قوله تعالى : «ولا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً»

(النور: ٦٣)

و في وسائل الشيعة : قال رسول الله ﷺ : «من ذكرته عنده فلم يصل عليّ قد دخل النار فأبعده الله» والوعيد إمارة الوجوب . وأما عدم ذكره فيستحب استحباباً مؤكداً لمتظافر الروايات علي أن الصلوات علي النبي ﷺ وآله تهدم الذنوب وتوجب إجابة الدعاء المقرون بها . . .

و استدلوا بقوله تعالى : «وسلموا تسليماً» علي وجوب السلام علي النبي ﷺ فيجب إضافة «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته» علي التشهد الاخير بما تقريره : السلام علي النبي ﷺ واجب X ولا شيء منه في غير التشهد الاخير بواجب = ينسحق انه فيه واجب . أما الصغرى فلقوله : «وسلموا» الدال علي الوجوب وأما الكبرى فللاجماع .

و يستدل بقوله تعالى : «والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً» الاحزاب : ٥٨) علي تحريم ايذاء المؤمنين بغير جنابة تقتضي ذلك ، واستحقاق يبيح ، وعلي جواز الايذاء علي من يستحقها بالجنابة والمعصية .

و يستدل بقوله تعالى : «يدنين عليهن من جلابيبهن» الاحزاب : ٥٩) علي وجوب الحجاب وستر جميع البدن للنساء عن الأجانب . . .

و يستدل بقوله تعالى : «لئن لم ينته المنافقون . . . الآية» الاحزاب : ٦٠-٦٢) علي ان الارجاف بالمؤمنين والاشاعة بما يفهمهم ويؤذيهم يستحق به القتل والتعزير والنفي اذا أصر عليه ولم ينته عنه .

* بحث مذهبي *

و قد اختلفت كلمات المتكلمين و غيرهم في إحباط الاعمال اختلافاً كثيراً أوردناها في محله . و ان الاحباط عبارة عن إبطال الحسنه بعدم ترتب ما يتوقع منها عليها بسبب السيئه اللاحقة ، و يقابله التكفير ، وهو إسقاط السيئه بعدم جريان مقتضاها عليها بسبب الحسنه اللاحقة ، فيسقط ثواب الايمان و آثار الطاعة بالكفر والمعصية اللاحقان اللذان يموت عليهما كسقوط عذاب الكفر والمعصية بالايمان والطاعة اللاحقان اللذان يموت عليهما .

و قد ذهب المحققون من الشيعة الامامية الاثني عشرية قديماً و حديثاً إلى صحة الاحباط لكثير من الايات الكريمة ، و الروايات الصحيحة الواردة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام على ان كثيراً من المعاصي يوجب سقوط كثير من الطاعات ، و ان كثيراً من الطاعات كفارة لكثير من السيئات . . .

ومن الايات قوله تعالى : « اولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم » الاحزاب : (١٩) و فيه رد على المنكرين .

في المجمع : قال : و في هذا دلالة على صحة مذهبنا في الاحباط لان المناقذين ليس لهم ثواب فيحبط فليس الا ان جهادهم الذي لم يقارنه ايمان لم يستحقوا عليه ثواباً .

و ذهبت الأشاعرة المجبرة - على رأى أبي الحسن الاشعري - إلى سلب اختيار العباد ، و إلى ان إرادة الله تعالى مسيطرة على عالم الوجود ، فلا يقع فعل ،

ولا يتحقق عمل من الاعمال الاً بإرادته تعالى، فلأمدخل لاختيار العباد وإرادتهم بل لا اختيار لهم ولا إرادة سوى إرادة الله جل وعلا متشبهين بآيات تبرىء من عقائدهم السخيفة... منها قوله سبحانه: «قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر كتم تظهيراً» (الاحزاب: ١٧ و ٣٣).

أقول: وكلامهم مردود بقوله تعالى في نفس السورة: «إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها - وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة - إن أراد النبي أن يستنكحها» (الاحزاب: ٢٨ و ٢٩ و ٥٠).

وقد ثبت بالكتاب والسنة: ان الله جل وعلا إرادتين: إرادة تكوينية وهي التي تتعلق بتكوين شيء كقوله تعالى: «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» (يس: ٨٢).

وهذه الإرادة لا تتخلف عن تحقق المراد حيث ان نفس إرادته تعالى لتكوين شيء كافية في تحقيقه وجوداً. وإرادة تشريعية، وهي التي تتعلق بأفعال العباد كقوله تعالى: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» (البقرة: ١٨٥) وهذه الإرادة عبادة عن أمر الله تعالى ونهيه بعثاً وزجراً للعباد فيما يعود عليهم من مصالح ومفاسد كإفناء التكاليف، فيعصى العباد ويخالفون عن أمره تعالى ولا محذور في ذلك بعد أن كانت دار التكاليف دار اختيار حيث لا موقع للتكليف لولا اختيار المكلفين في الطاعة والمعصية وان مصلحة التكليف هي التي تستدعي اختيار العباد في الامتثال والترك تمهيداً لاختبارهم في الحياة الدنيا، ولا اختبار مع الالغاء، وهذه الإرادة فكثيراً ما تتخلف عن المراد.

والتفكيك بين الإرادتين واضح في الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين منها ما روى عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «ان لله إرادتين و مشيئتين: إرادة حتم وإرادة عزم».

فلايتان : ٣٣ و ١٧) لا ترتبطان بمسئلة الجبر على ما توهمه الأشاعرة فان المراد بالارادة فيهما هي ارادة تكوينية .

في تفسير التبيين قال الشيخ قدس سره - ملخصاً منا - : استدل أصحابنا بهذه الآية : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » على ان الائمة عليهم السلام معصومون عن الغلط والمعصية والذنب ، و ان اجماعهم حجة ، و انهم لا يقولون الا ما اراد الله تعالى أن يقولوا به لانه لا يذهب الرجس عنهم ، و فعلهم الله تعالى بهم حيث تمتنع عنهم القبائح لاختصاصهم بذلك فلا يشر كهم أحد غيرهم في ذلك لمكان « انما » تجري مجرى ليس ، فمخلص الكلام : ليس يريد الله الا إذهاب الرجس على هذا الحد عن أهل البيت ، وقد حصل ذهاب الرجس عنهم ، فهذا دليل على عصمتهم .

و قد استدلت المجسمة بقوله سبحانه : « تحيتهم يوم يلقونه سلام » الاحزاب : (٤٤) على ان الله تعالى جسم متركب من أعضاء و جوارح ، و له جهت و مكان و حر كة يمكن رؤيته بالابصار و مسه بالايدي بمصافحة و معاينة ، و هو سبحانه متربع على كرسي عرشه فوق السموات و سوف ينزل إلى الملأ يوم القيامة ليراه المؤمنون بعيونهم ، و يكشف في ساقه و يضع رجله في جهنم فتقول : يا رب قطع . و مالت إليهم الأشاعرة تبعه الاوهام ، و قلدتهم الوهابية مصطنعة الانجليز فقال شاعرهم :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| و لربنا عينان ناظرتان | و لله وجه لا يحد بصورة |
| و يمينه حلت عن الايمان | و له يدان كما يقول إلهنا |
| فهما على الثقلان منفتقان | كلتا يديه يمين و صفها |
| والارض و هو يعمه القدمان | كرسيه وسع السموات العلى |
| والكيف ممتنع على الرحمان | والله يضحك لا كضحك عبده |
| لسماء الدنيا بلا كتمان | والله ينزل كل آخر ليلة |
| فأنا القريب اجيب من ناداني . | فيقول: هل من سائل فاجيبه ؟ |

أقول: وقد أخطأ أصحاب التجسيم ومردتهم في فهم القرآن الكريم الذي لا يمسّه إلا المطهرون وليس معنى الآية الكريمة: «وإن القاه المؤمنون رأوه . على ما توهموه .» ولا يعنى اللقاء بالنظر إليه سبحانه وجهاً لوجه . وإنما المراد من اللقاء هويوم الرجوع والانتهاء إلى حكم الله تعالى إذ لا حكم يومئذ إلا حكمه . فكل مؤمن وكافر يلاقى جزاء عمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر .

و قد استدل بعض المتكلمين بقوله تعالى: « وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم » (الاحزاب: ٣٦) على ان النبي ﷺ كان مشرعاً لان القضاء بمعنى الحكم التشريعى من ايجاب أو إلزام تكليفى و نحو ذلك . فالمؤمن تجاه أحكام الشريعة التى جاءت بالوحى أو من جانب الرسول ﷺ مستسلم لا رأى له سوى الطاعة والامتثال .

وقد أجاب عنه بعض المفسرين: بان فى الآية دلالة على ان الرسول ﷺ كان مشرعاً اذا كان أمره فى عرض أمر الله تعالى لا فى طول أمره ، وبعبارة اخرى كان النبي ﷺ مشرعاً ما لم يكن أمره بأمر الله تعالى .

و يستدل بقوله تعالى: « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم فى الدنيا والاخرة و أعد لهم عذاباً مهيناً والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وائماً مبيناً » (الاحزاب: ٥٧-٥٨) على عصمة النبي الكريم ﷺ إذ أطلق الله تعالى الايذاء فى ناحيته ورسوله ﷺ وقيده فى جانب المؤمنين والمؤمنات بالاكتساب وعدمه ، فان النبي ﷺ لن يفعل ما نهى عنه حتى يستحق الأذى كما يجوز أذى المؤمنين اذا فعلوا ما يستحقون به الأذى على الوجه المحدود فى الشرع .

فلا يتصور أن يكون من رسول الله ﷺ كسب يستحق عليه أذى . . . و معاذ الله جل وعلا ! فقد حرسه الله تعالى من كل سوء ، وحماه من المعاتر والمزلق كلها . . . و أكثر من هذا فقد جعله الله تعالى فى ضمانه ، إذ ضمنه إلى جنابه و جعل أذاه أذى له إطلاقاً .

﴿ التبنّي في الجاهلية وقصة زيد بن حارثة ﴾

قال الله تعالى : « وما جعل أدياءكم أبناءكم - ادعوهم لأبائهم »
 (الاحزاب : ٤ و ٣)

ان التبنّي هو اتخاذ رجل ما طفلاً أو صبياً غريباً إبناً له ، وكان التبنّي من تقاليد العرب في الجاهلية ، و دائراً بين الامم الراقية يومئذ كالروم و فارس ، و كان يجرى بشيء ان المراسم حيث يعلن المتبنّي في ملأ من الناس تبنّي الطفل أو الصبي ، فيصبح في مقام ابنه من صلبه في كل الواجبات و الحقوق ، وكانوا يرتبون على المتبنّي أحكام الولد الصلبي من التوارث و حرمة الازدواج وغيرهما فيرث كل واحد منهما الآخر و يحرم على كل منهما ما يحرم بين الاب و الابن من أنكحة . . . فلا يصح للمتبنّي أن يتزوج إحدى بنات متبنّيه و لأخواته و لأخالاته و لاعماته و لا يصح للمتبنّي أن يتزوج أرملة متبنّيه و لا مطلقته .

و قد كان للنبي الكريم ﷺ ابن على هذا الطريق و هو زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبي ، و كان مملوكاً لزوجته ام المؤمنين خديجة سلام الله عليها و إن زيدا هو الذي أسره بنو القين في الجاهلية و شرده في سوق عكاظ أو سوق حباشة من حكيم بن حزام ، و قد اشتراه هو لعمته خديجة بنت خويلد ، فاستوهبه منها و أعتقه رسول الله ﷺ ، و جاء أبوه فخيّره بين البقاء عنده أو الالتحاق بأبيه فاختار البقاء فأعلن أبوه براءته منه فأعلن النبي ﷺ تبنّيه له ، و كان ذلك قبل نبوته و صار يدعى زيد بن محمد ، و ظل الامر على ذلك إلى أن نزلت

هذه الايات فصار يدعى زيد بن حارثة ، و ألقى الاسلام التبني وأحكامه كله .
 وفي طبقات ابن سعد : و لقد ظل النبي ﷺ يحبه - زيد بن حارثة -
 ويرعاه وقد عهد إليه بقيادة سرايا عديدة أكثر من أي صحابي آخر ، و لما استشهد
 في مؤتة كان ابنه اسامة محل رعاية النبي ﷺ و محبته وعطفه .

وفي الكشاف : ان زيدا هو ابن حارثة من كلب سبي صغيراً ، وكانت العرب
 في الجاهلية يتغاورون و يتسابون ، فاشترى حكيم بن حزام لعمته خديجة ، فلما
 تزوجها رسول الله ﷺ و هبته له و طلبه أبوه و عمه فخير فاختار رسول الله
 ﷺ فاعتقه و كانوا يقولون : زيد بن محمد ، و كان رسول الله ﷺ أكبر منه
 بعشر سنين ، فأنزل الله عزوجل فيه : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » .

و في تفسير ابن كثير الدمشقي : ان زيدا قُتِل في يوم مؤتة سنة ثمان .
 وفي المجمع : في قوله تعالى : « و ما جعل أديانكم أبناءكم » قال :
 الادعاء جمع الدعى ، و هو الذى يتبناه الانسان ، بين سبحانه انه ليس ابناً
 على الحقيقة ، و نزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى من بنى عبدود
 تبناه رسول الله ﷺ قبل الوحي و كان قد وقع عليه السبي فاشترى رسول الله
 ﷺ بسوق عكاظ ، لما نبيء رسول الله ﷺ دعاه إلى الاسلام فأسلم ، فقدم
 أبوه حارثة مكة ، و أتى أبطال و قال : سل ابن أخيك فاما أن يبيعه و إما أن
 يعتقه ، فلما قال ذلك أبطال لرسول الله ﷺ قال : هو حر فليذهب حيث شاء ،
 فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ فقال حارثة : يا معشر قريش اشهدوا انه
 ليس ابني ، فقال رسول الله ﷺ :

اشهدوا ان زيدا ابني ، فكان يدعى زيد بن محمد ، فلما تزوج النبي
 ﷺ زينب بنت جحش ، و كانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون :
 تزوج محمد امرأة ابنه ، و هو ينهى الناس عنها ، فقال الله سبحانه : ما جعل
 الله من تدعوته ولداً و هو ثابت النسب من غيركم و لدالكم « ذلكم قولكم بأفواهكم »

أى ان قولكم الدعى ابن الرجل شىء تقولونه بألسنتكم لاحقيقة له عندالله تعالى
« والله يقول الحق » الذى يلزم اعتقاده « وهو يهدى السبيل » أى يرشد إلى طريق
الحق « ادعوهم لآبائهم » الذين ولدوهم و انسبوهم إليهم أو إلى من ولدوا على
فراشهم « هو أقسط عندالله » أى أعدل عندالله قولاً و حكماً .

فى السيرة النبوية لابن هشام قال ابن اسحق : ثم أسلم زيد بن حارثة بن
شرحبيل بن كعب بن عبدالعزى بن امرى القيس الكلبى ، مولى رسول الله ﷺ
وكان أول ذكر أسلم ، و صلى بعد على بن أبيطالب .

قال ابن هشام : زيد بن حارثة بن سراحيل بن كعب بن عبدالعزى ابن
امرى القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة ابن بكر
بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن كلب ابن وبرة ، و كان
حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق ، فيهم زيد بن حارثة و سيف ،
فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد ، و هى يومئذ عند رسول الله ﷺ فقال
لها : اختارى يا عمه أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك ، فاختارت زيدا فأخذته ،
فرآه رسول الله ﷺ عندها ، فاستوهبه منها فوهبته له ، فاعتقه رسول الله
ﷺ وتبناه و ذلك قبل أن يوحى إليه .

وكانت ام زيد سعدى بنت ثعلبة من بنى معن من طى فكانت قدخرجت بزيد
لتزيره أهلها ، فأصابته خيل من بنى القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة ، و هو
من أسواق العرب ، و زيد يومئذ ابن ثمانية أعوام . . . و كان أبوه حارثة قدجزع
عليه جزعاً شديداً و بكى عليه حين فقده فقال :

| | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| أحسى فيرجى أم أنسى دونه الأجل | بكيت على زيد و لم أدر ما فعل |
| أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل | فو الله ما أدرى و انسى لسائل |
| فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجبل | و ياليت شعرى هل لك الدهر أوبىة |
| و تعرض ذكره اذا غربها أفل | تذكرنيه الشمس عند طلوعها |

وإن هبت الأرواح يصبحن ذكره فيأطول ما حزني عليه و ما وجدل
 سا عمل نص العيس في الارض جاهداً و لأسام التطواف أو تسأم الأبد
 حياتي أو تأسى علي منيتي فكل امرىء فان و إن غره الأمل
 ثم قدم عليه و هو عند رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ : إن
 شئت فاقم عندي و إن شئت فانطلق مع أبيك ! فقال : بل اقيم عندك فلم يزل عند
 رسول الله ﷺ حتى بعثه الله فصدقه و أسلم ، و صلى معه ، فلما أنزل الله عز و
 جل : « ادعوهم لآبائهم » قال : أنا زيد بن حارثة .

قوله : « غالك » : أهلك و « بجعل » : حسب و « أفل » : غاب و « نص »
 العيس « النص » : أرفع السير .

و فيه : ان النبي ﷺ لما عين اسامة قائداً لجيش أراد أن يسيره إلى
 مؤتة لأخذ ثأر أبيه و جيشه قال الناس : أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين
 و الانصار و كان النبي و جمعاً ، فخرج فخطب في الناس فقال : « انفذوا بعث اسامة ،
 فلعمري لئن قلت في إمارته لقد قلت في إماره أبيه من قبله ، و انه لخليق بالامارة
 و إن كان أبوه لخليقاً بها » .

وما ورد في كتب السير : ان زيدا هو ابن حارثة بن شراحيل بن كعب بن
 عبدالعزى ، و امه سعدى بنت ثعلبة بن عامر بن أفلت من بنى معن من طيسى ،
 أصابه سبى في الجاهلية لان امه خرجت به تزور قومها بنى معن ، فأغارت عليهم
 خيل بنى القين ابن جسر ، فأخذوا زيدا ، فقدموا به سوق عكاظ ، و قيل : سوق
 حباشة ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فوهبته للنبي ﷺ
 بمكة قبل النبوة و هو ابن ثمان سنين . . .

* زيد بن حارثة و امارته *

في البحار : قال أمير المؤمنين عليه السلام : لقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جيشاً ذات يوم إلى قوم من أشداء الكفار فأبطأ عليهم (فأبطأ عليه خ) خبرهم وتعلق قلبه بهم ، و قال : ليت لنا من يتعرف أخبارهم و يأتينا بأخبارهم ، بينما هو قائل إذ جاءه البشير بأنهم قد ظفروا بأعدائهم و استولوا وصيرهم بين قتل و جريح و أسير و انتهبوا (و نهبوا خ) أموالهم و سبوا ذراريهم و عيالهم ، فلما قرب القوم من المدينة خرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه يتلقاهم فلما لقاهم ، ورئيسهم زيد بن حارثة و كان قد أمره عليهم ، فلما رأى زيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل عن ناقته و جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قبل رجله ثم قبل يده فأخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قبل رأسه ، ثم نزل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن رواحة ، فقبل رجله و يده و ضمته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه - ثم نزل قيس بن عاصم المنقري فقبل يده و رجله و ضمته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ثم نزل إليه سائر الجيش و وقفوا يصلون عليه و رد عليهم رسول الله خيراً .

ثم قال لهم : حدثوني خبركم و حالكم مع أعدائكم ، و كان معهم من اسراء القوم و ذراريهم (ذرياتهم خ) و عيالهم و أموالهم من الذهب و الفضة ، و صنوف الامتعة شىء عظيم ، فقالوا : يا رسول الله لو علمت كيف حالنا لعظم تعجبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لم أكن أعلم ذلك حتى عرفنيه الآن جبرئيل عليه السلام و ما كنت أعلم شيئاً من كتابه و دينه أيضاً حتى علمنيه ربي قال الله عز وجل :

« وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الكتاب (ولا الايمان ص) » إلى قوله « صراط مستقيم » ولكن حدّثوا بذلك إخوانكم هؤلاء المؤمنين لاصدقكم فقد أخبرني جبرئيل يصدقكم فقالوا (فقال خ) : يا رسول الله ﷺ انا لما قربنا من العدو بعثنا عيناً لنا لنعرف (ليعرف خ) أخبارهم وعددهم لنا فرجع إلينا يخبرنا انهم قدر ألف رجل وكننا ألفي رجل، وإذا القوم قد خرجوا إلى ظاهر بلدهم في ألف رجل، و تركوا في البلد ثلاثة آلاف يوهموننا (فتوهمنا خ) أنهم ألف وأخبرنا صاحبنا انهم يقولون في ما بينهم :

نحن ألف وهم ألفان، ولسنا نطبق مكافحتهم، وليس لنا إلا التحصن (التحصن خ) في البلد حتى تضيق صدورهم من منازلنا (من مقاتلتنا خ) فينصرفوا عنافتجر آنا بذلك عليهم، وزحفنا إليهم فدخلوا بلدهم وأغلقوا دوننا بابه، فقعدنا ننازلهم فلما جن علينا الليل وصرنا إلى نصفه فتحو باب بلدهم ونحن غارون نائمون ما كان فينا منتهبه إلا أربعة نفر: زيد بن حارثة في جانب من جوانب عسكرينا يصلي ويقرأ القرآن، وعبدالله بن رواحة في جانب آخر يصلي ويقرأ القرآن و قتادة بن النعمان في جانب آخر يصلي ويقرأ القرآن وقيس بن عاصم في جانب آخر يصلي ويقرأ القرآن .

فخرجوا في الليلة الظلماء الدامسة و رشقونا بنبالهم، وكان ذلك بلدهم، وهم بطرقه و مواضعه عالمون ونحن بها جاهلون، فقلنا فيما بيننا دهينا و اوتينا، هذا ليل مظلم لا يمكننا أن نتقى النبال لأننا لا نبصرها، فبينما نحن كذلك إذ رأينا ضوءاً خارجاً من في قيس بن عاصم المنقري كالنار المشتعلة وضوءاً خارجاً من في قتادة بن النعمان كضوء الزهرة والمشمري، وضوءاً خارجاً من في عبدالله بن رواحة كشعاع القمر في الليلة المظلمة، و نوراً ساطعاً من في زيد به الحارثة أضواء من الشمس الطالعة، و إذا تلك الانوار قد أضاعت معسكرينا حتى أنه أضوا

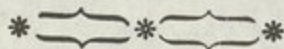
من نصف النهار ، و أعدائنا في ظلمة شديدة فابصروناهم و عموا عنا ، ففرقنا زيد عليهم حتى أحطنا بهم ، ونحن نبصرهم وهم لا يبصروننا ، فنحن بصراء وهم عميان . فوضعنا عليهم السيوف فصاروا بين قتيل و جريح و أسير ، و دخلنا بلدهم فاشتملنا على الذراري و العيال و الأثاث و الاموال ، وهذه عيالاتهم و ذراريهم ، و هذه أموالهم و مارأينا يا رسول الله أعجب من تلك الانوار من أفواه هؤلاء القوم التي عادت ظلمة على أعدائنا حتى مكثنا (مكننا خ) منهم ، فقال رسول الله ﷺ فقولوا : الحمد لله رب العالمين على ما فضلكم به من شهر شعبان ، هذه كانت ليلة غرة شعبان وقد انسلخ عنهم الشهر الحرام ، وهذه الانوار بأعمال إخوانكم هؤلاء في غرة شعبان ، و أسلفوا لها أنواراً في ليلتها قبل أن يقع منهم الاعمال ، قالوا : يا رسول الله و ما تلك الاعمال لنشاب عليها ؟ قال رسول الله ﷺ : أما قيس بن عاصم المنقري فإنه أمر بمعروف في يوم غرة شعبان ، و قد نهى عن منكر ، و دل على خير فلذلك قدّم له النور في بارحة يومه عند قراءته القرآن . و أما قتادة بن النعمان فإنه قضى ديناً كان عليه في يوم غرة شعبان ، فلذلك أسلفه الله النور في بارحة يومه ، و أما عبدالله بن رواحة فإنه كان برأ بوالديه ، فكثرت غنيمته في هذه الليلة ، فلما كان من غده قال له أبوه : إني و أمك لك محبان ، و ان إمرأتك فلانة تؤذينا و تعيننا ، و انا لأنأمن من إنقلاب (قضاء خ) من أن تصاب (نصاب خ) في بعض هذه المشاهد ، و لسنا نأمن أن تستشهد في بعضها ، فتدخلنا هذه في أموالك ، و يزداد علينا بغيتها و غيبتها ، فقال عبدالله : ما كنت أعلم بغيتها عليكم (عليكما خ) و كراهيتكما لها ، و لو كنت علمت ذلك لأبنتها (لطلقتها خ) من نفسي ، ولكني قد أبنتها الآن لتأمننا (لتكفيننا خ) ما تحذران ، فما كنت بالذي احب من تكرهان (ما تكرهان خ) فلذلك أسلفه الله النور الذي رأيتم .

و أما زيد بن حارثة الذي كان يخرج من فيه نوراً ضوءاً من الشمس الطالعة ، وهو سيّد

القوم و أفضلهم فلقد علم الله ما يكون منه ، فاختره و فضله على علمه بما يكون منه ، انه في اليوم الذي ولي هذه الليلة التي كان فيها ظفر المؤمنين بالشمس الطالعة من فيه جاءه رجل من منافقي عسكرهم (عسكره خ) يريد التضريب - أى الاغراء و ايجاد الخلاف - بينه و بين علي بن أبي طالب عليه السلام و إفساد ما بينهما ، فقال له : بنح بنح لك ، أصبحت لانظير لك في أهل بيت رسول الله ﷺ و أصحابه ، هذا بلاؤك و هذا الذى شاهدناه نورك ، فقال له زيد : يا عبدالله اتق الله و لا تفرط في المقال و لا ترفعنى فوق قدرى ، فانك بذلك مخالف (فانك لله بذلك مخالف خ) و به كافر ، و انى إن تلقيت مقاتلتك هذه بالقبول كذلك (لكنت كذلك خ) يا عبدالله ألا احدتلك بما كان في أوائل الاسلام و ما بعده حتى دخل رسول الله ﷺ المدينة و زوجته فاطمة عليها السلام ، و ولدت الحسن و الحسين عليهما السلام ؟ قال : بلى قال :

ان رسول الله ﷺ كان لى شديد المحبة حتى تبنائى لذلك ، فكنت ادعى زيد بن محمد إلى أن ولد لعلى الحسن و الحسين عليهما السلام ، فكرهت ذلك لأجلهما ، و قلت لمن كان يدعونى : احب أن تدعونى زيدا مولى رسول الله ﷺ فانسى اكره أن اضاهى الحسن و الحسين ، فلم يزل ذلك حتى صدق الله ظننى و انزل الله على محمد ﷺ : « و ما جعل الله لرجل من قلوبين فى جوفه » يعنى قلباً يحب محمداً و آله و يعظمهم ، و قلباً يعظم به غيرهم كتعظيمهم ، أو قلباً يحب به أعداءهم ، بل من أحب أعداءهم فهو يبغضهم و لا يحبهم ، ثم قال : « و ما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم و ما جعل أدياءكم أبناءكم - إلى قوله - و أولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » يعنى الحسن و الحسين عليهما السلام أولى بينوة رسول الله ﷺ فى كتاب الله و فرضه « من المؤمنين و المهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً » إحساناً و إكراماً لا يبلغ ذلك محل الاولاد « كان ذلك فى الكتاب مسطوراً » فتركوا ذلك و جعلوا يقولون :

زيد أخو رسول الله ﷺ فما زال الناس يقولون لى هذا و اكرهه حتى أعباد
رسول الله ﷺ المؤاخاة بينه و بين على بن أبى طالب عليه السلام ثم قال زيد :
يا عبدالله ان زيدا مولى على بن أبى طالب ، كما هو مولى رسول الله ﷺ
فلا تجعله نظيره ، ولا ترفعه فوق قدره ، فتكون كالتصارى لما رفعوا عيسى عليه السلام
فوق قدره ، فكفروا بالله العظيم ، قال رسول الله ﷺ : فلذلك فضل الله زيداً بما
رأيتم ، و شرفه بما شاهدتم ، و الذى بعثنى بالحق نبياً ، ان الذى أعدّه الله لزيد
فى الآخرة ليصغر فى جنبه ما شاهدتم فى الدنيا من نوره ، انه ليأتى يوم القيامة و
نوره يسير أمامه و خلفه و يمينه و يساره و فوقه و تحته من كل جانب مسيرة مائتى
ألف سنة .



﴿شبهات في زواج النبي ﷺ من زينب ودفعها﴾

وقد شغب المشاغبون على قصة زواج النبي الكريم ﷺ من زينب بنت جحش مطلقة مولاة ومتبناه زيد بن حارثة وبنوا حولها شبهات من أوهاهمم و ضلالاتهم ، وأساطير وأراجيف من واردات الكذب والكيد للاسلام ولنبي الاسلام ، حتى لقد صوروا النبي المعصوم ﷺ رجلاً إستبدت به الشهوة ، و غلب عليه حب النسوة حتى لقد كاد يتخلى عن رسالته التي أقامه الله جل وعلا عليها ويشغل نفسه بالجري وراء إشباع شهواته . . .

وقد دفعت تلك الشبهات والأراجيف بصراح الايات الكريمة في قوله جل وعلا: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم - ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» (الاحزاب : ٣٦-٤٠) ففي الايات صراحة في أن النبي المعصوم ﷺ كان ممتنعاً من ربه بهذا الزواج الذي لم يكن يدور في خاطره في أية لحظة من لحظات حياته ، وذلك ليقضى بهذا الزواج على تلك العادة المتمكنة في المجتمع العربي، والتي دخلت الاسلام مع المسلمين بهذا السلطان المتمكن الذي كان لها على النفوس... فاذا نظرنا إلى ما وراء آيات القرآن الكريم نجد أن زينب بنت جحش هذه لم تكن غريبة عن نبي الاسلام ﷺ ، بل كانت إبنة عمته ، وكانت تحت نظره من مولدها إلى أن خطبها النبي ﷺ لزيد بن حارثة مولاة ، فماذا كان يمنع النبي ﷺ من أن يتزوجها لو أنها وقعت من قلبه موقعاً ؟ ولو انه كان

للنبي ﷺ أبة رغبة فيها أكان يخطبها ويزوجها لمتبناه فتحرم عليه إلى الأبد، كما كان هو الحال في زوجات الابناء الأدياء قبل أن ينزل القرآن بما يقضى على التبني وأحكامه ! أذلك مما يستقيم أبداً مع عقل أو منطوق ؟

وفي الآيات الكريمة صراحة بأن زواج النبي الكريم ﷺ من زينب كان بأمر من الله تعالى لا بد للنبي ﷺ نفسه من الائتماره ، فلا بد له ﷺ أن يتزوج من زوجة من دعاه إبناً له ليبين للناس عملاً: انه ليس كل من يدعى بالابن إبناً حقيقة بحيث يترتب عليه أحكام الابوة والبنوة ، وليبطل ما كان لنظام التبني من الآثار في حياة الجماعة العربية وغيرهم ، ولم يكن إبطال تلك الآثار في حياة المجتمع ليمضي بالسهولة التي يمضي بها إبطال تقليد التبني ذاته ، إذ التقاليد الاجتماعية أعمق أثراً في النفوس ، ولا بد من سوابق عملية مضادة ، و لا بد أن تستقبل هذه السوابق أول أمرها بالاستنكار ، وأن تكون شديدة الوقوع على الكثيرين مضي ان رسول الله ﷺ زوج زيد بن حارثة الذي كان متبناه ، وكان يدعى زيد إبن محمد ثم دعى إلى أبيه من زينب بنت جحش إبنة عمه رسول الله ﷺ ليحطم بهذا الزواج فوارق الطبقات الموروثة ، و يحقق معنى قوله تعالى : «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» و يقرر هذه القيمة الإسلامية الجديدة بفعل عملي واقعي ، وأمر الله تعالى رسوله ﷺ بعد ذلك أن يحمل مؤنة إزالة آثار نظام التبني فيتزوج من مطلقة متبناه زيد ، ويواجه بهذا العمل المجتمع الذي لا يستطيع أحد أن يواجهه المجتمع به على الرغم من إبطال عادة التبني في ذاتها ، فألهم الله تعالى رسوله الخاتم ﷺ :

ان زيدا سيطلق زوجته زينب ، وانه هو سيتزوجها للحكمة التي قضى الله بها فاضطربت العلاقات بين زيد وزينب ، وعادت تنادي بان حياتهما بعد ذلك لن تستقيم ، فجاء زيد مرة يشكو إلى رسول الله ﷺ إضطراب حياته مع زينب ، و عدم استطاعته المضي معها ، والرسول ﷺ على شجاعته في مواجهة قومه في أمر العقيدة دون لجلجة ولا خشية يحس نقل التبعة فيما ألهمه الله تعالى من

أمر زينب ويتردد في مواجهة القوم بتحطيم ذلك التقليد العميق ، فيقول لزيد : «امسك عليك زوجك واتق الله» ويؤخر بهذا مواجهة الامر العظيم الذي يتردد في الخروج به على الناس كما قال تعالى : «وتخفى في نفسك ما الله مبديه و تخشى الناس والله أحق أن تخشاه»

وهذا الذي أخفاه النبي الكريم ﷺ في نفسه ، وهو يعلم ان الله جل و علا مبديه هو ما ألهمه الله أن سيفعله ، ولم يكن أمراً صريحاً من الله تعالى ، و إلا ما تردد فيه ولا أخره ولا حاول تأجيله ولجهر به في حينه مهما كانت العواقب التي يتوقعها من إعلانه ولكن رسول الله ﷺ كان إمام إلهام يجده في نفسه و يتوجس في الوقت ذاته من مواجهته ومواجهة الناس به حتى أذن الله تعالى بكونه ، فطلق زيد زوجه في النهاية ، وهو لا يفكر لاهو ولا زينب فيما سيكون بعد لان العرف السائد كان يعد زينب مطلقة ابن لمحمد ﷺ لاحتل له حتى بعد إبطال عادة التبني في ذاتها ولم يكن قد نزل بعد إحلال مطلقات الاديء . . . إنما كان حادث زواج النبي ﷺ بها فيما بعد هو الذي قره هذه القائمة بعد ما قبل هذا القرار بالدهشة والمفاجأة ، ولا إستنكار ، وفي هذا هدم لما تقوله الاعداء العمياء في تلك القضية تعبيراً على الرسول الاعظم ﷺ وقالوا فيها المفتريات . . . إنما كان الامر كما قال الله تعالى : «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها . . .» وكانت هذه إحدى ضرائب الرسالة الباهظة حملها الرسول ﷺ فيما حمل وواجه بها المجتمع الكاره بها كل الكراهية حتى كان يتردد في مواجهته بها ، وهو الذي لم يتردد في مواجهته بعقيدة التوحيد ، وذم الالهة والشركاء و تخطئة الآباء والاجداد . . .

ولما انقضى عدة زينب أرسل رسول الله ﷺ زيداً وزوجها السابق ليخطبها لرسول الله ﷺ فقال لزيد : «إذهب فازكرها علي» فانطلق زيد حتى أتاها ، وهي تخمر عجينها قال : فلما رأيتها عظمت في صدرى حتى ما استطيع أن أنظر

إليها ، وأقول : ان رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي ، وقلت : يا زينب أبشري أرسلني رسول الله ﷺ بذكرك قالت : ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل فقامت إلى مسجدتها ونزل القرآن ، وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن ، ولم المسئلة سهلة ، فلقد فوجيء بها المجتمعع الاسلامي كله كما انطلقت السنة المنافقين وأعداء الدين تقول :

تزوج الرسول ﷺ حليمة إبنه ، ولما كانت المسئلة مسألة تقرير مبدأ جديد ، فقد مضى القرآن يؤكدها ، ويزيل عنصر الغرابة فيها ، ويردها إلى اصولها البسيطة المنطقية التاريخية حيث قال : «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله» فقد فرض له أن يتزوج زينب ، وأن يبطل عادة العرب الجاهلية و من في سبيلها في تحريم أزواج الادعياء فاذن لاجرح في هذا الامر ، و ليس النبي ﷺ فيه بدعاً من الرسل : «سنة الله في الذين خلوا من قبل» فهو أمر يمضي وفق سنة الله التي لا تتبدل ، والتي تتعلق بحقائق الاشياء لا بما يحوطها من تصورات وتقاليد مصطنعة لا تقوم على أساس «وكان أمر الله قدراً مقدوراً» فهو نافذ مفعول لا يقف في وجهه شيء ولا أحد وهو مقدر بحكمة وخبرة ، و وزن منظوره فيه إلى الغاية التي يريد بها الله منه : ويعلم ضرورتها وقدرها وزمانها ومكانها .

وقد أمر الله جل وعلا رسوله ﷺ أن يبطل تلك العادة بلا أساس ولا برهان إلا التقليد العمياء ، ويمحو آثارها عملياً ، ويقر ببنفسه السابقة الواقعية ، ولم يكن بد من نفاذ أمر الله تعالى وسنة الله جل وعلا هذه قد مضت في الذين خلوا من قبل من الرسل : «الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله» فلا يحسبون للمخلوق حساباً فيما يكلفهم الله به من امور الرسالة ، ولا يخشون أحداً إلا الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيذ «وكفى بالله حسيباً» فهو وحده الذي يحاسبهم ، وليس للناس عليهم من حساب «ما كان محمداً أباً أحد من رجالكم» حتى تكون زينب حليمة إبنه ، وزيد إبن محمد إنما زيد هو إبن حارثة

ولاحرج إذن في الامر حتى ينظر إليه بعين الحقيقة الواقعية .

وإنما العلاقة بين محمد ﷺ وبين جميع امته ومنهم زيد بن حارثة هي علاقة النبي ﷺ بقومه ، وليس هو أباً لأحد منهم «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ومن ثم فهو يشرع الشرائع الباقية لتسير عليها البشرية وفق آخر رسالة السماء إلى الارض ، ليست بعده رسالة ولانبوة «وكان الله بكل شيء عليمًا» فهو جل و علا الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية وما يصلحها ، وهو الذي وحده فرض على النبي ﷺ ما فرض واختار له ما اختار ليحل للناس أزواج أديعاهم إذا ما قضاوا منهن وطراً ، وانتهت حاجاتهم منهن ، واطلقوا سراهن ، قضى الله تعالى هذا وفق علمه بكل شيء ، ومقتضى حكمته التي فيها صلاح عباده .

فالآيات الكريمة مع ما فيها من عتاب شديد للنبي ﷺ على ترده ظاهراً في تنفيذ ما ألهمه الله تعالى تحسباً من إنتقاد الناس من أقوى البراهين على أنه لم يكن في الحادث أي شيء يمس كرامة النبي ﷺ ونزاهته وسمو أخلاقه ، وان الآيات ليست إلا في صدد تنفيذ إلهام الله تعالى في إبطال التبنّي «لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أديعاهم إذا قضاوا منهن وطراً» ثم إنفصلوا عنهم بالطلاق أو الموت .

فما تشبث به الاعداء والخصوم من الشبهات والأكاذيب والمفترقات والأراجيف للتشويه من سمعة الرسول الطيبة والأزرء بكرامة النبي المجيدة كلها مدفوع بنفس القصة فانها حدثت لمحق عادة جاهلية ، فكانت مكافحة هذه السنة الجاهلية بحاجة إلى تضحية ممن يعرض بنفسه للشناعة الراهنة ويتحملها ، ومن ثم تحملها الرسول بنفسه كسراً لشوكتها ، وان شخصيته الكبيرة لتحول دون توجيه أي شناعة إليه ! .

وقال بعض المتكلمين في شرح القصة : ان سبب إزدواج النبي ﷺ من زينب : انها لما كانت من قريش وقبلت إزدواجها يزيد بخطبة الرسول ﷺ ، و

كان زيد بهذا النكاح غير راض ، ثم أراد بطلاقها ، وكان ذلك صعباً وهواناً وذلة لامرأة فريشية التي قبلت النكاح بعبد ، وهويتنفر عنها ويطلقها ، فانكسر قلبها بذلك ، فزوجها رسول الله ﷺ تسلياً لها وجعلها من أزواجه جبراً لما إنكسر قلبها .

أقول: وهذا من الاجتهاد تجاه النص ، فانه يصريح بأن السبب إنما هو نسخ التقاليد الجاهلية . . .



﴿ ابطال التقاليد الجاهلية وأحكام التبني ﴾

ومن غير مرأ ان التبني وأحكامه من التقاليد بين العرب والامم الراقية ، وكان إبطالها حدثاً من أحداث الاسلام غرب به وجه من وجوه الحياة الجاهلية ، وانتهى به اسلوب من أساليب نظامها الاجتماعي الموروث ، إذ كانوا يختارون من يرون من أبناء غيرهم ثم ينسبونهم إلى أنفسهم نسبة الابناء إلى آباءهم ، وكان هؤلاء المتبنون في حكم أبنائهم من أصلاهم ، ويضافون إليهم إضافة ابوة ، ويرثونهم إرث الابن لآبيه ، ويحرمون الزوج من نساء هؤلاء الابناء تحريماً مطلقاً .

وقد جاء الاسلام بابطال التبني وما كان يترتب عليه من الاحكام بقوله تعالى :
 « ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه - فان لم تعلموا آباءهم فآخوانكم في الدين وهو اليكم - وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم - ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » الاحزاب : ٥٤ - ٣٦ - ٤٠

ومن الحكمة الالهية أن كان للنبي الكريم ﷺ ابن بالتبني وهو زيد بن حارثة ، وذلك ليكون في إبطال هذا التبني مثل يراه المؤمنون في النبي ﷺ حين يبطل نسبة زيد إليه ، فلا يكون لمؤمن بعد هذا متعلق بنسبة من كان منتسباً إليه من أبناء من غير صلبه ، وبهذا ينحسم الامر في غير مهمل أو تردد .

إذ كان رسول الله ﷺ هو أول من نفذ هذا الحكم السماوي ، و أول من ألغى التبني الذي كان قائماً بينه وبين زيد بن حارثة الذي كان يدعى زيد بن

محمد ، ويدعوه المسلمون زيد حب رسول الله ، ولو كان في هذا الحكم إستثناء لكان النبي ﷺ أولى الناس به ، اذ لم يكن له ولد ذكر ، وكان هذا الاستثناء من خصوصيات النبي الكريم ﷺ فيما كانت له ﷺ من خصوصيات ، ولكن الحكم كان واجباً على كل مسلم من غير إستثناء ، وبقيت مسألة تحريم الزواج من نساء المتبنين التي كان يلزم بها الجاهليون أنفسهم تمكيننا لهذا النسب بينهم وبين أديانهم ، وجعله على قدم المساواة في كل شيء مع أبناء الاصلا ب ، وكان لابد للقضاء على تلك العادة الجاهلية من مثل عملي يراه المسلمون في رسول الله ﷺ فيقتدون به ، ولا يقع في صدورهم حرج من الخروج على هذا الالف القديم .

ومن الحكمة الالهية في ذلك أن كان زيد بن حارثة - متبنى النبي ﷺ نفسه - متزوجاً من زينب بنت جحش الأسدية ابنة عمه رسول الله ﷺ لزيد و زوجها إياه ، ولم تستطع زينب ولا أهلها مراجعة رسول الله ﷺ في هذا الزواج الذي كانت تراه زينب ويراه أهلها معها غيباً لها ، إذ كانت ترى و يرى أهلها معها أنها أشرف من زيد بيتاً ، و أكرم منه نسباً ، و قد تم الزواج و دخل زيد بزوجه ، ولكن لم يقع التوافق بينهما إذ كانت زينب تعيش مع زوجها بهذا الشعور المتعالي ، و كان زوجها - حين يجد منها هذا الشعور - يلقاها بما يحفظ عليه مروته و أنفته كعربي بما يعطيه القوامه عليها كرجل ، و كمسلم . معاً .

ومن غير ريب ان هذا الزواج الذي لم يقم على التوافق من أول الامر ، إنما هو تدبير من الحكيم العليم ، وقد اصطنعه النبي ﷺ بأمر من الله جل و علا للحكمة ستكشف عنها الايام فيما بعد . . . وكان لابد أن يمضى الامر الالهى في حل الزواج من أزواج المتبنين بعد إنتهاء الزوجية بأمر أو بآخر . . . وكان لابد أيضاً أن يكون رسول الله ﷺ نفسه في هذا هو القدوة و الاسوة حتى يأخذ المسلمون بعمله ، ولا يتحرجون من أمره ، و بهذا يقضى على عادة التبنى وما اتصل بها في فورية و حسم . . . ذلك لا يتم على تلك الصورة إلا إذا كان للنبي ﷺ متبني . . . و قد كان ، وأن

يكون هذا الابن المتبنى متزوجاً ، وقد كان هذا أيضاً .

ثم يبقى بعد ذلك أن يطلق هذا الابن زوجته ، حتى تحل للنبي ﷺ بعد إنقضاء عدتها ، وقد كان ذلك أيضاً ، فطلق زيد زوجته ، فلما إنقضت عدتها تزوجها النبي ﷺ .

ولا يقف القارى الخبير المنصف من هذا الزواج أكثر من أنه أمر الله تعالى نبيه ﷺ به وألزمه إياه لابطال التقاليد الجاهلية في التبني ، فالله تعالى هو الذى زوج النبي ﷺ من مطلقة متبنيه إذ قال : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً » الاحزاب : (٣٧) فهذه هي حكمة هذا الزواج ..

وما ينبغي لنا أن نقف عنده ، ونطيل النظر إليه : هو طلاق زينب من زوجها ، أو طلاق زيد لزوجته ، أكان هذا الطلاق بأمر سماوى تلقاه رسول الله ﷺ من ربه ، ثم آذن به زيدا ، فأطاع فيه أمر ربه فطلق زوجته ؟ أكان هذا من شريعة قامت على العدل والاحسان ، وعلى رفع الحرج عن الناس ؟ ولو كان ذلك من أمر سماوى لكان فيه إعانات بل جور على حق إنسان لم يأت أمراً يقضى بهذا الحكم عليه ، فضلاً عما فى ذلك من قطع علاقة مقدسة بين المرء وزوجه ، وقد كان الاسلام أحرص ما يكون على توثيق الرباط القائم بين الزوجين ، وعلى إلتماس كل الوسائل الممكنة فى الناس للحفاظ عليه ، وحياطته من دواعي الوهن والانحلال !! ثم كيف يكون من حكم شريعة الاسلام أن تجعل أبغض الحلال إلى الله تعالى الطلاق ثم تعود فتأمر به وتحمل الناس عليه حملاً ؟

أكان هذا الطلاق عن رغبة من النبي المعصوم ﷺ وعن إرادة له ﷺ فى الزواج من زوج متبنيه زيد بعد أن رآها فى حال من أحوالها ، فوضعت من نفسه كما يتخبر ص بذلك المتخبر صون من أهل الضلال والنفاق ، ومن أهل العدواة والكيد للاسلام ورسوله ﷺ والمسلمين ؟

وكما تمضى هذه القرية ، فتقول : ان زيدا حين شعر بما الزينب فى نفس رسول الله ﷺ اصطنع هذه المخاصمة بينه وبين زوجته كى يطلقها إرضاء للنبي ﷺ ومسارة إلى ايثاره بأحب شىء فى يده !!

وقد غفل كثير من المفسرين عن تلك المفتريات والأراجيف والكيد والخداع فانخذعوا لها فتمأولوا الايات الكريمة إلى ما ، الله تعالى ورسوله ﷺ برىء منه .

وقد تم الزواج بين زيد وزوجه بعمل النبي ﷺ بأمر من الله تعالى وهو زواج قام من أول الامر على غير توافق أو تكافؤ ولكن لحكمة يعلم الله تعالى ورسوله ﷺ فجرى هذا الزواج فى ظاهره وعلى مستوى النظر البشرى كما يجرى عليه كثير من الأزواج التى تعرض لها عوارض الشقاق والخلاف ثم الطلاق ، وذلك بعد أن تم الزواج ، وعاش الزوجان كل منهما الآخر . . . أما قبل الزواج ، فلم يكن أحد يدرى ما سيقع من شقاق وخلاف ثم طلاق إلا رسول الله ﷺ مما أنبأه الله تعالى به الأمر اراده الله جل وعلا ولم يقع بعد .

فلما تم زواج زيد وزينب وعاش كل منهما صاحبه ، وظهرت أعراض الشقاق والخلاف بينهما ، وشقى كل منهما بصاحبه ، كان رسول الله ﷺ يدعوهما إلى إصلاح ما فسد من أمرهما ، متجاهلاً الحكم المقضى به فى أمر هذا الزواج ، وهو الفراق الذى لا بد منه ، وغير ملتفت إلى القدر المقدور على هذا الزواج كما علم من ربه !!

ان النبي ﷺ إنما يعمل هنا على مستوى الحياة البشرية ، ويعالج أمراً بين شخصين لم ينكشف لهما من حجب الغيب ما انكشف له منه ، وكان من مقتضى هذا أن يدعو كللاً من الزوجين إلى المياسرة والمحاسنة . . . أما ما يؤول إليه أمرهما بعد هذا فأمره الى الله تعالى : « وكان أمر الله مفعولاً » .

﴿ غزوة الخندق و أيام الاحزاب ﴾

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً - إلى قوله - وأورثكم أرضهم و ديارهم و أموالهم و أرضاً لم تطؤوها و كان الله على كل شيء قديراً » (الاحزاب : ٩ - ٢٧) .

إعلم أن الايات الكريمة - تسع عشرة آية - تحتوى وصف مشهد زحف من أعداء النبي الكريم ﷺ و المؤمنين على المدينة ، و قد أجمعت روايات التفسير و السيرة على أنه وقعت الخندق أو الاحزاب ، و سميت بوقعة الخندق لان النبي ﷺ و المؤمنين قرروا حفر خندق لمنع الاحزاب العادية من إقتحام المدينة ، و سميت بوقعة الاحزاب لأن الايات سمت الزاحفين الغزاة بالاحزاب ، و هي غزوة مشهورة نصر الله تعالى فيها رسوله ﷺ و من معه من المؤمنين على جماهير من أعدائه تحزبوا عليه و ﷺ و عليهم . و لم تكن غزوة من غزوات النبي ﷺ أعظم خطراً على الاسلام و المسلمين من غزوة الخندق ، لان الكفار اجتمعوا من قبائل كثيرة مختلفة بعدة كثيرين ... و لكن لم تنته غزوة من الغزوات أسهل من هذه الغزوة إذ مزقهم الله تعالى كل ممزق بجنوده من الرياح و الملائكة و كفى الله المؤمنين القتال .

و نحن نشير إلى إجمال ما جاء في السير من التفاصيل ، ثم نذكر بعض ما جاء فيها منها . فاعلم أن رسول الله ﷺ غزا بني النضير ، و هم طائفة من

اليهود العنيد كانوا يجارون المدينة ، و سبب غزوته لهم إنهم فكثوا إيمانهم و همّوا بقتل رسول الله ﷺ غيلة ، فقصدهم رسول الله ﷺ بطائفة من أصحابه و أجلاهم عن بلادهم ، فنزل زعماءهم بخيبر ، و بعضهم الآخرون بأذرع من الشام ، و لم يقرّ لبنى النضير قرار بعد جلائهم عن بلادهم ، بل كانت تنازعهم أنفسهم إلى مناجزة النبي ﷺ و الاخذ بثأر أنفسهم ، إلى أن ذهب جمهور من أكابرهم إلى مكة في شوال سنة خمس من الهجرة فحرضوا زعماء قريش على حرب رسول الله ﷺ بالمدينة ، و إستئصال شأفة النبي ﷺ و المؤمنين قبل أن يتفاقم خطره ﷺ و قالوا لهم :

ان دينكم خير من دين محمد ﷺ و وعدوهم بمظاهرة من بقى في المدينة من اليهود و أذنابهم لهم ، و التحالف معهم إذا زحفوا على المدينة ، فأجابت قريش طلبهم ، و تعاهدوا معهم ، فذهبوا إلى الكعبة ، و أقسموا على الثبات على المحالفة عند الاصنام التي كانت في فنائها ، و ان زعماء قريش استخلفوهم أن يقولوا: انهم هم الاهدى أم محمد فقالوا لهم: هم الاهدى أشار تعالى إليه بقوله : « ألم تر إلى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً » النساء : ٥١ .

ثم ذهب الوفد إلى قبائل غطفان و قيس و غيلان ، و أخبروهم بأن قريشاً تتأهب للحرب ، فطلبوا إليهم أن يحتذوا حذوهم ، و حرّضوهم على حرب رسول الله ﷺ بالمدينة فأجابوا ملتمسهم و تحالفوا معهم ، و أتمت تلك الاحلاف و تجهزت هؤلاء الاحزاب زحفوا على المدينة و نزلوا على أطرافها ، و كان عددهم أكثر من عشرة آلاف . . . تجهزت قريش ، و جمعت قضيها و قضيتها تحت رئاسة أبي سفيان بن حرب و كان عددهم أربعة آلاف مقاتل ، صاحب رايتهم عثمان بن طلحة العبدرى ، و تجهزت غطفان بقيادة عينية بن حصن ، و كان معه ألف فارس ، و تجهزت بنومرة تحت رئاسة الحارث بن عوف المرى و هم أربعة آلاف ، و

تجهزت بنو أشجع بقيادة أبي مسعود بن رخيصة ، وتجهزت بنو سليم تحت رئاسة سفيان بن عبد الله شمس ، و هم سبعمأة ، و تجهزت بنو أسد بقيادة طليحة بن خويلد الاسدي ، و كان اولئك الاحزاب والمقاتلون تحت قيادة أبي سفيان بن حرب قائد قریش .

و سعى زعماء بنى النضير حتى جعلوا يهود بنى قريظة الموجودين في المدينة ينقضون عهدهم مع المسلمين ، و قد أرسل رسول الله ﷺ زعيمى الاوس والخزرج ليستطلعا خبرهم ، فوجدوهم على أخبث حال حيث انكروا ما بينهم و بين النبي ﷺ والانصار من عهود و أسفروا عن عدائهم و لؤمهم ، و جرؤ المنافقون فأخذوا يشبطونهم إخوانهم ويشرون فيهم الفزع ويسئون أديهم نحو الله تعالى و رسوله ﷺ و قد أدى كل هذا إلى إضطراب المسلمين الذين وجدوا أنفسهم بين نارين من الاعداء من قدامهم و من خلفهم ، و مخامرة المنافقين بين صفوفهم . . .

و لما بلغ رسول الله ﷺ أمر هذه الجموع الكثيفة ، و اولئك الاحزاب الباغية و مسيرهم ، جمع أصحابه و إستشارهم فى وجوه الدفاع عنهم ، و فى أيهما أفضل : الخروج إليهم ؟ أم إنتظارهم فى المدينة ؟ فأشار عليه سلمان الفارسى أن يحفر خندقاً حول المدينة ، و هو أمر لم يعهده العرب لذلك العهد ، فاستحسن رسول الله ﷺ هذا الرأى ، فامر أصحابه بحفر الخندق فى الجهة الشمالية من المدينة ما بين الحرة الشرقية إلى الحرة الغربية ، و هى التى يسهل على جيش المشركين غشيان المدينة منها ، و أما باقى جهاتها فكانت محاطة بالنخيل والبيوت و يصعب على المحاربين الكرّ و الفرّ فيها .

فأخذ المسلمون بحفر الخندق من ناحية مكة ، و يعسكرون حوله للدفاع ، و يرفعون النساء والاولاد إلى الهضاب والجبال ، و عانوا فى عملهم مشاق كبيرة ، و كان رسول الله ﷺ يعمل فى مقدمتهم يرفع معهم التراب على عاتقه ، و كان

رسول الله ﷺ ير تجز بكلمات ابن رواحة :

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا و لا تصدقنا و لا صلينا
فانزلن سكينه علينا و ثبت الاقدام أن لا قينا
والمشركون قد بغوا علينا و إن أرادوا فتنة أينا

وكانت تعبئة جيش الصحابة تنحصر في أنهم أقاموا جنودهم في الجهة الشرقية مسندين ظهورهم إلى جبل سلع ، و هو مطل على المدينة ، وكانت عدتهم ثلاثة آلاف مقاتل ، و كان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة و لواء الانصار مع سعد بن عباد ، و قد حال الخندق كما كان مقدراً دون إشتباك المسلمين مع الاحزاب في معركة و زحف عام ، و لم يقع بينهم إلا حوادث قتال و براز فردية و تراش بالنبال ، و لم يصب من الطرفين إلا قليل .

أما جيش قريش فكان معسكراً في مجمع الأسياح ، و أما جنود بني عطفان ، فنزلت جهة جبل أحد ، و ظل الاحزاب العادية يحاصرون المدينة نحو عشرين يوماً ، و لما أشرف المشركون على الخندق و رأوه حائلاً بينهم و بينها تعجبوا من صنعه لانهم ما كانوا يعرفونه و وقفوا دونه ، فقالوا : والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها و وقعت مصادمات بين القوم كراً و فرأ فأخذوا يرمون المسلمين بالسهام و الحجارة ، فلما طال مقامهم على غير جدوى حملت الشجاعة بعضهم إلى إقتحامه ، فاقتمحه عكرمة بن أبي جهل و عمرو بن عبدود و جماعة آخرون من أهل الجراة و الاقدام . . . فبرز على بن أبي طالب عليه السلام لعمر و بن عبدود فقتله ، و هرب من كان معه ، و هوى في الخندق نوفل بن عبدالله فاندقت عنقه ، و اضطرب المسلمون لحراسة الخندق ليلاً و نهاراً و أظهر المنافقون الخور حتى قالوا كما حكاه الله تعالى عنهم : « ما وعدنا الله و رسوله إلا غروراً » .

و نقصوا على أعقابهم بحجة أن بيوتهم عورة و هم يخشون أن يقتحمها المشركون عليهم قال تعالى : « و ما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً ، و لما

طال أمد الحصار و تضايق من في المدينة إنتهز المنافقون هذه الفرصة ، فقالوا ما سؤالته لهم أنفسهم ، و مما زاد الطين بلة أن حبي بن أخطب سيد بنى النضير و هم اليهود الذين أجلاهم رسول الله ﷺ عن بلادهم توجه إلى أسد القرظى سيد بنى قريظة ، و هم من اليهود أيضاً ، فحسن له أن ينقض العهد الذى أعطاه لرسول الله ﷺ فأطاعه كعب بن أسد و بلغ الخبر رسول الله ﷺ فأرسل مسلمة بن أسلم و زيد بن حارثة فى ثلاثمائة لحراسة المدينة ، و أرسل الزبير بن العوام يستجلى له الخبر ، فذهب و عاد مخبراً بأنهم ينوون الشر ، فزلزل المسلمون زلزلاً شديداً لتفاقم الخطوب و تزايد عديد الاعداء . . .

فأراد رسول الله ﷺ أن يصلح عيينة بن حصن قائد غطفان على ثلث ثمار المدينة جزاء أن ينسحب مع قومه ، فأبى الانصار ذلك قائلين : انهم لم يكونوا يناولون منا قليلاً من تمرنا ، و نحن كفار أفبعد الاسلام يشار كوننا فيها .

بينما المسلمون فى هذا الامر المريج إذ أقبل على رسول الله ﷺ نعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي من غطفان ، و كان هو مؤمناً يكتم إيمانه عن قومه ، و كان صديقاً لقريش و اليهود و بنى غطفان ، فقال : يا رسول الله انى قد أسلمت و قومى لا يعلمون ، و سئله ﷺ عما يجب عليه أن يفعله لصالح المسلمين فقال : إنما أنت فينا رجل واحد ، و ما ذا عسى أن تفعل ولكن أخذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعة ، فأمره النبي ﷺ بالتخذيذ و التثبيط فى صفوف الاعداء . . .

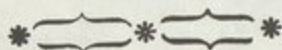
فخرج نعيم بن مسعود من عند النبي ﷺ ، و قصد بنى قريظة ، فلما رآه أكرموه و التفوا حوله فقال لهم : يا بنى قريظة انعم تعرفون و دى لكم ، و خوفى عليكم ، و انى محدثكم حديثاً فاكتموه عنى ؟ قالوا : نعم ، فقال : لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع و النضير من إجلائهم و أخذ أموالهم ، و إن قريشاً و غطفان ليسوا مثلكم ، فهم إذا رآوا فرصة انتهزوها ، و إلا انصرفوا لبلادهم ، و

أما أنتم فتساكنون الرجل - يريد الرسول ﷺ - واطاعة لكم بحربه وحدكم، فأرى أن لا تدخلوا في هذه الحرب، ولا تحاربوا مع قريش و غطفان على محمد حتى تستيقنوا منهم و تأخذوا منهم رهناً سبعين من أشرفهم يكونون بأيديكم تقيّة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ﷺ و أن لا يتركوكم و لا يذهبوا إلى بلادهم، لانهم رجعوا و سئموا حربه، و انكم وحدكم لا تقدرّون عليه. فاستحسن بنو قريظة إقتراحه و عدّوه نصيحة لهم و أجابوه إلى ذلك.

ثم ذهب إلى قريش و قابل قادتهم و قال لهم: أنتم تعرفون وديّ و محبتي إياكم و اني محدثكم حديثاً فاكنموه عنى؟ قالوا: نعم، فقال لهم: ان بنى قريظة يريدون أن يأخذوا منكم رهناً يدفعونها لمحمد، فيضرب أعناقهم و يتحدون معه على قتالكم لانهم ندموا على ما فعلوا من نقض العهد و تابوا، وهذا هو المخرج الذى اتفقوا عليه فقالت له قريش: أيرضيك أن نأخذ نحن جمعاً من أشرفهم و نعطيهم لك و تردّ جناحنا الذى كسرت (بريد بنى النضير) فرضى بذلك منهم، وهاهم مرسلون إليكم فاحذروهم و لا تذكروا مما قلت لكم حرفاً.

ثم أتى نعيم بن مسعود بنى غطفان، و قال لهم: مثل ما ذكر لقريش، فأرسل أبوسفیان و فداً لبني قريظة يدعوهم للقتال غداً، فأجابوا انا لانستطيع أن نقاتل فى السبت و لم يصبنا ما أصابنا إلاّ من إعتدائنا فيه، و مع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهائن منكم كيلا نتركونا و نذهبوا إلى بلادكم، فتحققت قريش و غطفان من صدق نعيم بن مسعود، فكان هو يسعى بين اليهود و الاحزاب الطاغية حتى أوجد شكوكاً فى كل من الطرفين نحو الآخر، ففترقت القلوب، فخشى بعضهم غائلة بعض، فثارت زوبعة شديدة أزعجت إزعاجاً شديداً، فاشتدّ فيهم السأم و الفتور فحينئذ تخاذل اليهود و العرب و دبّ بينهم ديب الفشل، و ألقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب فلم يلبث أبوسفیان أن قرّر الارتحال فتابعوه

و ارتحلوا ، ومما زاد فشلهم أن بعث الله تعالى عليهم ريحاً في ليلة شاتية شديدة
البرد ، فجعلت تكفيء قدورهم و تطرح آنيتهم ، فخاف المشركون أن يتحد
اليهود مع المشركين ، ويداهموهم في تلك الليلة الليلية فعزموا لرحيل قبل
أن يصبحوا ، وهكذا ردّهم الله تعالى بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال .



﴿ تحقيق في قصة أيام الاحزاب ﴾

وقد وردت قصة أيام الاحزاب عن الطريقتين في تفسير القمى والمجمع و
أعلام الورى وإرشاد المفيد ، وفي صحيح البخارى ومستدرک الحاكم والسيره
النبويه لابن هشام والامتاع للمقريزى وغيرها من الكتب التفسيرية والتاريخية
والسير بطرق مختلفة على طريقى الاجمال والتفصيل ولا بد للمحقق الخبير من
التحفظ والتأمل لما فيها من النكات واللطائف ، ومن الحكم والمعارف . . . فنشير
إلى ما يسعه المقام ، ونحن على جناح الاختصار :

ففى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة
الله عليكم إذ جاءتكم جنود . . . » الآية . قال : فانها نزلت فى قصة الاحزاب من
قريش والعرب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ قال : وذلك ان قريشاً قد
تجمعت فى سنة خمس من الهجرة ، وساروا فى العرب وجلبوا واستنفرهم (و
استنفرهم خ) لحرب رسول الله ﷺ فوا فوا فى عشرة آلاف ، ومعهم كنانة
وسليم وفزارة ، وكان رسول الله ﷺ حين أجلا بنى النضير وهم بطن من اليهود
من المدينة ، وكان رئيسهم حى بن أخطب ، وهم يهود من بنى هازون عليه السلام فلما
أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر وخرج حى بن أخطب وهم إلى قريش بمكة ،
وقال لهم : إن محمداً قد وتركم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا ،
وأجلا بنى عمنا بنى فينقاع .

فسيروا فى الارض وأجمعوا حلفاء كم وغيرهم حتى نسير إليهم ، فانه قد بقى

من قومي يثرب سبعمأة مقاتل وهم بنو قريظة ، وبينهم وبين محمد عهد وميثاق ، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ، ويكونون معنا عليهم فتأتونه أنتم من فوق وهم من أسفل ، وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين وهو الموضع الذي يسمى ببئر بني المطلب ، فلم يزل يسير معهم حتى بن أخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة والاقرع بن حابس في قومه ، وعباس بن مرداس في بني سليم ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وإستشار أصحابه وكانوا سبعمأة رجل ، فقال سلمان :

يا رسول الله ﷺ ان القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة قال : فما نضع ؟ قال : نحفر خندقاً يكون بيننا (بينك خ) وبينهم حجاباً فيمكنك معهم في المطاولة ، ولا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه ، فانا كنا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمناهم (دهماء خ) من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة ، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال : أشار بصواب ، فأمر رسول الله ﷺ بمسحة (بحفرة خ) من ناحية أحد إلى راتج ، وجعل على كل عشرين خطوة و ثلاثين خطوة قوم (قوماً خ) من المهاجرين والانصار يحفرونه ، فأمر فحملت المساحي والمعادل ، وبدأ رسول الله ﷺ وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه ، وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ينقل التراب من الحفرة حتى عرق رسول الله ﷺ وعي (عي خ) وقال : « لا عيش إلا عيش الآخرة اللهم اغفر للانصار والمهاجرين » .

فلما نظر الناس إلى رسول الله ﷺ يحفر اجتهداً في الحفر ونقلوا التراب ، فلما كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر ، وقعد رسول الله ﷺ في مسجد الفتح ، فبينما المهاجرون والانصار يحفرون إذ عرض لهم جبل لم تعمل المعاول فيه ، فبعثوا جابر بن عبد الله الانصاري إلى رسول الله ﷺ يعمل ذلك ، قال جابر : فجئت إلى المسجد ورسول الله ﷺ مستلقى على فقاء ، و رداؤه تحت رأسه ، وقد شدت على بطنه حجراً ، فقلت : يا رسول الله انه قد عرض لنا جبل لا تعمل (لم تعمل خ)

المعاول فيه ، فقام مسرعاً حتى جاءه ثم دعا بماء في إناء وغسل وجهه و ذراعيه و مسح على رأسه ورجليه ، ثم شرب و مَجَّ ذلك الماء في فيه ثم صبَّه على ذلك الحجر ، ثم أخذ معولاً فضرب ضربة ، فبرقت برقة ، فنظرنا فيها إلى قصور الشام ، ثم ضرب أخرى ، فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور المدائن ، ثم ضرب أخرى فبرقت برقة أخرى فنظرنا إلى قصور اليمن ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنه سيفتح الله عليكم هذه المواطن التي برقت فيها البرقة ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل .

فقال جابر : فعلمت ان رسول الله ﷺ مقوى أى جائع لما رأيت على بطنه الحجر فقلت : يا رسول الله ﷺ هل لك في الغداء (من الغداء خ) ؟ قال : ما عندك يا جابر ؟ فقلت : عناق و صاع من شعير ، فقال : تقدّم وأصلح ما عندك ، قال جابر : فجئت إلى أهلي ، فأمرتها فطحنت الشعير و ذبحت العنز و سلختها ، وأمرتها أن تخبز و تطبخ و تشوى فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله ﷺ فقلت : بأبي و أمي أنت يا رسول الله ﷺ قد فرغنا فاحضر مع من أحببت ، فقام رسول الله ﷺ إلى شفير الخندق ثم قال : يا معاشر المهاجرين و الانصار أجيئوا جابراً ، و كان في الخندق سبعمأة رجل ، فخر جوا كلهم ثم لم يمر بأحد من المهاجرين و الانصار إلا قال : أجيئوا جابراً ، قال جابر : فتقدمت و قلت لأهلي : قد والله أتاك رسول الله ﷺ بما لا قبل لك به ، فقالت : أعلمته أنت ما عندنا (بما عندنا خ) ؟ قال : نعم .

قالت : هو أعلم بما أتى قال جابر : فدخل رسول الله ﷺ فنظر في القدر ثم قال : اغرفي وأبقي ، ثم نظر في التنور ، ثم قال : أخرجي وأبقي ، ثم دعا بصحفة فترد فيها و غرف ، فقال : يا جابر أدخل على عشرة ، فأدخلت عشرة ، فأكلوا حتى نهلوا و ما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم ، ثم قال : يا جابر على بالذراع فأتيته بالذراع ، فأكلوه ، ثم قال : أدخل على عشرة فدخلوا فأكلوا حتى نهلوا (فادخلتهم حتى أكلوا و نهلوا خ) و ما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم ، ثم قال : يا جابر على

بالذراع فأتيته فأكلوا وخرجوا ، ثم قال : أدخل على عشرة فأدخلتهم فأكلوا حتى نهلوا وما يرى (ولم يرخ) في القصعة إلا أن أرا أصحابهم ثم قال : يا جابر على بالذراع فأتيته بالذراع ، فقلت : يا رسول الله كم للشاة من ذراع ؟ قال : ذراعان ، فقلت : والذي بعثك بالحق نبياً لقد أتيتك بثلاثة ، فقال : أما لو سكت يا جابر لأكلوا (لأكل الناس خ) كلهم من الذراع ، قال جابر : فاقبلت ادخل (ادخلت خ) عشرة عشرة ، فيأكلون حتى أكلوا كلهم : وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياماً . قال : وحفر رسول الله ﷺ الخندق وجعل له ثمانية أبواب ، وجعل على كل باب رجلاً من المهاجرين و رجلاً من الانصار مع جماعة يحفظونه ، وقدمت قريش و كنانة وسليم وهلال ، فنزلوا الزغابة ، ففرغ رسول الله ﷺ من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام ، وأقبلت قريش ، ومعهم حبي بن أخطب ، فلما نزلوا العقيق جاء حبي بن أخطب إلى بني قريظة في جوف الليل وكانوا في حصنهم ، قد تمسكوا بمهد رسول الله ﷺ فدق باب الحصن ، فسمع كعب بن أسد الباب قرع فقال لأهله :

هذا أخوك قدم شأم قومه ، وجاء الآن يشأ منا ويهلكنا ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين رسول الله ﷺ وقد وفي لنا محمد ﷺ وأحسن جوارنا ، فنزل إليه من غرفته ، فقال له : من أنت ؟ قال : حبي بن أخطب قد جئتك بعز الدهر ، فقال كعب : بل جئتني بذل الدهر ، فقال : يا كعب هذه قريش في قاداتها و ساداتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم و كنانة ، وهذه فزارة مع قاداتها و ساداتها قد نزلت الزغابة وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان ، ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً ، فافتح الباب ، وانقض العهد بينك وبين محمد ، فقال كعب : لست بفاتح لك الباب ، ارجع من حيث جئت ، فقال حبي : ما يمنعك من فتح الباب إلا جيشيتك (خشيشتك خ) التي في التنور تخاف أن اشر كك (اشاركك خ) فيها فافتح فانك آمن من ذلك ، فقال له كعب : لعنك الله لقد دخلت على من باب دقيق

ثم قال : افتحوا له الباب ، ففتحوا له الباب ، فقال : ويلك يا كعب انقض العهد بينك وبين محمد ، ولا ترد رأيتي فان محمداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً ، فان فاتك هذا الوقت لا تدرك (لم تدرك خ) مثله أبداً قال :

واجتمع كل من كان في الحصن من رؤساء اليهود مثل غزال بن شموّل (غزال بن سموّل خ) وياسر بن قيس (وبناشر بن قيس خ) ونباش بن قيس (خ) ورفاعة بن زيد (عقبه بن زيد خ) والزبير بن باطا (الزهير بن ناطاخ) فقال لهم كعب : ماترون؟ قالوا : أنت سيدنا والمطاع فينا وصاحب عهدنا وعقدنا ، فان نقضت نقضنا معك ، وإن أقمت أقمنا معك ، وإن خرجت خرجنا معك ، قال الزبير بن باطا (الزهير بن ناطاخ) وكان شيخاً كبيراً مجرباً قد ذهب بصره ، قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بانه : « يبعث نبياً (نبي خ) في آخر الزمان يكون مخرجه بمكة ومهاجرته في هذه البحيرة ، يركب الحمام العري ويلبس الشملة ويجتريء بالكسيرات (بالكسر خ) والتميرات وهو الضحوك القتال في عينيه الحمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عاتقه ، لا يبالي من لاقى ، يبلغ سلطانه منقطع الخف والحافر . »

فان كان هذا هو فلا يهولنّه هؤلاء وجمعهم ، ولو ناولى على هذه الجبال الراسى لغلبها ، فقال حبي : ليس هذا ذاك ، ذلك النبي من بنى اسرائيل ، وهذا من العرب من ولد اسمعيل ، ولا يكونوا بنى اسرائيل (ولا يكون بنو اسرائيل خ) أتباعاً لولد اسمعيل أبداً لان الله قد فضّلهم على الناس جميعاً ، وجعل فيهم النبوة والملك ، وقد عهد إلينا موسى أن نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، وليس مع محمد آية ، وإنما جمعهم جمعاً وسحرهم ويريد أن يغلبهم بذلك ، فلم ينزل يقلّبهم عن رأيهم حتى أجابوه فقال لهم : أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمد فأخرجوه فأخذ حبي بن أخطب ومزقه ، وقال : قد وقع الامر فتجهّزوا ونهياوا للقتال .

وبلغ رسول الله ﷺ ذلك فغممه غمماً شديداً ، وفزع أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ لسعد بن معاذ واسيد بن حصين (حضيرخ) وكانا من الاوس ، و كانت بنو قريظة حلفاء الاوس : أئتيا بنى قريظة فانظرا ما صنعوا ، فان كانوا نقضوا العهد ، فلا تعلموا أحداً إذا رجعتما إلى قولا : عضل والقارة فجاء سعد بن معاذ واسيد بن حصين (حضيرخ) إلى باب الحصن ، فأشرف عليهما كعب بن الحصن فشتم سعداً و شتم رسول الله ﷺ فقال له سعد : إنما أنت ثعلب فى جحر ، لتولين قريش و ليحاصر نك رسول الله ﷺ و لينزلنك (ثم لينزلنك خ) على الصغر والقما . و ليضربن عنقك ثم رجعا إلى رسول الله ﷺ فقالا له : عضل والقارة فقال رسول الله ﷺ : « لعنا نحن أمرناهم بذلك » وذلك انه كان على عهد رسول الله ﷺ عيون لقريش يتجسسون خبره ، وكانت عضل والقارة قبيلتان من العرب دخلا فى الاسلام ثم غدرا ، وكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل ، فيقال : عضل والقارة .

ورجع حبي بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش فأخبرهم بنقض بنى قريظة العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ ففرحت قريش بذلك ، فلما كان فى جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الاشجعي إلى رسول الله ﷺ وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام ، فقال : يا رسول الله قد آمنت بالله وصدقتك وكتمت ايماني عن الكفرة فان أمرتنى أن آتيك بنفسى و أنصرك بنفسى فعلت ، وإن أمرك أن اخذل بين اليهود وبين قريش ، فعلت حتى لا يخرجوا من حصنهم ، فقال رسول الله ﷺ : اخذل بين اليهود و بين قريش ، فانه أوقع عندى قال : فتأذن لى أن أقول فيك : ما اريد ؟ قال : قل ما بذاك ، فجاء إلى أبي سفيان فقال له : تعرف مودتى لكم و نصحتى ومحبتى ان ينصر كم الله على عدوكم ، و قد بلغنى أن محمداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم ، و وعدهم إذا فعلوا ذلك أن يرد عليهم جناحهم الذى قطعته بنى النضير وقينقاع فلا أرى أن تدعوهم يدخلوا فى عسكركم حتى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكة فتأمنوا مكرهم و غدرهم

فقال له أبو سفيان :

وفّقك الله وأحسن جزاءك ، مثلك أهدى (من أهدى خ) النصائح ولم يعلم أبو سفيان باسلام نعيم ولا أحد من اليهود ثم جاء من فوره ذلك إلى بنى قريظة فقال له : يا كعب تعلم مودتي لكم وقد بلغني ان أباسفيان قال : نخرج هؤلاء اليهود ، فنضعهم في نحر محمد ، فان ظفروا كان الذكركنا دونهم ، وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقادير الحرب ؛ فلا أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتى تأخذوا منهم عشرة من أشرفهم يكونون في حصنكم ، انهم إن لم يظفروا بمحمد لم يرحوا حتى يردوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمد وبينكم لانه إن ولت قريش ولم يظفروا بمحمد غزاكم محمد فيقتلكم فقالوا : أحسنت وأبلغت في النصيحة لا نخرج من حصننا حتى نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا .

وأقبلت قريش فلما نظروا إلى الخندق قالوا : هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك فقبل لهم : هذا من تدبير الفارسي الذي معه ، فوافى عمرو بن عبدود وهبيرة بن وهب وضرار بن الخطاب إلى الخندق ، وكان رسول الله ﷺ قد صف أصحابه بين يديه ، فصاحوا بخيلهم حتى ظفروا والخندق إلى جانب رسول الله ﷺ فصاروا أصحاب رسول الله ﷺ كلهم خلف رسول الله ﷺ وقدموا رسول الله ﷺ بين أيديهم ، وقال رجل من المهاجرين وهو فلان لرجل بجنبه من إخوانه : أما ترى هذا الشيطان عمرو ؟ لا والله ما يفلت من يديه أحد ، فهلموا ندفع إليه محمداً ليقتله ، ونلحق نحن بقومنا ، فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت : « قد يعلم الله المعوقين منكم - إلى - وكان ذلك على الله يسيراً » وركز عمرو بن عبدود رمحه في الارض وأقبل يجول جولة ويرتجز ويقول :

و لقد بحجت من النداء
بجمعكم هل من مبارز
و وقفت إذ جبن الشجاع
مواقف القرن المناجز
انسى كذلك لسم أزل
متسرعاً نحو الهزاهز

ان الشجاعة فى الفتى والجود من خير الغرائز

فقال رسول الله ﷺ : من لهذا الكلب ؟ فلم يجبه أحد ، فوثب (فقامخ) إليه ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أنا له يا رسول الله ، فقال : يا على هذا عمرو بن عبدود فارس ليليل ، قال : أنا على بن أبيطالب ، فقال رسول الله ﷺ : أدن منى ، فدنا منه فعممه بيده ، ودفع إليه سيفه ذا الفقار ، وقال له : « اذهب وقاتل بهذا اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله و من فوقه و تحته » فمر أمير المؤمنين عليه السلام بهرول فى مشيمته وهو يقول :

| | |
|--------------------|---------------------|
| لا تعجلن فقد أتاك | مجيب صوتك غير عاجز |
| ذونبئة و بصيرة | والصدق منجى كل فائز |
| إننى لأرجو أن أقيم | عليك نائحة الجنائز |
| من ضربة نجلاء يبقى | صوتها بعد الهزاهز |

فقال له عمرو : من أنت ؟ قال : أنا على بن أبيطالب ابن عم رسول الله و ختنه فقال : والله إن أباك كان لى صديقاً ونديماً ، وانى اكره أن اقتلك ما أمن ابن عمك حين بعثك إلى أن اختطفك برمحي هذا فاتركك سائلاً بين السماء والارض لاحتى ولاميت ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قد علم ابن عمى انك إن قتلتنى دخلت الجنة وأنت فى النار ، وإن قتلتك فأنت فى النار وأنا فى الجنة فقال عمرو : كلمتاها لك يا على تلك إذا قسمة ضيزى ، فقال على : دع هذا يا عمرو انى سمعت منك وأنت متعلق بأستار الكعبة تقول : لا يعرض على أحد فى الحرب ثلاث خصال : إلا أجبته إلى واحدة منها ، وأنا اعرض عليك ثلاث خصال ، فأجبنى إلى واحدة قال : هات يا على ، قال : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال : نح عنى هذا ، قال :

فالثانية أن ترجع وترد هذا الجيش عن رسول الله ، فان يك صادقاً فأنتم أعلى به عيناً ، وإن لك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره ، فقال : إذا تتحدث (لا

تتحدث خ) نساء قریش بذلك وينشد (ولا ينشد خ) الشعراء في أشعارها انى جئنت
ورجعت على عقبى من الحرب، وخذلت قوماً رأسونى عليهم فقال له أمير المؤمنين
عليه السلام : فالثالثة أن تنزل إلى فانك راكب ، وأنا راجل حتى انا بذلك فوثب عن
فرسه وعرقبه ، وقال : هذه خصلة ماظننت ان أحداً من العرب يسومنى عليها ، ثم
بدأ ف ضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه ، فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالدركة
فقطعها ، وثبت السيف على رأسه ، فقال له على : يا عمر وأما كفاك أنى بارزتك و
أنت فارس العرب حتى استعنت على بظهيري؟ فالتفت عمر وإلى خلفه ف ضرب به أمير
المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه فأطنهما (فقطعهما خ) جميعاً ، وارتفعت بينهما
عجاجة ، فقال المنافقون :

قتل على بن أبي طالب ، ثم إنكشفت العجاجة ونظروا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام
على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه ، ثم أخذ رأسه وأقبل إلى رسول الله
ﷺ والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمر ، وسيفه يقطر منه الدم ، وهو
يقول والرأس بيده :

أنا على وابن عبدالمطلب الموت خير للمفتى من الهرب

فقال رسول الله ﷺ : يا على ما كرته؟ قال : نعم يا رسول الله الحرب
خديعة وبعث رسول الله ﷺ الزبير إلى هبيرة ف ضرب به على رأسه فلق هامته ،
وأمر رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب ، فلما برز إليه
ضرار انتزع له عمر سهماً فقال ضرار : ويلك يا ابن صهآك ارمى فى مبارزة والله
لئن رميتنى لاتركت عدوياً بمكة إلا قتلته فانهزم عند ذلك عمر ، ومر نحوه ضرار ،
و ضرب بالقناة على رأسه ، ثم قال : احفظها يا عمر ، فانى آليت أن لأقتل قرشياً
ما قدرت عليه ، فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولّى وولاه .

فبقى رسول الله ﷺ يحاربهم فى الخندق خمسة عشر يوماً ، فقال أبو سفيان
لحمى بن أخطب : ويلك يا يهودى أين قومك؟ فصارحمى بن أخطب إليهم ، فقال :

ويلكم اخرجوا فقدنا بذتم محمداً الحرب (فقدنا بذككم محمد الحرب خ) فلا أنتم مع محمد ولأنتم مع قريش فقال كعب : لسنا خارجين حتى يعطينا قريش عشرة من أشرفهم رهناً يكونون في حصننا انهم إن لم يظفروا بمحمد لم يبرحوا حتى يرد علينا محمد عهدنا وعقدنا ، فانالنا من أن تمر قريش ونبقى نحن في عقردارنا ويفزونا محمد فيقتل رجالنا ويسبي نساؤنا وذراريها ، وإن لم نخرج لعله يرد علينا عهدنا ، فقال له حبي بن أخطب : تطمع في غير مطمع ، فقدنا بذت محمداً الحرب ، فلا أنتم مع محمد ، ولأنتم مع قريش ، فقال كعب : هذا من شؤمك ، إنما أنت طائر تطير مع قريش غدأ وتر كنا في عقردارنا ويفزونا محمد ، فقال له : لك عهد الله على وعهد موسى عليه السلام انه إن لم تظفر قريش بمحمد أنى أرجع معك إلى حصنك يصيبني ما يصيبك فقال كعب :

هو الذي قدقلته لك إن أعطتنا قريش رهناً يكونون عندنا ، وإلا لم نخرج ، فرجع حبي بن أخطب إلى قريش فأخبرهم ، فلما قال يسئلون الرهن ، فقال أبو سفيان : هذا والله أول العذر ، قد صدق نعيم بن مسعود لاحاجة لنا في إخوان القردة (القرود خ) والخنازير فلما طال على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمر وإشدد عليهم الحصار وكانوا في وقت برد شديد، وأصابتهم مجاعة ، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً ، وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم ، ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نافع إلا القليل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه ان العرب تتحزب علي ، ويجيئوننا من فوق ، تغدر اليهود ونخافهم من أسفل ، وانه يصيبهم جهد شديد ، ولكن تكون العاقبة لي عليهم ، فلما جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون : « ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » .

وكان قوم منهم لهم دور في أطراف المدينة ، فقالوا : يا رسول الله تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا ، فانها في أطراف المدينة وهي عورة ، ونخاف اليهود أن يغيروا عليها ، وقال قوم : هلموا فنهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب ، فان الذي

كان يعدنا محمد كان باطلاً ، وكان رسول الله ﷺ أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كله بالليل يحرسهم ، فان تحرك أحد من قريش نابذهم ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم ، فلا يزال الليل كله قائم وحده يصلي .

فاذا أصبح رجع إلى مركزه ، ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف يأتيه من يعرفه ، فيصلّي فيه وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشاب ، فلما رأى رسول الله ﷺ من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح ، وهو الجبل الذي عليه مسجد الفتح اليوم ، فدعا الله وناجاه فيما وعده وقال : « يا صريح المكر وبين يا مجيب المضطرين ويا كاشف الكرب العظيم ، أنت مولاي ووليتي وولي آبائي الادلين ، اكشف عنا غمنا وهمنا و كربنا و اكشف عنا كرب هؤلاء القوم بقوتك وحولك وقدرتك » فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد ان الله قد سمع مقاتلك وأجاب دعوتك وامر الدبور مع الملائكة أن تهزم قريشاً والاحزاب ، وبعث الله على قريش الدبور فانهمزوا وقلعت أخبيتهم ، و نزل جبرئيل ، فأخبره بذلك فنادى رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وكان قريباً منه فلم يجبه ثم ناداه ثانياً فلم يجبه ثم ناداه ثالثاً فقال :

لبيك يا رسول الله ، فقال أدعوك فلا تجيبني؟ قال : يا رسول الله بأبي أنت و امي من الخوف والبرد والجوع ، فقال : ادخل في القوم وأنتى بأخبارهم ، ولا تحدثن حدثاً حتى ترجع إلي فإن الله قد أخبرني انه قد أرسل الرياح على قريش وهزمهم ، قال حذيفة : فمضيت وأنا أنتفض من البرد ، فوالله ما كان إلا بقدر ما جرت الخندق حتى كأني في حمام فقصدت خباء عظيماً ، فاذا نارتخبو وتوقد ، وإذا خيمة فيها أبوسفیان قد دلا خصيته على النار وهو ينتفض من شدة البرد ويقول : يا معشر قريش ان كنا نقاتل أهل السماء بزعم محمد فلا طاقة لنا بأهل السماء ، وإن كنا نقاتل أهل الارض ، فنقدر عليهم ، ثم قال : لينظر كل رجل منكم إلى جليسه لا

يكون لمحمد عين فيما بيننا ، قال حذيفة : فبادرت أنا فقلت للذي عن يميني من أنت ؟ قال : أنا عمرو بن العاص ، ثم قلت للذي عن يساري : من أنت ؟ قال : أنا معاوية ، وإنما بادرت إلى ذلك لئلا يسئلني أحد من أنت ، ثم ركب أبو سفيان راحلته وهي معقولة ، ولولا أن رسول الله ﷺ قال : لا تحدث حدثاً حتى ترجع إلي لقدرت أن أقتله ، ثم قال أبو سفيان لخالد بن الوليد : يا باسليمان لا بد من أن أقيم أنا و أنت على ضعفاء الناس ، ثم قال : إرتحلوا - انا مرتحلون ، ففرّوا منهزمين فلما أصبح رسول الله ﷺ قال لأصحابه : لا تبرحوا ، فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة ، و بقي رسول الله ﷺ في نفر يسير ، وكان ابن عرقة الكنانى رمى سعد بن معاذ رحمه الله بسهم فى الخندق ، فقطع أ كحله ، فنزفه الدم فقبض سعد على أ كحله بيده ثم قال : « اللهم إن كنت أبقيت من حرب (حزب خ) قريش شيئاً فأبقنى لها ، فلا أحد أحب إلى محاربتهم من قوم حاربوا (حادوا خ) الله و رسوله ، و إن كانت الحرب قد وضعت أو زارها بين رسول الله ﷺ وبين قريش ، فاجعلها لى شهادة ، ولا تمنى حتى تقر عينى من بنى قريظة » . فأمسك الدم و تورمت يده ، فضرب له رسول الله ﷺ فى المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه ، فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً إذ جاؤكم من فوقكم و من أسفل منكم » بنى قريظة حين غدروا و خافوهم أصحاب رسول الله ﷺ : « و إذا زاغت الابصار و بلغت القلوب الحناجر - إلى قوله - إن يريدون إلا فراراً » و هم الذين قالوا لرسول الله ﷺ : تأذن لنا نرجع إلى منازلنا فانها فى أطراف المدينة ، و نخاف اليهود عليها ، فأنزل الله فيهم : « إن بيوتنا عورة و ما هى بعمرة إن يريدون إلا فراراً - إلى قوله - و كان ذلك على الله يسيراً » و نزلت هذه الآية فى الثانى لما قال لعبدالرحمن بن عوف : هلم ندفع محمداً إلى قريش ، و نلحق نحن بقومنا « يحسبون الاحزاب لم يذهبوا »

إلى قوله « و ذكر الله كثيراً » ثم وصف الله المؤمنين المصدقين بما أخبرهم رسول الله ما يصيبهم في الخندق من الجهد، فقال: « ولما رأى المؤمنون الأحزاب - إلى قوله - وما زادهم إلا إيماناً » يعنى ذلك البلاء والجهد والخوف إلا إيماناً و تسليماً .

أقول: و نحن نشير إلى مواضع جاءت في (الامتاع) للمقريزي لم تجيء فيما قدمناه من تفسير القمي :

منها: « و خرجت يهود إلى غطفان ، و جعلت لهم ثمر خيبر سنة ان هم نصر وهم ، و تجهزت قريش و أتت يهود بنى سليم ، فوعدوهم السير معهم ، و لم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينه بن حصن الفزاري ، و خرجت قريش و من تبعها من أحابيشها في أربعة آلاف و عقدوا اللواء في دار الندوة ، حمله عثمان بن طلحة بن أبي طلحة و قادوا معهم ثلاثمائة فرس و كان معهم ألف بعير و خمسمائة بعير ، و لاقتهم سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس أبو الاعور السلمى الذى كان مع معاوية بن أبي سفيان بصفين ، و كان أبو سفيان بن حرب قائد قريش ، و خرجت بنو أسد و قائدها طليحة بن خويلد الاسدى ، و خرجت بنو فزارة في ألف يقودهم عيينة بن حصن ، و خرجت أشجع في أربعمائة يقودهم مسعود بن ربيعة ، و خرجت بنو مرة في أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف بن أبي حارثة .

و قيل : لم يحضر بنو مرة ، و كانوا جميعاً عشرة آلاف ، و أقبلت قريش في أحابيشها و من تبعها من بنى كنانة ، حتى نزلت وادى العقيق ، و نزلت غطفان بجانب أحد و معها ثلاثمائة فرس ، فسرحت قريش ركابها في عشاء وادى العقيق ، و لم تجد لخييلها هناك شيئاً إلا ما حملت من علفها وهو الذرة ، و سرحت غطفان إبليها إلى الغابة في اثلها و طرفائها ، و كان الناس قد حصدوا زرعهم قبل ذلك بشهر ، و ادخلوا حصادهم و أتبانهم ، و كادت خيل غطفان و إبليها تهلك من الهزال ،

و كانت المدينة إذ ذاك جديدة .

ومنها : و كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف ، و زعم ابن اسحق انه إنما كان في سبعمائة و هذا غلط ، و قال ابن حزم : و خرج رسول الله ﷺ يعنى فى الخندق فى ثلاثة آلاف ...

و قد قيل : فى سبعمائة فقط وهو الصحيح الذى لا شك فيه ، والاول وهم .
ومنها : و كان المشركون يتناوبون بينهم فيغدوا أبوسفیان بن حرب فى أصحابه يوماً ، و خالد بن الوليد يوماً ، و يغدو عمرو بن العاص يوماً ، و هبيرة بن أبى وهب يوماً ، و عكرمة بن أبى جهل يوماً ، و ضرار بن الخطاب الفهري يوماً ، فلا يزالون يجيلون خيلهم و يتفرقون مرة ، و يجتمعون مرة اخرى ، و يناوشون المسلمين و يقدمون رماتهم فيرمون ، و إذا أبوسفیان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق ، فرماهم المسلمون حتى رجعوا و كان عباد بن بشر الزم الناس لقبه رسول الله ﷺ يحرسها ، و كان أسيد بن حضير يحرس فى جماعة ، فإذا عمرو بن العاص فى نحو المائة يريدون العبور من الخندق ، فرماهم حتى ولّوا ، و كان المسلمون يتناوبون الحراسة و كانوا فى قر شديد و جوع ، و كان عمرو بن العاص و خالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرة و مضيقاً من الخندق يقتحمانه ، فكانت للمسلمين معهما وقائع فى تلك الليالي .

ومنها : و بعث بنو حارثة بأوس بن قيطى بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة الانصارى إلى رسول الله ﷺ يقولون : ان بيوتنا عودة و ليس دار من دور الانصار مثل دارنا ، ليس بيننا و بين غطفان أحد يردهم عنا ، فأذن لنا ، فلنرجع إلى دورنا فنمنع ذرارينا و نساءنا ، فأذن لهم ﷺ فبلغ سعد بن معاذ ذلك ، فقال : يا رسول الله لا تأذن لهم انا و الله ما أصابنا و إياهم شدة قط إلا صنعوا هكذا فردهم .

ومنها : و أقام عمرو بن العاص و خالد بن الوليد فى مأتى فارس جريدة ،

ثم ذهب حذيفة إلى غطفان ، فوجدهم قد ارتحلوا فاخبر النبي ﷺ بذلك ، فلما كان السحر لحق عمرو و خالد بقريش ، و لحقت كل قبيلة بمحلتها ، وأصبح رسول الله ﷺ بعد رحيل الاحزاب ، فاذن للمسلمين فى الانصراف فلتحقوا بمنازلتهم .

و فى الارشاد للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه : وكانت غزاة الاحزاب بعد بنى النضير : وذلك ان جماعة من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النضيرى وحى بن أخطب و كنانة بن الربيع و هودة بن قيس الوالى و أبو عمارة الوالى فى نفر من بنى والبة خرجوا حتى قدموا مكة ! فصاروا إلى أبى سفيان صخر بن حرب لعلمهم بعداوتة لرسول الله ﷺ ، و تسرعه إلى قتاله ، فذكروا له ما نالهم منه و سئلوه المعونة لهم على قتاله ، فقال لهم أبو سفيان : أنالكم حيث تحببون فاخرجوا إلى قريش فادعوهم إلى حربهم و ضمنوا النصر لهم و الثبوت معهم حتى تستأصلوه ، فظافوا على وجوه قريش ، و دعوهم إلى حرب النبي ﷺ و قالوا لهم : أيدينا مع أيديكم و نحن معكم حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر اليهود أنتم أهل الكتاب الاول و العلم السابق ، و قد عرفتم الدين الذى جاء به محمد ﷺ و ما نحن عليه من الدين ، فديننا خير من دينه أم هو أولى بالحق منا ، فقالوا لهم : بل دينكم خير من دينه ، فنشطت قريش لما دعوهم إليه من حرب رسول الله ﷺ .

و جاءهم أبو سفيان فقال لهم : قد مكنتكم الله من عدوكم ، و هذه اليهود تقاتله معكم و لم تنفك عنكم حتى يؤتى على جميعها أو تستأصله و من اتبعه ، فقويت عزائمهم إذذاك فى حرب النبي ﷺ ثم خرج اليهود حتى جاؤا غطفان و قيس عيلان فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ و ضمنوا لهم النصر و المعونة و أخبروهم باتباع قريش لهم على ذلك ، و اجتمعوا معهم ، و خرجت قريش و قائدها إذذاك أبو سفيان صخر بن حرب ، و خرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن

فى بنى فزارة و الحرب بن عوف فى بنى مرة و وبرة بن طريف فى قومه من أشجع و اجتمعت قريش معهم ، فلما سمع رسول الله ﷺ باجتماع الاحزاب عليه ، وقوة عزيمتهم فى حربه إستشار أصحابه ؟ فأجمع رأيهم على المقام بالمدينة و حرب القوم إن جاؤا إليهم على انقابها .

فأشار سلمان رحمة الله على رسول الله ﷺ بالخذق ، فأمر بحفره و عمل فيه بنفسه و عمل فيه المسلمون ، و أقبلت الاحزاب إلى رسول الله ﷺ فهال المسلمون أمرهم و ارتاعوا من كثرتهم و جمعهم ، فنزلوا ناحية من الخندق و أقاموا بمكانهم بضعاً و عشرين ليلة لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل و الحصى ، فلما رأى رسول الله ﷺ ضعف قلوب أكثر المسلمين من حصارهم لهم و وهنهم فى حربهم ، بعث إلى عيينة بن حصن و الحرث بن عوف و هما قائدا غطفان يدعوهم إلى صلحه و الكف عنه و الرجوع بقومهما عن حربه على أن يعطيهم ثلث ثمار المدينة ، و استشار سعد بن معاذ و سعد بن عبادة فيما بعث به إلى عيينة و الحرث ؟ فقالا : يا رسول الله إن كان هذا الامر لا بدلنا من العمل به لان الله أمرك فيه بما صنعت و الوحي جاءك به فافعل ما بدالك و إن كنت تختار أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأى .

فقال عليه و آله السلام : لم يأتني وحي به ، ولكنى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، و جاؤكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرما ، فقال سعد ابن معاذ : قد كنا نحن و هؤلاء القوم على الشرك بالله و عبادة الاوثان لا نعرف الله ولا نعبده و نحن لانطعمهم من ثمرنا إلا قري أو بيعاً و الآن حين أكرمنا الله بالاسلام و هدانا به و أعز نابتك نعطيهم أموالنا؟ ما بنا إلى هذا من حاجة ، و الله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم ، فقال رسول الله ﷺ : الآن قد عرفت ما عندكم فكونوا على ما أتمت عليه ، فان الله تعالى لن يخذل نبيه ولن يسلمه حتى ينجزله ما وعده ، ثم قام رسول الله

ﷺ في المسلمين يدعوهم إلى جهاد العدو ويشجعهم ويعددهم النصر من الله تعالى .
 فانتدبت فوارس من قريش للبراز منهم : عمرو بن عبدود بن أبي قيس
 بن عامر ابن لوى بن غالب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميان ،
 وضرار بن الخطاب ، و مرداس الفهرى ، فلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم ،
 حتى مروا بمنازل بنى كنانة ، فقالوا : تهيأوا يا بنى كنانة للحرب ثم اقبلوا
 تغنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما تأملوه قالوا : والله ان هذه مكيدة
 ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكاناً من الخندق فيه ضيق ، فضربوا خيلهم
 فاقتحمته و جاءت بهم فى السبخة بين الخندق و سليح ، و خرج أمير المؤمنين
 على النبي ﷺ فى نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التى إقتحموها ،
 فتقدم عمرو بن عبدود الجماعة الذين خرجوا معه وقد أعلم ليرى مكانه ، فلما
 رأى المسلمين وقف هو والخيل التى معه ، وقال : هل من مبارز ؟ فبرز إليه أمير
 المؤمنين ﷺ فقال له عمرو : ارجع يا بن الاخ فما احب أن اقتلك ، فقال له
 أمير المؤمنين ﷺ : قد كنت يا عمرو عاهدت الله أن لا يدعوك رجل من قريش
 إلى إحدى خصلتين إلا اخترتها منه ، قال : أجل ، فما ذاك ؟ قال : انى أدعوك
 إلى الله و رسوله والاسلام قال : لاحاجة لى إلى ذلك قال : فانى أدعوك إلى النزال ،
 فقال : ارجع فقد كان بينى وبين أبىك خلّة ، و ما احب أن أقتلك فقال له أمير
 المؤمنين ﷺ لكننى والله احب أن أقتلك ما دمت آيياً للحق .

فحمى عمرو - أى غضب و اشتد غضبه - عند ذلك وقال : أتقتلنى ؟ و نزل
 عن فرسه فعفره و ضرب وجهه حتى نفر ، و أقبل على على النبي ﷺ مصلتماً سيفه و
 بدره بالسيف ، فنشب سيفه فى ترس على النبي ﷺ فضربه أمير المؤمنين ضربة فقتله ،
 فلما رأى عكرمة بن أبي جهل ، و هبيرة بن أبي وهب ، و ضرار بن الخطاب عمرواً
 صريعاً دلتوا بخيلهم منهزمين حتى إقتحموا الخندق لايلون إلى شىء ، وانصرف
 أمير المؤمنين ﷺ إلى مقامه الاول ، و قد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه

إلى الخندق تطير جزعاً و يقول :

و نصرت رب محمد بصواب

نصر الحجارة من سفاهة رأيه

كالجذع بين دكادك و روابي

فرضته و نركته متجداً لاً

كنت المقطر بزني أنوابي

و عفتت عن أنوابه و لو انني

و نبيته يا معشر الاحزاب

لا تحسبن الله خاذل دينه

و في السيرة النبوية لابن هشام - على طريق الاختصار منا - كانت غزوة

الخندق في شوال سنة خمس ، انه كان من حديث الخندق ان نفراً من اليهود ،

منهم : سلام ابن أبي الحقيق النضري وحيى بن أخطب النضري ، و كنانة ابن

أبي الحقيق النضري (و كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري خ) و هوزة

بن قيس الوائلي ، و أبو عمّار الوائلي في نفر من بني النضير و نفر من بني وائل ،

وهم الذين حزّبوا الاحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش

مكة ، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى

نستأصله فقالت لهم قريش : يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما

أصبحنا نختلف فيه نحن و محمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير

من دينه ، و أنتم أولى بالحق منه ، فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : « ألم تر إلى

الذين اتوا نصيباً من الكتاب - و كفى بجهنم سعيراً » النساء : ٥١ - ٥٥ .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرّهم ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول

الله ﷺ فاجتمعوا لذلك و اتعدوا له ، ثم خرج اولئك النفر من يهود ، حتى

جاؤا غطفان من قيس عيلان ، فدعواهم إلى حرب رسول الله ﷺ و أخبروهم

انهم سيكونون معهم عليه ، وان قريشاً قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه ،

فخرجت قريش و قائدها أبوسفيان بن حرب ، و خرجت غطفان و قائدها عيينة

بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف ابن أبي حارثة

المرّي في بني مرة ، و مسعر بن ربيعة بن نويرة بن طريف ابن سحمة بن

عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ و ما أجمعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله ﷺ ترغيباً للمسلمين في الأجر ، و عمل معه المسلمون فيه فدأب فيه و دأبوا و أبطأ عن رسول الله ﷺ و عن المسلمين في عملهم ذلك رجال من المنافقين ، و جعلوا يورون - يستترون - بالضعيف من العمل ، و يتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله ﷺ و لا إذن ، و جعل الرجل من المسلمين إذا نأبته النائبة من الحاجة التي لا بد له منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ و يستأذنه في اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة في الخير و إحساساً له .

فأنزل الله تعالى في أولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله و إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنه ان الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم ان الله غفور رحيم » فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة في الخير والطاعة لله و لرسوله ﷺ . ثم قال تعالى يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، و يذهبون بغير إذن من النبي ﷺ : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لو إذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

و عمل المسلمون فيه حتى احكموه و ارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له : جعيل سمّاه رسول الله ﷺ عمراً فقالوا :

سمّاه من بعد جعيل عمراً و كان للبايس يوماً ظهرأ

الظهر : القوة والمعونة . فإذا مرّوا بعمر و قال رسول الله ﷺ : عمراً ،

و إذا مرّوا بظهر قال رسول الله ﷺ : ظهر آ .

و كان في حفر الخندق أحاديث فيها من الله تعالى عبرة في تصديق رسول الله ﷺ و تحقيق نبوته عاين ذلك المسلمون ، قال جابر بن عبد الله اشتدت عليهم في بعض الخندق كدية ، فشكوها إلى رسول الله ﷺ فدعا باناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعو به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ، فيقول من حضرها : فوالذي بعثه بالحق نبياً لانها لت - أي تفتتت - حتى عادت كالكتيب لا تردّ فأساً و لا مسحاة .

قال سلمان الفارسي : ضربت في ناحية من الخندق ، فغلظت على صخرة ، و رسول الله ﷺ قريب مني ، فلما رأني أضرب و رأى شدة المكان عليّ ، نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة سمعت تحت المعول برقة ، قال : ثم ضرب به ضربة اخرى فلمعت تحته برقة اخرى ، قال : ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة اخرى قال : قلت : بأبي أنت و أمي يا رسول الله ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول و أنت تضرب ؟ قال : أو قد رايت ذلك يا سلمان ؟ قال : قلت : نعم ، قال : أما الاولى فان الله فتح عليّ بها اليمن ، و أما الثانية فان الله فتح عليّ بها الشام و المغرب ، و أما الثالثة فان الله فتح عليّ بها المشرق .

قال ابن اسحق : و لما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجروف و زغابة - وهي اسم موضع - في عشرة آلاف من أحابيشهم و من تبعهم من بني كنانة و أهل تهامة ، و أقبلت غطفان و من تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نغمي إلى جانب أحد ، و خرج رسول الله ﷺ و المسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع - جبل بالمدينة - في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنا لك عسكره و الخندق بينه ﷺ و بين القوم . قال ابن هشام : و استعمل على المدينة ابن أم مكتوم . و قال ابن اسحق : و أمر بالذراري و النساء فجعلوا في الآطام - أي الحصون - و خرج عدو الله حبي

بن أخطب النضرى حتى أتى كعب بن أسد القرظى، صاحب عقد بنى قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاقده على ذلك وعاهده، فلما سمع كعب يحيى بن أخطب أغلق دونه باب حصنه، فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه يحيى :

و يحك يا كعب إفتح لى ، قال : و يحك يا يحيى أنك امرؤ مشؤوم ، و انى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى و بينه ، و لم أرمنه إلا و فاء و صدقاً ، قال : و يحك إفتح لى اكلمك قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن أغلقت دونى إلا عن جشيشتك - الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش و هو البريطحن غليظاً - أن آكل معاك منها ، فأحفظ الرجل - أى أغضبه - ففتح له ، فقال : و يحك يا كعب جئتك بعز الدهر و ببحر طام - أى مرتفع و يريد كثرة الرجال - جئتك بقريش على قادتها و ساداتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، و بغطفان على قادتها و ساداتها حتى أنزلتهم بذنب نقى إلى جانب احد ، قد عاهدونى و عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً و من معه قال :

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر و بجهام - أى سحاب رقيق لاماء فيه - قد هراق ماءه فهو يرعد و يبرق ، ليس فيه شىء ، و يحك يا يحيى فدعنى و ما أنا عليه ، فانى لم أر من محمد إلا صدقاً و وفاء فلم يزل يحيى بكعب يقتله فى الذروة والغارب حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من الله و ميثاقاً : لئن رجعت قريش و غطفان و لم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك ، فنقض كعب بن أسد عهده و برىء مما كان بينه و بين رسول الله ﷺ . فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر و إلى المسلمين بعث رسول الله ﷺ

سعد بن معاذ بن النعمان و هو يومئذ سيد الاوس و سعد بن عباد بن دليم أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج و هو يومئذ سيد الخزرج ، و معهما عبد الله بن رواحة أخو بنى الحارث ابن الخزرج و خوات بن جبير أخو بنى عمرو بن

عوف ، فقال : انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فان كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه ، و لا تفتوا في أعضاء الناس ، و إن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم ، فاجهروا به للناس قال : فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم فيما نالوا من رسول الله ﷺ و قالوا : من رسول الله ؟ لا عهد بيننا و بين محمد و لا عقد ، فشاتمهم سعد بن معاذ و شاتموه و كان رجلاً فيه حدة ، فقال له سعد بن عباد : دع عنك مشاتمهم فما بيننا و بينهم أربى - أى أعظم - من المشامة ثم أقبل سعد و سعد و من معهما إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه ثم قالوا : عضل و القارة أى كعدر عضل و القارة بأصحاب الرجيع خبيب و أصحابه ، فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين .

و عظم عند ذلك البلاء و اشتد الخوف و أتاهم عدوهم من فوقهم و من أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن و نجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كل كنوز كسرى و قيصر ، و أحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، و حتى قال أوس بن قيطي أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله ان بيوتنا عودة من العدو ، و ذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذن لنا أن نخرج ، فترجع إلى دارنا ، فانها خارج من المدينة ، فأقام رسول الله ﷺ و أقام عليه المشركون بضعا و عشرين ليلة ، قريبا من شهر لم تكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل و الحصار .

فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله ﷺ إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، و إلى الحارث بن عوف ابن أبي حارثة المرى و هما قائد اغطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه و عن أصحابه ، فجرى بينه و بينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب و لم تقع الشهادة و لا عزيمة الصلح إلا المراضة في ذلك ، فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ و سعد بن عباد فذكر ذلك لهما ، و استشارهما فيه ، فقالا له : يا رسول الله أمراً

تحتبه فنصنعه ، أم شيئاً أمرك الله به لا بدلنا من العمل به ؟ أم شيئاً تصنعه لنا ؟ قال : بل شيء أصنعه لكم .

والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قدر متكم عن قوس واحدة و كالبوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمرنا ، فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لانعبد الله و لانعرفه ، و هم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قرى أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالاسلام و هدايا له و أعزنا بك و به نعطيهم أموالنا ! والله مالنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا و بينهم ، قال رسول الله ﷺ : فأنت و ذاك فتنازل سعد بن معاذ الصحيفة ، فمضى ما فيها من الكتاب ثم قال : ليجهدوا علينا .

قال ابن اسحق : فأقام رسول الله ﷺ و المسلمون وعدوهم محاصروهم و لم يكن بينهم قتال ، إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبى قيس أخو بنى عامر بن لوى ، و عكرمة بن أبى جهل ، و هبيرة بن أبى وهب المخزوميان ، و ضرار بن الخطاب الشاعر بن مرداس أخو بنى محارب بن فهر تلبسوا للقتال ثم خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بنى كنانة فقالوا : تهيسوا يا بنى كنانة للحرب ، فستعلمون من الفرسان اليوم ، ثم أقبلوا تعنق - أى تسرع - بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلما رأوه قالوا : والله هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها .

ثم تيمموا مكاناً ضيقاً من الخندق ، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه ، فجالت بهم فى السبخة بين الخندق و سلع ، و خرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين ، حتى أخذوا عليهم الثغرة - أى الثلثة التى كانت هناك فى الخندق - التى أقحموا منها خيلهم و أقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة ، فلم يشهد يوم أحد ، فلما كان يوم الخندق

خرج معلماً - وهو علامة يعرف بها - ليرى مكانه ، فلما وقف هو وخيله ، قال : من يبارز؟ فبرز له علي بن أبي طالب ، فقال له : يا عمرو انك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ، قال له علي : فاني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الاسلام ، قال : لا حاجة لى بذلك ، قال : فاني أدعوك إلى النزال ، فقال له : لم يابن أخى؟ فوالله ما احب أن أقتلك ، قال له علي : لكنى والله احب أن اقتلك فحمى عمرو - اشتد غضبه - عند ذلك ، فافتحم عن فرسه فعقره و ضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فتنازلا و تجا ولا ، فقتله علي رضى الله عنه ، و خرجت خيلهم منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو .

وقال في ذلك حسان ابن ثابت :

| | |
|------------------------|---------------------------|
| فر وألقى لنا رمحه | لعلك عكرم لم تفعل |
| ووليت تعد و كعد والظ | لميم ما إن تجور عن المعدل |
| و لم تلق ظهره مستأنساً | كأن ففاك قفا فرعل . |

وكان شعار أصحاب رسول الله ﷺ يوم الخندق وبنى قريظة : « حم - لا ينصرون » حتى أتى نعيم بن مسعود بن عامر رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله انى قد أسلمت ، وان قومي لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا - أى ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضاً - إن استطعت ، فان الحرب خدعة ، فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة ، وكان لهم نديماً فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : ان قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناءكم ونساءكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره ، وان قريشاً وغطفان قد جاؤا لحرب محمد

وأصحابه ، وقد ظاهر تموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم بغيره فليسوا كأنتم فان رأوا نهزة - أى إختلاصاً - أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلصوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولإطاقة لكم به إن خلابكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمداً حتى تناجزوه ، فقالوا له : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمداً ، وانه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن ابلغكموه نصحاً لكم ، فاكتبوا عنى ، فقالوا : نفعل ، قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : انا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذلك من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم ، فان بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان فقال : يا معشر غطفان ! انكم أصلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تهتمونى ، قالوا : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، قال : فاكتبوا عنى ، قالوا : نفعل فما أمرك ؟ ثم قال لهم : مثل ما قال لتريش وحذرهم ما حذرهم .

فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، و كان من صنع الله لرسوله ﷺ أن ارسل أبو سفيان بن حرب ورؤس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : انا لسنا بدار مقام قد هلك الخسف (أى الابل) والحافر (أى الخيل) فاعدوا للقتال حتى نناجز محمداً ، و نفرغ مما بيننا وبينه ، فأرسلوا إليهم : ان اليوم يوم السبت ، وهو يوم لانعمل فيه شيئاً ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثاً ، فأصابه مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ، حتى

فناجز محمداً، فانا نخشى إن ضرتكم - أى نالت منكم كما يصيبنا الأضرار بأضرارها - الحرب وإشتمد عليكم القتال أن تنشعروا - أى أن تنقبضوا وتسرعوا - إلى بلادكم وتتركونا والرجل فى بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه، فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان :

والله ان الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحقّ، فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لاندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة، حين إنتهت الرسل إليهم بهذا: ان الذى ذكر لكم نعيم ابن مسعود لحقّ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فان رأوا فرصة انتهبوها، وإن كان غير ذلك انشعروا إلى بلادهم و خلّوا بينكم و بين الرجل فى بلدكم، فأرسلوا إلى قريش و غطفان: انا والله لا نقاتل معكم محمداً حتى تعطونا رهناً فأبوا عليهم، و خذّل الله بينهم، و بعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفاً - أى تميل و تقلّب - قدورهم و تطرح أبنيتهم.

و فى الجامع لاحكام القرآن: و كان الخندق أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله ﷺ و هو يومئذ حرّ. ثم قال: و كان من فرغ من المسلمين من حصته عاد إلى غيره حتى كمل الخندق. فالمسلمون يد على من سواهم.

﴿ صخرة بيضاء في بطن الخندق ﴾

و قد وردت في المقام روايات كثيرة عن الطريقين نشير إلى نبذة منها حفظاً لما فيها من النكات واللطائف ...

في تفسير الطبري : عن عمرو بن عوف المزني قال: خط رسول الله ﷺ الخندق عام ذكرت الاحزاب من أجم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد ثم جعل أربعين ذراعاً بين كل عشرة (أى قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً) فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي، وكان رجلاً قوياً ، فقال الانصار: سلمان منا ، و قال المهاجرون : سلمان منا ، فقال النبي ﷺ : سلمان منا أهل البيت .

قال عمرو بن عوف : فكنت أنا و سلمان و حذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرن المزني وستة من الانصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ٣ دوابر حتى بلغنا الصربي ، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة (مدورة خ) فكسرت حديدنا و شقت علينا ، فقلنا : يا سلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر هذه الصخرة ، فاما أن نعدل عنها فان المعدل قريب ، وإما أن يأمرنا فيها بأمره ، فانا لانحب أن نجاوز خطه ، فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية ، فقال : يا رسول الله بأبينا أنت و امننا ، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق مروة (مدورة خ) فكسرت حديدنا و شقت علينا حتى ما يجيء منها (حتى ما يحيك فيها خ) و لا كثير ، فمرنا فيها بأمرك فانا لا نحب أن

نجاوز خطك .

فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق و رقينا نحن التسعة على شفة الخندق ، فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان ، ف ضرب الصخرة ضربة صدعها و برقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها يعني لابتى المدينة حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح ، و كبّر المسلمون ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية فصدعها و برقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح و كبّر المسلمون ، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها و برقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح .

ثم أخذ بيد سلمان فرقى فقال سلمان : بأبي أنت و أمي يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيت قط ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله بأبينا أنت و أمنا ، قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالعوج ، فرأيناك تكبّر فنكبّر و لانرى شيئاً غير ذلك ، قال : صدقتم ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذي رأيتم أضاء لي منه قصور الحيرة و مدائن كسرى (و مدائن و كسرى خ) كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبرائيل عليه السلام : ان امتي ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم أضاء لي منه قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، و أخبرني جبرائيل عليه السلام : ان امتي ظاهرة عليها .

ثم ضربت ضربتي الثالثة ، و برق منها الذي رأيتم أضاء لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، و أخبرني جبرائيل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها ، فابشروا يبلغهم النصر ، و أبشروا يبلغهم النصر ، فاستبشروا المسلمون و قالوا : الحمد لله موعود صدق بان وعدنا النصر بعد الحصر (بعد

الحفر خ) ، فطبقت الاحزاب ، فقال المسلمون : هذا ما وعدنا الله ورسوله . .
 الآية وقال المنافقون : ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل يخبركم
 انه يبصر من يثرب قصور الحيرة و مدائن كسرى (و مدائن و كسرى) وانها
 تفتح لكم ، و أنتم تحفرون الخندق من الفرق ، ولا تستطيعون أن تبرزوا وأنزل
 القرآن : « و اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله
 الا غروراً » رواه الثعلبي في تفسيره والطبرسي في المجمع والفخر في تفسيره
 والآلوسی في روح المعاني والمبيدي في كشف الاسرار والمجلسي في البحار ،
 والقاسمي في محاسن التأويل وغيرهم .

قوله : « مررة » : حجارة صلبة تعرف بالصوان ، و « يحيك » حاك فيه السيف
 و أحاك بمعنى ، يقال : ضربه فما أحاك فيه السيف : اذا لم يعمل . و « من الفرق » :
 من الخوف .

وفي الخرائج : روى عن جابر قال : لما اجتمعت الاحزاب من العرب
 لحرب الخندق واستشار النبي ﷺ المهاجرين والانصار في ذلك ، فقال سلمان :
 ان المعجم اذا حزبه أمر مثل هذا اتخذوا الخنادق حول بلعانهم ، وجعلوا القتال
 من وجه واحد ، فأوحى الله إليه أن يفعل مثل ما قال سلمان ، فخط رسول الله
 ﷺ الخندق حول المدينة ، وقسمه بين المهاجرين والانصار بالذراع ، فجعل
 لكل عشرة منهم عشرة أذرع ، قال جابر : فظهرت يوماً من الخط لنا صخرة عظيمة
 لم يمكن كسرها ، ولا كانت المعاول تعمل فيها ، فأرسلني أصحابي إلى رسول
 الله ﷺ لاخبره بخبرها ، فصرت إليه فوجدته مستلقياً وقد شد على بطنه الحجر ،
 فأخبرته بخبر الحجر ، فقام مسرعاً فأخذ الماء في فمه فرشه على الصخرة ، ثم
 ضرب المعول بيده وسط الصخرة ضربة برقت منها برقة فنظر المسلمون فيها إلى
 قصور اليمن و بلدانها .

ثم ضربها ضربة اخرى فبرقت برقة اخرى ، فنظر المسلمون فيها إلى قصور

العراق و فارس و مدنها ، ثم ضربها الثالثة ، فانهارت الصخرة قطعاً ، فقال رسول الله ﷺ ما السذى رأيتم فى كل برقة ؟ قالوا : رأينا فى الاولى كذا ، و فى الثانية كذا ، و فى الثالثة كذا قال : سيفتح الله عليكم ما رأيتموه ، قال جابر : و كان فى منزلى صاع من شعير و شاة مشدودة ، فصرت إلى أهلى ، فقلت : رأيت الحجر على بطن رسول الله ﷺ و أظنه جائعاً ، فلو أصلحنا هذا الشعير ، و هذه الشاة و دعونا رسول الله ﷺ إلينا كان لنا قربة عند الله ، قالت : فاذهب فأعلمه ، فان أذن فعلناه ، فذهبت فقلت له :

يا رسول الله إن رأيت أن تجعل غداك اليوم عندنا ، قال : و ما عندك ؟ قلت : صاع من الشعير و شاة ، قال : أفأصير إليك مع من أحب أو أنا وحدى ؟ قال : فكرهت أن أقول : أنت وحدى قلت : بل مع من تحب و ظننته يريد علياً عليه السلام بذلك ، فرجعت إلى أهلى ، فقلت : أصلحى أنت الشعير و أصلح (أسلخ خ) الشاة ففرغنا من ذلك ، و جعلنا الشاة كلها قطعاً فى قدر واحدة و ماءً و ملحاً ، و خبزت أهلى ذلك الدقيق ، فصرت إليه و قلت : يا رسول الله قد أصلحنا ذلك فوقف على شفير الخندق و نادى بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أجيئوا دعوة جابر ، فخرج جميع المهاجرين و الانصار ، فخرج النبى ﷺ و الناس خلفه ، و لم يكن يمر بملأ من أهل المدينة إلا قال :

أجيئوا دعوة جابر فأسرعت إلى أهلى ، و قلت : قد أتانا ما لا قبل لنا به ، و عرفتها خبر الجماعة ، فقالت : ألسنت قد عرفت رسول الله ما عندنا ؟ ! قلت : بلى ، قالت : فلا عليك هو أعلم بما يفعل ، فكانت أهلى أفقه منى ، فأمر رسول الله ﷺ الناس بالجلوس خارج الدار ، و دخل هو و على الدار ، فنظر فى التننور و الخبز فيه ، فتفل فيه و كشف القدر فنظر فيها ، ثم قال للمرأة : اقلعى من التننور رغيفاً رغيفاً ، و نادىنى واحداً بعد واحد ، فجعلت تطلع رغيفاً و تناوله إياه وهو و على يتردان فى الجفنة ، ثم تعود المرأة إلى التننور فتجد مكان الرغيف

الذى قلعته (اقلعته خ) رغيفاً آخر، فلما امتلأت الجفنة بالثرید عرف عليها (عرف عليه خ) من القدر، وقال :

أدخل على عشرة من الناس، فدخلوا وأكلوا حتى شبعوا، ثم قال : يا جابر ايتنى بالذراع ثم قال : أدخل على عشرة، فدخلوا وأكلوا حتى شبعوا والثرید بحاله، ثم قال : هات الذراع فأتيته به، فقال : ادخل عشرة فأكلوا وشبعوا ثم قال : هات الذراع قلت : كم للشاة من ذراع ؟ قال : ذراعان، قلت : قد آتيت بثلاث أذرع قال : لو سكت لأكل الجميع من الذراع، فلم يزل يدخل عشرة، و يخرج عشرة حتى أكل الناس جميعاً ثم قال : تعال حتى نأكل نحن وأنت، فأكلت أنا ومحمد ﷺ وعلى عليه السلام وخرجنا والخبز في التنور بحاله (على حاله خ) والقدر على حالها والثرید في الجفنة على حاله، فعشنا أياماً بذلك. قوله : « اذا حز بها أمر » أى أصابها واشتد عليها . « فانهارت الصخرة » : انصدعت الصخرة و سقطت قطعاً .

وفي الخصال : باسناده عن البراء بن عازب قال : لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت له صخرة عظيمة شديدة فى عرض الخندق لا تأخذ منها المعاول، فجاء رسول الله ﷺ فلما رآها وضع ثوبه وأخذ المعول، و قال : « بسم الله » و ضرب ضربة فكسرت ثلثها و قال : « الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر قصورها الحمراء الساعة » ثم ضرب الثانية فقال : « بسم الله » ففلق ثلثاً آخر فقال : « الله أكبر اعطيت مفاتيح فارس والله انى لأبصر قصر المدائن الابيض » ثم ضرب الثالثة ففلق بقيّة الحجر و قال : « الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر أبواب الصنعاء مكانى هذا . »

و فى الجامع لاحكام القرآن : فروى النسائى عن أبى سكينه رجل من المحررين - أى المعتق من النار - عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال : لما أمر رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر،

فقام رسول الله ﷺ وأخذ المعول و وضع رداءه ناحية الخندق وقال: « وتمت
كلمة ربك صدقا » الآية فندر - أى سقط - ثلث الحجر و سلمان الفارسي قائم
ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة ثم ضرب الثانية و قال: « وتمت »
الآية فندر الثلث الاخر، فبرقت برقة فرآها سلمان ثم ضرب الثالثة، و قال:
« و تمت كلمة ربك صدقا » الآية فندر الثلث الباقي و خرج رسول الله ﷺ
فأخذ رداءه و جلس، قال سلمان: يا رسول الله رأيتك حين ضربت ما تضرب ضربة
الآن كانت معها برقة؟ قال له رسول الله ﷺ: رأيت ذلك يا سلمان؟ فقال:
اي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال: فاني حين ضربت الضربة الاولى
رفعت لي مدائن كسرى و ما حولها و مدائن كثيرة حتى رأيتها بعيني - قال له
من حضره من أصحابه: يا رسول الله ادع الله أن يفتحها علينا و يغنمنا ذراريهم
و يخرب بأيدينا بلادهم، فدعا رسول الله ﷺ ثم ضربت الضربة الثانية،
فرفعت لي مدائن قيصر و ما حولها حتى رأيتها بعيني - قالوا: يا رسول الله ادع
الله تعالى أن يفتحها علينا و يغنمنا ذراريهم و يخرب بأيدينا بلادهم، فدعا
رسول الله ﷺ - ثم ضربت الضربة الثالثة فرفعت لي مدائن الحبشة و ما حولها
من القرى حتى رأيتها بعيني - قال رسول الله ﷺ عند ذلك - دعوا الحبشة
ما و دعوكم و اتركوا الترك ما تركوكم .

﴿ الجوع و الاوجاز يوم الخندق ﴾

في عيون الاخبار : باسناده عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن آبائه عن علي عليه السلام قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة و معها كسرة من خبز فدفعتها إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما هذه الكسيرة ؟ قالت : قرص خبزته للحسن والحسين جئتكم منه بهذه الكسيرة فقال النبي صلى الله عليه وآله : أما انه أول طعام دخل فم أيك منذ ثلاث .

وفي الخرائج : روى ان عام الخندق أصاب أصحاب النبي صلى الله عليه وآله مجاعة لما حاصرهم المشركون فدعا بكف من تمر ، و أمر بثوب فبسط و ألقى ذلك التمر عليه ، و أمر منادياً ينادى في الناس : هلموا إلى الغداء فاجتمع أهل المدينة فأكلوا و صدروا و التمر تبض من أطراف الثوب . بض الماء : سال قليلاً قليلاً . وفي الامتاع : من دلائل النبوة و معجزات النبي صلى الله عليه وآله في هذه الغزة : ان المسلمين قد أصابهم مجاعة شديدة ، وكان أهلهم يبعثون إليهم بما قدروا عليه ، فادسلت عمرة ابنة رواحة ابنتها بجفنة تمر عجوة في ثوبها إلى زوجه بشر بن سعد بن ثعلبة الانصاري ، و إلى أخيها عبدالله بن رواحة ، فوجدت رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في أصحابه ، فقال : تعالي يا بنية ما هذا معك ؟ فأخبرته فأخذه في كفيه و نثره على ثوب بسطله ، و قال لجعل بن سراقه : اصرخ يا أهل الخندق هلم إلى الغداء فاجتمعوا عليه يأكلون منه حتى صدر أهل الخندق و انه ليفيض من أطراف الثوب . و ادسلت ام معتب الاشهلية بقعبة فيها حيس إلى رسول

الله ﷺ و هو في قبته مع ام سلمة ، فأكلت حاجتها ثم خرج بالقعبة فنادى مناديه : هلم إلى عشائه فأكل أهل الخندق حتى نهلوا وهي كما هي .
 وفي فروع الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أحدهما عليهما السلام في قول الله عزوجل : « احل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نساءكم » الآية فقال : نزلت في خوات بن جبير الانصاري وكان مع النبي ﷺ في الخندق وهو صائم ، فأمسى وهو على تلك الحال ، وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية اذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب فجاء خوات إلى أهله حين أمسى ، فقال : هل عندكم طعام ؟ فقالوا : لا (لانتم خ) حتى تصلح لك طعاماً ، فاتكأفنام ، فقالوا له : قد فعلت قال : نعم ، فبات على تلك الحال فاصبح ، ثم غدا إلى الخندق ، فجعل يغشى عليه فمر به رسول الله ﷺ فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره ، فأنزل الله عزوجل فيه الآية : « واكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر » .

و في الجامع لاحكام القرآن : عن أبي طلحة قال : شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوع ، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر ، فرفع رسول الله ﷺ عن حجرين .
 وفي السيرة النبوية لابن هشام : ان ابنة لبشير بن سعد اخت النعمان بن بشير قالت : دعنتني امي عمرة بنت رواحة فأعطتني جفنة من تمر في ثوبي ثم قالت : أي بنية اذهبي إلى أبيك و خالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ ر أنا ألتمس أبي و خالي ، فقال : تعالي يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يا رسول الله هذا تمر بعثتني به امي إلى أبي بشير بن سعد و خالي عبد الله بن رواحة يتغديا به ، قال : هاتيه ، قالت : فصبيته في كفّي رسول الله ﷺ فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لانسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : ان هلم إلى الغداء ، فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه و جعل يزيد حتى صدر

أهل الخندق عنه ، وانه ليسقط من أطراف الثوب .
 و فيه : عن جابر بن عبدالله قال : علمنا مع رسول الله ﷺ في الخندق ،
 فكانت عدى شوية غير جد سمينة - أى غير كاملة السمن - قال : فقلت : والله
 لو صنعناها لرسول الله ﷺ قال : فأمرت امرأتى فطحننت لنا شيئاً من شعير فصنعت
 لنا منه خبزاً ، و ذبحت تلك الشاة فشويناها لرسول الله ﷺ قال : فلما أمسينا
 وأراد رسول الله ﷺ الانصراف عن الخندق قال : و كنا نعمل فيه نهارنا فإذا
 أمسينا رجعنا إلى أهالينا ، قال : قلت : يا رسول الله انى قد صنعت لك شوية كانت
 عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز هذا الشعير فاحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، و
 انما اريد أن ينصرف معى رسول الله ﷺ وحده قال : فلما أن قلت له ذلك
 قال : نعم .

ثم أمر صارخاً فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله ﷺ إلى بيت جابر
 ابن عبدالله ، قال : قلت : انا لله و انا إليه راجعون ، قال : فأقبل رسول الله ﷺ
 وأقبل الناس معه ، قال : فجلس وأخرجناها إليه ، قال فبرك و سمي الله ثم أكل ،
 وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها .
وفى الخرائج : روى ان بنت عبدالله بن رواحة الانصارى مرتت به أيام
 حفرهم الخندق فقال لها : من تريدين ؟ فقالت : آتى عبدالله بهذه التمرات ، فقال :
 هايتهن فنشرت فى كفه ثم دعا بالأنطاع ، ثم نادى : هلموا فكلوا فأكلوا فاشبعوا
 وحملوا ما أراد وامعهم و دفع مابقى إليها .

وفى المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : رأى النبي ﷺ
 عمرة بنت رواحة تذهب بتميرات إلى أبيها يوم الخندق ، فقال : اجعلها على يدي
 ثم جعلها على نطع فجعل يربو حتى أكل منه ثلاثة آلاف رجل .

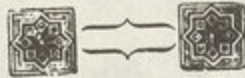
وفى صحيح البخارى : عن جابر الانصارى فى حديث حفر الخندق : فلما
 رأيت ضعف النبي ﷺ طبخت جدياً و خبزت صاع شعير ، و قلت : يا رسول الله

تكرمنى بكذى وكذى فقال : لا ترفع القدر من النار ولا الخبز من التنور نس
قال : يا قوم قوموا الى بيت جابر فاتواهم سبعةمئة رجل . وفي رواية ثمان مائة وفي رواية ألف
رجل . فلم يكن موضع الجلوس ، فكان يشير الى الحائط والحائط يبعد حتى تمكثوا ،
فجعل يطعمهم بنفسه حتى شعوا ، ولم يزل يأكل ويهدى الى قومنا أجمع ، فلما خرجوا
أتيت القدر فاذا هو مملوء والتنور محشو .

و فيه : روى أنس أنه قال : أرسلنى أبو طلحة الى النبى ﷺ لما رأى
فيه أثر الجوع ، فلمآرآنى قال : أرسلك أبو طلحة ؟ قلت : نعم فقال لمن معه :
قوموا فقال أبو طلحة : يا ام سليم قد جاء رسول الله ﷺ بالناس ، وليس عندنا
من الطعام ما نطعمهم فقال ﷺ : يا ام سليم هلمتى بما عندك ، فجاءت بأقراص
من شعير ، فأمر به ففت (فأمر بها ففتت خ) وعصرت ام سليم عكة سمن فأخذها
النبى ﷺ ثم وضع يده على رأس الثريد ، وكان يدعو بعشرة عشرة ، فأكلوا
حتى شعوا وكانوا سبعين أو ثمانين رجلاً .

وفي البحار : عن جابر بن عبد الله قال : كنا يوم الخندق نحفر الخندق ،
فعرضت فيه كدية وهى الجبل - الكدية : الارض الصلبة الغليظة الصفاة العظيمة
الشديدة - فقلنا : يا رسول الله إن كدية عرضت فيه ، فقال رسول الله ﷺ رشوا
عليها ماء ثم قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع ، فأخذ المعول أو المسحاة
فسمى ثلاثاً ثم ضرب فعاتت كثيراً أهلياً (مهلياً خ) فقلت له : ائذن لى يا رسول
الله إلى المنزل ففعل فقلت للمرأة : هل عندك من شىء ؟ فقال : عندى صاع من
شعير وعناق ، فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العناق وسلختها وخلت بين المرأة
وبين ذلك ثم أتيت إلى رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة ثم قلت : ائذن لى
يا رسول الله ففعل ، فأتيت المرأة فاذا العجين واللحم قد أمكنا ، فرجعت إلى
رسول الله ﷺ فقلت : ان عندنا طعيماً لنا فقم يا رسول الله أنت ورجلان من
أصحابك فقال :

وكم هو؟ قلت: صاع من شعير وعناق، فقال للمسلمين جميعاً: قوموا إلى جابر، فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه إلا الله، فقلت: جاء بالخلق على صاع شعير وعناق، فدخلت على المرأة وقلت: قد افتضحت جأءك رسول الله ﷺ بالخلق (أجمعين خ) فقالت: هل كان سئلك كم طعامك؟ قلت: نعم، فقالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرناه ما عندنا، فكشفت عني غماً شديداً، فدخل رسول الله ﷺ فقال: خذي وديني من اللحم، فجعل رسول الله ﷺ يتردد ويفرق اللحم، ثم يحم هذا و يحم هذا فما زال يقرب إلى الناس حتى شبعوا أجمعين، و يعود التنور و القدر أملأ ما كانا ثم قال رسول الله ﷺ: كلوا و اهدى، فلم نزل نأكل و نهدي قومنا أجمع.



﴿ جنود الله تعالى في أيام الاحزاب وحذيفة ابن اليمان ﴾

في السيرة النبوية لابن هشام : فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ ما اختلف من أمرهم وما فرق الله من جماعتهم دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلاً .

قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله أرايتم رسول الله ﷺ وصحبتهموه ؟ قال : نعم يا بن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد قال : فقال : والله لو أدر كناه ما تركناه يمشى على الأرض و لحملناه على أعناقنا قال : فقال حذيفة : يا بن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق ، وصلى رسول الله ﷺ هويّاً - أي قطعة - من الليل ثم أتفت إلينا ، فقال : من رجل يقوم ، فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - بشرط لرسول الله ﷺ الرجعة - أسأل الله تعالى أن يكون رفيقي في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد ، فلما لم يقم أحد ، دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقال :

يا حذيفة اذهب فادخل في القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح و جنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرء من جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

وفي شرح المواهب : فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فأخذت بيده ، فقلت : من أنت ؟ قال : معاوية بن أسفيان ، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي ، فقلت : من أنت ؟ قال : عمرو بن العاص .

وفي السيرة : ثم قال أبو سفيان : يامعشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع - أي الخيل - و الخف و أخلفتنا بنو قريظة و بلغنا عنهم الذي نكره ، و لقينا من شدة الريح ماترون ، ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما اطلق عقاله إلا و هو قائم ، و لولا عهد رسول الله ﷺ إلى « أن لا نحدث شيئاً حتى تأتيني » ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله ﷺ و هو قائم يصلّي في مرط - أي كساء - لبعض نسائه مراحل - و هي ضرب من وشى اليمن - فلما رأني أدخلني إلى رجليه ، و طرح على طرف المرط ، ثم ركع وسجد واني لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، و سمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم . و لما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة و المسلمون و وضعوا السلاح .

وفي شرح المواهب : كان دخول الرسول ﷺ المدينة يوم الاربعاء يوم منصرفه من الخندق ، لسبع بقين من ذى القعدة .

وفي روضة الكافي : باسناده عن أبان بن عثمان عن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قام رسول الله ﷺ على التل الذي عليه مسجد الفتح في غزوة الأحزاب في ليلة ظلماء قرّة - أي باردة - فقال : من يذهب فيأتينا بخبرهم وله الجنة ؟ فلم يبق أحد منهم أعادها ، فلم يبق أحد ، فقال أبو عبد الله عليه السلام بيده - أي أشار أو حرك يده على وجه التعجب - وما أراد القوم ؟ ! أرادوا أفضل من الجنة ؟ ثم قال : من هذا ؟ فقال : حذيفة ، فقال : أما سمع كلامي منذ الليلة ولا تكلمت أكبرت

فقام حذيفة و هو يقول : القر - أى البرد - و الضر - أى سوء الحال - جعلنى
الله فداك منعى أن اجيبك ، فقال رسول الله ﷺ : انطلق حتى تسمع كلامهم
و تأتيني بخبرهم فلما ذهب قال رسول الله ﷺ : اللهم احفظه من بين يديه
و من خلفه و عن يمينه و عن شماله حتى تردّه و قال له رسول الله ﷺ : يا
حذيفة لا تتحدث شيئاً حتى تأتيني فأخذ سيفه و قوسه و حجفته - يقال للترس
اذا كان من جلود ليس فيه خشب و لاعقب : حجفة و درقة - قال حذيفة : فخرجت
و ما بى من ضر و لا قر فمررت على باب الخندق ، و قد اعتراه المؤمنون و الكفار ،
فلما توجه حذيفة قام رسول الله ﷺ و نادى :

يا صريخ المكربين و يا مجيب المضطربين اكشف همى و غمى و كرى فقد
ترى حالى و حال أصحابي ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال : يا رسول الله ان الله
عز ذكره قد سمع مقاتلك و دعائك و قد أجابك و كفاك هول عدوك فجتار رسول
الله ﷺ على ركبتيه و بسط يديه و أرسل عينيه ، ثم قال : شكراً شكراً كما
رحمتنى و رحمت أصحابي ، ثم قال رسول الله ﷺ : قد بعث الله عز وجل عليهم
ريحاً من السماء الدنيا فيها حصى و ريحاً من السماء الرابعة فيها جنندل - الجنندل:
الحجارة و هى أكبر من الحصى - قال حذيفة : فخرجت فاذا أنا بنيران القوم و
أقبل جندا لله الاول ريح فيها حصى فما تركت لهم نادياً الا أذرتها و لا خباء الا
طرحته و لا رمحاً الا ألقته حتى جعلوا يتترسون من الحصى فجعلنا نسمع وقع
الحصى فى الأترسة ، فجلس حذيفة بين رجلين من المشركين ، فقام ابليس فى
صورة رجل مطاع فى المشركين ، فقال : أيها الناس انكم قد نزلتم بساحة هذا
الساحر الكذاب ، ألا إنه لن يفوتكم من أمره شىء ، فانه ليس سنة مقام قد
هلك الخف و الحاضر فارجعوا و لينظر كل رجل منكم من جليسه قال حذيفة :
فنظرت عن يمنى فضربت بيدي فقلت : من أنت؟ فقال : معاوية ، فقلت للذى عن
يسارى : من أنت؟ فقال : سهيل بن عمرو قال حذيفة : و أقبل جندا لله الاعظم

فقام أبوسفیان إلى راحلته ثم صاح في قريش : النجاء النجاء - أي اسرع اسرع - و قال طلحة الأزدي : لقد زادكم محمد بشر ثم قام إلى راحلته و صاح في بني أشجع : النجاء النجاء و فعل عيينة ابن حصن مثلها ، ثم فعل الحرث بن عوف المزني مثلها ثم فعل الأقرع بن حابس مثلها وذهب الأحزاب و رجع حذيفة إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر وقال أبو عبد الله ﷺ : انه كان يشبه يوم القيامة . قوله ﷺ : « يشبه يوم القيامة » أي ليلة الكفار من هبوب الرياح عليهم و اضطرابهم و حيرتهم و خوفهم . و يحتمل أن يكون الغرض بيان شدة حال المسلمين قبل نزول هذا الظفر من البرد و الخوف و الجوع .

وروى : لما سمع رسول الله ﷺ الضوضاء في جيش العدو قال لأصحابه لا بد من أمر حدث بين القوم : فمن منكم يكشف لنا خيرهم فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً ، و كان فيهم حذيفة بن اليمان ، فقال له النبي ﷺ تسمع صوتي منذ الليلة ولا تجيب ، فقال : يا رسول الله ! البرد شديد ، فقال : اذهب في حاجة رسول الله ﷺ واكشف لنا خير القوم ، فخرج ، و تلمظ في الاستكشاف وجاء بجارية الخبر وهوان القوم قد عزموا على الرحيل ، عزموا على الرحيل ، و قد بلغ من خوفهم أن قائدهم أباسفيان كان يقول لهم ليتعرف كل منهم أخاه وليمسكه بيده حذراً من أن يدخل بينكم ، و قد حل عقاب بعيره يريد أن يبدأ بالرحيل و ترك خالد ابن الوليد في جماعة ليحموا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم ، و أراح الله عن المسلمين هذه الغمة ، و قد سمي الله هذا الرحيل نعمة على المسلمين .

قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءكم جنود... الأيات... »

و في تفسير المراغي : قال حذيفة بن اليمان وقد بعثه رسول الله ﷺ ليأتي بخبر القوم : خرجت حتى اذا دنوب من عسكر القوم نظرت في ضوء نار لهم

توقد ، و اذا رجل أدهم ضخم (أبوسفيان) يقول : الرحيل الرحيل لا مقام لكم ،
و اذا الرجل فسى عسكرهم ما يجاوز عسكرهم شبراً ، فوالله انى لأسمع صوت
الحجارة فسى رحالهم و فرشهم ، و الريح تضربهم ، ثم رجعت نحو النبي ﷺ
فلما صرت فى منتصف الطريق أو نحو ذلك إذا أنا بنحو عشرين فارساً معتمتين
قالوا : أخبر صاحبك أن الله قد كفاك القوم .

و فى البحار : و لما نزلت الاحزاب على المدينة عسى أبوسفيان سبعة
آلاف رام كربة واحدة ثم قال : ارموهم رشقاً واحداً فوقع فى اصحاب النبي
ﷺ سهام كثيرة ، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فلوَّح إلى السهام بكمته ، و
دعا بدعوات فهبت ريح عاصفة ، فردت السهام إلى القوم ، فكل من رمى سهماً
عاد السهم إليه فوقع فيه ، جرحه بقدره الله و بركة رسوله ، و دخل النبي ﷺ
مع ميسرة إلى حصن من حصون اليهود ليشتروا خبزاً وادماً ، فقال يهودى : عندى
مرادك ، و مضى إلى منزله و قال لزوجته : اطلعى إلى على الدار فاذا دخل هذا
الرجل ، فارمى هذه الصخرة عليه ، فأدارت المرأة الصخرة فهبط جبرئيل فضرب
الصخرة بجناحه ، فحرق الجدار و أنت تهتمز كأنها صاعقة ، فأحاطت بحلق
الملعون ، و صارت فى عنقه كدور الرحى (كحجر الرحى) فوقع كأنه المصروع ،
فلما أفاق جاس و هو يبكى ، فقال له النبي ﷺ : و بلك ما حملك على هذا
الفعال ؟ فقال : يا محمد لم يكن لى فى المتاع حاجة ، بل أردت قتلك ، و أنت
معدن الكرم ، و سيد العرب و العجم اعف عنى ، فرحمه النبي ﷺ فانزاحت
الصخرة عن عنقه .

و فى الخرائج : روى ان الحصار لما اشتد على المسلمين فى حرب الخندق ،
و رأى رسول الله ﷺ منهم الضجر لما كان فيه من الضر - الشدة و الضيق و سوء
الحال - صعد على مسجد الفتح فصلّى ركعتين ثم قال : « اللهم إن تهلك هذه
العصابة لم تعبد (لما تعبد خ) بعدها فسى الارض » فبعث الله ريحاً قلبت خيم

المشركين ، و بددت رواحهم و أجهدتهم بالبرد ، و سقت الرمال و التراب عليهم ، وجاءته الملائكة فقالت : يا رسول الله ان الله قد أمرنا بالطاعة لك فمرنا بما شئت ، قال : قلت : زعزعي المشركين وارعبهم ، و كونوا من ورائهم ، ففعلت بهم ذلك ، و أنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم جنود » يعنى أحزاب المشركين « فأرسلنا عليهم ريحاً و جنوداً لم تروها و كان الله بما تعملون بصيراً اذ جاءكم من فوقكم » أى أحزاب العرب « و من أسفل منكم » .

يعنى بنى قريظة حين نقضوا عهد رسول الله ﷺ و صاروا مع الاحزاب على المسلمين ثم رجع من مسجد الفتح إلى معسكره فصاح بحذيفة بن اليمان و كان قد ناداه ثلاثاً ، فقال فى الثالثة : لبيك يا رسول الله قال : تسمع صوتى ولا تجيبنى؟ فقال : منعنى شدة البرد ، فقال : « اعبر الخندق فاعرف خبر قريش و الاحزاب و ارجع ، ولا تحدث حدثاً حتى ترجع إلى » قال : فقممت و أنا أنتقض من البرد فعبرت الخندق و كأتى فى الحمام فصرت إلى معسكرهم فلم أجد هناك الاخيمة أبى سفيان و عنده جماعة من وجوه قريش و بين أيديهم نار تشتعل مرة و تجبو اخرى ، فانسلت فجلست بينهم ، فقال أبو سفيان : إن كنا نقاتل أهل الارض فنحن بالقدرة عليه ، و ان كنا نقاتل أهل السماء كما يقول محمد فلا طاقة لنا بأهل السماء انظروا بينكم لا يكون لمحمد عين بيننا ، فليستل بعضكم بعضاً ، قال حذيفة :

فبادرت إلى الذى عن يمينى فقلت : من أنت قال : خالد بن الوليد ، و قلت للذى عن يسارى : من أنت؟ قال : فلان فلم يستلنى أحد منهم ، ثم قال أبو سفيان لخالد : إما أن تتقدم أنت فتجتمع الناس ليلحق بعضهم بعضاً فأكون على الساقة ، و إما أن أتقدم أنا و تكون على الساقة قال : بل أتقدم أنا و تتأخر أنت ، فقاموا جميعاً فتقدموا و تأخر أبو سفيان ، فخرج من الخيمة و اختفيت فى ظلها ، فركب

راحلته وهي معقولة من الدهش الذي كان به ، فنزل يحل العقال فأمكنني قتله فلما هممت بذلك تذكرت قول رسول الله ﷺ : « لا تحدثن حديثاً حتى ترجع إليّ » فكففت و رجعت إلى رسول الله ﷺ وقد طلع الفجر ، فحمد الله ، ثم صلتى بالناس الفجر و نادى مناديه :

« لا يبرحن أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس » فما أصبح إلا وقد تفرق عنه الجماعة الآتفراً يسيراً فلما طلعت الشمس انصرف رسول الله ﷺ و من كان معه ، فلما دخل منزله أمر فنودي : ألا لا يصلى أحد الآقى بنى قريظة ، فساد المسلمون إليهم ، فوجدوا النخل محققاً بقصرهم و لم يكن للمسلمين معسكر ينزلون فيه ، و وافى رسول الله ﷺ فقال : « مالكم لا تنزلون ؟ » فقالوا : مالنا مكان فنزل من اشبأك النخل ، فدخل فى طريق بين النخل فأشار بيده يمناً ، فانضم النخل بعضه إلى بعض ، و أشار بيده يسرة فانضم النخل كذلك و اتسع لهم الموضع ، فنزلوا .



* الامام علي عليه السلام و عمرو بن عبدود يوم الخندق *

وقد وردت روايات كثيرة باسناد عديدة عن الطريقين بان الفتح كان في ذلك اليوم على يد الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اذ قتل عمرو بن عبدود ، فنشير إلى ما يسعه المقام ، أما العامة فمنهم :

١ - روى البيهقي في (السنن الكبرى ج ٩ ص ١٣٢ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن ابن اسحق قال: خرج - يعني يوم الخندق - عمرو بن عبدود ، فنادى من يبارز فقام علي رضي الله عنه ، و هو مقنع في الحديد ، فقال : أنا لها يا نبي الله فقال عليه السلام : انه عمرو و اجلس ، و نادى عمرو ألا رجل ؟ وهو يؤنبهم ويقول : أين جنتكم التي تزعمون انه من قتل منكم دخلها ؟ أفلا يبرز إلى رجل ، فقام علي عليه السلام فقال : أنا يا رسول الله ، فقال : اجلس ، ثم نادى الثالثة و ذكر شعراً فقام علي فقال يا رسول الله : أنا فقال : انه عمرو قال : و إن كان عمراً فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمشى إليه حتى أتاه و ذكر شعراً :

رواه جماعة من أعلام العامة و حملة آثارهم :

منهم : الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ١٠٢ ط تبريز) .

ومنهم : الخشعمي المراكشي في (الروض الأنف ج ٢ ص ١٩١) .

ومنهم : الدميري في (حياة الحيوان ج ١ ص ٢٧٤ ط القاهرة) .

٢ - ما رواه ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة ج ١٩ ص ٦٢ ط دار

احياء الكتب العربية سنة ١٣٨٣ هـ) ما لفظه : « و ينبغي أن نذكر ملخص هذه

القصة من مغازى الواقدي وابن اسحق ، قالوا : خرج عمرو بن عبدود يوم الخندق ، وقد كان شهد بدرأ فارتث جريحاً - أى حمل من المعركة جريحاً و به رمق - ولم يشهد احداً ، فحضر الخندق شاهراً نفسه معلماً مدلاً بشجاعته وبأسه وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري ، و عكرمة بن أبي جهل ، و هبيرة بن أبي وهب ، و نوفل بن عبد الله ابن المغيرة المخزوميون ، فطافوا بخيولهم على الخندق إصعاداً و انحداراً ، يطلبون موضعاً ضيقاً يعبرونه حتى وقفوا على أضيق موضع فيه من المكان المعروف بالمزار فاكرهوا خيولهم على العبور ، فعبرت و صاروا مع المسلمين على أرض واحدة و رسول الله ﷺ جالس و أصحابه قيام على راسه ، فتقدم عمرو بن عبدود فدعا إلى البراز مراراً ، فلم يقم إليه أحد ، فلما أكثر قام على النبي ﷺ فقال : أنا ابارزه يا رسول الله ، فأمره بالجلوس ، و أعاد عمر النداء و الناس سكوت كأن على رؤسهم الطير ، فقال عمرو :

أيها الناس انكم تزعمون ان قتلاكم في الجنة و قتلانا في النار ، أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة أو يقدم عدواً له إلى النار ؟ ! فلم يقم إليه أحد ، فقام على النبي ﷺ دفعة ثانية و قال : أنا له يا رسول الله ، فأمره بالجلوس ، فجال عمرو بفرسه مقبلاً ومدبراً و جاءت عظماء الاحزاب ، فوقفت من وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر ، فلما رأى عمرو أن أحداً لا يجيبه قال :

| | |
|----------------------|-----------------------|
| و لقد بححت من النداء | بجمعكم هل من مبارز |
| و وقفت إذ جبن المشجع | موقف القرن المناجز |
| و تذاك اتى لم أزل | متسرعاً قبل الهزاهز |
| ان الشجاعة في الفتى | والجود من خير الغرائز |

فقام على النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي في مبارزته ، فقال : ادن فدنا فقلده سيفه و عمته بعمامته ، و قال : امض لشأنك ، فلما انصرف قال : « اللهم أعنه عليه » فلما قرب منه قال له مجيباً إياه عن شعره :

لا تعجلن فقد أتانا
ذونية و بصيرة
انى لآمل ان اقيم
من ضربة فوهاء
ك مجيب صوتك غير عاجز
يرجو بذاك نجاة فائز
عليك نائحة الجناز
يبقى ذكرها عند الهزائز

٣ - روى ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ٤٢ ط الغرى)
بعد ما ذكر الحديث قال : و قال عليه السلام له : أدن منى يا على فدنا منه فنزع
عمامته من رأسه عليه السلام و عممه بها و أعطاه سيفه ، و قال : امض لشأنك ثم قال :
اللهم قد خرج على عليه السلام و هو يقول الايات .

٤ - روى الحلبي في (السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ ط القاهرة) ما لفظه:
بعد ما شافهه على عليه السلام انك كنت تقول : لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث
الآن قبلتها؟ قال: أجل ، فقال على عليه السلام : فاني أدعوك أن تشهد ان لا اله الا الله و
ان محمداً رسول الله و تسلم لرب العالمين ، فقال : يا بن أخي أختر عنى هذه
قال : و اخرى ترجع إلى بلادك فان بك محمد عليه السلام صادقاً كنت اسعد الناس
به ، و إن بك كاذباً كان الذى تريد قال : هذا ما لا تتحدث به نساء قريش أبداً
كيف و قدرت على استيفاء ما نذرت أى فانه نذر لما أفلت هارباً يوم بدر ، و قد
جرح أن لا يمسن رأسه دهناً حتى يقتل محمداً قال : فالثالثة ماهى؟ قال: البراز
فضحك عمرو و قال: ان هذه لخصلة ما كنت اظن ان أحداً من العرب يروعنى بها.
رواه زيني دحلان الشافعى في (السيرة النبوية) المطبوع بهامش (السيرة
الحلبية ج ٢ ص ١١٠ ط القاهرة) .

٥ - روى البيهقى في (السنن الكبرى ج ٩ ص ١٣٢ ط حيدرآباد) باسناده
عن ابن اسحق قال : خرج - يعنى يوم الخندق - عمرو بن عبدود فنادى : من
يبارز فقام على رضى الله عنه و هو مقنّع فى الحديد - إلى أن قال - فقال له
عمرو : من أنت ؟ فقال : أنا على قال : ابن عبد مناف ، فقال : أنا على بن أبيطالب ،

فقال : غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسنّ منك فاني اكره أن اهريق دمك، فقال علي رضي الله عنه لكنني والله ما اكره أن اهريق دمك ، فغضب، فنزل و سلّ سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي رضي الله عنه مغضباً واستقبله علي رضي الله عنه بدرقته، فضربه عمره في الدرقة ففقدّها وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه، فشجّه و ضربه علي رضي الله عنه على جبل العاتق فسقط، وثار العجاج و سمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف ان علياً رضي الله قد قتله .

رواه الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ١٠٢ ط تبريز) و زاد (ثم أقبل علي عليه السلام نحو رسول الله ﷺ و وجهه يتهلل نوراً) .

واليعمرى الاندلسي في (عيون الأثر ج ٢ ص ٦١ ط القدسي بالقاهرة) و زاد - بعد ما ذكره - و قال علي في ذلك :

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| نصر الحجارة من سفاهة رأيه | و نصرت دين محمد بضراب |
| فصدت حين تركته متجدلاً | كالجدع بين دكادك و رواب |
| و عفت عن أثوابه و لو انني | كنت المقطر بزفي أثوابي |
| لا تحسبن الله خاذل دينه | و نبيّه يا معشر الاحزاب |

٦ - روى ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ٤٣ ط النجف) بعد ما ذكر الحديث زاد (فتصا و لا وتجا و لا ساعة و ضربه علي رضي الله عنه علي عاتقه بالسيف و رمى جثته إلى الارض و تركه قتيلاً ثم ركب علي رضي الله عنه علي فرسه و كرت علي ابنه حسل بن عمرو فقتله فخرجت خيولهم مهزومة ، و رمى عكرمة بن أبي جهل رمحه ، و فرّ منهزماً مع من انهزم من أصحابه فرجع علي بن ابيطالب رضي الله عنه و هو يقول :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| أعليّ تفتخر الفوارس هكذا | عني و عنهم سائلوا أصحابي |
| اليوم تمنعني الفرار حفيظتي | و مصمم في الرأس ليس بناب |
| أرديت عمراً إن طفني بمهند | صافي الحديد مجرب قصاب |

- هذا ابن عبد الودّ كذب قوله وصدقتم فاستمعوا إلى الكذّاب
- ٧ - روى الصفدى الشافعى فى (الغيث المسجّم ج ٢ ص ١١٤) ما لفظه :
و ضربته عمرو بن عبدود العامرى و كان جباراً عنيداً غليظاً عتلاً من الرجال ،
فقطع على فخذه من أصلها ونزل عمرو فأخذ فخذ نفسه ، ف ضرب بها علياً ، فتوارى
عنها ف وقعت فى قوائم بعير فكسرتها .
- ٨ - روى البدخشى فى (مفتاح النجاة) ما لفظه : و أما يوم الخندق فانه
كرم الله وجهه قتل يومئذ عمرو بن عبدود و كان عمرو من مشاهير الابطال و
شجعان العرب و كانوا يعدلونه بألف رجل .
- ٩ - روى عبدالغفار الحنفى فى (أئمة الهدى ص ٣٨ ط القاهرة) ما لفظه :
قد جندل أى على عمرو بن عبدود أشجع قريش و أشدهم فرسيّة و مبارزة على
الاطلاق فى غزوة الاحزاب ، و قد أردف بابنه أيضاً فهزم الله بقية الاحزاب بعد
مصرعهما بمصافة عاتية .
- ١٠ - روى الحلبي فى (السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩) ما لفظه : فى تفسير
الفخرانه رَأَى الْفَتْحَ قال لعلى كرم الله وجهه بعد قتله لعمرو بن عبدود : كيف وجدت
نفسك معه يا على ؟ قال : وجدتته لو كان أهل المدينة كلهم فى جانب و أنا فى
جانب لقدرت عليهم .
رواه احمد زينى دحلان فى (السيرة النبوية) .
- ١١ - روى الحضرمى فى (زهر الآداب) المطبوع بهامش (عقد الفريد
ج ١ ص ٥٠ ط الشرقية بمصر) ما لفظه : و لما قبل عمرو جاءت اخته ، فقالت :
من قتله ؟ فقيل : على بن ابيطالب ، فقالت : كفو كريم ثم انصرفت و هى تقول :
لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنك أبكى عليه آخر الأبد
لكن قاتله من لا يعاب به و كان يدعى قديماً بيضة البلد
من هاشم فى ذراها وهى صاعدة إلى السماء تميت الناس بالحسد

قوم أبى الله الا أن يكون لهم مكارم الدين والدنيا بلا أحد
 ١٢ - روى النسائي في (الخصائص ص ٣٨ ط التقدم بمضر) باسناده عن
 على رضى الله عنه قال : لما رجعت إلى النبي ﷺ قال لى : كلمة (ما احب ان
 لى بها الدنيا) .

١٣ - روى الحاكم الحسكاني الحنفى في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٥ ط
 بيروت) باسناده عن ابن عباس فى قوله : « و كفى الله المؤمنين القتال » قال :
 كفاهم الله القتال يوم الخندق بعلى بن أبى طالب حين قتل عمرو بن عبدود .
 وفيه : باسناده عن حذيفة قال : لما كان يوم الخندق عبر عمرو بن عبدود
 حتى جاء فوق على عسكر النبي فنادى البراز : فقال رسول الله : أياكم يقوم إلى
 عمرو؟ فلم يبق أحد الا على بن أبيطالب فانه قام ، فقال له النبي ﷺ : اجلس
 ثم قال النبي ﷺ : أياكم يقوم إلى عمرو؟ فلم يبق أحد فقام إليه على عليه السلام فقال :
 أنا له فقال النبي : اجلس ثم قال النبي ﷺ لأصحابه : أياكم يقوم إلى عمرو؟
 فلم يبق أحد فقال على عليه السلام فقال : أنا له ، فدعاه النبي ﷺ فقال : انه عمرو بن
 عبدود قال : و أنا على بن أبى طالب ، فألبسه درعه ذات الفضول و أعطاه سيفه
 ذا الفقار و عممه بعمامته السحاب على رأسه تسعة أكوار ثم قال له : تقدم فقال
 النبي ﷺ لما ولتى :

اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه و عن يمينه و عن شماله ، ومن فوق
 رأسه ومن تحت قدميه ، فجاء حتى وقف على عمرو فقال : من أنت؟ فقال عمرو :
 ما ظننت انى أقف موقفاً أجهل فيه ، أنا عمرو بن عبدود ، فمن أنت؟ قال : أنا على
 بن أبى طالب فقال : الغلام الذى كنت أراك فى حجر أبى طالب؟ قال : نعم ، قال :
 ان أباك كان لى صديقاً ، و أنا اكره أن اقتلك ، فقال له على : لكنى لا اكره
 ان اقتلك ، بلغنى انك تعلقت بأستار الكعبة وعاهدت الله عزوجل أن لا يخيبرك
 رجل بين ثلاث خلال الا اخترت منها خلة؟ قال : صدقوا ، قال : إما أن ترجع

من حيث جئت قال : لا تحدث بها قريش ، قال : أو تدخل في ديننا فيكون لك مالنا ، و عليك ما علينا ؟ قال : و لا هذه فقال له علي :

فأنت فارس و أنا راجل فنزل عن فرسه و قال : ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام ، ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت ، ثم أقبل إلى علي و كان رجلاً طويلاً - يداوى دبر البعيرة و هو قائم - و كان علي في تراب دق ، و لا يثبت قدماه عليه ، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلدأ من الارض يثبت قدميه و يعلوه عمرو بالسيف فكان في درع عمرو و قصر فلما تشاك بالضربة تلقاها علي بالترس فلحق ذباب السيف في رأس علي ، و تسيّف علي رجله بالسيف من أسفل ، فوقع علي قفاه فثارت بينهما عجاجة فسمع علي يكبّر ، فقال رسول الله ﷺ : قتله والذي نفسي بيده فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فاذا علي عليه السلام يمسح سيفه بدرع عمرو فكبّر عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله ﷺ قتله . فجزّ علي عليه السلام رأسه ثم أقبل يخطر في مشيته ، فقال له رسول الله ﷺ : يا علي ان هذه مشية يكرها الله عز وجل الآ في هذا الموضع ، فقال رسول الله ﷺ لعلي : ما منعك من سلبه ، و كان ذوسلب ؟ فقال : يا رسول الله انه تلقاني بعورته فقال النبي ﷺ : بشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم و ذلك انه لم يبق بيت من بيوت المسلمين الآ و قد دخله عز بقتل عمرو .

وفيه : باسناده عن علي عليه السلام قال : خرج عمرو بن عبدود يوم الخندق معلماً مع جماعة من قريش فأتوا نقرة من نقر الخندق فأقحموا خيلهم فعبروه و أتوا النبي ﷺ و دعا عمرو والبراز فنهضت إليه ، فقال رسول الله ﷺ : يا علي انه عمرو قلت : يا رسول الله و اني علي فخرجت إليه و دعوت بدعاء علمنيه رسول الله ﷺ قال : قل : بك أصول و بك أحول و إياك أدرء في نحره ، فنازلته و ثار العجاج فضر بني ضربة في رأسي فعملت - آى فأثرت ضربته علي رأسي - فضرته

فجدلته وولت خيله منهزمة .

و غير ذلك مما ورد عن طريق العامة تر كناه للاختصار . و نذكر قليلاً من الكثير الوارد عن طريق الشيعة الامامية الاثني عشرية :

في البحار : روى أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل قال : أول من قال : « جعلت فداك » على عليه السلام لما دعا عمرو بن عبدود إلى البراز يوم الخندق و لم يجبه أحد قال علي عليه السلام : جعلت فداك يا رسول الله أتأذن لي ؟ قال : انه عمرو بن عبدود قال : و أنا علي بن أبي طالب ، فخرج إليه فقتله . و أخذ الناس منه و من غير كتاب الاوائل : ان النبي صلى الله عليه وآله لما أذن لعلي عليه السلام في لقاء عمرو بن عبدود و خرج إليه قال النبي صلى الله عليه وآله : برز الايمان كله إلى الكفر كله .

وفيه : و جاء في الحديث المرفوع ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك اليوم حين برز إليه : برز الايمان كله إلى الشرك كله .

وفي الحديث المرفوع : ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما بارز عليّ عمرواً ما زال رافعاً يديه مقمحاً راسه قبل السماء داعياً ربه قائلاً : اللهم انك أخذت مني عبادة يوم بدر و حمزة يوم احد فاحفظ عليّ اليوم علياً « رب لا تذرني فرداً و أنت خير الوارثين » .

و قال جابر بن عبد الله الانصاري : والله ما شبّهت يوم الاحزاب قتل عليّ عمرواً و تخاذل المشركين بعده الاّ بما قصّه تعالى قصة داود و جالوت في قوله : « فهزموهم باذن الله و قتل داود جالوت » .

وفيه : عن عمرو بن عبيد عن الحسن ان علياً عليه السلام لما قتل عمرواً جزّ رأسه و حمله فألقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله فقام أبو بكر و عمر فقبلا رأسه و وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يهتل ، فقال : هذا النصر او قال : هذا أول النصر .

وفيه : وفي الحديث المرفوع : ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يوم قتل عمرو : ذهب ريحهم و لا يغزونا بعد اليوم و نحن نغزوهم إن شاء الله .

وفي الخصال : في خبر اليهودى الذى سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن خصال الاوصياء فقال عليه السلام فيما قال : و أما الخامسة يا أخا اليهود فان قريشاً والعرب تجمعت و عقدت بينها عقداً و ميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله و تقتلنا معه معاشر بنى عبد المطلب ، ثم أقبلت بحدّها و حديدتها - أى بعدتها و سلاحها - حتى أناخت علينا بالمدينة و اتفقت بأنفسها فيما توجهت له ، فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك ، فخذق على نفسه و من معه من المهاجرين و الانصار ، فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا ، ترى فى أنفسها القوة و فينا الضعف ترعد و تبرق و رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوها إلى الله عز و جل ، و يناشدها بالقرابة و الرحم ، فتأبى و لا يزيدنها ذلك إلا عتواً ، و فارسها و فارس العرب يومئذ عمرو بن عبدود يهدر كالبعير المغتلم يدعو إلى البراز و يرتجز ، و يخطر برمحه مرةً و بسيفه مرة - أى يهزهما معجباً بنفسه - لا يقدم عليه مقدّم و لا يطمع فيه طامع لا حمية تهيجه و لا بصيرة تشجعه ، فانهضني إليه رسول الله صلى الله عليه وآله و عمّمني بيده و أعطاني سيفه هذا - و ضرب بيده إلى ذى الفقار - فخرجت إليه و نساء أهل المدينة بواكى إشفاقاً على من ابن عبدود ، فقتله الله عز و جل بيدي العرب لا تعد لها فارساً غيره ، و ضربني هذه الضربة ، و أرمأ بيده إلى هامته ، فهزم الله قريشاً و العرب بذلك ، و بما كان منى فيهم من النكاية ، ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال : أليس كذلك؟ قالوا : بلى يا أمير المؤمنين.

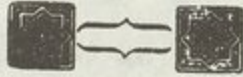
و فى البحار : و قد روى محمد بن عمر الواقدى قال : حدثنى عبد الله بن جعفر عن أبى عون عن الزهرى قال : جاء عمرو بن عبدود ، و عكرمة بن أبى جهل ، و هبيرة بن أبى وهب ، و نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، و ضرار بن الخطاب فى يوم الاحزاب إلى الخندق ، فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاً منه ، فيعبرون حتى انتهوا إلى مكان اكرهوا خيولهم فيه فعبرت و جعلوا يجيلون خيلهم فيما بين الخندق و سلع ، و المسلمون و قوف لا يقدم منهم أحد عليهم ،

و جعل عمرو بن عبدود يدعو إلى البراز و يعرض للمسلمين ، و يقول :
 و لقد بححت من النداء بجمعهم هل من مبارز
 و فى كل ذلك يقوم على بن أبيطالب عليه السلام من بينهم ليبارزه فيأمره رسول
 الله صلى الله عليه وآله بالجلوس انتظاراً منه ليتحرك غيره ، والمسلمون كأن على رؤسهم
 الطير لمكان عمرو بن عبدود والخوف منه ، و ممن معه و وراعه فلما طال نداء
 عمرو بالبراز و تتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أذن منى
 يا على ، فدنا منه فنزع عمامته من رأسه و عتمه بها و أعطاه سيفه ، وقال له :
 « امض لشأنك » ثم قال : « اللهم أعنه » فسعى نحو عمرو و معه جابر بن عبد الله
 الانصارى رحمه الله لينظر ما يكون منه و من عمرو .

فلما انتهى أمير المؤمنين عليه السلام إليه قال له : يا عمرو انك كنت فى الجاهلية
 تقول : لا يدعونى أحد إلى ثلاث واللات والعزى الا قبلتها أو واحدة منها؟ قال:
 أجل قال : فانى أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله ، و أن
 تسلم لرب العالمين ، قال: يا بن الأخ ! أخر هذه عنى ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام :
 أما انها خير لك لو أخذتها ، ثم قال: فههنا اخرى قال: وماهى؟ قال: ترجع من حيث
 جئت قال: لا تحدث نساء قريش بهذا أبداً ، قال: فههنا اخرى ، قال : وماهى؟ قال:
 تنزلى فتقاتلنى ، فضحك عمرو و قال : إن هذه الخصلة ما كنت أظن ان أحداً من
 العرب يرومنى عليها ، انى لا كره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، وقد كان أبوك
 لى نديماً .

قال على عليه السلام : لكننى احب أن أقتلك فأنزله إن شئت ، فأسف عمرو و نزل
 و ضرب وجه فرسه حتى رجع فقال جابر رحمه الله : فنارت بينهما قتره فما
 رأيتها ، فسمعت التكبير تحتها فعلمت ان علياً قد قتله ، فانكشف أصحابه حتى
 طفرت خيولهم الخندق ، و تبادروا (تبادروا) أصحاب النبى صلى الله عليه وآله حين سمعوا
 التكبير بنظرون ما صنع القوم فوجدوا نوفل بن عبد الله فى جوف الخندق لم

ينهض به فرسه ، فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم : قتلة أجمل من هذه ينزل إلى بعضكم اقاتله ، فنزل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فضربه حتى قتله ، ولحق هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرجه ، وسقطت درع كانت عليه ، وفر عكرمة ، وهرب ضرار بن الخطاب ، فقال جابر : فما شبهت قتل علي عليه السلام عمرواً إلا بما قص الله من قصة داود جالوت حيث يقول جل شأنه : « فهزم موهم باذن الله وقتل داود جالوت » .



﴿ الإمام علي عليه السلام وذو الفقار ﴾

في أصول الكافي : باسناده عن أحمد بن أبي عبدالله عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : سئلته عن ذي الفقار سيف رسول الله ﷺ من أين هو ؟ قال : هبط به جبرئيل عليه السلام من السماء وكانت حليته من فضة وهو عندي .
رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه باسناده عن أحمد بن عبدالله الحديث « وقال » بدل « قال » .

وفي روضة الكافي : باسناده عن صفوان بن يحيى قال : سئلت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن ذي الفقار سيف رسول الله ﷺ فقال : نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء وكانت حلقتة فضة .

قيل : وفي الرواية وما في الرواية السابقة من قوله : « حليته » دلالة على جواز كون حلقة السيف من فضة . وإن وصول السيف إلى علي عليه السلام كان بأمر الله تعالى وتقديره لاتفاقهم على ان السيف كان لعاص بن منبه .

وفي معاني الاخبار : مرفوعاً عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : انما سمى سيف أمير المؤمنين عليه السلام ذا الفقار لانه كان في وسطه خطة في طوله تشبه بقفار الظهر ، فسمى ذا الفقار لذلك ، وكان سيفاً نزل به جبرئيل عليه السلام من السماء كانت حلقتة فضة ، وهو الذي نادى به مناد من السماء : لاسيف الا ذو الفقار ولافتى إلا علي .

وفي العلل : عن الثمالي قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام فقلت : يا بن رسول الله لم سمى سيف أمير المؤمنين عليه السلام ذا الفقار ؟ فقال عليه السلام : لأنه ماضرب به أحد من

خلق الله إلا أفقره من هذه الدنيا من أهله وولده ، وأفقره في الآخرة من الجنة .
وفي بصائر الدرجات : باسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : قال آتى
 أبى بسلاح رسول الله ﷺ وقد دخل عمومتي من ذلك ، فقال : كلمة ، فقال صفوان :
 وذكرنا سيف رسول الله فقال : أتاني إسحق بن جعفر فعظم عليّ وسئلني له بالحق
 والحرمة : السيف الذي أخذه هو سيف رسول الله ﷺ قال : فقلت : لا كيف يكون
 هذا ، وقد قال أبو جعفر عليه السلام مثل السلاح فينا مثل التابوت في بني إسرائيل حيث
 ما دار دار الأمر قال : فسئلته عن ذى الفقار سيف رسول الله ﷺ فقال : نزل به جبرئيل
 من السماء ، وكانت حليته فضة وهو عندي .

وفي البحار : عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك و
 تعالى أعطاني ذا الفقار قال : يا محمد خذه وأعطه خير أهل الأرض ، فقلت : من
 ذلك يارب ؟ فقال : خليفتي في الأرض علي بن أبي طالب عليه السلام وأن ذا الفقار كان ينطق
 مع علي عليه السلام ويحدثه حتى أنه هم يوماً بكسره فقال : مه يا أمير المؤمنين انسى
 مأمور وقد بقي في أجل المشرك تأخيراً .

قال المجلسي رحمة الله تعالى عليه : انما يمكن أن يكون قد سقط بعد
 قوله : « هم يوماً بكسره » وقد ضرب به مشركاً فلم يقتله .

وفي الخرائج : روى عن الصادق عليه السلام انه قال : لما قتل علي عليه السلام عمرو بن
 عبدود اعطى سيفه الحسن عليه السلام وقال : قل لأمك : تغسل هذا الصيقل ، فردّه وعلي
عليه السلام عند النبي ﷺ وفي وسطه نقطة لم تنق قال : أليس قد غسلته الزهراء ؟ قال :
 نعم قال : فما هذه النقطة ؟ قال النبي ﷺ : يا علي سل ذا الفقار يخبرك ، فهزّه وقال :
 أليس قد غسلتك الطاهرة من دم الرجس النجس ؟ فأنطق الله السيف فقال : بلى
 ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبدود فأمرني ربي فشربت
 هذه النقطة من دمه ، وهو حظي منه ، فلا تنتزيني يوماً الأوراثه الملائكة
 وصلت عليك .

قوله : « تنتزيني » من نضى السيف وانتضاه : سلته .

و في المناقب : لابن شهر آشوب قدس سره عن ابن عباس في قوله تعالى : « وأنزلنا الحديد » قال : أنزل الله آدم من الجنة معه ذوالفقار ، خلق من ورق آس الجنة ثم قال : « فيه بأس شديد » فكان به يحارب آدم أعداءه من الجن والشياطين ، وكان عليه مكتوباً لا يزال أنبيائي يحاربون به نبي و صديق بعد صديق حتى يرثه أمير المؤمنين عليه السلام فيحارب به عن النبي الامي : « ومنافع للناس » لمحمد عليه السلام و علي « ان الله قوى عزيز » منيع من النعمة بالكفار بعلي بن أبي طالب عليه السلام . وقد روى كافة أصحابنا ان المراد بهذه الآية ذوالفقار انزل به من السماء على النبي عليه السلام فأعطاه علياً ، وقيل : أمر جبرئيل عليه السلام أن يتخذ من صنم حديد في اليمن فذهب علي و كسره فاتخذ منه سيفان : مخدوم وذوالفقار وطبعهما عمير الصيقل . و قيل : صار إليه يوم بدر أخذه من العاص بن منبه السهمي وقد قتله . وقيل : كان من هدايا بلقيس إلى سليمان . وقيل : أخذه من منبه بن الحجاج السهمي في غزاة بنى المصطلق بعد أن قتله . وقيل : كان سعف نخل نث فيه النبي عليه السلام فصار سيفاً . وقيل : صار إلى النبي عليه السلام يوم بدر فأعطاه علياً ، ثم كان مع الحسن ثم مع الحسين إلى أن بلغ المهدي عليه السلام سئل الصادق عليه السلام : لم سمي ذوالفقار؟ فقال : انما سمي ذوالفقار لانه ماضرب به أمير المؤمنين أحداً إلا افتقر في الدنيا من الحياة وفي الآخرة من الجنة . وزعم الاصمعي انه كان فيه ثمانى عشرة فقارة .

وفي تاريخ أبي يعقوب : كان طوله - ذى الفقار - سبعة أشبار و عرضه شبر ،

في وسطه كالفقار .

عن أبي عبد الله عليه السلام نظر رسول الله عليه السلام إلى جبرئيل بين السماء والارض على كرسي من ذهب وهو يقول : لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى الأعلى .
وفي الطرائف : ابن المغازلي باسناده إلى النبي عليه السلام انه قال : ان المنادى نادى يوم احد : لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى الأعلى عليه السلام . وروى أيضاً : ان المنادى

كان قد نادى بذلك يوم البدر . وروى أيضاً باسناده إلى محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: نادى ملك من السماء يوم بدر ويقال له رضوان : لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى الأعلى .

وفي عيون الاخبار: مرفوعاً عن موسى بن جعفر عليه السلام فيما ناظر به الرشيد في تفضيل العترة قال عليه السلام : ان العلماء قد أجمعوا على ان جبرئيل قال يوم احد : يا محمد ان هذه لهي المواساة من علي ، قال عليه السلام : لانه مني وأنا منه ، قال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما يا رسول الله ، ثم قال : لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى إلا علي فكان كما مدح الله عز وجل به خليله عليه السلام إذ يقول : « فتى يذكركم له ابراهيم ، انا معشر بني عمك نفتخر بقول جبرئيل عليه السلام انه منا .

وفي معاني الاخبار: باسناده عن أبان بن عثمان عن الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام قال : إن أعرابياً أتى رسول الله فخرج إليه في رداء ممشق ، فقال : يا محمد لقد خرجت إلي كأنك فتى ، فقال عليه السلام : نعم يا أعرابي أنا الفتى ابن الفتى أخو الفتى ، فقال : يا محمد أما الفتى فنعم فكيف ابن الفتى و أخو الفتى ؟ فقال : أما سمعت الله عز وجل يقول : « قالوا سمعنا فتى يذكركم له ابراهيم » الانبياء : (٦٠) فأنا ابن ابراهيم ، وأما أخو الفتى فان منادياً نادى من السماء (في السماءخ) يوم أسد : لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى الأعلى ، فعلى أخي وأنا أخوه .

وفي أمالي الصدوق: رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عمرو بن حبشى عن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: ما قدمت راية قوتل تحتها أمير المؤمنين عليه السلام إلا أنكسها الله تبارك وتعالى وغلب أصحابها وانقلبوا صاغرين ، وما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام بسيفه ذى الفقار أحداً فنجى ، وكان اذا قاتل (قاتل قاتل) جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وملك الموت بين يديه .

وفي اعجاز القرآن لعبد الكريم الخطيب قال : لما ذاعجز العرب عن معارضة القرآن والوقوف في وجه هذا التحدى للذى دعاهم إليه في إصرار وقوة

وإثارة وسخرية؟ لما ذا عجزوا وفي أيديهم كل ما في يده من أسلحة المعركة : .
الحروف والكلمات والأساليب؟؟

والجواب على هذا هو عين الجواب على سؤال كهذا : لما ذا كان علي بن
أبي طالب لا يقف له فارس في ميدان الحرب ، ولا يصمد له بطل في معركة؟ والسيف
الذي في يده مما يباع ويشترى في سوق الأسلحة ومعدات القتال ، وأمثاله كثير
في يد منازليه ومحاربيه؟ ذلك ان السيف انما تختلف أفعاله باختلاف الأيدي
التي تحملها وتقاتل به ، فهو في يده أشبه بالعصا وفي يد أخرى أشبه بالشعلة من النار،
وفي يد ثالثة أشبه بالقذيفة المدمرة أو القدر الذي لا يرد! والشأن كذلك في كل
عمل يكون العنصر الانساني قائماً عليه ومكيفاً له ومؤثراً فيه .



* في فضل ضربة الامام علي عليه السلام يوم الخندق *

وقد أورد في المقام جماعة من أعلام العامة وحملة آثارهم روايات كثيرة بأسانيد عديدة في أسفارهم نشير إلى نبذة منها :

١- روى الحاكم النيشابوري في (المستدرک ج ٣ ص ٢٢ ط حيدرآباد الدکن) باسناده عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ لمبارزة علي بن أبي طالب عليه السلام لعمر بن عبدود يوم الخندق أفضل من أعمال امتي إلى يوم القيامة .

رواه جماعة من أعلام العامة .

منهم : الحافظ الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩ ط السعادة بمصر) .

ومنهم : أخطب خوارزم في (مقتل الحسين ص ٤٥ ط الغري) .

ومنهم : الخطيب الخوارزمي في (المناقب ص ٦٣ ط تبريز) .

ومنهم : الحموريني في (فرائد السمطين) الا انه ذكر (عمل امتي) بدل (أعمال امتي) .

٢- عضد الدين الايجي في (المواقف ص ٦١٧ ط اسلامبول) قال النبي ﷺ يوم الاحزاب : لضربة علي خير من عبادة الثقلين .

رواه التفتازاني في (شرح المقاصد ج ٢ ص ٢٣٠ ط الآستانة) والدهلوي في (تجهيز الجيش ص ٤٠٧)

- ٣- الفخر الرازى فى (نهاية العقول فى دراية الاصول ص ١١٤) قال رسول الله ﷺ يوم الاحزاب : لضربة على يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين .
رواه بهجت افندى فى (تاريخ آل محمد ص ٥٧)
- ٤- الكركى فى (نفحات اللاهوت ص ٩١) يقول النبى ﷺ : ان ضربته (ضربة على ﷺ) تعدل عمل الثقلين إلى يوم القيامة .
- ٥- القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ٩٥ و ١٣٧ ط اسلامبول)
عن حذيفة بن اليمان قال : قال رسول الله ﷺ : ضربة على يوم الخندق أفضل من أعمال امتى إلى يوم القيامة .
- ٦- روى الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ٤٨١ ط لاهور) عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ لمبارزة على بن أبيطالب عليه السلام لعمر بن عبدود يوم الخندق أفضل من عمل امتى إلى يوم القيامة .
رواه الديلمى فى (فردوس الاخبار)
- ٧- ابن أبى الحديد فى (شرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٣٤ ط مصر) ما لفظه :
فأما الخرجة التى خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبدود فانها أجل من أن يقال :
جلیلة وأعظم من أن يقال : عظيمة ، وماهى الا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد
سئله سائل : أيما أعظم منزلة عند الله على أم أبو بكر ؟ فقال : يا بن أخى ، والله
لمبارزة على عمر أ يوم الخندق تعدل أعمال المهاجرين والانصار وطاعاتهم كلها ،
وتربى عليها فضلاً عن أبى بكر وحده . وقد روى عن حذيفة بن اليمان ما يناسب
هذا بل ما هو ابلغ منه ، روى قيس بن الربيع عن أبى هارون العبدى عن ربيعة بن
مالك السعدى قال : أتيت حذيفة بن اليمان فقلت : يا أبا عبد الله ان الناس يتحدثون
عن على بن أبيطالب ومناقبه ، فيقول لهم أهل البصرة : انكم لتفطون فى تقرير
هذا الرجل ، فهل أنت محدثى بحديث عنه أن كره للناس ؟ فقال : يا ربيعة وما
الذى تسئلى عن على ؟ وما الذى احدثك عنه ؟ !

والذى نفس حذيفة بيده لو وضع جميع أعمال امة محمد ﷺ فى كفة الميزان مندبعت الله تعالى محمداً إلى يوم الناس هذا ، ووضع عمل واحد من أعمال على فى الكفة الاخرى لرجح على أعمالهم كلها ، فقال ربيعة : هذا المدح الذى لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل انى لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله ! فقال حذيفة : يا لكع وكيف لا يحمل ! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الهلع والجزع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه على فقتله ! والذى نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمال امة محمد ﷺ إلى هذا اليوم ، وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء فى الحديث المرفوع : « ان رسول الله ﷺ قال ذلك اليوم حين برز إليه : « برز الايمان كله إلى الشرك كله » وقال أبو بكر بن عيَّاش : لقد ضرب على بن أبى طالب عليه السلام ضربة ما كان فى الاسلام أيمن منها ، ضربته عمراً يوم الخندق ، ولقد ضرب على ضربة ما كان فى الاسلام أشأم منها - يعنى ضربة ابن ملجم لعنه الله . وفيه : وفى الحديث المرفوع : ان رسول الله ﷺ قال يوم قتل عمرو : ذهبت ربحهم ، ولا يغزونا بعد اليوم ونحن نفزدهم إن شاء الله .

٨- روى الديلمى فى (الفردوس) باسناده عن ابن عباس قال : لما قتل على بن أبيطالب عليه السلام عمرو بن عبدود العامرى ودخل على النبى ﷺ وسيفه يقطر دماً فلما رآه رسول الله ﷺ قال : اللهم أعط علياً فضيلة لم تعطها أحداً قبله ، ولا تعطها أحداً بعده فهبط جبرئيل عليه السلام ومعه الأترجة من اترج الجنة فقال له : ان الله عز وجل يقرؤك السلام ، و يقول : حياى بهذه على بن أبيطالب فدفعها إليه فانفلقت فى يده فلقنتين فاذا فيها حريرة خضراء مكتوب فيها سطران بخضرة تحفة من الطالب الغالب إلى على بن أبيطالب و يقال : كان ذلك لما قتل عمرواً .

رواه الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٧٦ ط القاهرة) والقندوزى

فى (يتابع المودة ص ٩٥ ط اسلامبول)

٩- روى البيهقى فى (المحاسن والمساوى ص ٤٢ ط بيروت) باسناده عن
أبى مالك الاشجعى ان النبى ﷺ قال : هبط على جبرئيل عليه السلام يوم حنين فقال :
يا محمد ان ربك تبارك وتعالى يقرئك السلام ، وقال : ادفع هذه الاترجة إلى
ابن عمك ووصيك على بن أبى طالب عليه السلام فدفعتها إليه فوضعها فى كفه ، فانفلقت
بنصفين ، فخرج منها رق أبيض مكتوب فيه بالنور من الطالب الغالب إلى على بن
أبى طالب .

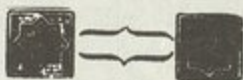
١٠- روى الحافظ أبو بكر البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٧٨ ط
السعادة بمصر) باسناده عن أبى سعيد : ان رسول الله ﷺ قال : لما اسرى بى دخلت
الجنة فناولنى جبرئيل تفاحة فانفلقت بنصفين ، فخرجت منها حوراء فقلت لها :
لمن أنت ؟ فقال لعلى .

رواه الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ١ ص ٦٠ ط القاهرة) و ابن حجر
العسقلانى فى (لسان الميزان ج ١ ص ٢٤٣ ط حيدرآباد الدكن) وغيرهم .
وفى شرح التجريد : قال العلامة قال حذيفة : لما دعا عمرو إلى المبارزة
أحجم المسلمون كافة ما خلا علياً ، فانه برز إليه فقتله الله على يديه ، والذى نفس
حذيفة بيده لعمله فى ذلك اليوم اعظم أجراً من عمل أصحاب محمد إلى يوم القيامة ،
وكان الفتح فى ذلك اليوم على يد على عليه السلام و قال النبى ﷺ : « لضربة على خير
من عبادة الثقلين » وذكره القوشجى أيضاً فى شرحه بعينه .

وفى المجمع : عن محمد بن اسحق فجز على عليه السلام رأسه وأقبل نحو رسول
الله ﷺ ووجهه يتهلل قال حذيفة : فقال النبى ﷺ : أبشر يا على فلو وزن
اليوم عملك بعمل امة محمد ﷺ لرجح عملك بعملهم ، وذلك انه لم يبق بيت
من بيوت المشركين الا وقد دخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين

الأوقد دخله عزّ بقتل عمرو .

وفي البحار : قال : قال : ولا يخفى على أحد أن من كان عمل من أعماله معادلاً لأعمال الثقلين إلى يوم القيامة ، وبضربة منه تشيّد أركان الدين لا ينبغي أن يكون رعيّة لمن امتنّ عليه ضارراً فاعتقه وأمثاله من المنافقين .



﴿ حكم سعد بن معاذ يوم الخندق و غزوة بنى قريظة ﴾

فى السيرة النبوية لابن هشام - على طريق الاختصار منا - ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة و المسلمون و وضعوا السلاح و كان دخول الرسول ﷺ المدينة يوم الاربعاء يوم منصرفه من الخندق لسبع بقين من ذى القعدة . فلما كانت الظهر أتى جبرئيل رسول الله ﷺ كما حدثنى الزهرى معتجراً بعمامة - أى لا يلقى شيئاً تحت لحيته - من إستبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم فقال جبرئيل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، و ما رجعت الآن الآمن طلب القوم ، ان الله عزوجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة فانى عامد إليهم فمززل بهم فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن فى الناس : من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا بينى قريظة ، و استعمل على المدينة ابن ام مكتوم .

و قدم رسول الله ﷺ على بن ابيطالب برأيته إلى بنى قريظة و ابتردها الناس ، فسار على بن ابيطالب حتى دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال : يا رسول الله لا عليك أن لاتدنوا من هؤلاء الأخابث قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لى أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله قال : لو رأونى لم يقولوا من ذلك شيئاً ، فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال : يا إخوان القردة هل أخزاكم الله و أنزل بكم نعمته ؟ قالوا :

يا أبا القاسم ما كنت جهولاً . و مر رسول الله ﷺ بنفر من أصحابه بالصودين - موضع قرب المدينة - قبل أن يصل إلى بنى قريظة ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ﷺ قدم بنادحية بن خليفة الكلبى على بغلة بيضاء عليها رحالة ، عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله ﷺ : ذلك جبرئيل بعث إلى بنى قريظة يزلزل بهم حصونهم و يقذف الرعب فى قلوبهم .
 و لما أتى رسول الله ﷺ بنى قريظة نزل على بشر من آبارها من ناحية أموالهم يقال لها : بشرأنا ، وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة و لم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ : لا يصلين أحد العصر الا بينى قريظة فشغلهم ما لم يكن لهم منه بد فى حربهم ، و أبوا أن يصلوا لقول رسول الله ﷺ : حتى تأتوا بنى قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فمأعابهم الله بذلك فى كتابه ، و لاعنفهم به رسول الله ﷺ ، و حاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار و قذف الله فى قلوبهم الرعب . و قد كان حى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم حين رجعت عنهم قريش و غطفان ، و فاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه ، فلما أيقنوا بان رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم .

قال كعب ابن أسد لهم : يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ما ترون ، و انى عارض عليكم خلافاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شتم قالوا : و ما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل و نصدقه ، فوالله لقد تبين لكم انه لنبى مرسل ، و انه للذى تجدونه فى كتابكم فتأمنون على دمائكم و أموالكم و أبناءكم و نساءكم ، قالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ، و لانستبدل به غيره ، قال : فاذا أبيتتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا و نساءنا ، ثم نخرج إلى محمد و أصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك و راءنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا و بين محمد ، فان نهلك نهلك و لم نترك و راءنا نسلًا نخشى عليه ، و إن نظهر فلعمري لنجدن (لنجدن خ) النساء و الابناء

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خسر العيش بعدهم ؟ قال : فان أبيتم على هذه ، فان الليلة ليلة السبت ، وانه عسى أن يكون محمد و أصحابه قد آمنونا فيها ، فانزلوا علينا نصيب من محمد و أصحابه غرة قالوا :

نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا الا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

- ثم ذكر قصة أبي لبابة و توبته - ثم ان ثعلبة بن سعية و اسيد بن سعية و أسد بن عبيد ، و هم نفر من بنى هديل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله ﷺ و خرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظى ، فمر بحرس رسول الله ﷺ و عليه محمد بن مسلمة تلك الليلة ، فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سعدى - و كان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة في غدوهم برسول الله ﷺ و قال : لا اغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عشرات الكرام ثم خلنى سبيله ، فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلم يدر أين توجه من الارض إلى يومه هذا ، فذكر لرسول الله ﷺ شأنه ، فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه .

و بعض الناس يزعم انه كان أوثق برمة - اى الجبل البالى - فيمن اوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأصبحت رمته ملقاة ، و لا يدرى أين ذهب ، فقال رسول الله ﷺ فيه : تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثبت الأوس فقالوا : يا رسول الله انهم كانوا موالي لنا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت - و قد كان رسول الله ﷺ قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قينقاع ،

وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسئله إياهم عبد الله بن ابي بن سلول ،
فوجههم له - فلما كلمته الاوس قال رسول الله ﷺ : ألا ترضون يا معشر الاوس
أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلى قال رسول الله ﷺ :

فذاك إلى سعد بن معاذ ، و كان رسول الله ﷺ قد جعل سعد بن معاذ
في خيمة لامرأة من أسلم يقال لها : رفيدة في مسجده - و قيل : إنها أنصارية -
كانت تداوى الجرحى و تحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين ،
و كان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق : إجعلوه في
خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ، فلما حكمه رسول الله ﷺ في بنى قريظة
أناه قومه ، فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم ، و كان رجلاً جسيماً
جميلاً ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ و هم يقولون : يا أبا عمرو أحسن
في مواليك فان رسول الله ﷺ انما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فلما أكثر وا عليه
قال : لقد أنى لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ، فرجع بعض من كان معه من
قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة قبل أن يصل إليهم
سعد عن كلمته التي سمع منه ، فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين
قال رسول الله ﷺ :

قوموا إلى سيدكم - فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : انما أراد
رسول الله ﷺ الانصار و أما الانصار فيقولون : قد عم بها رسول الله ﷺ -
فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو و ان رسول الله ﷺ قد ولاك أمر مواليك
لتحكم فيهم ، فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه ، ان
المحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم قال : وعلى من ههنا ؟ في الناحية التي فيها
رسول الله ﷺ و هو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له ، فقال رسول الله
ﷺ : نعم قال سعد : فاني احكم فيهم أن تقتل الرجال و تقسم الاموال وتسبي
الذراري والنساء .

قال رسول الله ﷺ لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة - ان علي بن أبي طالب صاح و هم محاصر و بنى قريظة : يا كتيبة الايمان ، و تقدم هو والزبير بن العوام ، و قال : والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم ، فقالوا : يا محمد نزل على حكم سعد بن معاذ . ثم استنزلوا ، فحبسهم رسول الله ﷺ بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من بنى النجار - و إسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز وكانت تحت مسلمة الكذاب ثم خلف عليها عبدالله بن عامر بن كريز وقيل : هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة زوجة معاذ بن الحارث ابن رفاعة - ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخذق بها خنادق ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يخرج بهم إليه أرسالاً - أي طائفة بعد طائفة - و فيهم عدو الله حبي ابن أخطب و كعب بن أسد رأس القوم ، و هم ست مائة أو سبعمائة والمكشّر لهم يقول :

كانوا بين الثمان مائة والتسع مائة ، و قد قالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، و انه من ذهب به منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ و اتى بحبي بن أخطب عدو الله و عليه حلّة له فقاحية - ضرب من الوشى تضرب إلى الحمرة - قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لثلاث يسلبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي في عدواتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب و قدر و ما حمة كتبها الله على بنى اسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه .

و عن عائشة انها قالت : لم يقتل من نساءهم الا امرأة واحدة ، قالت : والله انها لعندي تحدث معي و تضحك ظهراً و بطناً ، و رسول الله ﷺ يقتل رجالها في السوق إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله ، قالت : قلت لها :

ويملك ! مالك ؟ قالت : أقتل، قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ، قالت : فانطلق بها فضربت عنقها ، فكانت عائشة تقول : فوالله ما أنسى عجباً منها ، طيب نفسها ، وكثرة ضحكها ، و قد عرفت أنها تقتل .

قال ابن هشام : و هي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد ، فقتلته .
و قال أبوذر : هي امرأة الحسن القرظي .

و عن عطية القرظي قال : كان رسول الله ﷺ قد أمر أن يقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم و كنت غلاماً ، فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي . ثم ان رسول الله ﷺ قسم أموال بنى قريظة و نساءهم و أبناءهم على المسلمين ، و أعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل و سهمان الرجال ، و أخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان و لفارسه سهم ، و للراجل من ليس له فرس سهم ، و كانت الخيل يوم بنى قريظة ستة و ثلاثين فرساً و كان أول فيء وقعت فيه السهمان ، و اخرج منها الخمس فعلى سنتها و ما مضى رسول الله ﷺ فيها وقعت المقاسم و مضت السنة في المغازي .

ثم بعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الانصاري أخا بنى عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قرظي إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلاً و سلاحاً . و كان رسول الله ﷺ قد اصطفى لنفسه من نساءهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله ﷺ حتى توفي عنها و هي في ملكه ، و قد كان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ، و يضرب عليها الحجاب ، فقالت : يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ و عليك ، فتركها ، و قد كانت حين سباها قد تعصت بالاسلام و أبت إلا اليهودية ، فمزله رسول الله ﷺ و وجد في نفسه لذلك من أمرها ، فبينما هومع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه ، فقال : ان هذا لثعلبة بن سعية يبشّرني بالاسلام ريحانة ، فجاءه ، فقال : يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسرّه ذلك من أمرها .

ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق الا ستة نفر، وقتل من المشركين ثلاثة نفر. و استشهد يوم بنى قريظة من المسلمين خلا دبن سويد بن ثعلبة طرحت عليه رحي فشد خته شدخاً شديداً.

و في تفسير القمي : قال: ونزل في بنى قريظة : « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب - إلى قوله - و كان الله على كل شيء قديراً » .

قال : و لما دخل رسول الله ﷺ المدينة واللواء معقود أراد أن يغتسل من الغبار فنذاه جبرائيل: عذيرك من محارب ، والله ما وضعت الملائكة لأمتها ، فكيف تضع لامتك؟ ان الله يأمرك أن لا تصلى العصر الا بينى قريظة فاني متقدمك و منزلزل بهم حصنهم انا كنا في آثار القوم نزرهم زجرأ حتى بلغوا حمراء الأسد ، فخرج رسول الله ﷺ فاستقبله حارثة بن نعمان فقال له : ما الخبر يا حارثة؟ فقال : بأبي أنت و امي يا رسول الله هذا دحية الكلبي ينادى في الناس : ألا يصلين العصر أحد الا في بنى قريظة فقال : ذاك جبرئيل ادعوا علياً ، فجاء على ﷺ فقال له : « ناد في الناس أن لا يصلين أحد العصر الا في بنى قريظة » فجاء أمير المؤمنين ﷺ فنادى فيهم ، فخرج الناس فبادروا إلى بنى قريظة ، و خرج رسول الله ﷺ و على ﷺ بين يديه مع الراية العظمى .

و كان حبي بن أخطب لما انهزمت قريش جاء فدخل حصن بنى قريظة فجاء أمير المؤمنين ﷺ فأحاط بحصنهم ، فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن يشتمهم و يشتم رسول الله ﷺ فأقبل رسول الله ﷺ على حمار فاستقبله أمير المؤمنين ﷺ فقال : بأبي أنت و امي يا رسول الله لا تدنو من الحصن فقال رسول الله ﷺ : يا على لعلمهم يشتموني ، انهم لو رأوني لأذلمهم الله ، ثم دنا رسول الله ﷺ من حصنهم ، فقال : « يا أخوالقردة والخنازير و عبدة الطاغوت أشتمونى إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم » فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن ، فقال : والله يا أبا القاسم ما كنت جهولاً فاستحيا رسول الله ﷺ حتى سقط الرداء

من ظهره حياء مما قاله ، و كان حول الحصن نخل كثير ، فأشار إليه رسول الله ﷺ بيده فتباعد عنه و تفرق في المغازة ، و أنزل رسول الله ﷺ العسكر حول حصنهم فحاصروهم (فحاصروهم خ) ثلاثة أيام ، فلم يطلع أحد منهم رأسه . فلما كان بعد ثلاثة أيام نزل إليه غزال بن شمول فقال : يا رسول الله تعطينا ما أعطيت إخواننا من بنى النضير : احقن دماءنا و نخلى لك البلاد و ما فيها و لانكتمك شيئاً ؟ فقال : لا أو تنزلون على حكمي ، فرجع و بقوا أياماً فبكى النساء و الصبيان إليهم ، و جزعوا جزعاً شديداً ، فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ بالرجال فكنفوا و كانوا سبعمائة و أمر بالنساء فعزلوا (فعزلن خ) و قامت الادرس إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله حلفاؤنا و مواليينا من دون الناس نصرنا على الخزرج فسي المواطن كلها ، وقد هبت لعبد الله بن ابي سبعمائة دراع و ثلاثمائة حاسر في صبيحة واحدة ، و ليس نحن بأقل من عبد الله بن ابي ، فلما أكثروا على رسول الله ﷺ قال لهم : أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ فقالوا : بلى فمن هو ؟ قال : سعد بن معاذ .

قالوا : قد رضينا بحكمه فأتوا به في محفة - و هي سرير يحمل عليه المريض أو المسافر - و اجتمعت الادرس حوله يقولون له : يا أبا عمرو اتق الله و أحسن في حلفائك و مواليك ، فقد نصرنا بيغات (بيعات خ) و الحدائق و المواطن كلها ، فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لاتأخذه في الله لومة لائم ، فقال الادرس : و اقوماه ذهب و الله بنو قريظة آخرا الدهر ، و بكت النساء و الصبيان إلى سعد ، فلما سكتوا قال لهم سعد : يا معشر اليهود أرضيتم بحكمي فيكم ؟ قالوا : بلى قد رضينا بحكمك و الله قد رجونا نصفك و معروفك و حسن نظرك فأعاد عليهم القول ، فقالوا : بلى يا أبا عمرو فالتفت إلى رسول الله ﷺ إجلالاً له فقال : ما ترى بأبي أنت و امي يا رسول الله ؟ فقال : احكم فيهم يا سعد فقد

رضيت بحكمك فيهم ، فقال : قد حكمت يا رسول الله أن تقتل رجالهم و تسبي نساءهم و ذراريتهم و تقسم غنائمهم و أموالهم بين المهاجرين و الانصار فقام رسول الله ﷺ فقال :

قد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة - أي السماء - ثم الفجر جرح سعد بن معاذ فما زال ينزفه الدم حتى مضى (قضى خ) رحمه الله و ساقوا الاسارى إلى المدينة ، و أمر رسول الله ﷺ باخدود ، فحفرت بالبقيع ، فلما أمسى أمر باخراج رجل رجل ، و كان يضرب عنقه ، فقال حبي بن أخطب لكعب بن أسد : ما ترى يصنع بهم ؟ فقال له : ما يسوءك أما ترى الداعي لا يقلع ، و الذى يذهب لا يرجع ؟ فعليكم بالصبر و الثبات على دينكم ، فأخرج كعب بن أسد مجموعة يديه إلى عنقه و كان جميلاً و سيماً ، فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال له :

يا كعب أما نفعك وصية ابن الحواس الجبرالذكى الذى قدم عليكم من الشام ؟ فقال : « تركت الخمر و الخنزير » و جئت إلى البؤس و التمور لنبي يبعث مخرجه بمكة و مهاجره فى هذه البحيرة يجتزىء بالكسيرات و التميرات و يركب الحمار العرى فى عينيه حمرة و بين كتفيه خاتم النبوة يضع سيفه على عاتقه لا يبالى من لاقى منكم ، يبلغ سلطانه ، منقطع الخف و الحافر . فقال : قد كان ذلك يا محمد ، و لولا أن اليهود يعيرونى أنى جزعت عند القتل لآمنت بك و صدقتك ، ولكنى على دين اليهود عليه أحيى و عليه أموت ، فقال : رسول الله ﷺ قد موه و ا ضربوا عنقه ف ضربت ، ثم قدم حبي بن أخطب ، فقال رسول الله ﷺ يا فاسق كيف رأيت الله صنع بك ؟ فقال : والله يا محمد ما ألوم نفسى فى عداوتك ، و لقد قلت كل مقلقل ، و جهدت كل الجهد ، ولكن من يخذل الله يخذل ثم قال حين قدم للقتل .

لعمري ما لام ابن أخطب نفسه و لكنه من يخذل الله يخذل

فقدّم و ضرب عنقه ، فقتلهم رسول الله ﷺ فى البردين : بالعداء و العشى

في ثلاثة أيام وكان يقول: « اسقوهم العذب وأطعموهم الطيب وأحسنوا إسارهم » حتى قتلهم كلهم وأنزل الله على رسوله فيهم: « وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم » أي من حصونهم « وقذف في قلوبهم الرعب - إلى - و كان الله على كل شيء قديراً » .

و في قرب الاسناد: عن أبي البختری عن جعفر عن أبيه عن علي عليه السلام انه قال: الحرب خدعة اذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً ، فوالله لئن أخرجت من السماء أو يخطفني الطير أحب إلي من أن أكذب علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا حدثتكم عنى فانما الحرب خدعة ، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه أن بنى قريظة بعثوا إلى أبي سفيان انكم اذا التقيتم أنتم و محمداً أمددناكم و أعانناكم ، فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخطبنا فقال: ان التقينا نحن و أبوسفيان أمددونا و أعانونا ، فبلغ ذلك أباسفيان فقال: غدرت يهود فارتحل عنهم .

وفيه: عن أبي البختری أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث علياً عليه السلام يوم بنى قريظة بالراية ، و كانت سوداء تدعى العقاب ، و كان لواؤه أبيض .

قوله عليه السلام: « بالراية » أي العلم الكبير . واللواء أصغر منها .

و في كمال الدين: باسناده عن ابن عباس قال: لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكعب بن أسد ليضرب عنقه و أخرج و ذلك في غزوة بنى قريظة نظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: يا كعب اما نفعك وصيئة ابن حواش الحبر الذي أقبل من الشام فقال: « تركت الخمر والحميم و جئت إلى البؤس والتمور لنبي يبعث هذا أوان خروجه يكون مخرجه بمكة و هذه دار هجرته وهو الضحوك القتال يجتريء بالكسرة والتميرات ويركب الحمار العارى في عينيه حمرة و بين كتفيه خاتم النبوة يضع سيفه على عاتقه لا يبالي بمن لاقى يبلغ سلطانه ، منقطع الخف والحافر » .

قال كعب : قد كان ذلك يا محمد ، و لولا أن اليهود تعيّرني أنى خشيت عند القتل لآمنت بك و صدقتك ولكنى على دين اليهودية عليه أحيى و عليه أموت فقال رسول الله ﷺ : قد موه فاضربوا عنقه ، فقدّم و ضربت عنقه .
 و فى البحار : و لما انهزم الاحزاب و ولّوا عن المسلمين الدبر عمل رسول الله ﷺ على قصد بنى قريظة ، و أنفذ أمير المؤمنين عليه السلام إليهم فى ثلاثين من الخزرج ، و قال له : انظر بنى قريظة هل نزلوا حصونهم ، فلما شارف سوره من سمع منهم الهجر فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره فقال : دعهم فان الله سيمكّن منهم ، ان الذى أمكّنك من عمرو بن عبدود لا يخذلك ، فقف حتى يجتمع الناس إليك و أبشر بنصر من عند الله ، فان الله تعالى قد نصرنى بالرعب من بين يدي مسيرة شهر ، قال على عليه السلام فاجتمع الناس إلى و سرت حتى دنوت من سوره فأشرفوا على ، فلما رأوني صاح صائح منهم : قد جاءكم قاتل عمرو ، و قال آخر (آخرون خ) : قد أقبل إليكم قاتل عمرو و جعل بعضهم يصيح ببعض ويقولون ذلك ، و ألقى الله فى قلوبهم الرعب و سمعت راجزاً يرتجز :

قتل على عمرواً صاد على صقراً

قصم على ظهرأ أبرم على أمرأ

هتك على سترأ

فقلت : الحمد لله الذى أظهر الاسلام و قمع الشرك ، و كان النبي ﷺ قال لى حين توجهت إلى بنى قريظة : « سر على بركة الله تعالى فان الله قد وعدكم أرضهم و ديارهم » فسرت متيقناً لنصر الله عزوجل حتى ركزت الراية فى أصل الحصن فاستقبلونى فى صياصياهم يسبون رسول الله ﷺ فلما سمعت سبهم له كرهت أن يسمع رسول الله ﷺ ذلك فعملت على الرجوع إليه ، فاذا به ﷺ قد طلع و سمع سبهم له فناداهم : « يا اخوة القردة والخنازير انا اذا حللنا (نزلناخ) بساحة قوم فساء صباح المنذرين » فقالوا له : يا أبا القاسم ما كنت

جهولاً ولا سبباً ، فاستحى رسول الله ﷺ ورجع القهقري قليلاً ثم امرت ، فضربت خيمته بازاء حصونهم ، فأقام النبي ﷺ حاصراً لبني قريظة خمساً و عشرين ليلة حتى سلوه النزول على حكم سعد بن معاذ ، فحكم سعد بقتل الرجال و سبي الذراري و النساء و قسمة الاموال فقال النبي ﷺ : « يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » .

وأمر النبي ﷺ بانزال الرجال منهم وكانوا تسعمائة رجل ، فجيء بهم إلى المدينة ، و قسّم الاموال و استرق الذراري و النسوان ، ولما جيء بالاسارى إلى المدينة حبسوا في دار من دوربني النجار ، و خرج رسول الله ﷺ إلى موضع السوق اليوم فخذق فيه خنادق ، و حضر أمير المؤمنين عليه السلام معه المسلمون و أمر بهم أن يخرجوا ، و تقدم إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن يضرب أعناقهم في الخندق ، فأخرجوا إرسالاً ، و فيهم حبي بن أخطب و كعب بن أسد ، و هما اذناك رئيسا القوم فقالوا لكعب بن أسد و هم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟

فقال : في كل موطن لاتعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، و من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل ، و جيء بحبي بن أخطب مجموعة يده إلى عنقه ، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال : أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس انه لا بد من أمر الله ، كتاب و قدر و ملحة كتبت على بني اسرائيل ، ثم اقيم بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام و هو يقول : قتلة شريفة بيد شريف ، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ان خيار الناس يقتلون شرارهم ، و شرارهم يقتلون خيارهم ، فالويل لمن قتله الاخير الاشراف ، و السعادة لمن قتله الأراذل الكفار ، فقال : صدقت لاتسلبني حلتي ، فقال : هي أهون على من ذلك ، فقال : سترتني سترك الله و مدّ عنقه فضر بها على عليه السلام ولم يسلبه من بينهم ، ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن جاء به : ما كان يقول حبي و هو

يقاد إلى الموت؟ قال: كان يقول:

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه
فجاهد حتى بلغ النفس جهدها
فقال أمير المؤمنين علي عليه الصلاة والسلام:

لقد كان ذا جدّ وجدّ بكفره
فقلّده بالسيف ضربة محفظ
فصار إلى قعر الجحيم يكبل
لأمر إله الخلق في الخلد ينزل

واصطفى رسول الله ﷺ من نساءهم بنت عمرة خنافة، وقتل من نساءهم امرأة واحدة كانت أرسلت عليه حجراً، وقد جاء النبي ﷺ باليهود يناظرهم قبل مباينتهم له فسلمه الله تعالى من ذلك الحجر، وكان الظفر بيني قريظة وفتح الله على النبي ﷺ بأمر المؤمنين علياً وما كان من قتله من قتل منهم، وما ألقاه الله عز وجل في قلوبهم من الرعب فيه، وما ثلث هذه الفضيلة ما تقدّمها من فضائله، وشابهت هذه المنقبة ما سلف ذكره من مناقبه.

وفي تفسير فرات الكوفي: عن محمد بن القرظي قال: لما رجع رسول الله ﷺ من الاحزاب قال له جبرئيل: عفى الله عنك وضعت السلاح؟ ما زلت بمن معي من الملائكة نسوق المشركين حتى نزلنا بهم حمراء الأسد، أخرج وقد أمرت بقتالهم، واني غاد بمن معي فنزلزل بهم حصونهم حتى تلحقونا، فاعطى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب علياً الراية وخرج في أثر جبرئيل عليه السلام وتخلّف النبي ﷺ ثم لحقهم، فجعل كلما مرّ رسول الله ﷺ بأحد فقال: مرت بكم الفارس؟ فقالوا: مرت بنا دحية بن خليفة وكان جبرئيل يشبه به، قال: فخرج يومئذ على فرس وكف بقטיפه ارجوان أحمر، فلما نزلت بهم جنود الله نادى مناد بهم:

يا أباالبابة بن عبد المنذر مالك؟ قال النبي ﷺ: هذا يدعون فأتهم وقل:

معروفاً فلما اطلع عليهم انتحبوا في وجهه يبكون ، وقالوا : يا أباالبابة لاطافة لنا اليوم بقتال من وراءك .

وفي رواية: ان مما صادره رسول الله منهم ١٥٠٠ سيف و ٣٠٠٠ درع و ٢٠٠٠ رمح و ١٥٠٠ ترس و جحفة و خمر عدا كثير من الجمال النواضح والماشية ، وكان عدد الذين قتلوا بين ٦٠٠ و ٧٠٠ واستثنى من القتل من لم ينبت شاربه و أسروا مع النساء والاطفال الذين ارسلوا إلى نجد حيث بيعوا و اشترى بثمانهم خيل و سلاح .

ولا يخفى على القارئ الخبير المتدبر ان الموقف الذي وقفه بنو قريظة في غدرهم وخيانتهم ثم في مظاهر تهمة للأحزاب الشيطانية كان عدوانياً باغياً ، وكان في ظرف تعرض فيه المسلمون والاسلام للاستئصال والابادة فلا جرم أن يكون عقابهم متناسباً مع ذلك ، ولا سيما انهم لم يعتبروا باجلاء بني قينقاع وبني النضير من قبلهم .

وفي المجمع : روى الزهري عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك عن أبيه قال : لما اصرف النبي ﷺ مع المسلمين عن الخندق ، ووضع عنه الأمة - أى الدرع أو السلاح - واغتسل واستحم تبدى له جبرائيل عليه السلام فقال : عذيرك من محارب الأراك قد وضعت عنك الأمة وما وضعناها بعد ، فوثب رسول الله ﷺ فرعاً ، فعزم على الناس أن لا يصلّوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة ، فلبس الناس السلاح ، فلم يأتوا بنو قريظة حتى غربت الشمس ، و اختصم الناس ، فقال بعضهم : ان رسول الله ﷺ عزم علينا أن لا نصلى حتى نأتى قريظة ، فانما نحن في عزمة رسول الله فليس علينا إثم ، وصلّى طائفة من الناس احتساباً و تركة طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس ، فصلّوها حين جاء ابنى قريظة احتساباً فلم يعنف رسول الله ﷺ واحداً من الفريقين .

وذكرة عروة : انه بعث على بن أبى طالب عليه السلام على المقدم و دفع إليه اللواء

وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بنى قريظة ففعل وخرج رسول الله ﷺ على آثارهم ، فمر على مجلس من الانصار في بنى غنم ينتظرون رسول الله ﷺ فزعموا انه قال : مر بكم الفارس آنفاً فقالوا : مر بنادحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج ، فقال رسول الله ﷺ : ليس ذلك بدحية ولكنه جبرائيل عليه السلام أرسل إلى بنى قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب قالوا : وسار على النبي حتى اذانا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق فقال : يا رسول الله لا عليك أن لا ندنو من هؤلاء الأخابث قال : اظنك سمعت لي منهم أذى فقال :

نعم يا رسول الله فقال : لو قدر أدنى لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال : يا اخوة القردة والخنازير هل أخزاكم الله و أنزل بكم نعمته فقالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن أخطب دخل مع بنى قريظة في حصنهم حين رجعت قريش و غطفان ، فلما أيقنوا ان رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الامر ماثرون (ماثرون خ) واني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً فخذوا أيها شتمتم قالوا : ما هن ؟ قال : نبيع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل و انه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دمائكم وأموالكم ونسائكم فقالوا : لانفارق حكم التوراة أبداً ولانستبدل به غيره قال : فاذا أبيتتم على هذا فهلموا فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد رجالاً مصلتين بالسيوف ، ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمننا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً يهمننا وان نظهر لنجدن النساء والابناء فقالوا :

نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم قال : فاذا أبيتتم على

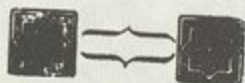
هذه فان الليلة ليلة السبت ، وعسى أن يكون محمد وأصحابه قد امنوا فيها فأنزلوا فعلنا نصيب منهم غرة فقالوا : نفسد سبتنا ونحدث فيها ما أحدث من كان قبلنا . فأصابهم ما قد علمت من المسخ فقال : ما بات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قال الزهري : وقال رسول الله ﷺ حين سئلوه أن يحكم فيهم رجلاً اختاروا من شتم من أصحابي ، فاختاروا سعد بن معاذ فرضى بذلك رسول الله ﷺ فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله ﷺ بسلاحهم فجعل في قبته و أمر بهم فكتفوا وأوثقوا وجعلوا في دار اسامة وبعث رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ فجاء به ، فحكم فيهم بان يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم و نساءهم و تغنم أموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار ، وقال للأنصار: انكم ذرور عقار و ليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله ﷺ وقال لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل .

و في بعض الروايات : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة - وأرفعة جمع ربيع اسم لسماء الدنيا - فقتل رسول الله ﷺ مقاتليهم وكانوا فيما زعموا ستمائة مقاتل . وقيل : قتل منهم أربعمائة وخمسين رجلاً وسبى سبعمائة وخمسين . وروى : انهم قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله ﷺ إرسالاً يا كعب ما ترى يصنع بنا ؟ فقال كعب : أفي كل موطن تقولون : ألا ترون الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وأتى بحبي بن أخطب عدو الله عليه حلة فاختية قد شقها عليه من كل ناحية كموضع الانملة لثلاثيها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله ﷺ فقال : أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ، ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال : أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بنى اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ، ثم قسم رسول الله ﷺ نساءهم وأبناءهم وأموالهم على المسلمين ، و

بعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الانصاري ، فابتاع بهم خيلاً و
سلاحاً قالوا :

فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ ، فرجع رسول الله
ﷺ إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد . وروى عن جابر بن عبد الله قال :
جاء جبرائيل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ فقال : من هذا العبد الصالح الذي مات
فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش فخرج رسول الله ﷺ فاذا سعد بن
معاذ قد قبض .



قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من عظمته ما عظمته

ويعطاهم
من عظمته ما عظمته
من عظمته ما عظمته
من عظمته ما عظمته

أهل بيت النبوة و دلالة آية التطهير

على اختصاصها بالمعصومين عليهم السلام

قال الله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر كم تطهيراً » (الاحزاب : ٣٣) .

لابدلنا قبل الخوض في دلالة الآية الكريمة على الاختصاص من بيان المعاني الواردة في القرآن الكريم للكلمات الثلاث : الرجس و الأهل و الطهارة :

أما الرجس - بكسر الراء وسكون الجيم - ففي الاصل : القذر حساً أو معنئ ، و هو أعم من النجاسة ، و يطلق على ما يستقبح في الشرع و الفطر السليمة من الحرام و الفعل القبيح و العمل السيئ و النجس و العذاب و الرجز و الشيء القذر و الغضب و العقاب و النتن ، و ما لا خير فيه ، و اللعنة و الكفر و النفاق و وسوسة الشيطان و الشك في الدين الحق . و من هنا قيل : الرجس صفة من الرجاسة و هي القذارة هيئة في الشيء توجب الاجتناب و التنفر عنها شرعاً أو طبعاً . و تكون بحسب ظاهر الشيء كرجاسة الخنزير ، و بحسب باطنه و هو الرجاسة و القذارة المعنوية كالشرك و الكفر و النفاق و الشك في الدين و الرجس - بفتح الراء وسكون الجيم و فتحها - : شدة الصوت ، و صوت الشيء المختلط العظيم كالجيش و السيل و الرعد و الانفجار ، فكأن الرجس هو العمل الذي يقبح ذكره و يرتفع في القبح .

قال الله تعالى : « كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون » الانعام : ١٢٥ (أى الكفر والضللال أو العقاب و الغضب . وفى دعاء الوتر : « و أنزل عليهم رجسك و عذابك » .

و قال : « و يجعل الرجس على الذين لا يعقلون » يونس : ١٠٠) أى يجعل الضلال أو الشك و الريب على أهل العناد والجحود . وقيل : العذاب .
وقال : « فاعرضوا عنهم انهم رجس » التوبة : ٩٥ (أى قذر لخبث باطنهم ، فكأن رجس النفاق والكفر والفسق قد أحاطت بهم بحيث صاروا هم عين الرجس .
و قال : « قد وقع عليكم من ربكم رجس و غضب » الاعراف : ٧١) أى لعنة أو رجز و عذاب .

و قال : « انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » المائدة : ٩٠ (أى وسوسة و إلقاء أو قبيح و خبيث يزينه الشيطان .
و قال : « فاجتنبوا الرجس من الاوثان » الحج : ٣٠ (أى الشرك الكائن فى عبادة الاوثان .

و قال : « الا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس » الانعام : ١٤٥ (أى نجس أو حرام .

و قال : « و أما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم و ماتوا وهم كافرون » التوبة : ١٢٥ (أى شكاً و نفاقاً جديداً إلى شكهم و نفاقهم السابق .
و قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » الاحزاب : ٣٣ (أى الشك فى الدين .

و أما الاهل فله معان :

- ١ - الزوجة أهل للزوج كقوله تعالى : « إذ قال موسى لأهله انى آنتن ناراً » النمل : ٧) أى قال موسى لامرأته و هى بنت شعيب النبی ﷺ .
- ٢ - أهل الدار سكانها من الزوج و الولد و من معهما كقوله تعالى : « و

امر أهلك بالصلاة » طه : ١٣٢) والمراد بالاهل بحسب انطباقه على وقت النزول خديجة زوج النبي الكريم ﷺ و علي بن أبي طالب وكان من أهله و في بيته أو هما و بعض بنات خديجة ﷺ .

٣ - الاهل : الاخصاء و المخصوصون و الممتازون ليس لغيرهم بصاحب الاهل تلك الخصوصية و الامتياز كقوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » الاحزاب : ٣٣) يعنى أهل بيت الرسول ﷺ و المخصوصين منهم من علي بن أبي طالب و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم . و قوله تعالى : « قالوا أتعجبين من أمر الله و رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت » هود : ٧٣) ولكن المراد المخصوصون بابراهيم ﷺ لقوله : « عليكم أهل البيت » .

٤ - أهل الرجال : عشيرته و ذو قرباه كقوله تعالى : « فابعثوا حكماً من أهله و حكماً من أهلها » النساء : ٣٥) .

٥ - أهل الكتاب : اليهود و النصارى كقوله تعالى : « يا أهل الكتاب لم تحتاجون في ابراهيم » آل عمران : ٦٥) .

٦ - أهل الارض و القرية و المدينة : سكانها كقوله تعالى : « أولم يهد للذين يرتون الارض من بعد أهلها » الاعراف : ١٠٠) و قوله : « ولو أن أهل القرى آمنوا » الاعراف : ٩٦) و قوله : « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » التوبة : ١٠١) .

٧ - أهل الذكر : أهل القرآن و هم أهل الله تعالى و خاصته و هم أولياء الله و المختصون به اختصاص أهل الانسان به كقوله تعالى : « واسئلوا أهل الذكر » الانبياء : ٧) .

٨ - أهل المذهب : أتباعه ، و أهل الاسلام : من يدين به ، و أهل الامر : ولاته ، و أهل النبي : امته . قال الله تعالى : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين و أهلك - انه ليس من أهلك » هود : ٤٠ - ٤٦) .

٩ - أهل الامانة : أصحابها من الاموال والاملاك كقوله تعالى : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها » النساء : ٥٨ .

١٠ - أهل المكر والخداع والمعصية : أصحابها قال الله تعالى : « ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله » فاطر : ٤٣ .

١١ - أهل النار : أصحابها قال الله تعالى : « ان ذلك لحق تخاصم أهل النار » ص : ٦٤ .

١٢ - الأهل : الأجدد واللاحق ، و الأهلية : الصلاحية . يقال : فلان أهل لكذا : أى خليق به و صالح لذلك . قال الله تعالى : « و أَلزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَ كَانُوا أَحْقَقَ بِهَا وَأَهْلُهَا » الفتح : ٢٦ وقال : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » المدثر : ٥٦ .
يعنى هو أحق أن يتقى منه و هو أحق ان يغفر لمن يتقى منه .

و أما الطهارة : فهى على ضربين :

أحدهما - طهارة الجسم و الظاهر ، وهى زوال الدنس و القذر كقوله تعالى : « ولا تقربوهن حتى يطهرن » البقرة ٢٢٢) أى من دم الحيض .

ثانيهما - طهارة النفس و هى تنزهها عما لا يحل و ابتعادها عما لا يجوز كقوله تعالى : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » التوبة : ١٠٨) و قوله : « فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخرجوا آل لوط من قريبتكم انهم اناستطهرون » النمل : ٥٦ .

و ان تطهير النفس قد يكون بابتعادها عن الشك فى الدين الحق و الشرك و الكفر و النفاق و اجتنابها من المعاصى و الذنوب ... كقوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيتهم بها » التوبة : ١٠٣) و قوله : « و طهّر بيتى للطائفين و القائميين » الحج : ٢٦ .

وقد يكون بصون النفس من قذارة الباطل و الريبة و مداخلة الشياطين ، و هذا معنى اعتصامها بعصمة الله تعالى و كونها مصطفاة معصومة .

قال الله تعالى : « ان الله اصطفاك و طهرتك واصطفاك على نساء العالمين »
 آل عمران : ٤٢) و قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و
 يطهركم تطهيراً » الاحزاب : ٣٣) -

و قال : « رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة » البينة : ٢) .

في عيون الاخبار : باسناده عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا عليه السلام
 مجلس المأمون بمرور وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و
 خراسان ، فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الآية : « ثم أدرئنا الكتاب
 الذين اصطفينا من عبادنا » فقالت العلماء : أراد الله عزوجل بذلك الامة كلها ،
 فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟ فقال الرضا عليه السلام : لأقول كما قالوا ولكنني
 أقول : أراد الله عزوجل بذلك العترة الطاهرة - إلى أن قال - قالت العلماء :
 فأخبرناهل فسر الله تعالى الاصطفاء في الكتاب ؟ فقال الرضا عليه السلام : فسر الاصطفاء
 في الظاهر سوى الباطن في اثني عشر موطناً وموضعاً - إلى أن قال - : والاية الثانية
 في الاصطفاء : قوله عزوجل : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
 و يطهركم تطهيراً » وهذا الفضل الذي لا يبعده أحد معاند أصلاً (لا يجهله أحد
 إلا معاند ضال خ) لانه فضل بعد طهارة تنتظر (ينتظر خ) فهذه الثانية .

* آية التطهير والعصمة *

و في دلالة آية التطهير على عصمة أهل بيت النبوة والرسالة كلمات من أعلام العامة ومحققى الشيعة الامامية الاثنى عشرية لا ينبغي لاحد من سليم العقول والاحرار الغفلة عنها ، فنذكرها على طريق الاختصار :

ومن العامة: السيد السهمودى فى (جواهر النقد فى فضل الشرفين) ما لفظه: قلت : وانما أيدت بهذه الآية معنى آية التطهير لأنى تأملتها مع ما ورد من الاخبار فى شأنها وما صنعه النبى ﷺ بعد نزولها ، فظهر لى انها منسبوع فضائل أهل البيت النبوى لاشتمالها على امور عظيمة لم أترعّض لها : أحدها: إعتناء البارى جل وعلا بهم وإشارته لعلو قدرهم حيث انزلها فى حقهم .

ثانيها : تصديره لذلك «إنما» التى هى أداة الحصر لإفادة ان إرادته فى أمرهم مقصورة على ذلك الذى هو منبع الخيرات لا تتجاوزه إلى غيره .
ثالثها - تأكيده لتطهيرهم بذكر المصدر ليعلم انه فى أعلى مراتب التطهير.
رابعها: تنكيره تعالى لذلك المصدر حيث قال: «تطهيراً» للإشارة إلى كون تطهيره إياهم نوعاً عجيباً غريباً ليس مما يعهده الخلق، ولا يحيطونه بدرك نهايته.
خامسها: شدة إعتناء ﷺ وإظهار اهتمامه بذلك وحرصه على ذلك مع إفادة الآية لحصوله فهو إذاً لتحصيل المزيد من ذلك حيث كرر طلبه لذلك من مولاه عز وجل مع استعطافه بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى» أى وقد

جعلت إرادتك في أهل بيتي مقصورة على إذهاب الرجس وأذهبه عنهم ، وطهرهم تطهيراً بان تجدر لهم من مزيد تعلق الارادة بذلك ما يليق بعطائك .

سادسها - دخوله صلى الله عليه وآله في ذلك لما ورد عن أبي سعيد الخدرى وغيره انها نزلت في خمسة وقد تقدم ، وقد جاء في رواية ام سلمة رضى الله عنها نزلت هذه الاية في بيتي : «انما يريد الله» الاية . في سبعة : جبرئيل وميكائيل ورسول الله وفاطمة وعلى والحسن والحسين ، وفيه مزيد كرامتهم وإبانة تطهيرهم وابعادهم عن الرجس ما لا يخفى موقعه عند اولى الالباب .

سابعها : دعائه صلى الله عليه وآله بما تضمنت الاية وبان يجعل الله صلواته ورحمته وبركاته ومغفرته ورضوانه عليهم لان من كانت إرادة الله فى أمره مقصورة على ذهاب الرجس عنهم والتطهير لهم كان حقيقاً بهذه الامور .

ثامنها : فى طلب ذلك له صلى الله عليه وآله ولهم من تعظيم قدرهم وإنافة منزلتهم حيث ساوى بين نفسه وبينهم فى ذلك ما لا يخفى .

تاسعها : انه صلى الله عليه وآله سلك فى طلب ذلك من مولاة عز وجل أعظم اسلوب وأبلغه حيث قدم مناجاته تعالى على الطلب بقوله : «اللهم قد جعلت صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك على ابراهيم» فأتى بهذه الجملة الخبرية المقرونة بـ «قد» التحقيقية المفيد لتحقيق ذلك من مولاة ثم اتبعها بالمناجاة بقوله : «انهم منى وأنا منهم» وذلك من قبيل الاخبار ثم فرع على الجملة الطلبية حيث قال : فاجعل صلواتك لسر لطيف ظهر لى بوجهين :

أحدهما - تمام المناسبة فى الابوة الابراهيمية التى فانها تقتضى استجابة هذا الدعاء ، وأن يعطى ما طلبه لنفسه ولاهل بيته كما اعطى ابوه ابراهيم .

ثانيهما - انه صلى الله عليه وآله من جملة آل ابراهيم كما عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : «ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم» الاية فمحمد صلى الله عليه وآله من آل ابراهيم وآله قد اعطوا تلك الانوار فقد ثبت اعطاء الانوار له فيما مضى و

آله منه ، وهو منهم فتوصل لاستجاب انعامه بذكر انعامه .

عاشرها: ان دعائه وَاللَّهُ سَمِيحٌ مُّقْبِلٌ مقبول سيما في أمر الصلاة عليه فقد دعاهم لآله أن يختصه وآله بالصلاة عليه وعليهم ، فتكون الصلاة عليه وعليهم من ربه عز وجل .
الحادي عشر : ان جمعه معه وَاللَّهُ سَمِيحٌ مُّقْبِلٌ في هذا التطهير الكامل وما نشأ عنه و عنهم من الصلاة عليه وعليهم مقتضى للاحاقهم بنفسه الشريفة كما يشير إليه قوله : «اللهم انهم مني وأنا منهم» وقوله : «انا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم» و كذا الحقوا به في قصة المباحلة المشار إليها بقوله تعالى : «قل تعالوا ندعوا أبناءنا وأبناءكم . . .» فالحق تعالى أهل الكساء به وَاللَّهُ سَمِيحٌ مُّقْبِلٌ ولانه أكد في الدلالة على ثقته واستيقانه صدقه حيث اجترأ على تعريض أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس إليه لذلك ، ولم يقتصر على تعريض نفسه وعلى ثقته بكذب خصمه .

الثاني عشر: ان قصر الارادة الالهية في أمرهم على إزهاب الرجس والتطهير يشير إلى ما سيجيء من تحريمهم في الآخرة على النار .

الثالث عشر : حثهم بذلك على كمال البعد عن دنس الذنوب والمخالفات و تمام الحرص على امتثال المأمورات بدلالة ما سبق من قوله وَاللَّهُ سَمِيحٌ مُّقْبِلٌ عند تذكيرهم بالصلاة : «الصلاة يرحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا» .

الرابع عشر : ان قوله وَاللَّهُ سَمِيحٌ مُّقْبِلٌ ، فجعلني في خيرهم بيتاً فذلك قوله تعالى : «انما يريد الله» الآية دال على انهم استحقوا بذلك أن يكونوا خير الخلق .

و الخامس عشر : ان الآية أفادت طهارتهم ومساواتهم نشأ من ذلك إلاحاقهم به في المنع من الصدقة التي هي أوساخ الناس وعوضوا عن ذلك خمس من الفيء والغنيمة ولذلك قال وَاللَّهُ سَمِيحٌ مُّقْبِلٌ : لا احل لكم أهل البيت من الصدقات شيئاً ولاغسالة الايدي ان لكم في خمس الخمس ما يكفيكم إلى آخر ما أفاد .

ومنهم : العلامة الحداد ابو بكر الحضرمي الشافعي في (القول الفصل ج ٢ ص ٣٢٠) ما لفظه ، واعلم انه مما يتصل بآية التطهير وحديثها و يثبت مقتضاها و

يؤيد معناها ، وينزل منها بمنزلة المعلول من العلة والتفصيل من الجملة ما ثبت من
تحريم الزكاة عليه وآله صلى الله عليهم أجمعين تنزيهاً لمقامهم وتقديساً لذواتهم
لانها أوساخ الناس و غسالة الايدي ومظنة المنة من معطيها ، و كون يده العليا و
لا يليق أن يترفع عليهم أحد أو تعلقوا أيديهم يدفان ذلك مباين لما يجب من تجليلهم
واحترامهم وما يقتضيهم علو مكانهم . إلى آخر ما قال وأجال القلم في المضمار .
ومما يناسب المقام أبيات من العلامة الشيخ محمد الحضرمي التريمي :

| | |
|------------------------|-------------------------|
| دع امة في غيبتها راکضة | وفي ضلالات الردي خائضة |
| تجهد أن تطمس نور الهدى | و أن تسرى أبحره غائضة |
| و هي لعمر الله اخيب من | كف على الماء غدت قابضة |
| تنتحل الارشاد جهلاً به | وهي إلى هدم العلي ناهضة |
| مذهبها بغض بنى المصطفى | يساقبها من فئة باغضة |
| إلى أن قال : | |

| | |
|---------------------------|------------------------|
| أيتها العترة لاتعبأوا | سحابة صيفية عارضة |
| وفيك من سيفه مرهف | و قوسه موترة نابضة |
| يرمي بها الاعداء حتى ترى | وهي بادراك الردي حارضة |
| من كل شحم من بنى هاشم | فروع مجد للمعدى هائضة |
| أما تر و اشمس الهدى أشرفت | فبان غي الفئدة الراكضة |

و منهم : السيد يحيى بن عمر مقبول الاهدل بعد ذكر كلام السهمودي ما لفظه :
فاذا تقرر لديك ذلك فايضاح وجه الاستهلال ان من المعلوم المقطوع به
عند أهل السنة ان إرادته تعالى أزلية ، وانها من صفات الذات القديمة بقدمها
الدائمة بدوامها ، وقد علّق الله تعالى الحكم بها اذ أحكام صفات الذات المعلقة
بها لا يجوز عليها التجوز لانه يلزم منه حدوث تلك الصفة ، فيلزم من حدوثها

حدوث ذات القديمة ، وقيام الحوادث بها و كل منهما يستحيل قطعاً تعالى الله عن ذلك .

حتى قال جمع من المشايخ العارفين : يجب على كل مسلم ان يعتقد أن لابديل لما اختص الله تعالى به أهل البيت بما أنزل الله فيهم اذ شهادته لهم بالتطهير و إزهاب الرجس عنهم في الازل على الوجه المذكور .

واختلف في كون الارادة المذكورة في الآية هل هي تكوينية كما عليه أكثر الأشاعرة أو تشريعية كما عليه المعتزلة أوهما معاً كما ذهب إليه ابن تيمية، فبأى منها كانت لاتخفى عليك أيها القارئ الكريم المتجنب عن الحمية الجاهلية و العصية الباطلة اذا نظرت الروايات و الأحاديث الواردة المتواترة المستفيضة في المقام ، و دلالة الآية الشريفة على طهارة أهل البيت النبوي وآله وصحبه و عصمتهم من كل رجس ظاهري و باطني ، خلقى و خلقى ، قولى و فعلى كالشمس المشرقة على البسيط التى نستضيء بها الكائنات من الذرة إلى الذرة ، فلا مجال للترديد فى نزولها فى حقهم ، وان الخمسة صلى الله عليهم أجمعين هم أصحاب الكساء وهم المعنيون و المقصودون بها من غير تشريك أحد حتى امهات المؤمنين .

و نعم ما قال الشيخ أحمد الشافعى المصرى كما فى كتاب (المشارك)

للعوى :

لآل البيت عزّ لا يزول و فضل لاتحيط به العقول
و إجلال و مجد قد تسمى و قدر ما لغايته وصول
و فى التنزيل بالتطهير خصّوا و مدحتهم بها شهد الرسول

و قال الشيخ يوسف النبهانى البيروتى :

آل طه يا آل خير نبي جدكم خيرة و أنتم خيار
اذهب الله عنكم الرجس أهل البيت قدماً و أنتم الاطهار
لم يسجدكم على الدين أجرأ غير وداً القربى و نعم الاجار

وقال السيد محمود الخلوئي دمشقي في ديوانه :

اني دخيل المرتضى وفاطمة وابنيهما أهل العباء الباسمة

وقال الشيخ عبدالحسين الحوينزي الحائري :

أذهب الله عنهم كل رجس بهدى الآية التي اهداها

كان تطهيرها بأنفس أمجاد بهم أفلح الذي زكاه

وغيرهم من كلمات أعلام العامة . . .

وأما محققو الشيعة الامامية الاثني عشرية : فمنهم السيد شرف الدين قدس سره في (الفصول المهمة) ما لفظه : تنبيهان : أحدهما - ان الآية دلت على عصمة الخمسة لان الرجس فيها عبادة عن الذنوب كما في الكشاف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي «انما» فأفادت ان ارادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على اذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها ، وهذا كنه العصمة وحقيقتها .

ثانيهما - أنها دلت بالالتزام على إمامة أمير المؤمنين لانه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ، ولا يكونون كاذبين لان الكذب من الرجس الذي أذهب الله عنهم وطهرهم منه تطهيراً .

و منهم : العلامة المجلسي رضوان الله تعالى في (البحار) قال : اعلم أن هذه الآية مما يدل على عصمة أصحاب الكساء عليهم السلام لان الامة بأجمعها اتفقت على ان المراد بأهل البيت أهل بيت نبينا صلوات الله وسلامه .

وفي هامش احقاق الحق : اعلم أن الآية صريحة في الدلالة على عصمة أهل البيت توضيحه ان الآية صريحة في تعلق إرادته تعالى بتطهير أهل البيت فيثبت تحققه لاستحالة تخلف إرادته عن اسمه عن مراده لكونها مرادة بالارادة التكوينية لامحالة دون التشريعية فان الارادة التشريعية لاتتعلق الا بفعل المكلف وهي مساوق للامر به ، وقد تعلق في الآية بفعل الله جل وعز ، فقال : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس و يطهركم تطهيراً» مضافاً إلى أن إرادته تعالى بالارادة التشريعية للطهارة

لا تختص بأهل البيت بل يعم جميع المكافين ، و بالجمله ماسموه في الاصطلاح بالارادة التشريعية ليس الا ارادة صدور الفعل عن العبد باختياره المستتبعة لمجرد أمر المولى عبده بذلك الفعل من غير أن يصدر من المولى ما يوقعه في الفعل ، ويلزمه عليه بل العبد قد يختار عصيانه ، و قد يختار طاعته باستقلال إرادته من غير أن تتوجه إليه قدرة تقوده إلى الفعل أو الترك .

ومن هنا يعلم ان الارادة التشريعية ليست إرادة في الحقيقة ، فان الارادة على ما عرفوها هي كيفية نفسانية مستتبعة لتحريك العضلات نحو الفعل ، وإن كان يجب تجريدها بالنسبة إلى المبادئ العالية عن خصوصية كونها كيفية عارضة وتجرید فعله عن كونه بتحريك العضلات ، فيكون ما يتحقق من المولى عند التكليف مجرد إرادة الامر و الايجاب أو النهي والتحریم .

ثم ان من البديهي أيضاً انه ليس المراد من الرجس الرجس البدني الظاهري فالمراد منه الرجس الباطني من الشرك والكفر والشك و دنس الذنب ومعصية الله و كل ما يعد رجساً . فان قلت : يحتمل أن يراد من التطهير انه تعالى غفر ذنوبهم . قلت : ان المغفرة لا تطهر الدنس الحادث في نفس العاصي بل انما يوجب رفع العقوبة عنه ضرورة ان مغفرة المعصية لا توجب انقلابها عما وقعت عليها ، الا ترى ان مغفرة المظلوم لظلم من ظلمه لا يخرج فعله عن القبح .

هذا مضافاً إلى أن حمل الآية عليها تنافي اطلاق الآية ، فان مغفرة الذنب لا تكون الا بعد تحققه ، فالمذنب عند صدور الذنب منه غير مطهر لعدم امكان مغفرة الذنب عند الارتكاب به ، و الا خرج عن كونه ذنباً و لم يصدق عليه عنوانه .

وبالجمله قد ظهر من الأحاديث التي قدمنا نقلها ، وقد حكموا بصحتها ان أهل البيت هم أصحاب الكساء خاصة ، ودخول أزواجه ^{بالبصائر} معهم تحته مما لم ينقله أحد مع انه لامحرمية بينهن وبين علي ^{عليه السلام} فالظن بدخولهن أو هن مع

من تحرم عليه الصدقة مطلقاً في أهل البيت وهم و تخليط أو عناد أعاذنا الله منها .

والاية الكريمة دال على عصمتهم عليهم السلام من الارجاس بجميع أنواعها با لتأكيدات التي قدمنا الاشارة إليها من ذكر لفظة «انما» و إدخال اللام في الخبر ، واختصاص الخطاب وتكرير المؤدى ، و ايراد المفعول المطلق بعده و تنكيره الدال على الاهتمام والتعظيم و تقديم ما حقه التأخر كتقديم «عنكم» على «الرجس» .

فانشدك أيها الاخ أفبعد هذا يبقى لك ريب وشك في السند ؟ أو الدلالة ؟ أو الجهة !!! لا والله العلى العظيم فارجو من اخواني أهل الجماعة المنتحلين إلى السنة أن ينبذوا اتباع سلفهم ، و يمنعوا النظر فيما تلونا عليهم و ربي الواقف على الضمائر والمطلع على السرائر يعلم اني مخلص في هذه النصيحة إياهم لافي ضميري مرض وليس سوى الارشاد غرض سبيل ربي فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا هديناه السبيل إما شاكرأ وإما كفورأ .

إلى الله في كل الامور توكلى وبالخمس أصحاب الكساء توسلى

محمد المبعوث للناس رحمة وفاطمة الزهراء والمرضى على

اللهم امتنا ممانهم و احيناحياتهم واحشرنا في زمرتهم ولا تفرق بيننا و بينهم طرفه عين أبداً آمين آمين .

ومنها : السيد الطباطبائي قدس سره في (الميزان) ما لفظه: وأياً ما كان فهو - إذهاب الرجس - إدراك نفساني وأثر شعوري - من تعلق القلب بالاعتقاد الباطل أو العمل السيئ و إذهاب الرجس - واللام فيه للمجنس - إزالة كل هيئة خبيثة في النفس تخطيء حق الاعتقاد والعمل ، فتنطبق على العصمة الالهية التي هي صورة علمية نفسانية تحفظ الانسان من باطل الاعتقاد وسيئ العمل .

على أنك عرفت أن إرادة التقوى أو التشديد في التكليف لاثلاثم اختصاص

الخطاب في الآية بأهل البيت، وعرفت أيضاً ان إرادة ذلك لاتناسب مقام النبي ﷺ من العصمة .

فمن المتعين حمل إذهاب الرجس في الآية على العصمة ، ويكون المراد بالتطهير في قوله : «و يطهر كم تطهيراً» - وقد أكد بالمصدر - إزالة أثر الرجس بايراد ما يقابله بعد إذهاب أصله ، ومن المعلوم ان ما يقابل الاعتقاد الباطل هو الاعتقاد الحق فتطهيرهم هو تجهيزهم بادراك الحق في الاعتقاد والعمل ، ويكون المراد بالارادة أيضاً غير الارادة التشريعية لما عرفت ان الارادة التشريعية التي هي توجيه التكاليف إلى المكلف لاتلائم المقام أصلاً . والمعنى ان الله سبحانه تستمر إرادته أن يخصصكم بموهبة العصمة باذهاب الاعتقاد الباطل ، وأثر العمل السيئ عنكم أهل البيت وايرادما يزيل أثر ذلك عليكم وهي العصمة.



﴿ آية التطهير و أهل البيت المعصومون ﴾

وقد وردت روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة في كتبهم الحديثية و التفسيرية و الكلامية : ان آية التطهير نزلت في حق « علي و فاطمة و الحسن و الحسين سبطي المصطفى » خاصة و نقلوا في هذا الشأن أحاديث متينة الاسناد واضحة الدلالات لا يستطيع أحد إنكارها الآمن كان منافقاً أو مريض القلب الذي يوسوس في صدور الناس و انعقد الاجماع على ذلك كما صرح به بعضهم كابن حجر في (الصواعق) و المحدث الدشتكي في (روضة الاحباب) و غيرهما .

و هناك شرذمة قليلة من العامة متعصبة بعصية جاهلية عمياء بشمول الآية زوجات النبي الكريم ﷺ متشبثة بروايات ضعيفة الاسناد ، و خفية الدلالات مع دخول آل العباء فيها ، ولكن اذا تدبر متدبر منصف سليم القلب غير مخدوش العقل في الروايات الواردة في كتب العامة تجد اختصاص الآية الكريمة بهؤلاء المعصومين صلوات الله عليهم فلا يعتنى بما ذهب هؤلاء الشرذمة الموسوسة بالعموم .

و نحن نذكر يسيراً من الكثير على ماورد في كتب العامة باسانيدهم و ألفاظهم ، و نحيل البقية إلى تتبع البحاثه النقاب ، فممن صرح بنزول آية التطهير في حق « علي و فاطمة و الحسين صلوات الله عليهم » فقط أو اختصاصها بهم :

١ - روى الحاكم في (المستدرک - على الصحيحين ج ٢ ص ٤١٦) باسناده عن ام سلمة انها قالت : في بيتي نزلت هذه الآية : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » قالت : فأرسل رسول الله ﷺ إلى علي و فاطمة و الحسن

والحسين رضوان الله عليهم أجمعين ، فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي قالت ام سلمة : يا رسول الله ما أنا من أهل البيت ؟ قال : انك على خير ، و هؤلاء أهل بيتي .

و ذكر رواية اخرى عن واثلة بن الاسقع ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم .

و كذا فى (ج ٣ ص ١٤٦ من الكتاب ط حيدرآباد) أورد الرواية بهذا السند أيضاً . و فى (ج ٣ ص ١٣٢ و ص ١٤٧ و ص ١٥٩) و فى (ج ٢ ص ١٥٠ و ١٥٢) و فى اختصاص عنوان أهل البيت بعلى و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام مما لا يخفى على متأمل منصف سليم القلب من الغرض و المرض .

٢ - روى القندوزى الحنفى فى (ينابيع المودة ص ١٧٤ ط اسلامبول) ما لفظه : و فى مودة القربى عن أنس بن مالك و عن زيد بن على بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : كان النبي صلى الله عليه وآله يأتى كل يوم باب فاطمة عند صلاة الفجر فيقول : الصلاة يا أهل بيت النبوة : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » تسعة أشهر بعد ما نزلت : « و أمرأهلك بالصلاة و اصطبر عليها » و روى هذا الخبر عن ثلاثمائة من الصحابة .

٣ - روى الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ١٠ ط أمين الخانجى بمصر) باسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبي صلى الله عليه وآله فى قوله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قال : جمع رسول الله صلى الله عليه وآله و فاطمة و الحسن و الحسين ثم أدار عليهم الكساء فقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً ، و ام سلمة على الباب فقالت : يا رسول الله أأنت منهم ؟ فقال : انك لعلى خير أو إلى خير .

٤ - روى الحاكم فى (المستدرک ج ٣ ص ١٧٢) عن على بن الحسين

قال : خطب الحسن بن علي عليه السلام الناس حين قتل علي عليه السلام فحمد الله و اتنى عليه ثم قال : لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الاولون بعمل ، و لا يدركه الاخرون وقد كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يعطيه رايته ، فيقاتل و جبرئيل عن يمينه و ميكايل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عليه ، و ما ترك علي أهل الارض صفراء و لا بيضاء الا سبع مائة درهم فضلت من عطاياه أراد أن يبتاع بها خادماً لاهله ثم قال :

أيها الناس من عرفني ، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، و أنا ابن النبي و أنا ابن الوصي و أنا ابن البشير و أنا ابن النذير و أنا ابن الداعي إلى الله باذنه و أنا ابن السراج المنير ، و أنا من أهل البيت الذي كان جبرئيل ينزل إلينا و يصعد من عندنا ، و أنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً و أنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على كل مسلم ، فقال تبارك و تعالی لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم : « قل لأستلکم علیه أجراً الا المودة فی القربى و من یقترف حسنة نزدله فیها حسناً » فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت .

٥ - روى الحاكم الحسكاني الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٨ ط بيروت) باسناده عن هلال بن يساف يقول : سمعت الحسن بن علي وهو يخاطب الناس ويقول : يا أهل الكوفة اتقوا الله عز وجل فينا ، فانا امرؤكم و انا ضيفانكم و نحن أهل البيت الذين قال الله عز وجل : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهرکم تطهيراً » .

٦ - روى الطبري فى (تفسيره جامع البيان) باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى علي رضی الله عنه و حسن رضی الله عنه و حسين رضی الله عنه و فاطمة رضی الله عنها « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهرکم تطهيراً »

٧ - و عنه أيضا باسناده عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه و آله و سلم ان هذه الآية نزلت

في بيتها : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً »
 قالت : وأنا جالسة على باب البيت ، فقلت : أنا يا رسول الله أأست من أهل البيت؟
 قال : انك إلى خير أنت من أزواج النبي ﷺ قالت : وفي البيت رسول الله ﷺ
 و علي و فاطمة و الحسن و الحسين رضی الله عنهم .

٨ - روى الحافظ البغوي الشافعي في (مصابيح السنة ج ٢ ص ٢٠٤ ط
 القاهرة بمطبعة الخشاب) قال ما لفظه : من الصحاح عن عائشة قالت : خرج
 النبي ﷺ غداة وعليه مرط من رجل من شعرا سود موشى منقوش ، فجاء الحسن
 بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي
 فأدخله ثم قال : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم
 تطهيراً » .

رواه الزمخشري في تفسيره (الكشاف) و الفخر الرازي في تفسيره .

٩ - روى ابن الاثير الجزري الموصلي في (اسد الغابة ج ٢ ص ١٢ ط
 مصر) ما لفظه : عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ قال : لما نزلت هذه الآية
 على النبي ﷺ « انما يريد الله » الآية في بيت ام سلمة فدعى النبي ﷺ فاطمة
 و حسناً و حسيناً فجلبهم بكساء و علي خلف ظهره ثم قال : هؤلاء أهل بيتي
 فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً . قالت ام سلمة : و أنا معهم يا رسول الله
 ﷺ قال : أنت علي مكانك انت في خير .

رواه السيوطي في (الاتقان في علوم القرآن ج ٢ ص ٢٠٠) .

١٠ - روى الكنجي الشافعي في (كفاية الطالب ص ٢٣٢ ط النجف
 الاشرف) باسناده عن أبي الحمراء قال : صحبت رسول الله ﷺ تسعة أشهر و
 كان اذا أصبح أتى باب علي و فاطمة و يقول يرحمكم الله انما يريد الله ليذهب
 عنكم الرجس . . الآية . ثم روى باسناده عن أبي سعيد الخدري قال : حين نزلت :
 « وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها » كان يجيئني نبي الله ﷺ إلى باب علي صلاة الغداة

ثمانية أشهر يقول: « الصلاة رحمكما الله انما يريد الله . . . الاية .

و روى في (ص ١٣) عن مسلم عن عائشة . . . الحديث .

١١- روى ابن الاثير في (اسد الغابة ج ٢ ص ٢٠ ط مصر) ما لفظه : عن

شداد بن عبدالله قال : سمعت وائلة ابن الاصقع ، وقد جىء برأس الحسين إلى

أن قال : وقال : والله لأزال احب علياً والحسن والحسين وفاطمة بعد ما سمعت

رسول الله ﷺ يقول فيهم ما قال : لقد رأيتني ذات يوم وقد جئت النبي ﷺ

في بيت ام سلمة فجاء الحسن فأجلسه علي فخذه اليمنى وقبله ثم جاء الحسين

فأجلسه علي فخذه اليسرى وقبله ثم جاءت فاطمة ، فأجلسها بين يديه ثم دعى

بعلي ثم قال : «انما يريد الله . . . » الاية قلت لوائلة : ما الارجس ؟ قال : الشك

في الله عز وجل .

وذكره في (ج ٣ ص ٤١٣) وفي (ج ٣ ص ١١) في ترجمة صبيح بسنده

إلى ابراهيم بن عبدالرحمن بن صبيح مولى ام سلمة عن جده صبيح ما لفظه :

«قال : كنت بباب رسول الله ﷺ فجاء علي وفاطمة والحسن والحسين ، فجلسوا

ناحية فخرج رسول الله ﷺ فقال : انكم على خير ، وعليه كساء خيبرى فجللهم

به وقال : أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالكم .

وفي (ج ٢ ص ٩) في مناقب الامام الحسن المجتبي ما لفظه : وهو خامس

أصحاب الكساء . . . وكذا عبّر عن مولانا الامام الحسين الشهيد في (ج ٢ ص ١٨) .

١٢- روى سبط ابن الجوزي في (تذكرة الائمة ص ٢٤٤ ط النجف الاشرف)

ما لفظه : عن وائلة بن الاصقع قال : أتيت فاطمة عليها السلام أسئلهما عن علي عليه السلام فقالت:

توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست انتظره فاذا برسول الله ﷺ قد أقبل ومعه علي

والحسن والحسين قد أخذ بيد كل واحد منهم حتى دخل الحجرة فأجلس الحسن

علي فخذه اليمنى ، والحسين علي فخذه اليسرى ، وأجلس علياً وفاطمة بين يديه

ثم لف عليهم كساء أو ثوبه ثم قرأ : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت...» الآية ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي حقاً .

١٣- روى الحافظ محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص ٢١ ط مصر)
مالفظه : عن ام سلمة : ان رسول الله ﷺ قال لفاطمة : ائتنى بزوجه وابنيك
فجاءت بهم واكفأ عليهم كساء فدكياً ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء
آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد انك حميد مجيد قالت ام سلمة :
فرفعت الكساء لأدخل معهم فجد به رسول الله ﷺ وقال : انك على خير .

ونقل عن أبى سعيد الخدرى فى قوله تعالى : «انما يريد الله...» الآية قال :
نزلت فى خمسة : فى رسول الله ﷺ وعلى وفاطمة والحسن والحسين .

١٤- روى الشيخ حميد المحلى اليمانى فى (الحدائق الوردية) باسناده
عن أبى الحمراء قال : شهدت النبى ﷺ أربعين صباحاً ، فيجىء إلى باب
على وفاطمة فيأخذ بعضادتي الباب ويقول : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله
الصلاة يرحمكم الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً
١٥- روى على بن ابراهيم البلخى الحنفى فى (بحر المناقب) عن ام سلمة

قالت : ان النبى ﷺ اشتمل بالعباء ثم جعل ظهر على بن ابيطالب ^{عليه السلام} على صدره ،
وظهر فاطمة إلى ظهره ، والحسن والحسين عن يمينه وشماله ثم عمهم و نفسه
بالعباء قالت ام سلمة : حتى انه ^ﷺ جعل أطراف الكساء تحت قدمه ثم رفع
طرفه إلى السماء ، وأشار بسبابته ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي اللهم
وال والا هم وعاد من عادهم وانصر من نصرهم واخذل من خذلهم ، وكان جبرئيل
يؤمن... الحديث .

١٦- روى المراغى فى (تفسيره) عن ابن عباس قال : «شهدنا رسول الله
ﷺ تسعة أشهر يأتي كل يوم باب على بن أبى طالب عند وقت كل صلاة فيقول :
السلام عليكم ورحمة الله ، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و
يطهركم تطهيراً ، الصلاة يرحمكم الله كل يوم خمس مرات» .

١٧- قال الشوكاني في تفسيره (فتح القدير ج ٤ ص ٢٧٠ ظ القاهرة) ما لفظه:
وقال أبو سعيد الخدرى و مجاهد و قتادة و روى عن الكلبي : ان أهل البيت
المذكورين فى الآية هم على و فاطمة و الحسن و الحسين خاصة إلى آخر ما أفاد.
ثم ذكر عدة روايات من طرق عديدة من الصحاح وغيرها فى ذلك .

١٨- روى الشيخ يوسف اسمعيل النبهانى فى (الشرف المؤبد لآل محمد
ﷺ ص ٦ ط مصر) ما لفظه : و روى أحمد و الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى
قال : قال رسول الله ﷺ : انزلت هذه الآية فى خمسة : فى وفى على و حسن
و حسين و فاطمة . و روى من طرق عديدة حسنة و صحيحة عن أنس ان رسول الله
ﷺ كان بعد نزول هذه الآية يمر ببیت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول :
الصلاة أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً .
و عن أبى سعيد الخدرى انه ﷺ جاء أربعين صباحاً يعنى بعد نزول هذه الآية
إلى باب فاطمة يقول : السلام عليكم أهل البيت و رحمة الله و بركاته الصلاة
يرحمكم الله انما يريد الله . . الخ . و عن ابن عباس سبعة أشهر . و فى رواية ثمانية
أشهر و هذا نص منه ﷺ على ان المراد من أهل البيت فى هذه الآية هم الخمسة
إلى أن قال : و ذكر ابن جرير فى تفسيره خمسة عشر رواية باسانيد مختلفة فى أن
أهل البيت فى الآية هم النبى ﷺ و على و فاطمة و حسن و حسين . و حكى عن
خاتمة الحفاظ جلال الدين السيوطى فى تفسيره (الدر المنثور) عشرين رواية
من طرق مختلفة فى ان المراد منهم النبى ﷺ و على و فاطمة و الحسن و الحسين ﷺ :
منها : ما أخرجه ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن
مردويه عن ام سلمة زوج النبى ﷺ ان رسول الله ﷺ كان فى بيتها على
مقامة له عليه كساء خيبرى فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله
ﷺ : ادعى زوجك و ابنك حسناً و حسيناً ، فدعتهم فبينما هم يأكلون إذ نزلت
على النبى ﷺ « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم

تطهيراً». فاخذ النبي ﷺ بفضلة فغشاهم إياها ثم اخرج يده من الكساء و ألقى بها إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي . و في رواية : وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً قالها ثلاث مرات قالت ام سلمة : فادخلت رأسى فى الستر فقلت : يا رسول الله وأنا معكم ؟ فقال : انك إلى خير مرتين .

وقد أورد حملة آثار العامة فى أسفارهم روايات كثيرة باسانيد عديدة بان الآية الكريمة نزلت فى حق الخمسة خاصة نشير إلى نبذة منها :

- ١- ابوداود الطيالسى فى (المسند ج ٨ ص ٢٧٤ ط حيدرآباد) .
- ٢- أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى امام الحنابلة فى (المسند ج ١ ص ٣٣١ ط القاهرة) ان الآية نزلت فى حق الخمسة خاصة .
- ٣- أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائى فى (الخصائص ص ٤ ط مصر و ص ١٦) .

٤- الطبرى فى (جامع البيان ج ٢٢ ص ٥ ط مصر) بطرق عديدة كلها دالة على اختصاص آية التطهير بالخمسة أصحاب الكساء و ذلك يقرب من خمسة عشر طريقاً .

- ٥- الطبرانى فى (المعجم) كما فى (الصواعق ص ٨٥ ط مصر) .
- ٦- الجصاص فى (أحكام القرآن ج ٣ ص ٤٤٣ ط القاهرة) باسانيد عديدة إلى أن قال : انهم المقصودون بأهل البيت فيها .
- ٧- أحمد المؤيد بالله فى (الامالى ص ٢٣ ط صنعاء) .
- ٨- أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى فى (تاريخ جرجان ص ٤٦ ط حيدرآباد) .

- ٩- البيهقى فى (السنن الكبرى ج ٢ ص ١٤٩ ط حيدرآباد) .
- ١٠- حافظ الاندلسى الشيخ أبو عمر و يوسف بن عبد الله فى (الاستيعاب ج ٢ ص ٣٦٠ ط حيدرآباد) .

- ١١- الواحدى النيسابورى فى (أسباب النزول ص ٢٦٧ ط مصر) .
- ١٢- ابن العربى المالکى فى (احکام القرآن ج ٢ ص ١٦٦ ط مصر).
- ١٣- القاضى عياض المغربى فى (الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ٤١ ط الآستانة بمطبعة العثمانية) .
- ١٤- موفق بن أحمد اخطب خطباء الخوازم فى (المناقب ص ٣٥).
- ١٥- ابن عساكر الدمشقى الشافعى فى (تاريخ دمشق على ما فى منتخبه ج ٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ ط مصر) .
- ١٦- الفخر الرازى فى (تفسير الكبير ج ٢ ص ٧٠٠ ط الآستانة) .
- ١٧- ابن الاثير الجزرى فى (جامع الاصول ج ١ ص ١٠١ ط القاهرة) .
- ١٨- الشيخ حسن ابن الحسين فى (العمدة ص ١٦ ط تبريز) بطرق عديدة.
- ١٩- القرطبى الاندلسى فى (الجامع لاحکام القرآن ج ١٤ ص ١٨٢ الطبعة الاولى بالقاهرة المحمية) نقل نزول الاية الكريمة فى حقهم عليهم السلام .
- ٢٠- النووى الدمشقى فى (شرح المهدب) .
- ٢١- القاضى البيضاوى فى تفسيره (سورة الشورى ص ٣٨٧ ط مصر القديم).
- ٢٢- النسفى فى (مدارك التنزيل) .
- ٢٣- الخازن البغدادى فى تفسيره (لباب التأويل) .
- ٢٤- الخطيب العمري التبريزى فى (مشكاة المصابيح ص ٥٦٨ ط لکهنو) ان الاية نزلت فى حقهم خاصة .
- ٢٥- ابن كثير الدمشقى فى تفسيره (ج ٣ ص ٤٨٣ ط مصر) أورد الحديث بطرق مختلفة واسانيد عديدة .
- ٢٦- الحافظ الهيثمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٦ و ١٦٨ ط القاهرة) أورد روايات فى نزول الاية فى حقهم عليهم السلام خاصة عن طرق عديدة : عن ام سلمة و وائلة وأبى سعيد وأبى حمراء وغيرهم . . .

- ٢٧- الحافظ ابن حجر العسقلاني الشافعي في (الاصابة ج ٢ ص ٥٠٢ ط مصر) و في (ج ١ ص ٣٢٩) عن ام سلمة : ان الاية نزلت في حقهم خاصة . وفي (ج ٤ ص ٣٦٧) وفي (ج ٤ ص ٢٠٧) .
- ٢٨- ابن حجر في (الكافي الشافعي في تخريج احاديث الكشاف ص ٢٦ الحديث ٢١٦ ط مصر المطبوع في آخر الكشاف ط مصطفى محمد) .
- ٢٩- ابن حجر في (فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٣ ص ٤٢٢ ط مصر القديم) .
- ٣٠- الذهبي في (تلخيص المستدرک المطبوع في ذيل المستدرک ج ٣ ص ٤١٦ ط حيدرآباد) وفي (ج ٣ ص ١٤٦) وفي (ج ٣ ص ١٤٧) وفي (ج ٣ ص ١٥٨) .
- ٣١- الذهبي في (تاريخ الاسلام ج ٣ ص ٦ ط حسام الدين القدسي بالقاهرة) .
- ٣٢- النظام النيسابوري في (تفسيره ج ٣ في ذيل آية التطهير) .
- ٣٣- الدشتكي الشيرازي في (روضة الاحباب) .
- ٣٤- السيوطي الشافعي في (الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٨ و ١٩٩ ط القاهرة) اورد فيه عدة احاديث صحيحة صريحة دالة على ان الاية الكريمة نزلت في حق الخمسة الطيبة اصحاب الكساء من طرق عديدة من جماعة الصحابة والصحابيات والتابعين كام سلمة وعائشة وأبي سعيد الخدري وسعد وزيد بن ارقم وابن عباس و الضحاک بن مزاحم وأبي الحمراء وعمر بن أبي سلمة وغيرهم .
- ٣٥- السيوطي في (الاتقان ج ٢ ص ٢٠٠ ط مصر) .
- ٣٦- ابن همام في (حبيب السير ج ١ ص ٤٠٧ ط تهران) .
- ٣٧- ابن حجر الهيثمي المكي في (الصواعق المحرقة ص ١٨٥ الطبع القديم) ما لفظه : آية التطهير أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة و الحسين .
- ٣٨- المير محمد صالح الترمذي الحنفي في (مناقب مرتضى ص ٤٣ ط

بمبئي .

٣٩- المتقى الهندي في (منتخب كنز العمال المطبوع بهامش المسند لاحمد

بن حنبل ج ٥ ص ٩٦ ط مصر) .

٤٠- الخطيب شرييني في تفسيره (سراج المنير) .

٤١- الحلبي الشافعي في (السيرة الحلبية) .

٤٢- الدهلوي في (مدارج النبوة ص ٥٨٩ ط دهلي) فصرح بان الاية

الكريمة نزلت في حقهم عليهم السلام خاصة .

٤٣- الزرقاني في (الشهير ص ٢ و ٤) .

٤٤- الشيخ عبدالله بن محمد بن عامر المصري الشافعي في (الاتحاف ص ٥

ط مصر بمطبعة مصطفى الحلبي) .

٤٥- الشيخ محمد الصبان المصري في (اسعاف الراغبين) المطبوع بهامش

(نور الابصار ص ١٠٥ ط مصر مطبعة مصطفى محمد) عن طرق عديدة ذكر في رواية

انه عليه السلام أدرج معهم جبرئيل وميكائيل .

٤٦- القاضي الحسين بن أحمد في (الروض النضير ج ١ ص ١٠٦) و

(ص ٩٧) .

٤٧- الشبلنجي في (نور الابصار ص ١١٢ ط مصر مطبعة مصطفى محمد)

من طرق عديدة قال ما لفظه : روى الحديث من طرق عديدة صحيحة .

٤٨- الحمزاوي المصري المالكي في (مشارك الانوار في فوز أهل الاعتبار

ص ٨٤ و ص ٩٢) عن طرق عديدة . وقال : ان نقلة الحديث صححوه .

٤٩- عبدالغفار الحنفي في (ائمة الهدى ص ١٤٥ ط القاهرة) .

٥٠- التونسي الشهير بالكافي في (السيف اليماني المسلول ص ٩ ط

دمشق) .

٥١- احمد بن حنبل في (الفضائل ص ٧٣ و ٧٨ و ٨١ و ١١٥ و ١٦٤ و ٢٢٣) .

٥٢ - البخارى فى (التاريخ الكبير ج ١ ص ١١٠ و ١٩٦ ط حيدرآباد الدكن).

٥٣ - الحاكم فى (المستدرک ج ٣ ص ١٠٨ ط حيدرآباد الدكن).

٥٤ - الطبرانى فى (المعجم الصغير ص ٣٤ ط مطبعة الانصارى بهند).

٥٥ - الذهبى فى (تلخيص المستدرک ج ٢ ص ٤١٦ ط حيدرآباد الدكن).

٥٦ - البغوى الشافعى فى (مصاييح السنة ج ٢ ص ٢٠٤ ط مصر بمطبعة

خيرية).

٥٧ - ابن الاثير الجزرى فى (اسد الغابة ج ٤ ص ٢٩ ط جمعية المعارف

بمصر).

٥٩ - سبط ابن الجوزى فى (التذكرة ص ٢٤٤ ط النجف).

٥٩ - الكنجى الشافعى فى (كفاية الطالب ص ٥٦ و ١١٧).

٦٠ - محب الدين الطبرى فى (الرياض النضرة ص ٢٠٣ ط محمد أمين الخانجى

بمصر).

٦١ - الخوارزمى فى (المقتل ج ١ ص ٧٠ ط النجف).

٦٢ - القندوزى البلخى الحنفى فى (بناييع المودة ص ١٧٧ ط اسلامبول)

مالفظه : عن أبى وائل عن ابن عمر قال : كنا اذا عددنا أصحاب النبى ﷺ قلنا:

أبو بكر وعمر وعثمان فقال رجل لابن عمر : فعلى ما هو ؟ قال : ان علياً من

أهل البيت لا يقاس به أحد هو مع رسول الله ﷺ فى درجته ان الله يقول : «الذين

آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» فقاطمة مع أبيها ﷺ فى درجته

وعلى معهما مع الحسن والحسين .

٦٣ - فى تفسير الحديث عن الحصين عن زيد بن أرقم : ان النبى قال :

أذكر كم فى أهل بيتى ، أذكر كم فى أهل بيتى ، أذكر كم من أهل بيتى ، فسئل الحصين

زيداً ومن أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه ؟ قال : نساؤه من أهل بيته ولكن أهل

بيته من حرم من الصدقة بعده . . .

وفيه: وفي رواية قال الحصين من أهل بيته نسأؤه؟ قال زيد: لا وایم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها، فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته: أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .

وفيه: عن عائشة جواباً على سؤال سئلتها ام مجمع عن أحب الناس إلى رسول الله، فقالت: لقد رأيت رسول الله جمع علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً بثوب ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً فقلت: يا رسول الله أنا من أهلك؟ قال: تنحى فانك إلى خير .

٤٤- روى الحسكاني الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٦٠ ط بيروت) باسناده عن أبى سعيد قال: قالت أم سلمة: ان هذه الآية نزلت فى بيتى: «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر كرم تطهيراً» قالت: وفى البيت رسول الله وعلى والحسن والحسين وفاطمة وأنا جالسة على باب البيت. قلت: يا رسول الله أأنت من أهل البيت؟ قال: أنت من أزواج رسول الله .

وغيرها من الروايات الواردة تزيد على مائة حديث رواه نقلة العامة فى أسفارهم بطرق كثيرة عن ام سلمة وعائشة وإبن عباس وزيد بن أرقم وابن عمر وانس بن مالك وهلال بن يساف، وقتادة ومجاهد والكلبي وصبيح وعمر بن أبى سلمة و أبى سعيد الخدرى وسعد بن أبى وقاص ووائلة بن الاسقع وأبى الحمراء و ثوبان مولى النبى ﷺ وعبدالله بن جعفر وعلى بن أبيطالب والحسن بن على عليه السلام نحو أربعين طريقاً. ويربوما ورد منها عن طرق العامة على ماورد منها عن طرق الشيعة الامامية الاثنى عشرية، فانهم رووها عن طرق ائمتهم المعصومين: على بن ابى طالب والحسن بن على وعلى بن الحسين والباقر والصادق والرضا عليه السلام وعن ام سلمة وعائشة وابن عباس وأبى سعيد الخدرى وأبى ذر وأبى ليلى وأبى الاسود الدئلى وعمر و بن ميمون الازدى وسعد بن أبى وقاص نحو ثلاثين طريقاً .

مضافاً إلى ما كان أئمتنا المعصومون عليهم السلام يستدلون بآية التطهير على فضلهم في مجالس عديدة وكان أهلها يصدقونهم على ذلك ، فإذالم يكن ذلك كله دليلاً على إثبات تواتر إختصاص آية التطهير بأهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين فلن توجد رواية واحدة متواترة على وجه الأرض في طول الاعصار ...



﴿ اهل البيت و أصحاب الكساء ﴾

و قد ثبت عن الطريقين : ان أهل البيت هم المخصوصون الممتازون على من سواهم و هم النبي الكريم و علي و فاطمة و الحسن و الحسين صلوات الله عليهم أجمعين و هم أصحاب الكساء ، لم يدخل معهم فيه أحد ، و ان حديث الكساء متواتر مستفيض أورده العامة و الشيعة الامامية الاثني عشرية بطرق عديدة نشير إلى ما يسعه المقام :

و من العامة : الحاكم الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ١٥ ط بيروت سنة ١٣٩٣ هـ) باسناده عن البراء بن عازب قال : جاء علي و فاطمة و الحسن و الحسين إلى باب النبي فخرج النبي ﷺ فقال (فقام ظ) بردائه فطرحه عليهم و قال : اللهم هؤلاء عترتي .

و فيه : باسناده عن البراء بن عازب قال : جاء علي بن أبي طالب إلى باب رسول الله ﷺ و فاطمة و الحسن و الحسين فخرج رسول الله و هو عرق فقال بردائه و طرحه عليهم و قال : اللهم هؤلاء عترتي .

و فيه : باسناده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله ﷺ دعا علياً و ابنه و فاطمة فألبسهم من ثوبه ثم قال : اللهم هؤلاء أهلي ، هؤلاء أهلي .

و فيه : باسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قول الله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » قال : جمع رسول الله علياً و فاطمة و الحسن و الحسين ثم أدار عليهم الكساء فقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم

أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

و فيه : بإسناده عن علي عليه السلام قال : جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله في بيت ام سلمة أنا و فاطمة و حسناً و حسيناً ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وآله في كساء له ، و أدخلنا معه ثم ضمنا ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً . فقالت ام سلمة : يا رسول الله فأنا - و دنت منه - فقال : أنت فمن أنت منه و أنت علي خير أعادها رسول الله ثلاثاً يصنع ذلك .

و منهم : محمد بن طلحة الشامي الشافعي في (مطالب السؤل في مناقب آل الرسول) ما لفظه : و أما جعله أهل العباء فقد روى أئمة للنقل و الرواية فيما اسندوه و استفاض عند ذوى العلم و الدراية فمما أورده ما صرح به الامام الواحدى في كتابه المسمى (باسباب النزول) يرفعه إلى ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله ذكرت ان رسول الله صلى الله عليه وآله كانت في بيتها فأتته فاطمة بيرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه فقال لها : ادعى لى زوجك و ابنك قال : فجاء على و الحسن و الحسين فدخلوا فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة و هو على دكان و تحته كساء خيبرى قالت : و أنا فى الحجرة أصلى فأنزل الله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قال : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يديه فالوا بهما إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي و حامتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

قالت : فادخلت رأسى البيت فقلت : أنا معكم يا رسول الله ؟ قال : آئيل

إلى خير آئيل إلى خير .

ثم قال : هؤلاء أهل البيت المرتقون بتطهيرهم إلى ذروة أوج الكمال المستحقون لتوقيرهم مراتب الاعظام و الاجلال الموفقون لتأييدهم لابتهاج مناهج الاستقامة و الاعتدال - إلى أن قال - فهذه الأدلة من خصوص النصوص و صحاحها و وجوها فى دلائلها من مصابيح صباحها قد ارتضعت فاطمة درة الفضيلة و الشرف

بصراحها و صدعت ألقاظها الفصيحة و معانيها البليغة إلى أن قال :

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| يا رب بالخمسة أهل العبا | وى الهدى و العمل الصالح |
| و من هم سفن نجاة و من | والاهم ذو متجر رابح |
| و من لهم مقعد صدق ذا | قام الورى فى الموقف الفاضح |
| لا تخزنى و اغفر ذنوبى عسى | اسلم من حرّ لظى اللافح |
| فاننى أرجو بحبى لهم | تجاوزا عن ذنبى الفادح |
| فهم لمن و الاهم جنة | تنجيه من طائرة البازح |
| و قد توسلت بهم راجياً | نحس سؤال المذنب الطالح |
| لعله يحظى بتوفيقه | فيهدى بالمنهج الواضح |

ومنههم : الطبرى فى تفسيره باسناده عن ام سلمة قالت : جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق ، فوضعت بين يديه فقال : أين ابن عمك وابناك ؟ فقالت : فى البيت ، فقال : ادعهم فجاءت إلى على فقالت : أجب النبى ﷺ أنت و ابنك قالت ام سلمة : فلما رأهم مقبلين مديده إلى كساء كان على المنامة فمدته و بسطه و أجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الاربعة بشماله ، فضمه فوق رؤسهم و أو ما ييده اليمنى إلى ربه فقال : هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

و فيه : عن ام سلمة زوج النبى ﷺ ان هذه الاية نزلت فى بيتها : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » قالت : و أنا جالسة على باب البيت فقلت : أنا يا رسول الله أأست من أهل البيت ؟ قال : انك إلى خير أنت من أزواج النبى ﷺ قالت : و فى البيت رسول الله ﷺ و على و فاطمة و الحسن و الحسين رضى الله عنهم .

ومنههم : ابن كثير فى تفسيره عن ام سلمة قالت : جاء النبى ﷺ إلى بيتى فقال : لا تأذنى لاحد فجاءت فاطمة ، فلم استطع ان احجبها عن أيها ثم

جاء الحسن فلم استطع أن امنعه أن يدخل على جدّه و امه ، و جاء الحسين فلم استطع أن احببه ، فاجتمعوا حول النبي ﷺ على بساط فجللهم نبي الله بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء أهل بيتي ، فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً . فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت : فقلت : يا رسول الله و أنا قالت فوالله ما أنعم ، و قال : انك إلى خير .

ومنهم : السيوطي في الدر المنثور : أخرج الطبراني عن ام سلمة قالت : جاءت فاطمة عليها السلام إلى أبيها بثريرة لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه فقال لها : أين ابن عمك ؟ قالت : هو في البيت قال : اذهبي فادعيه وابنيك فجاءت تقود ابنيها لكل واحد منهما في يد على عليها السلام يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول الله ﷺ فأجلسهما في حجره و جلس على عليها السلام عن يمينه و جلست فاطمة عليها السلام عن يساره قالت ام سلمة : فأخذت من تحتي كساء كان بساطنا على المنامة في البيت .

و ذكر أبو عبد الله الدامغانى في كتابه (سوق العروش) آياتاً في حديث

الكساء جدير حفظه :

فاز بالفضل فيه أهل الكساء
فاستجب فيهم إلهى دعائى
الابناء منهم وعن بنى الابناء
و صلاة الابرار و الاتقياء

ان يوم الطهور يوم عظيم
قال يا رب انهم أهل بيتى
اذهب الرجس عنهم و عن
رحمة الله و السلام عليكم
و قال بعض الشعراء :

فبت كذى اللدغ و الأرمد
و ذكر بنى المصطفى أحمد
كرام المفارس و المحتد
فهاز الذى بهم يقتدى

تطاول ليلى و اسم أرقد
بذكر النبى و ذكر الوصى
حسان الوجوه عظام الحلوم
و من دنس الرجس قد طهروا

على أبو الحسن و الحسين
 ومن هنا أطلق آل عبا على هؤلاء الخمسة الطيبة كما قال الشاعر:
 آل العبا رسول الله فابنته و المرتضى ثم سبطاه اذا جمعوا

ومنهم : الحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٢ ط بيروت)
 باسناده عن اسمعيل بن عبدالله بن جعفر الطيار عن ابيه قال : لما نظر النبي ﷺ
 إلى جبرئيل هابطاً من السماء قال : من يدعولي ؟ من يدعولي ؟ فقالت زينب : أنا
 يا رسول الله ، فقال : ادعى لي علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً ، فجعل حسناً عن
 يمينه و حسيناً عن يساره و علياً و فاطمة تجاههم ثم غشاهم بكساء خيبرى وقال :
 اللهم ان لكل نبي أهلاً ، وان هؤلاء أهلى فأنزل الله تعالى : « انما يريد الله ليذهب
 عنكم الرجس أهل البيت » الآية فقالت : زينب : ألا أدخل معكم قال : مكانك
 فانك على خير إن شاء الله .

و فيه : باسناده عن اسمعيل بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب عن أبيه قال :
 لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة قال : ادعوا لي ادعوا لي ، فقالت زينب (صفة
 خ) : من يا رسول الله ؟ قال : علي و فاطمة و الحسن و الحسين ، فجاء بهم فألقى
 عليهم النبي ﷺ كساءاً له ثم رفع يده فقال : اللهم ان هؤلاء آلى فصل على
 محمد و علي آل محمد و أنزل الله : « انما يريد الله » الآية .

و فيه : باسناده عن جميع بن عمير قال : إنطلقت مع امسى إلى عائشة
 فسألتهامى عن علي قالت : ما ظنك برجل كانت فاطمة تحته و الحسن و الحسين ابنيه ، ولقد
 رأيت رسول الله ﷺ إلتف عليهم بثوبه ، وقال : اللهم هؤلاء أهلى أذهب عنهم الرجس
 و طهرهم تطهيراً فقلت : يا رسول الله ألسنت من أهلك ؟ قال : انك على خير .
 و فى رواية اخرى زاد « و لم يدخلنى معهم » على ما تقدم . و فى رواية
 اخرى قال : تنحى فانك إلى خير .

و فيه : باسناده عن ام سلمة زوج النبي ﷺ ان رسول الله ﷺ قال لفاطمة :

إثنتي بزوجه و ابنك ، فجاءت بهم فألقى عليهم رسول الله كساءً كان تحتي
 خبيراً أصبناه من خبير ، ثم قال : اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك
 على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم انك حميد مجيد قالت ام سلمة :
 فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه رسول الله من يدي و قال : انك على خير .
 و في رواية : قالت ام سلمة : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال : اجلسي مكانك
 فانك على خير و غيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة تركنا ذكرها
 للاختصار .

وأما ماورد عن طريق الشيعة الامامية الاثني عشرية فكثير نشير إلى

نبذة منها :

١ - في أمالي الشيخ الطوسي قدس سره باسناده عن علي بن الحسين عليه السلام
 عن ام سلمة قالت : نزلت هذه الآية في بيتي و في يومي و كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
 عندي ، فدعا علياً و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و جاء جبرئيل فمد عليهم كساءً
 فدكياً ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً ،
 قال جبرئيل : و أنا منكم يا محمد ؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم و أنت منا يا جبرئيل ،
 قالت ام سلمة : فقلت : يا رسول الله و أنا من أهل بيتك ؟ و جئت لأدخل معهم ،
 فقال : كوني مكانك يا ام سلمة انك إلى خير ، أنت من أزواج نبي الله ، فقال
 جبرئيل : اقرأ يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
 و يطهركم تطهيراً » في النبي و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام .

٢ - في أمالي الشيخ الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن عباس
 قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان علياً وصي و خليفتي و زوجه فاطمة سيدة نساء
 العالمين ابنتي و الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة و لداي ، من والاهم فقد
 والاني و من عاداهم فقد عاداني ، و من ناواهم فقد ناواني و من جفاهم فقد جفاني ،
 و من برهم فقد برني ، و صل الله من وصلهم و قطع من قطعهم و نصر من نصرهم

و أعان من أعانهم ، و خذل من خذلهم ، اللهم من كان له من أنبيائك و رسلك ثقل و أهل بيت ، فعلى و فاطمة و الحسن و الحسين أهل بيتي و ثقلى فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

٣ - فى تفسير فرات الكوفى : عن أبى عبدالله الجدلى قال : دخلت على عائشة فقلت : أين نزلت هذه الآية : « إنما يريد الله » ، قالت : نزلت فى بيت ام سلمة - قالت ام سلمة : لو سألت عائشة لحدثتك ان هذه الآية نزلت فى بيتى - قالت : بينما رسول الله ﷺ إذ قال : لو كان أحد يذهب فيدعولنا علياً و فاطمة و ابنيهما ، قال : قلت : ما أجد غيرى قالت : قد قنعت ، فجمعت بهم جميعاً ، فجلس على بين يديه و جلس الحسن و الحسين عن يمينه و شماله و أجلس فاطمة خلفه ثم تجلجل بثوب خيبرى ثم قال : نحن جميعاً إليك - فإشار رسول الله ﷺ ثلاث مرات : إليك لا إلى النار - ذاتى و عترتى و أهل بيتى من لحمى و دمي ، قالت ام سلمة : يا رسول الله أدخلنى معهم قال : يا ام سلمة انك من صالحات أزواجى ، فنزلت هذه الآية : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً » .

قولها : « قد قنعت » أى لبست القناع و هو ما تغطى به المرأة نفسها . و « تجلجل بالثوب » أى تغطى به .

٤ - و فى بشارة المصطفى باسناده عن ابن عباس قال : ان رسول الله ﷺ كان جالساً ذات يوم و عنده على و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام فقال : اللهم انك تعلم ان هؤلاء أهل بيتى و أكرم الناس على ، فأحجب من يحبهم و أبغض من يبغضهم ، و وال من والاهم و عاد من عاداهم و أعن من أعانهم و اجعلهم مطهرين من كل رجس ، معصومين من كل ذنب ، و أيدهم بروح القدس منك . الحديث .

٥ - و فى أمالى الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن على بن موسى

الرضا عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : من سرّه أن ينظر إلى القضيّب الاحمر الذي غرسه الله بيده و يكون متمسكاً به فليتول عليه و الائمة من ولده فانهم خيرة الله عز و جل و صفوته ، و هم المعصومون من كل ذنب و خطيئة .

و غيرها من الروايات الواردة لايسعها المقام

و في زيارة الامام الحسين عليه السلام : - يوم الاضحى - : « أشهد أنك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة ، و الأرحام المطهرة ، لم تنجسك الجاهلية بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها ... »

و في زيارة الاربعين : « و لم تلبسك المدلهمات من ثيابها » بدل « و لم تلبسك من مدلهمات ثيابها »

و في زيارة الجامعة الكبيرة : - « عصمكم الله من الزلل ، و آمنكم من الفتن ، و طهركم من الدنس ، و أذهب عنكم الرجس و طهركم تطهيراً ... »
الزيارة



﴿ حديث الكساء و به الاستشفاء ﴾

ان حديث الكساء صحيح لامراء فيه ورد بأسانيد صحيحة ، و هذا الحديث مما يستشفى بقرائه عند المرضى ، ويطلب به قضاء الحاجات ...
وقد ورد عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

سمعت فاطمة الزهراء عليها السلام (بنت رسول الله ﷺ خ) انها قالت : دخل على أبي رسول الله ﷺ في بعض الايام ، فقال : السلام عليك يا فاطمة ، فقلت : وعليك السلام يا أبتاه ، فقال : اني لأجد في بدني ضعفاً ، فقلت له : اعيزك بالله يا أبتاه من الضعف ، فقال : يا فاطمة ايتيني بالكساء اليماني وغطيني به ، فأتيته وغطيته به ، وصرت أنظر إليه فاذا يتلأ لأ كأنه البدر في ليلة تمامه و كماله ، فما كانت الآ ساعة . وإذا بولدي الحسن عليه السلام قد أقبل فقال : السلام عليك يا اماءه فقلت : وعليك السلام يا قرّة عيني وثمره فؤادي فقال لي : يا اماءه انسى أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول الله ﷺ فقلت : نعم يا ولدي ان جدك تحت الكساء فاقبل الحسن عليه السلام نحو الكساء وقال :

السلام عليك يا جداه يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معك ، فقال : وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي قد أذنت لك فدخل معه تحت الكساء فما كانت الآ ساعة ، فاذا بولدي الحسين عليه السلام قد أقبل وقال : السلام عليك يا اماءه فقلت :

وعليك السلام يا قرة عيني وثمره فؤادي ، فقال لي : يا اماء اني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدى رسول الله ﷺ فقلت : نعم يا بنى ان جدك وأخاك تحت الكساء فدنى الحسين عليه السلام نحو الكساء وقال :

السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي أن أكون معكما تحت هذا الكساء فقال: وعليك السلام يا ولدى ويا شافع امتى قد أذنت لك، فدخل معهما تحت الكساء فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن ابي طالب ، وقال : السلام عليك يا فاطمة يا بنت رسول الله ﷺ فقلت : وعليك السلام يا أبا الحسن ويا أمير المؤمنين ، فقال : يا فاطمة اني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله ﷺ فقلت : نعم هاهو مع ولديك تحت الكساء فأقبل علي نحو الكساء وقال :

السلام عليك يا رسول الله ﷺ أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء قال له : وعليك السلام يا أخي وخليفتي وصاحب لوائي في المحشر ، نعم قد أذنت لك فدخل عليّ تحت الكساء ثم أتيت نحو الكساء وقلت :

السلام عليك يا أبتاه يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معكم تحت الكساء قال لي : وعليك السلام يا بنتى ويا بضعتي قد أذنت لك فدخلت معهم فلما اكتملنا واجتمعنا جميعاً تحت الكساء فأخذ أبى رسول الله بطرفي الكساء وأومى بيده اليمنى إلى السماء وقال : اللهم ان هؤلاء أهل بيتى وخاصتى وحامتى لحمهم لحمى ودمهم دمى ، يؤلمنى ما يؤلمهم ، ويحزننى ما يحزنهم ، أنا حرب لمن حاربهم و سلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم ، وانهم منى وأنا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ و عليهم ، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، فقال الله عز وجل :

يا ملائكتى ويا سكان سمواتى انى ما خلقت سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور ولا فلکاً تسرى ولا بحرأ يجرى الا

لمحبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء ، فقال الامين جبرئيل : يارب ومن تحت الكساء؟ فقال الله عز وجل : هم أهل بيت النبوة ، ومعدن الرسالة وهم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها ، فقال جبرئيل : يارب ! أتأذن لي أن أهبط إلى الارض لأكون معهم سادساً ، فقال الله عز وجل : قد أذنت لك ، فهبط الامين جبرئيل وقال لأبي :

السلام عليك يا رسول الله ﷺ العلي الاعلى يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاکرام ، ويقول لك : وعزتي وجلالي اني ما خلقت سماءاً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلکاً تسرى إلا لاجلكم ومحبتكم ، وقد أذن لي أن أدخل معكم ، فهل تأذن لي أنت يا رسول الله فقال أبي : وعليك السلام يا أمين وحى الله نعم قد أذنت لك ، فدخل جبرئيل معنا تحت الكساء فقال جبرئيل ان الله قد اوحى إليكم يقول : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهر كم تطهيراً» فقال على عليه السلام : يا رسول الله ﷺ أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت هذا الكساء من الفضل عند الله فقال ﷺ :

والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الارض ، وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا الآ ونزلت عليهم الرحمة وحفت بهم الملائكة ، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا ، فقال على عليه السلام : إذا والله فزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة ، فقال أبي : يا على ! والذي بعثني بالحق نبياً واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الارض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الآ وفرج الله همه ، ولا مغموم الآ وكشف الله غمه ، ولا طالب حاجة الآ وقضى الله حاجته ، فقال على عليه السلام : إذا والله فزنا وسعدنا ، وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والاخرة برب الكعبة .

وقد نظم هذا الحديث الشريف عدة من نوابغ الادب وفرسان الشعر من العامة والشيعه الامامية الاثنى عشرية ومنهم الفقيه الاديب السيد محمد القزويني

قدس سره من أعلام الشيعة .

روت لنا فاطمة خير النساء
تقول ان سيد الانام
فقال لى انى أرى فى بدنى
قومى على بالكسا اليمانى
فقلت نحوه و قد لييته
وصرت أرنو وجهه كالبدر
فما مضى الا يسير من زمن
فقال يا امام انى أجد
بانها رائحة النبى
قلت نعم ها هوذا تحت الكساء
فجاء نحوه ابنه مسلماً
فما مضى غير القليل إلا
فقال يا ام أشم عندك
و حق من اولاك منه شرفا
قلت نعم تحت الكساء هذا
فجاء نحوه ابنه مستأذنا
فما مضت من ساعة الا و قد
أبو الائمة الهداة النجبا
فقال يا سيدة النساء
انى أشم فى حماك رائحة
يحكى شذاها عرف سيد البشر
قلت نعم تحت الكساء التحفا

حديث أهل الفضل أصحاب الكساء
قد زارنى يوماً من الايام
ضعفاً أراه اليوم قد انحلتى
و فيه غطينى بلا نوانى
مسرعة و بالكساء غطيته
فى أربع بعد ليال عشر
حتى أتى ابومحمد الحسن
رائحة طيبة أعتقد
أخى الوصى المرتضى على
من علة مدثر به اكتسى
مستأذناً قال له ادخل كرماً
و جاءنى الحسين مستقلاً
رائحة كأنها المسك الذكى
اظنها ريح النبى المصطفى
بجنبه أخوك فيه لاذا
مسلماً قال له ادخل معنا
جاء أبوهما الغضنفر الاسد
المرتضى رابع أصحاب العباء
و من بها زوجت فى السماء
كأنها الورد الندى فائحة
وخير من طاف ولبى و اعتمر
و ضم شليك و فيه اكتنفا

فجاء يستأذن منه قائلاً
 قالت فجئت نحوهم مسلمة
 فعند ما بهم أضاء الموضوع
 نادى اله الخلق جل و علا
 اقسام بالعزة و الجلال
 ما من سما خلقتها مبنيه
 و لا خلقت قمراً منيراً
 كلا ولا خلقت بحراً يجري
 إلا لاجل من هم تحت الكساء
 قال الامين قلت يارب و من
 فقال لى هم معدن الرسالة
 و قال هم فاطمة و بعلمها
 فقلت: يارب وهل تأذن لى
 فاغتندى تحت الكساء سادساً
 قال اهبطن فجاءهم مسلماً
 يقول ان الله خصكم بها
 اقرأكم رب العلى سلامة
 وهو يقول معلنا و مفهما
 قال على قلت يا حبيبي
 فقال والله الذى اصطفانى
 ما ان جرى ذكر لهذا الخبر
 الا و أنزل الاله الرحمة
 من الملائك الذين صدقوا

أ أدخلن قال فادخل عاجلا
 قال ادخلى محبوبة مكرمة
 و كلهم تحت الكساء اجتمعوا
 يسمع أملاك السموات العلى
 و بارتفاعى فوق كل عال
 و ليس ارض فى الثرى مدحيه
 كلا ولا شمساً أضاءت نوراً
 ماء ولا فلك البحار تسرى
 من لم يكن امرهم ملتبساً
 تحت الكسا بحقهم لنا ابن
 و مهبط التنزيل و الجلالة
 والمصطفى والحسان نسلها
 ان اهبط الارض لذاك المنزل
 كما جعلت خادماً و حارساً
 مستأذناً يتلو عليهم انما
 معجزة لمن غدا منتبهاً
 و خصكم بغاية الكرامة
 أملاكه الغر بما تقدما
 ما لاجتما عنا من النصيب
 و خصنى بالوحى و اجتباني
 فى محفل الاشياخ خير معشر
 و فيه قد خفت جنود جمة
 تحرسهم فى الارض ما تفرقوا

كلا و ليس فيهم مهموم الأ و عنه كشفت غموم
 كلا و لاطالب حاجة يرى قضاءها عليه قد تمسرا
 الأ قضي الله الكريم حاجته و أنزل السرور فصلا ساحته
 قال على نحن و الاحباب شيعتنا الذين قدماً طابوا
 فزنا بما نلنا و رب الكعبة فليشكر كل فرد ربه
 و غيرها تر كناها للاختصار

و نحن معاشر الشيعة الامامية الحقبة الاثني عشرية نقول : اللهم ! احينا
 بحياتهم و أمتنا مماتهم واحشرنا معهم فى الدنيا والآخرة و لا تفرق بيننا وبينهم
 طرفة عين أبداً بحقهم صلواتك عليهم أجمعين .



كلمات العلماء في اختصاص

آية التطهير بالمعصومين عليهم السلام

و قد اتفق أعظم علماء العامة على اختصاص آية التطهير بالمعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، فلا يعتنى بما تقول به بعض الأصاغر وأتباعهم الجهلة .
 و من علماء العامة : أبو بكر الحضرمي الشافعي في (رشفة الصادي ص ١٢ ط القاهرة بمصر) ما لفظه : قال الله تعالى : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . »
 الآية الرجس : القذر والدنس . والمراد هنا الاثم المدنس للقلوب . و قيل :
 الرجس الشك . وقيل : السوء . وقيل : عمل الشيطان . والعموم أولى . وفي إستعادة
 الرجس للاثم والترشيح لها بالتطهير تنفير بليغ عن اقراره مطلقا . وقد اختلف
 المفسرون في المراد بأهل البيت المذكورين في الآية الكريمة فمن قائلين
 أهل بيته عليهم السلام نساءه متمسكين بظاهر سياق الآيات منهم عكرمة وعطاء ومقاتل .
 ويرد هذا القول مع ما يأتي من الاحاديث الصريحة قول مجاهد وقتادة وأبي سعيد
 الخدري وغيرهم انها لو نزلت في نساءه عليهم السلام خاصة لكان الخطاب في الآية
 الكريمة بما يصلح للاناث ، و لقال تعالى : « عنكن و يطهركن » كما في الآية
 قبلها إلى أن قال :

و هذا القول : « اي القول بعموم شمول الآية للزوجات » أيضاً لا يطابق ما
 سيرد من الاحاديث والزوجات الطاهرات ، و ان كن داخلات في عموم الآية
 بمقتضى السياق ، لكن النصوص موجهة إلى علي و فاطمة وابنيهما ، و لو كان

غير علي و فاطمة و ابنيهما مقصوداً أو مشاركاً في المعنى المراد بأهل البيت ، و هو موجود عند نزولها لقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين جلل علياً و فاطمة و ابنيهما رضوان الله عليهم بالكساء المقدس هؤلاء من أهل بيتي ، ولكنه حصر المعنى عليهم ، فقال : هؤلاء أهل بيتي . و ما كان تخصيصهم بذلك منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلا عن أمر الهى و وحى سماوى و الذى قال به الجماهير من العلماء و قطع به أكابر الأئمة ، و قامت به البراهين و تضافرت به الأدلة : ان أهل البيت المرادين فى الآية هم : سيدنا علي و فاطمة و ابناهما إذ المصير إلى تفسير من أنزلت عليه الآية متعين .

دعوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

فان وصلوات الله و سلامه عليه و آله هو الذى فسرها بأن أهل بيته المذكورين فى الآية الكريمة هم علي و فاطمة و ابناهما بنص أحاديثه الصحيحة الواردة عن أئمة الحديث المعتمد بهم رواية و دراية ، فقد أخرج الامام أبو عيسى الترمذى و صححه و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم و صححه ، و ابن مردويه و البيهقى فى سننه من طرق عن ام سلمة زوج النبى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ و رضى عنها قالت : فى بيتي نزلت : و انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس . . . الآية .

وفى البيت فاطمة و علي و الحسن و الحسين فجللهم رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكساء كان عليه ثم قال : هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً .

ثم ذكر الرواية بطرق عديدة . . . ثم ذكر بلفظه و أخرجه الطبرانى أيضاً إلى أن قال : و الأحاديث فى هذا الباب كثيرة ، و بما اوردته منها يعلم ان المراد بأهل البيت فى الآية الكريمة هم : علي و فاطمة و ابناهما رضوان الله عليهم و لا إلتفات إلى ما ذكره صاحب روح البيان : من ان تخصيص الخمسة المذكورين عليهم بكونهم أهل البيت هو من أقوال الشيعة لان ذلك محض تهود يقتضى بالعجب ، و بما سبق من الاحاديث ، و ما فى كتب اهل السنة السنية يسفر الصبح لذى عينين ، و لنعيم ما قال الشاعر :

هم العروة الوثقى لمعتصم بهم
مناقب في الشورى وسورة هل أتى
وهم أهل بيت المصطفى فودادهم
وقال الشافعي :

يا أهل بيت رسول الله حبكم
يكفيكم من عظيم القدر انكم
وقال الشيخ قطب الارشاد الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحداد علوي شعراً:
و آل رسول الله بيت مطهر
هم الحاملون السرّ بعد نبهم

و من علماء العامة : محمود آلوسى مفتى العامة ببغداد فى تفسير (روح
المعاني ج ٢٢ ص ١٤ ط القاهرة بمطبعة المنيرية) بعد ما ذكر الحديث عن طرق
عديده قال ما لفظه :

و اخبار ادخاله عليه السلام علياً و فاطمة و ابنيهما رضى الله تعالى عنهم تحت
الكساء و قوله عليه السلام : اللهم هؤلاء أهل بيتى . و دعائه عليه السلام : لهم و عدم
إدخاله عليه السلام ام سلمة أكثر من أن تحصى ، وهى مخصصة لعموم أهل البيت بأى
معنى كان البيت فى المراد بهم من شملهم الكساء و لا يدخل فيهم أزواجه .
ثم قال آلوسى : و صحّ عن زيد بن أرقم فى حديث أخرجه مسلم : انه
قيل له : من أهل بيته؟ نسائه؟ فقال: لا أيم الله ان المرأة تكون مع الرجل العصر
من الدهر ثم يطلقها ، فترجع إلى ابيها و قومها أهل بيته أصله و عصبته الذين
حرموا الصدقة بعده عليه السلام .

و من علماء العامة : السيد صديق حسن خان الحسينى فى (تشرىف البشر
بذكر الائمة الاثنى عشر ص ٤ ط بهوپال) ما لفظه : المراد من الآل على و فاطمة
والحسنان ، و يدل عليه آية المباهلة و آية التطهير والكساء .

و منهم : النبھانی فی (الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ ص ٤٦ ط مصر)
 ما لفظه : و اختلف المفسرون فی أهل البيت فی هذه الاية ، فذهبت طائفة منهم
 أبو سعید الخدری و جماعة من التابعین منهم مجاهد و قتادة و غیرهم كما نقله
 الامام البغوی و ابن الخازن و كثير من المفسرين إلى أنهم هنا أهل العباء ، وهم
 رسول الله ﷺ و علی و فاطمة و الحسن و الحسين رضی الله عنهم ، و ذهب
 جماعة منهم ابن عباس و عكرمة إلى أنهم أزواجه الطاهرات قال : هؤلاء الايات
 كلها من قوله : « يا أيها النبي قل لازواجك - إلى قوله - ان الله كان لطيفاً خبيراً »
 منسوق بعضها علی بعض فكيف صار فی الوسط كلام لغيرهن ؟

أجاب عن هذا القائلون بان المراد أهل العباء بان الكلام العربي يدخله
 الاستطراد و الاعتراض ، وهو تخلل الجملة الاجنبية بين الكلام المتناسق كقوله
 تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها و جعلوا أعزة أهلها اذلة و كذلك
 يفعلون و انی مرسله إليهم بهدية » فقوله : « و كذلك يفعلون » جملة معترضة
 من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس . و قوله تعالى : « فلا اقسم بواقع النجوم
 و انه لاقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم » أي فلا اقسم بمواقع النجوم انه
 لقرآن كريم . و ما بينهما اعتراض علی اعتراض ، وهو كثير فی القرآن و غيره
 من كلام العرب .

و قد ثبت من طرق عديدة صحيحة ان رسول الله ﷺ جاء و معه علی
 و فاطمة و الحسن و الحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى علیاً
 و فاطمة و أجلسهما بين يديه و أجلس حسناً و حسيناً كل واحد علی فخذه ثم
 لف عليهم كساء ثم تلا هذه الاية : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
 البيت و يطهرکم تطهيراً » قالت ام سلمة : فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من
 يدي ، فقلت : و انامعكم يا رسول الله؟ فقال : انك من أزواج النبي ﷺ علی خير .
 و منهم : العلامة الحضرمي الشافعي فی (القول الفصل) بعد ما نقل الحديث

قال ما لفظه : قلت لهذا الحديث طرق جمّة وصحته وثبوته مما لا شك فيه ولا مريبة وهو نص صريح على إنحصار الخصوصية العظمى في جميع ما جاء في أهل بيته عليهم السلام في هؤلاء وبنائهم فقط ، وان دخول غيرهم في شيء من رشاش ذلك الفضل انما هو على سبيل التبعية كدخول مواليهم لا غير فهم فقط حامة النبي عليه السلام وخاصته وورائه وخلفائه وأهل الحق وقرناء الكتاب ولا يشار بهم في شيء من هذا ولا ما يقاربه أحد لا آل عباس ولا آل جعفر فضلاً عن غيرهم ، بل ولا بنو عليّ من غير فاطمة .

ثم نقل عن محب الدين الطبري انه قال : ان إدخال النبي عليه السلام لهؤلاء الخمسة تكرر في بيت فاطمة و ام سلمة وغيرهما وهو الصواب . ثم قال : وقد زعم بعض حسّاد أهل البيت وأعدائهم : ان الآية مخصوصة بامهات المؤمنين لوقوعها في سياق آيات متعلقة بهن ، و تكلفوا في تأويل تذكير الضمير من المذكورين في هذه الآية خاصة دون ما قبلها وما بعدها ، وهي بضعة عشر ضميراً واحتجوا بما افتخره عكرمة الصفرى الخارجى و حاله معلوم ، و من المشهور تردد ذلك الخبيث إلى الامراء يستعطيهم ويستطعمهم فغير بعيد أن ينال منهم أجراً وتشجيعاً على هذا الافتراء ان النصب قد كان فاشياً اذ ذاك ، والتأجير على بغضهم كانت من التجارات الرابعة في تلك الايام كما لا يخفى على من درس التاريخ ، و يقارب عكرمة في النصب عروة بن الزبير .

ثم قال : والتعبير بأهل بيت النسب هو المتعارف المتبادر فهمه كما في خبر كعب بن عجرة عند الحاكم يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت ، و خبر على في مسنده عند النسائي و خبر أبي هريرة لأبى داود اذا صلّى علينا أهل البيت و خبر اللياسى و ابن أبى شيبة و أحمد و ابن ماجه و أبى يعلى والطبرانى و أبى نعيم والمستغفرى المهدي منا أهل البيت إلى أن قال : و لفظ أهل و إن صح إطلاقه على بيت السكنى و أهل بيت النسب ، فهؤلاء حقيقته و بالذات ، و

لا يتصور انفكاكهم عنه و أهل بيت السكنى بالعرض ، و يجوز أن ينفك ذلك الوصف بان تعود المرأة إلى بيت أبيها ، و تلحق بقوم آخرين .
 و قوله : « هو أهل التقوى و أهل المغفرة » و « كانوا أحق بها و أهلها » فالذين لا ينفك عنهم ذلك الوصف هم المرادون عند الاطلاق قطعاً كما قاله الاكثرون و جاءت به الروايات الجملة الصحيحة ، فالآية في أهل الكساء خاصة ، و هم أيضاً أهل المباهلة لم يدخل فيهم أحد آخر - إلى أن قال - : و يشهد لذلك ما صح عند الجمهور من رده عنه لعائشة و ام سلمة ، و عدم إدخاله فيها لهما - إلى أن قال - : و من تأمل اسلوب الايات ، و تأنيث الضمائر فيهن ، ثم صرف ذلك و تغييره و تكبيره في تلك الآية وحدها و ايراد لفظ أهل البيت منادياً لهم مخصوصاً مع تكرار النداء فيما سوى ذلك بلفظ « يا نساء النبي » .
 و عرف ان الاضافة إلى البيت لو تمحضت لما كانت خيراً من الاضافة إلى النبي ﷺ و كيف افرد لفظ البيت مع أن لامهات المؤمنين بيوتاً متعددة للسكنى و تحليته باللام التي هنا للعهد الذهني ، و من تأمل هذا لم يبق عنده غبار ريب في أن القول قول الجمهور و هو اختصاص الآية بالخمس ، و هذا القول منقول عن زين العابدين و الباقر و الصادق عليهم السلام و مجاهد و قتادة و المحدث المفسران جرير أورد للقول بان الآية في أهل الكساء أحاديث متعددة بأسانيد صحيحة و حسنة عن ثمانية من الصحابة و ذكر الآثار في ذلك عن التابعين كذلك ، و قد حقق الطحاوي في مشكل الآثار استحالة دخول غير أهل الكساء معهم فيما اريدت به هذه الآية :

و هو الذي لا يتخطاه مسلم منصف إذ أي شبهة تبقى بعد قوله ﷺ لام المؤمنين لما سئلته أن تكون معهم : « انك على خير و هؤلاء أهل بيتي » أو قوله ﷺ لها : « لا و انت على خير » و أين غفلوا عن قولها و ددت انه قال : نعم فكان أحب إلى مما تطلع عليه الشمس و تغرب و اذا كانت منهم فلم جذب الكساء

من بعدها . و قد خطب الامام الحسن السبط عليه السلام بعد دفن أبيه و بين اختصاص أهل البيت بالخمس بمشهد و مسمع من ابن عباس و جماعة بنى هاشم و أصحاب علي عليه السلام و ابن مسعود ، و لم ينكره أحد فهل يبقى شك بعد ذلك .
 و لله در العلامة الشيخ أحمد بن محمد الأشعري الخفطى المغربى أشار فى آياته إلى بعض النكات والدقائق التى ذكرها السهمودى و طريق دخول سائر الائمة فى أهل البيت حيث قال :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| و كل ما قالوه سهو و غلط | و آية التطهير من هذا النمط |
| نفيد للحصر على قطع و بت | و غفلوا عن أربع من النكت |
| تأكيديه بالسلام للمباني | فانما الاول ثم الثانى |
| منكراً فى الحكم والنزول | مؤكدأ بالمطلق المفعول |
| لآية التطهير فى السؤال | و جعله فى سبب الانزال |
| إليه فى دعائه و ما اعتدى | اسم إشارة لما قد اسندا |
| غير التى سمعها قد اثبتوا | و عند أرباب البيان نكت |
| قد أنزلت فى خمسة مكرمة | إن قلت ان الآية المعظمة |
| تحت الكساء حكماً و تحت دعوته | فما الدليل فى دخول عترته |
| دلت على القطع و قد تظافرت | فعدنا دلائل تواترت |
| لم يمتنع منه عموم الحكم | منها خصوص السبب المهم |
| فى عالم الظهور قد يكون | لم يخلقوا إذ ذاك والبطون |
| ذرية فرددن قرآنه | وقال الحقنا بهم سبحانه |
| حقيقة و هم بنوه عترته | و أهل بيت المصطفى ذريته |
| إلى ورود الحوض فيما وردا | مقارنين للكتاب أبداً |
| من بعده فينا تنور الملك | و واحد من ثقلين قد ترك |
| بهم فيا لله من مستمسك | و امر الامة بالتمسك |

فهذه دلائل الدخول
 و انهم قد ألحقوا بنفسه
 طهرهم ربهم و اذهبها
 فكل فرد منهم مطهر
 و صيغة الفعل لها التجديد
 في آية التطهير والشمول
 و كل فرع لاحق بفرسه
 لكل رجس عنهم و طيبا
 من ذلك اليوم إلى أن يحشروا
 على الدوام و لها الترديد
 إلى آخر ما نظمه . و على القارئ التدبر فيما أوردناه من كلمات أعظم
 العامة نثراً و نظماً ، و فيما ورد في المقام من الروايات ...
 و من علماء العامة : أحمد مصطفى المراغى قال في (تفسيره ج ٢٢ ص ٧
 ط مصر) ما لفظه : و أهل بيته عليهم السلام من كان ملازماً له من الرجال والنساء
 والازواج والاماء والأقارب ، و كلما كان المرء منهم أقرب و بالنسبة أخص و
 ألزم كان بالارادة أحق و أجدر . و عن ابن عباس قال : « شهدنا رسول الله صلى الله عليه وآله
 تسعة أشهر يأتي كل يوم باب علي بن أبي طالب عند وقت كل صلاة فيقول :
 « السلام عليكم و رحمة الله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و
 يطهركم تطهيراً ، الصلاة يرحمكم الله كل يوم خمس مرات » .
 و منهم : النظام النيسابورى في (تفسيره ذيل آية التطهير) ما لفظه :
 و قد مرّ في آية المباهلة انهم أهل العباء : النبي صلى الله عليه وآله لانه أصل وفاطمة رضى
 الله عنها والحسن والحسين رضى الله عنهما بالاتفاق ، والصحيح ان علياً رضى الله
 عنه منهم لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وآله و ملازمته إياه .
 و منهم : العلامة أبوبكر الحضرمى الشافعى في (القول الفصل ج ١ ص ٨٤
 ط افريقيا) ما لفظه : انه أى حديث الكساء من الاحاديث الصحيحة المستفيضة
 المتواترة معنى اتفقت الامة على قبوله ، فهم بين من يحتج به كالشيعة ، ومثوله
 كغيرهم والتأويل فرع القبول ، و قد قال بصحته سبعة عشر حافظاً من كبار
 حفاظ الحديث .

وقال في (ج ٢ ص ١٦٢ الطبع) في هذا الكتاب في مقام الرد على
الناصب المشتهر بابن التلميذ وهو نصاب عصرنا في بلاد افرقيا ما لفظه : الحديث
صحيح أخرجه مسلم في صحيحه و ابن السكن في صحاحه المشهورة والترمذى
في جامعه والامام احمد في مسنده من طرق ، والحاكم في مستدركه و صححه
والبيهقى و صححه و أخرجه ابن حبان في صحيحه والنسائى والطبرانى في مجمه
الكبير من طرق ، و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم في تفسيره ، و قد
التزم أن يذكر أصح ما ورد و ابن مردويه والخطيب و ابن أبى شيبه والطيالسى
و أبو نعيم والحكيم والترمذى والذين قالوا بصحته جمع غير منهم الائمة :

مسلم و ابن أبى حاتم و صالح بن محمد الاسدى و ابن شاهين والحافظ
أحمد بن صالح المصرى والحاكم والبيهقى والحافظ ابن حجر و ابن عبد البر وابن
تمية والسخاوى والقسطلانى والكمال المزى والزرقانى والسمهودى والشوكانى
وغيرهم من أئمة أهل السنة والجماعة ، و محدثوا الشيعة قاطبة ، و قدره من
الصحابة الامام على والسبطان عليهما السلام و عبدالله بن جعفر و ابن عباس و ام سلمة و
عائشة و سعد بن أبى وقاص و انس بن مالك و أبو سعيد الخدرى و ابن مسعود
و معقل بن يسار و وائلة بن الاسقع و عمر بن أبى سلمة و أبو الحمراء ، فهؤلاء
خمس عشرة صحابياً .

و غيرهم من أعظم علماء العامة تركناهم للاختصار ، و نختم الكلام فى
المقام بما جاء فى ذيل (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٦١ ط بيروت) للحاكم الحسكانى
الحنفى : و فى ذلك يقول الشاعر :

| | |
|-----------------------------|------------------------|
| بأبى خمسة هم جنبوا الا | رجس و طهروا تطهيراً |
| أحمد المصطفى وفاطمة ثم أعنى | علياً و شبراً و شبيراً |
| من تولاهم ذى العرش | و لقاه نضرة و سروداً |
| و على مبغضهم لعنة الله | و أصلهم المليك سعيراً |

كلمات المحققين في اختصاص

آية التطهير بالمعصومين عليهم السلام

و لأعلام الشيعة الامامية الاثنى عشرية ومحققهم كلمات لا يسعها المقام ،
فنشير إلى نبذة منها على طريق الاختصار :
منهم : شيخ المفسرين الطبرسي قدس سره قال في (المجمع) ذيل الآية
الكريمة : والبيت التعريف فيه للعهد ، والمراد به بيت النبوة والرسالة والعرب
تسمى ما يلتجأ إليه بيتاً ، ولهذا سمو الانساب بيوتاً ، قالوا : بيوتات العرب يريدون
النسب قال :

ألا يا بيت بالعلياء بيت و لولا حبّ أهلك ما أتيت
ألا يا بيت أهلك أو عدوني كأني كل ذنبهم جنيت
يريد بيت النسب وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب .
و«العلياء» : رأس الجبل . المكان العالي .

ثم قال قدس سره : وقد اتفقت الامة بأجمعها على أن المراد بأهل البيت في
الآية أهل بيت نبينا عليهم السلام - إلى أن قال - واستدل الشيعة على اختصاص الآية
بهؤلاء الخمسة عليهم السلام بان قالوا : إن لفظه - «انما» محققة لما اثبت بعدها نافية
لما لم يثبت ، فان قول القائل انما لك عندي درهم ، و انما في الدار زيد يقتضى
انه ليس عنده سوى الدرهم ، وليس في الدار سوى زيد ، واذا تقرر هذا فلا تخلو
الارادة في الآية أن تكون هي الارادة المحضة أو الارادة التي يتبعها التطهير و

إنّ هاب الرجس ، ولا يجوز الوجه الاول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ، و لان هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا فى مدح فى الارادة المجردة فثبت الوجه الثانى ، وفى ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالاية من جميع القبائح ، و قد علمنا ان من عدا من ذكرناه من أهل البيت غير مقطوع على عصمته ، فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان تعلّقها بغيرهم ، ومتى قيل : ان صدر الاية و ما بعدها فى الأزواج فالقول فيه ان هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء فى كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه ، والقرآن من ذلك مملؤ و كذلك كلام العرب و اشعارهم .

ومنهم : السيد شرف الدين رضوان الله تعالى عليه فى (الفصول المهمة) قال : لا ريب فى أن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم فى هذه الاية انما هم الخمسة «أصحاب الكساء» و كفاك هذا برهاناً على انهم أفضل من أقلته الارض يومئذ و من أظلمته السماء .

الأوهم رسول الله ﷺ و صنوه الجارى بنصر الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التى يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها و ربحاته من الدنيا سبطاه الشهيدان سيدا شباب أهل الجنة ، فهو لاء هم أصحاب هذه الاية البينة بحكم الادلة القاطعة والحجج الساطعة لم يشار كهم فيها أحد من بنى آدم ، ولا زاحمهم تحت كساءها واحداً من هذا العالم- إن أن قال- وقد اجتمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الاسلامية كلها على انه ﷺ لما نزل الوحي بها ضمّ سبطيه وأبهما وامهما إليه ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء تمييزاً لهم عن سائر الابناء والانفس والنساء فلما انفردوا تحته عن كافة اسرته واحتجوا به عن بقية امته بلغهم الآيه ، وهم على تلك الحال حرصاً على أن لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل .

فقال مخاطباً لهم وهم معه فى معزل عن كافة الناس : دائما يريد الله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويظهر كم تطهيراً» فإزاح عنه بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب وهتك سدف الشبهات ، فبرح الخفاء بحكمته البالغة وسطعت أشعة الظهور ببلاغة المبين ، والحمد لله رب العالمين ، ومع ذلك لم يقتصر عنه على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام حتى أخرج يده من تحت الكساء فألوى بها إلى السماء فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، يكرر ذلك وام سلمة تسمع وترى إذ كان نزول الآية وقضية الكساء في بيتها ، فقالت : وانا معكم يا رسول الله ، ورفعت الكساء لتدخل فجذبته من يدها ، وقال : انك على خير ، وفي ذلك كله صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة .

فيا أهل البصائر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة المقدرين قدر أفعاله وأقواله هل تجدون وجهاً لحصرهم تحت الكساء عند تبليغهم الآية عن الله تعالى إلا المبالغة البليغة في توضيح ما قلناه من اختصاصها وامتيازهم بها عن العالمين ؟ وهل تفهمون من قوله : «اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» إلا الحصر بهم والقصر عليهم ؟ وهل ترون وجهاً لجذب الكساء من يدام سلمة ومنعها من الدخول معهم على جلاله قدرها وعظم شأنها إلا الذي ذكرناه؟ فأين تذهبون وأنى تؤفكون «انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين و ما صاحبكم بمجنون» .

و قد تكررت منه عنه قضية الكساء حتى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية أيضاً ، والصواب عندنا نزولها مرة واحدة لكن حكمة الصادق الامين في نصحه ببلاغه المبين اقتضت تكرير تلك القضية مرة في بيت ام سلمة عند نزول الآية ، وتبليغها لاهلها المخاطبين فيها ، واخرى في بيت فاطمة وفي كل مرة يتلو عليهم الآية مخاطباً لهم بها وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءاً للشبهة في نحو أهل الزينج .

وقد بلغ بأبي هو وامى فى توضيح اختصاص الاية بهم كل مبلغ ، وسلك فى اعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب ولا يبقى بعدها أثر لهذيان النواصب حتى كان بعد نزول الاية كلما خرج إلى الفجر يمر بيبيت فاطمة فيقول : الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر كم تطهيراً و قد استمر على هذا ستة أشهر فى رواية أنس ، وعن ابن عباس سبعة أشهر (و فى رواية تسعة أشهر) وفى رواية ذكرها النبھانى وغيره ثمانية أشهر، فصرح الحق عن محضه وبدا الصبح لذى عينين .

لكن حثالة من أعداء أهل البيت ؛ وصنائع بنى امية ودعاة الخوارج ذهبوا فى صرف الاية عن أهلها كل مذهب ، فقال بعضهم : انها خاصة بنساء النبي ﷺ وتشبهوا فى ذلك بسياق الاية ، وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان فى الانتصار لهذا الرأى والاستدلال بالسياق عليه، وكان عكرمة ينادى به فى الاسواق (١٨) تحاملاً على أصحاب الكساء ولاعجب فان عكرمة من الدعاة إلى عداوة على ﷺ والسماة فى تضليل الناس عنه بكل طريق .

ثم قال : وأما مقاتل فقد كان عدواً لامير المؤمنين ﷺ أيضاً ، وكان دأبه صرف الفضائل عنه ﷺ حتى افتضح بذلك . قال ابراهيم الحربى كما فى ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : قعد مقابل بن سليمان فقال (إطفاء لنور أمير المؤمنين) : سلونى عمادون العرش فقال له رجل : أخبرنى من خلق رأس آدم حين حجج ؟ فبهت .

و كان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة . ثم قال : و آية التطهير جاءت مستطردة بين آيات النساء فتبين بسبب استطرادها ان خطاب الله لهن بتلك الاوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن الا لعناية الله تعالى بأهل البيت «أعنى الخمسة» ثلاثينهم «ولومن جهتهن» لوم أو ينسب إليهم «ولو

بواسطتهن» هناة أو يكون عليهم للمنافقين «ولو بسببهن» سبيل ، ولو لاهذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، و كمل إعجازه الباهر كما لا يخفى .

ومنهم : العلامة المجلسي قدس سره في البحار فقال : المراد بالارادة في الآية إما الارادة المستتعبة للفعل أعنى إذهاب الرجس ، حتى يكون الكلام في قوة ان يقال : انما اذهب الله عنكم الرجس ، أو الارادة المحضة التي لا يتبعها الفعل حتى يكون المعنى : أمر كم الله باجتناّب المعاصي يا أهل البيت ، فعلى الاول ثبت المدعى ، وأما الثاني فباطل من وجوه :

الاول : ان كلمة «انما» تدل على التخصيص كما قرّر في محله ، والارادة المذكورة تعم سائر المكلفين حتى الكفار لاشترك الجميع في التكليف ، وقد قال سبحانه : «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» فلا وجه للتخصيص بأهل البيت عليهم السلام .

الثاني : ان المقام يقتضى المدح والتشريف لمن نزلت الآية فيه ، حيث جلّ لهم بالكساء ولم يدخل فيه غيرهم ، و خصّصهم بدعائه فقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي على ما سبق في الاخبار ، وكذا التأكيد في الآية حيث أعاد التطهير بعد بيان إذهاب الرجس ، والمصدر بعده منوّناً بتنوين التعظيم . . .

الثالث : ان الآية على ما مرّ في بعض الروايات انما نزلت بعد دعوة النبي صلى الله عليه وآله لهم وان يعطيه ما وعده فيهم ، وقد سئل الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم لأن يريد ذلك منهم ويكلفهم بطاعته ، فلو كان المراد هذا النوع من الارادة لكان نزول الآية في الحقيقة رداً لدعوته صلى الله عليه وآله لإجابة لها ، بطلانسه ظاهر .

وأما الالتفات في الآية فقد وقع في سورة الاحزاب بعينها ما يشبه هذا فان

الله تعالى بعد ما خاطب أزواج النبي ﷺ بآيات مصدرة بقوله : «يا نساء النبي إن كنتم تردن الحياة الدنيا» الآية عدل إلى الخطاب للمؤمنين بما لا تعلق له بأزواج النبي ﷺ بآيات كثيرة ثم عاد إلى الأمر بالخطاب لهن وعيّرهن بقوله تعالى : «يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك . .» .



﴿ أهل بيت النبوة ﷺ و شيعتهم ﴾

في معاني الاخبار : باسناده عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : من آل محمد عليه السلام ؟ قال : ذريته فقلت من أهل بيته ؟ قال : الائمة الاوصياء فقلت : من عترته ؟ قال : أصحاب العباء فقلت : من امته ؟ قال : المؤمنون الذين صدقوا بما جاء به من عند الله عز وجل المتمسكون بالثقلين الذين امروا بالتمسك بهما بكتاب الله وعترته أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً و هما الخليفتان على الامة بعده عليه السلام .

و فيه : باسناده عن عبد بن ميسرة قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : انا نقول : اللهم صل على محمد و أهل بيته ، فيقول قوم : نحن آل محمد فقال : انما آل محمد من حرم الله عز وجل على محمد و آله نكاحه .

و فيه : باسناده عن سليمان الديلمي قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك من آل ؟ قال : ذرية محمد عليه السلام قال : قلت : فمن الاهل ؟ قال : الائمة عليهم السلام .

و في تفسير العياشي : باسناده عن ثعلبة بن ميمون عن ميسر قال : كنا في الفسطاط عند أبي جعفر عليه السلام نحو من خمسين رجلاً قال : فجلس بعد سكوت كان منا طويلاً فقال : مالكم لاتنطقون لعلكم ترون انى نبى لا والله ما أنا كذلك ، و لكن فى قرابة من رسول الله عليه السلام قريبة و لادة من وصلها وصله الله و من أحبها أحبته الله من أكرمها أكرمه الله أتدرون أى البقاع أفضل عند الله منزلة ، فلم يتكلم

أحد ، فكان هو الراد على نفسه ، فقال : تلك مكة الحرام التي رضىها لنفسه حرماً وجعل بيته فيها ، ثم قال : أتدرون أى بقعة أفضل من مكة ، فلم يتكلم أحد فكان هو الراد على نفسه ، فقال : ما بين الحجر الاسود إلى باب الكعبة ذلك حطيم ابراهيم نفسه الذى كان يذود فيه غنمه ، و يصلّى فيه فوالله لو أن عبداً صف قدميه فى ذلك المكان قام النهار مصلياً حتى يحنه الليل ، و قام الليل مصلياً حتى يحنه النهار .

ثم لم يعرف لنا حقاً أهل البيت و حرمانا حقنا لم يقبل الله منه شيئاً أبداً ان أبانا ابراهيم صلوات الله عليه كان فيما اشترط على ربه ان قال : « اجعل ائمة من الناس تهوى إليهم » اما انه لم يقل الناس كلهم انتم اولئك رحمكم الله و نظراً لكم انما مثلكم فى الناس مثل الشعرة البيضاء فى الثور الاسود أو الشعرة السوداء فى الثور الابيض ، و ينبغى للناس أن يحجّوا هذا البيت و أن يعظّموه لتعظيم الله اياه و أن يلقونا أينما كنا نحن الادلاء على الله .

و فيه : باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبى جعفر عليه السلام قال : انظر إلى الناس يطوفون حول الكعبة ، فقال : هكذا كانوا يطوفون فى الجاهلية انما امرؤ أن يطوفوا ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم ، و يعرضون علينا نصرتهم ثم قرء هذه الآية : « فاجعل ائمة من الناس تهوى إليهم » فقال : آل محمد آل محمد ثم قال : إلينا إلينا .

و فيه : باسناده عن أبى عبيدة عن أبى جعفر عليه السلام قال : من أحبنا ، فهو منا أهل البيت قلت : جعلت فداك منكم ؟ قال : منا والله أما سمعت قول ابراهيم عليه السلام : « فمن تبعنى فإنه منى » .

و فيه : باسناده عن محمد الحلبي عن أبى عبد الله عليه السلام قال : من اتق الله منكم و أصلح فهو منا أهل البيت ، قال : منكم أهل البيت ؟ قال : منا أهل البيت قال فيها ابراهيم : « فمن تبعنى فإنه منى » قال عمر بن يزيد قلت له : من آل محمد ؟

قال : اى والله من آل محمد اى والله من أنفسهم أما تسمع الله يقول : « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه » و قول ابراهيم : « فمن تبعنى فانه منى » .
 و فيه : باسناده عن ابن عمرو و الزبيرى عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من تولى آل محمد ، و قد مهمهم على جميع الناس بما قد مهمهم من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله فهو من آل محمد لتوليه آل محمد لانه من القوم بأعيانهم ، و انما هو منهم بتوليه إليهم و اتباعه اياهم ، و كذلك حكم الله فى كتابه : « و من يتولى منكم فانه منهم » و قول ابراهيم :
 « فمن تبعنى فانه منى و من عصانى فانك غفور رحيم » :

كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لسلمان الفارسي رضوان الله تعالى عليه : سلمان منا أهل البيت لمتابعته له صلى الله عليه وآله بما هو حقه .

و فيه : باسناده عن خالد بن نجيع عن جعفر بن محمد عليه السلام فى قوله تعالى :
 « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » فقال : بمحمد و آله السلام تطمئن القلوب و هو ذكر الله و حجاباه .

و فى الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن على عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما نزلت هذه الآية : « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » قال : ذاك من أحب الله و رسوله و أحب أهل بيتى صادقاً غير كاذب ، و أحب المؤمنين شاهداً و غائباً ألا بذكر الله يتحابون .

و فى المستدرک لابن بطريق : روى الحافظ أبو نعيم باسناده عن انس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب » أتدرى من هم يا بن ام سليم ؟ قلت : من هم يا رسول الله ؟ قال : نحن أهل البيت و شيعتنا .

أهل البيت عليهم السلام هم العترة الطاهرة

و آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

في عيون أخبار الرضا عليه السلام : باسناده عن الريان بن الصلت قال : حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرور ، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان ، فقال المأمون : أخبروني عن معنى هذه الآية : « ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا » ؟ فقالت العلماء : أراد الله عز وجل بذلك الامة كلها ، فقال المأمون : ما تقول يا أبا الحسن ؟

فقال الرضا عليه السلام : لأقول كما قالوا ، ولكني أقول : أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة ، فقال المأمون : وكيف عنى العترة من دون الامة ؟ فقال له الرضا عليه السلام : انه لو أراد الامة لكانت أجمعها في الجنة لقول الله عز وجل : « فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » ثم جمعهم كلهم في الجنة ، فقال عز وجل : « جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب » الآية ، فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم فقال المأمون : من العترة الطاهرة ؟

فقال الرضا عليه السلام : الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً »

و هم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إني مخلف فيكم الثقلين : كتاب الله

و عترتي أهل بيتي ألا وإنهم لئن يفتروا حتى يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفون فيهما أيها الناس لاتعلموهم فانهم أعلم منكم .

قالت العلماء : أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة أهم الآل؟ أم غير الآل؟
فقال الرضا عليه السلام : هم الآل ، فقالت العلماء : فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤثر عنه انه قال : امتي آلي و هؤلاء أصحابه ، يقولون بالخبر المستفاض الذي لا يمكن دفعه آل محمد امته .

فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبروني فهل تحرم الصدقة على الآل؟ فقالوا : نعم قال : فتحرم على الامة ، قالوا : لا ، قال : هذا فرق بين الآل و الامة ، و يحكم أين يذهب بكم أضربتم عن الذكراً صفحاً أم أنتم قوم مسرفون ! أما علمتم انه وقعت الوراثة و الطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟

قالوا : و من أين يا أبا الحسن؟ فقال : من قول الله عز وجل : « و لقد أرسلنا نوحاً و إبراهيم و جعلنا في ذريتهما النبوة و الكتاب فمنهم مهتد و كثير منهم فاسقون » فصارت وراثة النبوة و الكتاب للمهتدين دون الفاسقين ، أما علمتم ان نوحاً حين سئل ربه عز وجل : « فقال رب ان إبني من أهلي وان وعدك الحق و أنت أحكم الحاكمين » و ذلك ان الله عز وجل وعده أن ينجيهم و أهله ، فقال ربه عز وجل : « يا نوح انه عمل غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني أعظك أن تكون من الجاهلين »

فقال المأمون : و أين ذلك من كتاب الله؟ فقال له الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل : « ان الله اصطفى آدم و نوحاً و آل إبراهيم و آل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض و الله سميع عليم » و قال عز وجل في موضع آخر : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً » ثم رد المخاطبة في اثر هذه إلى ساير المؤمنين فقال : « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و اولي الامر منكم » يعنى

الذي قرئهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهما فقوله عز وجل : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة و آتيناهم ملكاً عظيماً » يعنى الطاعة للمصطفين الطاهرين ، فالملك هيمناهو الطاعة لهم ، فقالت العلماء : فأخبرناهل فسر الله عز وجل الاصطفاء فى الكتاب ؟ فقال الرضا عليه السلام : فسر الاصطفاء فى الظاهر سوى الباطن فى إثناعشر موطناً وموضعا :

فأول ذلك : قوله عز وجل : « وأنذر عشيرتك الأقربين » ورهطك المخلصين هكذا فى قراءة ابي بن كعب ، وهى ثابتة فى مصحف عبدالله بن مسعود وهذه منزلة رفيعة وفضل عظيم وشرف عال حين عنى الله عز وجل بذلك الانذار فذكره لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه واحدة .

والآية الثانية : فى الاصطفاء قوله عز وجل : « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » وهذا الفضل الذى لا يجله أحد إلا معاند ضال لأنه فضل بعد طهارة تمتظر فهذه الثانية .

و أما الثالثة فحين ميزان الله الطاهرين من خلقه ، فأمر نبيه بالمباهلة بهم فى آية الابتهاال ، فقال عز وجل : يا محمد « فمن حاجك فيه من بعد ما جئتك فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » فبرز النبى صلى الله عليه وآله وسلم علياً والحسن والحسين وفاطمة صلوات الله عليهم ، و قرن أنفسهم بنفسه ، فهل تدرون ما معنى قوله : « وأنفسنا وأنفسكم » ؟

قالت العلماء : عنى به نفسه ، فقال أبو الحسن عليه السلام : لقد غلطتم إنما عنى بها على بن أبى طالب عليه السلام ومما يدل على ذلك قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم حين قال : لينتهين بنو وليمة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسى يعنى على بن أبى طالب عليه السلام و عنى بالأبناء الحسن والحسين عليه السلام ، و عنى بالنساء فاطمة عليها السلام فهذه خصوصية لا يتقدمهم

فيها أحد ، و فضل لا يلحقهم فيه بشر و شرف لا يسبقهم إليه خلق إذ جعل نفس على عليه السلام كنفسه فهذه الثالثة .

و أما الرابعة : فأخراجه عليه السلام الناس من مسجده ما خلا العترة حتى تكلم الناس في ذلك و تكلم العباس ، فقال : يا رسول الله تركت علياً و أخرجتنا ، فقال رسول الله عليه السلام : ما أنا تركته و أخرجتكم ولكن الله عز وجل تركه و أخرجكم وفي هذا تبيان قوله عليه السلام لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، قالت العلماء : و أين هذا من القرآن ؟ قال أبو الحسن عليه السلام : اوجدكم في ذلك قرآناً و اقرأه عليكم قالوا : هات قال : قول الله عز وجل : « و أوحينا إلى موسى وأخيه ان تبوعا لقومكما بمصرييوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة » ففي هذه الآية منزلة هارون من موسى ، و فيها أيضاً منزلة علي عليه السلام من رسول الله عليه السلام و مع هذا دليل واضح في قوله رسول الله عليه السلام حين قال : ألا ان هذا المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد عليه السلام و آله .

قالت العلماء : يا أبا الحسن هذا الشرح و هذا البيان لا يوجد إلا عندكم معاشر أهل بيت الرسول الله عليه السلام فقال : و من ينكر لنا ذلك و رسول الله يقول : أنا مدينة العلم و علي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها ؟ ففيما أوضحنا و شرحنا من الفضل و الشرف و التقدمة و الاصطفاء و الطهارة ما لا ينكره إلا معاند والله عز وجل والحمد على ذلك - فهذه الرابعة .

و الآية الخامسة : قول الله عز وجل : « و آت ذا القربى حقه » خصوصية خصهم الله العزيز الجبار بها ، و اصطفاهم على الأمة ، فلما نزلت هذه الآية على رسول الله عليه السلام قال : ادعوا إلى فاطمة فدعيت له فقال : يا فاطمة قالت : لبيك يا رسول الله فقال : هذه فدك مما هي لم يوجف عليه بالخيول و لاركاب ، و هي لى خاصة دون المسلمين و قد جعلتها لك لما أمرني الله تعالى به فخذها لك و لو لدك فهذه الخامسة .

والآية السادسة : قول الله عزوجل : « قل لا أسئلكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى » وهذه خصوصية للنبي ﷺ إلى يوم القيامة و خصوصية للآل دون غيرهم ، و ذلك ان الله عزوجل حكى في ذكر نوح في كتابه : « يا قوم لا أسئلكم عليه ما لا إن أجرى إلا على الله و ما أنا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى أراكم قوماً تجهلون » و حكى عزوجل عن هود انه قال : « قل لا أسئلكم عليه أجرأ إن أجرى إلا على الذى فطرني أفلا تعقلون » و قال عزوجل لنبى محمد ﷺ : « قل يا محمد : « لا أسئلكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى » و لم يفرض الله تعالى مودتهم إلا و قد علم أنهم لا يريدون عن الدين أبداً و لا يرجعون إلى ضلال أبداً ، و اخرى أن يكون الرجل واداً للرجل ، فيكون بعض أهل بيته عدواً له ، فلا يسلم له قلب الرجل .

فأحب الله عزوجل أن لا يكون في قلب رسول الله ﷺ على المؤمنين شيء ، و يفرض عليهم الله مودة ذوى القربى ، فمن أخذ بها و أحب رسول الله ﷺ و أحب أهل بيته لم يستطع رسول الله ﷺ أن يبغضه ، و من تركها ولم يأخذ بها و أبغض أهل بيته ، فعلى رسول الله ﷺ أن يبغضه لانه قد ترك فريضة من فرائض الله عزوجل فأى فضيلة و أى شرف يتقدم هذا أو يدانيه؟ فأنزل الله عزوجل هذه الآية على نبى محمد ﷺ : « قل لا أسئلكم عليه أجرأ إلا المودة في القربى » . فقام رسول الله ﷺ في أصحابه فحمد الله و أثنى عليه و قال : يا أيها الناس ! ان الله عزوجل قد فرض لى عليكم فرضاً ، فهل أنتم مؤدوه؟ فلم يجبه أحد ، فقال : يا أيها الناس انه ليس بذهب و لا فضة و لا ما كؤل و لا مشروب ، فقالوا: هات إذأ فتلا عليهم هذه الآية ، فقالوا: أما هذه فنعم فما وفى بها أكثرهم ، و ما بعث الله عزوجل نبياً إلا اوحى إليه أن لا يسئل قومه أجرأ لان الله عزوجل يوفيه أجر الانبياء و محمد ﷺ فرض الله عزوجل مودة طاعته و مودة قرابته على امته و أمره أن يجعل أجره فيهم ليؤدوه في قرابته بمعرفة فضلهم الذى

أوجب الله عز وجل لهم ، فان المودة إنما تكون على قدر معرفة الفضل ، فلما أوجب الله تعالى ثقل ذلك لثقل وجوب الطاعة فتمسك بها قوم قد أخذ الله ميثاقهم على الوفاء وعاند أهل الشقاق والنفاق ، والحدوا في ذلك فصرفوه عن حدة الذي حده الله عز وجل .

فقالوا : القرابة هم العرب كلهم و أهل دعوته ، فعلى أى الحالين كان فقد علمنا ان المودة هي القرابة فأقربهم من النبي ﷺ أولاهم بالمودة ، وكلمنا قربت القرابة كانت المودة على قدرها ، وما انصفوا نبي الله ﷺ في حيطته ورأفته و ما من الله به على امته مما تعجز الألسن عن وصف الشكر عليه أن لا يؤذوه في ذريته و أهل بيته ، و أن يجعلوهم فيهم بمنزلة العين من الرأس حفظاً لرسول الله فيهم ، والذين فرض الله تعالى مودتهم و وعد الجزاء عليها ، فما و في أحد بها فهذه المودة لا يأتي بها أحد مؤمناً مخلصاً إلا استوجب الجنة لقول الله عز وجل في هذه الآية : « والذين آمنوا و عملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير الذي الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا و عملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » مفسراً و مبيناً ثم قال أبو الحسن عليه السلام :

حدثني أبي عن جدي عن آبائه عن الحسين بن علي عليه السلام قال : اجتمع المهاجرون والأنصار إلى رسول الله ، فقالوا : ان لك يا رسول الله مؤنة في نفقتك ، و فيمن يأتيك من الوفود و هذه أموالنا مع دماننا ، فاحكم فيها بارأ ما جوراً اعط ما شئت و امسك ما شئت من غير حرج قال : فأنزله الله عز وجل عليه الروح الأمين ، فقال : يا محمد : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » يعني أن تودوا قرابتي من بعدي ، فخرجوا فقال المنافقون : ما حمل رسول الله ﷺ على ترك ما عرضنا عليه إلا ليحثنا على قرابته من بعد ان هو إلا شيء إفتراه في مجلسه و كان ذلك على قولهم عظيماً .

فأنزل الله عز وجل هذه الآية: «أم يقولون افتراء قل إن افتريته فلا تملكون لى من الله شيئاً هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم» فبعث عليهم النبي ﷺ فقال: هل من حدث؟ فقالوا: اى والله يا رسول الله لقد قال بعضنا: كلاماً غليظاً كرهناه فتلا عليهم رسول الله ﷺ الآية فبكوا واشتدوا بكاهم فأنزل الله عز وجل: «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات و يعلم ما تعملون» فهذه السادسة.

وأما الآية السابعة: فقول الله عز وجل: «ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً» قالوا: يا رسول الله قد عرفنا التسليم عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و على آل إبراهيم انك حميد مجيد.

فهل بينكم معاشر الناس فى هذا خلاف؟ فقالوا: لا فقال المأمون: هذا مما لا خلاف فيه أصلاً و عليه إجماع الامة، فهل عندك فى الآل شىء أوضح من هذا فى القرآن؟ فقال أبو الحسن: نعم! أخبرونى عن قول الله عز وجل: «يس و القرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم» فمن عنى بقوله: «يس»؟ قالت العلماء: «يس» محمد ﷺ لم يشك فيه أحد.

قال أبو الحسن عليه السلام: فان الله عز وجل اعطى محمداً و آل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلا من عقله، و ذلك ان الله عز وجل لم يسلم على أحد إلا على الانبياء صلوات الله عليهم، فقال تبارك و تعالى: «سلام على نوح فى العالمين» و قال: «سلام على إبراهيم» و قال: «سلام على موسى و هارون» و لم يقل: سلام على آل نوح و لم يقل: سلام على آل إبراهيم و لا قال: سلام على آل موسى و هارون، و قال عز وجل: «سلام على آل يس» يعنى آل محمد صلوات الله عليهم.

فقال المأمون: لقد علمت أن فى معدن النبوة شرح هذا و بيانه فهذه السابعة.

و أما الثامنة : فقول الله عز وجل : «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى» فقرن سهم ذى القربى بسهمه و بسهم رسول الله ﷺ فهذا فضل أيضاً بين الآل والامة لان الله تعالى جعلهم فى حيز وجعل الناس فى حيز دون ذلك ورضى لهم ما رضى لنفسه ، واصطفاهم فيه ، فبدأ بنفسه ثم تنى برسوله ثم بذى القربى ، فكل ما كان من الفىء والغنيمة وغير ذلك مما رضى عز وجل لنفسه فرضيه لهم ، فقال : وقوله الحق : «واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذى القربى» .

فهذا تأكيد مؤكد وأثر قائم لهم إلى يوم القيامة فى كتاب الله الناطق : «الذى لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» وأما قوله : «واليتامى والمساكين» فان اليتيم إذا انقطع يتمه خرج من الغنائم ، ولم يكن له فيها نصيب وكذلك المساكين إذا انقطعت مسكنته لم يكن له نصيب من المغنم ، ولا يحل له أخذه و سهم ذى القربى قائم إلى يوم القيامة فيهم للغنى و الفقير منهم لانه لأحد أغنى من الله عز وجل ولا من رسول الله ﷺ فجعل لنفسه منها سهماً ، ولرسوله ﷺ سهماً ، فما رضى لنفسه ولرسوله ﷺ رضى لهم ، وكذلك الفىء ما رضى منه لنفسه ولنبيه ﷺ رضى لذى القربى كما أجراهم فى الغنيمة فبدأ بنفسه جل جلاله ثم برسوله ثم بهم وقرن سهمهم بسهم الله وسهم رسوله ﷺ . وكذلك فى الطاعة قال : «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واولى الامر منكم» فبدأ بنفسه ثم برسوله ثم بأهل بيته كذلك آية الولاية : «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا — — الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون» فجعل طاعتهم مع طاعة الرسول مقرنة بطاعته كذلك ولايتهم مع ولاية الرسول مقرنة بطاعته كما جعل سهمهم مع سهم الرسول مقرناً بسهمه فى الغنيمة والفىء فتبارك الله وتعالى ما أعظم نعمته على أهل هذا البيت ؟ فلما جاءت قصة الصدقة نزه نفسه ورسوله ونزه أهل بيته فقال : «إنما الصدقات للفقراء

والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله» .

فهل تجد في شيء من ذلك انه سمي لنفسه أو لرسوله أو لذى القربى لانه لما نزه نفسه عن الصدقة ونزه رسوله ونزه أهل بيته لابل حرم عليهم لان الصدقة محرمة على محمد وآله وهي أوساخ أيدي الناس لا يحل لهم لانهم طهروا من كل دنس ووسخ ، فلما طهرهم الله عز وجل واصطفاهم رضى لهم ما رضى لنفسه، وكره لهم ما كره لنفسه عز وجل فهذه الثامنة .

وأما التاسعة : فنحن أهل الذكر الذين قال الله عز وجل : «فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون» فنحن أهل الذكر فاسئلونا إن كنتم لاتعلمون ، فقالت العلماء : انما عنى الله بذلك اليهود والنصارى ، فقال ابو الحسن عليه السلام : سبحان الله ، فقال المأمون : فهل عندك في ذلك شرح بخلاف ما قالوه يا أبا الحسن ؟ فقال ابو الحسن : نعم ! الذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أهله و ذلك يبين في كتاب الله عز وجل حيث يقول في سورة الطلاق : «فاتقوا الله يا اولى الألباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً لا يتلوا عليكم آيات الله مبينات» فالذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن اهله فهذه التاسعة .

و أما العاشرة : فقول الله عز وجل في آية التحريم : «حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم» الآية فأخبروني هل تصلح إبنتى وإبنة إبنتى ، وما تناسل من صلبى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتزوجها لو كان حياً ؟ قالوا : نعم قال : فأخبروني هل كانت إبنة أحدكم تصلح له أن يتزوجها لو كان حياً ؟ قالوا : نعم قال : ففي هذا بيان لأنى أنا من آلهم ولست من آلهم ، ولو كنتم من آلهم لحرمت عليهم بناتكم كما حرمت عليهم بناتى لأنى من آلهم ، وأنتم من أمته ، فهذا فرق بين آلهم والامة لان الآل منه و الامة إذا لم تكن من الآل ، فليست منه فهذه العاشرة .

و أما الحادية عشرة : فقول الله عز وجل في سورة المؤمن حكاية عن قول رجل مؤمن من آل فرعون : «وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون

رجلاً أن يقول ربي الله وقد جائكم بالبينات من ربكم، إلى تمام الآيات . . .
فكان ابن خال فرعون فنسبه إلى فرعون بنسبه ولم يصفه إليه بدينه ، و
كذلك خصصنا نحن إذ كنا من آل رسول الله ﷺ بولادتنا منه وعممنا بالدين
فهذا فرق بين الآل والامة فهذه الحادية عشرة :

وأما الثانية عشرة : فقوله عز وجل : «وامرأهك بالصلاة واصطبر عليها»
فخصنا الله تبارك وتعالى بهذه الخصوصية إذ امر نافع الامة باقامة الصلاة ثم خصصنا
من دون الامة ، فكان رسول الله ﷺ يجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام بعد
نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات ، فيقول :
الصلاة رحمكم الله وما أكرم الله أحداً من ذراري الانبياء هذه الكرامة التي أكرمنا
بها وخصصنا من دون جميع أهل بيتهم ، فقال المأمون والعلماء : جزاكم الله أهل
بيت نبيكم عن هذه الامة خيراً ، فما نجد الشرح والبيان فيما اشتبه علينا إلا عندكم .



﴿ أهل البيت وطهارة مولدهم ﷺ ﴾

و قد وردت روايات كثيرة باسناد عديدة عن الطريقين في طهارة مولد أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى ما يسعه المقام :

١ - في الكافي باسناده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال : ان الله كان إذ لا كان ، فخلق الكان والمكان ، وخلق نور الانوار الذي نورت منه الانوار و أجرى فيه من نوره الذي نورت منه الانوار ، وهو النور الذي خلق منه محمداً و علياً ، فلم يز الانورين أولين إذ لاشيء كونهما ، فلم يز الايجريان طاهرين مطهرين في الاصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبد الله و أبي طالب عليهما السلام

٢ - في قرب الاسناد : عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله تبارك و تعالی قسم الناس نصفين ، فكننت في النصف الخير ، ثم قسم النصف الخير ثلاثة فكننت في الثلث الخير ، وما عرق في عرق سفاح قط ، و ما عرق في الآعرق نكاح كنيكاح الاسلام حتى آدم عليه السلام .

٣ - في كنز الفوائد للكرامتي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي الجارود قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل : « و تقلبك في الساجدين » قال : يرى تقلبه في أصلاب النبيين من نبي إلى نبي حتى أخرجه من صلب أبيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم عليه السلام

٤ - في العلل باسناده عن معاذ بن جبل ان رسول الله ﷺ قال : ان

الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين من قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام ، قلت : فأين كنتم يا رسول الله ؟ قال : قد آم العرش نسبح الله ونحمده و نقدسه و نمجده ، قلت : على أي مثال ؟ قال : أشباح نور حتى إذا أراد الله عزوجل أن يخلق صورنا صيرنا عمود نور ثم قذفنا في صلب آدم ، ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء و أرحام الامهات ، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر ، يسعد بنا قوم و يشقى بنا آخرون ، فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين ، فجعل نصفه في عبدالله و نصفي في أبي طالب ثم أخرج النصف الذي لي إلى آمنة ، والنصف إلى فاطمة بنت أسد ، فأخرجتني آمنة ، وأخرجت فاطمة علياً ثم أعاد عزوجل العمود إلى فخرجت مني فاطمة ، ثم أعاد عزوجل العمود إلى علي فخرج منه الحسن والحسين - يعني من النصفين جميعاً - فما كان من نور علي فصار في ولد الحسن ، و ما كان من نورى صار في ولد الحسين ، فهو ينتقل في الائمة من ولده إلى يوم القيامة .

٥ - في معاني الاخبار باسناده عن أبي ذر رحمة الله عليه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول : خلقت أنا و علي بن أبي طالب من نور واحد ، نسبح الله يمنا العرش قبل أن خلق آدم بألفى عام ، فلما أن خلق الله آدم ﷺ جعل ذلك النور في صلبه ، و لقد سكن الجنة و نحن في صلبه ، و لقد هم بالخطيئة و نحن في صلبه ، و لقد ركب نوح ﷺ السفينة و نحن في صلبه ، و لقد قذف ابراهيم ﷺ في النار و نحن في صلبه ، فلم يزل ينقلنا الله عزوجل من أصلاب طيبة إلى أرحام طاهرة حتى انتهى بنا إلى عبدالمطلب ، فقسّمنا بنصفين فجعلني في صلب عبدالله ، و جعل علياً في صلب أبي طالب ، و جعل في النبوة و البركة ، و جعل في علي الفصاحة و الفروسية ، و شق لنا إسمين من أسمائه فذو العرش محمود و أنا محمد والله الاعلى وهذا علي .

٥ - في أمالي ابن الشيخ الطوسي قدس سره باسناده عن أنس قال : سمعت

رسول الله ﷺ يقول : كنت أنا و عليّ عن يمين العرش ، نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفى عام ، فلما خلق آدم جعلنا في صلبه ، ثم نقلنا من صلب إلى صلب في أصلاب الطاهرين و أرحام المطهرات حتى انتهينا إلى صلب عبدالمطلب فقسّمنا قسّمين : فجعل في عبدالله نصفاً ، و في أبي طالب نصفاً ، و جعل النبوة و الرسالة فيّ ، و جعل الوصية و القضية في عليّ ، ثم اختار لنا إسمين اشتقهما من أسمائه : فالله المحمود و أنا محمد ، والله العليّ و هذا عليّ ، فأنا للنبوة و الرسالة و عليّ للوصية و القضية .

٧ - في كمال الدين باسناده عن الاصبغ بن نباته قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : والله ما عبد أبي و لا جدّي عبد المطلب و لا هاشم و لا عبد مناف صنماً قط ، قيل : فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يصلّون إلى البيت على دين ابراهيم عليه السلام متمسكين به .

و في العقائد : قال الشيخ أبو جعفر رضوان الله تعالى عليه : اعتقادنا في آباء النبي ﷺ أنهم مسلمون من آدم إلى أبيه عبدالله ، و ان أبا طالب كان مسلماً ، و آمنة بنت وهب بن عبد مناف ام رسول الله ﷺ كانت مسلمة ، و قال النبي ﷺ : خرجت من نكاح و لم اخرج من سفاح من لدن آدم .
و قد روى ان عبد المطلب كان حجة و أبو طالب كان وصيه عليه السلام .

و في البحار : قال العلامة المجلسي رحمه الله تعالى عليه : اتفقت الامامية رضوان الله عليهم على أن والدي الرسول ، و كل أجداده إلى آدم عليه السلام كانوا مسلمين بل كانوا من الصديقين : إما أنبياء مرسلين أو أوصياء معصومين ، و لعل بعضهم لم يظهر الاسلام لتقية أو لمصلحة دينية .

و في المجمع : قال الطبرسي رضوان الله تعالى عليه : قال أصحابنا : ان آزر كان جد ابراهيم عليه السلام لأمه أو كان عمه من حيث صحّ عندهم ان آباء النبي ﷺ إلى آدم كلهم كانوا موحدين ، و أجمعت الطائفة على ذلك ، و روى عن

النبي ﷺ انه قال : لم يزل ينقلني الله من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني في عالمكم هذا ، لم يدنسني بدنس الجاهلية .
و لو كان في آبائه ﷺ كافر لم يصف جميعهم بالطهارة مع قوله سبحانه :
« انما المشركون نجس » و لهم في ذلك أدلة ليس هنا موضع ذكرها . انتهى كلامه .

٨ - في نهج البلاغة قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :
« فاستودعهم في أفضل مستودع ، وأقرهم في خير مستقر ، تناسختهم كرائم الاصلاب إلى مطهرات الارحام ، كلما مضى منهم سلف ، قام منهم بدين الله خلف حتى أفضت كرامة الله سبحانه و تعالى إلى محمد صلى الله عليه ، فأخرجه من أفضل المعادن منبتاً وأعز الآرومات مغرساً من الشجرة التي صدع منها أنبياءه ، وانتجب منها امناءه ، عثرته خير العثر و اسرته خير الاسر ، و شجرته خير الشجر ، بنت في حرم و بسقت في كرم ، لها فروع طوال و ثمر لاينال ، فهو إمام من اتقى و بصيرة من اهتدى » .

قوله عليه السلام : « تناسختهم » : تناقلتهم و التناسخ في الميراث : أن يموت ورثة بعد ورثة . و « سلف » : متقدمون و « خلف » : باقون ، و « أفضت » : انتهت و « الآرومات » : الاصول و « صدع » : شق ، و « انتجب » : اصطفى و « بسقت » : طالت ومعنى « و ثمر لاينال » ليس على ان يريد به ان ثمرها لاينتفع به لان ذلك ليس بمدح ، بل يريد به ان ثمرها لاينال قهراً و لايجنى غصباً ، و يجوز أن يريد بثمرها نفسه ﷺ و من يجري مجراه من أهل البيت عليهم السلام لانهم ثمره تلك الشجرة . فلاينال مساعيهم و مآثرهم و لايباريهم أحد .

و غيرها من الروايات الواردة عن طريقهم ...

و أما ماورد عن طريق العامة في المقام فكثير جداً فنشير إلى نبذة منها :

١ - أخرج شيخ الاسلام الحمويني في الباب الاول من (فرائد السمطين)

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ انه قال : لما خلق الله تعالى آدم أبا البشر و نفخ فيه من روحه إلتفت آدم يمنا العرش فاذا في النور خمسة أشباح سجداً و ركعاً قال آدم : هل خلقت أحداً من طين قبلي ؟! قال : لا يا آدم ، قال : فمن هؤلاء الخمسة الاشباح الذين أراهم في هيئتي وصورتي ؟! قال : هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك ، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنة و النار و لا العرش و لا الكرسي و لا السماء و لا الارض ، و لا الملائكة و لا الانس و لا الجن ، فأنا المحمود و هذا محمد ، و أنا العالی و هذا علي ، و أنا الفاطر و هذه فاطمة ، و أنا الاحسان و هذا الحسن ، و أنا المحسن و هذا الحسين .

آليت بعزتي أن لا يأتيني أحد بمثقال ذرة من خردل من بغض أحدهم الا ادخله نارى ، و لا ابالى يا آدم ﷺ؟ هؤلاء صفوتي بهم انجيهم و بهم أهلكهم ، فاذا كان لك إلى حاجة فبهؤلاء توسل . فقال النبي ﷺ : نحن سفينة النجاة من تعلق بها نجى و من حاد عنها هلك ، فمن كان له إلى الله حاجة فليستل بنا أهل البيت .

٢ - روى السيوطى فى تفسير (الدر المنثور) عن ابن عباس قال : سئلت رسول الله ﷺ فقلت : بابى انت و امى أين كنت و آدم فى الجنة ؟ فتبسم حتى بدت نواجده ثم قال : انى كنت فى صلبه و هبط إلى الارض و أنا فى صلبه و ركبت السفينة فى صلب أبى نوح ، و قذفت فى النار فى صلب أبى ابراهيم ، لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة إلى الارحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تتشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما قد أخذ الله بالنبوة ميثاقى و بالاسلام هدانى ، و بين التوراة و الانجيل ذكسى و بين كل شىء من شرق الارض و غربها ، و علمنى كتابه و رقى بى فى سمائه و شولى من أسمائه - فذو العرش محمود و أنا محمد و وعدنى أن يحبونى بالحوض و أعطانى الكوثر ، و أنا

أول شافع وأول مشفع ، ثم أخرجني في خير قرون امتي ، وامتي الحمدادون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

٣ - وفيه : أخرج ابن مردويه عن أنس قال : قرأ رسول الله ﷺ : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم » فقال علي بن أبي طالب عليه السلام يا رسول الله ﷺ ما معنى أنفسكم ؟ فقال رسول الله ﷺ : أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً ليس في ولا في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح .

٤ - وفيه : أخرج الطبراني عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء ، و ما ولدني إلا نكاح كنيكاح الاسلام .

وفي مسالك الحنفاء للسيوطي قال : المسلك الثاني انهما أي عبدالله و آمنة لم يثبت عنهما شرك ، بل كانا على الحنيفية دين جدهما ابراهيم علي نبينا وعليه الصلاة والسلام كما كان علي ذلك طائفة من العرب كزيد بن عمرو بن نفيل و ورقة بن نوفل وغيرهما ، و هذا المسلك ذهبت إليه طائفة منهم الامام فخر الدين الرازي ، فقال في كتابه (أسرار التنزيل) مانصه : قيل : ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه ، و احتجوا عليه بوجوه :

منها - ان آباء الانبياء ما كانوا كفاراً ، و يدل عليه وجوه : منها - قوله تعالى : « الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين » قيل : معناه انه كان ينقل نوره من ساجد إلى ساجد . و بهذا التقدير الآية دالة على ان جميع آباء محمد عليه السلام كانوا مسلمين ، وحينئذ يجب القطع بان والد ابراهيم ما كان من الكافرين انما ذاك عمه ، أقصى ما في الباب أن يحمل قوله تعالى : « وتقلبك في الساجدين » على وجوه آخر ، و اذا وردت الروايات بالكل ولامنافاة بينهما وجب حمل الآية على الكل و متى صح ذلك ثبت ان والد ابراهيم ما كان من عبدة الاوثان .

ثم قال : و مما يدل على أن آباء محمد عليه السلام ما كانوا مشركين قوله عليه السلام : « لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين » و قال تعالى : « انما المشركون نجس »

فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً .

ثم قال السيوطي : و عندى فى نصره هذا المسلك و ما ذهب إليه الامام
فخرالدين امور : أحدها دليل استنبطه مر كب من مقدمتين :

الاولى : ان الاحاديث الصحيحة دلت على ان كل أصل من اصول النبى
ﷺ من آدم عليه السلام إلى أبيه عبدالله فهو خير أهل قرنه و أفضلهم ، و لا أحد فى
قرنه ذلك خير منه و لا أفضل .

الثانية : ان الأحاديث و الآثار دلت على أنه لم تخل الارض من عهدنوح
عليه السلام أو آدم عليه السلام إلى بعثة النبى ﷺ إلى أن تقوم الساعة من ناس على الفطرة
يعبدون الله و يوحدونه ، و يصلون له و بهم تحفظ الارض و لولاهم لهلكت الارض
و من عليها ، و اذا قرنت بين هاتين المقدمتين انتج منهما قطعاً ان آباء النبى
ﷺ لم يكن فيهم مشرك لانه ثبت فى كل منهم انه خير قرنه ، فان كان الناس
الذين على الفطرة هم آباءهم فهو المدعى ، و إن كان غيرهم ، وهم على الشرك
لزم أحد الامرين : إما أن يكون المشرك خيراً من المسلم وهو باطل بالاجماع ،
و إما أن يكون غيرهم خيراً منهم ، و هو باطل لمخالفة الأحاديث فوجب قطعاً
أن لا يكون فيهم مشرك ليكونوا خير أهل الارض فى كل قرنه .

ثم ذكر السيوطي أدلة لاثبات المقدمة الاولى منها : ما أخرجه البخارى
عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : بعثت من خير قرون بنى آدم قرناً
فقرناً حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه . و ما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة
عن أنس ان النبى ﷺ قال : ما افترق الناس فرقتين الا جعلنى الله فى خيرهما ،
فاخرجت من بين أبوى فلم يصبني شيء من عهد الجاهلية ، و خرجت من نكاح و
لم اخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى و امى فأنا خيركم نفساً
و خيركم أباً .

و ما أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس قال : قال

النبي ﷺ : لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الطيبة إلى الارحام الطاهرة مصفى مهذباً لا تنشعب شعبتان الا كنت في خيرهما . و ما أخرجه الحافظ أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي في فضائل العباس من حديث وائلة بلفظ : « ان الله اصطفى من ولد آدم ابراهيم و اتخذته خليلاً ، و اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل ، ثم اصطفى من ولد اسمعيل نزاراً ثم اصطفى من ولد نزار مضر ، ثم اصطفى من مضر كنانة ثم اصطفى من كنانة قريشاً ، ثم اصطفى من قريش بنى هاشم ثم اصطفى من بنى هاشم بنى عبد المطلب ، ثم اصطفاني من بنى عبد المطلب » .

قال السيوطي : أوردته المحب الطبري في ذخائر العقبي . ثم ذكر تسعة أحاديث اخرى تدل على ذلك .

ثم ذكر أدلة لا يثبت المقدمة الثانية : منها : أحاديث تدل على ان الارض لم تنزل بعد نوح كان على وجهها مسلمون يعملون لله بطاعته و يدفع الله بهم عن أهل الارض ، فعددهم في بعضها سبعة ، وفي اخرى أربعة عشر ، وفي ثالثة اثني عشر . و منها : أحاديث وردت في تفسير قوله تعالى : « كان الناس امة واحدة » فيها انه كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق ، و فيها : ان ما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الاسلام ، و فيها : ان اولاد نوح عليه السلام لم يزالوا على الاسلام و هم ببابل حتى ملكهم نمرود ابن كوس فدعاهم إلى عبادة الادنان ففعلوا .

ثم قال : فعرف من مجموع هذه الآثار ان أجداد النبي ﷺ كانوا مؤمنين بيقين من آدم إلى زمن نمرود ، و في زمنه كان ابراهيم عليه السلام و آزر فان كان آزر والد ابراهيم فيستثنى من سلسلة النسب ، و ان كان عمه فلا استثناء في هذا القول - أعني ان آزر ليس أباً ابراهيم - كما ورد عن جماعة من السلف . ثم ذكر السيوطي آثاراً و أقوالاً تدل على ان آزر كان عم ابراهيم و لم يكن أباه . ثم قال : ثم استمر التوحيد في ولد ابراهيم و اسمعيل . قال الشهرستاني في الملل

والنحل : كان دين ابراهيم قائماً والتوحيد في صدر الاسلام شائعاً ، و أول من غيره واتخذ عبادة الاصنام عمرو بن لحي ، وقال عماد الدين ابن كثير في تاريخه : كانت العرب على دين ابراهيم عليه السلام إلى أن ولّى عمرو بن عامر الخزاعي مكة ، و انتزع ولاية البيت من أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأحدث عمرو المذكور عبادة الاصنام و شرع للعرب الضلالات ، و تبعته العرب على الشرك و فيهم بقايا من دين ابراهيم و كانت مدة ولاية خزاعة على البيت ثلاث مائة سنة ، وكانت ولايتهم مشؤومة إلى أن جاء قصي جد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقاتلهم و انتزع ولاية البيت عنهم إلا ان العرب بعد ذلك لم ترجع عما كان أحدثه عمرو و الخزاعي .

فقال السيوطي : ثبت ان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عهد ابراهيم عليه السلام إلى زمان عمرو المذكور كلهم مؤمنون بيقين ، و نأخذ الكلام على الباقي . ثم ذكر آيات لايات ذلك و عقبها بأحاديث منها : ما ورد في تفسير قوله تعالى : « وجعلها كلمة باقية في عقبه » تدل على أن التوحيد كان باقياً في ذرية ابراهيم عليه السلام ولم يزل ناس من ذريته على الفطرة يعبدون الله تعالى حتى تقوم الساعة . و أحاديث في تفسير قوله : « و اجنبنى و بنى أن نعبد الاصنام » تدل على ان الله استجاب لابراهيم عليه السلام دعوته في ولده ، فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته ، و حديثاً في تفسير قوله تعالى : « رب اجعلنى مقيم الصلاة و من ذريتى » يدل على انه لن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى ، ثم ذكر آثراً تدل على ان عدنان و معد و ربيعة و مضر و خزيمة و إلياس و كعب بن لوى ، وغيرهم كانوا مسلماً ، ثم قال : فحصل مما أوردناه ان آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم من عهد ابراهيم إلى كعب بن لوى كانوا كلهم على دين ابراهيم عليه السلام ، و ولده مرة بن كعب الظاهر انه كذلك لان أباه أوصاه بالايمان ، و بقى بينه و بين عبد المطلب أربعة آباء و هم كلاب و قصي و عبد مناف و هاشم ، و لم أظفر فيهم بنقل لا بهذا ولا بهذا . و أما عبد المطلب ففيه ثلاثة أقوال : أحدها - انه لم تبلغه الدعوة . والثاني :

انه على التوحيد و ملة ابراهيم ، و هو ظاهر عموم قول الامام فخر الدين ، وما تقدم من الاحاديث . . . والثالث : ان الله احياء بعد بعثة النبي ﷺ حتى آمن به و أسلم ثم مات ، حكاه ابن سيد الناس . و هذا أضعف الاقوال ، و وجدت في بعض كتب المسعودي اختلافاً في عبد المطلب ، و انه قد قيل فيه : مات مسلماً لما رأى من الدلائل على نبوة محمد ﷺ و علم انه لا يبعث الاً بالتوحيد . و قال الشهرستاني في الملل والنحل :

ظهر نور النبي ﷺ في أساير عبد المطلب بعض الظهور ، و بركة ذلك النور ألهم النذر في ذبح ولده ، و بركته كان يأمر ولده بتترك الظلم والبغى ، و يحثهم على مكارم الاخلاق ، و ينهاهم عن دنيا الامور ، و بركة ذلك النور كان يقول في وصاياه : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم منه و تصيبه عقوبة إلى أن هلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة ، فقيل بعبد المطلب في ذلك ، ففكر في ذلك فقال : والله ان وراء هذه الدار دار يجزى فيها المحسن باحسانه ، و يعاقب فيها المسيء باساءته ، و بركة ذلك النور قال لابراهيم : ان لهذا البيت رباً يحفظه ، و منه قال : و قد سعد أبا قبيس :

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبيهم و محالهم عدوا محالك
فانصر على آل الصليب و عابديه اليوم آلك

ثم ذكر السيوطي اموراً تدل على ايمان عبد المطلب إلى أن قال : ثم رأيت الامام أبا الحسن المادري أشار إلى نحو ما ذكره الامام فخر الدين الاً انه لم يصرح كتصريحه ، فقال في كتابه (أعلام النبوة) : لما كان انبياء الله صفوة عباده و خيرة خلقه لما كلفهم من القيام بحقه والارشاد لخلقهم استخلصهم من أكرم العناصر ، و اجتباهم بمحكم الادامر فلم يكن لنسبهم من قدح ، ولا لمنصبهم من جرح ليكون القلوب أصغى ، والنفوس لهم أوطأ ، فيكون الناس إلى إجابتهم أسرع ، و لاوامرهم أطوع ، و ان الله استخلص رسوله ﷺ من أطيب المناكب ،

و حماه من دنس الفواحش ، و نقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام منزهة ، و قد قال ابن عباس في تأويل قول الله تعالى : « و تقلبك في الساجدين » أي تقلبك من أصلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلك نبياً ، فكان نور النبوة ظاهراً في آبائه ، و اذا خبرت حال نسبه و عرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس في آبائه مسترذل و لا مغمور مسبل ، بل كلهم سادة قادة ، و شرف النسب و طهارة المولد من شروط النبوة . انتهى كلام الماوردي بحروفه .



﴿ أهل بيت النبوة ﷺ و خزان العلم السماوي ﴾

في نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام :
 « نحن شجرة النبوة ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة و معادن العلم ، و ينابيع الحكم ناصرنا و محبنا يمتظر الرحمة ، و عدونا و مبغضنا ينتظر السطوة » .
 في شرح الحديد : قال : قوله عليه السلام : « نحن شجرة النبوة » كأنه جعل النبوة كثمره أخرجتها شجرة بنى هاشم ، و « محط الرسالة » : منزلها و « مختلف الملائكة » : موضع إختلافها في صعودها و نزولها .

ثم قال : و اعلم أنه إن أراد بقوله : « نحن مختلف الملائكة » جماعة من جملتها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا ريب في صحة القضية و صدقها ، و إن أراد بها نفسه و ابنه فهي أيضاً صحيحة ، ولكن مدلوله مستنبط ، فقد جاء في الاخبار الصحيحة انه قال : « يا جبرئيل انه مني و أنا منه » فقال جبرئيل : و أنا منكما .

فأما قوله : « و معادن العلم و ينابيع الحكم » يعنى الحكمة أو الحكم الشرعى ، فانه و إن عنى بها نفسه و ذريته ، فان الامر فيها ظاهر جداً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « أنا مدينة العلم و على بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب » و قال : « أقضاكم على » و القضاء أمر يستلزم علوماً كثيرة .

و جاء في الخبر انه بعثه إلى اليمن قاضياً ، فقال : يا رسول الله انهم كهول و ذو و أسنان و أنافتي ، و ربما لم أصب فيما أحكم به بينهم ، فقال له : « اذهب فان الله سيثبت قلبك و يهدى لسانك » و جاء في تفسير قوله تعالى : « و تعيها اذن

واعية : « سئلت الله أن يجعلها اذنك ففعل ، و جاء في تفسير قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » انها أنزلت في علي عليه السلام و ما خص به من العلم ، و جاء في تفسير قوله تعالى : « أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه » : ان الشاهد على عليه السلام . و روى المحدثون انه قال لفاطمة عليها السلام : « زوّجتك أقدمهم سلماً و أعظمهم حليماً و أعلمهم علماً » و روى المحدثون أيضاً عنه عليه السلام انه قال : « من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه و موسى في علمه و عيسى في ورعه فليتنظر إلى علي بن أبي طالب » .

ثم قال ابن أبي الحديد : و بالجملة فحاله عليه السلام في العلم حال رفيعة جداً لم يلحقه أحد فيها و لا قاربه و حق له أن يصف نفسه بأنه معادن العلم و ينابيع الحكم ، فلا أحد أحق بها منه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

و في الكافي : باسناده عن أبي حمزة الثمالى قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله تبارك و تعالى يقول : استكمال حجتي على الاشقياء من امتك : من ترك ولاية علي و والى أعداءه و أنكر فضله و فضل الاوصياء من بعده ، فان فضلك فضلهم ، و طاعتك طاعتهم ، و حقك حقهم و معصيتك معصيتهم ، و هم الائمة الهداة من بعدك جرى فيهم روحك و روحك ماجرى فيك من ربك ، و هم عترتك من طينتك و لحمك و دمك ، و قد أجرى الله عز وجل فيهم سنتك و سنة الانبياء قبلك ، و هم خزاني على علمي من بعدك ، حق على لقدامتيتهم و انتجتيتهم و أخلصتهم و ارتضيتهم و نجسى من أحبهم و والاهم و سلم لفضلهم ، و لقد آتاني جبرئيل عليه السلام بأسمائهم و أسماء آبائهم و أحباؤهم و المسلمين لفضلهم . و فيه : باسناده عن هارون بن حمزة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم » قال : هم الائمة خاصة . و فيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عز وجل : « و انه لذكر لك و لقومك و سوف تستلون » فرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذكرو أهل

بيته ﷺ المسئولون و هم أهل الذكر .

و فيه : باسناده عن سدير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ان قوماً يزعمون أنكم آلهة ، يتلون بذلك علينا قرآنا : « و هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله » فقال : يا سدير سمعى و بصرى و بشرى و لحمى و دمى و شعرى من هؤلاء براء و برىء الله منهم ، ما هؤلاء على دين آبائى ، والله لا يجمعنى الله و إياهم يوم القيامة ، إلا و هو ساخط عليهم ، قال : قلت : وعندنا قوم يزعمون انكم رسل يقرؤن علينا بذلك قرآناً : « يا أيها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحاً ائى بما تعملون عليهم »

فقال : يا سدير سمعى و بصرى و شعرى و بشرى و لحمى و دمى من هؤلاء براء و برىء الله منهم و رسوله ، ما هؤلاء على دينى و لاعلى دين آبائى والله لا يجمعنى الله و إياهم يوم القيامة إلا و هو ساخط عليهم ، قال : قلت : فما أنتم ؟ تبارك و تعالى بطاعتنا و نهى عن معصيتنا ، نحن الحجة البالغة على من دون السماء و فوق الارض .

و فى رسالة المحكم و المتشابه للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه باسناده عن اسمعيل بن جابر قال : سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول : ان الله تبارك و تعالى بعث محمداً و ختم الانبياء به ، فلا نبى بعده و أنزل عليه كتاباً فختم به الكتب فلا كتاب بعده أحل فيه حلالاً و حرم فيه حراماً ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة . ، و حرامه حرام إلى يوم القيامة ، فيه شرعكم و خير من قبلكم و بعدكم ، و جعله النبى ﷺ علماً باقياً فى أوصيائه . . . الحديث

و فى تحف العقول : عن الامام السبط الزكى الحسن بن على عليه السلام فى - حديث - قال : و اعلموا علماً يقيناً انكم لن تعرفوا التقى حتى تعرفوا صفة الهدى و لن تمسكوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نبذه و لن تتلوا الكتاب حق

تلاوته حتى تعرفوا الذى حرفه ، فاذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم
 الفرية على الله و التحريف و رأيتم كيف يهوى من يهوى ، و لا يجهلنكم الذين
 لا يعلمون ، و التمسوا ذلك عند أهله ، فانهم خاصة نور يستضاء بهم و أئمة تقندى
 بهم ، بهم عيش العلم و موت الجهل و هم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم و حكم
 منطقتهم عن صمتهم ، و ظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الحق و لا يختلفون فيه ،
 و قد خلت لهم من الله سنة و مضى فيهم من الله حكم ان فى ذلك الذكرى للذاكرين
 و اعقلوه اذا سمعتموه عقل رعاية ، و لاتعقلوه عقل رواية فان رواة الكتاب كثير
 و رعاته قليل والله المستعان .



* وديعة رسول الله وحب أهل بيت النبوة ﷺ *

وقد أورد في المقام حملة آثار العامة و نقله أخبارهم في أسفارهم روايات كثيرة بأسانيد عديدة نشير إلى نبذة منها :

١ - الترمذى فى (صحيحه ج ١٣ ص ٢٠١ ط الصادى بمصر) باسناده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة . وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتى لحتى .

رواه بعينه سنداً ومتمناً جماعة من أعلام العامة :

منهم : الطبرانى فى (المعجم الكبير ص ١٣١)

و منهم : الحاكم النيشابورى فى (المستدرک ج ٣ ص ١٤٩ ط حيدرآباد الدكن)

و منهم : الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٥٩ ط القاهرة)

و منهم : با كثير الحضرمى فى (وسيلة المآل ص ٦١)

و منهم : الفقيه ابن المغازلى الشافعى فى (المناقب ص ٤)

و منهم : ابن الأثير فى (جامع الاصول ج ١ ص ١٠٠ ط السنة المحمدية بمصر)

و منهم : ابن الاثير أيضاً فى (اسد الغابة ج ٢ ص ١٢ ط مصر)

و منهم : محب الدين الطبرى فى (ذخائر العقبى ص ١٨ ط المقدسى بمصر)

و منهم : الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤٣ ط القاهرة)

و منهم : الذهبى أيضاً فى (تلخيص المستدرک ج ٣ ص ١٤٩ ط حيدرآباد)

و منهم : الزرندى الحنفى فى (نظم درر السمطين ص ٢٣١ ط القضاء بمصر)

- و منهم: الخطيب العمري في (مشكاة المصابيح ص ٥٧٣ ط الدهلي)
 و منهم: السيوطي في (احياء الميت) المطبوع بهامش الاتحاف ص ١١١
 ط مصطفى الحلبي بمصر)
 و منهم: السيوطي ايضاً في (الاكليل ص ١٩٠ ط مصر)
 و منهم: ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ١٨٥ و ٢٢٨ ط
 عبداللطيف بمصر)

و غيرهم من اعلامهم تركناهم للاختصار.

٢ - الديلمي في (الفردوس) باسناده عن العباس عم النبي ﷺ قال:
 قال رسول الله ﷺ: ما بال أقوام يتحدّثون بينهم، فاذا رأوا الرجل من أهل
 بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يدخل قلب الرجل الايمان حتى يحبهم الله و لقرابتهم مني.
 رواه بعينه سنداً و متناً جماعة منهم:

- ١ - ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ١٨٥ ط مصر)
 ٢ - المتقي الهندي في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند
 ج ٥ ص ٩٣ ط الميمنية بمصر)

٣ - الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في (بنايع المودة ص ٢٣١ ط اسلامبول)
 ٤ - البدخشي في (مفتاح النجا ص ١٠)

٥ - القلندر الهندي في (الروض الازهر ص ٣٥٧ ط حيدرآباد)

٦ - النبهاني في (الفتح الكبير ج ٣ ص ٨٥ ط مصر)

٧ - الصبان المصري في (أسعاف الراغبين) المطبوع بهامش (نور الابصار

ص ١٢٣ ط مصر)

٨ - أبو بكر الحضرمي في (رشفة الصادي ص ٤٦ ط القاهرة)

٩ - النبهاني في (الشرف المؤبد ص ٧٤ ط مصر)

و من كلام بعض أعظم العامة ما نقله أبو بكر الحضرمي في (رشفة الصادي

ص ٦٣ ط القاهرة) ما لفظه : وقال سيدى الشيخ الكبير عبد الوهاب الشعراوى فى (اليواتيت والجواهر فى بيان عقائد الأكارب) : و يجب اعتقاد وجوب محبة ذرية نبيينا محمد ﷺ و إكرامهم واحترامهم ، و هم الحسن والحسين ابنا فاطمة رضى الله عنهم و أولادهما إلى يوم القيامة ، و ان نكره كل من آذى شريفاً و هجره و لو كان من أعز أصحابنا لقوله تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة فى القربى » .

و قال سيدى الشيخ الكبير احمد الرفاعى : نوروا قلوبكم بمحبة آلہ الكرام عليه أفضل الصلاة والسلام ، فهم أنوار الوجود اللامعة ، و شمس السعود الطالعة من أراد الله به خيراً ألزمه وصية نبيه فى آلہ فاحبهم و اعتنى بشأنهم و عظمهم و حماهم و صان حماهم ، و كان لهم مراعيأ ، و لحقوق رسوله فيهم راعياً المرء مع من أحب و من أحب الله أحب رسول الله ، و من أحب رسول الله أحب آل رسول الله ﷺ و من أحبهم كان معهم ، و هم مع ايهم عليه أفضل الصلاة والسلام قدموهم عليكم و لانقدموهم و اعينوهم و اكرمهم بعد خير ذلك عليكم .

و قال سيدى الشيخ الاكبر محيى الدين بن العربى فى (الباب الثانى بعد الخمسة من الفتوحات المكية) : اعلم أن من الخيانة لرسول الله ﷺ أن تظونه فيما سئلك فيه من المودة لقربته و أهل بيته ، فان من كره أحداً من أهل بيته فقد كره رسول الله ﷺ لانه ﷺ واحد من أهل البيت و حب أهل البيت لا يتبعض فانه ما تعلق إلاّ بمطلق الاهل لا بواحد بعينه ، فاجعله ببالك و اعرف قدر أهل البيت ، فمن خان أهل البيت فقد خان رسول الله ﷺ فى سننه و من خان ما سنه رسول الله ﷺ فقد خانته ﷺ - إلى أن قال - : فان النبي ﷺ ما طلب منا عن أمر الله إلاّ المودة فى القربى ، و فيه سرّ صلة الارحام ، و من لم يقبل سؤال نبيه فيما سئله فيه مما هو قادر عليه بأى وجه يلقاه غداً أو يرجو شفاعته ، وهو ما أسعف نبيه ﷺ فيما طلب منه من المودة فى قربته ، فكيف

بأهل بيته فهم أخص القرابة .

ثم ذكر الحضرمي في (ص ٥٩) ما لفظه : قال سيدي العارف بالله شيخ بن عبدالله العيدروس نفع الله به في كتابه (العقد النبوي) بعد كلام يتعلق بالذرية العلية قال : و اعلم ان حبهم يبلغ صاحبه عند الله الدرجة العالية ، والقرب من رسول الله ﷺ و حب رسول الله ﷺ دليل على محبة الله و طاعته كما قال : « و من يطع الرسول فقد أطاع الله » و قال تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » و كلما ازددت قريباً و نفعاً من النبي ﷺ ازددت قريباً بقدره من الله ، و تتخذ بذلك الحب يداً عند الله و رسوله على قدره لانك تتحقق انك كلما ازددت محبة و قرباً و مودة و حرمة و قدراً و اعظماً ازددت عند محبوبك بقدر ما احببتهم و عظمتهم ، و كل ما نقصت عن ذلك فيهم انتقصت عنده بقدر ذلك النقصان .

وقال الحداد الحضرمي في (القول الفصل ج ٢ ص ٣٨ ط جاوا) ما لفظه : في ذيل حديث في فضل أهل البيت (و أخرجه احمد في مسنده بسند رجاله ثقة : فمحبة رسول الله ﷺ و محبة أهل بيته متلازمة ، و من أحبهم أحب ذريتهم و ذوى قرباهم لا محالة لان من أحبهم انما أحبهم بحبه لسلفهم ، و من أبغضهم فانما أبغضهم لبغضه لسلفهم .

و قال النبهاني البيروتي في (الشرف المؤبد ص ٩٤ ط مصر) ما لفظه : وعن الشيخ زيد الدين عبدالرحمن الحلال البغدادي ان بعض امراء تيمورلنك أخبره انه لما مرض مرض الموت اضطرب ذات يوم اضطراباً شديداً و اسود وجهه ، و تغير لونه ثم أفاق ، فذكروا له ذلك فقال : ان ملائكة العذاب أتوه فجاء رسول الله ﷺ فقال لهم : اذهبوا عنه ، فانه كان يحب ذريتي و يحسن اليهم فذهبوا - إلى أن قال - و عن شمس الدين محمد بن حسن الخالدي قال : رأى بعض أصحاب النبي ﷺ في المنام و رأى عنده تيمورلنك فقال له : وصلت إلى

هناجا عدوا لله؟ فقال له النبي ﷺ: إليك يا محمد فإنه كان يحب ذريتي .
و ذكر حسن النجار المصري في (الاشراف ص ٢٤ ط مصر) ما أنشأه
أبو الحسن ابن جبير:

أحب النبي المصطفى و ابن عمه علياً و سبطيه و فاطمة الزهراء
هم أهل بيت أذهب الرجس عنهم و اطلعهم افق الهدى انجمازها
موالاتهم فرض على كل مسلم و حبهم سنا الذخائر للآخري
و ذكر ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة ص ١١ ط الغري) عن
بعض شعراء العامة :

هم القوم من اصفاهم الود مخلصاً يمسك في اخراه بالسبب الاقوى
هم القوم فاقوا العالمين مناقبها محاسنها تجلسي و آياتها تروى
موالاتهم فرض و حبهم هدى و طاعتهم ودّ و ودّهم التقوى
و ذكر الحضرمي في (رشفة الصادي ص ٢٤) ما قال الشافعي :

و لما رأيت الناس قد ذهبت بهم مذاهبهم في أبحر الغي و الجهل
ركبت على اسم الله في سفن النجا وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسل
و أمسكت حبل الله و هو ولائهم كما قد أمرنا بالتمسك بالحبل

٣ - أخرج الطبراني في (الاوسط) من طريق أبي ليلى عن الامام السبط
الشهيد الحسين عليه السلام عن جده رسول الله ﷺ انه قال : أئزموا مودتنا أهل البيت
فانه من لقي الله عز وجل و هو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، و الذي نفسى بيده
لا ينفع عبداً عمله الا بمعرفة حقنا .

رواه جماعة منهم :

١ - الهيثمي في (المجمع ج ٩ ص ١٩٢)

٢ - ابن حجر الهيثمي في (الصواعق المحرقة)

٣ - النبهاني في (الشرف المؤبد ص ٩٦)

٤ - الحضرمي في (رشفة الصادي ص ٤٣)

٥ - أخرج الحاكم في (المستدرک ج ٣ ص ١٤٩) عن ابن عباس في حديث

عن النبي ﷺ : لو أن رجلاً صَفَنَ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ فَصَلَّى وَصَامَ ثُمَّ لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ مَبْغُضٌ لِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ﷺ دَخَلَ النَّارَ .

٦ - روى القندوزي الحنفى في (ينابيع المودة ص ٢٤٦ ط اسلامبول)

بالاسناد عن ام سلمة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من قوم اجتمعوا يذكرون فضائل محمد وآل محمد الا هبطت ملائكة من السماء حتى لحقت بهم تحددتهم ، فاذا تفرقوا عرجت الملائكة ، و قالت الملائكة الاخر لهم : افا نشم رائحة منكم ما شممننا رائحة اطيب منها ، فيقولون : اهبطوا بنا اليهم فيقولون : انهم قد تفرقوا ، فيقولون : اهبطوا بنا إلى مكان الذى كانوا فيه .

رواه أبو الفوارس في (الاربعين ص ٤٨) و زاد بعد « كانوا فيه »

« لتبرك به » .

و غيرها من الروايات الواردة عن طريق العامة لا يسعها المقام . و نختم

البحث بذكر نبذة ما ورد عن طريق الشيعة الامامية الاثنى عشرية :

١ - في الكافي باسناده عن مدرك بن عبدالرحمن عن أبي عبدالله عليه السلام قال :

قال رسول الله ﷺ : الاسلام عريان ، فلباسه الحياء و زينته الوقار (الوفاء خ) و مروته العمل الصالح و عماده الورع ، و لكل شيء و أساس الاسلام حينما أهل البيت .

٢ - و فيه باسناده عن عبدالعظيم بن عبدالله الحسنى عن أبي جعفر الثانى

عليه السلام عن أبيه عن جدّه صلوات الله عليهم قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : ان الله خلق الاسلام فجعل له عرصة ، و جعل له نوراً ، و جعل له حصناً ، و جعل له ناصراً فأما عرصته فالقرآن ، و أما نوره فالحكمة ، و أما حصنه فالمعروف ، و أما أنصاره فأنا و أهل بيتى و شيعتنا ، فأحبوا أهل بيتى و

شيعتهم و أنصارهم ، فانه لما اسرى بي إلى السماء الدنيا ، فنسبني جبرئيل عليه السلام لأهل السماء استودع الله حبي و حب أهل بيتي و شيعتهم في قلوب الملائكة ، فهو عندهم وديعة إلى يوم القيامة .

ثم هبط بي إلى أهل الارض فنسبني إلى أهل الارض ، فاستودع الله عز وجل حبي و حب أهل بيتي و شيعتهم في قلوب مؤمني امتي ، فمؤمنوا امتي يحفظون وديعتي في أهل بيتي إلى يوم القيامة ، ألا فلو ان الرجل من امتي عبد الله عز وجل عمره أيام الدنيا ثم لقي الله عز وجل مبغضاً لأهل بيتي و شيعته (شيعتي خ) ما فرح الله صدره إلا عن النفاق .

٣ - في العلل باسناده عن ابن عباس انه قال : معاشر الناس اعلموا ان الله تبارك و تعالی خلق خلقاً ليس هم من ذرية آدم ، يلعنون مبغضى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقيل له : و من هذا الخلق ؟ قال : القنابر ، تقول في السحر : اللهم العن مبغضى على عليه السلام اللهم أبغض من أبغضه و أحب من أحبه .

٤ - في قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن على عن أبيه عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ليس منا من لم يوقر كبيرنا و يرحم صغيرنا و يعرف فضلنا أهل البيت .

٥ - في مجالس المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن أبي عبد الرحمان عن جعفر بن محمد عليه السلام قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر إذ نزل فسجد خمس سجديات فلما ركب قال له بعض أصحابه : رايناك يا رسول الله صنعت ما لم تكن تصنعه ؟ قال : نعم أتاني جبرئيل عليه السلام فبشّرني ان علياً في الجنة فسجدت شكر الله فلما رفعت رأسي قال : و فاطمة في الجنة فسجدت شكر الله تعالى ، فلما رفعت رأسي قال : و الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة فسجدت شكر الله تعالى ، فلما رفعت رأسي قال : و من يحبّهم في الجنة فسجدت شكر الله تعالى ، فلما رفعت رأسي قال : و من يحبّ من يحبّهم في الجنة فسجدت

شكراً لله تعالى .

أقول: الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله، اللهم أحيني
و ذريتي حياة أهل بيت النبوة و أمتنا معاتهم بحققهم صلواتك عليهم أجمعين إلى
لقاء يوم الدين آمين رب العالمين .



﴿ بحث روائي في خاتمية نبينا محمد ﷺ ﴾

قال الله عز وجل : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله و خاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً » الاحزاب : ٤٠

في الكافي : باسناده عن أيوب بن الحر قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : ان الله عز ذكره ختم بنبيكم النبيين فلا نبي بعده أبداً ، و ختم بكتابتكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً ، وأنزل فيه تبيان كل شيء وخلقكم وخلق السموات والارض ونبأ ما قبلكم وفصل ما بينكم و خبر ما بعدكم ، وأمر الجنة والنار ، وما أنتم صائرون إليه .

و فيه : باسناده عن علي السائي عن أبي الحسن الاول موسى عليه السلام قال : قال : مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماض و غابر وحادث ، فاما الماضي فمفسر ، وأما الغابر فمزبور ، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الاسماع و هو أفضل علمنا ولا نبي بعد نبينا .

قوله عليه السلام « غابر » : آت ، و « مزبور » : فمكتوب ، و « نقر في الاسماع » يعني من طريق الالهام ، وتحديث الملك ولما كان هذا القول منه عليه السلام يوهم ادعاء النبوة رد ذلك بقوله عليه السلام : لا نبي بعد نبينا .

و فيه : باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : الائمة بمنزلة رسول الله ﷺ الا أنهم ليسوا بانبياء ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي ﷺ فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله ﷺ .

و فيه : باسناده عن المفضل بن عمر قال : قلت لابي الحسن عليه السلام : روينا عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : ان علمنا غابر و مزبور و نكتت في القلوب و نقر في الاسماع ، فقال : أما الغابر فما تقدم من علمنا ، وأما المزبور فما يأتينا ، و أما النكتت في القلوب فالهام و أما النقر في الاسماع فأمر الملك .

وفيه : باسناده عن بريد عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام في قوله عز و جل : « وما أرسلنا من قبلك من رسول و لا نبي (و لا محدث) » قلت : جعلت فداك ليست هذه قرائتنا للرسول و النبي و المحدث ؟ قال : الرسول الذي يظهر له الملك فيكلمه و النبي هو الذي يرى في منامه ، و ربما اجتمعت النبوة و الرسالة ، و المحدث الذي يسمع الصوت و لا يرى الصورة ، قال : قلت : أصلحك الله كيف يعلم ان الذي راى في النوم حق ، و انه من الملك ؟ قال : يوفق لذلك حتى يعرفه ، لقد ختم الله بكتابكم الكتب و ختم بنبيكم الانبياء .

و في الدر المنثور : عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : مثلى و مثل الانبياء كمثل رجل ابتنى داراً فأكملها و أحسنها إلا موضع لبنة ، فكان من دخلها فنظر إليها قال : ما أحسنها إلا موضع اللبنة ، فأنا موضع اللبنة فختم بي الانبياء . وفيه : أخرج مسلم و الترمذي و ابن المنذر و البيهقي في الدلائل و ابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : فضلت على الانبياء بست : اعطيت جوامع الكلم ، و نصرت بالرعب ، و احلت لي الغنائم ، و جعلت لي الارض طهوراً و مسجداً ، و ارسلت إلى الخلق كافة ، و ختم بي النبيون .

و في الصحيفة السجادية : قال الامام سيد الساجدين علي بن الحسين عليهما السلام : « و الحمد لله الذي من علينا بمحمد نبيه صلى الله عليه و آله و سلم دون الامم الماضية و القرون السالفة بقدرته التي لا تعجز عن شيء و إن عظم ، و لا يفوتها شيء و إن لطف فختم بنا على جميع من ذرأ و جعلنا شهداء على من جحد ، و كثرنا بمنته على من قل . »

و في الكافي : باسناده عن صالح بن سهيل عن أبي عبدالله عليه السلام : ان بعض قريش

قال لرسول الله ﷺ: بأى شيء سبقت الانبياء وأنت بعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: انى كنت أول من آمن بربى وأول من أجاب حيث أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألت بربكم ، فكنت أنا أول نبي قال : بلسى ، فسبقتهم بالاقرار بالله عز وجل .

قوله : « بأى شيء سبقت الانبياء » أى فضلا ورتبة .

وفيه: باسناده عن أبان بن عثمان عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى أعطى محمداً ﷺ شرائع نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليه السلام : التوحيد والاخلاص وخلع الانداد والقطرة الحنيفية السمحة ، ولارهبانية ولاسياحة ، أحل فيها الطيبات وحرّم فيها الخبائث ووضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم ، ثم افترض عليه فيها الصلاة والزكاة والصيام والحج والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والحلال والحرام والمواريث والحدود والفرائض والجهاد فى سبيل الله ، وزاده الوضوء وفضله بفاتحة الكتاب ، وبخواتيم سورة البقرة والمفصل ، وأحل له المغنم والفيء ونصره بالرعب ، وجعل له الارض مسجداً وطهوراً ، وأرسله إلى كافة الابيض والاسود والجن والانس ، وأعطاه الجزية وأسر المشركين وفداهم ، ثم كلّف مالم يكلف أحد من الانبياء وانزل عليه سيف من السماء فى غير عمد و قيل له : « قاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك » .

قوله عليه السلام : « والمفصل » قيل : أى من سورة محمد ﷺ إلى آخر القرآن .

ومن المحتمل أن يكون المراد منه السور الطويلة .

وفيه: باسناده عن سماعة ابن مهران قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : قول الله عز وجل : « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل » فقال : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم ، قلت : كيف صاروا اولى العزم ؟ قال : لان نوحاً بعث بكتاب وشريعة وكل من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه ، حتى جاء ابراهيم عليه السلام بالصحف ، وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفرأ به ، فكل نبي

بعد ابراهيم عليه السلام أخذ بشريعة ابراهيم ومنها جه ، و بالصحف حتى جاء موسى بالتوراة وشريعته ومنها جه ، و بعزيمة ترك الصحف و كل نبي جاء بعد موسى عليه السلام أخذ بالتوراة وشريعته ومنها جه حتى جاء المسيح عليه السلام بالانجيل ، و بعزيمة ترك شريعة موسى ومنها جه ، فكل نبي جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنها جه ، حتى جاء محمد صلى الله عليه وسلم فجاء بالقرآن و بشريعته ومنها جه ، فحلاله حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة ، فهؤلاء اولوا العزم من الرسل عليهم السلام .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثلى في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وترك فيها موضع لبننة لم يضعها ، فجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع هذه اللبنة ؟ فأنا في النبيين موضع هذه اللبنة .
وفي رواية : عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرسالة والنبوّة قد انقطعت فلا رسول بعدى ولا نبي بعدى » .

وفي رواية : عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب الذى ليس بعده نبي .

وفي أمالى المفيد رحمه الله تعالى باسناده عن أبى بصير عن أبى جعفر الباقر عليه السلام قال : لما حضر النبي صلى الله عليه وسلم الوفاة نزل جبرئيل ، فقال له جبرئيل : يا رسول الله هل لك فى الرجوع ؟ قال : لا قد بلغت رسالات ربى ، ثم قال له : أتريد الرجوع إلى الدنيا ؟ قال : لا بل الرفيق الاعلى ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين وهم مجتمعون حوله : أيها الناس ؟ لانبي بعدى ولا سنة بعد سنتى ، فمن ادعى ذلك فدعواه وبدعته فى النار ، ومن ادعى ذلك فاقتلوه ومن اتبعه فانهم فى النار ، أيها الناس ، احيوا القصاص و احيوا الحق ، ولا تفرقوا وأسلموا تسلموا « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز »

و فى المجمع : فى قوله تعالى : « و خاتم النبيين » قال : أى و آخر النبيين

ختمت النبوة به ، فشريعته باقية إلى يوم الدين ، و هذا فضيلة له ﷺ اختص بها من بين سائر المرسلين . فان قيل : ان اليهود يدعون في موسى مثل ذلك؟ فالجواب : ان بعض اليهود يدعون ان شريعته لا تنسخ و هم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء ونحن اذا أثبتنا نبوة نبينا ﷺ بالمعجزات القاهرة و جب نسخ شريعته بذلك إنتهى كلامه .

و ان رسالة محمد ﷺ جعلت خاتمة لجميع الرسالات ، و كاملة لجميع النبوات المتقدمة ، و ان الآية الكريمة : « ولكن رسول الله و خاتم النبيين » ختمت عهد النبوة ، و حكمت بان لا نبي بعد محمد ﷺ مع انه قد مضى على الخليفة قبل محمد ﷺ آلاف كثيرة من السنين ، و الانبياء يتعاقبون فيها نبياً بعد نبي ، و قد كانت في الكتب السماوية النازلة على المرسلين بشارة بانه سيأتي انبياء من بعدهم ، و كل هذا كان يدعو محمداً ﷺ أن يحجم عن قطع عهد النبوة لو كان القرآن من عند نفسه لانه يخالف سنة الخليفة ، و ما جرى عليه الانبياء . . . فلو كان القرآن من عند نفسه لأتى ببشارة من البشارات كما فعل الانبياء من قبله ترويحاً لأمره بين الناس لا سيما و ان للناس شغفاً بالبشارات و التنبؤات ، و ميلاً إلى تصديق من يذهب هذا المذهب .

و قد مضى على هذه الآية الكريمة أربعة عشر قرناً ، و هذه المدة الطويلة تكفى لظهور كثير من الانبياء بعد محمد ﷺ يتوالى ظهورهم و يعاصر الكثير منهم البعض فما بالهم انقطعوا في هذه المدة الطويلة ، و اذا كانت هناك طوائف من اتباع الاديان الاخرى لا تعترف بان محمداً ﷺ هو النبي السدى بشره الانبياء السابقون ، و لا تزال تنتظر نبيا ، فان فيما مضى من هذه المدة الطويلة ما يكفى لقطع أملها في ذلك و يدعوها إلى الصواب لتؤمن برسالة محمد ﷺ ، و لا شك ان مثل هذا الحكم لا يمكن أن يحكم به بشر ، و انما هو حكم الله جل و علا و معجزة من معجزات القرآن الكريم التي تدل على انه وحي الهى نزل

على محمد ﷺ ، وأكمل به النبوات وختم به الرسالات السابقة وقال : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » على ان كمال النبوات السابقة بنبوة خاتم الانبياء محمد المصطفى ﷺ وكمال هذا الدين الاسلامي بالولاية العلوية على هذه الامة المسلمة ، فكما ان النبوات الماضية لم تكتمل الا بهذه النبوة فكذلك هذه الرسالة المحمدية ﷺ لم تكتمل الا بهذه الولاية اذ قال الله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته » المائدة : ٦٧

وقد تواترت الاخبار واستفاضت الآثار عن الطريقين : ان المراد بتبليغ ما انزل : هو ابلاغ خلافة الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وولايته على هذه الامة الاسلامية بعد النبي ﷺ .

وفي المقام لبعض المفسرين كلام لا يخلو عن فائدة :

« إن قلت : لماذا لم يرسل الله تعالى رسولاً واحداً ، و لم يجعل الدين واحداً ولم ينزل كتاباً واحداً كاملاً حتى لا تتعدد الرسل ، ولا الشرائع ولا الكتب الموجبة لاختلاف الناس ؟

قلت : لا بد لنا من ذكر مثل فيظهر الجواب في خلاله و ذلك : اننا كثيراً ما نرى جو السماء صافياً والهواء راكداً ساكناً ، فيفاجئنا هبوب ريح شديدة تثير السحاب فتبسط في السماء ، ثم تحيطنا بالامطار حتى نظن اننا في وسط البحار ، و اذا امعنا النظر في هذه الحادثة الجوية و تدبرنا فيها نجدها على مقتضى القواعد الفنية للتكامل ، حيث ان حرارة الشمس قد مسّت و تدخلت برطوبة الارض بأمر الله تعالى و جعلت تلك الرطوبات بخاراً ثم تصاعدت تلك الابخرة إلى جو السماء ، فتكاثفت و صارت سحباً بأمر الله جل و علا ثم تحلّت فصارت ماءً و امطرت على ما يقال . و أيضاً كان بعض ذلك السحاب كهربائية سالبة ، و بعضها الاخرى كهربائية موجبة كما هو الحال في سائر الاجسام ، و يحصل في الجومن اصطلاك تلك السحب

بعضها ببعض واحتكاكها صوت يقال له : الرعد ، و لا ريب ان الحكمة فى هذه التحولات و تلك التراكبات الجوية هى حصول المطر لتزدان الارض و تنشط الحيوانات و تروى النباتات ، و بالجمله لتحى الارض بعد موتها ، مع كون المر كبات خاضعة لنا موس الطبيعة ، و مسخرة لها فى تكونها و نشؤها و نموها ، و فى تكاملها و بقائها و فناؤها ، و ليس هذا التكامل آنياً و لا يحصل الكمال فجأة ، و انما معنى التكامل هو حصول الكمال على سبيل التدرىج ، فالكمال تابع لنا موس التكامل المسنون فى هذا العالم ، سواء كان هذا الكمال للانسان أم للحيوان ، للنبات أو للجماد ، و كان فى الاجرام الارضية أم فى الاجرام السماوية . . . و هذا قانون التكامل يجرى فى أصل التكون و النمو ، و فى البقاء و الفناء : « الله الذى خلق السموات و الارض و ما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش - الذى أحسن كل شىء خلقه و بدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الابصار و الافئدة » (السجدة : ٤ - ٩)

كل ذلك تدريجى ، و ليس بصدفة ، و اذا ثبت جريان هذا القانون فى خلق هذا العالم و ما فيه من الامور المادية ، فليست الامور المعنوية بخارجة عن هذا القانون .

فكما ان الانسان يحتاج فى نمو جسمه إلى قانون التكامل ، فلم يولد بسن الاربعين سنة كذلك يحتاج فى ارتقاء روحه إلى هذا القانون سواء بسواء ، فلا يولد و معه عقل ابن الاربعين سنة ، و على هذا القانون نزل قانون إلهى على الانبياء فكملة شريعة نبي السابق بشريعة نبي اللاحق ، و الثانى بالثالث و هكذا إلى أن انتهت إلى شريعة موسى عليه السلام فاكتملت بشريعة عيسى عليه السلام ثم كمل جميع شرائع الانبياء بشريعة خاتمهم محمد المصطفى صلى الله عليه و آله و سلم و كملت الشريعة المحمدية بأمر الخلافة بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم فى حجة الوداع فى آخر حياته . . .

وهذه الشريعة الكاملة باقية إلى يوم القيامة لكفالتها صيانة ما يحتاج إليه البشر إلى يوم القيامة ، فمهما تكثرت حاجات الانسان ، وازدادت لوازم المجتمع البشرى فالاسلام يجيبه ، من غير حاجة إلى شريعة اخرى ولا قانون آخر ، حيث ان حاجات الانسان ولوازم المجتمع المدنية مهما كثرت لا تخرج عن دائرة المعارف الاسلامية المستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية الواردة عن طريق أهل بيت الرسالة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

فالاسلام كافل لكل حاجات البشر في كل وقت ومكان ، وان العقل البشرى مهما ارتقى وتكامل لا يستطيع الخروج عن حدود المعارف الاسلامية ، والاحكام السماوية النازلة على خاتم الانبياء عليه السلام بصورتي الكتاب والسنة ، فاصبح من الضروريات اللازمة التي لا محيص للعقل السليم عنها أن يتبع الانسان في كل وقت ومكان الشريعة المحمدية الغراء والسمة السهلة ، فالقرآن الكريم قانون إلهي ونظام سماوي ومحكم أزلي لن ينسخ أبداً ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وفي اتباع القرآن والعمل عزة وسعادة ونجاة وفوز وفلاح ، وفي مخالفته ذلة وهوان ومسكنة وخسران مبين ، فهو خاتم الكتب السماوية ، ومن جاء به فهو خاتم الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ، ومن ادعى بعد القرآن الكريم بكتاب ، وبعد نبوة محمد عليه السلام بنبوة فهو من مردة شياطين الجن والانس . . .

كما أن المجالس والبرلمانات لوضع القوانين طاغوتية مردودة ولو كانت باسم الاسلام ومن أي زى كان أهلها ، فان القرآن الكريم منها ومن أهلها الوضيع برىء .

* كلام في خاتمية نبينا محمد ﷺ *

قال الله تعالى : « ولكن رسول الله وخاتم النبيين » الخاتم - بفتح التاء - : ما يختم به كالطابع بمعنى ما يطبع به ، والمراد من كونه ﷺ خاتم النبيين النبوة اختتمت به ﷺ فلانبي بعده .

و ان الآية الكريمة كما تصرح بانه ﷺ خاتم النبيين تنطوي ان النبي الكريم ﷺ يكون خاتم المرسلين و ذلك لان كل رسول نبي ، و ليس كل نبي رسولا ، فمادام انه ﷺ خاتم الانبياء فهو خاتم الرسل ، وان الرسول هو الذي يحمل رسالة من الله تعالى إلى الناس ، و النبي هو الذي يحمل نبأ الغيب الذي هو الدين و حقائقه و معارفه و أحكامه . . . و لازم ذلك أن ترتفع الرسالة بارتفاع النبوة ، فان النبوة من أنباء الغيب ، فاذا انقطعت هذه الأنباء انقطعت الرسالة . و من هنا يظهر ان كونه ﷺ خاتم النبيين يستلزم أن يكون خاتم المرسلين .

و ان ما جاء به محمد ﷺ من القرآن الكريم هو خاتم الكتب السماوية لانه يحتوى من الاسس والمبادئ والتشريعات و التلقينات و النظم و المعالجات في صدد العقائد والمعاملات والحياة الدنيوية والخرية ما يكفل جميع الاشكالات و التمشى مع كل طور و زمن و مكان و صلاح البشرية فرادى و جماعة وسعادتها على أتم وجه وأكمله وأفضله ، وجاءت السنن النبوية المحمدية متممة موضحة مفسرة مكملة ، فلم يعد هناك حاجة إلى نبي ورسول من بعده ، وذلك هو مصداق

قول الله عز وجل : « ولكن رسول الله و خاتم النبيين » و هو المهيمن برسالته على رسالات الرسل ونبوات الانبياء كلهم ، فلا رسول ولا نبي بعده إلى يوم الدين . و لقد ختمت به ﷺ رسالات السماء و اضيفت شعاعاتها كلها إلى شمس شريعته ، فأصبحت تلك الشعاعات مضموناً من مضامينها و قبساً من قبساتها ، فلا هدى بعد هذا إلا من هداها ، و لا نوراً إلا من نورها « ان الدين عند الله الاسلام - و من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » آل عمران : ١٩ - ٨٥) .

و قال : « ان هو الاذير لكم بين يدي عذاب شديد » سباء : ٤٦) و فى الآية دلالة على خاتمية محمد ﷺ فى الرسالة حيث جعل الله تعالى إنذاره بين يدي العذاب لان محمد ﷺ بعث قرب الساعة كما ورد فى الخبر : « بعثت أنا و الساعة إن كادت لتسبقني » .

و من دلائل خاتمية نبينا محمد ﷺ بقاء معجزته من كتابه ، و لم يعهد لأحد من الرسل ذلك ، و هذا أحد أسرار خاتمته . و قد جاء النبى الكريم ﷺ بشىء ينطبق على مصالح الناس و حاجاتهم أيما كانوا و أى زمان وجدوا مما لم يتفق فى شرع قبله قط ، و لهذا ختمت النبوات بنبوته ، و الكتب بكتابه ﷺ و لذلك عمت رسالته و شملت نبوته لكافة الناس و بقيت شريعته لجميع الازمان إلى يوم القيامة .

فجعل الله تعالى هذا النبى الامى ﷺ أفضل النبيين و أكمل المرسلين و خاتمهم ، و جعل شريعته أكمل الشرايع نظاماً و أرفعها مقاماً و أجمعها لمصالح الدارين و أقربها لتحصيل السعادتين ، فلا جرم جعله خاتم الانبياء و آخر السفراء و جعل شريعته و كتابه خاتمة الشرائع و خاتم الكتب السماوية ، و أصفى المشارع اذ لا شريعة أكمل منها فى مجال العقل ، و منفسح الفكر و حصافة الفحص و مصارعة الآراء ، و ما جاء به من الاحكام و الفرائض فى غاية السهولة لا حرج و لا كلفة فيها .

وانما الدين الاسلامى هو الجامع لكل النواميس الحيوية : اديبه ومادية،
 دنيوية و اخروية ، اخلاقية و اجتماعية ، سياسية و اقتصادية ... و ان شريعة
 محمد ﷺ من بين الشرائع هى الشريعة الوحيدة العلمية والعلمية المستوفاة
 التى ترمى إلى أغراض دنيوية و اخروية معاً حقيقة ، و انها لم تقتصر على الاصول
 الكلية الشائعة بين جميع الشرائع ، بل اهتمت إهتماماً خاصاً بالاحكام الجزئية ،
 فوضعت أحكام المعاملات و التجارات حتى فروض العبادات أيضاً ، و هى من هذه
 الجهة شريعة علمية وعملية، مادية و معنوية ، و من أعظم ما تركه الاسلام آثار
 أدبية لخدمة الغاية الدينية ، وقد فاق بتلك الآثار أيضاً جميع الامم التى تقدمته...
 و ان شريعة موسى عليه السلام مادية عملية و لكنها غير مستوفاة ، و شريعة عيسى
 عليه السلام وإن كانت حكماً و مواظب تعتبر اصولاً كلية الا أنها نظرت فى جملتها إلى
 العالم الروحانى أكثر من الحياة الدنيا ، بخلاف شريعة محمد ﷺ فانها نظام
 عالمى اجتماعى، علمى و عملى، مادى قانونى و روحى معنوى حقيقى تفتضيه الفطرة
 البشرية فى كل وقت و مكان ...

فالدليل العقلى واضح لمن تدبر نواميس هذه الشريعة و أحكامها ، و أنها
 بلغت الغاية فى الاحاطة بمصالح البشر و النظام الاجتماعى الذى لاتتصور العقول
 أرقى منه و أكمل ، فلا بد أن تكون هى الغاية و الخاتمة كما قال الله جل وعلا :
 « اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً »
 (المائدة : ٣) و ان اكمل الشىء فقدتم و إنتهى و لامجال لجعله غيره اذ المجهول
 إما مثله أو أنقص فهو قبيح ، و أما الاكمال فهو حاصل فى هذه الشريعة بلامرأء.
 و قد ورد عن الطريقين صحيحاً : ان رسول الله ﷺ قال : « لا نبى بعدى »
 لاتعقيد فيه ، و قد أجمع العلماء الاسلامية ، و اعتقدت الامة المسلمة على انه
 لاوحى إلى أحد بعد محمد ﷺ و يحكم عليه العقل من الوحى و الرسالة و
 النبوة عند حاجة الناس إلى حكم لا يوجد فى الرسالات السابقة ...

هذا هو القرآن الكريم : «فيه تبيان كل شيء» قال الله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء» (النحل : ٨٩) فمن أنكر ذلك فهو كافر، ومن ادعى أو اعتقد النبوة بعد محمد ﷺ وجب قتله .

قال بعض أعلام العامة : لو جاء بعد رسول الله ﷺ نبي لاجاء على بن أبيطالب عليه السلام لانه كان منه بمنزلة هارون من موسى .

فالغاية الاولى والاخيرة من إرسال الرسل و مجيئ الانبياء ابلاغ الاحكام الالهية إلى الناس مما فيه سعادتهم الدنيوية والاخروية ، وما من شيء يحتاج إليه الناس إلى يوم القيامة الا وقد أنزله الله تعالى على خاتم أنبيائه و آخر رسله محمد ﷺ و قد قال في آخر كتابه : «ما فرطنا في الكتاب من شيء - ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين» (الانعام : ٣٨ - ٥٩) ولاوسيلة لاثبات هذه الحقيقة الا بالتجربة التي لا تقبل الشك و الجدل بان يدرس أهل الاختصاص القرآن الكريم دراسة علمية شاملة من ألفه إلى يائه و من اسم «الله» جل وعز إلى «الناس» ثم يقارنون بينه وبين غيره من كتب الاديان ، فاذا ينتهون بلاشك إلى أمرين :

أحدهما: ان القرآن الكريم ببلاغته و عقيدته و شريعته يفوق جميع كتب الاديان لايمائله كتاب قط .

ثانيهما : انهم يجدون في القرآن الكريم جميع اصول والمبادئ التي تتجاوب مع حاجات الناس ومصالحهم و تقدمهم إلى قيام الساعة ، فما من نهضة علمية أو ثورة تحريرية الا و يدعو اليها القرآن و يباركها و يبشرها ، و ما من تشريع يحتاج إليه الناس في دور من أدوار التاريخ ، الا و يستطيع أهل العلم و الفضل ، و أهل الاختصاص والاجتهاد أن يستخرجوه من أحد اصول القرآن الكريم و مبادئه و قد أذن الله تعالى و رسوله ﷺ لمن له الاهلية و الكفاءة أن يفرع على اصول هذا الكتاب السماوي و يستخرج منها الاحكام التي فيها خير وصلاح

للمجتمع البشرى بجهة من الجهات ، فحكم المجتهد العادل العامل الجامع لشرائط الاجتهاد هو حكم قرآني و حكم رسول ﷺ كما صرح به رسول الله ﷺ : « ان الراد على حكمه كالراد على الله »

فالنبي الخاتم ﷺ موجود بوجود القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، و انه في حماية الله جل وعلا و قد ضمن بحفظه اذ قال : « و انه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » فصلت : ٤١ - ٤٢) و قال : « انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون » الحجر : ٩) فما دام النبي بين كافة الناس موجوداً بوجود كتابه فلا موضع لنبي آخر اذ لانبيان في زمن واحد للناس .

و ان هذا القرآن الكريم وحده صرح بانه تبيان كل شيء ، ولا رطب و لا يابس الا و قد جاء فيه بيانه ، و انه كتاب لا يأتيه باطل ، و لا يمسه الا المطهرون ، و انه في ضمان الله تعالى و حمايته . . . فأين هي كتب الانبياء السماوية قالت به؟! فليات الجاحدون بواحد منها فيه تبيان كل شيء ، أو يجراً على القول به انه ما فرط فيه من كل شيء ، و انه في حماية الله تعالى لا يأتيه باطل .

و ان الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ قد استوفى جميع صفات الكمال ، و بلغ الغاية منها و النهاية تماماً كما بلغت الشمس الحد الأعلى من النور ، فلا كوكب و لا كهر باء يمتليء الكون بنورهما بعد كوكب الشمس « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً و مبشراً و نذيراً و داعياً إلى الله باذنه و سراجاً منيراً » الاحزاب : ٤٥ - ٤٦) فلا دين بعد الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام - و من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » و لاني بعد محمد ﷺ الا و هو مأمور من جانب الشيطان أو مصنوع الانجليز و اذ نابه . . .

﴿المتنبون بعد خاتم الانبياء ﷺ و معجزاتهم﴾

وقد ادعى طائفة من أتباع شياطين الجن والانس النبوة بعد خاتم الانبياء محمد ﷺ و ادعوا لاثبات نبواتهم معجزات كلها خرافات لاحقيقة لها، فنشير إلى نفر منهم ، و نبذة منها :

في الدر المنثور: عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ : انه سيكون في امتي كذا بون ثلاثون كلهم يزعم انه نبي ، و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي .
و في رواية : أربعة منهم نسوة .

و في لباب التأويل : ان مسلمة الكذاب ادعى النبوة باليمامة من اليمن و تبعه قومه من بني حنيفة و كان صاحب نيرجات ، فاعتز قومه بذلك . و قتل مسلمة في عهد أبي بكر بيد وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب ، و كان وحشى يقول : قتلت خير الناس و هو حمزة ، و قتلت شر الناس و هو مسلمة .

وفيه: ان الاسود العنسى - بالنون - هو عبهلة بن كعب و كان يقال له : ذوالعمار ادعى النبوة باليمن في آخر عهد النبي ﷺ و قتل ، والنبي ﷺ كان حياً و كان ذلك قبل موته ﷺ بيومين ، و أخبر أصحابه بقتله ، و قتله فيروز الديلمي ، فقال رسول الله ﷺ فاز فيروز يعني بقتله الاسود العنسى .

و في تفسير الكاشف : قال : ان أهل السير والتاريخ قالوا : ان ثلاثة إرتدوا و ادعوا النبوة على عهد رسول الله ﷺ بعد أن آمنوا به :

الاول : الاسود العنسى تنبأ في اليمن ، و أخرج عمال رسول الله ﷺ

منها ، ولكنه قتل قبل وفاة النبي ﷺ بيوم واحد .

الثاني : مسلمة الكذاب ادعى النبوة وكتب إلى محمد ﷺ : « من مسلمة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد فاني شريك معك في الامر ، والارض بيننا منا نصفه » و قتل في عهد أبي بكر .

الثالث : طلحة بن خويلد ادعى النبوة ثم عاد وأسلم . و أما سجاح ، فقد ادعت النبوة في عهد أبي بكر و تزوجها مسلمة . و قال أبو العلاء المعري في هذا الزواج :

أمست سجاح و والاهها مسلمة كذابة في بني الدنيا كذاب

و في تفسير ابن كثير الدمشقي : ومن كلمات مسلمة الكذاب: « يا ضفدع بنت ضفدعين نقي كم تنقين لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين » و قوله : « لقد أنعم الله على الجبلى إذا خرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى » و قوله : « الفيل و ما أدراك ما الفيل له خرطوم طويل » و قوله : « والعاجنات عجنأ ، والخابزات خبزأ واللاقمات لقمأ اهالة و سمنأ » .

و قال مسلمة لعمر و بن العاص : لقد سمعت أصحاب محمد يقرؤن سورة عظيمة و قصيرة؟ قال : نعم ، فقال: ماهي؟ فقال: « والعصر ان الانسان لفي خسر » إلى آخر السورة ففكر مسلمة ساعة ثم قال : و أنا قد أنزل على مثله ، فقال : و ما هو؟ فقال : « يا وبر يا وبر انما انت اذنان و صدر و سائر ك حفر نقر » كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو : والله انك تعلم اني أعلم انك تكذب .

فاذا كان هذا (عمرو بن العاص) من مشرك في حال شركه لم يشبهه عليه حال محمد ﷺ و صدقه ، و حال مسلمة لعنه الله و كذبه فكيف باولى البصائر والنهى . ثم قال ابن كثير : كان عمرو بن العاص في تلك الحال مشركاً .

و في السيرة لابن هشام : قال ابن اسحق: و قد كان تكلم في عهد رسول الله ﷺ الكذبان : مسلمة ابن حبيب بالجماعة في بني حنيفة والاسود بن كعب

العنسى بصنعاء .

وفيه: عن أبي سعيد الخدرى قال : سمعت رسول الله ﷺ و هو يخطب الناس على منبره و هو يقول : أيها الناس ! انى قد رأيت ليلة القدر ثم أنسيتها ، و رأيت فى ذراعى سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، و صاحب اليمامة .

وفيه: عن أبي هريرة انه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كلهم يدعى النبوة .

وفيه: و قد كان مسلمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله ﷺ من مسلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك ، أما بعد فانى قد اشركت فى الامر معك ، و ان لنا نصف الارض ، و لقريش نصف الارض ولكن قریشاً قوم يعتدون ، فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب . قال نعيم بن مسعود الاشجعى : سمعت رسول الله ﷺ يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالوا: نقول كما قال ، فقال ﷺ : أما والله لولا ان الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما كما كتب إلى مسلمة : « بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله إلى مسلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

و ذلك فى آخر سنة عشر .

وفى بعض التفاسير : ان أبا جهل قال : ان الذى يقول محمد شعر . فقال ﷺ : الشعر غير هذا ، إن هذا إلا كلام الرحمن ، فقال أبو جهل : بخ بخ لعمرى انه لكلام الرحمن الذى هو يعلمك فقال ﷺ : الرحمن هو إله السماء و من عنده يأتينى الوحي ، فقال أبو جهل : يا آل غالب من يعدرنى من محمد ﷺ ؟ يزعم ان الله واحد و هو يقول : الله يعلمنى والرحمن أعلمون انهما إلهان ؟ ثم قال : ربكم الله الذى خلق هذه الاشياء والرحمن فهو مسلمة .

و في تفسير طنطاوى : نقلًا عن كتاب (المختار في كشف الاسرار) على طريق الاختصار : « ظهر في آخر خلافة السفاح سنة باصفهان رجل يعرف باسمح الأخرس ، فادعى النبوة و تبعه خلق كثير و ملك البصرة و عمان ، و فرض على الناس فرائض ، و فسّر لهم القرآن على ما أراد ثم قتل و كان حديثه انه نشأ بالمغرب ، فتعلّم القرآن ثم تلا الانجيل والتوراة والزرور ، وجميع الكتب المنزلة ثم قرأ الشرائع ثم حلّ الرموز والاقلام ، و لم يترك علماً حتى أتقنه . ثم ادعى انه أخرس و سافر ، فنزل باصفهان و حذم قيمًا في مدرسة و أقام بها عشرين ، و عرف جميع أهلها و كبارها . ثم بعد ذلك أراد الدعوة ، فعمل له أدهاناً و دهن بها وجهه حتى لا يمكن أحد النظر إليه من شدة الانوار . . . ثم نام في المدرسة و أغلق عليه الابواب . . . فلما نام الناس و هدأت الحواس قام ، فدهن وجهه من ذلك الدهن ثم اوقد شمعتين مصبوغتين لهما أنوار تفوق السرج ، ثم صرخ صرخة أزعج الناس ثم اتبعها نائية وثالثة ثم انتصب في المحراب يصلى ، و يقرأ القرآن بصوت أطيب ما يكون و بنغمة أرق من النسيم .

فلما سمع الفقهاء توابوا و أشرفوا عليه ، و هو على تلك الحالة فحارت أفكارهم من ذلك ، ثم اعلّموا المدرس بذلك ، فاشرف عليه و هو على تلك الحال فلما رآه خرّ مغشياً عليه ، فلما أفاق عمد إلى باب المدرسة ليفتحه فلم يقدر على ذلك فخرج من المدرسة ، و تبعه الفقهاء حتى انتهى إلى دارالقاضي والخبار قد شاعت في المدينة ، فأخبر القاضي بذلك ، فخرج القاضي و اتصل الخبر بالوزير ، و اجتمع الناس على باب المدرسة ، وهو قد فتح الاقفال وترك الابواب غير مفتحّة ، فلما صار القاضي والوزير و كبراء البلد إلى الباب اطلع عليه الفقهاء و قالوا له بالذى أعطاك هذه الدرجة : إفتح لنا الباب ، فأشار بيده إلى الابواب ، وقال : تفتحي أيتها الاقفال ، فسمعوا وقع الاقفال إلى الارض ، فدخل الناس إليه وسئله القاضي عن ذلك ، فقال : انه منذ أربعين يوماً رأى في المكان اثر دليل ، و اطلع

على أسرار الخلق و رآها عياناً ، فلما كان في هذه الليلة أتاني ملكان فأيقظاني
و غسلائي .

ثم سلما عليّ بالنبوة ، فقالا : السلام عليك يا نبيّ الله فخفت من ذلك و
طلبت أن أردّ ^{بالحديث} فلم اطق ، و جعلت أتململ لردّ الجواب فلم أقدر على ذلك ،
فقال أحدهما : إفتح فاك بسم الله الازلي ، ففتحت فمى ، و أنا أقول في قلبى :
بسم الله الازلي ، فجعل في فمى شيئاً أبيض لا أعلم ماهو أبرد من الثلج ، وأحلى
من الشهد ، و أذكى من المسك ، فلما حصل في أمعائى نطق لسانى ، فكان أول
ما قلت : أشهد أن لا اله إلا الله و أشهد أن محمداً رسول الله . فقالا : وأنت رسول الله
حقاً ، فقلت : ما هذا الكلام أيها السادة ؟ فقالا : ان الله قد بعثك نبياً ، و كيف
ذلك والله تعالى قد أخبر عن سيدنا محمد انه خاتم النبيين ؟ فقالا : صدقت ولكن
الله أراد بذلك انه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته و شريعته ، فقلت : انى
لا ادعى بذلك ولا اصدق ولا لى معجزات ، فقالا : يوقع في قلوب الناس تصديقك
الذى أنطقك بعد أن كنت أخرس منذ خلقت .

و أما المعجزات التى أعطاك الله عزوجل فهى معرفة كتبه المنزلة على
أنبيائه و معرفة شرائعه و معرفة الألسن و الاقدام ، ثم قال : اقرأ القرآن فقرأته
كما أنزل ، ثم قال : إقرأ الانجيل فقرأته ، ثم قال : إقرأ التوراة و الزبور و الصحف ،
فقرأت الجميع كما أنزل ، ثم قال : قم فأنذر الناس ثم انصرفا عنى ، و قمت أنا
اصلى ، و هذا آخر خبرى فمن آمن بالله و بمحمد ثم بى فقد فاز و من كذب
فقد عطل شريعة محمد و هو كافر و السلام .

فعند ذلك سمع له خلق كثير و استقام أمره و ملك البصرة و عمان و غيرهما ،
و استفحل أمره و لم يزل كذلك حتى قتل ، و له أتباع بعمان إلى يومنا هذا قبحهم
الله تعالى . انتهى كلامه .

و فى بعض التفاسير : تنبأ رجل فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة فقال :

أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا : رضينا فاخرج حصاة معه و طرحها في الماء فذابت ، فقالوا : هذه حيلة ، ولكن نعطيك حصاة من عندنا و دعها تذب قال : لستم أجلّ من فرعون و لا أنا أكرم من موسى عليه السلام ان فرعون لم يقل لموسى عليه السلام : لم أرض بما تفعله بعصاك حتى اعطيك عصا من عندي تجعلها ثعباناً . وفيه: ادعى رجل النبوة في زمن (خالد بن عبدالله القسري) فأثنى به إلى خالد ، فقال له : ما تقول ؟ فقال : عارضت القرآن قال: بماذا ؟ قال: قال الله « انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر » وقلت: « انا اعطيناك الجماهر فصل لربك و جاهر و لا تطع كل ساحر » فأمر به خالد فضرب عنقه و صلب فمرّ به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال: « انا اعطيناك العود فصل لربك من قعود و أنا ضامن لك أن لا تعود » .

وفيه: ان امرأة ادعت النبوة أيام المتوكل فقال لها : أنت نبيهة ؟ قالت: نعم قال : أتؤمنين بمحمد ؟ قالت : نعم قال : فانه رَبِّكَ وَرَبُّكَ قال : لا نبى بعدى قالت: نعم ولكنه لم يقل : لا نبيهة بعدى .

وفيه: تنبأ رجل في زمن المأمون فأحضره ، فقال له: ألك المعجزة لثبوتك ؟ قال : نعم ، قال : ما هي ؟ قال : كلما شئت ، قال له المأمون : افتح هذا الففل بلا مفتاح قال : إني نبى ولست بحدّ آد .

وفيه: ادعى رجل النبوة ، فأحضره المأمون ، فقال له : من أنت ؟ قال : نبى الله و رسوله ، فقال له : أيوحى إليك من السماء ؟ قال: نعم ، نزل إلى جبرئيل بالوحي قبل إحضارك إياى بساعة ، وينزل إلى الوحي في كل اسبوع ، فظن المأمون بصحة دعواه ، فأمر المأمون طبّاخه أن يحترموه في مطبخه في اسبوع حتى يحين وقت الوحي ، فلما مضى الاسبوع أحضره المأمون ، فامتنع الرجل فقال : لا بد للامة أن يزور النبى ، فجاءه المأمون فقال له : أنزل عليك الوحي ؟ قال : نعم ، فقال المأمون : متى ؟ قال : قبل زيارتك إياى ، و لو سمعت إلى زيارتى لكننت

تسمع ما يوحى إليّ، فقال المأمون: فماذا نزل إليك؟ قال: نزل إليّ جبرئيل،
وقال: لا تخرج أيها النبي من هذا المطبخ لأنك لا تجد موضعاً أحسن منه قط،
فعلم المأمون ان الموجب لادّعاءه النبوة هو الجوع.

ومن المتنبئين: أبو الطيب المتنبي الشاعر اسمه احمد بن الحسين ابن
الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي، واما سمي المتنبي لادعائه النبوة
في بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بني كلب وغيرهم، فخرج إليه لؤلؤ أمير
حمص نائب الاخشيدية فأسره و تفرّق أصحابه وحبسه طويلاً ثم استتابه وأطلقه،
وكان قد قرأ على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن أنزل عليه:

ومن كلامه: « والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، ان
الكافر لفي أخطار، امض على سنتك، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين فان الله
قامع بك زبغ من ألحد في الدين و ضلّ عن السبيل » .

وكان اذا جلس في مجلس سيف الدولة وأخبروه عن هذا الكلام أنكروه
وجحده و لما اطلق من السجن التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان، ثم فارقه
و دخل مصر سنة ست وأربعين و ثلاثمائة، و مدح كافور الأخشيدى و أنوجور بن
الأخشيد وكان يقف بين يدي كافور، وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف و منطقة
يركب بحاجبين من مماليكه، وهما بالسيوف والمناطق، و لما لم يرضه هجاء
و فارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين و ثلاثمائة، فوجه كافور خلفه عدة رواحل،
فلم تلحقه و قصد بلاد فارس و مدح عضد الدولة بن بويه الديلمي، فأجزل صلته
و لما رجع من عنده عرض له فاتك بن أبي جهل الأسدى في عدة من أصحابه
فقاتله فقتل المتنبيء و ابنه محمد و غلامه مفلح بالقرب من النعمانية في موضع
يقال له: الصافية من الجانب الغربي من سواد بغداد.

ويقال: انه قال شيئاً في عضد الدولة فدى عليه من قتله لانه لما وفد عليه
وصله بثلاثة آلاف دينار و ثلاثة أفراس مسرجة محلاة و ثياب فاخرة، ثم دسّ

عليه من سئله أين هذا العطاء من عطاء سيف الدولة ؟ فقال : هذا أجزل الآ انه عطاء متكلف ، و سيف الدولة كان يعطى طبعاً ، فغضب عضد الدولة ، فلما انصرف جهز عليه قوماً من بنى ضبة فقتلوه بعد أن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم فقال له غلامه أين قولك ؟ :

الخيل والليل والبيداء تعرفتى والطعن والضرب والقرطاس والقلم
فقال : قتلتنى قتلك الله ، ثم قاتل فقتل .

ويقال: ان الحفزاء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه ، فمنعه الشح والكبر فتقدموه فوقع له ما وقع . وكان قتله يوم الاربعاء لست بقين وقيل ثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع و خمسين و ثلاثمائة ، و مولده كان فى سنة ثلاث مائة بالكوفة فى محله تسمى كندة ، وليس هو من كندة و ليس هو من كندة التى هى قبيلة بل هو جعفى .

و كان أبوه سقاء بالكوفة و كان يلقب بعبدان ثم انتقل إلى الشام بولده . و غيرهم من المتنبيين المتقدمين والمتأخرين ، و ان القارى المتدبر الخبير يجد لادعاء المتنبيين النبوة بعد نبوة خاتم الانبياء ﷺ موجبات كثيرة : أهمها حب الجاه والاشتهار والمقام . و انى رأيت سنة ١٣٤٦ ش ٥ بمشهد الرضا عليه آلاف التحية والثناء سارقاً يضرب و هو يضحك ، فقيل له : كيف تضحك ، و أنت تضرب ضرباً شديداً؟ فقال: انى قد اسرق بالمرئى لأشتهر بالسرقه . و من الموجبات: الجوع و رفع الفقر ، ومنها: حب الدنيا والشهوات ومنها: جبراً لكسر الشوكة المتقدمة و زهاب الدولة السالفة . . .

و قد كان المتنبيون المتأخرون من صنع الممالك المستثمرة المستعمرة المستحقة . و كانوا هم عمالاً لهم للفرقة بين الامة الاسلامية ولغيرها من الاغراض الشؤمة . و كان تخصص الانجليز فى صنع النبى الكاذب ، و الامام الباطل أكثر من غيره ، فصنع الوهاية العادية فى القرن الثانى عشر ، و صنع البابية الضالة

والبهائية طلاقة العنان في القرن الثالث عشر من الهجرة النبوية .
 ونختم البحث بذكر معجزة نبي البهائية - صنع الانجليز - ميرزا حسين
 علي النوري مقيماً ، والشيرازي نسباً - فان أباه كان من أهل الشيراز علي ما
 حققناه فجاء بقريه من النور الواقع بمازندران و كان من أصدقاء محمد علي الباب
 الشيرازي - و لما حبس ميرزا حسين علي بتهران يذكر عماله معجزة له ، و
 يحرصون جهلة الناس علي زيارته ، فمن أراد زيارته يستخبرونه عن أقاربه
 و اصدقاءه و اشتغالاته في طول حياته و عن أولاده و سكناه و أمواله و املاكه ،
 و عما كان يعلم من شؤون حياته . . . ثم يذكرون ذلك كله لهذا النبي مصنوع
 الانجلترا ، ثم يستأذنون لهذا الجاهل بزيارته ، فلما رآه النبي المختلق يخبره
 بما علم من عماله ، فعندئذ يؤمن هذا الجاهل الغبي بهذا النبي البغي .



﴿ بحث روائى فى ثواب الصلاة على النبى وآله ﷺ ﴾

قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » (الاحزاب : ٥٦) .

الصلاة فى الاصل الدعاء ، وسميت العبادة المخصوصة صلاة من باب تسمية الشىء بأهم أجزائه لان الدعاء منح العبادة وروحها .

وقد سبق منا : ان الصلاة من الله تعالى على عباده الرحمة والحنان والتعطف ومن الملائكة الاستغفار ومن الناس الدعاء فصلاتنا على نبينا محمد ﷺ وآله المعصومين دعائنا له ﷺ ولهم بما أمرنا الله تعالى به فى خاتمة تشهد الصلاة . وقد ورد فى فضيلة الصلاة على النبى وآله صلوات الله عليهم أجمعين وثوابها روايات كثيرة لا يسعها المقام ، فنشير إلى نبذة منها روماً للاختصار :

١- فى الكافى : باسناده عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليه السلام قال : ما فى الميزان شىء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد ، وان الرجل لتوضع أعماله فى الميزان ، فتميل به فيخرج الصلاة عليه فيضعها فى ميزانه فترجح .

٢- وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبى عبدالله عليه السلام قال : سمعته يقول : قال رسول الله ﷺ : « إرفعوا أصواتكم بالصلاة على فانها تذهب بالنفاق . »

٣- وفيه : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال : اذا ذكّر النبى ﷺ فأكثروا الصلاة عليه فانه من صلّى على النبى ﷺ صلاة واحدة صلّى الله عليه ألف صلاة فى ألف صف من الملائكة ، ولم يبق شىء مما خلقه الله

الأصلى على العبد صلاة الله وصلاة ملائكته ، فمن لم يرغب في هذا فهو جاهل مغرور قد برىء الله منه ورسوله وأهل بيته .

٤- وفيه : باسناده عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى على صلي الله عليه وملائكته ، فمن شاء فليقل ومن شاء فليكثر .

٥- في عيون الاخبار باسناده عن الحسن بن فضال قال : قال الرضا عليه السلام - في حديث - : من لم يقدر على ما يكفر به ذنوبه فليكثر من الصلاة على محمد وآل محمد ، فانها تهدم الذنوب هدماً . وقال عليه السلام : الصلاة على محمد وآله تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير .

٦- في العلل باسناده عن عبد العظيم الحسني قال : سمعت علي بن محمد العسكري عليه السلام يقول : انما اتخذ الله عز وجل ابراهيم خليلاً لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم .

٧- في ثواب الاعمال باسناده عن عاصم بن ضمرة عن علي عليه السلام قال : الصلاة على النبي وآله أمحق للخطايا من الماء للنار ، والسلام على النبي وآله أفضل من عتق عشر رقاب . الحديث .

٨- وفيه باسناده عن أبي البختری عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آباءه عليهم السلام قال : قال رسول الله ﷺ : أنا عند الميزان يوم القيامة فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة على حتى أثقل بها حسناته .

٩- في وسائل الشيعة بالاسناد عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام ان رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله اجعل لك تلك صلاتي ، لابل أجعل لك نصف صلاتي ، لابل أجعلها كلها لك ، فقال رسول الله ﷺ : اذا تكفى مؤنة الدنيا والآخرة .

١٠- وفيه بالاسناد عن محمد بن أبي عمير عن أخبره عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

وجدت في بعض الكتب : من صلى على محمد وآل محمد كتب الله له مائة حسنة ،
ومن قال : صلى الله على محمد وأهل بيته كتب الله له ألف حسنة .

١١- في محاسن البرقي بإسناده عن السكوني عن جعفر بن محمد عن أبيه
عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى على آيمانا واحتساباً إستأنف العمل .

١٢- في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه : بإسناده عن عبيد الله بن عبد الله ،
عمن سمع الباقر عليه السلام يقول : قال رسول الله ﷺ : من أدرك شهر رمضان فلم
يفقر له فأبعده الله : ومن أدرك والديه فلم يفقر له فأبعده الله ، ومن ذكرت عنده
فلم يصل على فلم يفقر له فأبعده الله .

١٣- وفيه : في خطبة خطبها أمير المؤمنين عليه السلام بعد وفاة النبي ﷺ :
بالشهادتين تدخلون الجنة ، وبالصلاة تنالون الرحمة فأكثرُوا من الصلاة على
نبيكم وآله ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و
سلموا تسليماً .

١٤- وفيه بإسناده عن معاوية بن عمار قال : ذكرت عند أبي عبد الله عليه السلام
بعض الانبياء فضليت عليه ، فقال : إذا ذكر أحد من الانبياء فابدأ بالصلاة على محمد
ثم عليه ، صلى الله على محمد وآله وعلى جميع الانبياء .

١٥- وفيه بإسناده عن محمد بن هارون عن الصادق عليه السلام قال : اذا صلى
أحدكم ولم يذكر النبي ﷺ يسلك بصلاته غير سبيل الجنة ، قال : وقال رسول
الله ﷺ : من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله عز وجل .

١٦- في الخصال بإسناده عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اذا كانت
عشية الخميس وليلة الجمعة نزلت ملائكة من السماء ، معها أقلام الذهب وصحف
الفضة لا يكتبون عشية الخميس وليلة الجمعة ويوم الجمعة إلى أن تغيب الشمس
الا الصلاة على النبي وآله صلى الله عليه وآله .

١٧- وفيه : بإسناده عن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

مامن عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمد وآله .

١٨- في العلل باسناده عن عبد الحميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : من ذكر الله كتبت له عشر حسنات ، ومن ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتبت له عشر حسنات لان الله عز وجل قرن رسوله بنفسه .

١٩- في معاني الاخبار باسناده عن عبد الله بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : البخيل حقاً من ذكرت عنده فلم يصل عليّ .
٢٠- في نواب الاعمال : باسناده عن الصباح بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ألا اعلمك شيئاً يقى الله به وجهك من حر جهنم ؟ قال : قلت : بلى قال : قل بعد الفجر : اللهم صل على محمد وآل محمد مائة مرة يقى الله به وجهك من حر جهنم .

٢١- في جامع الاخبار : عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال :
أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة في دار الدنيا .

٢٢- وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من قال : اللهم صل على محمد وآل محمد أعطاه الله أجر اثنين وسبعين شهيداً ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه .
٢٣- وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مامن أحد صلتى على مرة واسمع حافظيه الا أن لا يكتبها ذنبه ثلاثة أيام .

٢٤- وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من صلتى على يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة .

٢٥- وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الصلاة على نور الصراط ، ومن كان له على الصراط من النور لم يكن من أهل النار .

٢٦- وفيه : عن أبي عبد الله عليه السلام انه سئل عن أفضل الاعمال يوم الجمعة ؟ فقال : الصلاة على محمد مائة مرة بعد العصر ، ومازدت فهو أفضل .

٢٧- في البحار : بالاسناد عن عمار بن ياسر قال : سمعت رسول الله

يقول : ان الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق كلهم ، وأسماء آباءهم فهو قائم على قبري إذ امت إلى يوم القيامة ، فليس أحد يصلي علي صلاة الآقال : يا محمد صلي عليك فلان بن فلان بكذا وكذا ، وان ربي كفل لي أن يصلي علي ذلك العبد واحدة عشرأ .

٢٨- في الكافي : باسناده عن مرزم قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ان رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله اني جعلت ثلث صلاتي لك ، فقال له : خيراً ، فقال له : يا رسول الله اني جعلت نصف صلاتي لك ، فقال له : ذاك أفضل ، فقال : اني جعلت كل صلاتي لك فقال : إذن يكفيك الله عز وجل ما أهمك من أمر دنياك و آخرتك ، فقال له رجل : أصلحك الله كيف يجعل صلاته ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : لا يستل الله عز وجل الاً بدأ بالصلاة علي محمد وآله .

٢٩- وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما اجتمع في مجلس قوم لم يذكروا ولم يذكرونا إلا كان ذلك المجلس حسرة عليهم يوم القيامة ، ثم قال : قال أبو جعفر عليه السلام : ان ذكرنا من الله ، وذكر عدونا من ذكر الشيطان .
٣٠- في عيون الاخبار باسناده عن عبدالله التميمي عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من كان آخر كلامه الصلاة علي ، وعلي علي دخل الجنة .

٢١- في دعوات الراوندي : قال النبي صلى الله عليه وآله : أكثروا الصلاة علي فان الصلاة علي نور في القبر ونور علي الصراط ونور في الجنة .

٣٢- في التوحيد : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة خطب بها : وبالشهادتين تدخلون الجنة وبالصلاة تناولون الرحمة ، فاكثروا من الصلاة علي نبيكم وآله ان الله و ملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .

٣٣- في رواية : ان رسول الله صلى الله عليه وآله : جاء ذات يوم والبشرى ترى في

وجهه ، فقال النبي ﷺ انه جاءني جبرئيل عليه السلام فقال : أما ترضى يا محمد أن لا يصلي عليك أحد من امتك صلاة واحدة الا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك أحد من امتك الا سلمت عليه عشراً .

٣٤- في رواية : قال رسول الله ﷺ : من صلى علي صلّت عليه الملائكة ما صلى علي فليقلل عند ذلك اوليكم . وقال ﷺ : ان اولي الناس بي أكثرهم علي صلاة .

٣٥- في رواية : قال النبي ﷺ : من صلى علي من امتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات .

٣٦- في رواية : قال رسول الله ﷺ : من صلى علي في كتاب لم تنزل الملائكة يستغفرون له مادام إسمي في ذلك الكتاب .

٣٧- في رواية : قال النبي ﷺ : ان في الارض ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام . وقال ﷺ : ليس أحد يسلم علي الا رد الله علي روي حتى اردد عليه السلام .

٣٨- في رواية : قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالى لما خلق العرش خلق سبعين ألف ملك وقال لهم : طوفوا بعرشي النور وسبحوني واحملوا عرشي ، فطافوا و سبحوا وأرادوا أن يحملوا العرش فما قدروا فقال لهم الله : طوفوا بعرشي النور و صلوا علي نور جلالتي محمد حبيبي واحملوا عرشي ، فطافوا وحملوه وقالوا : ربنا أمرتنا بتسبيحك وتقديسك وأمرتنا أن نصلي علي نور جلالك محمد فننقص من تسبيحك ؟ فقال الله لهم : يا ملائكتي اذا أنتم صليتم علي حبيبي محمد فقد سبتموني وقد ستموني وهللتُموني .

٣٩- في البحار : عن أبي عبد الله عليه السلام قال له رجل . جعلت فداك أخبرني عن قول الله تبارك وتعالى وما وصف من الملائكة : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » ثم قال : « ان الله وملائكته يصلون علي النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا

تسليماً « كيف لا يفترون وهم يصلون على النبي ﷺ؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: ان الله تبارك وتعالى لما خلق محمداً ﷺ أمر الملائكة فقال: انقصوا من ذكرى بمقدار الصلاة على محمد، فقول الرجل صلى الله على محمد في الصلاة مثل قوله: سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر.

٤٠- في عيون الاخبار: باسناده عن ابن زنطي عن ابن خالد قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: جعلت فداك كيف صار مهر النساء خمسمائة درهم: اثنتي عشرة أوقية ونش؟ قال: ان الله تبارك وتعالى أوجب على نفسه أن لا يكبره مؤمن مائة تكبيرة ويسبحه مائة تسيبحة، ويحمده مائة تحميدة ويهله مائة مرة، ويصلي على محمد وآله مائة مرة ثم يقول: اللهم زوجني من الحور العين الآزوجه الله عز وجل فمن ثم جعل مهر النساء خمسمائة درهم، وأيماً مؤمن خطب إلى أخيه حرمة، وبذله خمسمائة درهم فلم يزوجه فقد عقه واستحق من الله عز وجل أن لا يزوجه حوراء.



﴿ الصلوات و تأثيرها ﴾

و اعلم ان للصلاة على محمد و آله صلوات الله عليهم أجمعين تأثيراً عظيماً في النفوس وفي جميع شئون حياة الانسان ، فلا بد لكل مؤمن أن يتوسل بها في الامور الدنيوية و الاخرية ...

في الكافي : باسناده عن أبي بصير قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام ما معنى أجعل صلواتي كلها لك ؟ فقال : يقدمه بين يدي كل حاجة فلا يسئل الله عز وجل شيئاً حتى يبدأ بالنبي والصلى الله عليه وآله فيصلى عليه ثم يسئل الله حوائجه ...
و فيه : باسناده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله والصلى الله عليه وآله : الصلاة على و علي أهل بيتي تذهب بالنفاق .

و في عيون الاخبار : فيما سئل الخضر الحسن بن علي عليه السلام : أخبرني عن الرجل كيف يذكر وينسى ؟ قال : إن قلب الرجل في حق ، و علي الحق طبق ، فان صلّى الرجل عند ذلك علي محمد و آل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق ، فأضاء القلب و ذكر الرجل ما كان نسي ، و إن هو لم يصل علي محمد و آل محمد أو نقص من الصلاة عليهم ، انطبق ذلك الطبق علي ذلك الحق فأظلم القلب ونسى الرجل ما كان ذكره .

قوله عليه السلام : « حق » : جمع حقة - بالضم فيهما - وهي وعاء من خشب قد سوتى من عاج ، و « طبق » - محرّكة - : غطاء كل شيء .

و لا يبعد أن يكون الكلام مبنياً علي الاستعارة و التمثيل فان الصلاة علي

محمد وآل محمد لما كانت سبباً للقرب من المبدأ واستعداد النفس لافاضة العلوم عليها ، فكأن الشواغل النفسانية الموجبة للبعد عن الحق تعالى طبق عليها ، فتصير الصلاة سبباً لكشفه وتنور القلب واستعداده لفيض الحق ، إما بافاضة الصورة ثانية أو باستردادها من الخزانة .

و في جامع الاخبار : قال رسول الله ﷺ : من صلى علي مرة فتح الله عليه باباً من العافية .

أقول: ولعمري ! ان لي في تأثير الصلوات على محمد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين تجربات عظيمة في جميع شؤون حياتي لا يمكن إحصائها ، و لعمري ! انها وسيلة يأمرنا الله جل وعلا بابتغائها إذ يقول : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة : ٣٥)



﴿ الصلاة على النبي وآله ﷺ واستجابة الدعاء ﴾

وقد وردت روايات كثيرة : ان الدعاء لاستجابة الآ بالصلاة على النبي و
آله ﷺ تشير إلى ما يسعه المقام :

في الكافي : باسناده عن صفوان الجمال عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كل دعاء
يدعا الله عز وجل به محبوب عن السماء حتى يصلّي على محمد وآل محمد .
و فيه : باسناده عن أبي بصير قال : سألت أبا عبدالله عليه السلام ما معنى أجعل
صلاتي كلها لك ؟ قال : يقدمه بين يدي كل حاجة ، فلا يسئله الله عز وجل شيئاً حتى
يبدأ بالنبي ﷺ فيصلّي عليه ثم يسئله الله حوائجه .

و فيه : عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من دعا ولم يذكر النبي
ﷺ رفرف الدعاء على رأسه فاذا ذكر النبي ﷺ رفع الدعاء .

و فيه : باسناده عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله
ﷺ : لانجعلوني كقدح الراكب ، فان الراكب يملؤ قدحه فيشربه اذا شاء
اجعلوني في أول الدعاء وفي وسطه وفي آخره .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام
قال : من قال : يارب صل على محمد وآل محمد مائة مرة قضيت له مائة حاجة
ثلاثون للدنيا .

و في وسائل الشيعة : قال أبو عبدالله عليه السلام : من كانت له إلى الله عز وجل
حاجة فليبدأ بالصلاة على محمد وآله ثم يسئله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على

محمد وآل محمد فإن الله عز وجل أكرم من أن يقبل الطرفين و يدع الوسط ،
إذا كانت الصلاة على محمد وآل محمد لا تحجب عنه .

و في كفاية الاثر : بالاسناد عن النبي ﷺ قال : لا يزال الدعاء محجوباً
حتى يصلّي علىّ و على أهل بيتي .

و في الامالي : للحسن بن محمد الطوسي قدس سره باسناده عن أبان بن عثمان
عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ فإن
الصلاة على النبي مقبولة ، و لم يكن الله ليقبل بعض الدعاء ويرد بعضاً .

و فيه : باسناده عن محمد بن مروان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول
الله ﷺ : صلاتكم علىّ إجابة لدعائكم و زكاة لأعمالكم .

و في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « إذا كانت لك
إلى الله حاجة فابدأ بمسئلة الصلاة على النبي ﷺ ثم سل حاجتك فإن الله أكرم
من أن يسئل حاجتين ، فيقضى إحداهما و يمنع الاخرى » .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن عبدالسلام بن نعيم قال : قلت لأبي
عبدالله عليه السلام : اني دخلت البيت ولم يحضرني شيء من الدعاء الا الصلاة على محمد
وآله ، فقال : أما انه لم يخرج أحد بأفضل مما خرجت به .

و في الخصال : - الاربعمأة - قال أمير المؤمنين عليه السلام : صلّوا على محمد و آل
محمد ، فإن الله عز وجل يقبل دعاءكم عند ذكر محمد و دعائكم له و حفظكم
إياه ﷺ .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام
قال : من قال في يوم مائة مرة : رب صلّ على محمد و أهل بيته قضى الله له مائة حاجة ،
ثلاثون منها للدنيا و سبعون للآخرة .

و فيه : باسناده عن محمد بن الفضيل عن الرضا عليه السلام قال : قال رسول الله
ﷺ : من صلّي علىّ يوم الجمعة مائة مرة قضى الله له ستين حاجة منها للدنيا

ثلاثون حاجة و ثلاثون للآخرة .

و في جامع الاخبار : قال رسول الله ﷺ : صلواتكم على جواز دعائكم ،
و مرضاة لربكم و زكاة لاعمالكم .

و في رواية « مجوزة لدعائكم » بدل « جواز دعائكم »

و في البحار : بالاسناد عن عبد الملك بن عتبة عن أبي عبد الله عليه السلام : اذا
دعا أحدكم فليبدأ بالصلاة على محمد و يقول : إفعل بي كذا و كذا ، فان العبد
إذا قال : اللهم صل على محمد و على أهل بيته ، استجاب له ، فاذا قال : إفعل
بي كذا و كذا كان أجود من أن يرد بعضاً و يستجيب بعضاً .

قيل : ان السرفى حجب الدعاء بدون الصلاة امور :

أحدها - ان العبد اذا ضم الصلاة مع دعائه ، و عرض بالمجموع على الله
جل و علا ، و الصلاة غير محجوبة فالدعاء أيضاً غير محجوب .

ثانيها - ان من كانت له حاجة إلى سلطان فمن آدابه المقررة في العقول
و العادات أن يهدى تحفاً إلى المقربين لديه لكي يشفعوا له عنده و علم السلطان
ذلك يقضى حاجته .

ثالثها - ان الصلاة على النبي و آله يصير سبباً لتكفير السيئات المانعة عن
قبول الدعوات .

رابعها - ان جبههم و ولائهم و الاقرار بفضلهم من أعظم أركان الايمان ،
فبالصلاة عليهم و التوسل بهم يكمل الايمان ، و لا ريب ان كمال الايمان يوجب
مزيد القرب من الرحمن .

خامسها - ان الغرض من ايجاد الثقلين هو رسول الله و أهل بيته عليهم السلام و
بواسطتهم تفيض الرحمت و هم القابلون لجميع الفيوض القدسية ، فاذا فيض
عليهم فبتطفلهم يفيض على سائر الموجودات ، فاذا أراد داعي استجلاب رحمة
من الله تعالى يصلى عليهم ، و لا يرد هذا الدعاء لان المبدأ فياض و المحل قابل ،

و ببركتهم يفيض على الداعي بل على جميع الخلق .

سادسها - انهم عليه السلام وسائط بيننا وبين ربنا في اصال الاحكام لعدم ارتباطنا بساحة جبروته ، فلا بد أن يكون بيننا وبين سفراء و حجب ذوا جهات قدسية و حالات بشرية يكون لهم بالجهات الاولى ارتباط بالجناب الاعلى يأخذون عنه ، و بالجهات الثانية مناسبة للخلق يلقون إليهم ما اخذوا من ربهم ، فكذلك في إفاضة سائر الفيوض ، فكل فيض وجود يبدأ بهم ثم ينقسم على سائر الخلق ، فالصلاة عليهم استجلاب للرحمة من معدنها لتنقسم على سائر البرايا . . .

و قد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة لا يسعها المقام :

منها : ما رواه ابن حجر في (الصواعق المحرقة ص ٨٨) عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : الدعاء محبوب حتى يصلى على محمد و أهل بيته : اللهم صل على محمد و آله (وآل محمد خ) .

و منها : ما رواه الطبراني في الاوسط عن علي أمير المؤمنين عليه السلام : كل دعاء محبوب حتى يصلى على محمد و آل محمد .

رواه الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٠) وقال : رجاله ثقات .

و منها : ما رواه الخفاجي في (شرح الشفا ج ٣ ص ٥٠٦) عن علي عليه السلام : الدعاء و الصلاة معلق بين السماء و الارض لا يصعد إلى الله منه شيء حتى يصلى عليه صلى الله عليه وآله و آل محمد .

أقول : و ما ورد من الروايات الصحيحة عن الطريقتين يدل على عدم جواز ما يقوله أهل السنة من « صلتى الله عليه و سلم » و من « صلى الله على محمد و علي آل محمد » فتدبرو اغتتم ، و تب أيها الاخ المسلم السنى لو أردت درك الحقيقة ، و ترك العصبية . ما أحوج المسلمين في هذا العصر و في كل وقت إلى توحيد الكلمة و تماسك جماعتهم ، و أن يقفوا صفاً واحداً يصدون التهجمات عن أنفسهم كي لا يجددو الدين منفذاً لاستقلالهم و السيطرة عليهم ، و أن يقفوا من

كل ما فيه شائبة الشتاب و التفرقة موقف الحذر الفطن ، فجد بر علي إخواننا المسلمين أن يذكروا الآل عند ذكر النبي ﷺ بالصلاة كيف وليس ذكر الآل مختلفاً فيه مع ذكر النبي ﷺ عند أحد من المسلمين كما قد عرفته بل أوجب الشافعي في التشهد علي رواية عنه ، فما لهم لا يصلون علي محمد وآله معاً في كتبهم المطبوعة ؟ وما لهم ان يزيدوا كلمة «علي» علي الصلاة من غير ورودها في الاخبار ؟ و انما يقولون : صلى الله عليه وسلم تارة و صلى الله علي محمد و علي آل محمد تارة اخرى و لماذا هذا التزلزل و الاضطراب ؟؟؟ !!



﴿ الصلوات الكبيرة على الأئمة المعصومين ﴾

في البحار : بالاسناد عن أبي محمد بن عبد الله بن محمد العابد قال : سئلت مولاي أبا محمد الحسن بن علي عليه السلام في مسير له بسر من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين أن يملى علي الصلاة على النبي و أوصيائه عليه و عليهم السلام ، وأحضرت معي قرطاساً كبيراً فأملى علي لفظاً من غير كتاب ، قال : اكتب :

الصلاة على النبي صلى الله عليه و آله :

اللهم صلّ على محمد كما حمل و حيك و بلغ رسالاتك ، و صلّ على محمد كما أحلّ حلالك و حرّم حرامك و علّم كتابك ، و صلّ على محمد كما أقام الصلاة و أدى الزكاة و دعا إلى دينك ، و صلّ على محمد كما صدق بوعدك و أشفق من وعيدك ، و صلّ على محمد كما غفرت به الذنوب و سترت به العيوب و فرّجت به الكرب ، و صلّ على محمد كما دفعت به الشقاء و كشفت به العماء و أجبته به الدعاء و نجّيته به من البلاء ، و صلّ على محمد كما رحمت به العباد و أحييت به البلاد و قصمت به الجبابرة و أهلكت به الفراعنة ، و صلّ على محمد كما أضعفت به الاموال و حدّرت به من الاهوال و كسّرت به الاصنام و رحمت به الأنام ، و صلّ على محمد كما بعثته بخير الاديان و أعززت به الايمان و تبرّرت به الاوثان و عصمت به البيت الحرام ، و صلّ على محمد و أهل بيته الطاهرين الاخيار و سلّم تسليمًا .

الصلاة على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

اللهم صل على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أخي نبيك ، و وليه و وصيه و وزيره ، و مستودع علمه و موضع سرّه و باب حكمته ، و الناطق بحجته و الداعي إلى شريعته و خليفته في امته و مفرّج الكرب عن وجهه ، و قاصم الكفرة و مرغم الفجرة الذي جعلته من نبيك بمنزلة هارون من موسى ، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله ، و العن من نصبه من الاولين و الآخريين ، و صلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوصياء أنبيائك يا رب العالمين .

الصلاة على السيدة فاطمة عليها السلام :

اللهم صلّ على الصديقة فاطمة الزهراء الزكية ، حبيبة نبيك و ام أحبائك و أصفائك التي انتجبتها و فضلتها و اخترتها على نساء العالمين ، اللهم كن الطالب لها ممن ظلمها و استخفّ بحقها ، اللهم و كن الناصر لها بدم أولادها ، اللهم و كما جعلتها ام أئمة الهدى و حليّة صاحب اللواء الكريمة عند الملأ الاعلى ، فصلّ عليها و على امها خديجة الكبرى صلاة تكرم بها وجه محمد ﷺ و تقرّ بها أعين ذريتها و أبلغهم عنى في هذه الساعة أفضل التحية و السلام .

الصلاة على الحسن و الحسين عليهما السلام :

اللهم صلّ على الحسن و الحسين عبدك و وليك و ابني رسولك و سبطي الرحمة ، و سيّد شباب أهل الجنة ، أفضل ما صلّيت على أحد من أولاد النبيين و المرسلين ، اللهم صلّ على الحسن ابن سيد النبيين و وصي أمير المؤمنين السلام عليك يا ابن رسول الله ، السلام عليك يا ابن سيد الوصيين ، أشهد انك يا ابن أمير المؤمنين أمين الله و ابن أمينه ، عشت رشيداً مظلوماً ، و مضيت شهيداً ، و أشهد انك الامام الزكي الهادي المهدي ، اللهم صلّ عليه ، و بلّغ روحه و جسده عنى في هذه الساعة أفضل التحية و السلام .

اللهم صلّ على الحسين بن علي المظلوم الشهيد ، قاتل الكفرة و طريح الفجرة ، السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك يا ابن

أمير المؤمنين ، أشهد موقناً أنك أمين الله و ابن أمينه ، قتلت مظلوماً ، ومضيت شهيداً ، و أشهد أن الله تعالى الطالب بشارك و منجز ما وعدك من النصر ، والتأييد في هلاك عدوك وإظهار دعوتك ، وأشهد أنك وفيت بعهد الله وجاهدت في سبيل الله و عبت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين .

لعن الله أمة قتلتك ولعن الله أمة خذلتك و لعن الله أمة ألبت عليك وأبرء إلى الله تعالى ممن كذبك و استخف بحقك و استحل دمك ، بأبي أنت و أمي يا أبا عبد الله ، لعن الله قاتلك و لعن الله خاذلك ، و لعن الله من سمع داعيتك ، فلم يجبك و لم ينصرك ، و لعن الله من سبى نساءك أنا إلى الله منهم برىء ، و ممن والاهم و مالأهم و أعانهم ، و أشهد أنك والائمة من ولدك كلمة التقوى و باب الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا، وأشهد أني بكم مؤمن و بمنزلةكم موقن ، و لكم تابع بذات نفسي و شرائع ديني و خواتيم عملي و منقلبي و مشواي في دنياي و آخرتي .

الصلاة على علي بن الحسين عليه السلام :

اللهم صلّ على علي بن الحسين سيد العابدين الذي استخلصته لنفسك ، و جعلت منه أئمة الهدى الذين يهدون بالحق و به يعدلون ، اخترته لنفسك و طهرته من الرجس ، و اصطفيته و جعلته هادياً مهدياً ، اللهم صلّ عليه أفضل ما صليت على أحد من ذرية أنبيائك حتى تبلغ به ما تقر به عينه في الدنيا والآخره انك عزيز حكيم .

الصلاة على محمد بن علي الباقر عليه السلام :

اللهم صلّ على محمد بن علي باقر العلم و إمام الهدى ، وقائد أهل التقوى والمنتجب من عبادك ، اللهم و كما جعلته علماً لعبادك و مناراً لبلادك و مستودعاً لحلمك (لحكمتك خ) و مترجماً لوحيك ، و أمرت بطاعته و حذرت عن معصيته ، فصلّ عليه يارب أفضل ما صليت على أحد من ذرية أنبيائك و أصفيائك و رسلك و امنائك

يا إله العالمين .

الصلاة على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :

اللهم صلّ على عبدك جعفر بن محمد الصادق ، خازن العلم الداعي إليك
بالحق النور المبين ، اللهم و كما جعلته معدن كلامك و وحيك و خازن علمك
و لسان توحيدك و وليّ أمرك و مستحفظ دينك فصلّ عليه أفضل ما صليت على
أحد من أصفياؤك و حججك انك حميد مجيد .

الصلاة على موسى بن جعفر عليه السلام :

اللهم صلّ على الأمين المؤمن ، موسى بن جعفر البسرّ الوفيّ ، الطاهر
الزكيّ النور المنير ، المجتهد المحتسب الصابر على الأذى فيك ، اللهم و كما
بلّغ عن آبائه ما استودع من أمرك و نهيك ، و حمل على المحجّة و كابد أهل
العزّة والشدة فيما كان يلقي من جهّال قومه ، ربّ فصلّ عليه أفضل و أكمل
ما صليت على أحد ممن أطاعك و نصح لعبادك انك غفور رحيم .

الصلاة على علي بن موسى الرضا عليه السلام :

اللهم صلّ على علي بن موسى الرضا الذي ارتضيته و رضيت به من شئت
من خلقك ، اللهم و كما جعلته حجة على خلقك و قائماً بأمرك و ناصرأ لدينك
و شاهداً على عبادك ، و كما نصح لهم في السرّ و العلانية ، و دعا إلى سبيلك
بالحكمة و الموعظة الحسنة ، فصلّ عليه أفضل ما صليت على أحد من أوليائك
و خيرتك من خلقك انك جواد كريم .

الصلاة على محمد بن علي الجواد ابن موسى عليهما السلام :

اللهم صلّ على محمد بن علي بن موسى علم التقى و نور الهدى و معدن
الهدى و فرع الازكياء و خليفة الاوصياء و أمينك على وحيك ، اللهم فكما
هديت به من الضلالة ، و استنقذت به من الجهالة و أرشدت به من اهتدى و زكّيت
به من تزكّى ، فصلّ عليه أفضل ما صليت على أحد من أوليائك و بقيّة اوليائك

انك عزيز حكيم .

الصلاة على علي بن محمد أبي الحسن العسكري عليه السلام :

اللهم صلّ على علي بن محمد وصيّ الاوصياء وإمام الاتقياء ، وخلف أئمة الدين والحجة على الخلائق أجمعين ، اللهم كما جعلته نوراً يستضيء به المؤمنون ، فبشرّ بالجزيل من ثوابك ، و أنذر بالأليم من عقابك ، و حذّر بأسك و ذكّر بآياتك و أحلّ حلالك و حرّم حرامك و بيّن شرائعك و فرائضك و حضّ على عبادتك و أمر بطاعتك و نهى عن معصيتك فصلّ عليه أفضل ما صلّيت على أحد من أوليائك و ذرية أنبيائك يا إله العالمين .

يقول السيد الامام العالم العامل رضی الدين ركن الاسلام أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن محمد الطاووس الحسيني : وجدت في أصل قول بخطّ الشيخ أبو جعفر الطوسي رضوان الله عليه : أبو محمد اليمنى ، و في نسخة اخرى عتيقة قال أبو محمد عبدالله بن محمد اليمنى قال : فلما انتهيت إلى الصلاة عليه أمسك فقلت له في ذلك ، فقال : لولا انه دين أمرنا الله أن نبليغه ، و نؤدّيه إلى أهله لأحببت الامساك ، ولكنه الدين اكتبه :

الصلاة على الحسن بن علي العسكري عليهما السلام :

اللهم صلّ على الحسن بن عليّ الهادي البسرّ التقى الصادق الوفيّ النور المضيء ، خازن علمك والمذكر بتوحيدك و وليّ أمرك ، و خلف أئمة الدين الهداة الراشدين والحجة على أهل الدنيا ، فصلّ عليه يا رب أفضل ما صلّيت على أحد من أصفيائك و حججك على خلقك و أولاد رسلك يا إله العالمين .

الصلاة على ولي الامر المنتظر الحجة بن الحسن عليه السلام :

اللهم صلّ على وليّك و ابن أوليائك الذين فرضت طاعتهم ، و أوجبت حقهم و أذهبت عنهم الرجس و طهّرتهم تطهيراً ، اللهم انصره و انتصر به لدينك و انصر به أوليائه و أوليائه و شيعته و أنصاره و اجعلنا منهم ، اللهم أعذه من شرّ

كل طاغ و باغ ، و من شرّ جميع خلقك ، و احفظه من بين يديه ، و من خلفه
و عن يمينه و عن شماله ، و احرسه و امنعه أن يوصل إليه بسوء ، و احفظ فيه
رسولك و آل رسولك و أظهر به العدل ، و أيّده بالنصر و انصر ناصريه ، و اخذل
خاذليه ، و اقسم به الجبايرة الكفر ، و اقتل به الكفار و المنافقين و جميع الملحدين ،
حيث كانوا من مشارق الارض و مغاربها و برّها و بحرّها ، و سهلها و جبلها ،
و أملاً به الارض عدلاً و أظهر به دين نبيك عليه و آله السلام ، و اجعلني اللهم
من أنصاره و أعوانه و أتباعه و شيعته ، و أرني في آل محمد ما يأملون ، و في
عدوّهم ما يحذرون إله الحق رب العالمين آمين .



﴿ الصلوات على النبي ﷺ وآله ﴾

قال الله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً » الاحزاب : ٥٦)

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن أبي ليلا يقول :
 لقيت كعب بن عجرة فقال : ألا اهدى لك هدية ؟ ان رسول الله ﷺ خرج علينا
 فقلنا : يا رسول الله قد علمتنا السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا :
 اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم انك
 حميد مجيد ، و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل
 ابراهيم انك حميد مجيد .

و في قرب الاسناد : باسناده عن بكر بن محمد قال : سمعت أبا عبد الله
 عليه السلام يقول : و قد قال بعض أصحابه : اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت
 على ابراهيم ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : لا ولكن قل : كأفضل ما صليت و باركت
 على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

و في ثواب الاعمال : باسناده عن أبي المغيرة (أبي المعز الخ) - في
 حديث - قال : قلت لابي الحسن عليه السلام : ما معنى صلاة الله و صلاة ملائكته و صلاة
 المؤمنين ؟ قال : صلاة الله رحمة من الله و صلاة ملائكته ترقية منهم له ، و صلاة
 المؤمنين دعاء منهم له . الحديث

و في الدر المنثور : أخرج ابن مردويه عن أنس ان رهطاً من الانصار

قالوا : يا رسول الله كيف الصلاة عليك ؟ قال : قالوا : « اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم » فقال فتى من الانتصار : يا رسول الله من آل محمد ؟ قال : كل مؤمن .

وفي أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبان بن تغلب عن الباقر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : من صلى عليّ و لم يصل عليّ آلى لم يجد ربح الجنة ، و ان ربحها لتوجد من مسيرة خمسمائة عام .

و فيه : باسناده عن ابن سنان عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ذات يوم لعلى عليه السلام : ألا ابشرك ؟ فقال : بلى بأبى أنت وامى فانك لم تزل مبشراً بكل خير ، فقال : أخبرنى جبرئيل آنفأ بالعجب ، فقال له على عليه السلام : و ما الذى اخبرك يا رسول الله ؟ فقال : أخبرنى ان الرجل من امتى إذا صلى علىّ و اتبع بالصلاة على أهل بيتى فتحت له أبواب السماء وصلت عليه الملائكة سبعين صلاة ، و ان كان مذنباً خطأ ثم تتحت عنه الذنوب كما يتحت الورق من الشجر ، و يقول الله تبارك و تعالى : لبيك يا عبدى و سعديك ، و يقول الله لملائكته : يا ملائكتى انتم تصلون عليه سبعين صلاة ، و أنا اصلى عليه سبعمائة صلاة ، و اذا صلى علىّ و لم يتبع بالصلاة على أهل بيتى كان بينها و بين السماء سبعون حجاباً ، و يقول جل جلاله : لالبيك و لاسعديك يا ملائكتى لاتصعدوا دعاؤه الا أن يلحق بنبيى عترته ، فلا يزال محجوباً حتى يلحق به أهل بيتى .

و فى ثواب الاعمال : باسناده عن أبى المغيرة (أبى المعز اخ) قال سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول - فى حديث - : و من سرّ آل محمد فى الصلاة على النبى و آله « اللهم صل على محمد و آل محمد فى الاولين و صل على محمد و آل محمد فى الاخرين ، و صل على محمد فى الملأ الاعلى ، و صل على محمد و آل محمد فى المرسلين ، اللهم أعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة والدرجة الكبيرة ، اللهم انى آمنت بمحمد ولم أره فلانحرمنى يوم القيامة رؤيته

و ارزقني صحبته و توفني على ملته و اسقني من حوضه مشرباً رويّاً سائغاً
 هنيئاً لا أظمأ بعده أبداً انك على كل شيء قدير، اللهم كما آمنت بمحمد ولم أره
 فعرفني في الجنان وجهه، اللهم بلغ روح محمد عنى تحية كثيرة و سلاماً .
 فان من صلّى على النبي ﷺ بهذه الصلوات هدمت ذنوبه، و محيت
 خطاياہ و دام سروره و استجيب دعاؤه و اعطى أمله و بسط له في رزقه و أعين على
 عدوه و هي له سبب أنواع الخير، و يجعل من رفقائه نبيه في الجنان الا على،
 يقولهن ثلاث مرّات غدوة و ثلاث مرّات عشية .

و في أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن عمرو بن شمر عن أبي جعفر
 عليه السلام قال : ان ملكاً من الملائكة سئل الله أن يعطيه سمع العباد فأعطاه الله، فذلك
 الملك قائم حتى تقوم الساعة ليس أحد من المؤمنين يقول : « صلّى الله على محمد
 و آله و سلم » الا قال الملك : « و عليك السلام » ثم يقول الملك : يا رسول الله
 ان فلاناً يقرئك السلام فيقول رسول الله : و عليه السلام .

و في دعوات الراوندي : عن الصادق عليه السلام : من صلّى على النبي و آله مرّة
 واحدة بنية و إخلاص من قلبه، قضى الله له مائة حاجة منها ثلاثون للدنيا و
 سبعون للآخرة .

و في عيون الاخبار : فيما احتج الرضا عليه السلام على علماء المخالفين بمحضر
 المأمون في تفضيل العترة الطاهرة قال : وأما الآية السابعة فقول الله تعالى : « ان
 الله وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلّموا تسليماً »
 و قد علم المعاندون منهم انه لما نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله قد عرفنا
 التسليم عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال : تقولون : اللهم صلّ على محمد و آل
 محمد كما صلّيت على ابراهيم و على آل ابراهيم انك حميد مجيد، فهل بينكم
 معاشر الناس في هذا خلاف؟ قالوا : لا، قال المأمون : هذا ما لا خلاف فيه أصلاً
 و عليه إجماع الأمة، فهل عندك في الآل شيء أوضح من هذا في القرآن؟ .

قال أبو الحسن عليه السلام : نعم أخبروني عن قول الله عز وجل : « يس و القرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم » فمن عنى بقوله : « يس » ؟ قالت العلماء : « يس » محمد صلى الله عليه وآله لم يشك فيه أحد ، قال أبو الحسن عليه السلام : فان الله عز وجل أعطى محمداً و آل محمد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه و صفه الا من عقله ، وذلك ان الله عز وجل لم يسلم على أحد الا على الانبياء صلوات الله عليهم ، فقال تبارك و تعالی : « سلام على نوح في العالمين » وقال : « سلام على ابراهيم » و قال : « سلام على موسى و هارون » و لم يقل : سلام على آل نوح ، و لم يقل : سلام على آل ابراهيم و لا قال : سلام على آل موسى و هارون ، و قال عز وجل : « سلام على آل يس » يعني آل محمد عليهم السلام .

و في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن ابن أبي عمير عن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي عن أبيه عن جدّه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من قال : صلي الله على محمد و آله ، قال الله جل جلاله : صلي الله عليك فليكثر من ذلك ، و من قال : صلي الله على محمد و لم يصل على آله لم يجدر به الجنة ، و ريعها توجد من مسيرة خمسمائة عام .

و في الكافي : باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من ذكرت عنده فنسى أن يصلّي عليّ خطأ الله به طريق الجنة .

و فيه : باسناده عن ابن القدّاح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمع أبي رجلاً متعلّقاً بالبيت و هو يقول : اللهم صلّ على محمد ، فقال له أبي عليه السلام : لا تبترها لا تظلمنا حقنا ، قل : اللهم صلّ على محمد و أهل بيته .

و في فروع الكافي : عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث - : و من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ فلم يغفر الله له و أبعد الله .

و في الفقيه : باسناده عن أنس بن محمد عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام قال : يا عليّ من نسي الصلاة عليّ فقد

أخطأ طريق الجنة .

وفي مجالس الطوسي قدس سره باسناد عن أبان بن تغلب عن أبي جعفر الباقر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أراد التوسل إليّ و أن تكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة ، فليصلّ عليّ أهل بيتي و يدخل السرور عليهم .

و في المحكم والمتشابه : للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه نقلاً من تفسير النعماني باسناده الآتي عن علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لاتصلّوا عليّ صلاة مبتورة ، بل صلّوا إليّ أهل بيتي و لاتقطعوهم فان كل نسب و سبب يوم القيامة منقطع الأنسبي .

و في عدة الداعي : قال رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث - : أجفئ الناس رجل ذكرت بين يديه فلم يصلّ عليّ .

و في المجمع : عن عبدالله بن مسعود قال : اذا صليّتم عليّ النبي صلى الله عليه وآله فأحسنوا الصلاة عليه فانكم لاندرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال : قولوا : اللهم اجعل صلاتك و رحمتك و بركاتك عليّ سيد المرسلين و إمام المتقين و خاتم النبيين محمد عبدك و رسولك إمام الدين و قائد الخير و رسول الرحمة اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الاولون و الآخرون اللهم صلّ عليّ محمد و آل محمد كما صليّت عليّ ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

و في عيون الاخبار : باسناده عن الفضل بن شاذان عن الرضا عليه السلام في كتابه إليّ المأمون قال : و الصلاة عليّ النبي صلى الله عليه وآله واجبة في كل موطن و عند العطاس و الذبائح و غير ذلك .

و في مصباح الكفعمي : عن الامام عليّ ابن أبي طالب عليه السلام في خطبة يوم الجمعة : « الحمد لله ذي القدرة والسلطان - إليّ أن قال - وأشهد ان محمداً عبده و رسوله الصادق الأمين ، ختم به النبيين و أرسله رحمة للعالمين صليّ الله عليه

وآله أجمعين ، فقد أوجب الصلاة عليه وأكرم مشواه لديه «
 و في تفسير الثعلبي : في قوله تعالى : « ان الله و ملائكته يصلون على
 النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليماً » قالت الصحابة : يا رسول
 الله ! قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على
 محمد و آل محمد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم انك حميد مجيد و بارك
 على محمد و آل محمد كما باركت على إبراهيم و آل إبراهيم انك حميد مجيد .
 رواه الحميدى في الجمع بين الصحيحين ، والبخارى في الجزء السادس
 و مسلم في الصحيح .

هذه هي الكيفية الكاملة للتصليّة ، و أدنى ما يجزى اللهم صل على محمد
 و آل محمد و صلى الله على محمد و آل محمد و نحوهما .



بحث روائي في لحوق آل

في الصلاة على النبي ﷺ

و قد وردت - مضافاً إلى ما تقدم - روايات كثيرة بأسانيد متعددة عن طريق العامة في دخول آل محمد ﷺ في الصلاة على النبي الكريم ﷺ فشير إلى نبذة منها :

١ - روى أبو عبدالله محمد بن ادريس الشافعي في (المسند ج ٢ ص ٩٧ ط مطبعة السعادة بمصر) بأسناده عن أبي هريرة انه قال: يا رسول الله ﷺ كيف نصلي عليك؟ فقال: تقولون: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم، ثم تسلمون على .

٢ - و في (المسند) أيضاً بأسناده عن ابن عجرة عن النبي ﷺ انه كان يقول في الصلاة: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و على آل ابراهيم و بارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

٣ - روى الحافظ البخاري في (صحيحه ج ٦ ص ١٢٠ ط مصر) بأسناده عن ابن عجرة و عن أبي سعيد الخدري و غيرهما .

٤ - البخاري في (تاريخ الكبير ج ٢ القسم الاول ص ٣٥١ حيدر آباد الدكن) .

- ٥ - الحاكم في (المستدرک ج ٣ ص ١٤٨ ط حيدر آباد الدکن) عن طرق عديدة .
- ٦ - الحاكم ايضاً في (معرفة علوم الحديث ص ٣٢ ط دارالكتب المصرية بمصر) .
- ٧ - الحافظ أبو نعيم الاصفهاني في (اخبار اصفهان ج ١ ص ١٣١ ط ليدن) .
- ٨ - الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري الاندلسي في (تجريد التمهيد ص ١٨٥ ط مصر سنه ١٣٥٠ هـ) .
- ٩ - الحافظ ابوبكر الخطيب في (تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢١٦ ط مطبعة السعادة بمصر) متعددة وفي (ج ٨ ص ١٣٣ الطبع) باسناده عن بريدة الخزاعي قال : قلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف السلام عليك ، فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك و رحمتك على محمد و آل محمد كما جعلتها على آل ابراهيم انك حميد مجيد .
- ١٠ - الواحدي النيسابوري في (أسباب النزول ص ٢٧١ ط الهندية بمصر) .
- ١١ - البغوي في تفسير (معالم التنزيل المطبوع بهامش تفسير الخازن) .
- ١٢ - أبو نعيم في (حلية الاولياء) .
- ١٣ - الديلمي في (الفردوس) ما لفظه : عن علي عليه السلام قال : ما من دعاء الا و بينه و بين السماء حجاب الا أن يدعو لمحمد و آل محمد .
- ١٤ - السمعاني في (مناقب الصحابة) .
- ١٥ - ابن العربي الاندلسي المالكي في (أحكام القرآن ج ١ ص ١٨٤ ط مطبعة السعادة بمصر) ما لفظه : عدة روايات تدل على انها - الآية - : « ان الله وملائكته يصلون .. » الآية نزلت في حق النبي صلى الله عليه وسلم وآله الاطهار . ثم ذكر الروايات ...
- ١٦ - الفخر الرازي في تفسير (الكبير ج ٢٥ ص ٢٢٦ ط مصر) ما لفظه :

سئل النبي ﷺ كيف فصلت عليك يا رسول الله؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد و آل محمد كما صليت على ابراهيم و آل ابراهيم ، و بارك على محمد و على آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

١٧ - الذهبي في تلخيص المستدرک المطبوع بهامش المستدرک ج ٣ ص ١٤٨ ط حيدر آباد الدکن .

١٨ - القرطبي في (الجامع لاحكام القرآن ج ١٤ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ ط القاهرة سنة ١٣٥٧هـ) ما لفظه: روايات كثيرة دالة على لحوق الآل بالنبي ﷺ عند الصلاة عليه .

١٩ - محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى ص ١٩ ط مصر سنة ١٣٥٦هـ) .

٢٠ - محيي الدين النووي في (رياض الصالحين ص ٤٥٥ ط مصر) .

٢١ - ابن جرير الطبري في تفسير (جامع البيان ج ٢٢ ص ٢٧ ط الميمنية بمصر) بطرق عديدة .

٢٢ - النظام النيشابوري في تفسير (غرائب القرآن) .

٢٣ - أبو حيان الاندلسي في تفسير (البحر المحيط ج ٧ ص ٢٤٨ ط مطبعة السعادة بمصر) .

٢٤ - اسمعيل بن كثير دمشقي في (تفسيره ج ٣ ص ٥٠٦ ط مصطفى الحلبي بمصر) بطرق عديدة .

٢٥ - الدشتكي الشيرازي في (روضة الاحباب) ذكر عدة روايات ...

٢٦ - الشيخ محمد ادريس الهندي الحنفي في (التعليق الصبيح في شرح المصاييح ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٢) .

٢٧ - المحدث السيد ابراهيم نقيب مصر في (البيان والتعريف ج ٢ ص ١٣٤ ط حلب سنة ١٣٢٩هـ) .

٢٨ - الخازن البغدادي في تفسير (لباب التأويل) .

- ٢٩ - السيوطي في (بغية الوعاء ص ٤٤٢ ط مصر) ذكر عدة روايات .
- ٣٠ - السيوطي الشافعي أيضاً في (الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٥ - ٢١٩ ط مصر) ذكر عدة روايات عن طرق مختلفة . . .
- ٣١ - الهيثمي في (الصواعق المحرقة ص ١٤٤ ط المحمدية بمصر) .
عن عدة .
- ٣٢ - محمد بن پير علي افندي البر كوثي من علماء الدولة العثمانية في (الاربعين حديثاً ص ٢٦٤ ط الآستانة) .
- ٣٣ - محمد الاقكرماني القاضي بازمير من علماء دولة آل عثمان في شرح (الاربعين البكوى ص ٢٤٦ ط الآستانة) .
- ٣٤ - المير محمد صالح الكشفي الترمذي في (مناقب مرتضى ص ٤٥ ط بمبئي بمطبعة محمدى) .
- ٣٥ - الشوكاني في تفسير (فتح القدير ج ٤ ص ٢٩٣ ط مصطفى محمد بمصر) عن عدة .
- ٣٦ - مفتي البغداد محمود الآلوسي في تفسير (روح المعاني ج ٢٢ ص ٧٢ ط المنيرية بمصر) عن عدة .
- ٣٧ - ابوبكر الحضرمي في (رشفة الصادي ص ٢٩ و ٢٤ ط الاعلامية بمصر) .
- ٣٨ - علوي بن طاهر بن عبدالله في (القول الفصل ج ٢ ص ٢٧٢ ط مطبعة ارشيفل) ما لفظه : « السادس و هو ان الله تعالى قال في حق نبيه ﷺ وأهل بيته كما بينته السنة : « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » فهذه صلاة عامة ، و قال في حق المؤمنين : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخبرنكم عن الظلمات إلى النور » فهذه صلاة خاصة ، و قد اتفق العلماء على ان الصلاة على النبي ﷺ التي أخبر الله بها عنه و عن ملائكته ، وأمر المؤمنين بها ليست كصلاته و صلاة ملائكته على سائر المؤمنين .

ثم قال: فما تدل عليه الآية الأولى مفارق لما تدل عليه الآية الثانية، وإن جمعتهما مسمى الصلاة واسمها كما يجتمع الفرس وزيد في مسمى الحيوانية، ويفارق زيد الفرس بالإنسانية ثم إن في ورود الأمر بالصلاة على آل وأهل البيت عند ما سئل الصحابة رسول الله ﷺ عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله بها إثبات لتبعيتهم له ﷺ في هذه الصلاة الخاصة، وحينئذ فلأهل البيت من الصلاة نوع هو أعظم من الصلاة على مؤدى الزكاة وآل أبي أوفى وآل سعد بن عباد، والصلاة على آل مأمور بها شرعاً في سائر الأزمان، ومن كل أحد بخلاف الصلاة على مؤدى الزكاة، فانما تكون من الإمام أو عامله، فلا تطلب من كل أحد ولا في كل وقت وكذلك الصلاة على آل أبي أوفى وآل سعد - إلى ما قال - ثم ذكر الروايات . . .

٣٩ - ذكر ابن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة ١٤٦) ما قال الشافعي

إمام الشافعية :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لأصلاة له .

٤٠ - الدهلوي في (تجهيز الجيش) ما لفظه: وروى أنه ﷺ سئل عن كيفية الصلاة فقال ﷺ: قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد. فقال رجل من الصحابة: وعلى آل محمد؟ فقال ﷺ: من فصل بيني وبين آلبي، «علي» لم ينل شفاعتي. ومن طريق آخر: «فليس من امتي» وقد أشار إلى هذا الحديث جلال الدواني في حاشيته على (شرح التجريد) للقوشجي.

وفي الجامع لأحكام القرآن: ما لفظه: وقال سهل بن عبد الله: الصلاة على محمد ﷺ أفضل العبادات لأن الله تعالى تولّاها هو وملائكته، ثم أمر بها المؤمنين، وسائر العبادات ليس كذلك.

٤١ - ذكر ابن حجر في (الصواعق المحرقة ص ٨٧) قوله تعالى: «إن

الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلموا تسليماً ، و روى جملة من الاخبار الصحيحة الواردة فيها ، وان النبي ﷺ قرن الصلاة على آله بالصلاة عليه لما سئل عن كيفية الصلاة والسلام عليه . ثم قال : وهذا دليل ظاهر على ان الامر بالصلاة على أهل بيته و بقية آله مراد من هذه الآية ، والآء لم يسئلوا عن الصلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ، ولم يجابوا بما ذكر فلما اجيبوا به دلّ على أن الصلاة عليهم من جملة المأمور به ، و انه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه لان القصد من الصلاة عليه مزيد تعظيمه ، ومنه تعظيمهم ، ومن ثمّ لما دخل من مرّ في الكساء قال : اللهم انهم مني و أنا منهم فاجعل صلاتك و رحمتك و مغفرتك و رضوانك على و عليهم .

ثم قال : و قضية إستجابة هذا الدعاء : ان الله صلّى عليهم معه ، فحينئذ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه . و يروى : لا تصلّوا على الصلاة البتراء فقالوا : و ما الصلاة البتراء ؟ قال : تقولون : اللهم صلّ على محمد و تمسكون بل قولوا : اللهم صلّ على محمد و آل محمد .

ثم نقل عن الامام الشافعي قوله :

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله

كفاكم من عظيم القدر انكم من لم يصلّ عليكم لا صلاة له

فقال ابن حجر : فيحتمل لا صلاة له صحيحة ، فيكون موافقاً لقومه بوجوب الصلاة على الآء و يحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه .

و قال ابن حجر في (الصواعق المحرقة ص ١٣٩) ما لفظه : أخرج الدار قطنى والبيهقى حديث من صلّى صلاة و لم يصلّ فيها على و على أهل بيتي لم تقبل منه . و كأن هذا الحديث هو مستند قول الشافعي : ان الصلاة على الآء من واجبات الصلاة كالصلاة عليه ﷺ لكنه ضعيف ، فمستنده الامر في الحديث المتفق عليه : قولوا : اللهم صلّ على محمد و آل محمد و الامر للوجوب حقيقة على الاصح .

و منهم : الفخر الرازي في تفسيره (ج ٧ ص ٣٩١) قال : ان الدعاء للآل منصب عظيم ، و لذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة ، و قوله : اللهم صلّ على محمد و آل محمد و ارحم محمداً و آل محمد . و هذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل ، فكل ذلك يدل على ان حب آل محمد واجب . وقال : أهل بيته عليهم السلام ساووه في خمسة أشياء : في الصلاة عليه و عليهم في التشهد ، و في السلام و الطهارة ، و في تحريم الصدقة ، و في المحبة .

و منهم : النظام النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى : « قل لا أسئلكم عليه أجراً الا المودة في القربى » (الشورى : ٢٣) قال : كفى شرفاً لآل رسول الله عليه السلام و فخراً ختم التشهد بذكرهم و الصلاة عليهم في كل صلاة .

و في صحيح الاخبار : ان النبي عليه السلام قال : من صلّى عليّ ولم يصلّ عليّ آلي لم يجد ربح الجنة و ان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ، و قال عليه السلام : إذا صلّى عليّ و لم يتبع بالصلاة عليّ أهل بيتي كان بينها و بين السماء سبعون حجاً يقول الله عز وجل : لا لبيك و لا سعديك يا ملائكتي لا يصعدوا دعائه إلا أن يلحق بنبيّ عترته ، فلا يزال محبوباً حتى يلحق بي أهل بيتي . و في الروايات : انه لما نظر آدم إلى حواء قال : ياربّ زوجني منها ، فقال جلّ اسمه : هات مهرها يا آدم ، فقال آدم : يا رب ما أعلم قال الله تعالى : يا آدم صلّ عليّ محمد و آل محمد عشر مرات ، فصلّى آدم كما أمره الله جلّ جلاله فنزّله بها .

فاذا كانت الصلاة مهر حواء فكيف لا تكون مهر حور العين !

أقول : و ما يستفاض من الروايات الواردة : ان المراد من آل محمد عليهم السلام

هم أهل بيته المعصومون : من فاطمة الزهراء و أئمتنا إثنى عشر من الامام الاول علي - إلى - الامام الثاني عشر المهدي حجة بن الحسن العسكري صلوات الله عليهم أجمعين و عليه مذهب الحقّة الشيعة الاثني عشرية .

و في الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد بن طاووس رضوان الله تعالى عليه قال : ومن طرائف ما إنتهى إليه إعراضهم عن آل محمد انهم يرون في صحاحهم و عن رجالهم أن النبي ﷺ علمهم إذا صلّوا عليه يصلّون على آله معه ، إذا اعتبرت كتبهم المجلدات ، و ما يجرى على ألسنتهم في المحاورات رأيت أكثر ذلك قد اطرحو فيه ذكر آل محمد فكيف استحسنوا لأنفسهم أن ينجلوا عليهم بهذا المقدار ، وهل يحسن أن يبلغ التعصب عليهم إلى هذه الغاية .

ثم قال : قال عبد المحمود بن داود : ومن عجيب ما رأيت اننى وقفت على هذه الأحاديث في كتبهم المذكورة ، و لما ذكروا النبي ﷺ قالوا : صلى الله عليه و سلم ولم يذكروا و آله ! و هذا هو العناد القبيح والجهل الصريح ، و أما كتبهم فاني قد وقفت على شيء كثير من مجلداتهم ، و سمعت محاوراتهم فما رأيت في شيء مما وقفت عليه بخطوطهم ذكر الصلاة على آل الله عند ذكر الصلاة عليه إلا عند خاتمة المجلدات و المكاتبات في بعض دون بعض .

ثم قال السيد : و من طرائف امورهم انهم قدرروا مثل هذه الأحاديث وصحت عندهم ، و هي تتضمن ان محمداً ﷺ قد أجرى آل الله مجرى نفسه في تعظيم الصلاة عليه .

و قال الشافعي في رواية التنوخي عنه : ان الصلاة على النبي و آله فريضة في الصلاة .

و قال أبو حنيفة : الصلاة على النبي و آله فريضة في الصلاة فأين الاهتمام بمعرفة هؤلاء آل محمد؟ و هذا التعظيم لجميعهم الصالح منهم و الطالح أم لا ؟ فان كان المراد الصالحين منهم فأين التعرف بهم؟ و المعرفة لهم؟ و التعظيم لشأنهم؟ و التخلق بأخلاقهم؟ و ان اهمال هؤلاء الاربعة المذهب (المذاهب) لآل محمد نبينهم مع ما قد شهدوا لهم به ، من الطرائف العجيبة و الغرائب المريبة . انتهى كلامه و رفع مقامه الشريف .

وفي أمالي الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه باسناده عن إسحاق بن عمار
قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وهو قائم عند قبر الرسول (رسول الله خ) صلى الله عليه وآله :
أسئَلُ الذِي إنْتَجَبَكَ وَأَصْطَفَاكَ وَهَدَى بِكَ أَنْ يَصَلِيَ عَلَيْكَ إِنْ أَلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ يَصَلُونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا .



كلام في وجوب الصلاة على محمد وآله

صلوات الله عليهم أجمعين

وقد اتفقت الشيعة الامامية الاثنى عشرية قديماً و حديثاً على وجوب الصلاة على النبي وآله صلوات الله عليهم في تشهد الصلاة ، وإن اختلفوا في غيرها كما اختلفت العامة في وجوبها اطلاقاً ، فلا بد لنا من ذكر كلمات علماء الفريقين : و أما العامة : فمنهم القرطبي في (الجامع لاحكام القرآن) ما لفظه : و لا خلاف في أن الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم فرض في العمر مرة ، و في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها و لا يفقلها الا من لاخير فيه . ثم قال : والذي يقتضيه الاحتياط : الصلاة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار في ذلك .

ومنهم : الزمخشري في (الكشاف) قال : فان قلت : الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجبة أم مندوب إليها ؟ قلت : بل واجبة . و قد اختلفوا في حال وجوبها ، فمنهم من أوجبها كلما جرى ذكره . و منهم من قال : تجب في كل مجلس مرة ، و إن تكرر ذكره . كما قال في آية السجدة و تسميت العاطس . و كذلك في كل دعاء في أوله و آخره . و منهم من أوجبها في العمر .

و في الجامع لاحكام القرآن : قال : و اختلف العلماء في الصلاة على

النبي ﷺ في الصلاة فالذى عليه الجم الغفير والجمهور الكثير ان ذلك من سنن الصلاة ومستحباتها . ثم قال : وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة . ووجب إسحاق الاعادة مع تعمّد تركها دون النسيان . وقال أبو عمر : قال الشافعي : اذا لم يصل على النبي ﷺ في التشهد الاخير بعد التشهد ، و قبل التسليم أعاد الصلاة . قال : و إن صلّى عليه ﷺ قبل ذلك لم تجزه . إلى أن قال :

قلت : قد قال بوجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة محمد بن الموائز من أصحابنا فيما ذكر ابن القصار و عبد الوهاب ، و اختاره ابن العربي للحديث الصحيح : ان الله أمرنا أن نصلّي عليك فكيف نصلّي عليك ؟ فعلم الصلاة و وقتها فتعينت كيفية و وقتاً .

و فيه : ما لفظه : و ذكر الدار قطنى عن أبى جعفر محمد بن على بن الحسين انه قال : لو صلّيت صلاة لم اصل فيها على النبي ﷺ ولا على أهل بيته لرأيت انها لاتم . و روى مرفوعاً عنه عن ابن مسعود عن النبي ﷺ . و الصواب انه قول أبى جعفر عليه السلام قاله الدار قطنى .

و فى مدارك التنزيل : قال عبد الله النسفى : ان الصلاة على محمد و آله واجبة مرة عند الطحاوى و كلما ذكر اسم محمد ﷺ عند الكرخى . ثم قال : وهو الاحتياط و عليه الجمهور ثم قال : و إن صلّى على غير محمد على سبيل التبّع كقوله : صلّى الله على النبي و آله . فلا كلام فيه . و أما الصلوات على آل الرسول ﷺ من غير ذكر الرسول ﷺ فيجوز كما صلّى ﷺ بقوله : اللهم صلّ على أبى أوفى و آل أبى أوفى ، و ان لم يكن واجبة عند ذكر الائمة ﷺ كما يجب على قول عند ذكر الرسول ﷺ .

و فى تفسير ابن كثير الدمشقى : قال : ان بعض أصحابنا اوجب الصلاة على آله ﷺ فيما حكاه البندىنجى و سليم الرازى و صاحبه نصر بن ابراهيم المقدسى

و نقله امام الحرمين و صاحبه الغزالي قولاً عن الشافعي .

ثم قال ابن كثير : و الواجب فيه مرة كالشهادة له بالتفصيل بالنبوة و ما زاد على ذلك فمندوب و مرغّب فيه من سنن الاسلام و شعار أهله ، حاكياً عن القاضي عياض . ثم قال ابن كثير : في ان الوجوب مرة و الباقي مستحب هذا قول غريب فانه قد ورد الامر بالصلاة عليه في اوقات كثيرة ، فمنها مستحب . ثم ذكر الازقات . . . منها : بعد الصلاة و سماعها عن الغير ، و منها : بعد الأذان ، و منها : يوم الجمعة و ليلتها ، و منها حين دخول المسجد ، و منها في صلاة الميت ، و منها على كل حال ، و منها في الكتابة .

و في تفسير روح البيان : ما لفظه : ان أهل السنة إتزموا إدخال «علي» على الآل في الصلوات رداً على الشيعة ، فانهم منعوا ذكر «علي» بين النبي و آله للحديث : « من فصل بيني و بين آلي بـ «علي» لم ينله شفاعتي » .
أقول : فلفظ «علي» الفاصل بين النبي و آله ليس مما ورد في الاخبار في الصلاة ، بل انما هو من التزامات أهل السنة بان يدخلوها في الروايات رغم الشيعة الذين لا يقولون إلا بالروايات الواردة ، فدليل أهل السنة هو العصبية الجاهلية و الالتزام الغلط الذي أوجب التحريف و الدس في الاخبار اذ زادوا كلمة «علي» في الروايات و هذه إحدى الدلائل : ان أهل السنة لا يباليون في تحريف الروايات و الدس فيها . فلا بد من حذف «علي» الفاصل بين محمد و آله صلوات الله عليهم أجمعين .

و فيه : ما لفظه : قال الاصمعي سمعت المهدي علي منبر البصرة يقول : ان الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه و ثنى بملائكته فقال : « ان الله و ملائكته يصلون على النبي . . . » الآية آثره بالتفصيل من بين الرسل و اختصكم بها من بين الامم ، فقابلوا نعمة الله بالشكر و انما بدأ تعالى بالصلاة عليه بنفسه إظهاراً لشرفه و منزلته و ترغيباً للامة فانه تعالى مع استغناؤه إذا كان مصلياً عليه كان الامة أولى به

لاحتياجهم إلى شفاعته و تقوية لصلوات الملائكة و المؤمنين ، فان صلاة الحق
حق ، و صلاة غيره رسم ، و الرسم يتقوى بمقارنة الحق .
ثم قال : و فيه إشارة إلى انه صلى الله عليه و آله و سلم مجلّى تام لأنوار الجمال و الجلال ،
ومظهر جامع لنعوت الكمال به فاض الجود و ظهر الوجود ، فاذا كانت الملائكة مأمورين
بالصلاة عليه صلى الله عليه و آله و سلم فكيف الامة ، وان الصلوات ثمن الشفاعة ، فاذا أدوا الثمن هذا
اليوم يرجى أن يحرزوا المثلث يوم القيامة .

قال شاعر :

| | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| يصلّى عليه الله جلّ جلاله | بهذا أبدأ للعالمين كماله |
| ألا أيها الاخوان صلّوا وسلّموا | على المصطفى في كل وقت وساعة |
| فان صلاة الهاشمي محمد | تنجي من الاهوال يوم القيامة |

ثم قال : وبقدر صلواتهم عليه صلى الله عليه و آله و سلم تحصل المعارفة بينهم وبينه ، و علامة
المصلى يوم القيامة بياض لسانه ، و علامة التارك سواده ، و بهما تعرف الامة
يومئذ ، و في صيغة المضارع في الصلاة ما لا يخفى من دلالة الاستمرار و التجدد
في كل آن .

قال شاعر :

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| شعبان شهر رسول الله فاغتنموا | صيام أيامه الغرّ الميامين |
| صلّوا على المصطفى في شهره وارجوا | منه الشفاعة يوم الحشر و الدين |

و قال آخر :

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| على المصطفى صلّوا فان صلاته | أمان من الآفات و الخطرات |
| تحيته أصل الميامن فاطلبوا | بها جملة الخيرات و البركات |

و من العامة : ابو القاسم حمزة بن يوسف بن ابراهيم سهمي فسي (تاريخ
جرجان ص ١٤٨ ط حيدرآباد الدكن) باسناده عن علي عليه السلام قال : ان الله فرض
على العالم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و قرننا به ، فمن صلى على رسول الله

ﷺ و لم يصل علينا لقي الله تعالى و قد تبر الصلاة عليه و ترك أوامره .
رواه القاضي عياضى أبو الفضل اليحصبى الاندلسى فى كتابه (الشفا ص ٥٥
ط الآستانة) و نعم ما قال العبدى الكوفى :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| محمد و صنوه و ابنته | و ابنه خير من تحفى و احتذا |
| صلتى عليهم ربنا بارى الورى | و منشىء الخلق على وجه الثرى |
| صفاهم الله تعالى و ارتضى | و اختارهم من الأنام و اجتبى |
| لولاهم الله ما رفع السماء | ولا دحى الارض ولا أنشأ الورى |
| لا يقبل الله لعبد عملاً | حتى يوايهم باخلاص الولا |
| و لا يتم لامرء صلته | إلا بذكراهم و لا يزكو الدعا |

و فى البيت الاخير إشارة إلى كون الصلاة عليهم مأموراً بها فى الصلاة .
و فى (نيل الاوطار ج ٢ ص ٢٩٤) عن أبى مسعود الانصارى قال : أتانا
رسول الله ﷺ و نحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد : أمرنا
الله أن نصلتى عليك فكيف نصلتى عليك؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ ثم قال : قولوا : اللهم
صل على محمد و آل محمد كما صليت على آل ابراهيم ، و بارك على محمد و آل
محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد . و السلام كما قد علمتم .
رواه أحمد و مسلم و النسائى و الترمذى و صححه . و قد استحسن كثير من أهل
السنة الاستدلال بحديث أبى مسعود على وجوب الصلاة حيث يستظهر منه أن
وجوب الصلاة كان مفروضاً عنه فى الصلاة . و استدل به فى (سبل السلام ج ١ ص
١٩٣) على وجوب ذكر الآل أيضاً بانه حيث أجاب عن السؤال عنها انها الصلاة
عليه ﷺ و آله ، فمن لم يأت بالآل ، فما صلّى عليه بالكيفية التى أمر بها ،
فلا يكون ممثلاً للامر ، فلا يكون مصلياً عليه .

و غير ذلك من كلمات العامة . . .

و أما الشيعة الامامية الاثنى عشرية : فقال الفاضل المقداد فى كنز

العرفان في ذيل قوله تعالى : « ان الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه و سلموا تسليماً » فهنا فوائد :

١ - ذهب أصحابنا و الشافعي و أحمد إلى وجوب الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة خلافاً لأبي حنيفة و مالك فانهما لم يوجباها و لم يجعلها شرطاً في الصلاة . و استدل بعض الفقهاء بما تقريره : شيء من الصلاة على النبي ﷺ واجب و لاشيء من ذلك في غير الصلاة بواجب ينتج انها في الصلاة واجبة ، أما الصغرى فلقوله : « صلوا » و الامر حقيقة في الوجوب ، و أما الكبرى فظاهره و فيه نظر لمنع الكبرى كما يجيء ، و حنيئذ فالاولى الاستدلال على الوجوب بدليل خارج أما من طرقهم ، فما روه عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تقبل صلاة الا بظهور و بالصلاة على » و كذا عن أنس عن النبي ﷺ : « قال اذا صلّيتي أحدكم فليبدأ بحمد الله ثم ليصلّ عليّ » .

و من طرقنا ما رواه أبو بصير و غيره عن الصادق عليه السلام : « قال : من صلّيتي و لم يصلّ عليّ النبي ﷺ و تركه عمداً فلا صلاة له » ان الشيخ جعلها ركناً في الصلاة ، فان عنى الوجوب و البطلان بتركها عمداً فهو صحيح ، و إن عنى تفسير الركن بانه ما يبطل الصلاة بتركه عمداً و سهواً فلا .

٢ - قال علمائنا أجمع : ان الصلاة على النبي واجب في التشهدين معاً ، و به قال أحمد و قال الشافعي مستحب في الاول ، و واجب في الاخير ، و قال مالك و أبو حنيفة هي مستحبة فيهما . دليل أصحابنا - الشيعة الامامية الاثني عشرية - روايات كثيرة عن أئمتهم عليهم السلام .

٣ - هل يجب الصلاة على النبي في غير الصلاة أم لا ؟ ذهب الكرخي إلى وجوبها في العمر مرة ، و قال الطحاوي كلما ذكر و اختاره الزمخشري ، و نقل عن ابن بابويه من أصحابنا و قال بعضهم : في كل مجلس مرة .

ثم قال المقداد قدس سره : و المختار الوجوب كلما ذكر لدلالة ذلك على

التنويه بذكر شأنه والشكر لاحسانه المأمور بهما ، ولانه لولاه لكان كذا ذكر بعضنا بعضاً ، وهو منهي عنه في آية النور وهي قوله : « ولا تجعلوا دعاء الرسول » (الاية : ٦٣) . و لما روى عنه عليه السلام : « من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فدخل النار فأبعده الله » والوعيد إمامة الوجوب ، و روى : انه قيل له : يا رسول الله أرايت قول الله : « ان الله وملائكته يصلون على النبي » فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا من العلم المكنون ولولا انكم سئلتموني عنه لما أخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي عليّ الا قال له ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته آمين ولا اذكر عند مسلم فلا يصلي عليّ الا قال له الملكان لاغفر الله لك وقال الله تعالى و ملائكته آمين » و أما عند عدم ذكره فيستحب استجابة مؤكداً لتظافر الروايات على أن الصلاة عليه وعلى آله تهدم الذنوب و توجب إجابة الدعاء المقرون بها .

٤ - روى كعب بن عجرة قال : لما نزلت الاية قلنا : يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : قولوا : اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد و آل محمد كما باركت على ابراهيم و آل ابراهيم انك حميد مجيد .

٥ - دلّ حديث كعب المذكور على مشروعية الصلاة على الآل تبعاً له عليه السلام و عليه اجماع المسلمين ، و هل يجوز الصلاة عليهم لا تبعاً له بل أفراداً كقولنا : اللهم صل على آل محمد بل الواحد منهم لا غير أم لا ؟ قال أصحابنا : بجواز ذلك . وقال الجمهور بكراهته لان الصلاة على النبي صارت شعاراً له فلا تطلق على غيره و لا يهامه الرفض والحق ما قاله الاصحاب لوجوه :

الاول : قوله تعالى مخاطباً للمؤمنين كافة : « هو الذي يصلي عليكم و ملائكته » و هو نص في الباب .

الثاني : قوله : « الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله و انا اليه راجعون

اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة» ولا ريب ان أهل البيت عليهم السلام اصيبوا بأعظم المصائب الذي من جعلتها اغتصابهم مقام إمامتهم .

وقوله تعالى : « وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » التوبة : (١٠٣) فكما ان أخذ الزكاة ليس مختصاً بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فكذلك الصلاة .

الثالث : انه لما أتى أبو أوفى بزكاته قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اللهم صل على أبي أوفى و آل أبي أوفى » فيجوز على أهل البيت عليهم السلام بطريق أولى .

الرابع : ان الصلاة من الله بمعنى الرحمة و يجوز الرحمة عليهم إجمالاً و يجوز مرادفها لما تقرر في الاصول انه يجوز إقامة أحد المترادفين مقام الآخر .

الخامس : قولهم: انه صار شعاراً للرسول صلى الله عليه وآله وسلم قلنا مصادرة على المطلوب لانها كما دلّت على الاعتناء برفع شأنه كذلك تدل على الاعتناء برفع شأن أهله القائمين مقامه و يكون الفرق بينهم و بينه وجوبها في حقه عليه السلام كلما ذكر كما اخترناه . إن قلت : عادة السلف قصره على الانبياء قلت : العادة لا تخصص كما تقرر في الاصول هذا مع أن من أعظم السلف الباقر والصادق عليهما السلام ولم يقلوا بذلك .

السادس : ان قولهم : ان ذلك يوهم الرفض تعصب محض و عناد ظاهر نظير قولهم من السنة تسطيع القبور لكن لما اتخذته الرفضة شعاراً لقبورهم عدلنا عنه إلى التسليم فعلى هذا كان يجب عليهم ان كل مسألة قال بها الامامية أن يفتوا بخلافها ، و ذلك هو محض التعصب وال عناد نعوذ بالله من الالهواء المضلة والآراء الفاسدة ...

٦ - مذهب علمائنا أجمع انه يجب الصلاة على آل محمد في التشهدين وبه قال بعض الشافعية و في إحدى الروايتين عن أحمد و قال الشافعي بالاستحباب لنا رواية كعب ، و قد تقدمت في كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم و اذا كانت الصلاة عليه واجبة كانت كيفيتها واجبة أيضاً . و روى كعب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول ذلك في صلاته و قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » و عن جابر الجعفي عن

الباقر عليه السلام عن أبي مسعود الانصاري قال : قال رسول الله ﷺ : من صلى صلاة و لم يصل فيها عليّ و علي اهل بيتي لم تقبل منه .

أقول: و تزيد علي ذلك ما رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن محمد بن هارون عن أبي عبدالله عليه السلام قال : اذا صلى أحدكم و لم يصل علي النبي في صلاته يسلك بصلاته غير سبيل الجنة .

رواه البرقي في المحاسن باسناده عن أبي جميلة والصدوق في أماليه إلا ان في الامالي و لم يذكر « النبي ﷺ » بدل « و لم يصل علي النبي ﷺ » .

و في البحار: بالاسناد عن جابر الجعفي قال : سمعت أبا عبدالله يقول : اذا صلى أحدكم فنسى أن يذكر محمداً وآله في صلاته سلك بصلاته غير سبيل الجنة و لا تقبل صلاة الا أن يذكر فيها محمد و آل محمد .

ثم قال: لعل النسيان بمعنى الترك أو محمول على نسيان مستند إلى تقصيره و عدم اهتمامه .

و في فلاح السائل: يقول في التشهد : « بسم الله و بالله و الاسماء الحسنی كلها لله أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمداً عبده و رسوله اللهم صل علي محمد و آل محمد و تقبل شفاعته في امته و ارفع درجته » و إن اقتصر علي الشهادة لله جل جلاله بالوحدانية و لمحمد ﷺ بالرسالة و علي الصلاة عليه و آل له أجزاء ذلك .

٧ - الذين تجب الصلاة عليهم في الصلاة و يستحب في غيرها هم الائمة المعصومون عليهم السلام لاطباق الاصحاب علي انهم هم الآل و لان الامر بذلك مشعر بغاية التعظيم المطلق الذي لا يستوجبه الا المعصومون و أما فاطمة عليها السلام ، فتدخل أيضاً لانها بضعة منه ﷺ .

٨ - استدل بعض شيوخنا علي وجوب التسليم المخرج عن الصلاة بما تقرره: بشيء من التسليم واجب + و لا شيء منه في غير الصلاة بواجب = فيكون

وجوبه في الصلاة و هو المطلوب أما الصغرى فلقوله : « و سلموا » الدال على الوجوب ، و أما الكبرى فلاجتماع و فيه نظر لجواز كونه بمعنى الانقياد كما تقدم سلمنا لكنه سلام على النبي ﷺ لسياق الكلام و قضية العطف و أنتم لا تقولون انه المخرج من الصلاة بل المخرج غيره .

٩ - استدل بعض شيوخنا المعاصرين على انه يجب إضافة « السلام عليك أيها النبي و رحمة الله و بركاته » على التشهد الأخير بما تقريره : السلام على النبي ﷺ واجب + ولا شيء منه في غير التشهد الأخير بواجب ينتج = انه فيه واجب .

أقول: اذا ثبت وجوب الصلاة على النبي ﷺ في التشهد بقوله تعالى : « صلوا عليه » ثبت وجوب التسليم بقوله : « سلموا تسليماً » فالقول باختلاف الحكم بينهما غير وجيه .

و في البحار : عن أبي حازم قال : سئل علي بن الحسين عليه السلام ما افتتاح الصلاة ؟ قال : التكبير ، قال : ما تحريمها ؟ قال : التكبير ، قال : ما تحليلها ؟ قال : التسليم .

و في الهداية : قال الصادق عليه السلام : تحريم الصلاة التكبير ، و تحليلها التسليم .
و في المنار : قال : و الافضل الجمع بين الصلاة و السلام عليه عليه السلام و علي آله و أكثر المسلمين ينصرون بالسلام الانبياء و الملائكة ، و كذا جماعة آل بيته عليهم السلام و الشيعة يلتزمون السلام على السيدة فاطمة و بعلها و ولديهما و الائمة المشهورين من ذرية السبطين و يوافقهم كثير من أهل السنة و غيرهم في الزهراء و السبطين و والدهما سلام الله و رضوانه عليهم اذا ذكروا جماعة أو أفراداً ، و أما الصلاة و السلام على آل بالتبع للرسول عليه السلام فهو مجمع عليه ، و منه صلاة التشهد .

أقول: و قد دلت الاخبار الصحيحة على وجوب الصلاة على النبي الكريم

عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى آلِهِ كَمَا ذَكَرَهُ ذَاكِرٌ بِاسْمِهِ : « مُحَمَّدٌ » سِوَاءِ إِتْحَادِ مَجْلِسِ الذِّكْرِ أَمْ تَعَدُّدٍ ، وَ سِوَاءِ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَابِقاً أَمْ لَا ، وَ عَلَيْهِ إِتْفَاقُ أَصْحَابِنَا الْإِمَامِيَّةِ الْإِثْنَيْ عَشْرِيَّةِ . وَ أَمَّا إِذَا ذَكَرَ بِلِقْبِهِ أَوْ بِكُنْيَتِهِ أَوْ بِالضَّمِيرِ الرَّاجِعِ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَسْتَحِبُّ الصَّلَاةَ إِسْتِحْبَاباً مُؤَكِّداً ، فَالاحتياط لا يترك .

وَ تَجِبُ الصَّلَاةُ عِنْدَ ذِكْرِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَوْ كَانَ السَّامِعُ مَشْغُولاً بِالصَّلَاةِ الْوَاجِبَةِ ، فَيَقْطَعُهَا وَ يَصَلِّيَ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثُمَّ يَمْضِي عَلَى صَلَاتِهِ مِمَّا قَطَعَهُ .

وَ يَنْبَغِي أَنْ تَكْتُبَ الصَّلَاةَ لَا بِلَفْظِ الرَّمْزِ مِثْلَ : « ص » أَوْ « صَلِّعَم » وَ نَحْوَهُمَا كَمَا هُوَ الْمَتَعَارَفُ بَيْنَ ضَعْفَاءِ الْوَلَايَةِ لِأَهْلِ بَيْتِ النَّبُوَّةِ فِي هَذِهِ الْأَعْيَادِ . . .

وَ قَالَ الشَّهِيدُ الثَّانِي رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ : أَوَّلُ مَنْ كَتَبَ « صَلِّعَم » قَطَعَتْ يَدَهُ وَأَقْلَمَ مَا فِي الْإِخْلَالِ بِهَا تَفْوِيثَ الثَّوَابِ الْعَظِيمِ عَلَيْهَا . فَقَدْ وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلْ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَغْفِرُ لَهُ مَا دَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ . إِنَّتْهِى كَلَامُهُ وَ رَفَعَ مَقَامَهُ .



﴿ الأيذاء واللعنة ﴾

قال الله تعالى : « ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا و
الآخرة و أعد لهم عذاباً مهيناً و الذين يؤذون المؤمنين و المؤمنات بغير ما
اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و إنمأ مبيناً - يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا » الاحزاب : ٥٧ - ٥٩)

الذى : كل ما تأذيت به من القول و الفعل ، و من الشوك و النجاسة ، و
الصوت النكير و الريح النتن ، و ما يصل إلى الكائن الحى من الضر فى نفسه أو
جسمه أو فى تبعاته دنيوياً أو آخروياً يوجب الاغتمام به . و الأيذاء : إيصال
المكروه إلى غيره حساً أو معنى ، الأذية : اسم من الأذى .

وقد أورد الله تعالى فى الايات السابقة الذين يؤذون الله جل و علا ورسوله
ﷺ باللعنة فى الحياة الدنيا و الآخرة ، و بالعذاب المهين ، و نهى عن إيذاء
المؤمنين بغير حق ، و نهاهم عن إيذاء النبى الكريم ﷺ ، و قد أغمض عمر
بن الخطاب عن هذا النهى المؤكد ، و هذا اللعن و العذاب إذ أذى الرسول
الخاتم ﷺ باجترائه الهديان إلى رسول الله المعصوم ﷺ حين وفاته إذ أراد
الوصية بالكتابة ، و أذى الامام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام بتضييع حقه
فى أمر الخلافة ، و فى غيرها ... و أذى بضعة النبى الكريم ﷺ فاطمة الزهراء سلام الله
عليها و أذى الامة الاسلامية كافة إلى يوم القيامة بالفرقة بينهم ان تصدى ما ما كان يليقأله...
و نحن نشير فى المقام نبذة إلى ما ورد عن الطريقين فى إيذائه رسول الله ﷺ ، و أما

ماورد عن حملة آثار العامة في أسفارهم فمنها :

- ١ - روى سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص ص ٩٨ ط النجف الاشرف) عن أبي حامد الغزالي في كتاب (سر العالمين) انه قال ﷺ قبل وفاته بيسير: « اعطوني بدوات و بياض لأكتب لكم كتاباً لا تختلفون فيه بعدى » فقال عمر: دع الرجل انه ليهجر.
- ٢ - قال الحلبي في (السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٨٢ ط مصر) باب مرض النبي ﷺ ما لفظه: فقال بعضهم و هو سيدنا عمر: ان رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع و عندكم القرآن .
- ٣ - روى أحمد في (المسند ج ١ ص ٣٢٥ الطبع المصرى القديم) بهذا المضمون .
- ٤ - في (شرح الموافق ج ٢ ص ٤٧٩ ط مصر) قال عمر: ان النبي ﷺ قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله .
- ٥ - في (صحيح البخارى فى الجزء الاول ص ٣٠ ط الاميرية بمصر)
- ٦ - في (صحيح مسلم فى الجزء الخامس ص ٧٦ ط الصبيح بمصر)
- ٧ - في (مجمع الزوائد فى الجزء التاسع ص ٣٦ ط مصر) و فيه رواية عن عمر بن الخطاب غير ما رواه صاحب الصحيحين .
- ٨ - في (حياة النبي ﷺ ج ٣ ص ٣٣٩ مخطوط)
- ٩ - ابن سعد في (الطبقات ج ٤ باب مرض النبي ﷺ) عن ابن عباس: فقال عمر: ان رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله . وفي رواية: عن جابر بعد ما ذكر ما رواه عن النبي ﷺ قال: فكان فى البيت لغط و كلام و تكلم عمر بن الخطاب فرضه النبي ﷺ . و فى رواية: عن عمر بن الخطاب: ان النسوة قلن: اعطوا رسول الله ﷺ بحاجته قال عمر: قلت: اسكتن فانكن صوابه اذا مرض عصرتن أعينكن و اذا صح أخذتن بعنقه فقال ﷺ: هن خير منكم .

١٠ - روى الخطيب الكازرونى فى كتاب (مولد النبى ﷺ) باب مرض النبى ﷺ مخطوط) ما لفظه : فقال عمر : ان رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله .

١١ - ما يظهر من (المناقب المرتضوية) لمحمد صالح الترمذى الكشفى الحنفى من مشاهير أعلام السنة فى القرون المتأخرة : ان صدور تلك المقالة من الثانى - عمر بن الخطاب - فى مرض النبى ﷺ وبمحضرة من المسلمات ، وانه تجاسر بقوله : « ان هذا الرجل اشتد وجعه حسبنا كتاب الله » وقال الترمذى بعد هذه القضية : انها مما اتفق عليه .

١٢ - فى كتاب (مدارج النبوة ص ٥٣٢ ط كان پور) للمحدث الشهير المولوى شاه عبدالعزىز الدهلوى الهندى . وقد نقل ما هو صريح فى ذلك .

١٣ - نص على ذلك المولى شمس الدين الهروى فى كتاب (السيرة ص ٣٩ ط بمبئى)

١٤ - ما ورد فى (صحيح البخارى ج ١ ص ٣٠ الطبع الجديد بمصر)

١٥ - ما ورد فى (صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٦ الطبع الجديد بمصر)

١٦ - ما ورد فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤ ط مصر) من عدة روايات

غير ما فى الصحيحين . فراجع

* الامام الحق أمير المؤمنين علي عليه السلام والايذاء *

و قد وردت روايات كثيرة باسناد عديدة عن طريق العامة : ان ايذاء علي بن ابي طالب عليه السلام هو ايذاء النبي الكريم ﷺ وايذائه ﷺ هو ايذاء الله جل و علا ، و ايذائه يوجب اللعن في الحياة الدنيا والاخرة والعذاب المهين .
 ١ - روى احمد بن حنبل في (المسند ج ٣ ص ٤٨٣ ط اليمينية بمصر) باسناده عن عمرو بن شاس الاسلمى : قال رسول الله ﷺ : من آذى علياً فقد آذاني . رواه سنداً جماعة من حملة آثار العامة في أسفارهم وقفت منها إلى الآن نحو أربعة وعشرين كتاباً :

و منهم : الحاكم النيشابورى في (المستدرک ج ٣ ص ١٢٢ ط حيدرآباد الدكن) و لما ذكر الحديث قال : هذا حديث صحيح الاسناد .
 و منهم : الطبرى في (منتخب ذيل المذيل ص ١٠٨ ط الاستقامة بمصر) .
 و منهم : سبط ابن الجوزى في (تذكرة الخواص ص ٤٩ ط الغرى) .
 و منهم : الطبرى في (الرياض النضرة ج ١ ص ١٦٥ ط محمد أمين الخانجى بمصر) و فى (ذخائر العقبى ص ٦٥ ط مكتبة القدسى بمصر) .
 و منهم : ابن كثير الدمشقى في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٦ ط حيدرآباد) و غيرهم تركنا للاختصار .

٢ - روى البيهقى في (المحاسن والمساوى ص ٤١ ط بيروت) عن مصعب عن أبيه سعد بن أبى وقاص قال : سمعت النبي ﷺ يقول : مالكم و لعلى من

آذى علياً آذاني .

رواه جماعة من أعلام العامة :

ومنهم : أخطب خوارزم في (المناقب ص ٨٩ ط تبريز) .

ومنهم : ابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٦ ط

حيدرآباد) .

ومنهم : الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٩ ط مكتبة

القدس بالقاهرة) .

ومنهم : السيوطي في (تاريخ الخلفاء ص ١٧٢ ط السعادة بمصر) .

ومنهم : ابن حجر الهيتمي في (الصواعق المحرقة ص ٧٣ ط الميمنية بمصر) .

ومنهم : البدخشي في (مفتاح النجا ص ٦٣) .

ومنهم : الصبان في (اسعاف الراغبين ص ١٧٦ ط مصر) .

ومنهم : الشبلنجي في (نور الابصار ص ٧٣ ط العامرة بمصر) .

ومنهم : القندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٨٢ ط اسلامبول)

وغيرهم ...

٣ - روى السمعاني في (الانساب ص ١٧٩) عن عبيد بن ثعلبة : ان النبي

ﷺ قال : من آذى علياً فقد آذاني .

٤ - روى القرطبي في (الاستيعاب) المطبوع بذييل (الاصابة ج ٣ ص ٣٧

ط مطبعة مصطفى محمد بمصر) ما لفظه : وردت طائفة من الصحابة قال رسول

الله ﷺ في حديث : من آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله .

رواه الكشي الترمذي الحنفي في (المناقب المرتضوية ص ٨٠ ط بمبئي) .

والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة ص ٢٠٥ ط اسلامبول) .

٥ - روى ابن المغازلي الواسطي الشافعي في (المناقب) باسناده عن جابر

بن عبد الله الانصاري : ان النبي ﷺ قال : يا أيها الناس من آذى علياً بعث يوم

القيامة يهودياً أو نصرانياً. فقال جابر ابن عبد الله: يا رسول الله فان شهدوا لا إله الا الله و انك رسول الله؟ قال: يا جابر كلمة يحتاجون بها ألا تسفك دمائهم و تؤخذ أموالهم و ان يعطوا الجزية عن يدهم صاغرون .

رواه الدهلوى فى (تجهيز الجيش ص ١٣٦) باختلاف يسير .

٦- روى الحافظ ابن عبد البر فى (الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦١ ط حيدرآباد)

ما لفظه : قال رسول الله ﷺ : من أحب علياً فقد أحبني ، و من أبغض علياً فقد أبغضني و من آذى علياً فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله .

رواه الطبرى فى (ذخائر العقبى ص ٦٥ ط مكتبة القدسى بمصر) و فى

(الرياض المنيرة ج ٢ ص ١٦٦ ط مصر) .

٧- روى المناوى فى (الكواكب الدرية ج ١ ص ٣٩ ط الازهرية بمصر)

ما لفظه : قال رسول الله ﷺ من آذى علياً فقد آذاني ، و من سبه فقد سبني و من أبغضه فقد أبغضني و من أحبه فقد أحبني .

٨- روى ابن حجر الهيتمى فى (مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ ط مكتبة

القدسى بمصر) عن بريدة قال : قال النبى ﷺ : ما بال أقوام ينتقصون علياً من تنقص علياً فقد تنقصني .

رواه الامر تسرى فى (أرجح المطالب ص ٥١١ ط لاهور) والديلمى فى

(الفردوس) .

٩- روى الحاكم الحسكافى الحنفى فى (شواهد التنزيل ج ٢ ص ٩٧ ط

بيروت سنة ١٣٩٣هـ) باسناده عن الحسين بن على وهو أخذ بشعره قال : حدثني

على بن أيبطال وهو أخذ بشعره قال : حدثني رسول الله ﷺ وهو أخذ بشعره

فقال : من آذى شعرة منك فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله و من آذى الله

فعليه لعنة الله .

وفيه : باسناده عن ام سلمة زوج النبى ﷺ قالت : قد سمعت رسول الله

يقول لعلى ابن أبي طالب : أنت أخي و جيبى من آذاك فقد آذاني .

و في ذيله : بالاسناد عن الحسين بن علي عليه السلام وهو أخذ بشعره قال : حدثني
أبي علي ابن أبي طالب و هو آخر بشعره قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله و هو
أخذ بشعره قال : من آذى شعرة مني فقد آذاني ، و من آذاني فقد آذى الله و
من آذى الله لعنه الله ملأ السموات و ملأ الارض و لا يقبل الله منه صراً ولا عدلاً .

١٠ - روى ابن حنبل في كتاب (الفضائل حديث ٢١١) باسناده عن أبي

الاسود عن عروة ان رجلاً وقع في علي بن ابيطالب بمحضر من عمر فقال له عمر .
أتعرف صاحب هذا القبر ؟ هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، و علي بن ابيطالب
بن عبد المطلب ، فلا تذكر علياً الاً بخير فانك إن أبغضته آذيت هذا في قبره .

و لسائل أن يسئل في المقام : ان الذين تصدوا الخلافة بعد النبي الكريم

صلى الله عليه وآله فلتة و من غير حق و لا لياقة لها ، و قد كانت حقاً للامام أمير المؤمنين
علي بن ابيطالب عليه السلام فغضبوا و أوجدوا بذلك فرقة بين الامة الاسلامية فانحطوا
بما انحطوا ثم أيد هؤلاء الغاصبين مردتهم و آمن بهم أذناهم على طريق جواز
تقديم المفضول على الفاضل و الجاهل على العالم ، و علي ان الخلافة و الامامة
بعد النبي الخاتم صلى الله عليه وآله من الامور الانتخابية العادية - التي خطأها أكثر من
صوابها - و ليست انتصائية سماوية لا خطأ فيها قط . . . ألم تكن هذه ايداء علي
مولي الموحدين أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام يوجب لا ايداء النبي صلى الله عليه وآله
الموجب لا ايداء الله جل و علا الموجب للعن و العذاب المهين ؟؟؟ .

و هل يكون الايداء مقصوداً في الشتم و السب باللسان ؟ أو في الضرب

و القتل في المحراب ؟

أم يكون كتمان الحق و هضمه حياً و ميتاً من الايداء ؟؟؟

و نحن لسنا بصدد الجواب ، فعلى القارئ المنصف الحر التدبر ثم القضاء .

و نختم البحث بذكر بعض ما يناسب المقام :

١ - روى الطبراني في (المعجم الكبير ص ١٣٢) عن أنس بن مالك -
في حديث - قال رسول الله ﷺ في الحسن بن علي عليه السلام : إبنى وثمره فؤادى
فانه من آذى هذا فقد آذانى و من آذانى فقد آذى الله .

رواه جماعة من أعلام العامة :

منهم : الهيثمى في (مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٨٤ ط القدسي بالقاهرة) .
* ومنهم : الهندى في (منتخب كنز العمال) المطبوع بهامش (المسند
ج ٥ ص ١٠٢ ط الميمنية بمصر) .

و منهم : البدخشى في (مفتاح النجا ص ١١٥) .

و منهم : الامر تسرى في (أرجح المطالب ص ٢٦٩ ط لاهور) وغيرهم .

٢ - روى احمد بن حنبل في (المسند ج ٤ ص ١٣٢ ط الميمنية بمصر)

باسناده عن خالد بن معدان قال : وفد المقدم بن معدى كرب وعمر بن الاسود
إلى معاوية فقال معاوية للمقدم : أعلمت ان الحسن بن علي توفى ، فرجع المقدم ،
فقال له معاوية : أتراها مصيبة ؟ فقال : ولم لا أراها مصيبة ، وقد وضعه رسول الله
ﷺ في حجره و قال : هذا منى و حسين من على رضى الله عنهما !

رواه بعينه سنداً و متنأ جماعة منهم :

١ - الكنجى الشافعى في (كفاية الطالب ص ٢٦٧ ط القاهرة) .

٢ - محب الدين الطبرى في (ذخائر العقبى ص ١٣٣ ط القدسي بالقاهرة) .

٣ - الطبرانى في (المعجم الكبير ص ١٣٢) .

٤ - با كثير الحضرمى في (وسيلة المآل ص ١٦٥) و غيرهم .

و أما ايذاء عمر بن الخطاب لفاطمة الزهراء بضعة رسول الله ﷺ فأوردنا

الروايات الواردة فيه عن طريق العامة في محله فراجع .

﴿ في النهي عن ايداء المؤمنين ﴾

قال الله تعالى : « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً » الاحزاب : ٥٨)

وقد ورد في المقام روايات كثيرة نشير إلى نبذة منها :

في الكافي : باسناده عن هشام بن سالم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال الله عز وجل : لياذن بحرب مني من أذى عبدى المؤمن وليأمن غضبي من أكرم عبدى المؤمن . الحديث ...

وفيه . باسناده عن المفضل ابن عمر قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : اذا كان يوم القيامة نادى مناد : أين الصدود لأوليائي ؟ فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم ، فيقال : هؤلاء الذين آذوا المؤمنين و نصبوا لهم وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ، ثم يؤمر بهم إلى جهنم .

قوله عليه السلام « أين الصدود » أى أين الذين كانوا يصدون أوليائي عن نشر المعارف والحكم ومعالم الدين . وقيل : أى أين المعرضون عن اوليائي المعادون لهم أو أين الماتعون لهم عن حقوقهم أو أين المستهزؤون بهم .

وفيه : فى حديث طويل - و قال على بن الحسين عليه السلام : وكف الأذى من من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً .

وفى الصحيفة السجادية : - من دعاء الامام زين العابدين وسيد الساجدين على بن الحسين عليه السلام فى طلب العفو والرحمة - اللهم صل على محمد وآله واكسر

شهوتمى عن كل محرم وازو حرمى عن كل مائمه وامنعنى عن اذى كل مؤمن ومؤمنة
ومسلم ومسلمة .. « الدعاء .

وفى رواية: قال رسول الله ﷺ: ان الله وضع أربعاً فى أربع : بركة
العلم فى تعظيم الاستاذ ، وبقاء الايمان فى تعظيم الله ، ولذة العيش فى بر الوالدين ،
والنجاه من النار فى ترك اىذاء الخلق .

وفى رواية: عن ابن عباس : انه استند إلى جدار الكعبة وقال : يا كعبة
ما أعظم حرمتك على الله لكنى لو هدمتك سبع مرات كان احب إلى من أن اودى
مسلماً مرة واحدة .

وفى رواية: : عن وهب بن منبه انه قال : جمع عالم من علماء بنى اسرائيل
سبعين صندوقاً من كتب العلم ، كل صندوق سبعون ذراعاً ، فأوحى الله تعالى إلى
نبي ذلك الزمان : ان قل لهذا العالم : لا تنفعك هذه العلوم و ان جمعت أضعافاً
مضاعفة مادام معك ثلاث خصال : حب الدنيا ومرافقة الشيطان وأذى مسلم .

وفى رواية: قال إمام المتقين أمير المؤمنين على عليه السلام : « من كف آذاه لم
يعاده أحد »

تمت سورة الأحزاب والحمد لله رب العالمين
وصلوات الله وملائكته والناس أجمعين على
محمد وأهل بيته المعصومين الى يوم الدين

سورة سجدت وانا انزلها اربع سنين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ مَا فِي الْأَرْضِ لَمْ يَلَمْ فِي الْأَرْضِ لَمْ يَلَمْ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْحَكِيمُ
الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ
الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِنَّا إِنَّا نَشَاعِرُ فَلْيُكْفِرْ لَنَا إِنَّتُمْ لَعَالِمُ الْغَيْبِ لَا
يَعْرُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا بِكُنُوفِهِمْ

٤ لِيُجِزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٤ وَالَّذِينَ سَعَوْا
 فِي آيَاتِنَا مَا حَرَجْنَا مِنْ آيَاتِنَا لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ دُونِ الَّذِي كَانُوا بِاللَّهِ أَلَّا يُكَفِّرُوا
 عَنْ ذُنُوبِهِمْ يَوْمَئِذٍ وَهُمْ فِي أَصْحَابِ النَّارِ الْحَمِيدِ ٥ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَحْنُ بِمُنشَرُونَ
 إِذَا مَرِئْتُمْ كُلَّ مَرْغَبٍ أَنْ نَحْنُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٦ أَفَتَزَيِّجُونَنَا لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ فِي أَعْدَابِ الضَّلَالِ لِيَجِدُوا أَفْئِدَةً مِمَّا يُبَيِّنُ أَيْدِيَهُمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْآرِضِ
 لَنْ نَسْأَلَهُمْ فِيهَا عَمَّا نُحْيِيهِمُ الْأَرْضَ وَنُحْيِيهِمْ كَيْفَ نَشَاءُ لَنْ نَسْأَلَهُمْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَمَلٍ مُبِينٍ ٧
 وَلَقَدْ أَنْبَأْنَا دَاوُدَ وَمُوسَى وَنُوحًا بِمَا عَمِلُوا فِي الْآيَاتِ وَالظَّالِمِينَ أَلَمْ يَأْتِ الْهَيْدِ ٨ أَنْ أَعْمَلُوا بِنِجَانٍ
 وَقَدَرُوا فِي السَّرْدِ وَتَمَلُّوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٩ وَاسْلَمْنِ الرَّجْعِ عُدُوهُنَّ وَرَوَّحُنَّ
 شَهْرًا وَسَأَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْفُطُورِ وَمَنْ يُجِزِ مِنْ يَجْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَابًا مِنْ رِيْدِهِ وَمَنْ يَبْغِ مِنْهُمْ عُنْ
 أَعْرَابٍ أَنْ يَفْتُرُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ١٠ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَابِبٍ تَمَثَّلُ بِحُفَانٍ كَالْحُجُرِ الْبُقْعَةِ
 زَايِسَاتٍ لِيَعْلَمَ أَلِ الْأَوْرِدِ شَكَرًا وَقَلِيلًا مِنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ١١ فَلَمَّا أَفْضَيْنَا عَلَيْهِ الْوَيْلَ مَا دَعَاهُمْ
 عَلَى مَوْنِهِ إِلَّا آدَابُ الْأَرْضِ نَأْكُلُ مِنْسَأَنَهُ فَلَمَّا خَرَّ سَبْطُ الْجُنِّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْعُقْبُ بِالْبُيُوتِ
 فِي أَعْدَابِ الْمُهْمِينِ ١٢ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْئَلِهِمْ آيَةً جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ يَشَارِبُونَ مِنْ تَحْتِهَا أَنْجَارٌ
 وَأَشْرُوبُهَا مِنْ بِلْدَانٍ مُعْتَدِلَةٍ غَيْرَ جَبَّارَةٍ تُذْهِبُ وَأَنْجَارٍ ١٣ فَاعْرُضُوا فَا رَسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّةَيْهِمْ
 جَنَّتَيْنِ وَآتَيْنَاهُمُ الْكُلْخَطِ وَأَنْتِلَ شَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ لَيْلٍ ١٤ ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُوا وَهُمْ فِي أَعْدَابِ الْأَكْفُورِ ١٥

وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيحَ وَأَيُّهَا
لَيْلَىٰ وَأَيُّهَا الصَّبِيحَ ﴿١٨﴾ فَالْوَارِثِينَ بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فِي
مَرْفُئِهِمْ كُلِّ مَرْفَأٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ
ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لِعِبَادِهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ لَنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ
بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ لِيَلْجَأَنَّ شِفَالُكُمْ إِلَى السَّمَوَاتِ لِأَنَّ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ
ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قُلُوبُهُمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ
رَبُّنَا قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يُرِزُّكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ
إِنَّا كُورٌ لِّعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَأَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا نَعْمَلُونَ
﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا يَا حَيُّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ
أَخْتَصَمْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ فِي شَيْءٍ وَإِنَّا
وَلَكِن أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ
لَكُمْ مَبْعَادٌ يَوْمَ لَا نَسْأَلُكُمْ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا نَتَّقِدُ فَيَوْمَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا نُوَدِّعُ إِذ الظَّالِمُونَ مَوْفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ
يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنَّهُمْ لَكَا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا انْخَنَ صَدَنًا مِّنَ الْهَدْيِ بَعْدَ اِذْ جَاءَهُمْ كِتَابُكُمْ
مُحْرَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اِذْ نَامُرْتَنَا
اَنْ تَكْفُرُوا بِاللّٰهِ وَتَجْعَلَ لَهُ اَنْدَادًا وَسِرْوَالِنْدَامَةَ لَمَّا رَاَ الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْاَعْلَالَ فِي
اَفْئَادِ الَّذِينَ كَفَرُوا اَمْ لَمْ يُجْرَبُوا لَآ اِنَّمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا اَرْسَلْنَا فِي قُرْبَةٍ مِّنْ نَّبِيٍّ اِلَّا قَالُ
مُنْفِرًا اِنَّا بَايُرْسَلُمْ بِهِ كَاْفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا انْخَنُ اَكْثَرَ اَمْوَالِ الْاَوْلَادِ اَوْ اَمْوَالِنَا نَحْنُ بَعْدَ
﴿٣٥﴾ قُلْ اِنَّ رَبِّيْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ اَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَ
مَا اَمْوَالُ الْكُفْرِ وَلَا اَوْلَادُ الْكُفْرِ اِلَّا تُفْرَبُكَ عِنْدَنَا زُلْفَى الْاَمْنِ اَمِنْ وَعَمَلٌ صَالِحًا
فَاُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ عَمَلُوا وَهُمْ فِي الْغُرْفَاتِ اَمْنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي
اِيَابِنَا مُعَاجِرِينَ اُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُخْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ اِنَّ رَبِّيْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَّشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ مَا يَنْفَعُهُمْ مِنْ شَيْءٍ هُوَ يُخْفِيهِ وَهُوَ جَبَّارٌ قَاتِلٌ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ جِبَعًا مَّيْمُونًا يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ اِهْوِلُوْا اِيَّاهُمْ كَاْنُوْا عٰبِدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوْا سُبْحٰنَا كَاْنَتْ
وَلَيْتُنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَاْنُوْا عٰبِدُونَ اَلْحٰقَّ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَاَلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ
لِبَعْضِ نَفْعًا وَّلَا خَرًا وَّقَوْلُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوْا ذُرُوْعًا عَذَابِ النَّارِ اَلَّذِيْ كُنْتُمْ هَا تَكْتُمُوْنَ ﴿٤٢﴾ وَاِذَا
سُئِلَ عَنْهُمْ اِيَابِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوْا اِنَّا هٰذَا اِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ اَنْ يَّصْدَكَ كَمَا كَانَ يَعْبُدُ اَبَاؤَكُمْ
وَقَالُوْا اِنَّا هٰذَا اِلَّا اَفْكٌ مُّفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَلْحٰقِّ كَا جَاءَهُمْ اِنْ هٰذَا اِلَّا سُرْمِيْنٌ ﴿٤٣﴾

وَمَا ابْتَنَاهُمْ مِنْ كَيْدٍ نُوهِنَا وَمَا اَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ۝٥٦ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَمَا بَلَغُوا مِثْرًا وَمَا ابْتَنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رَبَّيْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٥٧ فَلَمَّا تَأَمَّرْنَا بِأَعْيُنِكُمْ وَأَوْحَدْنَا أَنْ تَقُولُوا
 إِلَهُ مِثْرُوقُ وَوَادَى ثُمَّ نَسَّيْنَاكُمْ أَنْ تَصْلِحُوا مِنْ جَهَنَّمَ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابِ شَيْدِ ۝٥٨
 فَلَمَّا سَأَلْنَا الَّذِينَ مِنْ آخِرِهِمْ عَنْ نُوحٍ إِنْ آتَى الْإِلَهَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٩ فَلَمَّا رَأَى يَدِي يَفِيءُ
 بِالْحَقِّ عَلَّمَ الْغُيُوبِ ۝٦٠ فَلَمَّا جَاءَ الْحُكْمُ وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ۝٦١ فَلَمَّا صَلَّكَ فَاتَمَّا أَضَلَّ عَلَى أَنْفُسِي
 وَلَمَّا أَهْتَدَيْتُ فَمَا أُوجِبُكَ رَبِّي لَأَنَّهُ سَمِعَ قُرَيْبِ ۝٦٢ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغْنَا فَلَا قُوَّةَ وَأَخَذَ مِنْ مَكَانِ
 قُرَيْبِ ۝٦٣ وَقَالُوا اتَّبَعْنَا وَآتَى لَمْ الْتَأْوُسْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝٦٤ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ وَيَنْذِرُونَ
 بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ۝٦٥ فَجِئِلْ لَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ أَلَمْ تَرَ

كَأَنِّي سَأَلْتُ رَبِّي

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن ابن اذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : للحمدين جميعاً - حمد سبأ و حمد فاطر - من قرأهما في ليلة (ليلة خ) لم يزل في ليلته في حفظ الله و كلاعه ، فان قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه و اعطى من خير الدنيا و خير الآخرة ما لم يخطر على قلبه و لم يبلغ مناه .

أقول : رواه الطبرسي في المجمع ، و البحر العاملي في وسائل الشيعة ، و البحراني في البرهان ، و الحويزى في نور الثقلين ، و المجلسي في البحار .
و ذلك لمن آمن بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم و باليوم الآخر و عمل صالحاً ، و هذا هو المؤيد بمواضع من السورة نفسها . . .

قال الله تعالى : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الارض إن نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب - و جعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة و قد رنا فيها السير سيرا فيها ليالي و أياماً آمنين - و لقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين و ما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ - من آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم في الغرفات آمنون » سبأ : ٩ و ١٨ و ٢٠ و ٢١ و ٣٧)
وقال : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون »

(السجدة : ١٧)

وقال : « يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيہ النفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التي أو رثتموها بما كانوا يعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون »
الزخرف : ٦٨ - ٧٣

وفي المجمع : ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال : من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيامة رفيقاً ومصافحاً .

أقول : وفي سند الرواية ما لا يخفى لمكان ابي بن كعب إذ لا شأن له عند أصحابنا لكذبه وافتراءه ، ولكن دلالتها مؤيدة بالآيات الكريمة . . .

منها : قوله تعالى : « ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً » النساء : ٦٩)
ومنها قوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً و على جنوبهم و يتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيتہ و ما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا منادياً ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمننا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا و كفرنا سيئاتنا و توفنا مع الابرار ربنا و آتنا ما وعدتنا على رسلك و لا تخزننا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد » آل عمران : ١٩١ - ١٩٤)

وغيرها من الآيات القرآنية . . .

وفي البرهان : روى عن النبي ﷺ : انه قال : من قرأ هذه السورة لم يبق شيء الا كان يوم القيامة رفيقاً صالحاً ، ومن كتبها وعلقها عليه لم يقربه دابة ولا هوام ، وان شرب مائها ورش عليه وكان يفرق من شيء أمن وسكن روحه ولا

يفرق ان غسل وجهه بمائها .

وفيه: : وقال رسول الله ﷺ: من كتبها وعلقها إليه لا يقربه دابة ولا هوام
ومن كتبها وشربها بماء ورش على وجهه منها ، وكان خائفاً أمن مما يخاف منه و
سكن روعته .

أقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما قرأته .



﴿ الفرض ﴾

تدور السورة على قضية البعث والجزاء ، وعلى إحاطة علم الله تعالى وشموله ودقته ولطفه ، وتتكرر فيها الإشارة إلى هاتين القضيتين المترابطتين بطرق منوعة وأساليب شتى ، وتظل جوار السورة كله من البدء إلى النهاية ، حيث تذكرهما في مفتتحها ثم تعود إليهما بعد عودة إلى مختتمها ، فعن قضية البعث تقول : « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة . . . » : (٣) وعن قضية الجزاء : « ليجزي الذين آمنوا . . . » : (٤) وفي موضع آخر قريب من سياقها آية : (٧ و ٨)

وفيها بيان : ان الايمان وصالح الاعمال هما قوام الحكم والجزاء عند الله تعالى لا الاموال والاولاد كما زعم المشركون ، وتقرير لشبهاتهم في البعث والجزاء ودفعها ، ونقاشهم في عقائدهم وأقوالهم وأعمالهم على طريق حكمة و موعظة و مجادلة حسنة . . . وفيها فصول مناظرة بينهم وبين النبي الكريم ﷺ وإشارة إلى جهود الزعماء في التعطيل والصد وإعتدادهم بالاموال والاولاد ، و تنسويه بالمؤمنين المخلصين ، وإشارة إلى داود وسليمان عليهما السلام ، و ما كان من إسباغ الله تعالى نعمه عليهما وشكرهما إياه جل وعلا ، وإلى سبأ و ما كان من رغدها و عدم شكرها و نعمة الله تعالى عليها .

و فيها صور لما كان عليه الموقف في مكة بالنسبة للنبي الكريم ﷺ والمسلمين وزعماء الكفار وسوادهم ومعتدليهم ومتطرفيهم .

وفي جوارها تصح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسة ،

و في خلالها تسوق بعض القصص للعبارة والتسليية . وتورد عدة مشاهدة للقيامة ، و ما فيها من تأنيب للمكذبين بها ، ومن صور العذاب الذي كانوا يكذبون به أو يشكون في وقوعه وتقول : « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم - هل تجزون الا ما كانوا يعملون » : ٣١ - ٣٣)

وتكرر هذه المشاهد، وتتوزع في السورة وتختتم بها كذلك في آية : ٥١ و ٥٢)
وعن قضية العلم الالهي الشامل يرد في مطلع السورة آية : ٢) ويرد تعقيباً على التكذيب بمجيبىء الساعة في آية : ٣) ويرد قرب ختام السورة آية : ٤٨) وفي موضوع التوحيد تبدأ السورة بـ « الحمد لله ... » آية : ١) ويتحدثهم مرات في شأن الشركاء الذين يدعونهم من دون الله سبحانه بقوله : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله - قل من يرزقكم من السموات والارض - قل اروني الذين ألحقتم به شركاء » آية : ٢٢ و ٢٤ و ٢٧) وتشير بآيات منها إلى عبادتهم للملائكة والجن ، و ذلك في مشهد من مشاهد القيامة في قوله تعالى : « ويوم يحشرهم جميعاً - إلى - أكثرهم بهم مؤمنون » آية : ٤١ و ٤٠)

وتنفى ما كانوا يظنونونه من شفاعة الملائكة لهم عند الله سبحانه في قوله : « ولا تنفع الشفاعة عنده ... » آية : ٢٣) وبمناسبة عبادتهم للشياطين ترد قصة سليمان و تسخير الجن له ، وعجزهم عن معرفة موته في قوله : « فلما قضينا عليه الموت... » الآية : ١٤).

وفي موضوع الوحي والرسالة ترد في آية : ٣١ و ٤٣) وترد عليهم بتقرير الوحي والرسالة في آية ٢٨ و ٢٩) ، وفي موضوع تقرير القيم ترد في آية ٣٤ - ٣٨) ثم ضرب على هذا أمثلة من الواقع التاريخي في هذه الارض قصة آل داود والشاكرين على نعم الله تعالى ، وقصة سبأ المتبطلين الذين لا يشكرون ، وما وقع لهؤلاء وهؤلاء وفيه مصداق مشهود للوعد والوعيد من آية : ١٠ - ١٩)

ان تلك القضايا التي تعالجها السور المكية في صورشتي تعرض في كل سورة

فى مجال كونى مصحوبة بمؤثرات متنوعة جديدة على القلب فى كل مرة ، ومجال عرضها فى سورة سبأ هذه هو ذلك المجال ممثلاً فى رقعة السموات والارض الفسيحة ، وفى عالم الغيب المجهول المرهوب ، وفى ساحة الحشر الهائلة العظيمة ، وفى أعماق النفس المطوية اللطيفة ، وفى صحائف التاريخ المعلومة والمجهولة ، وفى مشاهد من ذلك التاريخ عجيبة غريبة ، وفى كل منها مؤثر موح للقلب البشرى موقظ له من الغفلة والضيق والهمود ، فافتتحت السورة على هذا الكون الهائل ، وعلى صحائفه ، وما فيها من آيات الله تعالى ، وعلى مجالى علمه اللطيف الشامل الدقيق الهائل .

وفى السورة تنبيه إلى النعم الالهية الظاهرة من الطعام والشراب والهواء والامن والعافية وما إليها مما يتكامل به الاجسام ، والباطنة من الرسالة والكتاب والدين التى يتكامل بها الارواح ، وإلى النعم السماوية النازلة والارضية النابتة والمستخرجة ، وإلى النعم الدنيوية والاخرية ، وإلى نعمة الابدان والابقاء فلا بد من الحمد للمنعم حمداً كثيراً .



﴿النزول﴾

سورة «سبأ» مكية ، نزلت بعد سورة «لقمان» و قبل سورة «الزمر» و هي السورة الثامنة و الخمسون نزولاً ، و الرابعة و الثلاثون مصحفاً ، و تشمل على أربع و خمسين آية ، سبقت عليها /٢٩٣٨ آية نزولاً و /٣٦٠٦ آية مصحفاً على التحقيق . قيل : ان آية ٦ نزلت بالمدينة .

ومشتملة على /٨٨٣ كلمة ، وعلى /١٥١٢ حرفاً ، وقيل : /٣٥١٢ حرفاً ، وقيل : /٤٥١٢ حرفاً .

وقيل : سميت هذه السورة بـ «سبأ» لتضمن قصتها التي تدور عليها السورة من النعم الالهية التي أنعمها الله تعالى على الانسان ، وهي تبقى بالحمد والشكر كما أن سليمان أدامها بالحمد حتى مات ، و هي تزول بالكفران كما ان سبأ أزالها عنهم بالكفر .

في تفسير فتح القدير: عن أبي رزين قال : كان رجلان شريكين خرج أحدهما إلى الساحل ، و بقي الآخر ، فلما بعث الله النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسئله ما فعل ؟ فكتب إليه انه لم يتبعه أحد من قريش الا ذالة الناس و مساكينهم ، فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال : دلّني عليه و كان يقرأ الكتب ، فأتى النبي ﷺ فقال :

إلى ما تدعوا ؟ قال : إلى كذا و كذا قال : أشهد انك رسول الله قال : وما علمك بذلك ؟ قال : انه لم يبعث نبي الا اتبعه ذالة الناس و مساكينهم فنزلت

هذه الآية : « وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها » الايات . . . فأرسل إليه النبي ﷺ ان الله قد أنزل تصديق ما قلت .
رواه السيوطي في أسباب النزول عن ابن رزين وفيه « الشام » بدل « الساحل » و « ما عمل » بدل « ما فعل » .

وفي أسباب النزول : أخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح قال : حدثني فلان ان فرود بن مسيك الغطفاني قدم على رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله إن سبأ قوم كان لهم في الجاهلية عز ، و اني أخشى أن يرتدوا عن الاسلام ، أفا قاتلهم ؟ فقال : ما امرت فيهم بشيء بعد ، فأنزلت هذه الآية : « لقد كان لسبأ في مسكنهم » الايات . . .

و في تفسير القمي : باسناده عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما أمر الله نبيه ﷺ أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس في قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » في علي بن أبي طالب ، فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه فجاءت الأبالسة إلى ابليس الأكبر .

وحثوا التراب على وجوههم ، فقال لهم ابليس : ما لكم ؟ قالوا : ان هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلها شيء إلى يوم القيامة فقال لهم ابليس : كلا ان الذين حوله قد وعدوني فيه عدة لن يخلفوني ، فأنزل الله على رسوله : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه . . » الآية .

و فيه : عن زيد الشحام ، قال : دخل قتادة بن دعامة على أبي جعفر عليه السلام و سئله عن قوله عز وجل : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين » قال : لما أمر الله نبيه أن ينصب أمير المؤمنين عليه السلام للناس و هو قوله : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك » في علي « و ان لم تفعل فما بلغت رسالته » أخذ رسول الله ﷺ بيد علي عليه السلام يوم غدير خم ، وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه حث الأبالسة التراب على رؤسها ، فقال لهم ابليس الأكبر : ما لكم ؟

قالوا: قد عقد هذا الرجل اليوم عقدة لا يحلها نسي إلى يوم القيامة، فقال لهم ابليس: كلا ان الذي حوله قد وعدوني فيه عدة و لن يخلفوني ، فأنزل الله سبحانه هذه الآية : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين » يعنى شيعة أمير المؤمنين عليه السلام .
 و فى رواية : عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : « وأنذر عشيرتك الاقربين » خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى صعد الصفا فهتف : يا صباحاه ؟ فقالوا : من هذا الذى يهتف !؟ قالوا : محمد ، فاجتمعوا إليه فقال : « يا بنى فلان يا بنى فلان يا بنسى عبد مناف يا بنسى عبد المطلب - فاجتمعوا إليه فقال - أرايتم لسو أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ما جر بنا عليك كذباً قال : « فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد » قال : فقال ابولهب : تباً لك ! أما جمعتنا إلا لهذا ؟ ثم قال : فأنزل الله تعالى : « تبث يداي أبى لهب وتب » .



﴿ القراءات ﴾

قرأ أبو جعفر و نافع و ابن عامر و ابن كثير « عالم الغيب » بالرفع على الابتداء ، فخره : « لا يعزب » أو على الخبر لمحذوف أي هو عالم الغيب ، وقرأ عاصم و أبو عمرو بالجور على الوصف من « لله » أي الحمد لله عالم الغيب ، و نعت من « ربي » أو بدل منه ، وقرأ حمزة و تبعه الكسائي « علام الغيب » على المبالغة والنعت . وقرأ ابن كثير و أبو عمرو « معجزين » بالتشديد ، و الباقون « معجزين » بالالف من باب المفاعلة ، وقرأ حفص و ابن كثير « أليم » بالرفع على الوصف من « عذاب » وقرأ الباقون بالجور على الوصف من « رجز » لانه بمعنى عذاب لقوله تعالى : « لئن كشفت عن الرجز » .

وقرأ حمزة « يشاء » و « يخسف » و « يسقط » كلها على الغيبة ، و الباقون بالنون للتكلم مع الغير ، وقرأ حفص « كسفاً » بفتح السين ، و الباقون بسكونها ، وقرأ ابن كثير « كالجوابي » بالياء وقفاً و وصلماً ، وافقه أبو عمرو و وصلماً و الباقون بحذف الياء مطلقاً ، وقرأ حمزة « عبادى الشكور » بسكون الياء ، و الباقون بفتحها ، وقرأ نافع و أبو عمرو و أبو جعفر « منساته » بابدال الهمزة الساكنة ، وقرأ ابن عامر بهمزة ساكنة ، و الباقون « منساته » بهمزة مفتوحة .

وقرأ أبو عمرو و ابن كثير « لسباء » بفتح الهمزة غير منصرف لكونه اسماً لقبيلة ، و الباقون بالصرف والتنوين على أنه اسم حى وهو فى الاصل اسم رجل . وقرأ حمزة و حفص « مسكنهم » بالافراد و فتح الكاف على تقدير : فى مواضع

سكناهم ، فلما جعل المسكن مصدراً كالسكنى والسكون افرد كما يفر المصدر ، وان كان « مسكن » اسم مكان و لذلك فتحت الكاف . و قرأ الباقون « مساكنهم » على الجمع إذ لكل ساكن مسكن ، قرأ أبو عمرو و « اكل خمط » بضم الكاف والاضافة ، والآخرين بسكونها والتنوين بدون الاضافة .

وقرأ حمزة وحفص « هل نجازى » بضم النون و كسر الزاء و « الأ الكفور » بالنصب ، و قرأ الباقون « يجازى » بالغيبة و ضم الياء و فتح الزاء مبنياً للمفعول و رفع « الكفور » و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و « بعد » على الامر من التبعيد ، والباقون « باعد » على الامر من باب المفاعلة ، و هو قراءة الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام و ابن عباس ، و قرأ عاصم و حمزة « صدق » بتشديد الدال من باب التفعيل ، و « ظنه » على النصب بوقوع الفعل عليه ، والباقون بتخفيف الدال ثلاثياً و « ظنه » بالرفع أى فى ظنه أو صدق يظن ظناً .

وقرأ حمزة و أبو عمرو و « اذن له » مبنياً للمفعول ، والباقون مبنياً للفاعل لذكر « الله » تعالى أولاً ، و قرأ ابن عامر « فزع » مبنياً للفاعل والباقون للمفعول ، و قرأ ابن عامر « جزاء » بالنصب و « الضعف » بالرفع ، أى فاولئك لهم الضعف جزاء على التقديم والتأخير ، والباقون « جزاء » بالرفع ، و « الضعف » بالجر للاضافة من إضافته إلى المفعول .

و قرأ حمزة « فى الغرفة » إفراداً لقوله تعالى : « اولئك يجزون الغرفة » والغرفة قد يراد بها اسم الجمع و اسم الجنس ، و قرأ الباقون « فى الغرفات » على الجمع . و قرأ حفص « يحشرهم » و « يقول » على الغيبة ، والباقون بنون التكلم مع الغير .

و قرأ أبو جعفر و نافع و ابن عامر و أبو عمرو و حفص « إن أجرى » بفتح الياء ، والباقون بسكونها ، و قرأ حمزة « الغيوب » بكسر الغين والباقون بضمها .

و قرأ أبو جعفر و نافع و أبو عمرو « ربي انه » بفتح الياء و الباقون بسكونها .
 و قرأ حمزة و أبو عمرو و عاصم « لهم التناوش » بالهمزة بعد الالف بالمد ،
 و الباقون « التناوش » بالواو المحضة بعد الالف من غير مدّ من باب التفاعل .
 و قرأ ابن عامر « حيل » بضم الحاء و كسر الياء و الباقون بكسر الحاء .



* الوقف والوصل *

« في الاخرة ط » لتمام الكلام السابق ، و استئناف التالي ، و « فيها ط »
لما تقدم و « الساعة ط » لمن قرأ « عالم » بالرفع أى هو عالم ، ومن خفض جملة
نعتاً لـ « ربى » فلم يقف ، و « لتأتينكم لا » للوصف التالي ، و « عالم الغيب ج »
لان قوله : « لا يعزب » يصلح حالاً و إستينافاً ، و « مبين لا » لتعلق اللام التالية ،
و « الصالحات ط » لاستئناف التالي ، و « أليم ق » أى قال بعض العلماء بالوقف ،
و « الحق لا » لان قوله : « و يهدى » عطف على المعنى أى يحق قوله و يهدى
و « ممزق لا » لان ما بعده فى حكم المفعول لانه مفعول ثان لـ « ينبئكم » وانما
كسرت لدخول اللام فى خبرها ، و « جديد ج » للاية و اتحاد المقول .
و « جنة ط » لتمام الاستفهام ، و ابتداء التالي بالجواب ، و « الارض ط »
لتمام الكلام و ابتداء التالي بالشرط ، و « السماء ط » لتمام الشرط و استئناف
التالى ، و « منيب ع » علامة انتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ
القرآن الكريم فى عامين ، و « فضلا ط » لابتداء التالي بالنداء ، و « الطير ج »
لان ما يتلوه يصلح حالاً و استينافاً ، و « الحديد لاى » لتعلق « أن » التالى و
« ي » علامة العشر ، و توضع عند انتهاء عشر آيات ، و « صالحاً ط » لاستئناف
التالى ، و « شهر ج » لان قوله : « و أسلنا » عطف على محذوف أى و سخرنا
لسليمان الريح ، و « القطر ط » لتمام الكلام ، و « ربه ط » لابتداء التالي بالشرط .
و « راسيات ط » لابتداء التالي بالامر ، و « شكراً ط » لتمام الامر ، و استئناف

التالى بالاخبار ، و « منسأته ج » لتمام السابق و تفریع اللاحق ، و « آية ج » لاحتمال أن يكون التقدير: هي جنتان وأن يكون بدلاً من « آية » و « شمال ط » لتمام الاخبار و استيناف التالى بالامر ، و « له ط » لتمام الامر و استيناف التالى أى لكم بلدة ، و « كفروا ط » لابتداء التالى بالاستفهام ، و « السير ط » لتمام الاخبار ، و « ممزق ط » لتمام السابق و ابتداء اللاحق ، و « المؤمنين ي » و « فى شك ط » لتمام الكلام ، و « حفيظ ع » و « من دون الله ج » لاحتمال الجملة التالية حالاً و استينافاً و « له ط » لتمام الكلام ، و « ماذا لا » لجواب الاستفهام ، و « الحق ج » لاحتمال التالى عطفاً و استينافاً ، و « قل الله لا » لاتصال المقول ، و « بالحق ط » لتمام الكلام ، و « كلاط » لاستيناف التالى .

و « تستقدمون ي ع » و « يديه ط » لابتداء التالى بالشرط ، و « عند بهم ج » لان ما بعده يصلح حالاً و استينافاً ، و « القول ج » لمثل ذلك ، و « أنداأ ط » لتمام الكلام ، و « العذاب ط » لما سبق ، و « كفروا ط » لابتداء التالى بالاستفهام ، و « مترفوها لا » لمقول القول ، و « اولاداً لا » للعطف ، و « لا يعلمون ع » و « صالحاً ز » لان اولئك مبتداء مع الفاء و « يقدر له ط » لاستيناف التالى ، و « يخلفه ج » لعطف الجملتين المختلفتين و « يعبدون ي » و « من دونهم ج » لتنويع الكلام مع اتحاد المقول ، و « الجن ج » لذلك ، و « ضراً ط » لابتداء التالى ، و « آباؤكم ج » للعطف مع طول الكلام والتكرار ، و « مقترى ط » لتمام المقول ، و « لما جاءهم لا » لمقول القول ، و « من نذير ط » للآية و استيناف التالى . و « من قبلهم لا » للحال التالية ، و « رسلى قف » فيستحب الوقف من غير حرج فى الوصل و « نكير ع » و « بواحدة ج » لان ما بعده بدل أو خبر أى هي أن تقوموا ، و « ثم تفكروا قف » لما سبق ، و « من جنة ط » لابتداء التالى بالنفى ، و « لكم ط » لما تقدم ، و « على الله ج » لاحتمال التالى يصلح حالاً و استينافاً ، و « بالحق ج » لاحتمال ان ما بعده بدل من الضمير فى « تقذف » أو خبر أى هو ،

و «على نفسى ج» لعطف جملمتى الشرط .
 و «ربى ط» لاستيناف التالى ، و «قريب ى» و «مكان قريب لا» للعطف
 و «آمنابه ج» لاحتمال جملة الاستفهامية مبتداء بها أو حالاً . و «بعيد ج»
 لاحتمال الاستيناف والحال بعده ، والعامل معنى الفعل فى التناوش ، و «من قبل ج»
 للعطف على «كفروا» بناء على أنه حال ماضية ، أو للاستيناف أى وهم يقذفون ،
 و «من قبل ط» لاستيناف التالى .



﴿ اللغة ﴾

٣٦ - العزب - ١٠٠١

عزب فلان عن الشيء يعزب عزوباً - من باب ضرب و نصر - : بعد وغاب عنه وخفى عليه . ويقال : عزب عن الرجل حلمه : غاب و ذهب . و عزب الرجل تعزيباً : أطال غيبته و أهمل ما ابتدأ به . و كل ما فات حتى لا يقدر عليه قد عزب عنك .

قال الله تعالى : « لا يعزب عنه مثقال ذرة » (سباء : ٣) أى لا يغيب عن علمه شيء ولا يذهب عن علمه شيء ، ولا يخفى عليه شيء من أعمال عباده . قال الامام جعفر بن محمد عليه السلام فى قوله تعالى : « لا يعزب » أى بالاحاطة و العلم بالذات وإذا كان بالذات لزوما الحواية .

من الحسى : العازب من الكلاء : البعيد المطلب ، وأعزب القوم : أصابوا عازباً من الكلاء . العزوبة : الارض البعيدة المضرب إلى الكلاء . و فى حديث ام معبد : « و شاء عازب حيال » أى بعيدة المرعى لاتأوى إلى المنزل فى الليل و لاتحمل . و منه الحديث : « انه بعث بعثاً فاصبحوا بأرض عزوبة بجراء » أى بارض بعيدة المرعى قليلته . و من المعنوى قولهم للمتفرد بلاهل : عزب . وهى عزب أيضاً و عزبة . و تعزب : ترك الدخول بأهله بعد التأهل . و العزبة : التسى لازوج لها أصلاً و التى تركت زوجها بالنشور .

فى فروع الكافى : باسناده عن محمد الاصم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال

رسول الله ﷺ : ذال موتاكم العزاب .

و فيه : باسناده عن أبي القداح قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ركعتان يصليهما المتزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما أعزب .

و يقال : أعزب ثم أعزب على امرأى أبعد نفسك عن الامر ثم أبعد . ويقال : فلان عزب طهر المرأة : غاب عنها . و فى رواية : « من قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد أعزب » أى بعد عهده بما ابتدأ منه و أبطأ فى تلاوته . والجمع : أعزاب و عزآب من الرجال والنساء . و الاسم : العزبة و العزوبة والعزب : إسم للجمع كخادم و خدام .

المعزابة : من لأهل له من الرجال والنساء . والمعزابة : الرجل يعزب بما شئته عن الناس فى المرعى . و المعزابة : الذى طالت عزوبته حتى ماله فى الأهل من حاجة .

٢٩ - المزق - ١٤٢٧

مزق الشيء يمزقه مزقاً و مزقة - من باب ضرب - : شقه . المزق : خرق الشيء . و يقال منه : ثوب ممزوق و مزيق و متمزق و ممزق إذا صار قطعاً بالياً . و مزق الطائر بسلحه : رمى بذرقه .

و مزق الشيء تمزيقاً : شقه . و مزق الثوب : شقه . و من هذا : مزق الميت : فرق جسده و صار تراباً و حطاماً بفعل البلى .

قال الله تعالى : « اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد » سباء : ٧) و يقال : مزق القوم : فرقهم فى البلاد بعد أن كانوا جميعاً كأنما شق اجتماعهم قال الله تعالى : « فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » سباء : ١٩) أى فرقهم الله تعالى فى كل وجه من البلاد .

الممزق : مصدر ميمي بمعنى التمزيق . و تمزيق الشيء : تقطيع أو صاله

و جعله قطعاً قطعاً صغيرة لا يمكن أن توصل . والمزقة - بكسر الميم - : القطعة من الثوب وغيره . و مزق عرض أخيه : طعن فيه ، فهو مزق ، جمعه : مزقون كقوله : « أتاني انهم مزقون عرضي » و مزق ملكه : أذهب أثره . و في حديث كتابه وَاللَّهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى كسرى : « لما مزق دعاء عليهم أن يمزقوا كل ممزق » وأراد بتمزيقهم تفرقهم و زوال ملكهم و قطع دابرتهم .
المزاق - بكسر الميم - : الناقة السريعة جداً و كذلك الفرس . مازقه ممازقة : سابقه في العدو . إنمزق : انخرق

٣٤ - السرد - ٤٩٣

سرد الأديم يسرده سرداً و سراداً - من باب نصر - : خرزه و ثقبه بالمخرز على التتابع والاتساق . و السرد : إتباع الشيء بالشيء من جنسه . و يقال للدرع : مسرودة لأنه توبع فيها الحلق بالحلق قال الشاعر:
و عليهما مسرودتان قضاهما
داود أو صنع السوابغ تبع
السرد : نسج الدرود قال الله تعالى : « و قدر في السرد » أي كن حكيماً في نسج الدرود بحيث تتناسب مساميرها و ثقوبها فلا تتقلقل و لا تنفصم . فلا تجعل مسمار الدرع رقيقاً فيغلق و لا غليظاً ، فيفصم حلق الدرع . و يقال لصانع ذلك : سرآد . و يقال : زراد بتبدل السين زاء كما يقال : سراط و زراط أيضاً . و سرد القرآن إذا حدر فيه و الكلام إذا تابعه مستعجلاً فيه . و سرد الحديث و القراءة : أجاد سياقهما و أتى بهما على ولاء . و سرد الصوم : تابعه و منه : « إذا كان لا يقدر على سرده فرقه »

السرد : اسم جامع للدرود و سائر الحلق لأنه مسرد فيثقب طرفاً كل حلقة بالمسمار يقال : جاؤا و عليهم السرد أي الحلق . السارد : الخراز المسرودة : الدرع المثقوبة . و سراد الدر : تتابع في النظام . و يقال : سراد دمه كما

يتسرد اللؤلؤ .

و قيل لأعرابي : أتعرف الأشهر الحرم ؟ فقال : نعم ، ثلاثة سرد ، و واحد فرد . فالسرد : ذو القعدة و ذو الحجة والمحرم ، والفرد : رجب . و قيل للادوي : سرد لتتابعها . و نجوم سرد : متتابعة . ماش متسرد : يتابع خطاه في مشيه .
السرندي : السريع في اموره و الشديد . و الجريء . و السرندي : اسم رجل . و إسرندها : علاه و غلبه . و المسرندي : الذي يعلوك و يغلبك . و المسرد : النعل المخصوصة اللسان .

في المفردات : السرد : خرز ما يخشن و يغلظ كنسج الدرع ، و خرز الجلد و استعير لنظم الحديد .

و في المجمع : السرد : نسج حلق الدرع .

و في اللسان : السرد في اللغة : تقدمه شيء إلى شيء ثاني به متساقباً بعضه في أثر بعض متتابعاً و في قوله تعالى : « و قدر في السرد » قيل : هو أن لا يجعل المسمار غليظاً و الثقب دقيقاً فيفصم الحلق ، و لا يجعل المسمار دقيقاً و الثقب واسعاً فيتقلقل أو ينخلع أو يتقصف اجعله على القصد و قدر الحاجة .

١٠٨ - السيل - ٧٤٧

سال المائع يسيل سيلاً و سيلاناً - من باب ضرب نحو باع - : جرى .
السيل : مصدر جعل إسماً للماء الكثير الذي يجري على الارض .
قال الله تعالى : « فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم » سباء : ١٦)
و قال : « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » الرعد : ١٧)
إسناد السيلان إلى الأودية مجاز أي سالت مياه أودية . ماء سيل : سائل
وضعوا المصدر موضع الصفة . و جمع السيل : سيول . السيلة - بالكسر - : جرية الماء . ومنه : « سالت عيناه » السيلال : الشديد السيل وهي سيلالة . أسال المائع :

جعله يسيل ، و سيّله : أجراه . و أسال الجامد : أذابه .
قال الله تعالى : « و أرسلنا له عين القطر » سباء : ١٢) أى أن بناه . الاسالة
فى الحقيقة حالة فى القطر تحصل بعد الاذابة . و السيلان : الممتد من الحديد
الداخل من النصاب فى المقبض .

مسيل الماء : موضع سيله جمعه : مسایل . و السوائل : نقيض الجوامد .
تقول العرب : « سال بهم السيل و جاش بنا البحر » أى وقعوا فى أمر
شديد ، و نحن فى أشد منه .

وسالت الغرة : استطالت و عرضت . و فى حديث وصفه صلى الله عليه و آله و سلم : « سایل
الإطراف » أى طويل الأصابع ممتدّها .

السيلان - بالكسر - : سنخ قائمة السيف و السكين و نحوهما .

٣٨ - الجفان - ٢٥٤

جفن نفسه عن الشيء الدنىء يجفن جفنًا - من باب نصر - : ظلفها و منعها عنه .
و يقال : جفن فلان نفسه عن الخبائث و المدانس : منعها عنها . و جفن
الناقة : نحرها و أطعم لحمها فى الجفان و الجفان : قصاع كبار يطعم فيها .
الجفنة : كالفصعة و زناً و معنى ، و تجمع على جفان و جفون و أجفان و
أجفن و جففات . و الجفنة خصت بوعاء الاطعمة .

قال الله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب »
سباء : ١٣) وفى الحديث : « انه قيل له : أنت كذا و كذا و أنت الجفنة الغراء »
أى الطعام . و كانت العرب تدعو السيد المطعم جفنة لانه يضعها و يطعم الناس
فيها ، فسمى باسمها ، و الغراء : البيضاء أى انها مملوءة بالشحم و الدهن .
و تقول العرب : « أعظم القصاع الجفنة ثم القصة تشبع العشرة ثم الصفحة
تشبع الخمسة » .

الجفن : غطاء العين من أعلى وأسفل . والجفن : غمد السيف . وفي حديث الخوارج : « سلّوا سيوفكم من جفونها » أى أغمادها . و الجفن : أصل الكرم أو قضبانها وسمى الكرم جفناً تصوراً أنه و عاء العنب . والجفن : ضرب من العنب ، و شجر طيب الريح . و جفن الجروز : اتخذ منها طعاماً .
وقيل للبئر الصغيرة : جفنة تشبيهاً بها . و الجفين : كثرة الجماع وأجفن : إذا أكثر الجماع .

٣ - سبأ - ٦٦٢

سبأ الخمر يسبؤها سباً وسبأاً ومسبأاً - من باب منع - : شراها ليشربها ، فاذا شراها وحملها إلى بلد آخر قيل : سباها بلا همز و لا يقال ذلك إلا فى الخمر .
وفى وصفه ^{الغالب} : « لم يستحل السبأ » وهو بالكسر والمد : الاسم : السبأ على وزن فعال - بكسر الفاء - و منه سميت الخمر سبيئة .
سبأ - بفتح السين - : إسم بلد تفرّق أهله قال الله تعالى : « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » النمل : ٢٢) و قال : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية » سبأ : ١٥)

سبأ أبو عرب قبائل اليمن كلها ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم سميت مدينة مأرب المسماة بمازن سبأ ، وهى قرب اليمن ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال . ويقال : ان سبأ مدينة بلقيس باليمن وهى ملكة سبأ . وقيل : إسم سبأ عبد الشمس ، فلما أكثروا الغزو و السبى سمي سبأ . و هو يصرف على القياس و لا يصرف لوزن الفعل ، فمن جعله إسماً للقبيلة لم يصرفه ، و من جعله إسماً للحى أو للأب الاكبر صرفه .

و يقال : « تفرّق القوم أيدي سبا و أيادى سبا » بابدال الهمزة ألفاً أى تبدّوا تبدّوا لا اجتماع بعده . و ذلك لان الله تعالى أرسل على تلك الارض

السيل ، فأغرقها وأذهب جناتها ، فاتزح سبأ وقومه و تبدوا في البلاد ، ف ضرب بهم المثل للفرقة والمتفرقين . و في هذا المعنى يقال : لعبت بالقوم أيدي سبأ أي تشتتوا في كل مكان . و يقال : ذهبوا أيادي سبأ أي تفرقوا تفرق أهل هذا المكان من كل جانب . فشبها بأهل سبأ لما مزقهم الله تعالى في الارض كل ممزق ، فأخذ كل طائفة منهم طريقاً على حدة . و اليد : الطريق . يقال : أخذ القوم يدبحر فقيل للقوم إذا تفرقوا في جهات مختلفة : ذهبوا أيدي سبأ . أي فرقتهم طرقهم التي سلكوها كما تفرق أهل سبأ في مذاهب شتى . و ان أيدي سبأ و أيادي سبأ : إسمان جعلاً واحداً كمعدى كرب .

وسبا الجلد : سلخه ، و سبا الجلد بالنار : أحرقه ، و سبا الرجل : جلده ، و سبت الشمس جلد الانسان : غيرته . و سبيء الحية : سلخها . و السايياء : جلد فيه الولد و هو المشيمة التي تخرج مع الولد . و قيل : هي جليدة رقيقة على أنفه إن لم تكشف عند الولادة مات . أسبأ لأمر الله تعالى : خضع ، و على الشر : انقاد قلبه إليه .

السبأ - بالضم - : السفر البعيد يقال : اريد سبأ أي سفراً بعيداً . المسبأ : الطريق في الجبل . السايياء : المال الكثير مجازاً . و قيل : النتاج نفسه لأن الشيء قديسمى بما يكون منه .

و السبائية والسبئية من الغلاة الذين ينسبون إلى عبد الله بن سبأ .
السبأ : يتاع الخمر .

في النهاية : في حديث عمر بن الخطاب : « انه دعا بالجفان فسبأ الشراب فيها » قال أبو موسى : المعنى في الحديث فيما قيل : جمعها و خبأها .

٣٣ - العرم - ٩٩٨

عرم يعرم عرمة و عراماً - بالضم - من باب نصر و ضرب و علم و كرم - :

اشتدّ و فارق القصد ، و خرج عن الحدّ . و منه حديث الامام أمير المؤمنين
على عليه السلام : « على حين فترة من الرسل و اعترام من الفتن » أي إشتداد .

والعرم المضاف إليه السيل في القرآن الكريم : إما السيل الشديد الذي
لا يطاق ، و إما المطر الشديد ، و إما السدّ يعترض دون الوادي جمع لا واحد له
أو واحده العرمة - نحو الكلم والكلمة - و إما ان العرم إسم واد بعينه .

قال الله تعالى : « فارسلنا عليهم سيل العرم » سباء : ١٦ .

و عرم العظم عرماً : نزع ما عليه من لحم ، و عرم الصبي امه : رضعها ، و
عرم الابل الشجر : نالت منه ، و عرم فلاناً : أصابه بشراسة و أذى . و عرّم الشيء
تعريماً : خلطه . و أعرمه : جنى عليه ما لم يجنه ، و عرم علينا : أشر و مرح .
و اعترمت الفرس : سطت و مالت .

من العسى : ليل عارم : نهاية في البرد و كذلك يوم عارم . و العرام -
بالضم - من الجيش : حدّتهم و شدتهم و كثرتهم . العرام : الشدة والقوة والشراسة .
والعرم - بالفتح ثم السكون - : الدسم و بقية القدر و - بالضم ثم السكون - :
بيض القطا و - بالفتحتين - : سواد مختلط ببياض في أي شيء كان و - بالفتح
ثم الكسر - الجاهل والشرس المؤذي . و في حديث عاقر الناقة : « فانبعث لها
رجل عارم » أي خبيث شرير .

العرماء : الحية الرقشاء ، والقطيع من ضأن و معزى . و العرمة - بالفتح
ثم الكسر - : سدّ يعترض به الوادي جمعها : عرم مثل كلمة و كلم . و قيل :
عرم نحو كلم جمع بلا واحد . و واد العريم : الداهية جمعها : عرمان . و الأعرم :
المتلون . و في حديث معاذ : « انه ضحّي بكبش أعرم » هو الابيض الذي فيه
نقط سود والآنثى عرماء . و العرمان : المزارع . . .

في المفردات : العرامة : شراسة و صعوبة في الخلق وتظهر بالفعل ، يقال :

عرم فلان فهو عارم ، و عرم تخلق بذلك و منه عرام الجيش .

٥٧ - الخمط - ٢٢٥

خمط اللبن يخمط خمطاً وخموطاً - من باب ضرب و نصر و علم - : طابت ريحه و تغيرت ضدّ ، فهو خامط أى طيب الريح متغيّر ضدّ .

و خمط اللحم : شواه ولم ينضجه . و خمط الجدى : سلخه فشواه . و خمط الرجل : تكبّر و غضب ، و تخمط الفحل : هدر ، و تخمط البحر : التطم واضطرب ، و يقال للبحر ان التطمت أمواجه : انه لخمط الامواج . . . و تخمط ناب البعير : ظهر و ارتفع . المتخمط : المتكبّر والقهار والقلّاب والشديد الغضب له جلبة من شدة غضبه .

قال الله تعالى : « و بدلناهم بجنّتهم جنّتين ذواتى اكل خمط وائل » سبأ : (١٦) أى ثمر بشع الطعم ، و قيل : ثمر الاراك و هو البربر ، و قيل : شجر له شوك ، و قيل : شجر قاتل أو سم قاتل ، و قيل : الخمط : الحمل القليل من كل شجرة ، و الخمط شجر مثل السدر و حملة كالتوت .

الخمط : كل نبت قد اخذ طعاماً من المرارة أو الحموضة حتى لا يمكن أكله و لا تعافه النفس . و قيل : شجرة مرّة ذات شوك . و قيل : شجر لاشوك له ، و قيل : هو شجر الاراك له حمل يؤكل . و قيل : ثمرة شجرة على صورة الخشخاش لا ينتفع بها . الخمطة : ريح نور العنب و شبهه . و الخمطة : الخمر التى اخذت ريحاً . و الخمطة : اللوم و الكلام القبيح .

ارض خمطة : طيبة الريح ، الخمط : الشواء . الخميطة : الجدى المسلوخ المشوى ، فان نزع شعره فشوى فسميط يقال : « أطمنا يوماً خميطاً و يوماً سميطاً » و قيل : الخمط بالنار و السمط بالماء .

و فى النهاية : فى حديث رفاعة بن رافع قال : « الماء من الماء فتحمط عمر » أى غضب .

١١ - الأثل - ١١

أثل يأثل أنولاً و أنالة و أنلاً - من باب ضرب - : تأصل . و أثل ماله
تأثلاً : أصله و كثر و أثل ملكه : عظمه و ثبته ، و أثل أهله : كساهم أحسن
كسوة . و تأثل : تأصل ، و تأثل الشيء : تجتمع ، و تأثل المال : اكتسبه و
ثمره ، و تأثل البئر : حفرها لنفسه ، و أثل الله ماله : زكاه .

الأثل : شجر طويل مستقيم الخشب أغصانه كثيرة التعقد و ورقه دقيق و ثمره
حب أحمر لا يؤكل ، و الأثل : شجر ثابت الأصل و شجر متأثل : ثابت ثبوته .
و تأثل كذا : ثبت ثبوته .

قال الله تعالى : « و بدلناهم بجناتهم جنتين ذواتى اكل خمط و أثل »
سبأ : ١٦) و فى الحديث : « ان منبر رسول الله ﷺ كان من أثل الغابة »
الأثل : شجر شبيه بالطرفاء إلا انه أعظم منه . و الغابة غيضة ذات شجر كبير وهى
على تسعة أميال من المدينة . الأثل : العرض ، يقال : نحت أثلة فلان : اذا عابه
و تنقصه .

الأثال - بالفتح كسحاب - : المجد و - بالضم كغراب - : إسم جبل ،
تقول : له أثال كأنه أى مجد كأنه جبل . مجد مؤثل و أثيل : أصيل .
يقال : لفلان أثلة مال أى أصل و جمعه إثال ، و فى حديث مال اليتيم :
« فليأكل منه غير متأثل مالاً » أى غير جامع . و قول رسول الله ﷺ فى الوصى :
« غير متأثل مالاً » أى غير مقتن له و مدخر . فاستعار التأثل له ، و عنه استعير :
نحت أثلته إذا اغتبتة .

١٠٣ - التناوش - ١٥٧٨

ناش المال ينوشه نوشاً - من باب نصر نحو قال - : اذا تناوله و طلبه و

أخذه بسهل لا شاق فيه .

النوش : التناول السهل لشيء قريب ، يقال للرجل اذا تناول رجلاً لياً أخذ برأسه و لحتته : ناشه نوشاً . و فى حديث الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام و قد سئل عن الوصية فقال : « الوصية نوش بالمعروف » أى يتناول الموصى الموصى له بشيء من غير أن يجحف بماله .

التناوش : تناول سهل لشيء قريب . و تناوش القوم كذا : تناولوه .

قال الله تعالى : « و أنى لهم التناوش من مكان بعيد » سباء : ٥٢) أى من أين لهم أن يتناولوا الايمان و قد بعد عنهم بكفرهم و تمردهم من قبل ، فذهب وقت الايمان ، و قيل : فيه إشارة إلى قوله تعالى : « يوم لا ينفع نفساً ايمانها » . التناوش : الرجوع ، و المناوشة : المناولة من قرب ، و المناوشة فى القتال : تدانى الفريقين و أخذ بعضهم بعضاً بالسلاح . و منه حديث قيس بن عاصم : « كنت انا وشهم و اها وشهم فى الجاهلية » و يقال : و قد تناوش القوم فى القتال : اذا تناول بعضهم بعضاً بالرمح و لم يتدانوا كل التدانى .

تنوش الناقة الحوض بفيها : تناول ملأه . و قيل : أى تتناول الحوض من فوق و تشرب شرباً كثيراً ، و تقطع بذلك الشرب فلوات من غير حاجة إلى ماء آخر . النوش : الطلب ، و النوش : المشى ، و النوش : الاسراع فى النهوض . يقال : ناشت الابل تنوش : اذا أسرعت النهوض . و النوش : القوى ذوالبطش .

انتاش الدين : إستدركه و استنقذه و تناوله ، و يقال : إنتاشه من الهلكة : أى أنقذه منها .

﴿ النحو ﴾

١ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى
الآخرة و هو الحكيم الخبير)

« الحمد » مبتداء واللام فيه للاستغراق ، و يحتمل الجنس ، و « لله »
مجرور بلام الملك والاختصاص التى تسمى بلام التحقيق ، متعلق بمحذوف وهو
الخبر أى واجب و ثابت . و قيل : اللام هنا للمبدأ والمنتهى و لذلك كررت .
و « الذى » موصول فى موضع جرّ على النعت أو البدل من « لله » و يحتمل أن
يكون فى موضع نصب على الاختصاص ، و أن يكون فى موضع رفع على تقدير
المبتداء أى هو الذى .

و « له » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « ما » موصولة فى موضع رفع ،
مبتداء مؤخر والجملة صلة « الذى » و « فى السموات » متعلق بمحذوف ، وهو
صلة « ما » و « ما فى الارض » عطف على « ما فى السموات » و فى تعلق « له »
وجوه : أحدها - متعلق بمحذوف ، خبر مقدم و « الحمد » مبتداء مؤخر . ثانيها -
متعلق بنفس « الحمد » ثالثها - متعلق بما تعلق به خبر « الحمد » اعنى « فى
الآخرة » أى استقر أو مستقر أو نحوهما . و « فى الآخرة » أيضاً وجوه : أحدها -
أن يكون ظرفاً ، والعامل فيه « الحمد » ثانيها - أن يكون العامل فيه الظرف
اعنى « له » ثالثها - أن يكون فى موضع نصب ، حالاً من « الحمد » والعامل فيه
الظرف اعنى « له » .

« هو » الواد للاستيناف و « هو » مبتداء و « الحكيم » خبره و « الخبير »

خبر بعد خبر .

٢ - (يعلم ما يلج في الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما
يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

في « يعلم » وجهان: أحدهما - مستأنف فلا موضع له من الاعراب . ثانيهما -
في موضع نصب على الحال المؤكدة من إسم « الله » . و « ما » موصولة في موضع
نصب ، مفعول به ، و « يلج » فعل مضارع ، صلة الموصول ، و « في الارض » متعلق ؛
« يلج » والفاعل ضمير مستتر فيه ، والموصولات الثلاث عطف على الاولى ، و
« هو » الواد للاستيناف و « هو » مبتداء و « الرحيم » خبره و « الغفور » خبر
بعد خبر .

٣ - (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم
الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لافي الارض و لا أصغر من
ذلك و لا أكبر الا في كتاب مبين)

عطف على مضمون الآيتين السابقتين على تقدير: قال المؤمنون: ان الساعة
حق لا ريب فيها . و « لا » نافية و « تأتى » فعل مضارع ، و « نا » ضمير تكلم
مع الغير في موضع نصب ، مفعول به ، و « الساعة » فاعل الفعل ، و « قل » فعل
أمر ، و الواد في « و ربي » للقسم و « ربي » مجرد بالقسم واللام في « لتأتينكم »
للتأكيد ، و مدخولها جواب القسم .

و « عالم الغيب » نعت من « و ربي » أو بدل منه على قراءة الجر ، و أما
على قراءة الرفع فعلى وجهين: أحدهما - أن يكون مبتداء و خبره « لا يعزب
عنه مثقال ذرة » ثانيهما - أن يكون خبر لمحدوف أى هو عالم الغيب . و في
« و لا أصغر » وجهان: أحدهما - الجر عطفاً على « ذرة » ثانيهما - الرفع عطفاً
على « مثقال » .

٤ - (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة و رزق كريم)

اللام فى « ليجزى » تتعلق بـ « لا يعزب » و يحتمل أن يكون متعلقاً بـ « لتأتينكم » على تقدير : لتأتينكم الساعة ليجزى . . . والفعل منصوب بلام كى . و فاعل الفعل ، ضمير مستقر فيه راجع إلى الرب تعالى ، و « الذين » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و « آمنوا » صلتها ، و « اولئك » مبتداء و « لهم » متعلق بـ « مغفرة » وهى خبر المبتداء و « رزق » عطف على « مغفرة » و « كريم » نعت من « رزق » .

٥ - (والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم) عطف على الموصول السابق ، و « فى آياتنا » متعلق بـ « سعوا » على حذف المضاف أى فى إبطال آياتنا ، و « معاجزين » حال لبيان الغاية من هذا السعى الآثم فى آيات الله تعالى ، و « اولئك » مبتداء و « لهم » متعلق بمحذوف و هو وصف لـ « عذاب » أى لهم عذاب ثابت ، و « أليم » صفة اخرى من « عذاب » .

٦ - (ويرى الذين اوتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)

فى « و يرى » وجوه : أحدها - قال الزجاج والفراء : فى موضع نصب ، عطفاً على « ليجزى » أى و ليرى . قيل : و فيه نظر لان قوله : « ليجزى » إما متعلق بقوله : « لتأتينكم الساعة » و إما متعلق بقوله : « لا يعزب » و لا يقال : لتأتينكم الساعة أو لا يعزب ليرى الذين اوتوا العلم ان القرآن حق ، فانهم يرون القرآن حقاً و إن لم تأتهم الساعة . ثانيها - فى موضع نصب ، حالاً من فاعل « كفروا » ثالثها - فى موضع رفع على الاستئناف . و « الذين » فى موضع رفع ، فاعل الفعل ، و « اوتوا » فعل ماض مبنى للمفعول و « العلم » مفعول ثان قام مقام الاول والجملة صلة الموصول ، و « الذى » فى موضع نصب ، مفعول أول لـ

« يرى » و « انزل » فعل ماض مبني للمفعول من باب الافعال و « إليك » و « من ربك » متعلقان بـ « انزل » و « هو » ضمير فصل ، و « الحق » مفعول ثانٍ لـ « يرى » .
 و في « يهدى » وجوه : أحدها - عطف على « يرى » ثانيها - عطف على « ليجزى » ثالثها - عطف على موضع « الحق » من عطف الفعل على الاسم على تقدير « أن » ، لانه في تأويل الهداية أو الهادي أو على تقدير : و يروه حقاً و هادياً .
 رابعها - مستأنف . خامسها - حال من « الذي انزل » على تقدير : و هو يهدى .
 و « إلى صراط » متعلق بـ « يهدى » اضيف إلى « العزيز » و « الحميد » نعت من « العزيز » .

٧ - (و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد)

عطف على « يرى الذى » و « ندلكم » فعل مضارع للتكلم مع الغير ، و ضمير الجمع المخاطب في موضع نصب ، مفعول به ، و « ينبئكم » في موضع جر ، نعت من « رجل » و في « إذا » وجوه : أحدها - أن يكون في موضع نصب على الظرف ، و عاملها « مزقتم » و لا يجوز أن يكون العامل فيها « ينبئكم » لانه ليس يخبرهم ذلك الوقت أى هل ندلكم على رجل يقول لكم : اذا مزقتم تبعثون ، و يكون « إذا » بمنزلة ان الجزاء يعمل فيها الذى يليها . و لا يكون العامل ما بعد « إن » لانه لا يعمل فيما قبله ، و ألا يتقدم عليها ما بعدها و لا معمولها .
 ثانيها - قال الزجاج : يكون العامل محذوفاً ، فالتقدير : اذا مزقتم كل ممزق بعثتم أو ينبئكم بانكم تبعثون إذا مزقتم . و قيل : لا يعمل فيه « مزقتم » لانه مضاف إليه ، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف .

ثالثها - أن يكون العامل في « اذا » ما دلّ عليه خبر « ان » أى اذا مزقتم بعثتم أو نشرتم ، و لا يعمل فيها « ينبئكم » لان اخبارهم لا يقع وقت تمزيقهم ولا مزقتم لان « إذا » مضافة إليه ، و لا يكون العامل « جديد » لان ما بعد « ان » لا

يعمل فيما قبلها . رابعها - أن يكون العامل فيها ما دلّ عليه قوله تعالى: « انكم لفي خلق جديد » و هو تخلقون أو تبعثون . خامسها - أن يكون العامل فيها قوله تعالى : « انكم لفي خلق جديد » .

و « مزقتم » فعل ماض لجمع المذكر المخاطب مبني للمفعول من باب التفعيل و « كل ممزق » مفعول به ، واللام في « لفي » للتأكيد ، و « جديد » وصف لـ « خلق » .

٨ - (أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد)

أصل « أفترى » : أفترى الهمزة الاولى للاستفهام والثانية للوصل إذ الفعل ماض من باب الافعال ، فلما دخلت ألف الاستفهام استغنيت عن ألف الوصل ، فحذفت استنفالاً لاجتماع همزتين : همزة الاستفهام المفتوحة ، وهمزة الوصل المكسورة ، وكان فتح ألف الاستفهام فرقاً بينها وبين ألف الوصل ، وفاعل الفعل ضمير مستتر فيه راجع إلى « رجل » و « على الله » متعلق بـ « أفترى » وقيل : بـ « كذباً » و « أم » متصلة وقعت بعد همزة التسوية . و « به » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « جنة » مبتداء مؤخر ، و « بل » للاضراب و « بالآخرة » متعلق بـ « يؤمنون » و « في العذاب » متعلق بمحذوف أي مستقرون ، و « الضلال » عطف على « العذاب » و « البعيد » وصف لـ « الضلال » .

٩ - (أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ فحسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب)

الاستفهام تقريري ، والفاء للتفريع وتحتمل العطف ، والزيادة زيدت الفاء - في هذه الآية وحدها و ليست في غيرها - لان الاعتبار فيها بالمشاهدة ، وخصت بالفاء لشدة اتصالها بالاول لان الضمير يعود إلى الذين قسموا الكلام في النبي

وَالْفَيْلُ وَ قَالُوا : محمد إما غافل كاذب ، وإما مجنون هاذ وهو قولهم : « أفترى على الله كذباً أم به جنة » فقال الله تعالى : بل تر كتم القسمة الثالثة وهي : وإما صحيح العقل ، صادق الدعوى . و « لم يروا » ليس من أفعال القلوب لان المراد بالرؤية رؤية العين لا رؤية القلب ، و « ما » موصولة في موضع جر بحرف « إلى » و « بين » ظرف ، متعلق بمحذوف ، وهو صلة الموصول ، و « إن » حرف شرط ، و « نشأ » فعل مضارع للتكلم مع الغير شرط ، و « نخسف » جوابه ، و « أو نسقط » عطف على الجزاء ، و « كسفاً » مفعول به ، و « من السماء » متعلق بمحذوف ، و هو نعت من « كسفاً » و « ان » حرف تأكيد ، و « في ذلك » متعلق بمحذوف وهو خبر لها ، و « لآية » إسمها ، واللام فيها للتأكيد ، و « السماء ان » اجتمعت الهمزتان المكسورتان في الكلمتين وهي في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم . و « لكل » متعلق بمحذوف ، وهو صفة لـ « لآية » و « منيب » نعت من « عبد » ١٥ - (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وأنا له الحديد)

اللام في « لقد » للقسم و « آتينا » فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب الأفعال ، و « داود » مفعول أول ، و « منا » متعلق بـ « آتينا » و « فضلاً » مفعول ثان ، و « يا » حرف نداء و « جبال » مبنى على الرفع لانه نكرة مقصودة ، و « أوبي » فعل أمر من باب التفعيل ، خطاب لـ « جبال » و « معه » متعلق بـ « أوبي » . وفي « يا جبال » وجوه : أحدها - بدل من « فضلاً » ثانيها - بدل من « آتينا » باضمار قولنا أو قلنا . ثالثها - أن يكون تفسيراً للفصل و كذلك « أنا له الحديد » .

وفي « الطير » وجوه : أحدها - النصب بفعل مقدر أي ناديت الطير أو سخرنا له الطير . ثانيها - عطف على محل « جبال » أي دعوناها تسبح معه ثالثها - مفعول معه لـ « أوبي » والمعنى : أوبي معه ومع الطير التي تسبح معه . رابعها - على تقدير : آتينا الطير حملاً على « ولقد آتينا داود منا فضلاً » خامسها - عطف على « فضلاً » على تقدير : و تسبح الطير . كل ذلك على قراءة النصب ، و أما

على قراءة الرفع ففيه و جهان : أحدهما - أن يكون عطفاً على لفظ « جبال »
ثانيهما - على الضمير في « اربى » و أغنت « مع » عن توكيده ، فان الفصل يقوم
مقام التوكيد .

« وألنا » الواو للعطف ، و مدخولها فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب
الافعال و « له » متعلق بـ « ألنا » و « الحديد » مفعول به .

١١ - (أن اعمل سابغات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً انى بما تعملون
بصير)

في « أن » و جهان : أحدهما - تفسيرية بمعنى « أى » و المعنى : أمرناه
أن أعمل أو قلنا له : اعمل . وذلك لان إلانة الحديد له في معنى الامر بان يستعمل
سابغات . و على هذا فلا موضع لـ « أن » من الاعراب . ثانيهما - مصدرية ، فتكون
في موضع نصب على تقدير حرف جر ، و تقديره : لان أعمل أى ألنا له الحديد
لهذا الامر . و « اعمل » فعل أمر ، خطاب لـ « داود » و « سابغات » مفعول بها ،
صفة لمحذوف أى دروعاً سابغات ، فحذف الموصوف ، و اقيم الصفة مقامه . و
« قدر » فعل أمر من باب التفعيل على حذف المفعول أى قدر الحلق والمسامير .
« و اعملوا » الواو للعطف على قوله تعالى : « قدر فى السرد » و الفعل
للامر خطاب لداود و أهله كما قال تعالى : « اعملوا آل داود شكراً » و « صالحاً »
مفعول به .

و « انسى » حرف تأكيد مع إسمها ، و « بما » موصولة مجرورة متعلقة بـ
« بصير » و « تعملون » صلة الموصول على حذف العائد و « بصير » خبر لحرف
التأكيد .

١٢ - (و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر
و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه
من عذاب السعير)

في «ولسليمان الريح» وجوه: أحدها - عطف على «و لقد آتينا داود» على تقدير: و سخرنا لسليمان الريح. و هذا على قراءة نصب «الريح». ثانيها - أن يكون «الريح» مبتداء و «لسليمان» خبره. ثالثها - أن يكون مرفوعاً بالجار والمجرور. و «غدوها» مبتداء و «شهر» خبره على حذف المضاف أي مسيرة شهر، و الجملة في موضع نصب على الحال من «الريح» على تقدير: مدة غدوها مسيرة شهر لان الغدو مصدر و ليس بزمان، و «رواحها شهر» عطف على ما تقدم على تقدير: و مدة رواحها مسيرة شهر. وانما وجب هذا التقدير لان الغدو و الرواح ليس بالشهر، و انما يكونان فيه.

و «و أسلنا» فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب الافعال، عطف على المحذوف و «له» متعلق بـ «أسلنا» و الضمير راجع إلى «سليمان» و «عين القطر» مفعول به. و في «من الجن» وجوه: أحدها - عطف على «الريح» و «من الجن» حال متقدمة. ثانيها - ان جملة «من الجن من يعمل» مبتداء و خبر. ثالثها - ان «من يعمل» عطف على «الريح» و «من الجن» حال متقدمة. و في «من» وجوه: أحدها - في موضع نصب بمعنى: و سخرنا له من الجن فريقاً يعمل. ثانيها - في موضع رفع على الابتداء، و «من الجن» خبره. ثالثها - في موضع رفع على الفاعل، أي وله من الجن فريق يعمل. و «من» شرطية في موضع رفع على الابتداء و «يزغ» فعل شرط، و «نذقه» جوابه و هو خبر المبتداء.

١٣ - (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

بدل من «من يعمل بين يديه» و «ما» موصولة في موضع نصب، مفعول به، و «يشاء» صلة الموصول، و «من» بيانية، و «محاريب»: جمع محراب و «تماثيل». جمع تمثال، و «جفان»: جمع جفنة و «كالجواب»: جمع

جاية ، كل ذلك من صيغ انتهاء الجموع ... و « قدور » : جمع قدر من جمع مكسر ، و « راسيات » صفة « قدور » و « اعملوا » فعل أمر خطاب لآل داود ، و في « آل داود » وجوه : أحدها - على تقدير : يا آل داود . ثانيها - على تقدير : أعني آل داود . ثالثها - عطف بيان من ضمير الجمع . رابعها - بدل من ضمير الجمع . وفي نصب « شكراً » وجوه : أحدها - مفعول له أي اعملوا الطاعة شكراً ثانيها - مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكره . ثالثها - مصدر لمحذوف أي اشكروا شكراً . رابعها - منصوب على الحال أي شاكرين . خامسها - مفعول به أي اعملوا شكراً لان الشكر عمل صالح . سادسها - صفة لمحذوف أي عملاً شكراً .

و « قليل » مبتداء و « الشكور » خبره ، وابتداء بالنكرة للفائدة فتدبر جيداً .
 ١٤ - (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

الفاء في « فلما » للعاقبة ، ومدخولها ترد لربط مضمون جملة بوجود مضمون اخرى إذا دخلت على الماضي ، و في كونها حرفاً أو ظرفاً خلاف ، و « قضينا » فعل ماض للتكلم مع الغير ، و « عليه » متعلق بـ « قضينا » و الضمير راجع إلى « سليمان » و « الموت » مفعول به ، و « ما » حرف نفى و « دل » فعل ماض ، و ضمير الجمع في موضع نصب ، مفعول به ، و « دابة » فاعل الفعل ، اضيفت إلى « الارض » مصدر أرضت الخشبة بالبناء للمفعول أكلتها الأرضة ، و « تأكل » في موضع رفع ، نعت من « دابة الارض » و « منسأته » مفعول بها .

و في « أن » وجوه : أحدها - في موضع رفع على البدل من الجن بدل إشمال . والتقدير : تبين أمر الجن ، فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقام المضاف . ثانيها - في موضع نصب على تقدير حذف اللام . ثالثها - في موضع رفع بدلاً من أمر المقدر

لان المعنى تبينت الانس جهل الجن. رابعها - ان «أن» هذه مخففة من الثقيلة على تقدير: انهم لو كانوا يعلمون الغيب. و «يعلمون» في موضع نصب، خبر لفعل الناقص «كانوا» و «الغيب» مفعول به، و «ما» حرف نفي، و «المهين» وصف لـ «العذاب».

١٥ - (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

اللام لتوطئة القسم، و مدخولها للتحقيق و «كان» من أفعال الناقصة، و «لسبأ» متعلق بمحذوف، و هو خبر لـ «كان» و «آية» إسمها، و في «جنتان» وجوه: أحدها - أن يكون بدلاً من «آية» ثانيها - أن يكون خبراً لمحذوف على تقدير: هسى جنتان، أو كأنه قيل: ما الآية؟ فقال: الآية جنتان. ثالثها - أن يكون مبتداء، و خبره محذوف على تقدير هنا أو هناك جنتان. رابعها - على تقدير أعنى أو امدح. و هذا بناء على قراءة النصب. و «عن يمين» صفة لـ «جنتان» و «بلدة» خبر لمحذوف أى هذه بلدة أو على تقدير: هذه البلدة التي فيها جنتان بلدة و «طيبة» نعت من «بلدة».

و «رب» خبر لمحذوف أى ربكم رب. أو مبتداء، خبره محذوف أى و لكم رب أو على تقدير: ربكم الذى رزقكم و طلب منكم الشكر رب و «غفور» نعت من «رب».

١٦ - (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم و بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط و أثل و شىء من سدر قليل)

الفاء الاولى تحتمل الاستيناف و التعقيب، و الثانية للنتيجة، و مدخول الاولى فعل ماض لجمع الغيبة من باب الافعال، و الثانى فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال، و «عليهم» متعلق بـ «أرسلنا» و «سيل» مفعول به، أضيف إلى «العرم» و هسى جمع العرمة، صفة للسيل من إضافة الموصوف إلى صفته كقولك: مسجد الجامع. و الواو في «وبدلناهم» للعطف، و مدخولها فعل ماض

للتكلم مع الغير من باب التفعيل ، و ضمير « هم » في موضع نصب ، مفعول أول ، و « جنتين » مفعول ثان ، و « ذواتي » صفة من « جنتين » أضيف إلى « اكل » ، و « خمط » عطف بيان من « اكل » قيل : لا يجوز أن يكون وصفاً لانه اسم شجرة بعينها ، و لا بدلاً لانه ليس هو الاول و لا بعضه ، و « قليل » نعت من « اكل » و يجوز أن يكون نعتاً من « خمط » و « أثل » و « سدر » .

١٧ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الا الكفور)

« ذلك » في موضع نصب ، مفعول ثان ل « جزينا » والمفعول الاول هو ضمير الجمع « هم » والباء في « بما » سببية و مدخولها مصدرية ، والتقدير : جزيناهم ذلك بسبب كفرهم . و قيل : « ذلك » في موضع رفع على الابتداء ، و خبره محذوف على تقدير : ذلك ما جزيناهم به ، و « جزيناهم بما كفروا » بدل من المحذوف أو عطف بيان له ، و « هل » للاستفهام الانكارى في معنى النفي و « نجازى » فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب المفاعلة ، و « الكفور » مفعول به .

١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين)

عطف على « جزينا » و قيل : عطف على « كان لسبأ » و « بينهم » متعلق بـ « جعلنا » و ضمير الجمع راجع إلى سبأ و « القرى » : جمع القرية ، و « التى » موصولة و « باركنا فيها » صلتها ، والجملة في موضع جر ، صفة ل « القرى » و « قرى » مفعول به ل « جعلنا » و « ظاهرة » صفة ل « قرى » و « و قدرنا » عطف على « جعلنا » و « سيروا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، والجملة مقولة لمحذوف أى قلنا لهم : سيروا . و « ليالى و أياماً » ظرفان .

و « ليالى » : جمع ليلة على خلاف القياس ، فان القياس أن يكون واحدة « ليلاه » فجمع على لفظ واحده كمشابه جمع مشبهة وملاقح جمع ملقحة ، وإن لم يكن مستعملاً ، و « أياماً » : جمع قلة من « يوم » وأصله : أيام إلا انه لما

اجتمعت الواو والياء والسابق منهما ساكن، قلبوا الواو ياء وجعلواهما ياء مشددة .
و « آمنين » منصوب على الحال من ضمير الجمع في « سيروا » .

١٩ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث
و مزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

الفاء للتعقيب ، و « ربنا » منصوب على انه نداء مضاف ، وهو منصوب لانه
مفعول به لان معناه : ناديت و دعوت ، و « باعد » فعل أمر من باب المفاعلة و
« أحاديث » : جمع حديث ، مفعول ثان لـ « جعلنا » و قيل : جمع احدوثة وهي
ما يتحدث به على سبيل التلهي والاستغراب لاجمع الحديث على خلاف القياس ،
و « مزقنا » عطف على « فجعلنا » و « في ذلك » متعلق بمحذوف وهو خبر لحرف
التأكيد ، واللام في « لايات » للتأكيد ، ومدخولها اسم لحرف التأكيد ، و « لكل »
متعلق بمحذوف وهو صفة لـ « لايات » و « صبار » صيغة مبالغة ، و كذلك « شكور »
صفة لـ « صبار » .

٢٠ - (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

اللام في « لقد » لتوطئة القسم ، و « صدق » فعل ماض من باب التفعيل ،
و « عليهم » متعلق بـ « صدق » ، والضمير راجع إلى سبأ و قيل : إلى الناس كلهم ،
والفاء في « فاتبعوه » للتفريع ، ومدخولها فعل ماض لجمع القيبة من باب الافتعال ،
والضمير في موضع نصب ، مفعول به ، و « فريقاً » منصوب على الاستثناء ، و « من »
في « من المؤمنين » بيانية .

٢١ - (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ)

في الاستثناء وجهان : أحدهما - منقطع أي لا سلطان له عليهم ولكننا
ابتلينا بوسوسته لنعلم و « الآ » بمعنى « لكن » فليس قوله تعالى : « الا لنعلم »
جواباً لـ « وما كان له عليهم من سلطان » في ظاهره ، وانما هو محمول على المعنى

أى و ما جعلنا له سلطاناً الا لنعلم . ثانيهما - متصل أى ما كان له عليهم من سلطان غير أنا سلطناه عليهم ليتم الابتلاء . و قيل : « كان » زائدة أى و ما له عليهم من سلطان . و فى « من » فى « من يؤمن » وجهان : أحدهما - موصولة فى موضع نصب بـ « لنعلم » ثانيهما - استفهام فى موضع رفع على الابتداء . و فى « من » فى « منها » وجوه : أحدها - أن تكون للتمييز أى لشك منها أى بسببها . ثانيها - أن يكون « منها » حالاً من « شك » نالها - أن تكون « من » بمعنى « فى » . و « ربك » مبتداء ، و « على كل شيء » متعلق بـ « حفيظ » وهو خبر المبتداء .

٢٢ - (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات و لافى الارض و مالهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير)
 « ادعوا » فعل أمر ، خطاب للمشركين ، و « الذين » موصولة فى موضع نصب ، مفعول به لـ « ادعوا » و « زعمتم » صلة الموصول على حذف مفعوليه أى زعمتموهم آلهة . و سبب حذف الاول إستحقاق عوده إلى الموصول ، و سبب حذف الثانى إقامة الصفة و هى « من دون الله » مقام الموصول و « لا يملكون » فى موضع نصب ، صفة للمفعول الثانى ، و تحتمل الحال ، و الاستيناف . و « مثقال ذرة » مفعول به ، و « فى السموات » متعلق بمحذوف و هو صفة لـ « مثقال ذرة » و « ما » حرف نفي و « لهم » متعلق بمحذوف و هو إسمها و « من شرك » خبرها ، و « ما له منهم من ظهير » عطف على ما قبله .

٢٣ - (و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير)

فى « لمن » وجهان : أحدهما - أن يكون متعلقاً بـ « الشفاعة » لانك تقول : شفعت له . ثانيهما - أن يكون متعلقاً بـ « تنفع » و تحتمل أن تكون اللام للتمليك ، و أن تكون للتعليل ، و « إذا » شرطية و « فزع » فعل ماض مبنى للمفعول ، و « عن قلوبهم » تاب مناب الفاعل ، و الجملة شرطية ، و « قالوا ماذا » جوابها .

و « ما » في موضع نصب بـ « قال » و « ذا » زائدة و كذلك ينصب الجواب بـ « قال » و هو قوله تعالى : « قالوا الحق » ليكون الجواب على وفق السؤال .
 « وهو » الواو تحتمل الحال والاستيناف و « هو » مبتداء و « العلى » خبره ،
 و « الكبير » صفة « العلى » .

٢٤ - (قل من يرزقكم من السموات و الارض قل الله و انا و اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين)

« من » استفهامية في موضع رفع على الابتداء و « يرزقكم » خبره و في « الله » وجوه : أحدها - مبتداء و خبره محذوف أى الله يرزقكم . ثانيها - خبر لمحذوف أى هو الله تعالى . ثالثها - خبر لمحذوف و هو خبر لمحذوف آخر أى الرزاق هو الله . و « أو اياكم » « أو » عند البصريين على بابها و ليس للشك لكنها على ما تستعمله العرب في مثل هذا إذا لم يرد المخبر أن يبين وهو عالم بالمعنى . و قيل : بمعنى السواد فتقديره : و انا لعلى هدى و اياكم في ضلال مبين . كقول الشاعر :

سيان كسر رغيفه أو كسر عظم من عظامه

و « اياكم » ضمير منصوب منفصل ، و هو عطف على إسم « إن » ولو عطف على الموضع لكان « أو انتم » و في « لعلى هدى » و جهان : أحدهما - أن يكون خبراً للاول ، و خبر الثاني محذوف لدلالة الاول عليه . ثانيهما - أن يكون خبراً للثاني ، و خبر الاول محذوف لدلالة الثاني عليه كقولك : زيد و عمر و قائم . ولك فيه و جهان : فان شئت جعلت « قائماً » خبراً للاول ، و قدرت خبراً للثاني و إن شئت جعلته خبراً للثاني و قدرت للاول خبراً أكتفاء بأحدهما عن الآخر لدلالته عليه . ولو عطف على موضع إسم « إن » لقلت : و انا أو انتم لم يجز أن يكون « لعلى هدى » الأخير الثاني لانه لا يجوز العطف على الموضع الأبعد الخبر لفظاً أو تقديرأ ، فلا بد من تقدير خبر الاول قبل المعطوف لئلا يكون العطف قبل الايتان بالخبر .

وهذا مذهب البصريين ، وأما الكوفيون فيجوزون العطف على الموضع قبل الاتيان بالخبر . وقيل : التقدير : وانا لعلى هدى أو فى ضلال مبين وانكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين .

و «أوفى ضلال» عطف على «لعلى هدى» وخبر المعطوف محذوف لدلالة المذكور عليه وقيل : عكس ذلك ، و «مبين» وصف من «ضلال» .

٢٥ - (قل لاتسئلون عما أجرنا ولا نسل عما تعملون)

«تسئلون» فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب ، مبنى للمفعول ، و «ما» فى «عما» موصولة و «أجرنا» فعل ماضى للتكلم مع الغير صلة الموصول على حذف العائد ، والجملة التالية معطوفة على ما قبلها ، وتركيبتها ظاهر .

٢٦ - (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتح العليم)

«هو» مبتداء و «الفتح» للمبالغة ، إسم من أسماء الله تعالى و «العليم»

وصف «الفتح» .

٢٧ - (قل أرونى الذين ألحقتهم به شركاء كلاب هو الله العزيز الحكيم)

«أرونى» فعل أمر ، خطاب لجمع المذكر من باب الافعال ، من رؤية القلب ، فالنون للتكلم وحده فى موضع نصب ، مفعول أول ، والياء للوقاية ، و «الذين» موصولة فى موضع نصب ، مفعول ثان ، و «ألحقتهم» فعل ماضى لجمع المذكر المخاطب ، صلة الموصول على حذف العائد أى ألحقتموهم به ، و «شركاء» مفعول ثالث . والمعنى : عرفونى هذا الاصنام والاولئان التى جعلتموها شركاء لله سبحانه . وإن جعلت «أرونى» من رؤية البصر كان «شركاء» حالاً من ضمير محذوف أى هم . على ان عبادة الاصنام مما يحس .

«كلا» حرف ردع وزجر ، و «بل» حرف إضراب ، جيئت ههنا لابطال السابق ،

و «هو» مبتداء و «الله» مبتداء ثان ، و «العزيز» خبر الثانى والجملة خبر الاول ،

و «الحكيم» خبر بعد خبر للمبتداء الثانى .

٢٨ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

« ما » حرف نفى ، و « أرسلنا » فعل ماضٍ للتكلم مع الغير ، وكاف الخطاب في موضع نصب ، مفعول به ، و في نصب « كافة » وجوه : أحدها - منصوب على الحال من كاف الخطاب أى و ما أرسلناك الآجتماعاً للناس بالانذار و الإبلاغ ، فالكافة بمعنى الجامع ، و الهاء للمبالغة كعلامة و نسبة و أصل « كافة » : كافة الآنة اجتمع حرفان متحركان من جنس واحد في كلمة واحدة ، فسكن الاول و ادغم في الثانى ، فصار كافة . و قيل : الكافة بمعنى المانع ، فالمعنى : و ما أرسلناك الآماناً للناس من الكفر بالانذار و الإبلاغ . ثانيها - منصوب على المصدرية ، و الهاء للمبالغة أيضاً كالعاقبة و العافية و الهداية ، و هو صفة لمصدر محذوف أى الآرسالة كافة . و قيل : على تقدير : و ما أرسلنا الآللناس كافة .

ثالثها - منصوب على الحال من « للناس » و المعنى : و ما أرسلناك الآإلى الناس كافة . و أما الاشكال في تقديم الحال على ذى الحال المجرور ، فجوزة بعض النحويين ، فقدمت للاهتمام و التقوى . و على هذا فاللام تكون بمعنى « إلى » فالمعنى : أرسلناك إلى الناس ويجوز أن يكون التقدير : من أجل الناس . رابعها - منصوب بنصب مضافه و اقيم مقامه ، فالتقدير : ذا كافة أى ذا منع من الكفر والمعاصى أو ذا جمع لهم بالانذار و الإبلاغ . و قيل : معناه : و ما أرسلناك إلا أن تكفهم و تردعهم عما هم فيه من الكفر و تدعوهم إلى الاسلام .

و « للناس » متعلق بـ « أرسلنا » و « بشيراً و نذيراً » حالان للكاف في « أرسلناك » بلا خلاف أى مبشراً لهم بالجنة و منذراً لهم من النار ، و « لكن » حرف إستدراك و « أكثر الناس » إسمها و « لا يعلمون » في موضع رفع ، خبرها .

٢٩ - (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

« هذا » في موضع رفع بالابتداء و « الوعد » نعت من « هذا » و « متى » إسم

إستفهام زمانى ، خبره وفيه ضمير راجع إلى «الوعد» و «إن كنتم صادقين» شرط محذوف الجزاء يدل عليه ما قبله .

٣٠ - (قل لكم ميعاد يوم لا تتأخرون عنه ساعة و لا تستقدمون)

« لكم » متعلق بمحذوف ، خبر مقدم ، و « ميعاد » مبتداء مؤخر ، مصدر مضاف إلى الظرف ، والاضافة بيانية أى وعد يوم أو زمان وعد ، و « تتأخرون » فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب الاستفعال ، و الضمير فى « عنه » راجع إلى « ميعاد » و يجوز أن يكون راجعاً إلى « يوم » و إلى أيهما أعدتها كانت الجملة صفة لـ « ميعاد » و المعنى ان هذا الميعاد المضروب لكم لا تتأخرون عنه ، و لا تتقدمون عليه بل يكون لا محالة فى الوقت الذى قدره تعالى وقوعه فيه .

٣١ - (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذى بين يديه و لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا أنتم لكانا مؤمنين)

« لو » شرطية ، و « ترى » فعل شرط ، و جوابه محذوف أى لرأيت أمراً هائلاً فظيماً أو لقضيت العجب ، و « الظالمون » مبتداء و اللام فيه للعهد . و « موقوفون » خبره ، و « يرجع بعضهم » فى موضع نصب على الحال من « الظالمون » و « القول » مفعول به ، و « لولا » حرف تردد لربط امتناع جوابه بوجود شرطه ، و تختص بالاسمية ، و يغلب معها حذف الخبر إن كان كوناً مطلقاً ، و « أنتم » مبتداء على حذف الخبر ، و لا يجوز إظهاره لطول الكلام بالجواب ، و اللام فى « لكننا » للتأكيد ، و مدخولها فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من أفعال الناقصة ، و « مؤمنين » خبره ، و الجملة جواب لـ « لولا » .

٣٢ - (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

« أنحن » الاستفهام انكارى ، و « نحن » مبتداء و « صددنا » فعل ماضٍ للتكلم مع الغير فى موضع رفع ، خبر المبتداء و « كم » فى موضع نصب ، مفعول به ، و « عن الهدى » متعلق بـ « صددنا » و « بل » حرف إضراب للانتقال .

٣٣ - (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسرنا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) فى « مكر الليل » وجهان : أحدهما - أن يكون مبتداء ، وخبره محذوف أى مكر كم فى الليل والنهار صدنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله . ثانيهما - أن يكون فاعل فعل محذوف على تقدير : بل صدنا مكر كم فى الليل والنهار والعرب تضيف الاحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول : صيام النهار وقيام الليل ، والمعنى : ان الصيام فى النهار والقيام فى الليل .

« أسروا » فعل ماضٍ لجمع المذكر الغائب من باب الافعال ، و « هل » استفهامية انكارية فى معنى النفي ، و « يجزون » فعل مضارع مبنى للمفعول ، و « ما » موصولة فى موضع نصب بالاستثناء و « يعملون » فى موضع رفع ، خبر « كانوا » والجملة صلة الموصول على حذف العائد .

٣٤ - (و ما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون)

« ما » حرف نفي و « أرسلنا » فعل ماضٍ للتكلم مع الغير من باب الافعال ، و « من نذير » فى موضع نصب ، مفعول به أى منذراً ، و « مترفوها » إسم مفعول من باب الافعال اضيف إلى ضمير التأنيث الراجع إلى « قرية » و « ما » فى « بما » موصولة مجرورة بحرف الباء متعلق بـ « كافرون » و « ارسلتم » فعل ماضٍ لجمع المذكر المخاطب مبنى للمفعول صلة الموصول ، والعائد هو الضمير فى « به » و « كافرون » خبر لحرف التأكيد « انا » .

٣٥ - (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)

« نحن » مبتداء و « أكثر » خبره و « أموالاً » تمييز ، و « أولاداً » عطف على « أموالاً » على حذف المفضل عليه و تقديره : نحن أكثر منكم أموالاً و أولاداً . و قيل : ان التقدير : ان أموالنا و أولادنا كثيرة جداً فـ « أفعل » للزيادة المطلقة ، و « ما » حرف نفى تشبه بـ « ليس » و « نحن » إسمها و « بمعذبين » خبرها على زيادة الباء للتأكيد .

٣٦ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

« يبسط » في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « لا يعلمون » في موضع رفع ، خبر لحرف الاستدراك .

٣٧ - (و ما أموالكم و لا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى الامن آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون)

« ما » حرف نفى ، و « أموالكم » إسمها ، و « لا أولادكم » عطف على « أموالكم » و « بالتي » موصولة فى موضع نصب ، خبر « ما » و دخلت الباء فى خبر « ما » لتكون بازاء اللام فى خبر « ان » لأن « ان » للاثبات و « ما » للنفى فيكون ما زيد بقائم جواباً لمن قال : ان زيدا لقائم . و « زلفى » مصدر فى موضع نصب على المعنى : تقر بكم قريباً .

وقيل : إسم بمعنى القرية وقع موقع المصدر كقوله تعالى : « والله أنبتكم من الارض نباتاً » . و قيل : إسم مصدر فيكون موضعه نصباً كأنه قال : بالتي تقر بكم عندنا تقريباً .

« الامن آمن » فى الاستثناء و جوه : أحدها - منقطع ، فيكون موضع « من » نصباً أى لكن من آمن و عمل صالحاً . ثانيها - متصل ، مستثنى من مفعول « تقر بكم » وذلك إذا كان الخطاب عاماً للمؤمنين والكافرين ، و يجوز أن يكون

منقطعاً اذا كان الخطاب خاصاً بالكافرين فـ «من» في موضع نصب. ثالثها - إستثناء من أموالكم و أولادكم على حذف مضاف أى أموال من آمن و عمل و أولادهم . رابعها - إستثناء من الفاعل في « تقر بكم » والمعنى : ان شيئاً من الاشياء لا يقرب الآ عمل المؤمن الصالح لان ما سوى ذلك شاغل عن الله والعمل الصالح إقبال على العبودية ، و من توجه إلى الله وصل و من طلب شيئاً من الله حصل . و في موضع « من » وجوه : أحدها - في موضع نصب . ثانيها - في موضع جر بدلاً من الضمير في « تقر بكم » والقول بعدم جواز البدل عن الضمير ليس بشيء . والمعنى : ان الاموال والاولاد من حيث هماهما لا تفيدان الا اذا انضموا بالايمن والعمل الصالح . و قيل : لا يجوز أن يكون بدلاً من الضمير في « تقر بكم » لان المخاطب لا يبدل منه . ثالثها - في موضع رفع . والمعنى : ما هو الا من آمن رابعها - في موضع رفع على كونه مبتداء و ما بعده خبره . و قيل : خبره مقدر أى لكن من آمن و عمل صالحاً فإيمانه و عمله الصالح يقربانه .

و قوله تعالى : « فاولئك » الفاء للتفريع ، و مدخولها في موضع رفع ، مبتداء و « لهم » متعلق بمحذوف وهو الخبر ا « جزاء الضعف » والجملة خبر ا « اولئك » و « جزاء الضعف » من إضافة المصدر إلى المفعول . وتقديره : فاولئك لهم أن يجازوا الضعف . و قيل : هذا من إضافة الموصوف إلى الصفة أى الجزاء المضاعف . والباء في « بما » سببية و مدخولها مصدرية و تحتمل الموصولة على حذف العائد . و « هم » مبتداء و « آمنون » خبره .

٣٨ - (والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون)

« معاجزين » حال مقدره أى لنا مقدرين عجزنا و « اولئك » مبتداء و

« محضرون » إسم مفعول من باب الافعال ، خبر المبتداء .

٣٩ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم

من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

في « ما » و جهان : أحدهما - شرطية في موضع نصب ، والفاء في « فهو »
جواب الشرط و « من » في « من شيء » للتبيين . ثانيهما - موصولة ، ففي موضع
رفع بالابتداء و ما بعد الفاء هو الخبر .

٤٥ - (و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا
يعبدون)

« يوم » ظرف لمحذوف أى اذ كر ، و « جميعاً » تأكيد لضمير الجمع في
« يحشرهم » و الاستفهام في « هؤلاء » إنكارى و مدخولها مبتداء و « إياكم »
ضمير منفصل منصوب بـ « يعبدون » و الجملة في موضع نصب ، خبراً « كانوا » و
فيه دلالة على جواز تقديم معمول خبر كان عليها ، و الجملة خبر المبتداء .

٤٦ - (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم
بهم مؤمنون)

« أنت » مبتداء و « ولينا » خبره ، و « بل » حرف إضراب للانتقال ، و
« يعبدون » في موضع نصب ، خبراً « كانوا » و « الجن » مفعول به ، و « أكثرهم »
مبتداء و « بهم » متعلق بـ « مؤمنون » و هو خبر المبتداء ، و الجملة تحتمل
الحال و الاستيناف .

٤٣ - (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً و نقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)

الفاء للتفريع ، و مدخولها منصوب على الظرفية ، « و نقول » عطف على
« يقول الملائكة » و هذا حكاية لرسول الله ﷺ لما سيقال للعبدة يومئذ اثر
حكاية ما سيقال للملائكة أى يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة كذا و كذا
و هم يقولون كذلك و نقول للمشركين الآية فالقول بانه عطف على « لا يملك »
بلا وجه . و « ذوقوا » فعل أمر لجمع المذكر المخاطب ، و « عذاب النار » مفعول
به ، و « التي » موصولة و « تكذبون » فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من

باب التفعيل ، والجملة في موضع نصب ، خبر ا « كنتم » والجملة صلة الموصول ، والجملة في موضع نصب ، نعت من « عذاب النار » .

٤٣ - (و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

« بينات » منصوب على الحال من « آياتنا » و « ما » حرف نفي ، و « هذا » اسمها و « رجل » خبرها ، ولم تعمل لمكان « إلا » و « يريد » صفة من « رجل » و « آباءكم » فاعل ا « يعبد » و هو في موضع نصب ، خبر ا « كان » و اسمها محذوف يفسره « آباءكم » والتقدير : عما كان آباؤكم يعبدون . و « ان » حرف نفي تشبه بـ « ليس » و « هذا » اسمها ، و « سحر » خبرها ، و انتقض عملها بـ « إلا » و « مبين » وصف ا « سحر » .

٤٤ - (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)
الواو للحال ، و مدخولها حرف نفي ، و « آتينا » فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، والجملة حالية ، و « هم » في موضع نصب ، مفعول أول ، و « من كتب » في موضع نصب ، مفعول ثان ، و « يدرسونها » في موضع جر ، صفة ا « كتب » ويجوز أن يكون في موضع نصب على موضع الجار والمجرور لان المعنى : و ما آتيناهم كتباً مدرسة . و « ما أرسلنا .. الخ » عطف على « ما آتينا » .

٤٥ - (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلنا فكيف كان تكبير)

الواو للاستيناف ، و « كذب » فعل ماض من باب التفعيل ، و « الذين » موصولة ، في موضع رفع ، فاعل الفعل ، و « من قبلهم » متعلق بمحذوف ، صلة الموصول ، و ضمير الجمع راجع إلى مشركي مكة والواو في « وما » للحال ،

و مدخولها حرف نفي ، والضمير في « بلغوا » راجع إلى مشركي مكة أيضاً
والجملة حالية ، و « معشار » مفعول به ، اضيف إلى « ما » وهي موصولة و « آتيناهم »
صلتها ، و ضمير الجمع : « هم » راجع إلى متقدمي المشركين من الكفار ،
و « فكذبوا » عطف على « كذب » من عطف الخاص على العام على طريقة التفسير
كقوله تعالى : « كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » لان التكذيب الاول لما
حذف منه متعلقه أفاد العموم من الكتب والرسد والمعجزات فسّر بذلك الخاص
من تكذيب الرسل .

و قيل : « فكذبوا رسلي » عطف على « ما بلغوا » و على هذا فالفاء سببية
والمعنى : انهم اذا لم يبلغوا معشار الاقدمين فكيف كذبوا . و « كيف » خبر
مقدم (« كان » و « نكير » إسمها ، على حذف ياء التكلم . و « نكير » مصدر
بمعنى إنكارى . و فى الكلام حذف و تقديره : فأهلكناهم فكيف كان نكيرى .
٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)

« قل » فعل أمر ، و « انما » كلمة حصر ، و « أعظكم » فعل مضارع للتكلم
وحده و ضمير الخطاب فى موضع نصب ، مفعول به ، و « بواحدة » صفة لمحذوف
أى بكلمة واحدة أو بخصلة أو حسنة واحدة . و فى « أن تقوموا لله » وجوه :
أحدها - أن يكون فى موضع رفع على أن يكون خبراً لمبتداء محذوف أى و
هى أن تقوموا لله . ثانيها - أن يكون فى موضع نصب ، على تقدير حذف حرف
الجر ، و هى اللام ، و تقديره : لان تقوموا لله . فحذفت اللام تخفيفاً . وقيل : على
تقدير : أعنى أن تقوموا لله . ثالثها - أن يكون فى موضع جر . و تقديره : بان
تقوموا لله . رابعها - فى موضع جر على البدل من « بواحدة » .

و « مثنى وفرادى » منصوبان على الحال من الواو فى « تقوموا » و « ثم »
حرف عطف . و « تتفكروا » فعل مضارع لجمع المذكر المخاطب من باب التفعيل

عطف على « أن تقوموا » و « ما بصاحبكم من جنة » نفى و استثناء . وفي « بين يدي » وجوه : أحدها - أن يكون ظرفاً لـ « نذير » ثانيها - أن يكون نعتاً لـ « نذير » ثالثها - أن يكون « لكم » صفة لـ « نذير » فيكون « بين » ظرفاً للاستقرار أو حالاً من الضمير في الجار أو صفة أخرى .

٤٧ - (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد)

« ما » إسم شرط في موضع رفع على الابتداء و خبره شرطه أو جزاءه أو كلاهما على اختلاف فيه ، و قيل : في موضع نصب بانها مفعول ثان لـ « سئلت » و يجوز أن تكون موصولة على تقدير : ما سئلتكموه . فيكون مع الصلة في موضع رفع بالابتداء و « سئلتكم » شرط ، والفاء في « فهو » للجزاء و مدخولها مبتداء و « لكم » متعلق بمحذوف خبره والجملة جزاء الشرط ، و « إن » حرف نفى و « أجر » مصدر اضيف إلى ياء التكلم ، و « على الله » متعلق بمحذوف والواو في « وهو » تحتمل الحال والاستيناف ومدخولها مبتداء و « على كل شيء » متعلق بـ « شهيد » و هو خبره .

٤٨ - (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

« ربي » إسم لحرف التأكيد ، و « يقذف » خبرها و في « علام الغيوب » وجوه : أحدها - أن يكون خبراً لمحذوف أي هو علام الغيوب . ثانيها - أن يكون خبر ثان لـ « ان » و « يقذف » خبر أول . ثالثها - أن يكون بدل من الضمير المستكن في « يقذف » رابعها - انه صفة محمولة على موضع « ان ربي » خامسها - أن يكون بدلاً من موضع « ربي » لان موضعه الرفع . وهذا على قراءة الرفع . وأما على قراءة النصب ففيه وجوه : أحدها - انه صفة لـ « ربي » ثانيها - على إضمار أعنى . ثالثها - انه بدل من « ربي » أي قل : ان ربي علام الغيوب يقذف بالحق .

٤٩ - (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

« ما » حرف نفى و « يبدىء » فعل مضارع من باب الافعال ، و « ما يعيد » عطف على « يبدىء الباطل » . و قيل : « ما » استفهامية بمعنى أى شيء أى جاء الحق فأى شيء بقى للباطل حتى يعيده و يبدئه .

٥٠ - (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى و ان اهتديت فبما يوحي الى ربي انه سميع قريب)

« إن » حرف شرط و « ضللت » فعل الشرط ، و « فانما أضل » جزاءه و « ان اهتديت » عطف على المتقدم ، والفاء فى « فبما » للجزاء والباء سببية ومدخولها موصولة و « يوحي » فعل مضارع من باب الافعال و « إلى » متعلق بـ « يوحي » و « ربي » فاعل الفعل ، و « سميع » خبر لحرف التأكيد و « قريب » صفة لـ « سميع » .

٥١ - (و لو ترى اذ فرعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

« لو » حرف شرط ، حذف جوابه أى ولو ترى لرأيت ما تعتبر عبرة عظيمة من أمر عظيم هائل فظيع . و يدل عليه الكلام . و قيل : على تقدير : لو ترى لتعجبت . و « فرعوا » فى موضع جر باضافة « إذ » إليه ، و « اخذوا » فعل ماض مبني للمفعول ، عطف على « فرعوا » و قيل : عطف على « فلا فوت » على معنى : اذ فرعوا فلم يفوتوا و اخذوا . و « قريب » وصف لـ « مكان » .

٥٢ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

عطف على « اخذوا » و « أنى » بمعنى « كيف » وهو استفهام يراد به الاستبعاد فى موضع رفع ، خبر مقدم و « التناوش » مبتداء مؤخر ، و « من مكان » متعلق بـ « التناوش » و « بعيد » وصف لـ « مكان » .

٥٣ - (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

الواو للحال ، و « قد » للتحقيق والجملة فى موضع نصب على الحال من ضمير الجمع فى « لهم » أو من « قالوا » و « قبل » مبني لقطعه عن الاضافة و كون المحذوف منوياً للمتكلم و « يقذفون » فى موضع نصب ، خبراً لـ « كانوا » محذوفاً ،

والجملة في موضع نصب ، حالاً اخرى ، على تقدير: و قد كانوا يقذقون بالغيب ،
و « بعيد » وصف ا « مكان » .

٥٣ - (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل انهم
كانوا في شك مريب)

« حيل » فعل ماض مبني للمفعول ، و « ما » موصولة و « يشتهون » صلتها ،
على حذف العائد ، و « كانوا » مع خبرها في موضع رفع ، خبر لـحرف التأكيد ،
و « في شك » في موضع نصب ، خبر ا « كانوا » و « مريب » صفة ا « شك » .



﴿البيان﴾

١ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى
الآخرة و هو الحكيم الخبير)

حمد لذات الله جل وعلا من ذاته ، ايذاناً بأنه تعالى وحده هو المستحق
للحمد ، و إن لم ينطق به لسان ، فالوجود كله يستحق بحمده إذ كان الوجود فى
ذاته نعمة على أى صورة كان عليها الوجود ، وعلى أى وضع قام عليه ، حيث ان
الوجود هو الخروج من عدم ، و العدم سلب و الوجود وجوب ، و الوجود شىء ،
و العدم عدم ، لاشىء و الوجود صفة من صفات الله ، و به تتحقق ذاتية الذات ،
و تتحدد ماهيته . . . و من هنا كان الحمد لله نسيح كل موجود ، و صلاة كل
مخلوق .

و وصف من الله تعالى لذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية و الآخروية ، و
حمد منه جل وعلا نفسه بذلك ، و المراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد و
هو الوصف بالجميل لله تعالى على جهة التعظيم ، ثناء عليه بما هو أهله ، و نقيضه:
الذم و هو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم ، فمنه ما هو أعلى ، ومنه
ما هو أدنى و الاعلى ما يقع على وجه العبادة و لا يستحقها الا الله سبحانه لان
إحسان الله عز اسمه لا يوازيه إحسان احد من المخلوقين ، و يستحق الحمد على
الإحسان و الأنعام ، فلا يستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه .

و تعريف « الحمد » : تعريف لوجوب الشكر على نعم الله تعالى ، و تعليم

لكيفية الشكر، مع لام الاختصاص والملك « لله » مشعران باختصاص جميع افراد الحمد بالله تعالى كما ان وصفه جل و علا بقوله : « له ما فى السموات و ما فى الارض » لتقرير ما أفاده تعليق « الحمد » المعرف بلام الحقيقة بالاسم الجليل « لله » من اختصاص جميع أفراد الحمد به جل و علا ببيان تفرده و استقلاله جل و علا بما يوجب ذلك ، و كون كل ما سواه من الموجودات التى من جملتها الانسان تحت ملكوته جل و علا ، فليس لما سواه فى حد ذاته استحقاق الوجود فضلا عما عداه من صفاته ، فكل ذلك نعم فائضة على الموجودات من ناحيته جل و علا ، فما هذا شأنه فهو بمعزل من استحقاق الحمد الذى مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار ، فظهر اختصاص جميع أفراد الحمد به تعالى .

و قوله تعالى : « الذى له ما فى السموات و ما فى الارض » وصف من الله تعالى نفسه ايداناً بان كونه مالكا لكل الاشياء يوجب كونه محموداً على كل لسان ، لان الكل اذا كان له ، فكل من ينتفع بشيء من ذلك كان مستنفعاً بنعمه ، ثم صرح بأن له الحمد فى الآخرة تفضيلاً لنعم الآخرة على نعم الدنيا ، و ايداناً بانها هى النعم الحقيقية التى يحق أن يحمد عليها ويثنى عليه من أجلها مع إفادة الاختصاص بتقديم الظرف . و فى الجملتين ثناء على الله تعالى على ملكه المنبسط على كل شيء بحيث له أن يتصرف فى كل شيء بما شاء و حيثما أراد .

و قوله تعالى : « و له الحمد فى الآخرة » فى تقديم الصلة « له » ايماء بالاختصاص ، فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ، و لا كذلك نعم الآخرة ، و بيان لاختصاص الحمد الاخرى بالله تعالى اثر بيان اختصاص الحمد الدنيوى به جل و علا ، و إطلاق الحمد الاخرى عن ذكر ما يشعر بالمحمود عليه كما ذكر فى الحمد الدنيوى ليعم النعم الاخرية . والفرق بين الحمدين فى التعمتين : ان الاول على سبيل التفضل من غير ملاحظة الاستحقاق واللياقة فى المنعم عليه و أما الثانى فعلى سبيل الاستحقاق واللياقة بالايمان و

صالح العمل و إن كان فيه التفضل أيضاً كما قال تعالى : « انا لا نضيع أجر المحسنين » ففى تقديم الظرف دلالة على اختصاص النعمة الاخرية بمن يستحق بها .

و قيل : وفيه إشارة إلى ما استوجب الله تعالى من حمد فوق حمد الوجود و هو حمد البعث بعد الموت الذى هو أشبه بوجود جديد للانسان وامسك بهمن الذهاب إلى العدم كان الذى وشيكاً أن ينتهى إليه بعد الموت .

و « له الحمد فى الآخرة » عطف على الصلة « له ما فى السموات ... » ايذاناً بأنه تعالى هو المحمود على نعم الآخرة كما انه جل وعلا هو المحمود علم نعم الدنيا ليتلاءم الكلام وفى تقييد الحمد فى المعطوف بان محله الآخرة ايذان بان محل الحمد الاول الدنيا فالله تعالى محمود على نعم الدنيا فيها ، و محمود على نعم الآخرة فيها ، و هو المالك للآخرة كما انه المالك للاولى . وتخصيص الحمد بالآخرة لما ان الجملة الاولى تتضمن الحمد فى الدنيا ، فان النظام المشهود فى السموات و الارض نظام دنيوى كما يشهده قوله سبحانه : « يوم تبدل الارض غير الارض و السموات » ابراهيم : ٤٨)

و قوله تعالى : « و هو الحكيم الخبير » تمهيد و توطئة لذكر الآية التالية كما ان قوله جل وعلا : « و هو الرحيم الغفور » تنمة للآية السابقة ، و فى لطافة التقدم و التأخر مما لا يخفى على القارئ الخبير المتدبر ، حيث ان قوله جل وعلا : « يعلم ما يلج ... » بيان لاحاطة علمه تعالى لما أشار بكلمتى : « الحكيم الخبير » .

و فى الاسمين الكريمين دلالة على أن تصرفه فى نظام الدنيا ثم تعقيبه بنظام الآخرة مبنى على الحكمة و الخبرة ، فبحكمته عقب الدنيا بالآخرة و الآ لغت الخلق ، و بطلت ، و لم يتميز المحسن من المسيء و لالمؤمن من الكافر ، و لا المطيع من العاصى و لا السعيد من الشقى ، و لا المصلح من المفسد ... كما

قال تعالى : « وما خلقنا السماء والارض و بينهما باطلاً - ام نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » ص : ٢٨) و بخبرته يحشرهم و لا يغادر منهم أحداً و يعزى كل نفس بما كسبت .

وفيه إشارة إلى أن الله تعالى هو الذى ملك هذا الوجود بسلطانه المطلق، لم يكن فى هذا السلطان جور و لا استبداد لانه سلطان بيد الحكيم الذى أحسن كل شىء خلقه ، و أقامه فى المقام المناسب له ، و تنبيه إلى سوء ظن الكافرين و أصحاب الضلال بالله سبحانه ، و قصور إدراكهم لما لله تعالى من علم ، و انهم لو علموا بعض ما لله تعالى من قدرة و علم و سلطان لخافوا بأسه ، و لما جرؤا على عصيانه ، إذ لا يجسرؤ على مخالفة أمر ذى الامر و الخروج على سلطان ذى السلطان إلا من وقع فى تصوره أن عين صاحب الامر لا تراه ، أو ان سلطان ذى السلطان لا يقدر عليه .

و لا يخفى ان الخير من أسماء الله الحسنى مأخوذ من الخبرة و هى العلم بالجزئيات فهو أخص من العلم .

٢ - (يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

تفصيل و بيان لبعض ما يحيط به علمه تعالى من الامور التى انيطت بها مصالحهم الدنيوية و الآخرة ، و تأكيد لحكمته و خبرته اللتين وصف بهما ذاته جل و علا ، و فى قوله تعالى : « يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها » إشارة إلى بعض علم الله تعالى فيما بين أيدي الناس ، و هو هذا العالم الارضى الذى يعيشون فيه فهذه الارض يعلم الله جل و علا ما ينفذ إلى باطنها و يتسرب إلى أعماقها . . . و فى قوله سبحانه : « و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها » إشارة إلى علم الله تبارك و تعالى بما فوق هذا العالم الارضى و هو السماء ، فيعلم ما ينزل من السماء من ماء و ملائكة ، و يعلم ما يصعد إليها من الاعمال و الارواح . . .

ان تسئل : لماذا قال : « وما يعرج فيها » ولم يقل : « وما يعرج إليها » ؟
 تجيب : إذ في « فيها » إشارة إلى قبول الاعمال الصالحة و مرتبة النفوس
 الزكية ، و ذلك لان حرف « إلى » للغاية ، فلو قال : « وما يعرج إليها » لفهم
 الوقوف عند السموات ، فقال : « وما يعرج فيها » ليفهم صعودها فيها و نفوذها
 منها ، ولهذا قال في الكلم الطيب : « إليه يصعد الكلم الطيب » .

الولوج : مقابل الخروج ، والعروج مقابل النزول ، و كأن العلم بالولوج
 والخروج والنزول والعروج كناية عن علمه تعالى بحركة كل متحرك و فعله
 و اختتام الآية بقوله جل وعلا : « و هو الرحيم الغفور » كأن فيه إشارة إلى ان
 له رحمة ثابتة و مغفرة ستصيب قوماً بإيمانهم و صالح أعمالهم . . . وفيه وعد بالرحمة
 والغفران لمن تاب و آمن فلا يعجل لهم الجزاء بل يؤخر لعل العاصي يتوب
 فيغفر له ، و الكافر يؤمن فيرحم به ، و فيه حث على الايمان و الطاعة .

قيل : ان الآيتين المتقدمتين مطلع بارز للسورة و تمهيد لما بعدهما من
 البعث و الجزاء و إشارة إلى المحجة التي ينقطع لديها الخصم ، و الأساس الذي يقوم
 عليه ذلك أمران : أحدهما - عموم ملكه جل و علا لكل شيء من كل جهة حتى
 يصح له أى تصرف أراد فيها من إبداء و رزق و إماتة و إحياء بالاعادة و جزاء .
 ثانيهما - كمال علمه تعالى بالأشياء من جميع جهاتها علماً لا يطرء عليه عزوب
 و زوال حتى يعيد كل من أراد و يجزيه على ما علم من أعماله خيراً أو شراً . ،
 و قد اشير إلى أول الامرين في الآية الاولى التي نحن فيها ، و إلى الثانية في
 الآية الثانية و بذلك يظهر أن الآيتين تمهيد لما في الآية الثالثة والرابعة .

٣ - (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم
 الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لافي الارض و لا أصغر من
 ذلك و لا أكبر الا في كتاب مبين)

حكاية لانكار الكفار بمجيء الساعة ، و نفى المشركين بوقوع البعث

والحياة الاخرية بالكلية ، و هم كانوا ينكرون يوم القيامة مع ظهور عموم ملكه و علمه بكل شيء و لا مورد للارتياح في إتيانها مع ذلك كما تقدم فضلاً عن إنكار إتيانها .

و قوله تعالى : « قل بلى و ربي لتأتينكم » أمر للشبي الكريم ﷺ بالتوكيد بمجيئ الساعة مقسماً على ذلك رداً على الكافرين ، و إثبات لما نفوه على سبيل التوكيد القسمي لتقرير الوصف المقسم به بصفات تقرر إمكانه ، و نفى استبعاده غير مرة ، و في تكرار القسم تأكيد في الوقوع والتحقق على أتم الوجوه و أكملها . والمعنى : ليس الامر كما أنكروا ، بل الامر وقوع ما أنكروا . و « بلى » جواب لاثبات المستفهم عنه بالنفي و إيجابه ، ففي قولهم : « لا تأتينا الساعة » نفى في طيه استفهام إنكارى ، و كأنهم قالوا : « ألا تأتينا الساعة » مبالغة منهم في إنكارها ، ففي تحدى من يؤمن بها ، و قد جاء الرد عليهم مثبتاً لما نفوه مؤكداً له قاطعاً به بهذا القسم باسم الرب العظيم « و ربي » و بهذا التوكيد للفعل باللام والنون « لتأتينكم » و في القسم بالرب « بلى و ربي » إشارة إلى ربوبية الله تعالى لهؤلاء المنكرين الذين أنكروا ما تقضى به الربوبية التي لا تنقطع فواصل إحسانها و انعامها لحظة واحدة عن أى موجود ، ولو انقطع ذلك لما كان لموجود وجود .

و قوله تعالى : « عالم الغيب » وصف لنفسه تعالى بكمال العلم و عظيم الاحاطة بالموجودات و فيه برهان على وقوع البعث و قيام الساعة لان العلم بجميع الاشياء عالم بأجزاء الاحياء قادر على جمعها كما بدأها ، و إمداد للتأكيد و تسديد له اثر تسديد و كسر لسورة نكيرهم و استبعادهم إذ تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن بفخامة شأن المقسم عليه و قوة ثباته و صحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر ، و لا ريب في أن المستشهد به كلما كان أجل و أعلا كانت الشهادة آكد و أقوى ، و المستشهد عليه أحق بالثبوت و أدلى لاسيما اذا خص بالذکر من النعوت ماله تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه .

إذ وصفه بعلم الغيب الذي أشهر أفراده و أدخلها في الخفاء هو المقسم عليه
تنبيه لهم على علة الحكم و كونه مما لا يحوم حوله شائبة ريب ما ، و فائدة الامر
بهذه المرتبة من اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما أصلاً حيث انهم كانوا يعرفون
أمانته ^{والتقوى} و نزاهته عن وصمة الكذب فضلاً عن اليمين الفاجرة ، و انما لم يصدقوه
مكابرة و عناداً .

و قوله تعالى : « لا يعزب عنه مثقال ذرة ... » و فيه دلالة على إحاطة
علمه تعالى على الكليات و الجزئيات معاً رداً على بعض المتفلسفة الذين يزعمون
ان الله سبحانه لا يعلم بالجزئيات ، ولو كان عالماً بها فهو بمطالعة اللوح المحفوظ
أو بالعقل الاول . و فيه دفع لما كان هو السبب العمدة في انكارهم البعث و القيامة ،
و هو اختلاط الاشياء و منها أبدان الاموات بعضها ببعض ، و تبدل صورها تبديلاً
بعد تبدل بحيث لاخبر عن أعيانها ... فيمتنع إعادتها من دون تمييز بعضها من
بعض بأن لا يفوت عن علمه جل و علا مثقال ذرة في السموات و لا في الارض .
و إشارة إلى أن الانسان له جسم أرضي و روح سماوي ، فالعالم بما في العالمين
القادر على تأليفهما . قادر على إعادتهما على ما كانا عليه .

و قوله تعالى : « ولا أصغر من ذلك و لا أكبر » تعميم لعلمه لكل شيء ،
و انما ذكر « أكبر » مع ان « أصغر » هو اللائق بالمبالغة لئلا يتوهم متوهم ان
الصغار تثبت لكونها تنسى أما الأكبر فلا ينسى فلا حاجة إلى اثباته بل المراد
ان الصغير و الكبير مثبت في الكتاب .

و قوله تعالى : « الآ في كتاب مبين » كناية عن علم الله تعالى و شموله ،
و فيه إشارتان : إشارة إلى حصر الموجودات كلها صغيرها و كبيرها . و إشارة
إلى ان للاشياء كائنة ما كانت ثبوتاً في كتاب مبين لا تتغير و لا تتبدل ، و إن
زالت رسومها عن صفحة الكون .

٤ - (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة و رزق كريم)

تعليل لقوله تعالى : « لتأتينكم » و بيان لما يقتضى إتيان الساعة ، و تقرير لغاية البعث و الاعادة ، فاقتمضت الحكمة و العدل الالهى أن تأتى الساعة و يبعث فيها الناس للحساب و الجزاء إن خيراً فخييراً و إن شراً فشراً . و كل هذا مما يجعل تحقيق الوعد فى نطاق قدرة الله تعالى و حكمة ذلك ظاهرة لانه مقتضى صفة العدل فى الله جل و علا حتى ينال كل من المؤمنين و الكافرين ، كل من المحسنين و المسيئين ، كل من الصالحين و الفاسدين ، و كل من المطيعين و العاصين جزاء أعمالهم ...

و قد أطلق الجزاء الذى يجزى به المؤمنون من غير تقييده بأنه جزاء حسن للدلالة على أنه أمر واضح لا يحتاج إلى بيان إذ ليس للاحسنان جزاء إلا الاحسان . و قيل : فى الآية بيان أحد السببين لقيام الساعة و هو جزاء المؤمنين بالمغفرة و الرزق الكريم ، و السبب الآخر ما اشير إليه بقوله تعالى : « و الذين سعوا فى آياتنا معاجزين ... » .

و قوله تعالى : « اولئك لهم مغفرة » إشارة إلى الموصول : « الذين » باعتبار إصافه بما حيز الصلة من الايمان و صالح الاعمال ، و معنى البعد فيها ايذان ببعد منزلتهم فى الفضل و الشرف ، و رفع لقدرهم و تنويه بمنزلتهم العالية فى مقام التكريم و الاحسان . و قوله تعالى : « لهم مغفرة و رزق كريم » نوع محاذاة لقوله السابق : « و هو الرحيم الغفور » . و فى الآية وعد وحث .

٥ - (و الذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

إشارة إلى أنهم كانوا يخوضون فى آيات الله تعالى خوفاً بغير حساب إستخفافاً بها و سخرية منها ، و هذا بعض السرّ فى تعدية « سعى » بحرف « فى » التى تفيد الظرفية . و فى الضرب عن صفة الجزاء للذين سعوا فى آيات الله معاجزين إشارة إلى التعجيل بالجزاء السيئ لهم و مواجعتهم به بمجرد أن يحرضوا على الحساب انه عذاب من رجز أليم .

وقوله تعالى : « معجزين » حال لبيان الغاية من هذا السعي الآثم في آيات الله جل و علا ، و انه لم يكن سعياً للافادة منها والاهتداء بهداها ، و انما هو سعي لحجبها عن الناس ولتعجيزها وإعجاز الناس عن الوصول إليها. والمعجزة : المبالغة في الاعجاز . وقيل : المعجزة : المسابقة . والكلام مبنى على الاستعارة بالكناية كأن الآيات مسافة يسرون فيها سيراً حثيثاً ليعجزوا الله سبحانه ويسبقوه .
 وقوله تعالى : « اولئك لهم عذاب من رجز أليم » في الاشارة فضح لهم و كشف عن موقفهم الذليل في مقام الخزي والهوان . والرجز - كالرجس - : القذر و لعل المراد به العمل السيئ ، فيكون إشارة إلى تبديل العمل عذاباً أليماً عليهم أو سبباً لعذابهم .
 وفي الآية تحريض و وعيد للكفار الذين يصرّون على انكار البعث والاعادة والجزاء .

٦- (ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد)

مستأنف سيق للاستشهاد باولى العلم على الجهلة الساعين في الآيات والكافرين بالمعاد ، و متعرض لقوله السابق : « و قال الذين كفروا » فادلوا العلم يعترفون بما كان هؤلاء الكافرون ينكرونه . ويحتمل أن يكون منصوب المحل عطفاً على « ليجرى » أى و ليعلم اولوا العلم عند مجيئ الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الآن برهاناً و يحتجوا به على المكذبين ، فتحتمل تقرير كون ما احتوته الآيات الكريمة من توكيد البعث و قدرة الله تعالى عليه و حكمته فيه ، و شأنه أن يجعل الذين اوتوا العلم يتأكدون من ان ما انزل إلى النبي ﷺ من ربه هو الحق الهادى إلى صراط العزيز المستحق للحمد وحده .

قوله تعالى : « هو الحق » فى التعريف ما يفيد القصر ، و ذلك بتعريف ركنى الجملة إذ ان أصل الكلام هو « الذى انزل اليك من ربك هو الحق » أى

الذى لاحق وراءه فهو وحده الحق ، و ما سواه خارج عليه فهو الباطل .
 و قوله تعالى : « العزيز الحميد » فى التوصيف بـ « العزيز الحميد » مقابلة
 لما وصفهم به فى قوله : « الذين سعوا فى آياتنا معاجزين » و قدم صفة الهيبة لان
 الكلام مع منكرى البعث . و فى الآية دلالة على فضيلة العلم و شرف العلماء
 العاملين و عظم أقدارهم ، والمراد بالذين اتوا العلم العلماء بالله تعالى و العاملون
 بآياته ...

٧ - (و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل
 ممزق انكم لفي خلق جديد)

إخبار عن قال : « لا تأتينا الساعة » و استمرار فى حكاية انكار المشركين
 للبعث و أقاويلهم حول البعث و الجزاء حيث كانوا حينما يكرهون النبى الكريم ﷺ
 أخبار الآخرة و أهوالها و ينفذ بها ، و يؤكد حقيقة البعث ، فكانوا يستنفرون
 استنفار تشويش و استنكار و هزء قائلين لهم : تعالوا ندلكم على الرجل الذى
 ينبئ الناس انهم سيخلقون خلقاً جديداً بعد أن يموتوا و تبلى أجسادهم و عظامهم
 و تفتت و تنتشر فى الارض أو استمرار فى حكاية المشهد الجدلى و الحجاجى
 حول البعث بين النبى ﷺ و بينهم .

و قوله تعالى حكاية عنهم : « هل ندلكم على رجل » كلام منهم وارد
 مورد الاستهزاء يعرفون النبى ﷺ بعضهم لبعض بالقول بالمعاد ، و قصة لعناد
 مشركى قريش ، و خصتهم بالتعجيب من حالهم لانهم تجاهلوا حيث قالوا : على
 رجل مع أن النبى ﷺ كان عندهم أشهر من غيره ، و كان أمره أظهر من الشمس ،
 فقصداً بذلك الطعن و السخرية و التحقير و الاستخفاف ، و أخرجوا مخرج التحكى
 ببعض الاجاجى و الاضاحيك و الأعاجيب التى يتحاجى بها الضحك و التلهى متجاهلين
 به و بأمره كأن لم يكونوا قد عرفوا إلا أنه رجل ما .

و قوله تعالى : « مزقتم كل ممزق » كناية عما يصير إليه الناس بعد الموت

من البلى و التفتت و الانتثار .

٨ - (أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد)

إخبار من الله تعالى عن مقالة الكفرة الذين أنكروا البعث و الاعادة بعد الموت فيقول بعضهم لبعض معجبين من رسول الله ﷺ في وعده إياهم بالبعث بعد تفرق الاجزاء و فنائها ، وهذا عجيب عندهم لايقول به عاقل الا لتلبس الامر على الناس و إضلالهم لينال بعض ما عندهم ، و الا فكيف يلبس فيه الامر على عاقل و لهذا ردوا الامر بين الافتراء و الجنون في الاستفهام ، فكانوا يتساءلون على سبيل التهويش و الاستنكار عما اذا لم يكن النبي ﷺ فيما يقوله يفترى على الله الكذب أو انه اعتراه جنون ، و ان تساءلهم هو تساؤل المستغرب المندهش وان نسبتهم الجنون إلى النبي ﷺ كانت تعبيراً عما يخالجهم في انه يقول ما لا يصدق و ما لا يعقل .

و فيه إشارة إلى إزديادهم في التجاهل ، و دلالة على ان الكافر لا يرضى بالكذب البحت ، فيردد كلامه بين الامرين ، و لكن أخطأ ابن اخت خالته حين ترك قسماً ثالثاً ، و هو انه عاقل صادق فلذلك رد الله جل و علا عليهم بقوله : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب و الضلال البعيد » جعل وقوعهم في العذاب رسلاً لوقوعهم في الضلال إذ العذاب من لوازم الضلال و موجباته قابل قولهم : أفترى بالعذاب و قولهم : به جنة بالضلال البعيد لان نسبة الجنون إلى العاقل أقل من باب الابداء من نسبة الافتراء إليه .

و قوله تعالى : « أم به جنة » إستدل الجاحظ بهذا الكلام على أن الكلام ثلاثة أقسام : صدق و كذب ، و لاصدق و لا كذب . و ذلك ان قوله تعالى : « أم به جنة » قسيم الكذب و قسيم الشيء غيره ، فلا يكون صدقاً لانهم لا يعتقدون به فنبت قسم ثالث . اجيب عنه بان المعنى : أم لم يفتر . و عبر عن ذلك لان المعجونون

لا افتراء له .

وقوله تعالى : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة » ردّ عليهم بما تقوّلوه ، و إضراب من الله تعالى عن ترديدهم الوارد على طريقة الاستفهام في قولهم : « افترى على الله أم به جنة » بالاضراب عن شقيه و إبطالهما ، و إثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال باع عليهم سوء حالهم ، و ابتلاءهم بما قالوا في حق الرسول ﷺ فكأنه تعالى قال : ليس الامر كما توهموا بل هم في نهاية اختلال العقل و غاية الضلالة على ما يوجبها ، و يستتبعه للمسارة إلى بيان ما يسوؤهم و يفترى في أعضادهم ...

و في وضع الموصول « الذين » موضع الضمير دلالة على أن علة وقوعهم فيما وقعوا فيه من العذاب و الضلال عدم ايمانهم بالآخرة . فهم في حقيقة الامر في ضلال و ان لهم من أجل ضلالهم هذا العذاب الشديد . و في الجملة تردّ عليهم مقالاتهم و أثبت لهم ما هو أشدّ أنكى اذ ألبسهم لباس العمى و الضلال . و في وضع الموصول موضع ضمير «هم» أيضاً تنبيه بما في حيز الصلة على أن علة ما ارتكبوه و اجترأوا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة ، و ما فيها من فنون العقاب و لولاه لما فعلوا ذلك خوفاً من غائلته .

و قوله تعالى : « في العذاب و الضلال البعيد » قدّم العذاب على الضلال مع ان العذاب الذي سينالهم هو من ثمرة ضلالهم - قدّم هذا إستعجالاً لما يؤهم و إستحضاراً للبلاء الذي ظنوا انهم في مأمن منه . و وصف الضلال بالبعد الذي هو وصف الضال للمبالغة ، و من باب الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن طريق الحق و سواء السبيل ، عن صراط مستقيم و عن جادة الانسانية و السعادة و الكمال ... و كلما ازداد عنها بعداً كان أضل كاسناد الراضية إلى العيشة في قوله تعالى : « في عيشة راضية » (القارة : ٧) فان العيشة لا تكون راضية وانما صاحبها . وفيه تنبيه إلى مزيد جهلهم .

٩ - (أفلم يروا الى ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الارض ان نشأ

نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل
عبد منيب)

مستأنس فيق تهويل ما اجترأ عليه من تكذيب آيات الله تعالى واستعظام
ما قالوا في حق الرسول ﷺ وانه من العظائم الموجبة لنزول أشد العقاب ،
و حلول أفظع العذاب من غير ريث و تأخير ، و الفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام . و قيل : خصت بالفاء - و ليس غيره في القرآن - تعجيلاً للجواب و
تعقيباً لحل الشبهة نظيره قوله تعالى : « او ليس الذي خلق السموات و الارض
بقادر على أن يخلق مثلهم » و وعظ و انذار لهم باستعظام ما اجترأ عليه من
تكذيب آيات الله جل و علا و الاستهزاء برسوله ﷺ و نسبة الافتراء و الجنون إليه .
و من المحتمل أن يكون انتقالاً إلى إقامة دليل آخر على قدرة الله تعالى
على البعث و الاعداد من طريق مشاهد عظمتة و قدرته على العالم ، بعد ما أقام
الدليل على ذلك سابقاً من طريق علمه بالغيوب . و في ذلك تنبيه إلى مزيد جهل
المنكرين المشار إليه بالضلال البعيد . فكيف يشكون في ذلك ، و هم يرون
مشاهد عظيمة الله تعالى و قدرته ما ثلثة في السماء و الارض المحيطتين بهم .

و قوله تعالى : « ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الارض » تقرير
لاحاطة السماء و الارض بهم من بين أيديهم و من خلفهم ، فأينما نظروا وجدوا
سما تظلمهم و أرضاً تقلهم لا مفر لهم منهما .

ان تسئل : كيف قال الله جل و علا : « أولم يروا إلى ما بين أيديهم و ما
خلفهم من السماء و الارض » و لم يقل : إلى ما فوقهم من السماء و ما تحتهم من
الارض ؟

تجيب : ما بين يدي الانسان هو كل شيء يقع نظره عليه من غير أن يحول
وجهه إليه ، و ما خلفه هو كل شيء لا يقع نظره عليه حتى يحول وجهه إليه فكان
اللفظ المذكور أتم مما ذكر .

وان تسئل : هلا ذكر الله تعالى الأيمان و السمائل هنا كما ذكرها في قوله تعالى : « ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم » الاعراف : ١٧) ؟

تجيب : لا يقاس المقام بمقالة الشيطان في إغواء مردته فتدبر جيداً .
وقوله تعالى : « إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء » بيان لما ينسبء عنه ذكرأ إحاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما . و تنبيه على انه لم يبق من أسباب و قوعه الأتعلق المشيئة به أى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة ، فلم ينظر و إلى ما أحاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لامفر لهم عنه و لامحيص ان نشأ جرياً على موجب جنائياتهم . و فى الجملة تهديد شديد لهم على أنه جل و علا قادر على أن يجعل عين النافع ضاراً بالنخسف ، و إسقاط الكسف ، و إنذار رهيب بهم ، فلو شاء الله جل و عز لعجل عليهم بلاعه القاصم فخصف بهم الأرض أو أسقط عليهم كسفاً من السماء و أهابت بأصحاب النوايا الحسنة ففى الكون من الايات الدالة على قدرة الله براهين يدر كها كل من حسنت نيته ، فأنا ب إلى الله تعالى و اعترف بالعبودية له .

وقوله تعالى : « ان فى ذلك لاية لكل عبد منيب » حث بليغ على التوبة و الانابة ، و هذا كالعلة فى الحث على الاستدلال بذلك لازاحة انكارهم بالبعث و الاعادة ، و إشارة إلى أن هذا الذى تحدث به الاية عن قدرة الله تعالى و عن بأسه الذى لا يرد لا يلتفت إليه و لا ينتفع به الا من كان ذا عقل متفتح ، و بصيرة نافذة و قلب سليم اذا رأى الحق عرفه ، و اذا عرفه آمن به و عمل على هداه . فخص المنيب بالذكر لانه المنتفع بالفكرة فى حجج الله جل و علا و آياته . . .

١٥ - (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبمال أوبى معه والطير وأنا له الحديده)

تاكيد للانابة و المعنى : آتينا داود لحسن إنابته و صحة توبته فضلاً على سائر الانبياء عليهم السلام أو على سائر الناس . و قيل : مستأنف يشير إلى نبذة من قصص

داود و ابنه سليمان عليهما السلام ثم إلى قصة سبأ .

وقوله تعالى : «منا» لتأكيد فخامة الفضل الذاتية بفخامة الفضل الاضافية كما في قوله تعالى : « و آتيناها من لدنا علماً » و تقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم والتشويق إلى المؤخر، فان ما حقه التقديم إذا اُختر بقى النفس مترقبه له فاذا أوردتها يتمكن عندها فضل تمكن . و في التقديم تعظيم للمنعم أيضاً و إشارة إلى علو المقام الذي جاء منه الاحسان فيقطع العقل بانه احسان عظيم قبل أن يكشف عن الاحسان .

وقوله تعالى : « فضلاً » في تنكير الفضل فخامة و تنويه بالفضل و شأنه .

وقوله تعالى : « يا جبال أوبي معه والطير... » في تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لأمره تعالى المذعنين لحكمه إشعار بانه ما من حيوان وجماد ، وما من صامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته ، غير ممنوع على إرادته ، من الفخامة المعربة عن غاية عظمة شأنه جل وعلا و كمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولي الالباب .

و فيه بيان للفضل الذي اوتى داود عليه السلام ، و قد وضع فيه الخطاب الذي خوطبت به الجبال و الطير فسخرتا به موضع نفس التسخير الذي هو العطية و هو من قبيل وضع السبب موضع المسبب . و لعل اختيار الجبال و الطير من بين الكائنات كلها لان الجبال أبرز وجوه الارض فهي أشبه بالسلطان القائم عليها و الطيور هي ملوك الجو ، و أبرز ما يخلق في أجوائها من ذوات الأجنحة كالذباب و البعوض وغيره ...

١١ - (أن اعمل سابغات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً انى بما تعملون بصير)

خطاب لداود عليه السلام و نوع تفسير لآية الحديد له لان آية الحديد له في معنى الامر بان يستعمل دروعاً واسعة وهي من الصفات التي غلبت عليها الاسمية

حتى ترك ذكر موصوفها . و في ذلك دلالة على ان داود عليه السلام قاتل حتى خلع الملك من الاعداء والطواغيت والجبابرة حيث امر بعمل الدروع السوابغ ، وتعليم من الله جل وعلا لداود عليه السلام في إجادة نسج الدروع ، و توجيه منه تعالى باتقان العمل و إحسانه و ضبطه على أحسن وجه له .

و قوله تعالى : « واعملوا صالحاً » خطاب لداود وأهله كما قال : « اعملوا آل داود شكراً ، و ان الجملة لوقوعها في سياق بيان اتيان الفضل وعدّ النعم نفيد معنى الامر بالشكر كأنه قيل : و قلنا له و لآله الذين ينتفعون بحصيلة نسج الدروع : اشكر النعم أنت و آلك بصالح الاعمال ...

و قوله تعالى : « انى بما تعملون بصير » تعليل لما أمره الله تعالى و آله به من قوله : « و اعملوا صالحاً » و فيه تنبيه و إغراء باصلاح العمل والاخلاص فيه . و يحتمل أن يكون تعليلاً لوجوب الامتثال به ، و تأكيد لاتيان صالح الاعمال ... و إشارة إلى أن الله تعالى مطلع على عمل كل عامل ، و بصير بما يعمل العاملون ، و يكشف ما في العمل من عيب أو عوج ، و يجازى كلأ بحسب عمله إن خير أفخيراً وإن شرأفشراً . و في الجملة نوع تهديد لمن ترك صالح الاعمال ...

١٢ - (و سليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يسزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

مستأنف على تقدير : و سخرنا لسليمان الريح . و يحتمل العطف على « و لقد آتينا داود » و على أى التقديرين ففي الآية إشارة إلى ما أنعم الله تعالى به على سليمان ، و هر ثلاث : أحدها - تسخير الرياح . ثانيها - إزابة النحاس . ثالثها - تسخير الجن .

و قوله تعالى : « و أسلنا له عين القطر » في التعبير عن الحديد بالالانة في قوله : « و أئنا له الحديد » و عن النحاس بالسيولة إشارة إلى اختلاف طبيعته

كل من الحديد والنحاس و ان الحديد يمكن تشكيله بالطرق اذا سخن ولان ،
و أما النحاس فلا ينتفع به حتى ينصهر ، و يتحول إلى مادة أقرب ما يكون إلى
السوائل . . . و هذا ما نجده في قوله تعالى على لسان ذى القرنين : « آتوني زبر
الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال آتوني
افرغ عليه قطراً » .

فالحديد هنا قد عرض على النار حتى احمرّ و صار أشبه بالجمر ، ثم جاء
بالقطر و هو النحاس الذائب ، فافرغه على هذا الحديد و صبّه فوقه كما يصب
الماء على النار .

و قوله تعالى : « و من الجن من يعمل بين يديه » و فيه دلالة على انه
قد كان بعض من الجن مسخراً لسليمان عليه السلام و كان الآخرون غير مسخرين له ،
و دلالة على انهم قد كانوا مكلفين .

و في قوله : « باذن ربه » إشارة إلى ان حضور الجن بين يديه كان مصلحة
له لا مفسدة و في قوله : « عن أمرنا » دون أن يقول : عن أمر ربه إشارة إلى أن
الجن كانوا بصدد التعذيب عند زيقهم عن أمر الله تعالى فان لفظ الرب ينبىء عن
الرحمة ، و صيغة الجمع للتكلم في مقام الوحدة تنبىء عن الهيبة .

و قوله تعالى : « و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » إشارة
إلى سلطان الله تعالى قائم على هذه الكائنات ، و انه جل و علا قد سخرها لتخدم
عبداً من عباده و هو سليمان عليه السلام فهي واقعة تحت هذا الحكم لا تخرج عنه و من
خرج عنه منها عذبه الله تعالى عذاباً أليماً . و فيه تهديد و وعيد للمتخلفين عن
أمر الله تعالى .

قيل : في المقام نكتة : و هي ان الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء في حق داود
و ثلاثة في حق سليمان ، لعله كالمصروف عن جهته تأمل فالجبال المسخرة لداود
من جنس تسخير الرياح لسليمان اذ كل منهما ثقيل مع خفيف ، فالجبال أنقل

من الآدمي ، والآدمي أثقل من الريح ، و أيضاً تسخير الطير من جنس الجن ، فان الطير تنفر من الآدمي ، والآدمي يتقى مواضع الجن ، والجن تطلب أبدأ اصطيات الناس ، والانسان يطلب اصطيات الطير ، وإلانة الحديد شبيهة باسالة القطر .

١٣ - (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

بيان و تفصيل لعمل الجن فى قوله تعالى : « من الجن من يعمل بين يديه » و « من محاريب » بيان لما يشاء .

و قوله تعالى : « اعملوا آل داود شكراً » حكاية لما قيل لهم ، والخطاب لسليمان عليه السلام و من معه من آل داود . و فى لفظ العمل إشارة إلى أن الشكر اللسانى غير كاف ، و انما المعتبر الشكر الفعلى أو هو مع القولى بعد المعرفة بالمنعم .

وقوله تعالى : « و قليل من عبادى الشكور » تعقيب تقريرى و توجيهى كما عليه تعقيبات القرآن الكريم بعد ذكر القصص ، فيكشف من جانب عن عظمة فضل الله تعالى و نعمته حتى ليقول القادرون على شكرها ، و يكشف من جانب آخر عن تقصير البشر فى شكر نعم الله تعالى ، فهم مهما بالغوا فى الشكر قاصرون عن الوفاء ، فكيف اذا قصروا و غفلوا عن الشكر بالتمام و ماذا يملك الانسان المحدود من الشكر على نعم الله تعالى ، و هى غير محدودة : « و ان تعدوا نعمة الله لا تحصوها » حيث تغمر النعم الالهية الانسان من فوقه و من تحت قدميه و عن ايمانه و عن شمائله و تكمن فيه هو ذاته و تفيض منه ، و هو ذاته إحدى هذه الآلام الضخام .

والجملة بصدد ترفيع مقام أهل الشكر بان المتمكنين فى هذا المقام قليلون و هم الاوحيديون من الناس ، و يحتمل أن يكون فى مقام التعليل ، فكأنه قيل : انهم قليل فكثروا عدتهم . و فيه تنبيه و تحريص على الشكر .

١٤ - (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل

منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب
المهين)

كشفت عن حقيقة الجن ، و تكذيب الصور المشوهة التي وقعت في أذهان
أكثر الناس من نسبة الخوارق و القدرة المطلقة و علم الغيب ، و ما إليها إلى
الجن ، ولهذا يلجأ كثير من الناس إلى محاولة الاتصال بالجن كما يفعل العرافون
و السحرة و أذئابهم ...

فرد الله تعالى عليهم بهذه الآية الكريمة بان سليمان عليه السلام حين حان أجله
و قضى عليه الموت ، و كان سليمان حين مات قائماً بين الجن و هم بين يديه
يعملون له ، و لم يعلموا بموته و ظلوا يعملون له فيما أمرهم به قبل موته . و
لم يدلهم على موته إلا دابة الأرض التي كانت تأكل عصاه التي كان يتكئ عليها ،
فلما عثت دابة الأرض بالعصا زابت موضعها و سقطت على الأرض و خر سليمان
عليها كذلك و هنا علم الجن ان سليمان قدمات من قبل و هم لا يعلمون بموته ،
فأخلوا مكانهم و مضوا إلى حيث يشاؤون ، ولو كانوا يعلمون الغيب لعلموا بموت
سليمان عليه السلام لو كان بعيداً عنهم ، فكيف و هوتحت سمعهم و بصرهم ؟

وانما الجن كانت محدودة القدرة ، واقعة في قيد العجز عن كثير من الامور
شأنها في هذا شأن الانسان الذي يقدر على القليل و يعجز عن الكثير . . .

و أما إخبار الجن عن الطريق و الامتعة و ما إليها مما يمكن أن يعلمها
الجن لما لهم من الحركة السريعة و الانطلاق في آفاق فسيحة فليست من علم
الغيب ، و انما هو مشاهدة حيث كان عن واقع محسوس يراه الجن رأى العين
فهو حضور بالنسبة للجن و لكنه غيب بالنسبة للانسان البعيد عن موقع الحدث
حيث يرى الجن و لا يرى نحن البشر . قال الله تعالى : « انه يراكم هو و قبيله
من حيث لا ترونهم » الاعراف : ٢٧)

١٥ - (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق

ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله جل و علا اثر بيان أحوال الشاكرين لها ، و إخبار عن قصة سبأ بمادل على حسن عاقبة الشكر و سوء مآل الكفران على طريق التأكيد القسوى ، فقد يستر الله تعالى لهم رغد العيش فى مسكنهم ، و كانت لهم جنات عن اليمين و الشمال لياأكلوا من رزق من بيده تدير أمرهم و شئون تربيتهم الروحية و المادية ، و الظاهرة و الباطنة . . . و يشكروا له نعمه فبلدتهم طيبة الرزق و ربهم غفور اذا شكروا له .

وقوله تعالى : « جناتان عن يمين و شمال » تفسير لما قبله . إن تسئل : كيف قال الله تعالى : « آية جناتان » و لم يقل : « آيتان جناتان » و كل جنة كانت آية أى علامة على توحيد الله جل و علا ؟ تجيب : لما تماثلتا فى الدلالة و اتحدت جهتهما فيها جعلهما آية واحدة ، و نظيره قوله تعالى : « و جعلنا ابن مريم و امه آية » .

وقوله تعالى : « كلوا من رزق ربكم و اشكروا له » حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلاً للنعمة ، و تذكيراً لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكون أحقاء بان يقال لهم ذلك . فى الامر بالاكل من الجنتين كناية عن رزقهم منهما ، ثم بالشكر له على نعمته و رزقه . أمر يراد به الالفات إلى هذه النعم العظيمة التى أسبغها الله تعالى على القوم ، و ليس المراد به الامر بالاكل على اطلاقه .

وقوله تعالى : « بلدة طيبة » مستأنف بيانى سيق لبيان موجب الشكر المأمور به أى هذه بلدة طيبة لكثرة أشجارها و طيب ثمارها . أو بلدتكم بلدة طيبة .

وقوله تعالى : « و رب غفور » فى ايشار « رب » إشعار بان كل ذلك من شئون الربوبية ، و فى « غفور » إشارة إلى ان الشكر و الاكل من الحلال الطيب

يوجب المغفرة مما سبق منكم .

١٦ - (فأعرضوا فارسنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط وائل و شيء من سدر قليل)

بيان لما أهمل أهل سبأ واجب الشكر، وانحرفوا عن جادة الحق وكفروا
بنعمة الله تعالى فعاقبهم على جري عادته ومزقهم وجعلهم أحاديث للناس إذ أرسل
عليهم سيل العرم فاجتاح جناتهم وخرّبها وبدلها بجنات من أشجار كربة المنظر،
كثيرة الشوك مرة الطعم من الخمط و الأئل و السدر .

وفي مقابلة الجنتين الطيبتين بهذه الصورة الكئيبة لما تنبت الارض، و في
وصف هذه الصورة بالجنتين - ما يكشف عن مدى هذا التحول الذي أصاب القوم
في حياتهم، وعن الحسرة التي تملأ قلوبهم حين ينظرون إلى جنتيهم الذاهبتين،
ثم إلى هاتين الجنتين اللتين بين أيديهم، فهذا هو ما يمكن أن يحصلوا عليه
من جنات إن كان يصح أن يكون ما في أيديهم مما يطلق عليه .

١٧ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازي الا الكفور)

بيان لسبب العقاب المتقدم، وإشارة إلى مصدر «جزيناهم» أو إلى ما ذكر
من تبديل الجنتين وإرسال السيل، و ما حل بهم من نكال و بلاء و معنى البعد
فيها ايدان يبعد رتبته في الفضاة . و قيل : ان الفرق بين الجزاء و المجازاة :
ان المجازاة لا تستعمل الا في الشر، والجزاء عام لكل مكافأة يستعمل في المعاقبة
تارة و في الاثابة تارة اخرى .

١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا
فيها السير سيرا و فيها ليلالي و أياماً آمنين)

تقرير لأحوال أهل سبأ خارج البلد، وما يؤول إليه أمره - اثر بيان أحوال
مسكنهم و جنتيهم و حكاية تبديل الجنتين داخل البلد و ما آل اليه أمره -
فجعل الله تعالى العمران متصلاً بين بلادهم، و البلاد التي بارك فيها بقرى ظاهرة

متتابعة بحيث يستطيعون أن يسيروا ليالي و أياماً آمنين شر أخطار الاسفار و مشاقها . . . فهذا اخبار و حكاية من الله تعالى لما ادنوا من النعم البادية في مسائرهم و متاجرهم ، و ما فعلوا بها من الكفران و ظلموا أنفسهم ، فحاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم و بياناً لعاقبتهم .

و قوله تعالى : « سيرا فيها ليالي و أياماً آمنين » بيان للأمن طريقهم ، والغرض من ذكر الليالي والايام تقرير كمال الامن ، ولذلك قدمت الليالي ، فانها مظنة الآفات . . . وفي ذلك إشارة إلى تكامل نعمة الله تعالى عليهم في السفر كما انه كذلك في الحضر .

و هذه نعمة من النعم العظيمة التي لا يدرك مداها إلا من مضى عمره في السفر ، و لهذا امتن الله تعالى على قريش بان آمنهم في أسفارهم في رحلتى الشتاء والصيف .

١٩ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

حكاية لما سئموا العيش الهنيء و ملئوا الدعة والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والفوم مكان المن والسلوى ، فلم يقدرُوا هذه النعمة حق قدرها ، وتحدوا الله جل و علا بأقوالهم أو أفعالهم أن يباعد بين أسفارهم بدل شكرها و جعلها وسيلة لنيلهم بالنعم الاخرية ، فظلموا بذلك أنفسهم و آزرها إذ بطروا و بغوا فجعلوها عرضة للسخط والعذاب والهلاك والدمار فسيبوا انصباب نعمة الله تعالى و غضبه عليهم ، فمزقهم في الارض كل ممزق و جعلهم أحاديث للناس وموضوع نقدهم و تثريبهم و مضرب مثلهم .

قيل : قوله تعالى : « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » اقتراح ضمنى لتخريب بلادهم .

وقوله تعالى : « و ظلموا أنفسهم » جواب لما طلبوه و تمهيد لذكر ما

عاقبهم على بطرهم بالنعمة .

وقوله تعالى : « فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » بيان لعاقبة أمرهم ، وفي جعلهم نفس الأحاديث إما على المبالغة ، وإما على تقدير المضاف أي جعلنا ذوى أحاديث يتحدث بهم الناس متعجبين من أحوالهم و معتبرين بعاقبتهم و مآل أمرهم .

وقوله تعالى : « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » تقرير رباني بان في كل ذلك آيات و عبراً لا يدرك مغزاها ، و لا ينتفع بها الا كل صبار ثابت على الاخلاص لله تعالى ، شاكراً لنعمة و أفضاله قولاً و عملاً . وفي تخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بالآيات القرآنية و يعتبرونها ، و « صبار » مبالغة في الصبر أي يصبر في كل ما ينبغي عليه الصبر من الطاعة و المعصية و الابتلاء و النعمة ، و « شكور » مبالغة في الشكر و هو المتوفر على أداء الشكر ، الباذل و سعه فيه بالقلب و اللسان و الجوارح في أكثر الاوقات و الاحوال ...

٢٥ - (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

تقرير لصدق ما توسم ابليس في الكافرين و أهل الزينج و الشرك من ضعف العزم فيهم و انقيادهم و تسليم زمامهم لابليس فيتبعونه في كل ما يدعوهم إليه من انكار الصانع و الشرك بالله تعالى و تكذيب البعث و الجزاء ، الانهماك في الشهوات كلها . . . و ايماء إلى قوة عزم المؤمنين و ثباتهم على الايمان و امتناعهم من اتباع الشيطان فلا يجد ابليس سبيلاً يدخل في ايمانهم منه بالغواية و الاضلال و الوسوسة . . .

و لا يخفى على القارىء الخبير : ان الكافر أدون حالاً و أخس منزلة من ابليس لانه تردد في عدل الله تعالى ، فخالف أمره في سجدة آدم عليه السلام ان قال : أنا خير منه فانه يرى ان الفاضل مقدم على المفضول و إن خطأ في فضله على آدم عليه السلام و لم ينكر وجود الله تعالى و لم يشرك به أحداً ، ولم يكفر بيوم البعث و الحساب

و أما الكافر فيجحد الخالق أو يشرك به خلقه ، و ينكر البعث والجزاء و يقدم
المفضول على الفاضل مع علمه بفضل الفاضل .

٢١ - (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ)

نفى لكل سلطان لابليس على الكافرين بان يلجئهم على الكفر والطغيان ،
بل لهم اختيار في الاتباع منه ، ولكنهم يتأثرون بالوساوس ولا يؤمنون بالآخرة
و لا يستجيبون إلى دعوة رسل الله جل و علا ، فليس لابليس في الحقيقة عليهم
أى سلطان نافذ ، و انما كان امتحاناً ربانياً ليظهر من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك فلهم إستطاعة على عدم التأثر من وسوسة الشيطان وعدم تأثيرها فيهم .
وقوله تعالى : « الا لنعلم من يؤمن بالآخرة . . » إستثناء مفرغ من أعم
العلل أى وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن بالآخرة متميزاً ممن
هو في شك منها تعلقاً حالياً يترتب عليه الجزاء أو الا ليتميز المؤمن من الشاك
أو الا ليؤمن من قدر ايمانه و يشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم
حصول متعلقه بمبالغة . قيل : وقد وضع فى « الا لنعلم » الغاية موضع ذى الغاية
أى التمييز المذكور موضع التسلط من طريق الاتباع الاختيارى .

و تقييد الايمان والشك بالآخرة لمكان ان الرادع الوحيد عن المعصية
والداعى إلى الطاعة هو الايمان بالآخرة دون الايمان بالله و رسوله لولا الآخرة .
و قيل : ان المراد بالعلم هو التمييز حيث ان التمييز متجدد بخلاف العلم فانه
ثابت فى الله تعالى . و اختصاص العلم هنا بالايمان بالآخرة أو الشك فيها لان
الايمان بالآخرة هو ملاك الايمان بالله تعالى و رسوله وآياته ، فليس مؤمناً بالله
الا من كان مؤمناً باليوم الآخر .

وقوله تعالى : « و ربك على كل شيء حفيظ » وفيه تحذير عن الكفران
والمعصية و انذار لأهل الكفر والمعصية .

٢٢ - (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لا في الارض و ما لهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير)
 أمر للنبي ﷺ بتحدى المشركين بدعوة من يزعمون انهم شركاء لله سبحانه ، و تقرير يكون اولئك الشركاء لا يملكون مثقال ذرة في السموات و الارض و ليس لهم فيهما شركة ما و ليس لله منهم معين و مظاهر ، على طريق الخطاب التوبيخي و التقريعي ، إظهاراً لبطلان ما هم عليه من الشرك في الابدان و التدبير على سبيل الاستقلال أو على سبيل الاعانة و تبكيتاً لهم .
 و في الآية الكريمة و تاليها تصوير لصورة موقف من مواقف الجدل و المناظرة بين النبي ﷺ و المشركين ، و هي قوية في لذعها و تحديها و تنديدها و مساجلتها و انذارها و تدل على ان موقف النبي ﷺ كان موقف الواثق المستعلي أو هي بسبيل بثّ الوثوق و الاستعلاء في نفسه ، و في الآية كشف عما كان المشركون عليه من ضلال و اشتغالهم بالهتهم عن الله جل و علا . و احتجاج على ابطال الوهية آلهتهم بعدم قدرتهم على استجابة دعاء عبدتهم . و احتجاج على نفى الملك بانتفاء استجابتهم دعاء عبدتهم في صور ثلاث : أحدها - ملكهم لما في السموات و ما في الارض مطلقاً . ثانيها - ملكهم على وجه الشركة مع الله سبحانه . ثالثها - كونهم أو بعضهم ظهيراً لله سبحانه .
 و قيل : ان الآية و تاليها تبطل أربعة أنحاء من الشرك : أحدها - ان من المشركين من كان يقولون : انا نعبد الملائكة التي في السماء فهم آلهتنا ، و الله إلههم فإله تعالي أبطل قولهم بقوله : « لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لا في الارض » على خلاف ما زعمتم ان الارض و الارضيات في حكمهم . ثانيها - و منهم من يقول : ان السموات من الله على سبيل الاستقلال ، و ان الارضيات منه و لكن بواسطة الكواكب و اتصالاتها و انصرافاتها ، فأبطل قولهم بقوله : « و ما لهم فيهما من شرك » أي الارض كالسما لله وحده ليس لغير فيها نصيب .

ثالثها - و منهم من يقول : ان التركيبات و الحوادث كلها من الله لكن فوض ذلك إلى الكواكب و إعانتها فأبطل قولهم بقوله : « و مالهم منهم من ظهير » رابعها - و منهم من يقول : انا نعبد الاصنام التي هي صور الملائكة ليشفعوا لنا ، فيبين بطلان مذهبهم بقوله : « ولا تنفع الشفاعة » .

ان تسئل : كيف قال الله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله » أى الذين زعمتموهم آلهة من دون الله ، مع أن المشركين ما زعموا غير الله إلهاً دون الله بل مع الله على وجه الشركة ؟

تجيب : ان النص لا يدل على زعمهم حصر الآلهة في غير الله نصاً بل يوهم ذلك ، و لو دل ففيه تقديم وتأخير ، على تقدير : ادعوا الذين من دون الله زعمتم انهم شركاء لله .

وقوله تعالى : « لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لافى الارض ... » واقع موقع الجواب كأنه قيل : فماذا يكون اذا دعوهم ؟ فقيل : لا يستجيبون لهم بشيء لانهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لافى الارض ، و لو ملكوا لاستجابوا و لاتم الربوبية و الالهية إلا بان يملك الرب و الاله شيئاً مما يحتاج إليه الانسان فيملكه له ، و ينعم عليه به فيستحق بازائه العبادة شكراً له فيعبد أما اذا لم يملك شيئاً فلا يكون رباً ولا إلهاً . و فى ذلك تنبيه إلى ما كان عليه المشركون من خطأ عظيم و جرم كبير .

٢٣ - (و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير)

رد على المشركين لقولهم : ان آلهتهم تشفع لهم عند الله تعالى ، و تقرير بان الشفاعة عند الله جل و علا لن تنفع أحداً إلا باذن الله تعالى و رضائه .

وقوله تعالى : « الا لمن أذن له » استثناء مفرغ من أعم الاحوال أى لا تقع الشفاعة فى حال من الاحوال إلا كائنة لمن أذن له فى الشفاعة من النبيين و

الملائكة والشهداء والصالحين ومن إليهم من المستأهلين لمقام الشفاعة ، فبتبين حرمان الكفرة منها بالكلية أما من جهة أصنامهم فلظهور انتفاء الاذن لها ، ضرورة استحالة الاذن في الشفاعة لجماد لا يعقل ولا ينطق ، و أما من جهة من يعبدونه من الملائكة فلان إذنه مقتصور على الشفاعة للمستحقين لها لقوله تعالى : «لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً» ومن البين ان الشفاعة للكفرة الفجرة ، و الطغاة الجبابرة بمعزل من الصواب .

وقوله تعالى : « حتى اذا فرغ عن قلوبهم » غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن بالشفاعة ، وبيان لما يحدث بعده كأنه قيل : يترصون ويقفون ملياً مفزعين حتى كشف الفزع عن قلوب الشافعين و المشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن تباشروا بذلك و سئل بعضهم بعضاً ماذا قال ربكم؟ قالوا : قال : القول الحق . و هو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى .

و في عود الضمير « قلوبهم » على الاسم الموعود « من » جمعاً بعد أن عاد عليه مفرداً « له » تنبيه إلى أن الاذن بالشفاعة يكون لكل من يؤذن له على حدة ثم يتعدد أفراد المأذون لهم ، فيكونون جمعاً فهم أفراد في أخذ الاذن و جمع في العدد المأذون له .

في تلخيص البيان : للسيد الشريف الرضى رضوان الله تعالى عليه في قوله تعالى : « حتى اذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم » قال : وهذه إستعادة على قراءة من قرأ فرغ بالزاي والعين ، و فرغ بالراء والغين ، فالمراد بقراءة من قرأ بالعين غير المعجمة أى ازيل الفزع عن قلوبهم كما تقول : قذيت عينه اذا ازلت القذى عنها وهو كقولهم : دغب عنه اذا رفعت الرغبة عنه خلافاً لقولهم : دغب فيه اذا صرفت الرغبة إليه ، فالرغبة في أحد الامرين منعطفة ، وفي الآخر منصرفة . والمراد بقراءة من قرأ فرغ بالغين المعجمه قريب من المراد بالقراءة الاولى كأنه سبحانه قال : حتى اذا أخرج ما كان في قلوبهم من الخوف والوجل

ففرغت منها ، وانما قال : عن قلوبهم لانه تعالى أقام ذلك مقام التفريغ عن قلوبهم ، فكما حسن أن يقال : فرّج عن قلبه ، فكذلك حسن أن يقال : فرّغ عن قلبه ، وهذا موضع سرّ لطيف و معنى عجيب . انتهى كلامه و رفع مقامه .

و قوله تعالى : « قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق » يدل على انهم طوائف و جماعات كثيرون يسئل بعضهم بعضاً عن الامر الالهى بعد صدوره و إنكشاف الفزع عن قلوب السائلين و يتبين منه ان كشف الفزع و نزول الامر إلى بعضهم أسبق منه إلى بعض آخر ، فان لازم السؤال أن يكون المسئول عالماً بما سئل عنه قبل السائل ، فلهم مراتب مختلفة و مقامات متفاوتة بعضها فوق بعض تتلقى الدائمة منها الامر الالهى من العالية من غير تخلف و لامهلة ، و هو طاعة الدانى منهم للعالى كما يستفاد ذلك أيضاً بالتدبر فى قوله تعالى : « و ما منا الآله مقام معلوم » الصافات : ١٦٤)

و قوله فى وصف الروح الأمين : « ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين » (التكويد : ٢١) فينبههم مطاع و مطيع و لاطاعة مع ذلك الآله جل و علا لان المطاع منهم لاشأن له إلاّ إيصال ما وصل إليه من الامر الالهى إلى مطيعه الذى دونه ، و يمكن أن يستفاد ذلك من توصيف القول بالحق فى قوله : « قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق » أى قال : القول الثابت الذى لاسبيل للبطلان و التبدل إليه .

وقوله تعالى : « وهو العلى الكبير » اعتراف من الشفعاء بعظمة خالق الكون و قصور كل ماسواه تواضعاً منهم بعد أن رفع الله تعالى أقدارهم باذن لهم بالشفاعة و فيه أيضاً ثناء على الله تعالى .

٢٤ - (قل من يرزقكم من السموات و الارض قل الله و انا أو اياكم لعلى هدى اوفى ضلال مبين)

تبكىت للمشركين بحملهم على الاقرار بأن آلهتهم لايملكون منقال ذرة

في السموات ولا في الارض ، و ان الرزق هو الله تعالى وحده فانهم لا ينكرون كما قال : « قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله » و حيث كانوا يتعلمون أحياناً في الجواب مخافة الالتزام قيل له ﷺ : « قل الله » اذ لا جواب عندهم سواه .

ففيه أمر للنبي ﷺ بسؤال المشركين عن الرزق الحقيقي لهم من السماء والارض وبالإجابة على ذلك بانه هو الله وحده ، و توجيه الكلام إليهم على سبيل المساجلة والجدل بانه لا بد من أن يكون أحداً الفريقين : النبي ﷺ والمؤمنون من جانب والمشركون من ناحية ضالاً و أحدهما على هدى ، فيوازنون في هذا السؤال بين العلى الكبير الذى يؤمن به المؤمنون ، و بين آلهتهم التى أقاموها حجازاً بينهم و بين الله تعالى ، حتى لقد عموا عن النظر إليه ، وأبت عليهم أسنتهم أن ينطقوا به ، و أن يضيفوا أنفسهم إليه ، و فى هذا السؤال : يطالب المشركون بالكشف عن يرزقهم مما ينزل من السماء من ماء ، وما يخرج من الارض من نبات ؟ أو من يرزقهم من أهل السموات من ملائكة أو من أهل الارض من آدميين و أشباههم ؟؟

ولاجواب لهم عن ذلك الا هذا الجواب « الله » وحده ، فهو وحده المالك لكل شىء والمتصرف فى كل شىء ، لا يملك أحد معه مثقال ذرة فى السموات أو فى الارض ، و ما له تعالى فيهما من شرك و لا من معين ، و فى النطق عنهم بالجواب إلتزام لهم به طائعين أو مكرهين لانه لا جواب غيره ، قبلوه أو ردوه . فهذا احتجاج آخر عليهم من جهة الرزق الذى هو الملاك العمدة فى اتخاذهم الآلهة فانهم يتعلمون فى عبادتهم الآلهة بانها ترضيهم ، فيوسعون لهم رزقهم فيسعدون بذلك ، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يسألهم : من يرزقهم من السموات والارض ؟ والجواب عنه انه الله جل و علا لان الرزق خلق فى نفسه ولا خالق -

حتى عند المشركين - الا الله تعالى لكنهم يستنكفون عن الاعتراف به بالسنتهم ،
و إن أذعنت به قلوبهم ولذلك أمر أن ينوبهم في الجواب فقال : « الله » . قيل :
و ههنا نكتة ، وهى انه قال فى دفع الضر : « قالوا الحق » وقال فى طلب النفع :
« قل الله » تنبيهاً على انهم فى الضراء مقبلون على الله تعالى معترفون به ، و فى
السراء معرضون عنه غافلون لا يتنبهون الا بمسه . و هذا بناء ان القائل فى
« قالوا الحق » هم المشركون لا الملائكة . فتدبر جيداً .

و قوله تعالى : « و انا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » تعريض
بانكم على ضلال و انى على هدى ، وهذا على وجه الانصاف فى الحجة كما تقول
لخصمك الباطل : قد علم الله الصادق منى و منك و ان أحدنا لكاذب . مع أنك
تيقن انك حق صادق و خصمك باطل كاذب كما قال أبو الاسود الدئلى فى مدح
أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين :

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| يقول الأردلون بنو قشير | طوال الدهر لا ينسى علياً |
| بنو عمّ النبى و أقربوه | أحب الناس كلهم إلينا |
| فان يك جبههم رشداً أصبه | و لست بمخطى إن كان غيياً |

فلما سمع ذلك معاوية بن أبى سفيان عليهما الهاوية والنيران ، فقال لابى
الاسود : أتشك فى أن حب على عليه السلام رشد؟ فأجاب : أشك الله فى قوله تعالى :
« انا أو اياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » تعريضاً بانى لا اشك فى ان محبة
على عليه السلام رشد كما لا ينبغى أن يقال : ان الله تعالى كان شاكاً فى كون رسوله
الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على هدى والكافرين على ضلال .

و فيه إشارة إلى أن الامر - أى أمر - لا يبعدو أن يكون حقاً أو باطلاً ،
هدى أو ضلالاً و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون معه قولهم فى الله و قال
المشركون قولهم ، و اذا كان كل على طريق ، فان المقطوع به أن يكون أحد
الفريقين على طريق الهدى والاخر على طريق الضلال .. ولا يجتمعان .. و أصل

النظم هكذا : « نحن أو انتم على هدى . . و نحن أو انتم في ضلال مبين » أى انه اذا نظر إلينا على طريق الحق لم يكن فيه إلاّ أهدانا ، واذا نظر إلينا على طريق الباطل لم يكن فيه إلاّ أهدانا ، فالفريقان مختلفان : مهتدون وضالون ، مؤمنون وكافرون ، مصلحون ومفسدون ، مطيعون وعاصون ، محسنون ومسيئون ، بارون وفاجرون . . . والطريقان مختلفان : هدى وضلال ، ايمان وكفر ، إصلاح وإفساد ، طاعة ومعصية ، إحسان وإساءة ، بر وفجور . . . ومهتدون على طريق الهدى . . . والضالون على طرق الضلالة . . . وأما أين طريق الهدى ومن أهله ؟ وأين طرق الضلالة ومن هم أصحابها ؟ فتلك هى القضية والحكم فيها لا يحتاج إلاّ إلى نظرة هنا ، ونظرة هناك وعندئذ يتبين الرشد من الغي ، والضلال من الهدى ، والحق من الباطل ، والصالح من الفساد ، والايمان من الكفر ، والطاعة من المعصية ، والاحسان من الاساءة ، والاخلاص من الشرك والنفاق . . .

و هذا اسلوب من الكلام المنصف يستعمله أصحاب الانصاف فى محاورتهم لارضاء العنان للمخاطب حتى اذا سمعه الموافق أو المخالف قال لمن خاطب به : لقد أنصفك صاحبك . و عليه قول حسان بن الثابت يخاطب أباسفيان بن حرب و كان قد هجا رسول الله ﷺ :

أتهجوه و لست له بكفاء
فشر كما لخير كما الفداء

وهذا هو الكلام المنصف الذى يتضمن قلة شغب الخصم وقل شوكته بالهويناء . و هذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى والحق و خصمه إلى الباطل والضلال لانه كلام من لا يكشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثه على النظر و لا يجب النظر إلاّ بعد التردد ، وفى الابهام تلتف بهم داع إلى الايمان و اتباع الهدى اذا وقفوا له . وان الايماء أبلغ من التصريح و أوصل بالمجادل إلى الغرض . فلا بد من النظر بعين الانصاف إلى ما القى اليهم من الحججة ، تمييزهم المهدي من الضال ، والمحق من المبطل ، والمصلح من المفسد ، والمؤمن

من الكافر ...

وقوله تعالى: « لعلسى هدى أو فى ضلال مبين » فى اختلاف الجاريسن « على » و « فى » ايدان بان الهادى كمن استعلى مناراً ينظر الاشياء و يتطلع عليها ، والضال كأنه منغمس فى ظلام لا يرى شيئاً أو محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج منها ، فاستعمال كلمة « على » فى جانب الحق و كلمة « فى » فى جانب الضلال إشارة إلى استعلاء أهل الحق والهداية فكأنه مرتفع متطلع راكب مطية الهدى مستعل على متنها ، بصرف نظره كيف شاء وغايتها التى فيها سعادته ، وإلى انحطاط أصحاب الباطل ودناءة أهل الضلالة كأنهم منغمسون غريقون فى ظلام منخفضون لا يدرون أين يتوجهون ، و أين يضعون أقدامهم ، وإلى أين يسرون و ماذا يراد به ، و غايتها التى فيها شقائهم و هلاكهم ...

و فى وصف الضلال بالمبين و عدم وصف الهدى بشيء من الاوصاف لان الهدى هو الصراط المستقيم الموصل إلى الحق لا يحتاج إلى وصف حتى يتميز من غيره إذ ليس لها افراد كما قال تعالى: « ان هذا صراطى مستقيماً » وليس طريق الحق الا واحداً بخلاف الضلال له طرق يأكل بأمعاء فان غير الحق هو ضلال بأشكاله المختلفة ، و صوره المتنوعة و أسمائه المتبارقة الجافة بعضها غيريين ، فميز البعض عن البعض بالوصف . فالهدى والحق كالخط المستقيم واحداً لا عوجاج فيه ، و الباطل كالخطوط المنحنية لاحصر لها ، فبعضها أدخل فى الضلالة من بعض و أبين .

٢٥ - (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون)

أمر من الله تعالى للنبي الكريم ﷺ بتوجيه الكلام إلى المشركين على سبيل المساجلة و الجدل ، بان كل فريق هو المسئول وحده عن عمله و ما قد يقترفه ، و فى الآية دلالة على أن أحداً لا يجوز أن يؤخذ بذنب غيره ، و زيادة فى انصافهم فى المخاصمة . و قيل: و فيها رد على اتهام المشركين بان الرسول

وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَاءَ لِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ، وقد كانوا يسمونهم « الصابئين » أي المرتدبن عن دين الآباء و الاجداد كما يقع ذلك من أهل الباطل أن يتهموا أهل الحق بالضلال في تبجح و في غير ما استحياء .

وفي التعبير عن جانب النبي المعصوم ﷺ و المؤمنين المحسنين بالاجرام: « أجرمنا » وعن جانب المشركين المجرمين بالعمل : « تعملون » وكان مقتضى النظم أن يجيء : « أجرمتم » أو « تجرمون » بدلاً من « تعملون » أو « عملنا » أو « نعمل » بدلاً من « أجرمنا » أخذ بحسن الأدب في المناظرة و الجدل ، و رفق بالمشركين ، و إطفاء لجمية الجاهلية التي تعمى عليهم السبيل إلى الهدى ، و هذا هو اسلوب الحكيم في المخاطبة الجاهلين ، وهو اسلوب الدعوة الاسلامية و الصميم من رسالة رسولها .

و هذا أبلغ في سلوك طريقة الانصاف ، و أبعد من الجدل و الاعتساف حيث اسند فيه الاجرام و ان اريد به الزلة و ترك الاولى إلى أنفسهم ، و مطلق العمل إلى المشركين مع أن أعمالهم أكبر الكبائر... وفيه إرشاد إلى المناظرات الجارية في العلوم وغيرها ، و اذا قال أحد المناظرين للآخر أنت مخطيء أغضبه و عند الغضب لا يبقى سداد الفكر ، و عند إختلاله لامطمع في الفهم فيفوت الغرض . و قيل : ان الآية تمهيد لما في الآية التالية من حديث الجمع و الفتح ، فان الطائفتين اذا اختلفا في الاعمال خيراً و شراً كان من الواجب أن يفتح بينهما و يتميز كل من الاخرى حتى يلحق به جزاء عمله من خير أو شر ، من سعادة أو شقاء ، من ثواب أو عقاب ، من نعمة أو نقمة ، و من جنة أو نار . . . و الذي يفتح و يميز هو الرب جل و علا .

٢٦ - (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتح العليم)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بتوجيه الكلام إلى المشركين اذا عجزوا أن يتبينوا من المحق و من المبطل ، و من هم أهل الهدى ، و من هم أصحاب

الضلالة في هذه الخصومة في الله تعالى القائمة بينهم وبين النبي ﷺ وأصحابه... عجزوا عن أن يحكموا في هذه القضية في الحياة الدنيا فهي ستحال إلى الآخرة، فيجمع الله تعالى بينهما معاً ثم يقضى بينهما بالحق وهو الحاكم العادل العليم بأعمال الناس ونواياهم وأحوالهم... وفي إثارة كلمة «رب» مضافة إلى ضمير تكلم الجمع تنبيه بان الجمع والفرق بين المؤمنين والكافرين هو من شأن مدبر الامر وهو الرب: رب المؤمنين والكافرين، رب الصالحاء والمفسدين و رب الشهداء والباغين... وتثبت الآية البعث لتمييز المحسن من المسيء، والمفسد من المصلح أولاً ثم انحصار التمييز والجزاء في جانبه تعالى بانحصار الربوبية فيه، و يبطل بذلك ربوبية من اتخذوه من الارباب، وفيها تحذير وإنذار لهم بعاقبة أمرهم يوم القيامة.

وفي قوله تعالى: «العليم» إشارة إلى أن حكم الله تعالى يكون مع العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى.

٣٧ - (قل أرؤني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)

أمر آخر للنبي الكريم ﷺ بتحدى المشركين بتعيين الشركاء الذين أشركوهم مع الله سبحانه وألحقوهم به، وجعلوا لهم صلة به أو جعلوهم جزءاً منه. وفي السؤال استخفاف، واستنكار، واستسفار عن شبهتهم بعد إلزام الحجة عليهم زيادة في تبكيثهم بانهم أيها المشركون: أرؤني معبوداتهم من هم؟ وماهم؟ وما قيمتهم؟ وما صفتهم؟ وما مكانتهم ومنزلتهم؟ وبأي شيء استحقوا منكم هذه الدعوى؟ فيختبر هل فيهم الصفات الضرورية للاله المستحق للعبادة من الاستقلال بالحياة والعلم والحكم والقدرة والعظمة والعزة والجلال والسمع والبصر... فعرّفوني تلك الالهة التي جعلتموها شركاء لله سبحانه هل فيهم صفات الالهية؟ أم شاركوه في خلق شيء؟ فبينوا ماهو؟ والآل فلم تعبدونها؟! وفيه توبيخ لهم فيما اعتقدوه من الشرك بالله سبحانه.

وقدرأى بعض الاعراب رباً من تلك الارباب الجامدة والهيكل المصنوعة ...
وقد وقعت الطير على رأسه وتركت آثارها فوقه ، ثم نظر فرآى الثعالب
قد مرت به وبالت عليه فلم يكن من هذا الاعرابي إلا أن ركل هذا الرب الجامد
الميت برجله ثم داسه بقدميه و بصق عليه ، و ولاه ظهره منصرفاً عنه وهو يقول:
أرب يبول الثعلبان بوجهه لقد ذل من بالت عليه الثعالب .

ففيه توبيخ و تفریع كما يقول القائل لمن أفسد عملاً : أرسي ما عملته
توبيخاً له بما أفسده . فانهم سيفتضحون بذلك لو أشاروا إلى آلهتهم ...

وقوله تعالى: « كلا » ردع وتأنيب لهم عن المشاركة بعد إبطال المقايسة ،
فهم ليسوا بشركاء ، و ما له سبحانه من شريك ، و فيه تنبيه إلى فاحش غلطهم و
عظيم خطئهم لانهم لو أرادوا بالشركاء لله سبحانه تلك الاصنام والوثان بانها معبودة
لهم معدودة آلهتهم ، وهى أجسام ميتة خالية عن الحياة والعلم والقدرة ... وفاقدة
عن السمع والبصر... ولو أرادوا بها أرباب تلك الاصنام وهم الملائكة وغيرهم بجعل
الاصنام تماثيل مشيرة إليهم ، وهم وإن لم يخلوا عن حياة وعلم وقدرة إلا أن مالهم
من صفات الكمال مفاضة عليهم من الله جل وعلا لا استقلال لهم فى شىء من هذه الصفات ،
ولا فى الافعال المتفرعة عليها ، فأين الاستقلال فى التدبير الذى يدعون انه مفوض
إليهم؟ فالوجود الواجب بكماله اللامتناهى يمنع أن يكون فى خلقه من يشاركه
فى شىء من كماله . اللهم إلا أن يدعوا انه شاركهم فى بعض ماله من الشؤون
لتدبير خلقه من غير صلاحية لهم ذاتية و هذا ينافى حكمته تعالى .

وقوله تعالى : « بل هو الله العزيز الحكيم » إضراب عما تقدم ، و اثبات
لضدّه على طريق الحججة بان الشرك منفى عن الله تعالى لانه العزيز القوى الذى
لا يحتاج إلى شريك ، الحكيم الذى تكون كل أعماله وفقاً لمقتضيات الحكمة ،
فمن هذه صفاته لا يكون هؤلاء شركاء له ، و لا يكون له على الاطلاق شريك ،
فان عزته جل وعلا - و هو منع جانبه أن يعدو إلى حريم كماله عاد لكونه

لا يحدّ بحدّ - تمنع أن يشار كه في شيء من صفات كماله كالربوبية والالوهية المنتهيتين إلى الذات أحد غيره، هذا لو كانت الشركة عن صلاحية ذاتية من الشريك فالحكمة الالهية تمنع ذلك. وفيه زيادة تويخ لهم.

٢٨ - (وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

خطاب موجه إلى النبي الكريم ﷺ، وتقرير لنبوة نبيه ﷺ وتزكية من الله تعالى له ﷺ وأمر له ﷺ أن يقف من المشركين هذا الموقف و يكشف لهم عن ضلالهم و يزيل الغشاوة التي انعدت على أبصارهم، فلم يبينوا طريق الهدى، و بيان لهذا المقام العظيم، وهذا المنصب الكريم الذي لرسوله ﷺ عند ربه، وهو مقام لا يطاول، و منزلة لا تنال فهو رسول الانسانية كلها، والشمس التي تملأ الآفاق كلها... إذ أرسله الله جل وعلا إلى كافة الناس بشيراً للمهتدين والبررة، و إنذاراً للمضالين والفجرة، ولولم يدرك هذا أكثر الناس. وفي الآية تطمين للنبي ﷺ وتسلية، فهو ﷺ ليس مسؤولاً عن موقف الجحود والعناد الذي يقفه الكفار، و ليس مهمته الا البشارة والانذار.

٢٩ - (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

حكاية عن تساؤل الكافرين الجهلة المتمادين على جهلهم تساؤلاً يتضمن معنى الانكار والاستهزاء والاستخفاف والاستعجال منهم عن موعد تحقيق وعد البعث والحساب والجزاء والعذاب الاخرى اذا كان ذلك حقاً وصدقاً، وسؤال عن وقت الجمع والفتح، على طريق الاستعجال تعنتاً و جهلاً منهم، فالاية متصلة بقوله السابق: «قل يجمع بيننا ربنا» واستمرار في حكاية مواقف الجدل والمناظرة بين النبي الكريم ﷺ والكفار. وفي الآية دلالة على أن الكفار كانوا كلما تكرر وعيدهم بالبعث والعذاب الاخريين بادرروا إلى هذا السؤال الذي ينطوي فيه تحدّ واستهانة واستهتار.

٣٠ - (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة و لا تستقدمون)

أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ أن يجيب المشركين جواباً رزيناً فيه توكيد و قوة و إنذار معاً ، جواباً على سبيل التهديد جيء مطابقاً لما قصدوه بسؤالهم من التعنت و الإنكار ، و رداً على هذا السؤال الجهول بأن لهم ميعاد يوم مقضى لا يتخلف عن الوقوع فهو واقع لامحالة ، و لا يختلف وقت وقوعه ألبتة فان الله تعالى وعد به وعداً فهو لا يخلف وعده إلا أن وقت وقوعه مستور لا يعلمه إلا الله جل و علا . و في إسناد الفعل «لا تستأخرون عنه» إليهم دون أن يقول : «لا يؤخر عنكم» زيادة توكيد لوقوع اليوم .

٣١ - (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذي بين يديه و لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين)

حكاية قول للكفار ، وهو توكيدهم القاطع بعدم تصديقهم و إيمانهم بالقرآن الكريم ، و لا بما جاء قبل القرآن من الكتب السماوية ، و أعقت حكاية قولهم بسر ما سوف يكون من أمرهم في الآخرة و تقرير لآحوالهم يوم القيامة حينما يقفون أمام حكم الله تعالى و قضائه ، و يرون يقين ما أوعدوا به من حساب و عذاب و أغلال في الأعناق حيث يستشعرون الندامة على ما كان منهم ، و حيث تقع محادثة بين المستضعفين و المتكبرين أو التابعين من العامة و المتبوعين من زعمائهم ، فتقول العامة لزعمائهم : لولا أنتم لكننا آمننا .

و قوله تعالى حكاية عنهم : « لن نؤمن بهذا القرآن » تنبيه إلى تناقضهم و جهلهم ، فانهم كانوا قبل البعثة يراجعون أهل الكتاب و يحتجون بقولهم ، مضافاً إلى قولهم يوم القيامة : « لولا أنتم لكننا مؤمنين » .

و قوله تعالى : « و لا بالذي بين يديه » كناية عن كتب الله السماوية السابقة للقرآن و انما لم يؤمنوا بها ، و قد أنزلت على غيرهم لان فيها البشارة

برسول الله محمد ﷺ .

و قوله تعالى : « لو ترى ان الظالمون موقوفون عند ربهم » انتقال بهؤلاء الكافرين المكذبين بآيات الله تعالى . . . إلى موقف الحساب والمساءلة في لحظة خاطفة حيث يطلع عليهم هذا الذى كذبوا به ، و ماتزال كلمات التكذيب على أفواههم ، و تقرير لحوار بين الضالين و المضلين ، بين الفاسدين و المفسدين ، و بين المردة و أئمة الكفر والعصيان حين الوقوف يوم الحساب فيترجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا فى الدنيا أخلاء متناصرين .

و ان الخطاب للنبي ﷺ تحقيراً لهم ، و انهم بمعزل عن فهم الخطاب .
و قوله تعالى : « يرجع بعضهم إلى بعض القول » جملة حالية تكشف عن حال من أحوال هؤلاء الظالمين الموقوفين عند ربهم .

و قوله تعالى : « يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا » تفصيل للحوار و بيان للقول الذى يترامون به ، و التهم التى يلقى بها بعضهم على بعض ، و قد بدأ المستضعفون بالقاء اللائمة على رؤسائهم و سادتهم الذين تولوا قيادة الحملة الضالة ضد دعوة الحق و الهدى ، فوجدوا هؤلاء الضعفاء و قادوهم إلى المعركة فكانوا من الهالكين - بدأ المستضعفون بالرمدى بالتهمة هم المجنى عليهم من سادتهم و رؤسائهم .

و قوله تعالى : « لولا أنتم لكننا مؤمنين » إشارة إلى أن الايمان فطرة مر كوزة فى الانسان ، و انه لو ترك الانسان شأنه دون أن تدخل عليه مؤثرات من الخارج تفسد عليه فطرته ، و تشوش عليه رأيه - لآمن بالله عن طريق النظر العقلى و لاستجاب لدعوة الهدى من غير تردد - ففيه إشارة إلى أن كفرهم كان لمانع لالعدم المقتضى ، فان الرسول قد جاء ولم يقصر فى الابلاغ .

٣٢ - (قال الذين استكبروا والذين استضعفوا أن نحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

مستأنف مبنى على السؤال كأنه قيل : فماذا قال الذين استكبروا؟ فقيل:
قالوا : أنحن صددناكم عن الهدى على طريق الاستنكار رداً عليهم في منعهم إياهم
عن الهدى بالاجبار والاكراه ، وإلقاء تبعه ضلالهم عليهم و تقريراً لهم بانهم
كانوا مجرمين ضالين باختيارهم الضلالة ، فالمعنى : مارددناكم نحن عن الهدى
ولا أكرهناكم على الضلالة .

وفى إيلاء الاسم وهو « نحن » حرف الإنكار وهي الهزمة إثبات أنهم هم
الذين صدوا بانفسهم عن الهدى ، و ضلوا بكسب منهم واختيار ، و ان المانع
لم يكن راجحاً على المقضى ولا مساوياً له .

وقوله تعالى : « بل كنتم مجرمين » تأكيد لدفع ما اتهمهم أتباعهم به
من الاجبار والاكراه أى انكم انتم الذين أطعتم أمر الشهوة و اتبعتم هواكم ،
فكنتم كافرين ، ولم يكن منا إلا التسويل والتزيين . فقد صدق هؤلاء المستكبرين
المضلين وكذبوا فى آن معاً . . صدقوا لانهم لم يكن فى وسعهم أن يردوا هؤلاء
المردة الضالين عن الايمان لو انهم رغبوا فى الايمان ، وكذبوا لانهم كانوا دعوة
من دعوات الضلال ، وقوة من قوى الشر ، تزين لأتباعهم الضلالة و تغريهم بها ،
و تعمل على جذبهم إليها و ضمهم إلى جبهتها ، بما لهم من جاه و سلطان و
عدد و عدد و اشتهاى . . .

٣٣ - (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار
اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسرنا الندامة لما رأوا العذاب
وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)
إضراب عن إضرابهم و إبطال له ، فأبطل التابعون إضراب المتبوعين
بإضرابهم قائلين : ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا مستمراً
دائماً دائماً ليلاً و نهاراً حيث لم يجد التابعون مقنعاً فيما رد به سادتهم عليهم ،
و حقاً انهم لم يقسروهم قسراً على الكفر ولكنهم أغروهم به إغراء بما يملكون

من وسائل الاغراء وفي أيديهم المال والجاه والسلطان وكلها قوى ذات سلطان على الناس . ورد على هؤلاء المتبوعين المضلين لقولهم ، و دعوى هؤلاء الرؤساء المستكبرين البراعة ، و تذكير من التابعين بما كان من المتبوعين من تحريض وتآمر واجتماعات فاحشة في الليل والنهار ، و حث على التمسك بالشركاء والكفر بالله تعالى و برسوله و باليوم الاخر و على المعصية والفحشاء .

وقوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار » ان الاضافة من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به . وأصل الكلام : بل مكرهم في الليل والنهار ، أو جعل ليلهم و نهارهم ما كرين على الاسناد المجازى . فالاول اتساع لفظى ، والثانى معنوى . و قدم الليل لانه أخفى للمكر .

و فى تلخيص البيان : فى قوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار » قال : والمراد بمكر الليل والنهار ما وقع من مكرهم فى الليل والنهار ، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهما و فيه أيضاً زيادة فائدة و هى دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلاً غير منقطع فى الليل والنهار كما يقول القائل : ما زال بنا سير الليل والنهار حتى وردنا أرض بنى فلان ، و هذا دليل على اتصال سيرهم فى الليل والنهار من غير أغباب و لا إراحة ركاب .

وقوله تعالى : « أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً » إشارة إلى أن المشرك ، وإن كان مثبتاً لله تعالى فى الظاهر ولكنه ناف له على الحقيقة لانه جعله مساوياً للصانع ، و يجوز أن يكون كل منهما قول طائفة ، فبعضهم كانوا مأمورين بجحد الصانع ، و بعضهم بالاشراك به .

وقوله تعالى : « وأسروا الندامة ... » بيان لأحوال الكافرين الضالين والمضلين والفاستدين والمفسدين ، وزعماء الشرك والطغيان وأئمة الكفر والعصيان و أتباعهم و مآل أمرهم و سوء عاقبتهم و عذابهم يوم القيامة .

وقوله تعالى : « فى أعناق الذين كفروا » فى الاظهار موضع الإضمار

بكلمة الموصول وصلتها بوصف الكفر تنويه بذمهم، وتنبيه على موجب أغلالهم . . .
وقوله تعالى : « هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » سؤال إستنكاري فيه
معنى التنديد ، وإثارة الخوف والرهبه في نفوس الكفار، وبخاصة التابعين الذين
هم السواد الاعظم وفصلهم عن الزعماء المضلين والرؤساء المستكبرين المستثمرين،
مع التقرير بانهم انما يجزون بما كانوا يعملون، وإشارة إلى أنهم استحقوا عدلاً.
وفي الآية اشارات : إشارة إلى الدور الذي كان يلعبه زعماء المشركين
في الصد والتعطيل والتحريض ضد النبي الكريم ﷺ ودعوته وما كان لهم
من أثر فعال في بقاء الاكثريه الكبرى في وصف الشرك والكفر والجحود والطفيان
في العهد المكي من السيرة النبوية . وإشارة إلى موقف إصرار الكفار على عنادهم
وجحودهم ولجاجهم ومكابرة أمام الدعوة النبوية . وإشارة إلى شدة جهد الزعماء
و نشاطهم في سبيل التأثير على الجمهور وحملهم على الاعراض والتصامم . وفيها
أماره ما على ما أنارته الدعوة المحمدية من حركه في أوساط مكة وأفكارها ...
ونحن نرى تلك الاشارات والامارة من أبناء الدنيا والشهوة وأصحاب الجاه
والرئاسة إشارة إلى الادوار التي كان يلعبها مستثمر والغرب و متمصو دماء الملل
و هاضمو حقوق الناس ، و مستعبدهم ، و مستكبر والشرق ومضلو الناس وسارقو
دينهم وأفكارهم في الصد والتعطيل والتحريض ضد الدين الاسلامي ودعوته . .
وإشارة إلى موقفهم على العناد والجحود واللجاج والمكابرة أمام الدعوة المحمدية
والقرآن الكريم والمذهب الحق، وإشارة إلى شدة جهدهم لواء المستثمرين المستعمرين
الغربيين ، والمستكبرين المضلين السارقين الشرقيين في مكرهم ليلاً و نهاراً
في حمل الملل على الاعراض عن الدعوة المحمدية ... وأماره ما على ما أنارته
هذه الدعوة من حركه في العالم كله ، وفي جميع الملل وأفكارها ...
٣٤ - (و ما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به
كافرون)

تقرير رباني عن عادة الزعماء ذوى النعمة والترف فى الامم من الوقوف موقف الجحود والعناد من رسل الله تعالى ، و بيان للنبي الكريم ﷺ ان قومه جروا على منهاج الامم السالفة ، وتسليية له ﷺ بان ايذاء الكفار الانبياء ليس بدعاً و انما ذلك هجيراهم قداماً ، و إشارة إلى أنه كان أتباع الانبياء فيما مضى الفقراء و أوساط الناس دون الاغنياء . . .

و قوله تعالى : « مترفوها » كناية عن الزعماء المستكبرين مردة الشيطان ، عن الاغنياء المستثمرين عبدة الشهوة ، عن الرؤساء المستعبدين تبعة الاهواء وعن ذوى الجاه والمقام والسلطان الشيطانية . . . و فيه إشعار بان الاتراف يفضى إلى الاستكبار على الحق كما تفيدہ الآية التالية ، فخص المترفين بالذكر لانهم أصل فى الجحود والانكار ، وفى الكفر والعناد . . . وغيرهم تبع ، و ان المترفين هم آفة المجتمع فى كل امة ، و فى كل جيل إذ فيهم ينشأ الفسق والفساد فى الحرث والنسل ، و كل ما من شأنه أن يغذى العواطف الخسيسة و يوقظ الغرائز البهيمية على حساب المطالب الروحية والعقلية . . .

و ليس الغنى فى ذاته - كما يبدو - هو الذى يفسد العقيدة والاخلاق . . . و انما شأنه فى هذا شأن الفقر ، قد يفسد و قد يصلح ، انه خير و شر ، و انه داء و دواء . . . فمن أحسن سياسة المال و راعى حق الغنى ، و عرف قدره و المكان الذى يوضع فيه - صلح به أمره و استقام به شأنه . . . و من اتخذ من المال وسيلة يصطاد بها ما توسوس به نفسه ، و ما يدعو إليه هواه - فسد كيانه و تهدم بنيانه و تحول إلى كومة متضخمة من الشحم واللحم . . . تهب منها كل ريح خبيثة تفسد المجتمع و تزعجه ، و تفسد الافكار و تضطر بها . . .

و حين تنجم دعوة من دعوات الخير ، يكون المترفون هم أول من يلقونها بالنكير و يرحمونها بكل ما يقدررون عليه . . . و ما جاء رسول من رسل الله يدعو قومه إلى الهدى حتى يتصدى له المترفون من قومه ، يعلنون الحرب عليه ، و

يجمعون الجموع للوقوف معهم في وجهه .

و في الآية تسلية للنبي ﷺ ببيان ان أخلاق الكفار و أعمالهم واحدة في كل وقت و مكان فلا يتألم الرسول ﷺ و بهذا نعرف لكفار مكة موقفاً آخر ، و فيها درس ثمين لنا المسلمين و دعاة الدين ، فلا يياسوا و لا يهملوا في دعوتهم الحقبة إلى الله تعالى وحده بما يشاهدون من مستثمري الغرب سارقي ذخائر الملل ، و مستكبري الشرق المضلين سارقي أفكار الناس ...

٣٥ - (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)

تقرير لما يوجب الاستكبار و الطغيان و ما كانوا يتفاخرون به من بسطة العيش و كثرة الاولاد ، و انها ستكون سبب نجاتهم من العذاب في الآخرة لو كانت على طريق الحكاية لقولهم بانهم كانوا يقولون : اننا الاكثر أموالاً و أولاداً ، و اننا سنكون من أجل ذلك في نجوة من العذاب . و هذا هو رد المترفين على كل دعوة إلى الايمان بالله تعالى ، و تلك هي حججهم عند أنفسهم و عند أتباعهم و مردتهم ... انهم بما يملكون من كثرة في الاموال ، و ما عندهم من كثرة الاولاد و ما لهم من العدد و العدد لن يكونوا تابعين لغيرهم و لن يجعلوا لأحد كلمة عندهم حتى ولو كان رسولاً من رسل الله يدعوهم إلى الله جل و علا ، و يكشف لهم معالم الطريق إلى الهدى و الرشاد ، و إلى الحق و الكمال !! انهم أكثر أولاداً و أموالاً من هذا الرسول ، فكيف يقوم فيهم مقام الناصح ذي الرأي و السلطان ... « ما هذا الا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ، المؤمنون : ٢٤) و كيف يتفضل إنسان على من كان أكثر منه مالاً و أولاداً ؟

ففي الآية تصوير لصورة اعتداد كبار الكفار و زعمائهم بأموالهم و عصبانيتهم إزاء ما يندرون به من عذاب الآخرة ، اذ كانوا يوازنون في معرض التبجح بينهم ، و بين النبي ﷺ و أتباعه في الاموال و البنين و يجرون في هذا على ما اعتادوه من كون أصحاب الاموال و الاولاد يكونون أكثر قوة و أضمن نصراً .

وقوله تعالى : حكاية عنهم : « وما نحن بمعذبين » إشارة إلى أنهم بما لهم من كثرة في المال و الاولاد لن ينزلوا عن مقام السيادة و الزعامة و الرئاسة لأحد ثم انهم اذا عذب غيرهم من الفقراء و المستضعفين يوم القيامة و هم لن يعذبوا ... فان الله تعالى ما أعطاهم هذا الوفرة في المال ، و هذه السعة في الرزق ، و ذلك الرغد في العيش و تلك الكثرة في الاولاد إلا لأنهم أهل للكرامة ، و موضع للفضل عنده ، و كما كانوا في الحياة الدنيا في هذا المقام بين الناس فهم في الآخرة - إن كانت هناك عندهم آخرة - في هذا الموضع أيضاً حيث يعذب الفقراء و المستضعفون ، أما هم فلن يعذبوا ، بل ينزلوا منازل الاكرام و الاعزاز... ذلك ظنهم بأنفسهم ..

٣٦ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

أمر رباني للنبي الكريم ﷺ بالرد القوي المؤكد على هؤلاء المستكبرين الذين كانوا يقتخرون بأموالهم و أولادهم ، و يرونها سبب نجاتهم من عذاب الآخرة و كرامتهم عند الله تعالى ، و فضلاً لأنفسهم على غيرهم من الفقراء و المستضعفين بان الله جل و علا هو الذي يوسع الرزق على من يشاء ، و يضيقه على من يشاء حسب ما تقتضيه الحكمة الالهية ، و إن كانوا هم و أضرابهم جاهلين بها ، فسعة الرزق لن تغني عن أصحابها شيئاً عند الله تعالى ، و انها ليست اختصاصاً لهم من الله مستمراً ، فالله تعالى هو الذي يداول الرزق بين الناس بسطاً و ضيقاً وفقاً للنواميس التي أودعها في خلقه .

و انما بسط الرزق و قبضه ابتلاء من الله جل و علا مؤمناً كان أم كافراً ، محسناً كان أم مسيئاً ، مصلحاً كان أو طاغياً و مطيعاً كان أم مفسداً... فالسعة و الضيق بمشيئة الله تعالى لا بالكسب و الاستحقاق فكم من شقى موسر و تقى معسر و من ثم قال ابن الراوندي :

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

هذا الذي ترك الاوهام جائرة و صير العالم التحرير زنديقاً
 و في الاية الكريمة : ردّ عليهم و حسم لمادة طمعهم الفارغ و تحقيق
 للحق الذي عليه يدور أمر التكوين ، و فيها بيان لخطأهم بان القابض الباسط
 هو الله تعالى وحده ، و إشارة إلى أن أمر الرزق في سعته و ضيقه إلى الله تعالى
 لا ينقص بالانفاق و لا يزيد بالامساك ، و ايماء إلى معنى الرحمة الواسعة التي هي
 معنى الرحمانية التي لا يلاحظ فيها استحقاق شخص ، و إلى ان سعة الرزق في
 الدنيا لا تدل على سعادة الاخرة أو الكرامة عند الله جل و علا .

قوله تعالى : « قل ان ربي » قيل : أضاف الرب إلى نفسه ^{وَالرَّبُّ لَئِيْلٌ} لان
 المترفين لا يرون الله تعالى رباً لانفسهم ، و الرزق من شؤون الربوبية و قوله
 تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » فينسبونونه مالم يؤتوه إلى الاسباب الظاهرية
 الاتفاقية ثم اذا اتوه نسبوه إلى حزمهم و حسن تدبيرهم أنفسهم و كفى به دليلاً
 على جهلهم و حمقهم .

٣٧ - (و ما أموالكم و لا اولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى الا من آمن
 و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم في الغرفات آمنون)
 مستأنف خاطب به الناس بطريق التلوين و الالتفات مبالغة في تحقيق الحق ،
 و تقريراً و زيادة بيان لما سبق ، و ردّ آخر و جواب ثان عن قول المترفين : « نحن
 أكثر أموالاً و اولاداً و ما نحن بمعذبين » بان أموالهم و اولادهم التي يزجون و
 يعتقدون بها لن تفيدهم شيئاً عند الله تعالى ولن تقرّبهم إليه جل و علا ، فانتفاء
 العذاب المترتب على القرب من الله سبحانه لا يترتب على الاموال و الاولاد فانهما
 لا توجبان قرباً و زلفى من الله تعالى حتى ينتفى معها العذاب الالهى ، فوضع
 تقرّب المال في الاية موضع انتفاء العذاب من قبيل وضع السبب موضع المسبب .
 ان تسئل : قال الله تعالى : « و ما أموالكم و لا اولادكم بالتي » و لم يقل :
 « باللّتين » و قد ذكر الاموال و الاولاد و هما نوعان مختلفان ؟

تجيب : لانه تعالى ذكر من كل نوع منهما جمعاً يصلح فيه التي أو أراد بذلك أحد النوعين .

وقوله تعالى : « إلا من آمن » استثناء من مفعول « تقر بكم » أى و ما الاموال والاولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى أنفق من أمواله فى سبيل الله تعالى و علم أولاده الخير و رباهم على الصلاح و رشحهم للطاعة .

و قوله تعالى : « فاولئك » إشارة إلى « من » والجمع باعتبار معناها ، و معنى البعد فيها مع قرب العهد المشار إليه ايذان بعلور تبتهم و بعد منزلتهم فى الفضل والكرامة عند الله تعالى بالايمان و صالح العمل أى فاولئك الموصوفون بالايمان و صالح العمل ثابت لهم جزاء الضعف .

و فى الاستثناء إلى تمام الآية بيان لملاكها يوجب النجاة من العذاب ، و حسن الجزاء يوم القيامة بان الايمان و صالح العمل ملاك الكرامة عند الله تعالى والسعادة فى الآخرة ، فالمؤمنون الصالحون هم و حدهم ينالون جزاء أعمالهم مضاعفاً ، و يكونون آمنين فى غرفات الجنة .

٣٨ - (والذين يسعون فى آياتنا معاجزين اولئك فى العذاب محضرون)

تقرير لمآل أمر الذين يقفون من دعوة الله تعالى موقف المنكر المعطل المعجز والمكابر العنيد ، و بيان لاحوال المسيئين الذين تبعدهم أموالهم وأولادهم عن الله تعالى ، فهم لن ينجسوا من عذاب الله جل و علا ، و هم محضرون اليه و واقعون فيه .

وقوله تعالى : « اولئك » فى الإشارة فصح لهم و كشف عن موقفهم الذليل فى مقام الخزي والهوان .

٣٩ - (قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له و ما أنفقتم من شىء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

أمر آخر للنبي الكريم ﷺ بتوكيد القول الاول و دعوة عباده الله تعالى

المؤمنين إلى البذل والانفاق في وجوه البر بان ربه هو الذى يبسط الرزق لمن يشاء و يضيقه على من يشاء ، و انه هو الذى يخلف على المنفقين ما أنفقوه وهو خير الرازقين .

وقوله تعالى : « وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » كأنه تفسير للعمل الصالح بعد فهم الايمان و فيه تنبيه إلى أن الانفاق لا ينقص كما ان الامساك لا يزيد ، فان الانفاق لا يضيع عند الله تعالى بل يخلفه و يرزق بدله .

وفى الآية تزهد لعباد الله تعالى فى الدنيا و حوضهم على التقرب إليه بالانفاق.

٤٠ - (و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)

حكاية لمواجهة يجريها الله تعالى بين الكفار المشركين والملائكة ونتيجتها حيث يجمع الله جل و علا بين الفريقين ، ثم يسئل الملائكة عما اذا كان المشركون يعبدونهم فعلاً ، والغرض منها الرد على المشركين و تسفيهم و تقرير ضلالهم و إفكهم و تكذيبهم فى عقائدهم فى صدد الملائكة و إنذارهم ، و وصف ما يكون من أمرهم فى الآخرة و حملهم على الارعواء و التدبير .

وقوله تعالى : « ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون » سؤال موجه إلى الملائكة ظاهر أعلى طريق الاستفهام ، ولكن المراد منه تقرير المشركين و تبكيت لهم و توبيخهم على عبادتهم غير الله تعالى و إشارتهم به سبحانه ، و تبييضهم مما علقوا عليه اطماعهم الفارغة من شفاعتهم لهم . فهو جار على نظام المثل القائل : « اياك اعنى و اسمعى يا جاره » و وارد على نهج قوله تعالى لعيسى بن مريم : « أنت قلت للناس اتخذونى و امى إلهين من دون الله » و قد علم الله جل و علا ان الملائكة و عيسى عليه السلام برآء مما وجه إليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير ، ولكن جاء ليقول و يقولوا و يسئل و يجيبوا فيكون توبيخهم أشد و تعييرهم أبلغ و خجلهم أكثر .

و تخصيص الملائكة من بين آلهتهم لانهم أشرف شركائهم ، و الصالحون للخطاب منهم ، ولان عبادتهم مبدأ الشرك ، فبظهور قصورهم عن رتبة المعبودية و تنزههم يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية .

٤١ - (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)

مستأنف بياني مبنى على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كأنه قيل: فماذا يقول الملائكة حينئذ ؟ فقيل : يجيبون عنه بجوامع الادب متنزهين عما نسبوه إليهم : « سبحانك » منزهين الله جل وعلا عن الشركاء قائلين انه تعالى هو وليهم من دونهم .

و فى العدول عن صيغة المضارع : « يقولون » إلى صيغة الماضى : « قالوا » دلالة على التحقيق لامحالة . ثم أضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم : « بل كانوا يعبدون الجن » أى الشياطين حيث أطاعوهم فى عبادة غير الله تعالى ، ونفوا رضاهم عن عبادة المشركين لهم لكن لاتصريحاً بنفى الرضا عن العبادة و لا بالتفوه بعبادتهم صوتاً لساحة المخاطبة عما يقرع السمع بذلك و لو تصوراً لا تصديقاً بل أجابوا بقصر ولايتهم فيه جل وعلا ونفيها عنهم ليدل على نفي الرضا بعبادتهم لهم على طريق الكناية ، فان الرضا بعبادتهم لازمة الموالاتة بينهم والموالاتة بينهم تنافى قصر الولاية فى الله جل وعلا ، فاذا انحصرت الولاية فيه تعالى لم تكن موالاتة و اذا لم تكن موالاتة لم يكن رضا .

وقوله تعالى : « بل كانوا يعبدون » تقرير من الملائكة على طريق الاضراب بان المشركين انما كانوا يعبدون الجن الذين هم يوسوسون فى صدورهم و يضلونهم لا الملائكة لانهم مخلصون لله تعالى عارفون لحدودهم و دائبون على تنزيهه و تقديسه .

و فى الاضراب دلالة على أن الجن كانوا على رضى من عبادة المشركين

لهم . ففيه بيان السبب الحامل لهم على عبادتهم بان السبب هو الجن حيث أغوهم وهم أطاعوهم في الاشرار بالله سبحانه .

وقوله تعالى : « أكثرهم بهم مؤمنون » يدل على أن الايمان ايمانان : ايمان بالله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الآخر . و ايمان بالشياطين والطواغيت كما ان الكفر كفران : كفر بالله سبحانه و كفر بالطواغيت . و قيل : و لعل الوجه في نسبة الايمان بهم إلى أكثرهم دون جميعهم ان أكثرهم يعبدون الآلهة اتقاء من طرق الشر و الفساد و الضلالة و العناد ، و مبادئ الشر عنهم مطلقاً الجن لا كما قيل : ان المراد بالاكثر الكل .

٤٢ - (فالיום لا يملك بعضكم لبعضاً ولا ضراً و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)

الفاء لترتيب الاخبار به عليه ، و نسبة عدم النفع والضرا إلى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم نفع الملائكة للعبدة بنظمه في سلك عدم نفع العبدة لهم ، و بيان بان الامر يومئذ وحده .

وقيل : نوع تفریع على تبرئ الملائكة منهم ، و قد بين تبرئ عامة المتبوعين من تابعيهم و التابعين من متبوعيهم في مواضع من القرآن الكريم كقوله تعالى : « و يوم القيامة يكفرون بشرككم فاطر : ١٤) وقوله : « ثم يوم يكفر بعضكم ببعض و يلمن بعضكم بعضاً » العنكبوت : ٢٥)

وقوله تعالى : « ذوقوا عذاب النار » أي يقال لهم توبيخاً و تأنيباً و زجراً لهم . . . و في هذا القول ايلام لهم فوق ما هم فيه من آلام و مضاعفة للحسرة التي تملأ قلوبهم على ما فاتهم من ايمان بالله تعالى في دنياهم .
وقوله تعالى : « التي كنتم بها تكذبون » إلى ما يوجب استحقاقهم إذاقة عذاب تلك النار .

٤٣ - (و اذا تنلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن

يصدقكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين
كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

بيان لبعض آخر من كفرهم ، و ما به استحقوا هذا العذاب الخالد ، و حكاية
لاقوالهم الكاذبة حينما كان رسول الله ﷺ يتلوا عليهم آيات القرآن الواضحة ،
و يبين لهم حججه البالغة حيث كانوا يقولون للناس : ان محمداً ليس الا رجلاً
يريد أن يصرفكم عما كان يعبد آباؤكم ، و ان ما يتلوه عليكم و يدعيه انه وحى
سماوى نزل عليه ليس الا كذباً مفترى على الله جاء به لترويج دعوته ، أو ليس
إلا من قبيل السحر و التخيل و لاحقيقة له ، فعله ليخلب به العقول و يصد الناس
عن الدين الحق الذى و رثوه عن الآباء و الاجداد . . .

و قوله تعالى : « آياتنا بينات » فى توصيف الايات بالبينات نوع عتبى
كأنه قيل : اذا تتلى عليهم هذه الايات و هى بينة واضحة و حجة قاطعة لا ريب
فيها فبدلاً من أن يدعوا عامتهم إلى اتباعها حثوهم على الاصرار على تقليد آباؤهم
و حرّضوهم عليه و أبوا أن يصدقوا ما يقع فى قلوبهم و عقولهم منها و يحملهم
الكبر و العناد على التكذيب و البهت و الاتهام للرسول الذى يحملها إليهم .

و قوله تعالى : « قالوا ما هذا الا رجل » فى تنكير « رجل » مع اشتهار
النبي الكريم ﷺ عندهم طعن و سخرية و تحقير و استخفاف منهم ، فأخرجوه
مخرج التحكى ببعض الأعاجيب التى يتعاجى بها للضحك و التلهى متجاهلين به
و بأمره كأن لم يكونوا قد عرفوا الا أنه رجل ما .

و قوله تعالى حكاية عنهم : « يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم »
إنارة حمية الجاهلية من الرؤساء المستكبرين المضلين فى صدور الأتباع الجهلة
الحمقاء الضالين بالتحريص على موروثات الآباء و ما خلفوا لهم من عادات و
تقاليد و مراسم خاطئة . . . و فى إضافة الآباء إلى المخاطبين لا إلى أنفسهم
لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة فى تقريرهم على الشرك و تثبيتهم على الضلالة

و تنفيرهم عن التوحيد والرسالة السماوية ، و تحريض لهؤلاء الحمقاء على الجدل في التمسك بدين آباءهم ، و إثارة العناد واللجاج على النبي الكريم ﷺ .
 و قوله تعالى : « وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى » بيان لشدتهم في الإنكار وازد يادهم في الكفر والطغيان ، و تئيسهم الرسول الخاتم ﷺ من الطمع في ايمانهم بما يتلى عليهم ، في هذه المقالة السخيفة تزكية منهم مقاتلهم الاولى و تثبيت دعائمها في قلوب الاتباع الجهلة الحمقاء ، و تزيين الضلال الجاثم لهم بأنهم لن يتركوها ما هم عليه من حق إلى هذا الضلال المفترى .

و في الجملة تحقير للنبي الكريم ﷺ من جانب ، و استخفاف للآيات البينات من جانب آخر . أى ليس هذا الكلام الذى يدعيه محمد نزوله عليه من السماء إلا كلاماً مصرفاً عن وجهه ، مكذباً به على الله بدلاً من أن يقولوا : انها آيات بينات نازلة من عند الله . و قيل : و في الاشارة إلى الآيات البينات ؛ « هذا » دلالة على انهم لم يفهموا منها إلا انها شيء ما لا يزيد من ذلك .

و قوله تعالى : « و قال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » بيان لشدة انكارهم درجة درجة إذ جعلوا ما يوحى إلى النبي ﷺ سحراً بيناً لا شك فيه عندهم بعد أن جعلوه كذباً و فرية . و بهذا القول يردون على من وقع في نفوسهم شيء من آيات الله تعالى و تفتحت لها عقولهم و قلوبهم ... انه سحر يخدع الناس و يضلهم و يريهم الامور على غير ما هي عليه .!!! .

و فى وصفهم بالكفر إشعار إلى التعليل . والمعنى : والذين اتصفوا بالكفر بعنهم الكفر إلى أن يقولوا للحق الصريح الذى بلغ وظهر هذا الظاهر سحريته و بطلانه . و ان فحوى الآية يدل على ان الكلام المحكى عن الكفار صادر عن الزعماء و موجه إلى عامة الناس على سبيل الصد و التعطيل والحض على الجحود و عدم التصديق . و اسلوبه ينطوى على صورة لما كان هؤلاء الزعماء المترفون عليه من عناد و ما كانوا يبذلونه من جهد فى ذلك السبيل .

٤٤ - (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)
 ردّ على الكفار في مقالاتهم ، و انكار لدعواهم على طريق الاخبار من الله
 تعالى بانهم قالوا : ذلك من غير بينة ، ولادليل لهم على ذلك الا الجهل والعناد
 فلا تستند أقوالهم إلى شيء يتشبهون به ، و تأكيد لاصرارهم على دحض الحق
 باتباع الهوى . و تقرير ينطوي على التبكيت و التهكم و التجهيل بانهم قالوا حين
 ان الله سبحانه لم ينزل إليهم قبل القرآن كتباً ولم يرسل قبل النبي ﷺ رسلاً
 حتى يكون كلامهم مستنداً إلى علم أو تجربة .

٤٥ - (و كذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي
 فكيف كان نكير)

تهديد على الكفار ، و وعيد شديد على تكذيبهم ، و تذكير بالامم السابقة
 لهم والتي كذبت رسلها مثلهم ، و تخويف و إنذار لهم بعاقبة من كذب الرسل
 قبلهم ، و ما كان من تدبير الله تعالى لها في حين ان الكفار العرب لم يبلغوا في
 القوة والعظمة معشار ما بلغته ، فاذا أخذهم الله تعالى ، و ما نفعهم محصولهم ،
 فكيف حال هؤلاء الضعفاء ، فليحذر هؤلاء الحمقاء مثل ما نزل بالامم السابقة
 قبلهم من الهلاك والاستئصال ، و ما حلّ بهم من المثالات نكالاً لهم على تكذيبهم
 رسلهم لعبرة لو كانوا يعقلون و لا يعقلون .

وقوله تعالى : « فكذبوا رسلي » بعد قوله : « و كذب الذين من قبلهم »
 قيل : تخصيص بعد تعميم كأنه قيل : وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلي .
 نظيره قول القائل : أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد ﷺ .

وقوله تعالى : « فكيف كان نكير » تهديد شديد لهم . وفي الالتفات إلى
 التكلم لاستعظام الجرم و تهويل المؤاخذة .

٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
 ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)

أمر للنبي الكريم ﷺ بمخاطبة الكفار و طلب شيء واحد منهم وهو :
 أن يخلصوا النية لله تعالى ويتجردوا عن العداوة والهوى ويتركوا العناد واللجاج
 ثم يتفكروا كل واحد لنفسه أو كل اثنين لحدثهما معاً فيما يدعوهم النبي ﷺ
 إليه حيث يتأكدون ان صاحبهم أى النبي ﷺ ليس مجنوناً ، و انه انما هو
 نذير من الله جل و علا بعذاب شديد إذا لم ينيبوا إليه و يسيروا فى طريق الهدى .
 ان الآية الكريمة تتم الحجة على المشركين ، و تدعوهم إلى ما هو خير
 و سعادة إلى ما هو كمال و عزة ، و إلى ما هو نعمة و جنة و سلام . . . إذ تفتح
 لهم طريق الهدى و النجاة و الخلاص ، و تطيل لهم الجبل و تمد لهم الباع و تنصفهم
 فى الخصومة بالتفكر فى أمر النبي ﷺ .

و قد جاءت الآية بمثابة إنهاء لموقف المناظرة و الجدل بين النبي الكريم
 ﷺ و الكفار أو لما هو فى مقامهما ، و هذا اسلوب من الأساليب التنظيمية القرآنية
 البدئية ، اسلوب قوى أخذ رائعاً من شأنه أن ينفذ إلى الاعماق ، و قد خوطب
 به العقل و القلب معاً ، و فى الهتاف بالحق و قوته و ضلال الباطل ، و محققه بنوع
 خاص روعة لن تزال قائمة ما قام الجدل بين الحق و الباطل و توطيد قرآنى
 مستمرى المدى و التلقين للحق و دعوة قرآنية مستمرة المدى ضد الباطل . و قد
 احتوت الآية حكمة إجتماعية عامة و صورة من صور ما كان عليه موقف النبي
 الكريم ﷺ من الكفار ، و موقفهم منه أيضاً . فالاجتماعات العامة يختلط فيها
 الحابل و النابل ، و تسود فيها الاهواء و تضعف فيها قوة المنطق ، و لا يؤدى الجدل
 فيها إلى نتيجة حاسمة و مرضية .

وان الزعماء الذين تولوا كبر المعارضة و التعطيل و الصدّ بدافع الاستكبار
 و المكر السيئ و العناد التى اشير إليها من قبل كانوا يتوخون التشويش و التهويش
 على الناس و لعلمهم كانوا يعقدون الاجتماعات العامة للحث على التمسك بعقائد
 الآباء و للتحريض على النبي الكريم ﷺ كما أشارت آية ٣٣ من هذه السورة

إلى شيء من ذلك .

وكل ما انطوى في الآية من هذا مستمر التلقين في صدد مواقف التهويش والتشويش التي يقفها ذوا النيات السيئة والمآرب الخاصة من دعوة الإصلاح والحق . وفي ذلك دلالة على بطلان ما ذكروا في الآيات البينات و في النبي ﷺ .
والآية تكشف عن أسلوب الدعوة الإسلامية ، القائم على مواجهة العقل ، ودعوته بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإعطائه حقه في طلب الدليل المقنع والبرهان الواضح ، ثم الاعتراف له بما يقضى به بعد النظر السليم ، المجرد من الهوى ، المبرأ من التحدى والعناد . . . فهذه هي رسالة الاسلام في الانسانية . .
انها تريد أولاً وقبل كل شيء أن تحرر العقل من العادات الفاسدة والمعتقدات الباطلة التي استولت عليه ، وثلّت إرادة التفكير فيه . . . فاذا تحرر العقل من هذه الآفات ، وتخلص من تلك القيود فقد كسب نصف المعركة في صراعه مع الباطل ، ثم كان عليه بعد هذا أن يكسب النصف الآخر حتى يتخلص من الضلال ، ويخرج من عالم الضلالة إلى عالم الهدى ، من عالم الظلام إلى النور ، ومن عالم الدنائة والانحطاط إلى عالم العلو والكمال . . . وهو أن يدير عقله على هذا الوجود ، وأن ينظر فيه بعقله المتحرر هذا . . . فانه إن فعل ، فلا بد أن يهتدى إلى الله جل و علا ، و يتعرف إليه و يؤمن به .

و لذلك طلب القرآن الكريم ﷺ من الناس أن يتفكروا في أمر الدعوة المحمدية ، و هم منفردون باخلاص و تجرد عن الهوى والعناد ، و أن يتروا و يحكموا العقل ، ولا يؤخذوا بالتهويش والتشويش والعصبية والهوى ، وحينئذ تبان لهم الحقيقة ساطعة ناصعة . و ان الخطاب في الآية و إن كان موجهاً للناس عامة ، ولكن لا يبعد أن يكون قد قصد فيه بنوع خاص ذلك الفريق المعتدل الذي كان يعترف في نفسه بصدق محمد ﷺ في دعوة الناس إلى الله تعالى وحده و كان خجله أو وجاهته أو مصلحته الخاصة أو مركزه في قومه و عشيرته أو سنته

تمنعه من القبول والايمن .

وقوله تعالى : « أن تقوموا لله » تفسير و بيان لقوله سبحانه : « انما أعظكم بواحدة » .

وقوله تعالى : « مثنى وفراى » فى تقديم « مثنى » على « فراى » ايدان بانه أدنى وأقرب إلى الاطمئنان . قيل: قوله تعالى : « فراى » كناية عن التفرق و تجنب التجمع والفوضى ، فان الفوضى لاشعور لها ولافكر، وكثيراً ما تميت الحق و تحيى الباطل .

وقوله تعالى : « ما بصاحبكم من جنة » مستأنف سيق من ناحية الله تعالى تنبيهاً على طريقة النظر والتأمل ، على طريق التوقف والتدبر ، و على طريقة الطمأنينة والتفكير . . . بان مثل هذا الامر العظيم الذى تحته ملك الدنيا والاخرة لا يتصدى لا دعائه الا مجنون لا يبالى باقتضاه عند مطالبته بالبرهان و ظهور عجزه أو مؤيد من عند الله تعالى مرشح للنبوة ، وائق بحجته و برهانه ، و إذ قد علمتم ان محمداً ﷺ كان أرجح العالمين عقلاً ، و أصدقهم قولاً و أشهرهم أميناً و أزكاهم نفساً و أفضلهم علماً و أحسنهم عملاً و أجمعهم للكلمات البشرية ، فوجب أن تصدقوه فى دعواه ، فكيف وقد انضم إلى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال . و فى التعبير « بصاحبكم » ايماء إلى أن محمداً ﷺ كان معروفاً بينهم و مشهوراً لديهم ، فانه قد نشأ بين ظهر انيهم ، فعلموا ماله من صفات الفضل و كمال الصدق والامانة والنبيل و كرم الخلال مما لم يتهيأ لأحد من أتراه ولداته ، و قد استبان لهم بالدليل لا يخفى عليهم انه ليس بمجنون و لم يقل و لم يدع ما يدل على تلبج عقله ، و قد كانت صحبته ممتدة لهم أربعين سنة من حين ولادته إلى بعثته ، فلا بد لهم أن يتذكروا انهم لم يعهدوا منه اختلالاً فى فكر أو خفة فى رأى أو أى شىء يوهم ان به جنوناً .

فى الجملة إبانة لهم ان نتيجة الفكر ستؤدى بهم إلى أن يعترفوا بما

يرشد إليه النظر الصحيح ، وهذا هو الحكم الذي يصل إليه العقل ، اذا جرى على هذا الاسلوب الذي دعى إليه من التفكير في هذا الامر الذي يدعو اليه الرسول ﷺ تفكيراً قائماً على البحث الجاد ، والرغبة الصادقة في الكشف عن الحقيقة . . انه لو أخذ الانسان - أى انسان - بتلك العظة التي دعا القرآن الكريم إليها ، وهى أن يقوم لله تعالى مفكراً وحده أو مع غيره فيما يدعوه إليه النبي ﷺ ولوصل إلى تلك الحقيقة ، وهى ان هذا الرسول ليس به جنة و أن ما يدعو إليه حق لامراء فيه ، وانه رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى : « ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » تصديق من الله تعالى برسالة نبيه ﷺ فلا بد لهم من الايمان به إذ قد استبان لهم بالدليل القاطع انه ليس بمجنون فى كل ما يقول و يدعى فاتضح انه صادق فيما جاء به . و فى الجملة تهديد و وعيد شديد .

فى تلخيص البيان : فى قوله تعالى : « ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » قال : و هذه استعارة والمراد انه ﷺ ليقيم الانذار أمام وقوع العقاب إزاحة للعلة و قطعاً للمعذرة .

٤٧ - (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد)

تقرير آخر لصحة نبوة النبي الكريم ﷺ على ان العاقل لايركب العناء الشديد الا لغرض عاجل ، و هو غير موجود ههنا ، بل كل أحد يعاديه ويقصده بالسوء أو لغرض آجل ، و لا يثبت الا على تقدير الصدق ، فان الكاذب معذب فى الآخرة لامثاب ، و هذا إذا اريد بقوله : « فهو لكم » نفى سئوال الاجر رأساً على الدعوة ، فانه اذا وهبهم كل ما سئلتهم من أجر فليس له عليهم أجر مشئول ولازمه أن لايسئلتهم ، وهذا تطيب لنفوسهم أن لايتهموه بانه جعل الدعوة ذريعة إلى نيل مال أو جاه ، أو نيل مقام أو سلطان .

و في الجملة تو كيد لهم بانه صَلَّى لا يطلب على إنذاره أجراً ، فأجره و نفعه لهم و حدهم ، و ان أجره هو على الله الشهيد على كل شيء ، و العالم بكل شيء . و اسلوب النفي لطلب النبي صَلَّى أجراً في هذه المرة أقوى من المرات السابقة حيث أمر بان يهتف في الناس أن كل ما يرجوه من نفع من رسالته هو لهم ، و ان أجره انما هو على الله جل و علا وحده .

قيل : و هذه مادة من مواد التفكير في سبيل البحث عن الحقيقة التي يدعو إليها النبي الكريم صَلَّى عقل ذوى العقل ، فهذه المادة ممانعين على الكشف عن الحقيقة و التهدى إليها ، و تلك المادة هي ان الرسول صَلَّى لم يطلب أجراً من أحد على ما يدعو إليه ، و انه لم يطلب بذلك جاهاً أو سلطاناً حتى يكون بموضع تهمة بانه انما يدعو إلى ما يدعو اليه ابتغاء كسب مادي لذات نفسية ، انها دعوة بريئة من كل غرض شخصي ، خالصة من كل مثونة تحملونها من أجلها ، فماذا يحجزكم عنها ، أو يحملكم على التصدى لها و الوقوف في وجهها ؟

٤٨ - (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

أمر من الله تعالى لنبيه صَلَّى بالهتاف بين الناس بان الله جل و علا هو الذي يقرر الحق و يؤيده ، وهو العليم بما هو خفي من نوايا الناس و ضمائرهم ، و ذلك من شئون الربوبية أشار إليه بقوله : « ربي » و في الآية عدة باظهار الاسلام و نشره بين الناس و تبليغ نوره في الكون كقوله تعالى : « بل نقذف الحق على الباطل فيدمغه » .

و قوله تعالى : « علام الغيوب » قيل : و فيه إشارة إلى أن البرهان الباهر لم يقم الأعلى التوحيد و الرسالة ، و أما الحشر فالدليل عليه اخبار علام الغيوب .

٤٩ - (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

تأكيد لما سلف بامر رسوله صَلَّى أن يخبر بان الاسلام سيعلو على سائر الاديان ، و ان غيره سيضمحل و يزول ، و بان الاسلام هو الحق الذي جاء واضحاً

جلياً كاسحاً للباطل الذى لا أصل له و لابقاء و لاقرار أمام الحق . فالآية تعقيب لسابقتها التى قررت ان الله تعالى لا ينزل الآما هو حق و لا يرمى إلا بما هو حق ، وهذا هو ذا الحق قد جاء فى هذه الدعوة التى يحملها النبى الكريم ﷺ فى آيات الله المطهرة . . . و انها لحق قذف به كل الباطل الذى يعيش فى مجتمع الجاهلين فى طوال الاعصار . . . و ليس بعد هذا القذف إلا أن يلقى الباطل مصرعه و تختفى أشباح الضلال و أتباعه . . .

و قوله تعالى : « و ما يبدى الباطل و ما يعيد » إشارة إلى أن الباطل قد اصيب فى مقاتله ، و انه لن تقوم له بعد اليوم قائمة ، و لن يكون له بعد اليوم صوت يسمع ، والمراد بنفى البدء و الاعادة لازمها وهو عدم التأثير أى انه الباطل يفقد كل آثاره و أفعاله بعد أن يقذف الحق . و فيه كناية عن بطلان الباطل و سقوطه عن الاثر من أصله بالحق الذى هو القرآن الكريم .

٥٠ - (قل ان ضللت فانما أضل على نفسى و ان اهتديت فيما يوحي الى ربي انه سميع قريب)

تأكيد لما سبق على انه الوحي حق لا يحتمل ضلالاً و لا يؤثر الألهدى ، ففيه تقرير لأثر الحق الذى هو الوحي فانه عرفه حقاً مطلقاً ، فالحق اذا كان حقاً من كل جهة لم يخطيء فى إصابة الواقع فى جهة من الجهات ، و إلا كان باطلاً من تلك الجهة ، فالوحى يهدى و لا يخطيء البتة . و لذلك أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالاعلان بانه اذا كان ضالاً فضلا له عائد إليه ، و إن كان مهتدياً فانما ذلك بوحي ربه السميع لكل شىء ، و القريب من كل شىء . و هذا تقرير لامر رسالته ﷺ بوجه آخر .

و قوله : « فانما أضل على نفسى » يدل على ان طريق الضلال هو النفس الامارة بالسوء و ما يحيط بها من مجتمع فاسد موبوء .

و قوله : « و ان اهتديت فيما يوحي الى ربي » يدل على ان الهداية والخير

و النور و الفلاح من طريق الوحي و القرآن الكريم . و في إضافة «رب» إلى ضمير النبي ﷺ دلالة على ان الوحي والهداية من شئون الربوبية . و قد وقعت المقابلة في الجملة الماضية بالمستقبل من جهة المعنى لانه لو كان من جهة اللفظ لقال : « و ان اهتديت فانما اهتدي لها » .

و وجه التقابل المعنوي هو ان كل ما على النفس فهو بها أعنى كل ما هو عليها وبال و ضرر فهو منها و بسببها لأنها الامارة بالسوء ، و كل ما لها مما ينفعها فهو بهداية ربها و توفيقه لها . قيل : و هذا حكم عام لكل مكلف .

و قوله : « فيما يوحى إلى ربي » يدل على ان هدى القرآن هو الهدى ، فلا هدى الاًمنه ، و أن من التمس الهدى من غيره ضلّ و خاب و خسر . و يدل على ان مصدر الهدى من بيده تدبير خلقه و شئون عباده ، و ان من هذا الهدى الالهى يهتدى النبي الهادي ﷺ و يهتدى به المهتدون ، فالنبي ﷺ هو رسول الله ﷺ انما يلتمس الهدى من هذا القرآن الذي هو حق للناس جميعاً .

و في ذلك دعوة إلى من يجدون في أنفسهم أنفة أو كبراً أن يأخذوا من القرآن الكريم حظهم من الهدى ، و دعوة لهم إلى أن يتخففوا من هذا الشعور ، و أن ينظروا إلى القرآن باعتبار الذي جاء منه ، و انه من عند الله جل و علا و ليس من تلقاء نفس محمد ﷺ ، فعليهم أن يرتدوا من هذا النبع العذب ، و ألا يهلكوا أنفسهم بسبب أن كان القائم على هذا النبع رجلاً منهم .

و قوله تعالى : « انه سميع قريب » تعليل لما قبله من الكلام للدلالة على انه يسمع الدعوة و لا يحجبها عنها حاجب البعد ، و قدمه من قبل إذ وصفه تعالى في كذب الحق بانه علام الغيوب . و في هذه الحجة إلزام لهم ، و قطع لكل معذرة .

٥١ - (و لو ترى اذ فرغوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

تقرير لما سوف يكون من أحوال الكفار حينما يحل فيهم وعد الله تعالى

على طريق التنبيه والانذار ، فحينما يحل وعد الله جل وعلا و عذابه سترى أحوال الكفار عجيبة ، و موقفهم رهيباً ، حيث يعترهم الفزع و تستولى عليهم الدهشة لانهم يرون أنفسهم قد اخذوا بكل سرعة و من أقرب مكان و آمنه في ظنهم ، و دون أن يفوت أو يفلت منهم أحد . و في الآية و تاليها إلى آخر السورة إثارة الخوف و الندم في السامعين من المشركين و حملهم على الارعواء قبل فوات الفرصة في الحياة الدنيا .

و قوله تعالى : « و اخذوا من مكان قريب » كناية عن عدم فصل بينهم و بين من يأخذهم ، و ايثار الفعل مجهولاً بصيغة الماضي لتحقق الاخذ لا محالة و استناده إلى الله جل وعلا ، و لتوصيف نفسه بالجلالة بالقرب كما قال : « و نحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون » الواقعة : ٨٥) وفيه نوع تمثيل لقربه سبحانه من الانسان بحسب ما تتصوره من معنى القرب من حيث الزمان و المكان ، و انسنا بالامور المادية ، و إلا فالامر أعظم من ذلك .

٥٢ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

إخبار من الله تعالى بهتاف الكفار بالايمان من غير جدوى لهم بذلك لان الامر قد بعد عليهم و فرصة تناوله و الانتفاع به قد ضاعت عليهم .

و قوله تعالى : « و أنى لهم التناوش من مكان بعيد » تمثيل لحالهم في الاستخلاص بالايمان بما فات عنهم على طريق الاستفهام الانكارى .

٥٣ - (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

بيان لكفرهم ، و ذهابهم في التخمين و الظنون و الرجم بالغيب في سياق التكذيب و الجحود أبعد المذاهب على طريق التمثيل لمن يرمم و لا يصيب أى يرمون بالظن ، فيقولون : لا بعث و لانشور و لاجنة و لانا رجماً منهم بالظن .

و قوله تعالى : « و يقذفون بالغيب من مكان بعيد » تمثيل لحالهم بحال من يرمى شيئاً لا يراه من مكان بعيد لامجال للظن في لحوقه أو تمثيل لحالهم بحال

القاذف في تحصيل ماضي عوه من الايمان في الدنيا .

في تلخيص البيان : في قوله تعالى : « و يقذفون بالغيب من مكان بعيد » قال : و هذه إستعارة ، و المراد بذلك و الله أعلم انهم يقولون : ما لا يعلمون و يظنون و لا يتحققون ، و هم بمنزلة الرامي غرضاً بينه و بينه مسافة متباعدة فلا يكون سهمه أبداً إلا قاصراً عن الغرض و عادلاً عن السدد .

٥٣ - (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب)

بيان لما سيحال بين الكافرين و بين ما تشتهى أنفسهم من متاع الدنيا و لذائذها كما فعل بأمثالهم الكافرين المكذبين من الامم السابقة لهم ، و حينئذ يرون حقيقة ما كانوا يشكون فيه شكهم الشديد المريب الذي لا يستندون فيه إلى عقل و حق و علم .

و هذه سنة من سنن الله تعالى في الكافرين من القرون الغابرة و في الذين يلحقون بهم في الكفر و الضلالة ، في الشرك و المعصية ، في العناد و اللجاجة و في الطغيان و العداوة . . .

و قوله تعالى : « انهم كانوا في شك مريب » وصف لما كان عليه أهل الكفر و الضلال في الدنيا و تعليل لما فعل الله تعالى بهم ، و لعدم قبول ايمانهم و وصولهم إلى بغيتهم حينئذ .

﴿العجاز﴾

و من غير مرأ ان القرآن الكريم إطلاقاً ، و آياته خاصة معجزة في أبعاد مختلفة لابد من كتابة كتب مستقلة حولها ، فلا يسع هذا المختصر بذكر جميع وجوه اعجاز هذه السورة و آيها ، و لكننا لما تعهدنا بذكر ما يسعه المقام من معجزات كل سورة فيها من السور القرآنية فنشير في هذه السورة إلى بعض منها :
قوله تعالى : « يعلم ما يلج في الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها » (سبأ : ٢) و ذلك لان الانسان الخبير المتدبر ، اذا وقف أمام هذه الصفحة المعروضة في كلمات قليلة يجد نفسه أمام معجزة إلهية خارقة عن عادة البشر في كل وقت و مكان ، أمام حشد هائل عجيب من الاشياء و الحركات و الاحجام و الاشكال و الصور و المعاني و الهيئات لا يصمد لها الخيال ، بحيث لو أن أهل الارض جميعاً وقفوا حياتهم كلها يتتبعون و يحصون ما يقع في لحظة واحدة مما تشير إليه الآية الكريمة لأعجزهم تتبعه و إحصاءه عن يقين .

فكم من شيء في هذه اللحظة الواحدة : « يلج في الارض » و كم من شيء في هذه اللحظة « يخرج منها » و كم من شيء في هذه اللحظة الواحدة « يعرج فيها » كم من شيء « يلج في الارض » كم من حبة تخبىء أو تخبأ في جنبات هذه الارض كم من دورة؟ كم من حشرة؟ كم من هامة؟ كم من زاحفة تلج في الارض في أفطارها المترامية؟؟؟ كم من قطرة ماء؟ كم من ذرة غاز؟ كم من إشعاع كهرباء تندس في الارض في أرجائها الفسيحة؟؟؟ و كم مما يلج في الارض و عين الله تعالى عليه

ساهرة لاننام؟؟؟ وكم « يخرج منها »؟ كم من نبتة تنبثق؟ كم من نبع يفور؟
 كم من بركان يتفجر؟ كم من غاز يتصاعد؟ كم من مستور ينكشف؟ كم من
 حشرة تخرج من بيتها المستور؟ وكم مما يرى و ما لا يرى و مما يعلمه البشر
 و مما يجهله؟؟؟

و كم من « ما ينزل من السماء » من قطرات المطر؟ كم من شهاب ثاقب؟
 كم من شعاع محرق؟ كم من شعاع منير؟ كم من قضاء نافذ؟ كم من قدر مقدور؟ كم
 من رحمة تشمل الوجود؟ كم من رزق يبسط الله تعالى لمن يشاء من عباده و يقدر؟
 و كم مما لا يحصيه؟؟؟

و كم من « ما يعرج فيها » من نفس صاعد من نبات أو حيوان أو انسان أو
 خلق آخر مما لا يعرفه الانسان؟ كم من دعوة ودعاء إلى الله تعالى معلنة او مستورة
 لم يسمعها إلا الله تعالى في علاه؟ كم من روح من أرواح الخلائق التي نعلمها أو
 نجهلها متوفاة؟ كم من ملك يعرج بامر من روح الله تعالى؟ كم من روح يرف
 في هذا الملكوت لا يعلمه إلا الله تعالى؟ كم من قطرة بخار صاعدة من بحر؟ كم
 من ذرة غاز صاعدة من جسم؟ و كم مما لا يعلمه سواه تعالى؟؟؟

كم في لحظة واحدة؟ و أين يذهب علم البشر و إحصائهم لما في اللحظة
 الواحدة؟؟؟ و لو قضاوا الأعمار الطوال في العد و الإحصاء ، و علم الله تعالى الشامل
 الهائل اللطيف العميق يحيط بهذا كله في كل مكان و في كل زمان و كل قلب و
 ما فيه من نوايا و خواطر و ما له من حركات و سكنات تحت عين الله تعالى ، و
 ان هذه الآية الواحدة من القرآن الكريم مما يوحى بان هذا القرآن ليس من
 قول البشر، فمثل هذا الخاطر الكوني لا يخطر بطبيعته على قلب بشر، و مثل هذا
 التصور الكوني لادافع إليه من طبيعة تصور البشر، و مثل هذه الاحاطة باللمسة
 الواحدة تتجلى فيها صنعة الله تعالى باريء هذا الوجود التي لا تشبهها صنعة العبيد.
 و منها قوله تعالى : « لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات و لافي الارض... »

سباء : ٤) و ذلك لانك إذا تأملت وتدبّرت في هذه الاية تجدها معجزة قرآنية حيث ذكرت تفتيت الذرات قبل خمسة عشر قرناً ، وذلك يشهد بان هذا القرآن لا يكون من صنع البشر لان خيال البشر لا يخطر له عادة مثل هذه الصور فطبيعة هذا التصور ليست بشرية ، و انه ليست لها سابقة في كلام البشر شعره و نثره على السواء فعند ما يتحدث البشر عن شمول العلم ودقته وإحاطته ، لا يخطر على بالهم أن يصوروه في هذه الصورة الكونية العجيبة « لا يعزب عنه مثقال ذرة ... الاية » لم يعرف في كلام البشر إلى مثل هذا التصور للعلم الدقيق الشامل ، فهو الله تعالى الذي يصف نفسه ، و يصف علمه بما يعلم من الاوصاف التي لا يخطر للبشر .

و بذلك يرفع تصور المسلمين لالههم الذي يعبدونه ، فيعرفونه بصفته في حدود طاقتهم البشرية المحدودة على كل حال ، و ان الذرة كانت معروفة إلى عهد قريب انها أصغر الاجسام فعرّفها الانسان بعد تحطيم الذرة ، ان هناك ما هو أصغر من الذرة و هو جزئياتها التي لم تكن في حسابان احد يومذاك فتبارك الله الذي يعلم عباده ما يشاء من أسرار صفته و من أسرار خلقه عند ما يشاء .

و منها قوله تعالى : « و يرى الذين اتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ، سبأ : ٦) حيث ان الاستشهاد باصحاب العلم على حقيقة القرآن الكريم دليل قاطع و برهان ساطع على أنه ليس من تلقاء نفسه ﷻ سواء كان المراد باصحاب العلم أهل الكتابين أو مطلق أهل العلم ، اذ هم يستطيعون على الكتمان و لكنهم لا يستطيعون على انكار فرط فصاحة هذا الكتاب السماوي و إعجازه في أسلوبه و نظمه ، و في بيان حقائقه و معارفه و حكمه ، و اشتماله على جميع ما يحتاج إليه الانسان في كل وقت و مكان في طوال الاعصار و ما فيه من التنبيه على أدلة التوحيد و العدل و المعاد و النبوة و الامامة ، و ما فيه من بيان أحكام الشرع و ما اليها من المواعظ و قصص الانبياء و الاقوام و الملل ... و من الترغيب و الترهيب و الوعد و الوعيد ، و من البشارة و الانذار و العذاب و الثواب ، و من السعادة و الشقاء و

الهلاك و النجاة ...

و منها قوله تعالى : « وألنا له الحديد » سباء : ١٠) إذ يظهر من السياق ان الامر كان خارقة ليست من مألوف البشر يومئذ ، فلم يكن الامر أمر تسخين الحديد حتى يلين و يصبح قابلاً للطرق بل كان معجزة يلين بها الحديد من غير وسيلة اللين المعهودة ، فجوّ السياق جوّ معجزات خارجة على المألوف . و سياق قوله تعالى : « و أسلنا له عين القطر » سباء : ١٢) يشير إلى أن هذا كان معجزة خارقة كاللانة الحديد لداود عليه السلام و ذلك اذ قيل : ان الله تعالى فجر له عيناً بركانية من النحاس المذاب من الارض . و قيل : ألهمه الله تعالى إذابة النحاس حتى يسيل و يصبح قابلاً للصبّ و الطرق .

و منها قوله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله » الآية سبأ : ٢٢) انها التحدى فى مجال السموات و الارض على الاطلاق ، و قوله تعالى : « قل من يرزقكم ... » سباء : ٢٤) بصد التحدى فى مجال النفس و ما يتعلق بها .
و منها قوله تعالى : « وانا أواياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » سباء : ٢٤) هذا اسلوب من الكلام المنصف تستعمله العرب فى محاوراتهم لارخاء العنان للمخاطب حتى اذا سمعه الموافق أو المخالف قال لمن خوطب به : لقد أنصفتك صاحبك ألا ترى الرجل يقول لصاحبه : قد علم الله الصادق منى و منك ، و ان أحدنا لكاذب . و عليه قول حسان يخاطب أباسفيان بن حرب ، و كان قد هجا رسول الله ﷺ قبل أن يسلم - و إن كانت حاله بعد الاسلام كقبله بلا فرق فى العقيدة - :

أتهجوه و لست له بكفء فشرّ كما لخير كما الفداء .

هذه غاية النصفة و نهاية الاعتدال و كمال الأدب فى الجدل بأن يقول الرسول الاعظم ﷺ للمشركين ان أحدنا لا بد و أن يكون على هدى و الاخر على ضلال ثم يدع تحديد المهتدى منهما ، والضال ليشير التدبير و التفكير فى هدو

لا تغشى عليه العزة بالائم والرغبة في الجدال والمحال ، فانما هو هاد ومعلم يتبغى هداهم و ارشادهم لا إذلالهم و افحامهم لمجرد الازلال والافحام ، و ان الجدل على هذا النحو المهذب الموحى أقرب إلى لمس قلوب المستكبرين المعاندين المتطاولين بالجاء والمقام المستكبرين على الاذعان والاستسلام ، و أجدربان يثير التدبر الهادى والاقتناع العميق ، وهو نموذج من أدب الجدل ينبغي تدبره من الدعاة . وفي قوله تعالى : « قل الله » من الاعجاز ما لا يخفى على القارىء الخبير .
و منها قوله تعالى : « قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ... » (الاية سباء : ٤٦) لما فيها من تصوير ما لا يستطيع الانسان أن يصوره ، وهذا دليل ظاهر على انه تصوير لرب العالمين .

و قال بعض المتأخرين : ان القيام لله تعالى مثنى و فرادى هو أن يكون التفكير في الله جل و علا حديثاً إلى النفس أولاً بما يقع فيها من خواطر عن الله سبحانه ، ثم مراجعة هذه الخواطر مع شخص آخر يراه الانسان صاحب نظر و رأى حتى يستقيم له من تلك المراجعة و تقليب الرأى بينه و بين صاحبه هذا - مفهوم لذات الله جل و علا و حتى يجتمع له تصور لعظمته و جلاله و قدرته ثم تكون المرحلة الثالثة والاخيرة و هى الرجوع إلى نفسه ، و عرض هذا المفهوم و ذلك التصور على عقله حتى يهتدى إلى الرأى الذى يطمئن إليه و التصور الذى يستريح له ..

هذه هى مراحل التفكير ، فى أى أمر ذى شأن يعرض للانسان ، فى المرحلة الاولى تظهر الفكرة فى صورة خاطرة أو وسواس ، يلوح فى سماء العقل ، و يضطرب فى مخيلته ... و مثل هذا الخاطر أو الوسواس يعيش قلقاً مضطرباً ، لا يجد له مستقراً فى العقل ، حتى يجد الارض الصلبة التى يقف عليها .. و هنا تجيء المرحلة الثانية ، و فيها يبحث العقل عن عقل آخر يأنس به ، و يقابل ما عنده من خواطر و وسواس بخواطره و وسواسه ..

و في هذا اللقاء بين العقليين يكثر الاخذ و الردّ، و القبول و الرفض، ثم
 ينجلي هذا المخض عن زبدة، هي الشراة التي تنقذ من اللقاء بين العقليين
 و التي تضيء بها جوانب النفس، و ينكشف على ضوئها وجه الرأى فى الامر
 المتداول بينهما... و ينتهى هذا الحوار أو هذا اللقاء بين العقول و قد ذهب
 كل واحد منها بما حصل عليه من شك أو يقين، و من اضطراب أو اطمينان...
 و عندئذ يجد العقل ان ما حصل عليه ليس خالصاً له، و انما هو - على صورتي
 الشك و اليقين أو الاضطراب و الاطمئنان - قسمة بينه و بين العقل الذى جرى
 معه هذا الشوط للوصول إلى تلك الغاية و ذلك المقصد..

و هنا تجيء المرحلة الثالثة التي يسوى فيها العقل حساب الامر الذى
 بين يديه على الوجه الذى يراه هو مستقلاً عن أى عون خارجى... و فى
 المرحلة الثالثة هذه يخلو العقل بنفسه، ما شاء له أن يخلو، فيعيد عرض الامر
 فى هدوء، و يقلب وجوهه فى سعة من الوقت، و حربة من العمل.. و قد يظل
 هكذا زمناً يبلغ عمر الانسان كله، دون أن يصل إلى الرأى الذى يطمئن إليه،
 و قد تطلع عليه شمس الحقيقة فى لحظة خاطفة و على غير انتظار!

و هذا إعجاز القرآن الكريم، و ان الاية هذه لم تذكر المرحلة الاولى و
 بدأت بالمرحلة الثانية و هى لقاء عقل الانسان بعقل غيره، و مقابلة تفكيره بتفكير
 غيره، و ذلك ان المرحلة الاولى هى مرحلة مشتركة بين الناس جميعاً، فان
 أى إنسان عاقل لا يمكن أبداً أن تخلو نفسه من خواطر و وساوس عن التفكير فى
 «الاله».. أما الذى هو غير واقع بين الناس كلهم، فهو عرض تلك الخواطر و
 الوسواس على عقول الآخرين... فهناك كثير من الناس يعيشون مع ما يطرقتهم
 من خواطر و وساوس، دون أن يعرضوها على أحد، بل يمسكون بها فى صدورهم
 حتى يموتوا بها، تماماً كما يمسك بعض المرضى بأمراضهم، دون أن يطبوا لها
 و أن يعرضوها على أهل الذكرو المعرفة بأداء الاجسام و عللها...

وهذا إعجاز من إعجاز القرآن الكريم ، وان الآية هذه حصرت التفكير في دائرة الفرد نفسه ، ثم لم تتجاوز به أكثر من فردو فرد .. وهذا يعنى ان العقل انما يكون في أحسن حالاته ، حين يفكر وحده أى حين ينفرد بالتفكير فيما تجمّع لديه من حصيلة من الافكار والآراء يردّها إلى نفسه ، و يقبلها بين يديه ، فهذا الذى يحقق للعقل ذاتيته و يعطيه وجوده ، و يمكن له من سلطانه.. فاذا كان ولا بد من مشاركة أحد ، فليكن ذلك فى أضيق الحدود و مع عقل آخر ، هو أشبه بالمرآة التى يرى فيها الانسان ذاته .. أما التفكير الجماعى ، و خاصة فى امر يتصل بالضمير ، كالإيمان بالله و اليوم الآخر ، فانه يشوش على العقل و يحجب عنه الرؤية الصحيحة لما هو ناظر إليه ..

وقد كشف علم النفس عن ان هناك عقليين: عقلاً فردياً و عقلاً جماعياً ، وان العقل الجماعى ، قد يقنع الانسان بما لم يكن محل إقناع فى تفكيره الفردى .. وهذا إن صح فى الامور العارضة فانه لا يصح فى أمر العقيدة التى هى أمر شخصى محض .. و منها قوله تعالى : «قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب» (سبأ: ٤٨) و فيه تعبير أقوى التعبير حيث جعل الحق كالقنبلة التى تقذف من حكيم عليهم و مهندس بارع يعلم خفايا مهنته أنراها لا يصيب الهدف .

و منها قوله تعالى : «و أنى لهم التناوش من مكان بعيد» سبأ : ٥٢) إذ فى التعبير بالتناوش عن الأمل الذى يراودهم فى هذا الموقف باعلان الايمان إعجاز من إعجاز القرآن الكريم فى صدق الأداء و روعته و دقته .. فالأمل الذى يتعلقون به لا يمسون منه بشيء .. انه لا يكاد يظهر حتى يختفى ثم يظهر و يختفى و هم يجرّون و راءه حتى تقطع أنفاسهم دونه و فى هذامضاعفة للعذاب الذى هم فيه.. «كباسط كفيه إلى الماء ليلغ فيه و ما هو ببالغه و ما دعاء الكافرين إلا فى ضلال» (الرعد: ١٤) انهم يمدون أيديهم و هم فى الآخرة ليتناولوا هذا الأمل الذى فانهم فى الدنيا و يناوشونه مناوشة من بعيد و لا تمسك أيديهم بشيء منه .

﴿ التكرار ﴾

سورتان يشتمل كل واحدة منهما على أربع و خمسين آية : أحدهما -
سورة سبأ . ثانيهما - سورة فصلت .

وان السور المفتحة بالحمد خمس : ننتان منها في النصف الاول من القرآن
الكريم ، و هما سورتا الفاتحة والانعام ، و ننتان منها في النصف الاخير منه ،
و هما سورتا سبأ و فاطر ، و جعلت واحدة منها وسطاً بين النصف الاول والنصف
الاخير منه و هي سورة الكهف ، ان لها حظ من النصف الاول والنصف الاخير .
و من اللطائف : ان الله تعالى أشار في الاوليين إلى نعمتى الابداد و تربية
الموجودين إذ قال : « الحمد لله رب العالمين » الفاتحة : ١) و قال : « الحمد لله
الذى خلق السموات والارض » الانعام : ١) و أشار في سورة الكهف إلى نعمة
الدين الذى فيه تربية الارواح و تزكية النفوس ، و أشار في الاخرين إلى ما
وجب به الحمد على الانسان واختصاصه بالله تعالى لما له وحده من ملك السموات
والارض و شقهما من العدم و ايجادهما على غير مثال سابق ، و ما جعل الملائكة
وسائط بينه و بين أنبياءه . . . و قد تكرر الحمد فى الآية التى ابتدأت بها سورة
سبأ ، فانه يجب الحمد فى الحياة الدنيا على نعمة متفضل بها ، و هو الطريق إلى
تحصيل نعمة الآخرة و هى الثواب ، و أما الحمد فى الآخرة ، فليس بواجب لانه
على نعمة واجبة الايصال إلى مستحقها انما هو نعمة سرور المؤمنين و تكملة
اغبتابهم يلتذون به كما يلتذمن به العطاش بالماء البارد .

وقيل : ان الفرق بين الحمددين : ان الاول عبادة مكلف بها ، والثاني غير مكلف به ولا متكلف ، و انما هو في النشأة الثانية كالجبلية في النشأة الاولى ولذلك قال رسول الله ﷺ : « يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس » و إلا فالنعمة الاولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده لاعتن استحقاقهم .

وقد تكرر القسم بأسلوب خاص ثلاث مرات لا رابع لها مما أمر الله تعالى رسوله الخاتم ﷺ أن يقسم بربه على الترتيب النزولي والمصحفي :

الاولى : في قوله تعالى : « قل اى و ربى انه لحق » يونس : ٥٣) جواباً عن استنباء الكافرين عن حقية الجزاء يوم القيامة .

الثانية : في قوله تعالى : « قل بلى و ربى لتأتينكم » سباء : ٣) رداً عليهم في انكارهم بايتاء الساعة للحساب والجزاء .

الثالثة : في قوله جل و علا : « قل بلى و ربى لتبعثن » التغابن : ٧) رداً عليهم في انكارهم وقوع البعث يوماً للحساب والجزاء .

و في ترتيبى النزولى والمصحفى نفسهما ، و فى ايشار القسم بكلمة الرب من اللطائف والنكات ما لا يخفى على الخبير المتأمل ، فتدبر و اغنم جداً .

قال الله تعالى : « لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض » سباء : ٣) وقال : « وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض و لا فى السماء » يونس : ٦١) و فى الجملتين ست جهات من الاختلاف :

الاولى : بدء ما فى سورة يونس بحرف الواو ، و ليست فى سورة سبأ .

الثانية : جاء فى سورة يونس حرف النفسى بكلمة « ما » و فى سورة سبأ بكلمة « لا » .

الثالثة : و فى سورة سباء « عنه » بدلاً عن « عن ربك » فى سورة يونس .

الرابعة : اضيفت كلمة « من » فى سورة يونس فى قوله : « من مثقال »

بخلاف ما فى سورة سباء .

الخامسة: جاء في سورة يونس « في السماء » بصيغة الافراد وفي سورة سبأ « في السموات » بصيغة الجمع .

السادسة: قدمت « في السموات » على « الارض » في سورة سبأ ، وأخرت عنها في سورة يونس .

ولكل نكات و لطائف لانخفي على أصحاب الأدب وأهل البيان فتأمل جيداً .
قال الله تعالى: « ان في ذلك لآية لكل عبد منيب » سبأ : ٩) بافراد الآية ،
وقال : « ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور » سبأ : ١٩) بجمع الآيات لان المراد بالاول لآية على إحياء الموتى ، فخصت بالافراد ، و أما قصّة سبأ فجمع لانهم صاروا اعتباراً يضرب بهم المثل : تفرّقوا أيادي سبأ و فرقوا كل مفرق ، و مزقوا كل ممزق . فرفع بعضهم إلى الشام و بعضهم ذهب إلى يثرب ، و بعضهم إلى عمان ، فختم بالجمع ، و خصت به لكثرتهم و كثرة من يعتبر بهم ، فقال :
« لآيات لكل صبار » على الجنة « شكور » على النعمة أي المؤمنين .

قيل : و قد خصت هذه السورة بذكر الرب لانه تكرر فيها مرات كثيرة :
اذ فيها : « قل بلى و ربي » : ٣) و « الذي انزل اليك من ربك » : ٦) و « من يعمل بين يديه باذن ربه » : ١٢) و « رب غفور » : ١٥) و « فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا » : ١٩) و « ربك على كل شيء حفيظ » : ٢١) و « قال ربكم » : ٢٣) و « موقوفون عند ربهم » : ٣١) و « قل ان ربي يبسط الرزق » : ٣٦) و « قل ان ربي يقذف بالحق » : ٤٨) و « فيما يوحى إلى ربي » : ٥٠) .

قال الله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله » سبأ : ٢٢) بذكر لفظ « الله » جل جلاله وقال : « قل ادعوا الذين زعمتم من دونه » الاسراء : ٥٦) بالضمير ، و ذلك لان في هذه السورة اتصلت بآية ليس فيها لفظ « الله » و قد ذكر لفظ « الله » قبل أربع عشر آية ، فلما طالت الايات كان الصريح أحسن ، و في سورة الاسراء اتصل بآيتين فيهما بضعة عشر مرة ذكر « الله » صريحاً و كناية ،

فكانت الكناية أولى .

قال الله تعالى : « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر » سباء : (٣٦)
 وقال : « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له » سباء : (٣٩)
 ولعل وجه التكرار مع إضافة « من عباده » و « له » في الثاني دون الاول : ان
 الآية السابقة مطلقة ، فتشمل الافراد المتعددة بأنه تعالى يبسط الرزق لواحد و
 يقدر لآخر سواء كان كافراً أم مؤمناً ، و أما الآية التالية بالنسبة إلى الفرد بأنه
 تعالى يبسط الرزق لواحد في وقت ، و يقدر له في وقت آخر كما يدل على ذلك
 قيده « من عباده » و « له » في التالية دون السابقة فلا تكرر أو تكون السابقة
 خطاباً للكافرين ، والتالية خطاباً للمؤمنين كما يستفاد من لفظ « من عباده » .
 قيل : ان المقام التالي غير المقام السابق ، فهناك كان المقام الداعي إلى
 ذلك هو الكشف عن تلك الحقيقة التي جهلها أو تجاهلها المترفون ، و هي أن
 بسط الرزق و قبضه هو ابتلاء من الله تعالى ، و ليس مقدرراً على منازل الفضل
 والرضوان من الله جل وعلا . و هنا في هذه الآية - بعد أن تقررت هذه الحقيقة -
 كان المقام مقام دعوة إلى البذل والانفاق من هذا المال لانه من فضل الله جل وعلا ،
 و إذ كان الله تعالى هو الذي يعطى ، فلاخوف من الانفاق ، لانه إنفاق في سبيل الله
 جل و علا و هو بمنزلة القرض لله سبحانه ، و لن يضيع ما اقترضه الله تعالى ، بل
 يعود إلى صاحبه مضاعفاً : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً
 كثيرة » البقرة : (٢٤٥) .

و هنا زيادة في النظم و هي كلمة « عباده » و فيها اشارة إلى أن المدعويين
 إلى الانفاق من أموالهم ، و التي سيخلفها الله لهم هم عباده المؤمنون به .
 وقيل : ان التالية تأكيد للسابقة باعتبار عظم شأن الامر و هم عنه غافلون .
قال الله تعالى : « و ما أرسلنا في قرية من نذير » سبأ : (٣٤) و لم يقل :
 « من قبلك » و لا « قبلك » ثم قال : « و ما أرسلنا إليهم قبلك من نذير » سبأ : (٤٤)

لان الاول إخبار مجرد ، والثاني إخبار مع التسلية للنبي الكريم ﷺ .
قال الله تعالى : « قل لا تسئلون عما أجرمننا ولا نسئل عما تعملون » سبأ : (٢٥)
 وقال : « ولتسئلنَّ عما كنتم تعملون » النحل : (٩٣) و ذلك لان قوله : « أجرمننا » بصيغة الماضي أى قبل هذا ، و لم يقل : « نجرم » فيقع في مقابلة « تعملون » لان من شرط الايمان و وصف المؤمن : أن يعزم ألا يجرم ، و قوله : « تعملون » خطاب للكفار و هم مصرّون على الكفر في الماضي من الزمان والمستقبل ، فاستغنت به الآية عن قوله : « كنتم » . و قد تكرر قوله تعالى : « قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء » سبأ : (٣٦ و ٣٩) لاختلاف الفائدة فان الاول توبيخ للكافرين و هم المخاطبون به و من ثم لم يقل : « من عباده » و لا « له » لسلب العبودية عنهم و للاشارة إلى أن الضيق في الكافر ليس لنفعه و صلاحه . و أما الثاني فهو وعظ للمؤمنين فكأنه قال : ليس في إغناء الكافرين و اعطائهم دليل على كرامتهم عند الله كما ان الضيق عليه ليس لصلاحه و أما اغناء المؤمنين فيكون لزيادة ثوابهم بان ينفقوها كما يدل عليه قوله تعالى فيهم : « من عباده » و قوله تعالى : « و ما أنفقتم من شيء فهو يخلفه » كما ان الضيق عليهم يكون لصلاحهم يدل عليه قوله : « يقدر له » .

قال الله تعالى : « ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون » سبأ : (٤٢)
 بوصف النار . وقال : « ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون » السجدة : (٢٠)
 بوصف العذاب . و ذلك لان النار في سورة السجدة وقعت موقع الكناية لتقدم ذكرها ، والكنايات لا توصف فوصف العذاب ، و أما في سورة سبأ فلم يتقدم ذكر النار من قبل فحسن وصف النار .

و قيل : وصف الله تعالى العذاب في سورة السجدة فان الكافرين قد رأوا النار بدليل قوله تعالى : « كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها » فقيل لهم : ذوقوا العذاب المؤبد الذي كنتم به تكذبون في قولكم : « لن تمسنا النار الاً أياماً معدودة » البقرة : (٨٠) و أما في سورة سبأ فلا دليل على انهم رأوا النار

فوصفت لهم . و قيل : لانه مذكور عقيب الحشر والسؤال فناسب التوبيخ على تكذيبهم بالنار .

و نشير في المقام إلى صيغ عشرة لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية:

١ - جاءت كلمة (العزب) على صيغها في القرآن الكريم نحو : مرتين : أحدهما - في سورة يونس : (٦١) ثانيهما - في سورة سبأ : (٣) .

٢ - (العزق) » » » » : أربع مرات : كلها في سورة سبأ : (١٩ و ٧) .

٣ - (السرذ) » » » » : مرة واحدة : وهي في سورة سبأ : (١١) .

٤ - (السيل) » » » » : أربع مرات : ٢ و ١ - في سورة سبأ : (١٢ و ١٦) ٣ و ٤ - في سورة الرعد : (١٧) .

٥ - (الجفان) » » » » : مرة واحدة : وهي في سورة سبأ : (١٣) .

٦ - (سباء) » » » » : مرتين : أحدهما - في سورة النمل : (٢٢) ثانيهما - في سورة سبأ : (١٥) .

٧ - (العرم) » » » » : مرة واحدة : وهي في سورة سبأ : (١٦) .

٨ - (الخمط) » » » » : مرة واحدة : وهي في سورة سبأ : (١٦) .

٩ - (الائل) » » » » : مرة واحدة : وهي في سورة سبأ : (١٦) .

١٠ - (التناوش) » » » » : مرة واحدة : وهي في سورة سبأ : (٥٢) .

﴿التناسب﴾

إعلم أن البحث في المقام على جهات ثلاث :
 أحدها - التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .
 ثانيها - التناسب بينها و ما قبلها مصحفاً .
 ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .
 أما الأولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « لقمان » و التناسب بينهما
 فبامور أهمهاسته :

أحدها - التناسب بين موضوعيهما على طريقي الاجمال والتفصيل فراجع .
 ثانيها - لما ختمت سورة لقمان بقوله تعالى : « ان الله عنده علم الساعة و
 ينزل الغيث . . » (٣٤) أخذت هذه السورة في أدائها بيان ذلك : « وقال الذين
 كفروا لا آتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم الغيب . . . » (٣)
 ثالثها - لما اشير في سورة لقمان إلى النعمة و شكرها إجمالاً في قوله
 تعالى : « و لقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله - و أسبغ عليكم نعمه ظاهرة
 وباطنة » : (١٢ - ٢٠) اشير في هذه السورة إلى نموذج كامل من النعمة و شكرها ،
 و إن كان من قليل العباد بقوله جل وعلا : « و لقد آتينا داود منا فضلاً - ان في
 ذلك لايات لكل صبار شكور » : (١٠ - ١٩)

رابعها - لما جاءت سورة لقمان بالتهديد على كفران النعمة و سلبها معن
 كفر في قوله سبحانه : « ومن كفر فان الله غني حميد » : (١٢) جاءت هذه السورة

بذكر نموذج من سلب النعمة عن متنعميها وهم أهل سبأ بسبب كفرانهم في قوله تعالى : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية - فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » : (١٩)

خامسها - لما جاءت سورة لقمان بالنهاى عن الشرك بالله سبحانه في قوله تعالى حكاية عن لقمان : « يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » : (١٢) فصل في سورة سبأ و بال شرك و وخيم عاقبته و فضاحة أهله في الدنيا و الاخرة في قوله جل و علا : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله - ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب » : (٢٢ - ٥١)

سادسها - لما اشير في سورة لقمان إلى إضلال بعض الناس بعضاً و استكبارهم بقوله تعالى : « ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل الناس عن سبيل الله - فبشره بعذاب أليم » : (٦ - ٧) اشير في سورة سبأ إلى فضاحة المضلين و أتباعهم و عذابهم يوم القيامة بقوله تعالى : « ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم - و يقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون » : (٣١ - ٤٣) فتدبر و اغتنم جداً لأنك لن تجد ما ذكرناه في الكتب المتقدمة .

و أما الثانية : فالمناسبة بين هذه السورة و سورة الاحزاب فيوجوه :

أحدها - لما ذكر في السورة السابقة سؤال الكفار عن الساعة إستهزاء في قوله تعالى : « يسئلك الناس عن الساعة » الاحزاب : (٦٣) حكى عنهم إنكارها سريحاً و طعنهم على من يقول بالبعث و الحساب و الجزاء ، فقال هنا ما لم يقله هناك في قوله جل و علا : « و قال الذين كفروا لاتأتينا الساعة » سبأ : (٣)

ثانيها - لما جاءت سورة الاحزاب ببيان غرض التكليف ، و مقام الانسان في هذا الوجود ، و انه الكائن الذى استقل وحده بحمل أمانة التكليف من بين الكائنات جميعها ، و ان الله جل و علا يجزى المحسن باحسانه ، و المسيء باساءته ، في قوله تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات و الارض - و كان الله غفوراً

رحيماً» الاحزاب : ٧٢ - ٧٣) افتتحت هذه السورة بالحمد لله جل وعلا على نعمته
وكمال قدرته ...

ثالثها - ان الصفات التي اجريت على الله تعالى في مفتتح هذه السورة
تشاكل الصفات التي نسبت إليه جل وعلا في مختتم السورة السابقة .

و غيرها من التناسب ، و على القارىء الخبير التأمل جداً .

و أما الثالثة : فان الله تعالى إفتتح السورة بالحمد لكونه مالكاً لكل شيء
يوجب أن يكون ذاته جل وعلا محموداً و إن لم يحمده أحد ، و قدّم الحمد للنعم
الدينيوية على الحمد للنعم الاخروية لتقدم الاولى على الثانية وجوداً ، و لان
الاولى وسيلة لنيل الشاكر بالثانية لان الدنيا مزرعة الاخرة . و من المحتمل أن
يكون ذكر الحمد للنعم الاخروية بعد ذكر الحمد للنعم الدينيوية ، انه لما كانت
نعمة الآخرة مخبر بها ، غير مرئية لنا في الحياة الدنيا ذكرها ليقاس نعمها بنعمة
الدنيا قياس الغائب على الشاهد ، و إن اختلفت النعمتان في الكيفية و الكمية و
من يتنعم بهما . و قدّم تعالى الصلة «له» في الثاني دون الاول للاختصاص و رفع
الوسائط في الثانية دون الاولى .

ثم ذكر ما به يليق هو وحده للحمد دون غيره من تسعة علمه تعالى بظواهر
الاشياء و بواطنها بقوله جل وعلا : «وهو الحكيم الخبير» غير ما ذكره سابقاً من
كونه مالكاً لجميع الأشياء ... ثم بيّن بعض ما يحيط به علمه من الامور التي
نيطت بها مصالح عباده الدينيوية و الاخروية بقوله جل و علا : « يعلم ما يلج في
الارض و ما يخرج منها ... » (٢) ففيه كشف صفحة من صحائف علمه تعالى
مجالها الارض و السماء ... و قدّم « يعلم ما يلج في الارض » على غيره لان
الحبة تبذر ثم تسقى و هو تعالى يدبّر كل هذه الامور بعلمه الشامل و حكمته
المطلقة . و ختمت الاية بذكر صفتي الرحمة تنبيهاً إلى أن ما في الاية من آثار
الرحمة المطلقة ، و الغفران حساً على الحمد و الاستغفار الموجبين للزيادة . و

ان الآيتين مقدمة لما بعدهما .

ان الله تعالى لما أبان ان له الحمد في الدنيا والاخرة على ما أسدى إلى عباده من النعم أردف ذلك ببيان ان كثيراً منهم ينكروها أشد الانكار ويستهزئ بمن يشبهها ، و يعتقد ان الاخرة دار جزاء يحاسب فيها الانسان بما كلف في دار التكليف ، و قد بلغ من تهكمهم انهم يستعجلون مجيئها ظناً منهم : ان هذه خيالات واهية بل أضغاث أحلام ، و قد ذكر ان مجيئها ضربة لازب لتجزى كل نفس بما كسبت من الخير و الشر ، من صالح الاعمال و فاسدها ، و من عقيدة حقة و باطلها بقوله تعالى : « و قال الذين كفروا - و رزق كريم : ٣ و ٤) مع وصف نفسه جلا و علا بكمال العلم و عظيم الاحاطة بالموجودات مما يؤكده إمكان البعث بقوله سبحانه : « عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة » لان العالم بجميع الاشياء عالم باجزاء الاحياء قادر على جميعها كما بدأها . ثم ذكر الحكمة في إعادة الانسان بعد الموت و قيام الساعة بقوله عز و جل : « ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات . فلو لم تكن دار جزاء يحزى كلاً ما عمله في دار التكليف كان ذلك خارجاً عن الحكمة في خلق العالم .

بعد أن أمر الله تعالى رسوله الاعظم ﷺ أن يرد عليهم مؤكداً لهم بطلان ما يدعون بقوله تعالى : « قل بلى و ربي لتأينكم » .

ثم ذكر ان الناس فريقان : مؤمن بآيات الله تعالى ، و كافر بها بقوله جل و علا : « و الذين سعوا في آياتنا - و يهدى إلى صراط العزيز الحميد » : ٥ - ٦) فمعاند جاحد بها و يسعى في إبطالها ، و مآل أمره العذاب الأليم على مادستى به نفسه من قبيح الخلال ، مع الاستشهاد باعتراف اولى العلم ممن آمن من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و أضرا به بصحة ما أنزل الله تعالى إلى رسوله ﷺ ليرد به على هؤلاء الجهلة السفلة الساعين في الآيات الذين أنكروا الساعة بقوله سبحانه : « و يرى الذين اتقوا العلم الذى انزل إليك » .

و قدّم صفة الهيبة « العزيز » على صفة الرأفة « الحميد » لان الكلام على منكرى البعث والجزاء .

ان الله تعالى لما ذكر إنكار المنكرين للساعة و ردّ عليهم مما قالوا مؤكداً ثم ذكر المؤمنين بالله تعالى و برسوله و باليوم الاخر مع بيان جزاء الفريقين بالنار و عذابها ، و بالجنة و نعيمها أردفه بذكر مقالة للكافرين متهمين مستهزئين بقوله تعالى : « وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم - والضلال البعيد : (٧ - ٨) مع الاشارة إلى التعطيل لتلك المقالة السخيفة و مآل أمر فائليها بقوله : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة ... » و ذلك لان الكافرين بالساعة لما نسبوا إلى النبي الكريم ﷺ أحد الامرين : إما التعمد في الاقتراء على الله سبحانه ، و إما الجنون ردّ الله تعالى عليهم مقاتلتهم و أثبت لهم ما هو أشد و أنكى فقال : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب و الضلال البعيد » وهو علة الانكار .

و قدّم العذاب على الضلال ، مع ان العذاب الذي سينا لهم هو من نتائج ضلالتهم ، استعجالاً لما يسوعهم ، و استحضاراً للبلاء الذي ظنوا انهم في مأمن منه . ان الله تعالى لما ذكر الدليل على كونه جل و علا عالماً بالغيب ، و انه يجازى على السيئات و الحسنات ، و ذكر انكار المنكرين للساعة و أشار إلى عاقبة الانكار ، و ذكر ايمان المؤمنين بها و مآل أمرهم يوم القيامة أردف ذلك بذكر الدليل القاطع و البرهان الساطع على صحة البعث و إمكانه بخلق السموات و الارض مع توعدهم على إنكارهم بأشد الوعيد لعلمهم يرجعون عن عنادهم و لجالجهم و ضلالتهم البعيدة ، و يثوبون إلى رشادهم بقوله تعالى : « أفلم يروا إلى ما بين أيديهم ... » (٩)

فالذى قدر على خلق السموات و الارض و ما فيهن قادر على البعث و الحساب و الجزاء في الآخرة ، و على تعجيل العقوبة في الحياة الدنيا كما عاقب الامم المكذبة السالفة ، فذكّرهم بما يشاهدون مما يدل على كمال قدرته تعالى على

البعث و عقوبتهم . و ختم الآية الكريمة بما هو كالعلة في الحث على الاستدلال بذلك ليزيح انكارهم بالبعث ، و رجوعهم إلى الله جل و علا عما كانوا عليه من الانكار و التكذيب .

ففي الآية استدلال و تهديد ، و موعظة و إنذار ، و رد و دعوة لهم إلى الايمان و الارعواء عن الكفر .

ان الله تعالى لما ذكر خلق السموات و الارض آية لكل من أناب إلى الله تعالى و رجع إليه أردف ذلك بذكر بعض من أنابوا إلى ربهم ، فأنعم عليهم بما آتاهم من الفضل و العطاء ، لتكشف عن صورة كريمة للانسان الذي يحقق معنى الانابة على التمام و الكمال و هو داود النبي ﷺ فقد جمع الله تعالى له النبوة و الملك و الجنود ذوى العدد و العدد ، و منحه الصوت الرخيم ، و لأن له الحديد مع أمره بنسج الدرع ، و أهله بصالح العمل معلماً بقوله تعالى : « و لقد آتينا داود منا فضلاً - انى بما تعملون بصير » : (١٠ - ١١)

و في الآيتين رد على منكرى نبوة محمد ﷺ بان إرسال الرسل ليس أمراً بدعاً بل أرسلنا الرسل قبله ﷺ و أيديناهم بالمعجزات ، و أحملنا بمن خالفهم العقاب و دعوة لهم إلى الايمان و صالح العمل تلويحاً .

و من المحتمل ان تكون مناسبة قصة داود و سليمان عليهما السلام مع ما قبلها: ان الكفار لما أنكروا البعث مستبعدين إياه ، فأخبروا بوقوع ما هو مستحيل في العادة مما لا يمكنهم إنكاره من تأويب الجبال و الطير مع داود إذ ألان له الحديد من صلابته ، و سخر الريح لسليمان مع عدم رؤيتها إلا باحساس آثارها و أساس النحاس كما ألان الحديد لآبيه و سخر له الجن من غيوبه .

ان الله تعالى لما ذكر ما من به على داود ﷺ وأشار إلى ثلاثة أشياء وهي: الجبال المسخرة ، و الطير المسبحة ، و إلانة الحديد ، ثم أمره بنسج الدرع و أهله بصالح العمل أردف ذلك ببيان ما تفضل به على ابنه سليمان ﷺ وأشار إلى ثلاثة

أشياء وهى : الريح المسخرة ، وإسالة القطر ، و تسخير الجن ، نسم أمر آل داود بالشكر لتلك النعم الالهية فى قوله تعالى : «ولسليمان الريح - و قليل من عبادى الشكور» : (١٢ - ١٣)

ان الله تعالى لما بيّن عظمة سليمان عليه السلام و تسخير الريح و الجن و إسالة عين القطر له ، أخذ بذكر ما لم ينبج منه أحد من خلقه أبداً مهما كثرت قدرته و عظمت و هو الموت بقوله تعالى : « فلما قضينا عليه الموت ... » : (١٤) تنبيهاً على لا بدية الموت للخلق ، ولو نبجى منه أحد بالقدرة و الملك و المال و العظمة لكان سليمان عليه السلام أولى بالنجاة منه ، و على ان غير الله تعالى لا يعلم الغيب رداً على معتقديه .

و من المحتمل أن تكون مناسبة قصة داود و سليمان عليهما السلام لقصة إنكار المشركين بالبعث و الجزاء : انه تعالى لما ذكر ما من به على داود و سليمان عليهما السلام من النعم الظاهرة و الباطنة إحتجاجاً على ما منح نبيه الخاتم محمد صلى الله عليه و آله و سلم أى لانتسبوا أيها المشركون هذا من نبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم فقد تفضلنا على بعض عبادنا الصالحين قديماً بكذا و كذا .

و لما فرغ التمثيل للنبي الخاتم محمد صلى الله عليه و آله و سلم رجع التمثيل لمشر كسى العرب و جاحدى النبوة المحمدية بقصة سبأ ، و ما كان من هلاكهم و حلول النعمة بهم و سلب النعمة عنهم بسبب عتوهم و كفرانهم بقوله تعالى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية - و ركب على كل شىء حفيظ » : (١٥ - ٢١) و من هنا يظل الاتصال قائماً مستمراً بين هذه القصة السابقة .

و ذلك لان الله تعالى لما بيّن قصة داود و سليمان عليهما السلام ، و ما من عليهما من القدرة و القوة و الملك ، و بين حال الشاكرين لنعمه ، ذكر نعمه الاخرى التى أنعمها أهل سبأ ، و لكن سليمان مات على ما كان عليه من النعمة و القدرة بسبب الشكر و هذا معنى دوام النعمة بالشكر ، و أما سبأ فوقعوا على نهاية الهوان و

الذلة ، وحلت بهم النعمة و سلبت عنهم النعمة بسبب كفرهم و كفرانهم وهذا معنى تغيير النعمة .

ان الله تعالى لما بين حال مسكنهم و جنتهم و تبديلها بما لانفع فيه أخذ بذكر حال خارج بلدهم و ما آل إليه أمره بقوله : « وجعلنا بينهم وبين القرى ... » مع الاشارة إلى أمنهم فى الطريق ولكن الله تعالى بدل النعمة بالنقمة والامن بالخوف بسبب كفرهم و كفرانهم ، ثم أخبر عن ضعف عزمهم ، و عما هو سبب كفرهم و كفرانهم و اتباعهم الشيطان ، و تحقق ظن ابليس فيهم ، و فى أضرارهم ممن ركنوا إلى الغواية والضلالة .

ان الله تعالى لما ذكر إعطاء نعمه التى آتاها الشاكرين من أولياءه كداود وسليمان عليهما السلام من النعم المادية والمعنوية ، و ما فعله بسبباً حين بطروا النعمة و كفروا بها ، و كذبوا الرسل و أظهروا الكفران فى كلتا النعمتين : النعمة المادية و هى الدنيا و متاعها و النعمة المعنوية من الرسالة والدين ، و فرغ عن حكاية أهل الشكر و الكفران تمثيلاً عاد إلى مخاطبة كفار قريش و تقرير مشركى العرب ، فأمر رسوله الاعظم صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تهكماً بهم و تعجباً من حالهم و تحدياً بقوله جل و علا : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ... » (٢٢) فليست الاية فضلاً مستأنفاً ، و انما هى إستمرار فى السياق المستمر فى حكاية مواقف الكفار .

ثم ذكر ان شأن المعبود أن يكون نافعا لعابده ، فيعطيه و يرجى من رحمته ، و ضاراً فيخشى بطشه و سطوته اذا تمرّد و طغى ، و تلك الالهة الموهومة ليس لهم شىء من ذلك بقوله جل و علا : « لا يملكون مثقال ذرة فى السموات و لا فى الارض .. » هذه فى الحياة الدنيا ، و أما الآخرة « و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » فتلك الاخشاب المنحوتة ، و تلك الاحجار المصورة ، و تلك الهياكل المصنوعة ، و تلك المجسمات الموهومة ، أو غيرها من الالهة المزعومة

ليس منها و فيها و لها خير لهم لا في الدنيا و لا في الآخرة ، أهؤلاء شركاء لله سبحانه في تكوين العالم و ايجاده ! أم في تدبير الكون و نظامه ! أو شركاء له جل و علا في العبادة !

أو ليست العبادة لتلك الالهة المزعومة خطأً عظيماً ، و جرماً كبيراً ؟
فيا أيها المشركون إذا كنتم تنتظرون خيراً منها في الدنيا : « لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لا في الارض » و اذا كنتم تنتظرون خيراً منها في الآخرة « و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » و تلك الصور و المجسمات و المزعومات بمعزل من الشفاعة .

ثم ذكر ما يحدث بعد انتظار الاذن بالشفاعة لتلك الالهة بقوله : « حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا . . . » ثم ذكر إعراف الشفعاء بعضمة خالق الكون و قصور كل ما سواه بقوله : « و هو العلى الكبير » .
قيل : ان الله تعالى لما أبطل أصل الشرك في الوجود ، أبطل الشرك في الابداد و التدبير و العمل بامور أربعة :

الاول : أبطل على سبيل الاستقلال بقوله تعالى : « لا يملكون مثقال ذرة في السموات و لا في الارض » .

الثاني : على طريق الشراكة بقوله جل و علا : « و ما لهم فيهما من شرك » .

الثالث : على سبيل الاعانة بقوله سبحانه : « و ما له منهم من ظهير » .

والرابع : نفى استحقاقهم للعبادة طمعاً أنهم شفعاء عند الله جل و عز : « و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له » .

ان الله تعالى لما سلب عن آلهة المشركين ملك شيء من الاكوان ، و أثبت ان ذلك كله لله تعالى وحده ، و سلب من تلك الآلهة المزعومة الشفاعة ، و أثبتها لمن أذن له ، و قال صواباً أمر نبيه ﷺ أن يجعلهم يقرّون بتفردة بالخلق و الرزق ، و بالتكوين و التدبير ، و إنفراده بالالوهية ، و أن يخبر بأن أحد

الفريقين : الموحدين للرازق ، و المشركين به سبحانه الخلق ، مبطل والاخر محق ، فقد أقام الدليل المتقن يعترف به الكافر على التوحيد و أبطل ما كانوا عليه من الشرك بقوله جل و علا : « قل من يرزقكم . . » : (٢٤) و من المحتمل ان تكون المناسبة ان الله جل و علا لما ذكر ان الآلهة الموهومة للمشركين لا يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب تعالى قرّر ذلك بقوله سبحانه : « قل من يرزقكم . . » .

ولما ألزم المشركين بما ليس بأقل من الاعتراف بأنفسهم أمر رسوله ﷺ بان هذين الفريقين : طريقتي وطريقتكم متضادان لا يجتمعان تنبيهاً على ضلال طريقتهم بقوله تعالى : « و انا أو إياكم . . » و في ذكر هذا بعد ما تقدمه من الحجج الواضحة و الادلة المتقنة ، والبراهين الظاهرة على التوحيد و بطلان الشرك دلالة واضحة على تمييز المهتدى من الضال ، والایماء أبلغ من التصريح ، و أو صل بالمجادل إلى الغرض مع قلة شغب الخصم و قل شو كته بالهوينى .

ان الله تعالى لما أقام الادلة الواضحة التي يعترف بها الخصم على التوحيد ، و بطلان الشرك و أبان طريق الحق و الهدى ، طريق الخير و الصواب ، و طريق السعادة و النجاة من طريق الباطل و الضلالة ، من طريق الشر و الخطاء و من طريق الشقاء و الهلاك ، و كما ان الحق و الباطل ، و الهدى و الضلال متضادان لا يجتمعان و بينهما بون بعيد يستحيل الجمع ، فكذلك أهلها في العمل أمر نبيه ﷺ رابعاً أن يقول لمشركى العرب المتعصبة : ان الانسان لا يترك سدى في هذين الفريقين : الحق و الباطل و العمل على ما يناسبهما ، بل يحاسب في العقيدة و العمل و الله تعالى هو الحاكم بين الفريقين ونحن و أنتم لسنا بخارجين عن ذلك فلا تؤاخذون بما نعمل و لا تؤاخذ بما تعملون زيادة في إصنافهم في المخاصمة إذا سند الاجرام إلى أنفسهم و العمل للمخاطبين بقوله تعالى : « قل لا تسئلون عما أجرنا و لا نسئل عما تعملون : (٢٥) .

ثم أمره بالتفكير خامساً بأن يقول لهم تحذيراً وإنذاراً بوخامة عاقبة أمرهم: ان الله تعالى وحده هو الحاكم بين المحق والمبطل، بين المؤمن والكافر، بين الطيب والخبيث، وبين السعيد والشقي... يوم القيامة فإنه العليم بجلال الامور و دقائقها... بقوله تعالى: « قل يجمع بيننا ربنا... »: (٢٦)

ثم أمره بالتفكير سادساً أن يقول لهم مستفسراً عن شبهتهم بعد إلزامهم الحجة تبكيتاً لهم مع التنبيه إلى فاحش خطأهم و ظاهر إنحرافهم، و عظيم جرمهم و جنائبتهم بقوله جل وعلا: « قل أروني الذين الحقتم به شركاء... »: (٢٧)

ان الله تعالى لما أقام الادلة الواضحة على التوحيد و أشار إلى البعث و الجزاء في خلال الادلة، و ضرب لذلك الامثال، و ذكر البراهين المتقنة على بطلان الشرك مختتماً بان العمل ناشىء من العقيدة، فان كانت سالمة فينشأ منها العمل الصالح، و إن كانت فاسدة فينظر منها العمل الكاسد، ثم ذكر بان الطائفتين من صاحبي العقيدة الحققة و الاعمال الصالحة، و العقيدة الباطلة و الاعمال الكاسدة لا يتركون سدى، بل يجزون بما يستحقون يوم القيامة أخذ بذكر الرسالة العامة لرسوله الاعظم بقوله تعالى: « و ما أرسلنا الا كافة للناس... »: (٢٨).

ثم ذكر وظيفته في الرسالة ببيان البشارة و النذارة اللتين تتعلقان بالنتيجة يبحث يوم القيامة و الجزاء و من هنا أردفه بذكر سؤال منكرى البعث عن الساعة إستهزاء بها بقوله تعالى: « و يقولون متى هذا الوعد... »: (٢٩).

ثم أعقبه بالتهديد و الوعيد لما يكون لهم فيها من شديد الاهوال بقوله جل وعلا: « قل لكم ميعاد يوم... »: (٣٠) مجيباً لهم عن سؤالهم.

ان الله تعالى لما ذكر الاصول الثلاثة على طريقى الاجمال و التفصيل، و التلويح و التصريح و هى: التوحيد، و المعاد، و الرسالة، و أبان كفر المشركين بتلك الاصول كلها، و تكذيبهم بها أخذ بذكر كفرهم بالقرآن الكريم و ما سبق عليه من الكتب السماوية، مستتبعاً ذلك بكفرهم بما جاء فيها من التوحيد و

البعث والحساب والجزاء والنبوات ، وتنبيهاً إلى أن مشركي العرب لم يتدينوا بدين سماوي ، ثم أشار إلى ما سيكون من الحوار بين الضالين ومضليهم من الكفار ، وما يسرونه من الحسرة والندامة حين يرون العذاب يوم القيامة ، وبدأ بالاتباع لان المضل أولى بالتوبيخ و هو السبب بقوله تعالى : « وقال الذين كفروا - لولا أنتم لكننا مؤمنين » : (٣١) .

ثم ذكر جواب المستكبرين وهم الرؤساء المتبوعون على طريقة الاستئناف ، ثم عطف قولاً آخر للمستضعفين على قولهم الاول رداً على المستكبرين ، مع الاشارة إلى مآل كلتا الطائفتين : الاتباع والمتبوعين ، وما سيحقيق بهم من الاهانة بوضع الاغلال في أعناقهم ، و ان هذا جزاء استكبارهم ، و ما عملوا من سييء الاعمال و ما دستوا به أنفسهم من قبيح الخلال بقوله جل و علا : « قال الذين استكبروا - إلا ما كانوا يعملون » : (٣٢ - ٣٣) .

ان الله تعالى لما بين مقالة المشركين و إعلان كفرهم بالقرآن الكريم خاصة ، و بالكتب السماوية جميعاً بعد أن طال به الأمد في دعوتهم حتى لحقه عز وجل من ذلك الغم الكثير كما قال تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً » الكهف : (٦) سلاوة عز وجل على ما ابتلى به من مخالفة متر في قومه له و عنادهم و لجاجهم و عداوتهم إياه عز وجل بالتأسي بمن قبله من الرسل ، فكفر الامم السالفة من أرسل إليهم من الرسل هو كائن مستمر في جميع الازمان ، فالنبي الخاتم عز وجل ليس بدعاً من بين الرسل كما ان مشركي العرب ليسوا بدعين من بين الامم الكفرة الفجرة ، فما من نبي بعث في قرية الا كذبه أكبر مجرميها وأتبعهم الجهلة السفلة بقوله تعالى : « وما أرسلنا في قرية من نذير . . . » : (٣٤) .

ثم بين الله تعالى حجة مشركي العرب بانهم كانوا يقولون : لاجابة لنا إلى الايمان ، إذ ما لنا من الاموال و الاولاد دليل قاطع و برهان ساطع على

محبة الله تعالى بنا، فلو كانت قيامة و حساب و جزاء فما نحن بمعذيين فيها بقوله جل و علا : « و قالوا نحن أكثر أموالاً ... » : (٣٥) .

فرد الله تعالى عليهم بان سعة الرزق و ضيقه ليس على أساس الايمان و الكفر، و لا البر و الفاجر، و لا المحسن و المسيء، و لا العالم و الجاهل، و لا الاسود و الابيض، و لا العرب و المعجم ... و انما السعة و الضيق في الرزق مرتبط بسنن طبيعية و أسباب قد رها الله تعالى في هذه الحياة الدنيا، و انما هما و سبيلتا إمتحان يمتحن بهما الانسان بما هو انسان لا بما هو مؤمن و كافر، فما له دخل على ذلك هو الوجود لا الصفة، فمن أحسن استعمال كل واحد منهما، فحصل له الزيادة في السعادة، و إلا فله الشقاوة . فالاموال و الاولاد و الجاه و المقام و العلم ... وسائل و أسباب لازيات السعادة، و انما ملاك السعادة هو الايمان و صالح العمل فقال : « قل ان ربي يبسط الرزق - و هم في الغرفات آمنون » : (٣٦ - ٣٧) . ان الله تعالى لما بين بان التقرب إلى الله تعالى ليس بكثرة المال و الولد، و انما الزلفى بالايمان و صالح العمل رداً على الذين يفترضون التقرب بالاموال و الاولاد، و أشار إلى مال أمر المؤمنين الذين يجعلون الدنيا مزرعة الآخرة و وسيلة لنيلهم بنعيم الآخرة، أشار إلى مال أمر الكافرين الذين يفتخرون بالاموال و الاولاد، و يقضون من دعوة الله جل و علا موقف المنكر المعطل المعجز، و المكابر العنيد، و يبتعدون عن الله تعالى بالاموال و الاولاد، و يسعون في إطفاء نور الله جل و علا و إحياء الباطل، و هم غافلون عن الآخرة و جزائها بقوله سبحانه : « و الذين يسعون في آياتنا ... » : (٣٨) .

ففي السياق مقابلة بين المؤمنين و الكافرين، فكأنه تعالى قال : ان الذين آمنوا و عملوا صالحات من صاحبي الاموال و الاولاد حالهم كذا، و ان الذين يسعون من صاحبي الاموال و الاولاد في آياتنا الآفاقية التكوينية و التدوينية حالهم كذا .

ثم زهد عباده المؤمنين في الدنيا ومتاعها وحرصهم وحرصهم على التقرب إلى الله تعالى بالانفاق، إذ لن يتقبل الانفاق من الكافرين، مع الإشارة إلى أن المؤمنين يمتحنون بعضهم ببعض بسعة الرزق وضيقة بعد أن أشار سابقاً إلى أن الناس كلهم يمتحنون بهما بقوله تعالى: «قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده...» (٣٩).

ثم أشار إلى أحوال الكفار من الاتباع والمتبوعين يوم القيامة وتفتيحهم، وما يعرفهم من الخجل والوجل بقوله تعالى: «ويوم يحشرهم جميعاً...» (٤٠) استمراداً لما احتوته الآيات السابقة من الرد على الكفار وتسفيهم وإنذارهم، ووصف ما يكون من أمرهم في الآخرة، وفيها صورة أخرى لما يكون فيها، وتقريراً لضلالة المشركين وإفكهم وتكذيبهم في عقائدهم في صدد الملائكة. ومن المحتمل أن تكون الآية متصلة بقوله جل وعلا: «ولو ترى إذ الظالمون موقوفون...» (٣١) و إن الغرض من السؤال تبكيك المشركين وتيسيسهم من انتصار الملائكة، وشفاعتهم لهم، وقد عبدوهم في الدنيا لذلك.

ثم ذكر الله جل وعلا رد الملائكة على المشركين وبرائتهم منهم ومن عبادتهم، وتقريراً لما كانوا عليه في العبادة بانهم ما عبدوهم على الحقيقة، بل كانوا يعبدون الجن لأنهم الذين يوسوسون لهم ويضلونهم لأن الملائكة مخلصون لله سبحانه لحدودهم ودائبون على تنزيهه وتقديسه عن أن يتخذوا لهم ولياً غيره، وانهم لا يلتفتون إلى هؤلاء العبيدة الجهلة السفلة، وانهم في غنى عنهم وعن عبادتهم، فهم على ولاء مطلق لله جل وعلا، فالله تعالى وحده وليهم ومعتمهم بقوله سبحانه: «قالوا سبحانك أنت ولينا...» (٤١) وهذا ينطوي في الوقت نفسه على هدف إفحام الكفار وحملهم على الارعاء والتدبر.

إن الله تعالى لما أبطل تمسك المشركين بمعبودهم بعد تفرغهم وتأنيبهم زادهم أسى وحسرة، وذكر إن الأمر في ذلك اليوم لله تعالى وحده بقوله سبحانه:

« فالיום لا يملك بعضهم لبعض نفعاً ولا ضرراً... » (٤٢) فربحاً على تبرئى الملائكة منهم ، و بياناً بان المشركين فى ذلك اليوم لا يقع لهم نفع ممن كانوا يرجون من الآلهة المزعومة ، فيقال لهم على طريق التوبيخ والتهكم : « ذوقوا عذاب النار... » . ثم ذكر نوعاً آخر من أنواع كفرهم و أكاذيبهم تنبيهاً إلى ما لاجله استحقوا هذا العذاب الشديد ، و بعبارة اخرى : ان الله تعالى لما بين الموقف الشديد للكفار يوم القيامة أردفه ببيان سبب هذا الموقف الشديد والعذاب الاليم بقوله جل و علا : « و اذا تتلى عليهم آياتنا... » (٤٣) فان الله تعالى لا يعذب أحداً بغير إستحقاق ، و لا يثيب أحداً من غير ايمان ، فموجب الاستحقاق فى هذه الاية تكذيبهم بالنبي ﷺ ، وقولهم فى القرآن الكريم : انه إفك مفترى وسحر كاذب . مع زيادة فى إنكارهم توكيداً و تئيساً الرسول ﷺ من الطمع فى ايمانهم بقوله : « وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى » ثم سدّ دوا فى الانكار فجعلوه سحراً بيناً ، فكأنه لاشك فيه عندهم كما حكى عنهم بقوله : « و قال الذين كفروا للحق... » كما كان هذا دأب الامم السالفة إلى نبينهم حين ارسل إليهم من الرسل ، فكذبوه فأخذوا أخذ عزيز مقتدر .

ثم ردّ الله تعالى عليهم منكرأ دعواهم ان دينهم هو الحق بانه لا يبتنى على وحى سماوى ولا رسول إليهم ، فأفاديلهم فى النبي الكريم ﷺ وما جاءهم به لا تستند إلا إلى محض تقليد عمياء بقوله تعالى : « و ما آتيناهم من كتب يدرسونها... » (٤٤) .

ثم أنذرهم سوء عاقبة ما هم فيه من التكذيب تارة والكفر اخرى على طريق الاخبار بسوء عاقبة المكذبين من الامم السابقة ، و ما حلّ بهم من المثلات تكالاً لهم على تكذيبهم رسلهم عبرة لهم لو كانوا يعقلون بقوله تعالى : « و كذب الذين من قبلهم... » (٤٥) .

ان الله تعالى لما بين عقائد مشركى العرب وشبهاتهم و موقفهم فى دعوة

النبي الكريم ﷺ وهدّهم أشد التهديد ، و خوفهم من كفرهم بوخامة مال أمرهم رجع بعد هذا ، و أمر نبيه ﷺ باقامة الحجّة القاطعة عليهم لحسم مادة الريب و إنقطاع حبال الاوهام ، فيستد رجهم و يعرض عليهم الدين الحق ، و يطالبهم أن يحكموا عقولهم و ينظروا ببصائرهم لعلمهم يرشدون بقوله تعالى : « قل انما أعظكم بواحدة . . . » (٤٦)

من غير طمع بأجر و لامال ، فأطال لهم الحبل و مدّ لهم الباع و أنصفهم في الخصومة ، و أن يصيهم بان يشمروا عن ساعد الجد طلباً للحق متفرقين إثنين اثنين أو واحداً واحداً ليتفكروا و ليعلموا ان صاحبهم ليس بمجنون تنبيهاً إلى أن نتيجة الفكر ستؤدى بهم إلى أن يعترفوا بما يرشد إليه النظر الصحيح بقوله جل و علا : « ما بصاحبكم من جنة »

ثم خوفهم بيأس الله تعالى ، و أنذرهم بعذاب شديد على إستمرارهم على العناد و إصرارهم على اللجاج .

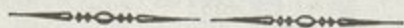
ان الله جل و علا أثبت رسالة محمد خاتم الانبياء ﷺ و نفى عنه الجنون ذكر وجهاً آخر يؤكّد ذلك أمراً له ﷺ بتأمين قلوبهم من الطمع في أموالهم بادعائه النبوة و أن يدعوهم أن يفكروا و يسئلوا أنفسهم عما يدعوهم إلى القيام بانذارهم بين يدي عذاب شديد ما مصلحته؟ وما بواعثه؟ ماذا يعود عليه؟ و يأمره أن يلمس منطقهم و يوقظ وجدانهم إلى هذه الحقيقة في صورة محيية بقوله تعالى : « قل ما سألتمكم من أجر » (٤٧) كما يدعى المتنبيون لذلك .

ثم وعد الله جل و علا نبيه ﷺ و المؤمنين باستعلاء الاسلام على سائر الاديان و ذهاب الباطل بالتمام في قوله تعالى : « قل إن ربي - وما يعبد - » (٤٨ - ٤٩) .

ان الله تعالى لما أمر رسوله ﷺ بأن يدعو مشركى العرب فى المسرة الاولى إلى التفكير الهادى البرىء ، لرفع ما نسبوا إلى النبي الكريم ﷺ من الجنون ، ثم أمره ﷺ ثانياً برفع تهمة الاجرة فى أمر الرسالة و ثالثاً برمى

الباطل بالحق ، و رابعاً بعلمو الحق على الباطل و زهابه ، فسد عليهم مسالك أقاربهم الباطلة ، و مفترياتهم ، فلم يبق إلا أن يقولوا عناداً و لجاجاً ، انه قد عرض لهما أضله عن محجة الصواب و طريق الحق أمره ﷺ خامساً أن يقول لهم بقوله : « قل إن ضللت فانما أضل على نفسي .. » : (٥٠) تقريراً لأمور رسالته ﷺ بوجه آخر . ان الله تعالى لما أبطل شبهات مشركي العرب ، و رد عليهم بما لم يبق بعده مستزاد لمستزيد ، هددهم بشديد العقاب ، إن هم أصرّوا على عنادهم و لجاجهم و استكبارهم ، ذكر انهم حين معاينة العذاب يقولون يومئذ : آمنا بالرسول ﷺ و أنى لهم ذلك ، و قد فات الأوان ، و قد كان ذلك في مكنتهم في دار الدنيا لو أرادوا ، و أما الآن فان ذلك لا يجديهم فتيلاً و لا قطميراً من جزاء ما كانوا فيه من شك مريب في الحياة الأولى ، و تلك سنة الله تعالى في أشباههم من قبل بقوله تعالى : « ولو ترى إذ فرعوا - انهم كانوا في شك مريب » : (٥١ - ٥٤) .

مع بيان ان هذه سنة الله تعالى في أمثالهم ممن كذبوا الرسل من قبلهم بقوله جل و علا : « كما فعل بأشياهم من قبل » و تقرير العلة لعدم قبول إيمانهم و وصولهم إلى بغيتهم حينئذ بقوله جل و علا : « انهم كانوا في شك مريب » ، فلا ينالون بذلك نفعاً كما لا ينال أحد التناوش .



﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

قال بعض المفسرين : ان قوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب و
تمائيل » سباء : ١٣) يدل على أن التصوير كان مباحاً في ذلك الزمان ، و نسخ
ذلك بشرع محمد خاتم الانبياء ﷺ وكانت الحكمة في النسخ ان النبي الكريم
ﷺ بعث والصور تعبد ، فكان الاصلح ازالها .

و قال ابن حزم : ان قوله تعالى : « لا تسئلون عما اجر منا ولا تسئل عما
تعملون » سباء : ٢٥) نسخته آية السيف .

أقول : ان آية سبأ في معنى قوله تعالى : « ولا ترزوا زرة و زراخرى » الزمر :
٧) و قوله جل و علا : « لكم دينكم ولي دين » الكافرون : ٦) وأين هذا من النسخ
و منهم : من قال : ان قوله تعالى : « قل يجمع بيننا وبيننا بالحق »
سباء : ٢٦) منسوخ بآية السيف .

أقول : ان آية سبأ إخبار فلانسخ في الاخبار .

وأما التشابه فلم أجد في هذا السورة المباركة ما اشبهه على آياتها محكمات
والله تعالى هو أعلم .

﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى
الآخرة و هو الحكيم الخبير)

فى « الحمد لله - والحمد فى الآخرة » أقوال : ١ - قيل : ان الحمد الاول
يشير إلى أن الله تعالى يكون مالكاً لكل الاشياء ، فيوجب ذلك أن يكون محموداً
على كل لسان ، لان الكل اذا كان له فكل من ينتفع بشيء من ذلك كان مستنفعاً
بنعمه ، ثم صرح بأن له الحمد فى الآخرة تفضيلاً لنعم الآخرة على نعم الدنيا ،
و ايذاناً بانها هى النعمة الحقيقية التى يحق بان يحمد عليها ، و ينشئ عليه جل
و علا من أجلها مع افادة الاختصاص بتقديم الظرف .

فالحمد الاولى ثناء على الله تعالى على ملكه المنبسط على كل شيء بحيث
له أن يتصرف فى كل شيء بما شاء و ما أراد من ابداء و رزق و إمامة و إحياء
بالاعادة و جزاء و الحمد الثانية ثناء على الله جل و علا على كمال علمه بالاشياء
من جميع جهاتها علماً لا يطرء عليه عزوب و زوال حتى يعيد كل من أراد و يجزيه
على ما علم من أعماله خيراً أو شراً . ٢ - قيل : الحمد هو الثناء على الله تعالى
بما هو أهله فى الدنيا و الآخرة .

وفى المجمع : الحمد : هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم و تقيضه الذم
و هو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم : فمنه ما هو أعلى ، ومنه ما هو
أدنى ، و الأعلى ما يقع على وجه العبادة و لا يستحقها إلا الله سبحانه لان إحسان الله

عزاسمه لا يوازيه احسان أحد من المخلوقين و يستحق الحمد على الاحسان والانعام ، فلا يستحق أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه .

٣- قيل: حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد و هو الوصف الجميل لله تعالى . و له الحمد في الآخرة كالدنيا يحمده أوليائه اذا دخلوا الجنة . فالحمد لله تعالى: حمد لذاته من ذاته ، فلا يليق غيره للحمد اطلاقاً وهو وحده جدير له وإن لم ينطق بذلك لسان ، فان الوجود كله يسبح بحمده ، إن كان الوجود - في ذاته - نعمة ، على أية صورة كان عليها الوجود ، وعلى أى وضع قام عليه . . فهو خروج من عدم ، والعدم سلب ، والوجود وجوب ، الوجود شيء ، والعدم لا شيء ، والوجود صفة من صفات الله تعالى ، و به تتحقق ذاتية الذات و تتحدد ماهيته ، و من هنا كان الحمد لله تسبيح كل موجود وصلاة كل مخلوق . هذا في الحمد الاولي .

و أما الحمد في الآخرة فإشارة إلى ما استوجب الله تعالى من حمد فوق حمد الوجود ، و هو حمد البعث بعد الموت الذي هو أشبه بوجود جديد للانسان و إمساك به من الذهاب إلى العدم الذي كان و شيكاً أن ينتهي إليه بعد الموت .

٤ - قيل: الحمد لله أى الشكر التام للمعبود الذى هو مالك جميع ما فى السموات السبع و ما فى الارضين السبع دون كل ما يعبد المشركون ، و دون كل شيء سواه ان لا مالك لشيء من ذلك غيره . و له الحمد فى الآخرة أى و له الشكر الكامل فى الآخرة كما هو له فى الدنيا العاجلة لانه منه النعم كلها على كل من السموات والارض فى الدنيا ، و منه يكون ذلك فى الآخرة فالحمد لله خالصاً دون ما سواه فى عاجل الدنيا و آجل الآخرة لان النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه .

و قيل : ان العباد ملجاؤن يوم القيامة إلى الحمد لمعرفةهم الضرورى بنعم الله تعالى عليهم من الثواب والعوض و ضرور التفضل . و قيل : انما يحمده أهل

الجنة لاعلى جهة التعبد بل على جهة السرور والتلذذ بالحمد ، فلا يكون الحمد لله تعالى عليهم فيه تعب و لا مشقة . وقيل : يحمده أهل الجنة على نعمه وفضله ، و يحمده أهل النار على عدله .

و في التبيين : قال : الحمد هو الشكر والشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم والحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ، و نقيضه الذم و هو الوصف بالقبیح على جهة التحقير ، و لا يستحق الحمد الا على الاحسان ، فلما كان احسان الله لا يوازيه إحسان أحد من المخلوقين ، فكذلك لا يستحق الحمد أحد من المخلوقين مثل ما يستحقه ، و كذلك يبلغ شكره إلى حد العبادة و لا يستحق العبادة سوى الله تعالى ، و ان استحق بعضنا على بعض الشكر والحمد . انتهى كلامه و رفع مقامه الشريف .

أقول: الثالث هو الانسب والأشمل .

و في قوله تعالى : « الحكيم الخبير » أقوال: أى الحكيم فى فعله ، الخبير بأمر خلقه . ٢ - قيل : أى الحكيم فى الابتداء ، الخبير بالانتهاء . ٣ - قيل: أى الحكيم فى تدبير خلقه و صرفه إياهم من تقديره ، الخبير بهم و بما يصلحهم ، و بما عملوا ما هم عاملون محيط بجميع ذلك .

٤ - قيل : الحكيم إشارة إلى ان الله تعالى الذى ملك هذا الوجود كله بسلطانه المطلق لم يكن فى هذا السلطان المطلق جور أو استبداد ، لانه سلطان فى يد الحكيم الذى أحسن كل شىء خلقه و أقام كل شىء ما يناسبه ، الخبير إشارة إلى سوء ظن الكافرين و أصحاب الضلالة بالله سبحانه ، و قصور إدراكهم لما لله تعالى من علم ، و انهم لو علموا بعض ما لله من علم و قدرة و سلطان لخافوا بأسه ، و لما جرؤا على عصيانه إذ لا يجرؤ على مخالفة أمر ذى الامر والخروج على سلطان ذى السلطان الا من وقع فى تصوره أن عين صاحب الامر لا تراه ، أو أن سلطان ذى السلطان لا يقدر عليه .

٥ - قيل : الحكيم : الذى أحكم أمر الدارين و دبره حسبما تقتضيه الحكمة ، الخبير هو الذى يعلم ببواطن الامور و حقائق الاشياء ، و بمكنونات الوجود ، و بذلك يليق أن يحمد فى كل حال ، و بذلك محمود فى ذاته و ان لم يحمده أحد من عباده . ٦- قيل: الحكيم بأمره ، الخبير بخلقه . ٧- قيل: الحكيم فى أقواله و أفعاله و فى أحكامه و تشريعاته ، الخبير الذى لا يخفى عليه خافية و لا يغيب عنه شىء .

٨ - قيل : فى الاسمين الكريمين دلالة على أن تصرفه تعالى فى نظام العالم الدنيوى ثم تعقيبه بنظام العالم الاخرى مبنى على الحكمة والخبرة ، فبحكمته عقب الدنيا بالآخرة ، و الالفت الخلقة و كانت عبثاً و باطلاً ، و لم يتميز المحسن من المسيء ، و لا الكافر من المؤمن ، و لا المصلح من المفسد ، و لا المطيع من العاصى ... كما قال : « و ما خلقنا السماء و الارض و ما بينهما باطلاً - أم نجعل الذين آمنوا و عملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار » (ص : ٢٧ - ٢٨) فخبيرته يحشرهم و لا يغادر منهم أحداً و يجزى كل نفس بما كسبت . و الخبير من أسماء الله الحسنى مأخوذ من الخبرة و هى العلم بالجزئيات فهو أخص من العليم .

أقول : و لكل وجه من غير تناف بينها .

٣ - (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لافى الارض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر الا فى كتاب مبين)

فى قوله تعالى : « و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة » أقوال : ١ - عن مقاتل : هم أهل مكة ، و ذلك لأن أبى سفيان قال لكفار مكة : واللوات والعزى لا تأتينا الساعة أبداً ، و لا نبعث قط ، و هم اقرؤا بالابتداء و انكروا الاعداء ، و هذا نقض لما اعترفوا بالقدرة على البعث . و قالوا : و إن قدر لا يفعل . فهذا

تحكم بعد أن أخبر على السنة الرسل : انه يبعث الخلق بعد الموت للحساب والجزاء ، واذا ورد الخبر بشيء وهو ممكن في الفعل مقدور ، فتكذيب من وجب صدقه محال . والمعنى : ان كفار مكة بقيادة أبي سفيان كانوا يقولون منكرين بيوم القيامة : لا تأتينا الساعة و ما نحن بمبعوثين .

فهم ينكرون يوم البعث والحساب والجزاء مع ظهور عموم ملكه و علمه بكل شيء ، فلامورد للارتياح في اتيانها مع ذلك فضلاً عن انكار اتيانها ، ولذلك امر رسول الله ﷺ أن يجيب عن قولهم بقوله : « قل بلى و ربي لتأينكم » أي الساعة .

٢ - قيل: ان الآية بصدد بيان مشهد من مشاهد الجدل والحجاج بين النبي الكريم ﷺ والكفار وموافقهم منه ، و هم يقولون استبطاءً للساعة واستهزاء و سخرية لاتيانها الموعود لا تأتينا الساعة كقولهم : « متى هذا الوعد » أي فلا رجعة بعد الموت و لا بعث و لا حساب إن هي إلا أرحام تدفع و ارض تبلى و ما نحن بمبعوثين . ٣ - قيل : حكاية لانكار فئات الكفار بمجيء الساعة . و اريد باتيان الساعة نعم الاخرة التي أنكرها قوم .

أقول: والاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفي قوله تعالى : «الأنبياء كتاب مبين» أقوال : ١ - قيل: أي في لوح محفوظ.

٢ - قيل : أي في القرآن الكريم . والمعنى : هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه ، فان الله تعالى قد أثبتته و أحصاه فيه و علمه ، فلم يعزب عن علمه . ٣ - قيل: كتاب مبين : كناية عن علم الله تعالى و شموله .

٤ - قيل : الكتاب المبين هو هذا الكون المشتمل على الموجودات ، و

فيه يحصى جميع ما وقع في عالم الصنع والايجاد مما كان وما يكون وما هو كائن من غير ان يطرأ عليه ابهام التغير والتبدل و ستره الخفاء في شيء من نعوته .

٥ - قيل : الكتاب المبين وراء هذا الكون كتب فيه الاشياء صغيرها و كبيرها .

٦ - قيل : اريد بالكتاب كتاب الحفظة الذي كتبه الملائكة السفرة وحفظوه .
أقول : و على الاول أكثر المحققين .

٥ - (والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

في قوله تعالى : « معاجزين » أقوال : ١ - قيل : انهم أرادوا تعجيز النبي
الكريم ﷺ في التقرير والتبليغ . ٢ - قيل : أى يعجزون من آمن بنا . ٣ - عن
الاخفش : أى مسابقين يحسبون انهم يفوتوننا ، و ان الله لا يقدر على بعثهم فى
الآخرة و ظنوا اننا نهملهم . ٤ - عن الفراء : أى معاندين . ٥ - عن ابن زيد :
أى جاهدين ليهبطوها أو يببطوها وهو قولهم : لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه .
٦ - قيل : أى مفادين .

٧ - قيل : أى معانين يحسبون انهم يسبقوننا بأنفسهم فلا تقدر عليهم .
٨ - عن عبد الله بن الزبير وقال السدى : انهم كانوا يعجزون المؤمنين فى الايمان
بالنبي ﷺ وبما جاءهم . وقيل : أى ينسبون من اتبع محمداً ﷺ إلى العجز
كقولهم : جهلته وفسقته . والمعنى : مشبطين عن الاسلام أى نبطوا الناس عن الايمان
بالمعجزات و آيات القرآن . ٩ - عن قتاده والزجاج : أى مقدرين عجزنا .
والمعنى : ظانين انهم يعجزوننا لانهم ظنوا أن لابعث و ظنوا ان الله لا يقدر عليهم .
١٠ - عن ابن عباس : أى مغالين مشاقين .

أقول : و على الثالث أكثر المفسرين و قريب منه التاسع من غير تناف
بينهما و بين بعض الاقوال الاخر .

وفى قوله تعالى : « من رجز » أقوال : ١ - قيل : الرجز : العذاب . ٢ - عن
قتادة : الرجز هو سبب العذاب . ٣ - قيل : اريد بالرجز العمل السيئ ، فيكون
إشارة إلى تبدل العمل عذاباً أليماً عليهم أو سبباً لعذابهم .

أقول : و على الثانى أكثر المفسرين ، والاخير غير بعيد كما قال تعالى :
« والرجز فاهجر » سمي رجزاً لان الكفر والشرك يؤدىان إلى العذاب ، و سمي

كيد الشيطان رجزاً كقوله تعالى: « يذهب عنكم رجز الشيطان » ، لانه سبب العذاب كما ان الاوثان سميت رجزاً لذلك .

٦- (ويرى الذين اتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الي صراط العزيز الحميد)

في « اتوا العلم » اقوال : ١ - عن ابن عباس و قتادة : هم أصحاب النبي الكريم ﷺ الذين كانوا في زمن الخطاب وقيل : هم والتابعون . والمراد من ايتاء العلم : هو إعطائه بخلق العلم لهم بانهم خلقهم عالمين . ٢ - قيل: هم علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و كعب و أضرابهما لانهم كانوا عالمين بان هذا القرآن حق من كتابهم . والمراد بايتاء العلم أى هداهم إلى الادلة التي حصل بها لهم العلم والمعرفة بالحقائق والمعارف والحكم ، و ليس المراد من العلم كل العلم .

٣- قيل: هم علماء الامة الاسلامية المحققون العاملون الذين يرون حقيقة القرآن الكريم عياناً لان المحجوب لا يمكنه معرفة حقيقة الحق ، فمن لم يكن له حظ من العلم و نصيب من المعرفة لايسعه معرفة حقيقة الشيء . ومعنى ايتاء العلم : ان الله تعالى جعلهم مستعدين لتحصيل العلم ثم وفقهم إلى ذلك . ٤ - قيل: هم من قرب من زمان الصحابة و من يلحق بهم .

٥ - قيل : هم كل من آمن بالله تعالى و رسوله ﷺ و بما جاءهم عن أى زمان ومكان كانوا ومن أى جيل يرون هذا ، متى صح علمهم واستقام واستحق أن يوصف بانه العلم وهم العاملون من أهل الكتاب ، ومن أصحاب رسول الله ﷺ و من يلحق بهم من الامة الاسلامية : ان الذي انزل على رسول الله ﷺ من الله تعالى مثبتاً لقيام الساعة ومجازاة كل عامل بما عمل من خير أو شر هو الحق الذي لا شك فيه ، و انه هو الذي يرشد من اتبعه و عمل به إلى صراط مستقيم .

٦ - قيل : هم أهل بيت الرسول ﷺ فقط . ٧ - قيل : اريد بهم من لم

يؤمن من الأحبار أى ليعلموا يومئذ انه هو الحق فيزدادوا حسرة و غمًا .
 ٨ - عن الضحاك : هم مسلمو أهل الكتاب الذين علموا بكتابهم ان هذا
 القرآن حق يقود الانسان إلى سواء السبيل . ٩ - قيل : اريد بهم جميع المسلمين .
 ١٠ - قيل : اريد بهم بعض مسلمى اليهود .

أقول: و على الخامس جمهور المحققين .

١٠ - (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبى معه والطيير وألنا له الحديد)

فى « فضلاً » أقوال : ١ - قيل : أى فضلاً على سائر الانبياء فانه اعطى مالم
 يعط غيره من الانبياء عليهم السلام . ٢ - قيل : أى فضلاً على الناس ، فيندرج فيه النبوة
 والكتاب والملك والصوت الحسن والوجه الحسن ، وفصل الخطاب والمعجزات ...
 ٣ - قيل : أى من الكمالات العلمية والعملية بان قلنا : « يا جبال أوبى
 معه والطيير و ألنا له الحديد » فالفضل : تسخير الجبال وإلانة الحديد له وتسخير
 الناس ، والجملتان التاليتان بيان لما قبلهما . ٤ - قيل : الفضل ههنا : النبوة .
 ٥ - قيل : الفضل : الزبور . ٦ - قيل : الفضل : العلم لقوله تعالى : « ولقد
 آتينا داود وسليمان علماً » النمل : ١٥) ٧ - قيل : القوة كما قال تعالى : « واذكر
 عبدنا داود ذا الأيد » ص : ١٧) .

٨ - قيل : الفضل : التوبة لقوله تعالى : « فغفرنا له ذلك » ص : ٢٥) ٩ - قيل :
 الحكم بالعدل كما قال تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم
 بين الناس بالحق » ص : ٢٦) ١٠ - قيل : الفضل هو إلانة الحديد كما قال جل
 وعلا : « و ألنا له الحديد » ١١ - قيل : هو حسن الصوت والوجه الحسن . ١٢ -
 قيل : أى نعماً و إحساناً و منناً و عطية ان قلنا للجبال : يا جبال رجعى معه التسبيح
 و ردّديه إذا سبح و ألنا له الحديد .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق و فى معناه القول الثانى عشر .

وفى قوله تعالى : « أوبى معه » أقوال : ١ - عن ابن عباس ومجاهد وقتادة

و ابن زيد والضحاك والحسن : أى سبّحى مع داود إذا سبّح لنا . و ذلك ان الله تعالى خلق فى الجبال مثل صوت داود عليه السلام فيسبح معه حينما يسبح لله جل و علا كما أوجد الصوت فى الشجر ، فتكلّم موسى عليه السلام . ٢ - قيل : أى تصرّف فى مع داود اذا صرّف فىك .

٣ - قيل : أى الجبال حملت داود عليه السلام على التسبيح اذا تأمل ما فيها من العظمة بان داود اذا رأى خلقة الجبال و إرتفاعها يعرف كمال قدرة الله جل و علا و غاية حكمته فى خلقه ، فيذكر الله و يسبحه ، فالجبال توجب أن يذكر داود عليه السلام الله تعالى فهى له مذكرات كما يذكر المسيح مسيحاً آخر . ٤ - عن الجبائى : أى سيرى مع داود حينما سار . و هذا من التأويب و هو سير النهار أجمع ، و نزول الليل . و ذلك كانت الجبال و الطير تسيران مع داود أينما سار و كان ذلك معجزة له . ٥ - قيل : أى إرجعى فى التسبيح كلما رجعت فيه .

٦ - قيل : ان السموات و الارض و الجبال و غيرها تسبّح لله تعالى ، و إن لا يفقهه الانسان ، ولكن الله جل و علا أفقه داود تسبيح الجبال و الطير ، فكان هو عليه السلام يدركه و يفقهه ، فليس أصل التسبيح للجبال أمراً جديداً ، وان كان ظهوره أمراً جديداً كتكلم بعض الحيوان . ٧ - قيل : أى ارجعى إلى مراد داود عليه السلام فيما يريده من حفر بئر و استنباط عين و استخراج عين و معدن و وضع طريق . ٨ - قيل : أى اعينيه عليه السلام على حمدنا و شكرنا إذ كانت نعمنا عليه كثيرة فهو لا يستطيع على شكرها مهما اجتهد فى الشكر و بالغ فى الحمد .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين ، و فى الرابع روايات فانتظر .

وفى قوله تعالى : « و ألنا له الحديد » أقوال : ١ - عن ابن عباس و السدى و مقاتل و قتادة : أى جعلنا الحديد فى يد داود كالشمع ، بصرفه كيف يشاء من غير تعب و إحماء و وسيلة و إعمال قدرة . و المعنى : و جعلنا له الحديد ليناً فى نفسه كالشمع بصرفه فى يده كيف يشاء من غير إحماء بنار ولا ضرب بمطرقة .

و عن الحسن انه قال : أى كالعجين فكان يعمله من غير نار . ٢ - قيل : أى جعلنا الحديد بالنسبة إلى قوته التى آتيناها إياه ليناً كالشمع بالنسبة إلى سائر القوى البشرية ، فسهل تصويره وتصريفه كما يشاء وجعله ليناً له على ما به من الصلابة . ٣ - قيل : أى أخضعنا الحديد لسلطان داود وجعلنا له القدرة على التصرف فيه وتشكيله على الوجه الذى يريد فان الله تعالى ألان الحديد ليد داود عليه السلام وغير طبيعته ، فجعله فى يده مثل العجين يشكله كيف يشاء كما يشكل المرء صورة من الطين أو العجين .

٤ - قيل : ان إلانة الحديد لداود كانت جارية على سنن الحياة إذ علمه الله تعالى الطريق و الاسلوب الذى يلين به الحديد ، و هو عرضه على النار و النفخ فى النار حتى تحمر ، و يقبل الطرق ، و ذلك ما لم يكن معروفاً للناس فى ذلك الزمان ، ولهذا كان داود أول من صنع من الحديد دروعاً كما قال تعالى : «وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم » الانبياء : ٨٠) و بهذا يكون داود عليه السلام أول من طرق الحديد متوسلاً إلى ذلك بما علمه الله تعالى من عرض الحديد على النار حتى يلين و يقبل الطرق .

أقول : و الاول هو الانسب بأمر الاعجاز ، و هو المؤيد بالروايات الآتية ، و فى معناه الثالث من الاقوال .

١١ - (أن اعمل سابغات و قدر فى السرد و اعملوا صالحاً انى بما تعملون بصير)

فى « و قدر فى السرد » أقوال : ١ - أى لانتغلظ المسامير فيتسع الثقب و لانوسع الثقب ، فتقلقل المسامير فيها . والمعنى : فلا تجعل المسامير دقاً فتقلقل ، ولا غلاظاً فتكسر الحلق . والمراد اتقان العمل وتحسين الصنعة وضبطها على أحسن وجه لها . فلا بد لكل صانع ان يحسن صنعته ، وأن يخرجها على الوجه المرضى ، فان إحكام العمل و اتقان الصنعة مما يحسب من صالح الاعمال للانسان ، فليس

الاحسان فى العمل و إحكامه و اتقانه مطلوباً من الانبياء و حدهم ، و انما هو مطلوب من كل انسان فى أفعاله ...

٢ - قيل : السرد هو عمل الزرد ، ففيه إشارة إلى انه عمل غير مأثور به على وجه الايجاب بل هو اكتساب ، و الكسب يكون بقدر الحاجة ، و باقى الايام و الليالى للعبادة ، فقدر فى ذلك العمل ، و لانشغل جميع أو قاتك بالكسب ، بل حصل به القوت فحسب ، كما يدل على ذلك قوله تعالى : « و اعملوا صالحاً » .

٣ - قيل : أى وقدر الدروع و آلات الحرب على أتم النظم و أحكم الاوضاع ، بأن تجعل حلقاتها على قدر الحاجة ، فلاهى بالضيق فتضعف و لا تؤدى وظيفتها لصدى الكر و الفر و الشد و الجذب ، و لاهى بالواسعة التى ربما ينال صاحبها من خلالها الأذى ، و هذا تعليم من الله تعالى فى إجادة نسج الدروع .

٤ - قيل : أى قدر فى المسامير التى فى الحلقة ، قال قتادة : كانت الدروع قبل داود عليه السلام صفائح فكانت ثقلاً ، فلذلك امره هو عليه السلام بالتقدير فيما يجمع من الخفة و الحصانة أى قدر ما تأخذ من هذين المعنيين بقسطه أى لا تقصد الحصانة فثقل و لا الخفة فتزبل المنعة . و ان داود عليه السلام أول من صنع الدروع و كان يجعلها بغير نار و لا يقرعها بحديد ، ثم يسردها . و السرد : المسامير التى فى الحلق . و قال ابن زيد : التقدير الذى امر به هو فى قدر الحلقة أى لا تعملها صغيرة فتضعف فلا تقوى الدروع على الدفاع ، و لا تعملها كبيرة فينال لابسها . فالسرد : الحلق . و قال ابن عباس : التقدير الذى امر به هو فى المسمار . أى لا تجعل مسمار الدرع رقيقاً فيفلق و لا غلظاً فيفصم الحلق . و انما لأن الله تعالى الحديد لداود عليه السلام لانه أحب أن يأكل من كسب يده فالأن الله جل و علا الحديد له و علمه صنعة الدروع و كان هو أول من اتخذ صنعها اذ كان يصنعها و يبيعها و يأكل من ثمنها و ينفق عياله و يتصدق منه .

أقول : و الرابع هو المروى .

١٢ - (و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر و أسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزرع منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

في قوله تعالى : « غدوها شهر و رواحها شهر » أقوال : ١ - عن قتادة : أي انتصاف النهار مسيرة شهر، و رواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر. فتغدو مسيرة شهر و تروح مسيرة شهر في كل يوم على مسيرة شهرين . فكانت تقطع الريح به عليه السلام من الغدو إلى الزوال مسيرة شهر، و من الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، إذ كانت الريح تجرى من الغداة إلى منتصف النهار مسيرة شهر، و من منتصف الليل إلى الليل مسيرة شهر.

وقيل : و من هنا يمكننا أن نحدد سير الريح في ساعة واحدة . فكانت الريح تحمل كرسى سليمان ، فتسير به في الغداة مسيرة شهر و بالعشى مسيرة شهر . فجعل الله تعالى توجهها غادية إلى بقعة معينة وهي الأرض المقدسة يستغرق شهراً و رواحها أي انعكاس اتجاهها في الرواح يستغرق شهر كذلك ، وفق مصلحة تحصل من غدوها ، و رواحها يدر كها سليمان عليه السلام و يحققها بأمر الله تعالى .

و قيل : ان رقعة مملكة سليمان كانت مقصورة في حدود فلسطين تقطعها الريح في غدوة أو روحة من نهار .

٢ - عن الحسن : كانت الريح تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب ، فكان سليمان يغدو من دمشق فيقيل باصطنخ من أرض اصبهان و بينهما مسيرة شهر للراكب ، و يروح من اصطنخ فيبيت بكابل و بينهما مسيرة شهر و تحمله الريح مع جنوده أعطاه الله الريح بدلاً من الصافنات الجياد .

٣ - عن السدي : أي كانت تسير به عليه السلام في اليوم مسيرة شهرين . و عن ابن عباس : كان سليمان عليه السلام اذا جلس نصبت حواليه اربعمأة ألف كرسى ثم جلس رؤساء الجن مما يليه ، و جلس سفلة الانس مما يليهم ، و جلس رؤساء الجن مما يلي سفلة الانس، و جلس سفلة الجن مما يليهم و موكل بكل

كرسى طائر لعمل قد عرفه ثم تقلبهم الريح والظير تظلمهم من الشمس ، فيغدو من بيت المقدس إلى اصطخر، فيبيت ببيت المقدس . وعن الحسن: شغلت سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر فعقر الخيل فابدله الله خيراً منها ، وأسرع أهد له الريح تجرى بأمره حيث شاء غدوها شهر و رواحها شهر . و عن ابن زيد : كان مستقر سليمان عليه السلام بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض والاصفر .

٤ - قيل : الغدو هو الذهاب في الصباح ، والرواح هو العودة في المساء أيضاً . والمعنى : ان ما كان يسار في وقت الغدو على الريح من المسافة ذهاباً يعدل مسيرة شهر ، و ما كان يسار في وقت الرواح يعدل مسيرة شهر آخر . فكانت مسيرة الريح المسخرة لسليمان في غدوة تقدر بمسيرة شهر سيراً على القدم كما ان مراوحها و رجوعها من غدوتها يعدل مسيرة شهر كذلك .

أقول: و على الثالث أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « و أرسلنا له عين القطر » أقوال : ١ - عن ابن عباس ومجاهد والسدي و ابن زيد : أى أذنبا لسليمان عليه السلام و أجرينا له عين الصفر ثلاثة أيام بلياليهن . ٢ - عن ابن عباس أيضاً والخليل وقتادة : أى أجرينا له عليه السلام نبوع النحاس المذاب ، فاسيلت له مسيرة ثلاثة أيام كما يسيل ماء العيون . و كانت بأرض اليمن ، و لم يذب النحاس لاحد قبله ، و كان لا يذوب و من وقته ذاب ، و انما ينتفع الناس اليوم بما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام . و كان في ذلك دلالة على نبوته و من جملة معجزاته . . .

٣ - عن قتادة أيضاً : أى أسأل الله تعالى له عيناً يستعملها فيما يريد . ٤ - قيل : أى أجرينا له عليه السلام نبعاً من النفط أو عيناً من النفط حيث يكون أسود كثيفاً ، و ان هذا كان يسمى القطر و منه القطران أو الزفت .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه » أقوال :
 ١ - قيل : كانت الجن ظاهرة يراها الناس فيعملون معهم ، و كان ذلك معجزة
 لسليمان عليه السلام . ٢ - قيل : كانت الجن في تسليط سليمان عليه السلام و لم تكن ظاهرة
 بحيث يراها الناس ، فكان الناس يعملون ، وكانت الجن تؤيدهم في أعمالهم كما
 نصر الله تعالى المسلمين بالملائكة في بعض الغزوات و قال : « و أرسل جنوداً
 لم ترها » ٣ - قيل : لا يراها الناس ولكن كان سليمان يراها . و قال ابن عباس :
 ان الله تعالى سخر الجن لسليمان و أمرهم بطاعته فيما يأمرهم به .
 أقول : والاول هو الظاهر .

وفي قوله تعالى : « نذقه من عذاب السعير » أقوال : ١ - قيل : اى من
 عذاب الدنيا . و ذلك كان لسليمان ملك ، و بيده سوط من نار ، فكل من استعصى
 عليه ضربه بذلك السوط ضربة من حيث لا يراه الجنى فأحرقته . ٢ - قيل : اى
 عذاب النار فى الآخرة . ٣ - قيل : اى فى الدنيا والآخرة .
 أقول : و على الثانى أكثر المفسرين ، ولكن الاول غير بعيد .

١٣ - (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور
 راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

فى « محاريب » أقوال : ١ - قيل : محاريب جمع محراب يصنع فى مقدم
 المساجد و هو مكان إقامة الصلاة و العبادة للامام . ٢ - عن الضحاك : اريد بمحاريب
 ههنا مساجد نفسها . فالمراد بالمحاريب بيوت العبادة . ٣ - قيل : اى أبنية رفيعة
 كما قال تعالى : « إن تسودوا المحراب » و قيل : المحراب ما يرقى إليه بالدرج
 كالغرفة الحسنه . ٤ - عن قتادة و الجبائى : اى قصور حصينة ، و مباني شاهقة ،
 و مساكن عظيمة شامخة و مساجد شريفة ، سميت بها لانها يذب عنها و يحاب
 عليها و يتعبد فيها .

٥ - عن مجاهد : اى ببيان دون القصور . ٦ - عن أبى عبيدة : المحراب

أشرف بيوت الدار . ٧- قيل: المحراب كل موضع مرتفع . ٨- قيل: أى مجالس رفيعة شريفة مصنوعة عن الابتذال . ٩- عن ابن زيد : أى مساكن . ١٠- قيل : أى بيوت الشريعة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، ولكن الثانى غير بعيد من باب اطلاق الجزء على الكل .

وفى قوله تعالى : «تمائيل» أقوال: ١- عن أبى العالية: أى تمائيل الملائكة والانبيا على ما اعتادوا من العبادات ليراها الناس فيعبدون على عادتهم . وقال ابن عباس : كانوا يعملون صور الانبياء والعباد فى المساجد ليقصدى بهم . وان حرمة التصاوير شرع مجدد .

٢- قيل : هى ما يكون فى الابنية من النقوش . . . ٣- قيل : تمائيل : جمع تمثال و هو كل ما صور على مثل صورة من حيوان أو غير حيوان . ٤- عن الضحاك وقتادة : كانت من زجاج و نحاس و رخام تمائيل أشياء ليست بحيوان . وقيل : صور للحيوانات .

٥- قيل : هى صور العلماء . ٦- قيل : أى طلسمات كان يعملها و يحرم على كل مصور أن يتجاوزها فلا يتجاوزها ، فيعمل تمثالاً للذباب أو للبعوضات أو للتماسيح فى مكان ، و يأمرهم ألا يتجاوزوه فلا يتجاوزوه واحد أبداً ما دام ذلك التمثال قائماً . ٧- قيل : هى تمائيل الاشجار والنباتات و ما لا روح له . ٨- قيل: هى تمائيل الرجال اتخذهم من نحاس ، و سئل ربه أن ينفخ فيها الروح ليقاتلوا فى سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح . ٩- قيل : هى تمائيل من الطير كانت على كرسى سليمان عليه السلام . ١٠- قيل : هى هياكل مختلفة و صور مجسمة من أشياء يزين بها ما يبنى من دور و قصور و بيوت عبادات . . .

١١- قيل : كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسى سليمان عليه السلام ليكون أهيب له ، فذكروا انهم صوروا أسدين أسفل كرسيه ، ونسرين فوق

عمودى كرسيه ، فكان إذا أراد أن يصعد الكرسي بسط الاسدان ذراعيهما ، وإذا علا على الكرسي نشر النسران أجنحتهما فظللاه من الشمس . ويقال : ان ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بنى اسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الاسد ذراعيه ، فضرب ساقه فقدّها فوق مفضياً عليه فما جسر أحد بعده أن يصعد ذلك الكرسي .
أقول : والسابع هو المروى .

وفي قوله تعالى : « وجفان كالجواب » أقوال : ١ - عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك : جمع جفنة وهي قصعة كبيرة يوضع فيها الطعام للآكلين . وكالجواب أى كالحياض جمع الجوبة وهي من الأرض ما يستنقع فيه الماء . قيل : أى كحياض الابل فى العظم . وعن مجاهد والكسائي : الجوبة : الحوض الذى يجمع فيه الماء للابل . ٢ - قيل : جفان : جمع جفنة وهي صحيفة الطعام ، والجواب : جمع جابية وهي الحوض الكبير الذى يجبى فيه الماء . ٣ - قيل : جفان : جمع جفنة وهي قدر عظيم وكالجواب : كالحفرة الكبيرة التى تكون فى الجبل يجبى فيها ماء المطر . وقيل : كالحفيرة . ٤ - قيل : جفان : جمع جفنة وهي التى كان يقعد عليها الفارجل ، فبأكلون منها وكان بمطبخه ^{للإمام} كل يوم اثناعشر ألف شاة وألف بقرة ، وكان له ^{بالبصرة} اثناعشر ألف خباز ، واثنا عشر ألف طبّاخ يصلحون الطعام فى تلك الجفان لكثرة القوم . وقيل : كان سليمان يصلح طعام جيشه فى مثل هذه الجفان فانه لم يمكنه أن يطعمهم فى مثل قصاع الناس لكثرتهم . ٥ - قيل : جفان : قصاع وصحاف يؤكل فيها ، واحدتها جفنة . والجواب : جمع جابية وهي الحوض الكبير يجبى إليه الماء يقال : كان يجلس على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها .
أقول : والخامس هو الانسب بمعناه اللغوى وعليه أكثر المفسرين .
وفي قوله تعالى : « وقد ورر اسيات » أقوال : ١ - عن سعيد بن جبير : قدور : جمع قدروها ما يطبخ فيه الطعام وينضج على النار ، وكانت بفارس . وقيل :

باليمن . وثابتات في أمكنتها لايزلن عنها لعظمتها . ٢- عن مجاهد و قتادة والضحاك وابن زيد : هي قدور تعمل من الجبال ، ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمتها يعمل فيها الطعام كما قال للجبال : راسيات . ٣٠٠- قيل قدور: جمع قدر وهي آنية للطبخ وكانت هي عظيمة كالجبال يحملونها مع أنفسهم ، وكان سليمان عليه السلام يطعم جنده .

أقول: والثاني هو المروي وغيره لا يخلو من وجه .

وفي قوله تعالى : « آل داود » أقوال : ١- قيل : أي داود نفسه . ٢- قيل :

أي داود وسليمان وأهل بيته . ٣- قيل : هو وقومه جميعهم .

أقول: والثاني هو المؤيد بالرؤايات الآتية فانتظر وتدبر جيداً .

وفي قوله تعالى : « شكرأ » أقوال : ١- عن محمد بن كعب : الشكر هو

تقوى الله تعالى والعمل بطاعته . ٢- عن ابن زيد : الحمد والثناء قبال تلك النعم

العظيمة من تسخير الحديد والطير والجبال والجن وما إليها . وعن الزهري : أي

قولوا : الحمد لله . قيل : الشكر: الاخلاص والتوحيد . وقيل : أي قليل من عبادى

الموحدون توحيدهم . ٣- قيل : اريد بالشكر الصلوات الخمس . ٤- قيل:الشكر

بعمل الابدان دون الاقتصاد على عمل اللسان ، فالشكر بالافعال عمل الاركان

والشكر بالاقوال عمل اللسان .

٥ - عن مجاهد : أي اعملوا بطاعة الله شكرأ له على ما آتاكم من النعم .

قيل : ان الفرق بين الشكور والشاكر: ان الشكور من تكرر منه الشكر والشاكر

من وقع منه الشكر . قال ابن عباس : أراد به المؤمن الموحد .

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « وقليل من عبادى الشكور » أقوال : ١- قيل: أي قليل

منهم يشكرون بألسنتهم و يذكرون نعم الله تعالى و يظهرونها . ٢- قيل : أي

قليل منهم يتذكرون بقلوبهم المنعم و نعمه بانها منه تعالى إليهم . ٣- قيل :

أى قليل العامل بطاعتي شكراً لنعمتى ، فالاول شكر اللسان والثانى شكر القلب.
٤- قيل : أى لا يمكن أداء الشكر حتى المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه و
جوارحه أكثر أوقاته ، ومع ذلك لا يوفى حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعى
شكراً آخر لا إلى نهاية ، ولذلك لا يستطيع أحد ان يشكر الله تعالى حق شكره .

٥- قيل : الشكور من يرى عجزه عن الشكر . فان الشكور هو البازل وسعه
فى الشكر قد شغل قلبه ولسانه وجوارحه به اعترافاً واعتقاداً وعملاً . ٦- قيل :
ان أكثر الناس غافلون عن نعمة الله تعالى ، وقليل منهم يتذكرون بذلك . ٧-
قيل : أى قليل من عبادى من يطيعنى شكراً لنعمتى ، فيصرف ما أنعمت به عليه
فيما يرضينى ، فالشكور هم أوحيدون من الناس فى كل وقت ومكان .
أقول: وعلى الاول أكثر المحققين .

١٤ - (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل
منسأته فلما خرت تبينمت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب
المهين)

فى «فلما قضينا عليه الموت» أقوال : ١- قيل: أى فلما حكمنا على سليمان عليه السلام
بالموت . ٢- قيل : أى أوجنا على سليمان الموت . ٣- قيل : أى مضينا قضاءنا
على سليمان عليه السلام بالموت حتى صار كالامر المفروض عنه ووقع عليه الموت .
أقول: ولكل وجه والمآل واحد .

وفى قوله تعالى : «دابة الارض» أقوال : ١- عن ابن عباس ومجاهد وقتادة:
هى الارضة التى تأكل عصا سليمان عليه السلام . والمعنى : فمات سليمان وبقي خاض الحال
إلى أن سقط ميتاً لانكسار العصا لأكل الارضة إياها ، فلم بموته بذلك ، فكانت
الارضة دالة على موته أى سبباً لظهور موته . ٢- قيل : هى دابة تأكل العيدان .
وقيل : أى دريئة تأكل الخشب . يقال لها : القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى
اذا أكلت جوف العصا ضعفت ونقل عليها فخر ميتاً . ٣- قيل : كانت عصا سليمان

من بعض أغصان الزيتون الخضراء التي لم تجف بعد ، وكانت هناك شاة أو نحوها قد تمسحت به ومدت فمها إلى العصا تريد الأكل منها ، فوضعت العصا وخر سليمان اذ كان ميتاً .

٤- عن السدى : هي الطين الذي يكون في جوف الخشب ، فانه مما يأتيها به الشياطين ٥- قيل : هي دودة تسلط على الخشب ، فتتخر فيه وتفسده وتسمى «السوس» وانها ظلت تفعل هذا مدة طويلة بلغ بها بعضهم سنة . ٦- قيل : هي الارض نفسها . ولعل ذلك لاضافة الدابة إلى الارض أي انها صغيرة ضئيلة ملتصقة بالارض كبعض الحشرات . . . ٧- قيل : هي الدابة التي تأكل من عصى سليمان شيئاً أكبر من الارضة . ويحتمل أن تكون الدابة متعددة . ٨- قيل : كانت حيواناً كبيراً مما يدب على الارض أرادت أن يتناول العصا بفمها ، ويحاول الأكل منها كبعض الحيوانات آكلة العشب .

أقول: دابة الارض هي دويبة صغيرة كنصف العدسة تقرض الخشب ، و اذا أتى على الارضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ، وهي دابة الارض التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام وان النمل عدوها وهو أصغر منها ، فيأتيها من خلفها فيحملها ويمشى بها إلى جحره و اذا أتاها مستقبلاً لا يغلبها لانها تقاومه .

وفي قوله تعالى : «منسأته» أقوال : ١- عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة و قتادة وابن زيد : هي العصا التي كان يتكئ بها سليمان عليه السلام من نسأت الغنم أي زجرتها وسقتها ، فسميت العصا بذلك لانه يزجر بها الشيء ويساق . ٢- عن السدى : هي العصا بلسان الحبشة . ٣- قيل : هي العصا بلسان اليمن .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين والمعاني متقارب .

وفي المدة التي كان سليمان متكئاً على عصاه وهو ميت وكان الجن يزعمون انه حي أقوال : ١- عن ابن عباس : كانت سنة . وقال : أقام سليمان عليه السلام حوالاً لا يعلم بموته وهو متكئ على عصاه والجن منصرفه فيما كان يأمرها به ثم سقط بعد

حول ، فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين . قيل : وذلك سئل سليمان الله تعالى ألا يعلم الجن بموته حتى تمضى عليه سنة وسبب ذلك أمران - أحدهما - ان الجن كانت تدعى علم الغيب ، فلما مات سليمان عليه السلام وخفى موته عليهم استبان للجن بانهم لا يعلمون الغيب .

قال ابن مسعود : أقام سليمان عليه السلام حولاً و الجن تعمل بين يديه حتى أكلت الارضة منسأته فسقط . ٢- قيل : لما سقط لم يعلم منذمات ، فوضعت الارضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قدمات منذسنة . ثانيهما - انه كان رؤساء الجن سبعة و كانوا منقادين لسليمان و كان داود عليه السلام أسس بيت المقدس ، فلما مات أوصى إلى سليمان فى إتمام مسجد بيت المقدس ، فأمر سليمان الجن به ، فلما دنا وفاته قال لاهله : لا تخبروني بموتى حتى يتموا بناء المسجد وكان بقى لاتمامه سنة .

٣- قيل : كانت المدة أقل من سنة . ٤- قيل : أكثر من سنة ٥- قيل : ان الارضة بدأت العصا ولم يتنبه بذلك سليمان عليه السلام فاتكىء عليها يوماً فانكسرت فسقط عليه السلام على الارض ، فعلمت الجن كذبها تنبيهاً على عدم إحاطة سليمان على كل شىء فى حياته و تسليط الله تعالى الارضة على عصاه و هو غافل عنها . و عن ابن مسعود أيضاً : كان سليمان يتجرد فى بيت المقدس سنة و سنتين وشهراً و شهرين ، و أقل من ذلك و أكثر يدخل طعامه و شرابه ، فادخله فى المرة التى مات فيها لم يكن يصبح يوماً إلا و تنبت شجرة كان يسئلهها سليمان ، فتحبره عن اسمها و نفعها و ضررها فرآى يوماً نباتاً فقال : ما اسمك ؟ قال : الخرنوب قال : لأى شىء أنت ؟ قال للخراب ، فعلم سليمان عليه السلام انه سيموت فقال : اللهم عم على الجن موتى ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب ، وكان قد بقى من بنائه سنة ، وقال لاهله : لا تخبروا الجن بموتى حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه ، و قام متمكناً على عصاه فمات و بقى قائماً سنة ولما تم البناء سلط الله تعالى على منسأته الارضة

حتى أكلتها فخر ميتاً فعرف الجن موته وقد كانوا يحسبونه حياً لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك .

و قيل : ان في إمامته قائماً و بقائه كذلك أغراضاً : منها - إتمام البناء . و منها - أن يعلم الانس ان الجن لا تعلم الغيب و انهم في إدعاء ذلك كاذبون . و منها - أن يعلم ان من حضر أجله فلا يتأخر إن لم يؤخر سليمان مع جلالته . و روى : انه اطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل و تحنط و تكفن و الجن في عملهم .

أقول : و الاول هو المراد .

و في عمر سليمان بن داود عليه السلام أقوال : ١ - قيل : كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثاً و خمسين سنة ، ملك و هو ابن ثلاث عشرة . و قيل : ابن سبع عشرة سنة ، و بقي في ملكه إلى أن مات و ابتداء بناء بيت المقدس لاربع مضي من ملكه . ٢ - عن السدي : كان عمر سليمان عليه السلام سبعاً و ستين سنة و ملك و هو ابن سبع عشرة سنة ، وابتداء في بنيان بيت المقدس و هو ابن عشرين سنة و كان ملكه خمسين سنة . ٣ - قيل : انه عاش سبعمئة سنة و اثناعشر سنة .

أقول : و الاخير هو المراد .

و في قوله تعالى : « تبينت الجن » أقوال : ١ - عن ابن عباس و قتادة : أي تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب مهين . والمعنى : تبين و ظهر للانس و انكشف لهم أمر الجن انهم لا يعلمون الغيب ، بل هم كانوا كاذبين اذ كانت الجن تخبر الانس : انهم يعلمون من الغيب أشياء و انهم يعلمون ما في غد ، فابتلوا بموت سليمان ، فمات ، فلبث سنة على عصاه و هم لا يشعرون بموته و هم مستخرون تلك السنة يعملون دائبين .

٢ - عن الزجاج : أي تبينت الجن موته عليه السلام فشكرت الجن للارضة فكانت

تأتيها بالماء . ٣ - قيل : أي تبين أمر الجن بانهم لا يعلمون الغيب . على حذف

المضاف كقوله تعالى : « و اسئل القرية » على نحو قولك : تبين زيد جهله . ٤ -
 قيل : أى علم الجن كلهم بعد إلتباس الامر على عامتهم ان كبارهم و رؤساء هم
 لا يعلمون الغيب وكان ادعاءهم ذلك من قبل زوراً . ٥ - قيل اريد بذلك التهمك
 بهم بان الذين ادعوا منهم علم الغيب اعترفوا بعجزهم مع انهم كانوا من قبل عارفين
 بعجزهم كما لو قلت لمدعى الباطل اذا دحضت حجته : هل تبينت انك مبطل و أنت
 تعلم انه لم يزل متبيناً لذلك .
 أقول : و الاول هو المروى .

و فى قوله تعالى : « فى العذاب المهين » أقوال : ١ - قيل : أى السخرة
 و العمل و البنيان و غير ذلك ان كان ذلك عذاباً مهيناً للجن . ٢ - قيل : أى فى
 الاعمال الشاقة ، و انما سماها عذاباً للمشاق التى فيها لا انه كان عذاباً ، فليس
 ذلك إلا أن يكون عبادة له أو بمنزلة ما يعوضون عليه أى ما عملوا مسخرين
 لسليمان عليه السلام وهو ميت وهم يظنون انه حي . ٣ - قيل : العذاب المهين : إقامتهم
 على الخدمات الشاقة مدة طويلة بعد موته .
 أقول : و لكل وجه و المآل واحد .

فى تفسير المرائى : قال : « فليس من الجائز أن خدم سليمان لا يتنبهون
 إلى القيام بواجباته المعيشية من مأكلا و مشرب و ملبس و نحوها يوماً كاملاً
 دون أن يحادثوه فى ذلك و يطلبوا إليه القيام بخدمته » .

و قد اتبعه بعض المتفسرين المتجددين المستغربين فى هذا الاشكال الواهى
 السخيف و قال : كيف كان يظل سليمان هذا الزمن الطويل الذى يتجاوز الايام
 إلى الاسابيع و الشهور بل إلى سنة ، و هو عليه السلام نائم من غير أن يفتقده أحد من
 وزرائه و أخصائه ، من أعوانه و عماله ، و من رعيته و عياله . . . ؟ و ذلك مما
 لا يقبله العقل و لا يؤيدّه العلم ، و كيف لم تتغير حجته و لم تتحلل خلال هذه
 المدة !! انه من غير المعقول الذى يرتفع إلى درجة المستحيل ، أن يغيب

سليمان عليه السلام عن تدبير مملكته أياماً فضلاً عن سنة ، فلا يلتفت إليه أحد !! إن أي انسان ذى شأن لا يمكن أن تغفل عنه العيون يوماً أو بعض يوم فكيف بصاحب هذا السلطان العظيم ؟ وكيف كانت الارضة متسلطة على عصا سليمان عليه السلام و هو لا يعلم ، و انه كان يحمل تلك العصا ؟ وكيف كانت الجن لا يعلمون ذلك حتى وقعت هذه الواقعة ؟؟؟ .

أقول: كل ذلك مدفوع بنفس قصة تسخير الرياح والجن والطيور والشياطين و عملهم لسليمان عليه السلام و تكلم النمل و اتيان عرش عظيم بلقيس بطرفة العين و غير ذلك من معجزاته عليه السلام التي كانت تثبت نبوته عليه السلام و أما العقل فالسليم منه يقبل ، و أما العلم الذى ينال به الانسان على طريق التحصيل والتعلم فلا يؤيد معجزة من معجزات نبي من الانبياء عليهم السلام ، فان المعجزة أمر غير عادى لا يدرك بأمر عادى .

وفى المجمع : قال الطبرسى قدس سره : « وأما الوجه فى عمل الجن تلك الاعمال العظيمة فهو ان الله تعالى زاد فى أجسامهم و قوتهم و غير خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطاقاتهم ورقة أجسامهم على سبيل الاعجاز الدال على نبوة سليمان ، فكانوا بمنزلة الاسراء فى يده و كانوا تهيئاً لهم الاعمال التى كان يكلفها إياهم ثم لما مات عليه السلام جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه ، فلا يتهيئاً لهم فى هذا الزمان شىء من ذلك » .

أقول: و ذلك ظاهر فى تجسم ملائكة الوحي إلى الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين بصور مختلفة ثم تحول لهم إلى ما كانوا عليه من اللطافة والرقه . . .

١٥ - (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

فى « سبأ » أقوال : ١ - قيل : انه أبو عرب اليمن كلها . و قد تسمى به القبيلة نحو تميم . ٢ - قيل : اريد بسبأ ههنا بلاد سبأ أى اليمن من بلاد الشام

باسم جدّهم . ٣ - قيل : سبأ اسم حيّ أو الاب الأكبر . قال ابن عباس : و هو في الاصل : اسم رجل ولد عشرة من العرب : فتيامن منهم ستة وتشاعم منهم أربعة ، فأما الذين تشاعموا : فلخم وجذام وغسان وعاملة ، وأما الذين يتامنوا : فالازد والاشعريون و حمير و كندة و مذحج و أنمار . والرجل هو : سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . والمراد من سبأ ههنا : القبيلة الذين هم أولاد سبأ ، وقد نشأ عن سبأ هجرة كثيرة من قبائل اليمن إلى شمال جزيرة العرب و سواحلها الشرقية ، و بلاد الشام والعراق منهم الاوس والخزرج الذين نزلوا في يثرب « المدينة المنورة » و منهم الغاسنة الذين أنشأوا دولة في بلاد الشام ، و منهم اللخميون الذين انشأوا دولة في بلاد العراق ، و منهم عبد القيس الذين انشأوا دولة في عمان و قد قدر المؤرخون انه حدث قبل البعثة النبوية صلى الله عليه وآله بنحو أربعمئة عام .

٤ - عن أبي عبيد : سبأ إسم للقبيلة . ٥ - قيل : إسم مدينة مأرب وبينها و بين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام .
أقول : والثالث هو المروى .

وفي قوله تعالى : « في مسكنهم » أقوال : ١ - قيل : اريد بمسكنهم مسكن كل واحد منهم . ٢ - عن الضحاك : أي موضع سكناهم و هو بلدهم و أرضهم و هم كانوا في الفترة التي بين عيسى بن مريم عليه السلام و بين نبينا محمد صلى الله عليه وآله .
٣ - قيل : أي منازل آل سبأ في أرض اليمن . يقال لها : مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال . . . ٤ - قيل : اريد بمسكنهم الحياة التي كانوا فيها .
أقول : و على الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « آية » أقوال : ١ - قيل : أي لما أعرض أهل الجنتين عن الشكر لله تعالى عليهما ، فخر بهم الله جل وعلا وأبد لهم عنهما الخمط والائل آية وعبرة لهم خاصة ، وللناس كافة . و ذلك لان أهل سبأ انحرفوا عن جادة الحق

و كفروا بنعمة الله تعالى ، فعاقبهم ومزقهم كل ممزق وجعلهم أحاديث للناس .
 ٢ - عن ابن زيد : ان الآية : انه لم يكن في بلدهم بعوضة و لا ذباب و لا
 عقرب و لا حية ، و كان الغريب اذا دخل في بلدهم ، و فى ثيابه قمل ماتت ولم
 يرد بستانين فحسب ، وانما أراد جماعتين من البستانين : جماعة عن يمين بلدهم ،
 و اخرى عن شمالها و كل واحدة من الجماعتين فى تقاربهما و تضامهما كأنهما
 جنة واحدة أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه و شماله كقوله تعالى :
 « جعلنا لاهدما جنتين من أعناب كلوا من رزق ربكم » .

٣ - عن قتادة : ان الآية هى الجنتان كانت المرأة تمشى فيهما ، وعلى رأسها
 مكتل فيمتلىء من أنواع الفواكه من غير أن تمسها بيدها . ٤ - قيل : أى جعل
 الله تعالى قصة الجنتين عبرة لاهل الكفر والطغيان . ٥ - قيل : أى علامة دالة على
 الصانع و كمال إقتداره و وجوب شكره . ٦ - قيل : أى لقد كان لوليد سبأ فى
 مسكنهم علامة بينة و حجة واضحة على انه لارب لهم إلا الذى أنعم عليهم النعم
 التى كانوا فيها ، و علامة على سبوغ نعمه عليهم . ٧ - قيل : اريد بالآية خروج
 الازهار و الثمار من الاشجار على إختلاف ألوانها و طعومها . . .
أقول : و لكل وجه ، و التعميم غير بعيد لمكان تنكير « آية » .

وفى قوله تعالى : « جنتان عن يمين و شمال » أقوال : ١ - عن ابن زيد
 و قتادة : ان الجنتين كانتا للمرأة ، و هى كانت بين جبلين باليمن ، و جند فيهما
 قصران مكتوب على أحدهما : نحن بنينا سلحين فى سبعين خريفاً دائبين ، و على
 الاخر مكتوب : نحن بنينا صر و ارح مقييل و مراح ، فكانت إحدى الجنتين عن
 يمين الوادى و الاخر عن شماله .

٢ - قيل : لم يرد جنتين اثنتين ، بل اريد من الجنتين يمنة و يسرة أى
 كانت بلادهم ذات بساتين و أشجار و ثمار تستمر الناس ببطنها . فالجنتان : جماعتان
 من البساتين : جماعة عن يمين بلدهم ، و اخرى عن شمالها ، كأن كل واحدة

من الجماعتين في تقاربها و تضامها جنة واحدة .

٣ - قيل : أى بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه و شماله كقوله تعالى : « جعلنا لآحدهما جنتين من أعناب » ٤ - قيل أى بستانيين عن يمين من أتاها و شماله . ٥ - قيل : أى جنتان عن يمين البلد و شماله . ٦ - قيل : اريد باليمين و الشمال : كثرة الخير من حولهم ، حيث يملئون أيديهم منه ، و حيث يتناولونه من قريب إن أرادوه بيمينهم و جدوه و إن أرادوه بشمالهم تناولوه . من غير أن يجهدوا أنفسهم بالتحول من اليمين إلى الشمال أو العكس و المراد بالجنتين عيناً و شمالاً الاحاطة بهم من كل جانب .

أقول : و على الثاني أكثر المحققين و قريب منه الرابع و الخامس .
وفى قوله تعالى : « كلوا » فى الأمر أقوال : ١ - قيل : هذا حكاية عن لسان الحال ، ولم يكن هناك أمر . وانما المراد تمكينهم من تلك النعم التى يتنعمون بها ، و إلفاتهم إلى هذه النعمة العظيمة التى أسبغها الله تعالى عليهم ، و ليس المراد به الأمر بالاكل على اطلاقه .

٢ - قيل : أى قال لهم الملائكة : كلوا مما رزقكم الله فى هذه الجنان و اشكروا له يزيدكم من نعمه عليكم . ٣ - قيل : أى قال لهم أنبياءهم وهم ثلاثة عشر نبياً واحداً بعد واحد فكانوا يقولون لهم : ان الله تعالى أباح لكم تلك النعم فكلوها و اشكروا له بالطاعة و احمده و اعرفوه حق معرفته .

أقول : و الاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفى قوله تعالى : « رزق ربكم » قولان : أحدهما - قيل : اريد بالرزق ثمار الجنتين ، ثانيهما - قيل : اريد بالرزق كل نعمة أنعمها الله تعالى عليكم من النعم فى أرض سبأ .

أقول : و الثانى هو الانسب بظاهر السياق و خاصة باضافة الرزق إلى الرب المضاف إلى ضميرهم . و بقوله تعالى : « بلدة طيبة » .

وفي قوله تعالى : « بلدة طيبة » أقوال : ١ - قيل : أى هذه بلدة كثيرة الثمار . ٢ - قيل : أى غير سبخة كقوله تعالى : « والبلد الطيب » فهى بلدة مخضبة نزهة أرضها عذبة تخرج نباتها . ٣ - قيل : أى طيبة ليس فيها هوام لطيب هوائها . ٤ - عن مجاهد : هى صنعاء . ٥ - قيل : أى بلدة طيبة عن المؤذيات من العقارب و الحيات و سائر الهوام و الحشرات . ٦ - قيل : اريد بها صحة هواها و عذوبة ماءها و سلامة تربتها ، و انه ليس فيها حر يؤذى صيفاً ، و لا برد يؤذى شتاء . ٧ - قيل : أى بلدة ملائمة سالحة للمقام . ٨ - قيل : اريد بالبلدة الطيبة كثرة خيرها و وفرة عطائها .

أقول: و لكل وجه ولكن الواجه هو الاخير من غير تناف بينه وبين غيره من الاقوال .

وفي قوله تعالى : « و رب غفور » أقوال : ١ - قيل : أى ربكم الذى رزقكم ، فطلب شكركم ، غفور لمن يشكره بقدر طاقته لا يؤاخذ بالتقصير فى أداء حق الشكر اذا توجه عليه الشكر و بذل وسعه عليه . ٢ - قيل : أى يغفر سائر الذنوب ، فكأنه وعدهم سعادة الدارين . ٣ - قيل : أى غفور لذنوبكم إن أنتم أتعتموه فهم قوم أعطاهم الله تعالى نعمه ، وأمرهم بطاعته و نهاهم عن معصيته . ٤ - قيل : ان فى المغفرة دلالة على أن الرزق قديكون فيه حرام .

٥ - قيل : ان الله تعالى امتن عليهم بعفوه من عذاب الاستئصال بتكذيب من كذبوه من سالف الانبياء إلى أن استداموا الاصرار فاستوصلوا . ٦ - قيل : أى رب كثير الغفران لا يؤاخذكم بسيئاتكم ، و ما اقترفوا فيه من الصفائر و الكبائر . . . ٧ - قيل : أى رب هذه النعم يتجاوز عن السيئات و يقبل توبة التائبين و يعفو عنهم اذا تابوا و آمنوا و أصلحوا ، و بهذا تطيب النعمة و يتسع للانسان مجال التمتع .

أقول: وعلى الاول جمهور المحققين ، و قريب منه الثالث والسابع .

١٦ - (فأعرضوا فارسنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي
اكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل)

في « فأعرضوا » أقوال : ١ - قيل : أى فأعرضوا عن شكر الله تعالى . ٢ -
قيل : أى أعرضوا عن صالح الاعمال ٣ - قيل : أى أعرضوا عن التصرف الحميد
فيما أنعم الله تعالى عليهم ٤ - قيل : أى عن أمر الله تعالى واتباع رسله بعد أن
كانوا مسلمين . وقال السدى وذهب : بعث الله تعالى إلى أهل سبأ ثلاثة عشر نبياً
فكذبوهم .

٥ - قيل : أى أعرضوا عن طاعة ربهم وصدعوا عن اتباع ما دعاهم إليه
رسلهم من انه خالقهم . ٦ - قيل : أى أعرضوا عن الحق ولم يشكروا الله تعالى
ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من أنبيائهم .
أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق .

وفى قوله تعالى : « سيل العرم » أقوال : ١ - قيل : العرم إسم سد كان
يحبس فيه الماء . وذلك ان بلقيس ملكة سبأ بنت سداً بين الجبلين ، فحبست
الماء من وراء السد ، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض ، و بنت من دون بركة
ضخمة ، فجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم ، فلما جاء المطر احتبس
السيول من وراء السد وامرت بالباب الاعلى ، ففتح فجرى ماؤه في البركة وامرت
بالبعر فالقى فيها فجعل بعض البعري يخرج أسرع من بعض ، فلم تنزل تضيق تلك
الانهار وترسل البعري في الماء حتى خرج جميعاً معاً فكانت تقسمه بينهم على ذلك
حتى كان من شأنها و شأن سليمان عليه السلام ما كان . و عن ابن عباس : أى سيل السد
العرم . و عن النحاس : العرم : ما يجتمع من مطرين جبلين و وجهه مسناة و
المسناة هي التي يسميها أهل مصر « الجسر » فكانوا يفتحونها اذا شأوا فاذا رويت
جنتاهم سدوها .

٢ - عن ابن عباس أيضاً و عطاء والضحاك : العرم اسم الوادي كانت تتجمع

فيه المياه . وقال ابن عباس : العرم : واد كان باليمن يسيل إلى مكة ، وكانوا يسقون
و ينتهى سيلهم إليه . وقال قتادة : العرم : وادى سبأ كانت تجتمع إليه مسايل من
الادوية . و قيل : من البحر و اودية اليمن ، فردموا ردماً بين جبلين و جعلوا
فى ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض ، فكانوا يسقون من الاعلى ثم من الثانى
ثم من الثالث على قدر حاجاتهم ، فأخصبوا ، و كثرتم أموالهم ، فلما كذبوا
الرسول سلط الله عليهم الفأر فنقب الردم .

٣ - عن ابن الاعرابى : العرم من أسماء الفأر . وعنه أيضاً : العرم : السيل
الذى لا يطاق . ٤ - عن ابن عباس أيضاً : العرم : المطر الشديد . ٥ - قيل : العرم
بمعنى الشديد والمعنى : السيل الشديد . ٦ - عن مجاهد و ابن أبى نجيع : العرم :
ماء أحمر أرسله الله تعالى فى السد فشقه و هدمه .

٧ - عن محمد بن يزيد : العرم كل شىء حاجز بين شيئين و هو الذى
يسمى السكر و هو جمع عرمة . ٨ - عن الزجاج : العرم : الجرد الذكر الذى
نقب السكر عليهم و يقال له : الخلد . و يقال : نسب إليه السيل من حيث انه
نقب المسناة .

٩ - عن عمرو بن شر حبيل و أبى ميسرة : العرم : المسناة بلغة اليمن .
و عن الهروى : العرم : المسناة الضفيرة تبنى للسيل ترده سميت مسناة لان فيها
مفاتيح الماء . والمسناة بلغة حمير العرم بنته بلقيس ملكة سبأ بالصخر والقار ،
و جعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض ، و هو مشتق من العرامة و هى الشدة
و منه : رجل عارم أى شديد .

١٠ - قيل : ان العرم صفة للمسناة التى كانت لهم و ليس باسم لها . ١١ -
قيل : العرم كان إسم واد لقوم سبأ باليمن كان يسيل إلى مكة ، و كانوا يسقون
و ينتهى سيلهم إليه و تجتمع فى هذا الوادى المسايل من اودية شتى ، فعمدوا
و سدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة و جعلوا له أبواباً يأخذون من مائه ما

احتاجوا إليه . ١٢ - قيل : العرم : الامر والمعنى : سيل الامر .
 ١٣ - عن وهب : كان الماء يأتي أرض سبأ من أو دية اليمن و كان هناك
 جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما ، فسدوا ما بين الجبلين ، فاذا احتاجوا
 إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة ، فكانوا يسقون ذروعهم وبساتينهم ، فلما كذبوا
 رسلهم و تركوا أمر الله تعالى بعث الله جل و علا جرذاً نقبت ذلك الردم و فاض
 الماء فأغرقتهم . وقيل : هو البناء الرصين المبنى بين الجبلين لحفظ ماء الامطار
 والانهار و خزنها ، و قد ترك فيه أنقاب على مقدار ما يحتاجون إليه في سقيهم
 أو لخروج ما زاد عليه ، فلما طغوا أهلكتهم الله تعالى بخراب هذا البناء فانهار
 عليهم تيار مائه ، فاغرق بلادهم وأفسد عمرانهم و أرضهم و اضطر من نجى منهم
 للنزوح عنها كما قال تعالى : « و بدلناهم . . » فهذا تبديل النعم بالنقم لمن لم
 يشكر النعم كما صرح به تعالى : « ذلك جزيناهم . . »

أقول : و على الاول أكثر المفسرين و في معناه أكثر الاقوال الاخر .
 وفي قوله تعالى : « خمط » أقوال : ١ - عن ابن عباس والحسن ومجاهد
 وقتادة والضحاك و ابن زيد والخليل : الخمط الأراك . ٢ - عن الجوهرى : الخمط
 ضرب من الأراك له حمل يؤكل . ٣ - عن أبى عبيدة : هو كل شجر ذى شوك
 فيه مرارة . ٤ - عن الزجاج : الخمط كل نبت فيه مرارة لا يمكن أكله . ٥ -
 عن المبرد : الخمط كل ما تغير إلى ما لا يشتهي واللبن خمط اذا حمض . والخمط :
 اللبن الحامض .

٦ - قيل : الخمط كل شىء متغير نتن . ٧ - قيل : الخمط : الردىء من الثمر .
 ٨ - قيل : الخمط : الغضا . ٩ - عن قتادة : الخمط : ضرب من الخشب . ١٠ -
 قيل : الخمط هو السم . ١١ - قيل : الخمط أشجار طبيعية تنبت في الصحارى
 ذات شوك و ثمرها غير صالح تعافه النفس .

أقول : وعلى الثالث أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

وفي قوله تعالى : « وائل » أقوال: عن ابن عباس والفراء : الأئل الطرفاء وهو معروف في مصر « بالائل » وقيل: هو شبيهه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه طولاً ومنه اتخذ منبر النبي ﷺ و للأئل اصول غليظة يتخذ منه الابواب و ورقه كورقة الطرفاء .

٢ - عن الحسن : الأئل الخشب . و قال قتادة : هو ضرب من الخشب يشبه الطرفاء رأيته بفيد . ٣ - قيل : هو السمر . ٤ - عن أبي عبيدة : هو شجر النضار ، والنضار : الذهب ، والنضار : خشب يعمل منه قصاع ومنه : قدح نضار . ٥ - قيل : الأئل : شجر لا ثمر له .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : « سدر » أقوال : ١ - عن الفراء والنحاس : السدر : السمر . ٢ - عن الزهرى : السدر من الشجر : سدران : برى لا ينتمتع به ، و لا يصلح ورقه للغسول و له ثمر عصف لا يؤكل وهو الذى يسمى الضال . ٣ - قيل : السدر ينبت على الماء و ثمر النبق ، و ورقه غسول يشبه شجر العناب . ٤ - عن قتادة : بينما شجر القوم من خير شجر إذ صير الله تعالى من شر الشجر بأعمالهم ، فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الأراك والطرفاء والسدر . ٥ - قيل : السدر شجر النبق .

أقول: السدر شجر معروف .

١٧ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الا الكفور)

فى قوله تعالى : « جزيناهم بما كفروا » أقوال : ١ - قيل : أى جزينا هؤلاء الكافرين بسبب كفرهم بالله تعالى و برسله الذين ارسلوا إليهم . ٢ - قيل : أى جزيناهم ذلك الجزاء من حلول النعمة بهم بسبب كفرانهم النعمة ، فنزعناها عنهم ، و وضعنا مكانها ضدها . ٣ - قيل : أى وفيناهم ذلك التبديل والارسال بسبب ما كفروا بالنعم الالهية التى أسبغها الله تعالى عليهم و غمطوها وما كفروا بالرسول .

٤ - قيل : أى فعلنا بهؤلاء القوم من إرسال السيل الشديد المخرب من السد الرصين المسمى بالعرم عليهم ، ومن إهلاك الاموال و خراب الجنات جزاء منّا على كفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا . ٥ - قيل : أى كذلك كافأناهم على كفرهم بالله تعالى ونعمه .

أقول: والثانى هو الانسب بظاهر السياق ، ولكن التعميم غير بعيد عن ظاهر الاطلاق فى قوله جل وعلا : « بما كفروا » .

وفى قوله تعالى : « هل نجازى الا الكفور » أقوال : ١ - قيل : أى لانجازى بهذا الجزاء الذى هو الاصطلام و الاهلاك الآمن تلبس فى الكفر و صار الكفر طبيعته الثانوية ، فلا يرجى باهتدائه . ٢ - عن مجاهد : أى لانعاقب الآمن كثر كفره . و ذلك ان المؤمن يكفر الله تعالى عنه سيئاته و أما كثير الكفر فيجازى بكل سوء عمله ، فالمؤمن يجزى ولايجازى لانه يثاب .

٣ - قيل : أى لانعاقب الآمن يستحق العقاب من أهل الكفر و الضلال .
٤ - قيل : أى لاناقدش فى الحساب الا الكفار : من كفر بالنعم وعمل بالكبائر...
و أما المؤمن فلا يناقدش فى الحساب . ٥ - عن الحسن : أى لانجازى الآمناً بمثل .
٦ - قيل : أى لانكافأ الكافر إلا بكل عمل عمله . قيل : ان الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل فى المعاقبة تارة و فى الاثابة تارة اخرى ، فلما استعمل اولاً فى معنى المعاقبة استعمل ثانياً على نحو ذلك . ٧ - عن أبى مسلم : أى لا يقتضى و لا يرجع ما اعطى الا الكافر ، فانه لما كفر بالنعمة اقتضى ما اعطى أى ارجع منه .
على أن المجازاة من التجازى و هو التقاضى . و قيل : ان الفرق بين الجزاء و المجازاة ان المجازاة لانستعمل الآفى الشر و الجزاء اعم . و قيل : ان المجازاة فى النعمة و الجزاء فى النعمة الآذا قيد كقوله تعالى : « جزيناهم بما كفروا » .

٨ - قيل : أى لانجازى بجميع السيئات الا الكافر لان المؤمن قد يكفر عنه بعض سيئاته . ٩ - قيل : أى لانوا فى ذلك الجزاء الآمن كفر لنعم الله تعالى .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه وبين بعض الأقوال .
 ١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا
 فيها السير سيروا فيها ليالى و أياماً آمنين)

فى قوله تعالى : « وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها » أقوال : ١ -
 عن مجاهد و قتادة : أى بين قوم سبأ و بين القرى الشامية التى كان موسعاً عليهم
 برزقها و مناخها ، و سميت قرى مباركة لانها فى الارض المباركة المقدسة .

٢ - عن ابن عباس : أى بينهم و بين بيت المقدس و أرض فلسطين . ٣ -
 قيل : أى بينهم و بين الشام و بيت المقدس . ٤ - عن ابن عباس أيضاً : هى بين
 المدينة المنورة و الشام . و قيل : كان على كل ميل قرية بسوق و هذا سبب أمن
 الطريق . ٥ - قيل : أى هى بين المدينة المنورة و بين بيت المقدس .

٦ - عن الحسن : أى بين اليمن ، و بين القرى التى بورك فيها : الشام و الاردن
 و فلسطين . و البركة : قيل : انها كانت أربعة آلاف و سبعمائة قرية بورك فيها
 بالشجر و الثمر و الماء . و قيل : أى باركنا فيها بكثرة العدد . ٧ - قيل : أى
 بين اليمن و بين بلاد الحجاز التى كانت هى الاخرى مباركة فانها أقرب إلى
 بلاد سبأ و هى اليمن من بلاد الشام و بينها و بين سبأ قرى و مدن عديدة .
 أقول: وعلى الاول جمهور المحققين .

وفى قوله تعالى : « قرى ظاهرة » أقوال : ١ - عن قتادة و الضحاك : أى
 قرى متصلة ، و هى قرى عربية متواصلة على الطريق ، فهم يغدون فيقبلون فى
 قرية و يروحون فيبيتون فى قرية . ٢ - عن المبرد : أى مرتفعة على الآكام و
 هى أصح القرى . ٣ - عن الحسن و ابن زيد : أى كانت المرأة تخرج معها مغز لها
 وعلى رأسها مكتلها ، ثم تلتهى بمغز لها فلاتأتى بيتها حتى يمتلىء مكتلها من كل
 الثمار فكان ما بين الشام و اليمن كذلك .

٤ - قيل : إنما قيل لها : ظاهرة لظهورها أى اذا خرجت من هذه ظهرت

لك الاخرى ، فكانت قرى ظاهرة أى معروفة يقال : هذا أمر ظاهر أى معروف .
 ٥ - قيل : أى متواصلة يرى من كل منها ما يتلوها لتقاربها أو ظاهرة
 للسابلة لكونها على متن الطريق . ٦ - عن مجاهد : أى قرى ظاهرة أى السرواب .
 ٧ - قيل : أى كانت القرى متقاربة يرى بعضها من بعض .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين وقريب منه الخامس والسابع .

وفي قوله تعالى : « آمنين » أقوال : ١ - عن ابن زيد : أى ليس فى القرى
 المباركة خوف . ٢ - قيل : أى آمنين من الجوع و العطش و التعب ، و من
 السباع و كل المخاوف ، و فى ذلك إشارة إلى تكامل نعمه تعالى عليهم فى السفر
 كما انه كذلك فى الحضر .

٣ - عن قتادة : أى كانوا يسرون غير خائفين و لاجياع و لاطمأ و لاطلم ،
 و كانوا يسرون مسيرة أربعة أشهر فى أمان لا يحر بعضهم بعضاً ، و لولقى الرجل
 قاتل أبيه لا يحره و انما يغدون فيقيلون و يروحون ، فيبيتون فى قرية أهل
 جنة و نهر . ٤ - قيل : أى كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون .
 ٥ - أى آمنين من الزبغ .

أقول: و الثانى هو الانسب بظاهر الاطلاق .

١٩ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث
 و مزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

فى « ربنا باعد بين أسفارنا » أقوال : أحدها - إلتماس من قوم سبأ على
 أن يجعل الله تعالى طرفاً متباعدة اخرى غير الطرق المتواصلة المتقاربة التى
 كانوا يالفونها و يتبادلون المنافع مع أهلها . والمعنى : إجعل بين قرانا و قرى
 الشام فلوات و مفاوز لتركب إليها الراحل و تقطع المنازل بدلاً عن تلك القرى
 المتتابعة المتواصلة .

وذلك اذ استبد بهم الفرود و أغراهم الطمع ، فركبوا الاحوال و المخاطر

لا حاجة إلا أن يعرضوا هذا الغرور الذي ركبهم ألا ليتغذوا ومشاعر الاستعلاء التي استولت عليهم من غير أن يكون غرضهم من الضرب على وجه الأرض السعى في طلب الرزق وإقامة حياة قائمة على العدل والاحسان أو للاعتبار وإلا لبارك الله تعالى سعيهم ولحمد مسيرتهم، ولكنهم كانوا يركبون شيطاناً مريداً يدفع بهم دفعاً إلى الكفر بالله جل وعلا، وإلى السعى في الأرض فساداً.

و أما قولهم: «ربنا» فما كان عن اعتقاد منهم وإلا لكانوا مؤمنين بالله تعالى حقاً بل كان قولهم بافواهم وألستهم من غير اعتقاد، كما قال إبليس في موقف التحدى لله تعالى والاصرار على الاثم: «رب بما اغويتني لازين لهم في الأرض» ثانيها - طلب منهم أن يبذل الله جل وعلا القرى المتواصلة المتتابعة إلى القرى المتباعدة بتخريب بلادهم وجناتهم. ثالثها - قيل: كان ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره: اضربني. مشيراً بذلك إلى أنه لا يقدر عليه.

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين ولكن الاول لا يخلو من وجه .

وفي قوله تعالى: «و ظلموا أنفسهم» أقوال: ١ - قيل: أي ظلموا على أنفسهم بالكفر بالله تعالى والانحراف عن جادة الحق والصواب و ارتكاب المعاصي و اتباع الشهوات . . . ٢ - قيل: أي ظلموا أنفسهم بما عرضوها لاسخط والنقمة والعذاب عوضاً عن المحبة والنعمة والثواب . ٣ - قيل: أي ظلموا أنفسهم لسلب النعمة والرحمة عنهم بكفرانهم وطغيانهم عوضاً عن إزدياد النعمة بالشكر والطاعة.

أقول: والتعميم هو الانسب بظاهر الاطلاق فتدبر جيداً .

وفي قوله تعالى: أقوال: ١ - قيل: أي صبار على العبادات، شكور على النعم . ٢ - قيل: أي صبار عن المعاصي شكور على النعماء بالطاعات . ٣ - قيل: أي صبار على النعم حيث ان كثرة النعم قد توجب سعى الانسان على المعاصي، فلا يصبر على النعم فيصرفها في المعاصي فيصبر عليها فلا يلحقه البطر، شكور

لنعمه . ٤ - قيل : أى كثير الصبر فى جنب الله تعالى و كثير الشكر لنعمه .
أقول : والتعميم هو الانسب بظاهر السياق .

٢٠ - (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)

فى قوله تعالى : « صدق عليهم ابليس ظنه » أقوال : ١ - عن مجاهد : أى ظن ابليس ظناً ، فكان كما ظن فصدق ظنه . و هذا عام لبنى آدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أى صدق ابليس ظنه على الناس كلهم إلا من أطاع الله تعالى . و ذلك لقرينة الحال . ٢ - قيل : أى ان ابليس سؤل له ظنه فى أهل سبأ شيئاً ، فصدق ظنه . فكأنه قال : ولقد صدق عليهم ظن ابليس . فهذا فى أهل سبأ خاصة . والمعنى : ان أهل سبأ كفروا و غيروا و بدلوا بعد أن كانوا مسلمين الا قوماً منهم آمنوا برسولهم . ٣ - عن الحسن انه قال : لما أهبط آدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ من الجنة و معه حواء وهبط

ابليس قال ابليس : أما اذا اصبت من الابوين ما اصبت ، فالذرية أضعف وأضعف : فكان ذلك ظناً من ابليس ، فانزل الله تعالى : « و لقد صدق عليهم ابليس ظنه » .

٤ - عن ابن عباس : ان ابليس قال : خلقت من نار و خلق آدم من طين والنار تحرق كل شيء : « لاحتسكن ذريته الا قليلاً » فصدق ظنه عليهم . ٥ - عن زيد بن أسلم : ان ابليس قال : يا رب أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم و شرفتهم و فضلتهم على لا تجد أكثرهم شاكرين ظناً منه ، فصدق عليهم ابليس ظنه . ٦ - عن الكلبي : انه ظن انه إن أغواهم أجابوه و إن أضلهم أطاعوه ، فصدق ظنه .

٧ - عن الحسن أيضاً : أى ما ضربهم ابليس بسوط و لابعصا ، و انما ظن ظناً فكان كما ظن بوسوسته فاتبعوه . ٨ - ان الضمير فى « عليهم » راجع إلى مشر كى مكة بقرينة الايات التالية إذ امر النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها بتوجيه الخطاب إلى كفار مكة و مشركيهم متحدياً منهدداً ، وعلى هذا فان الآيتين تكونان بمثابة انتقال من حكاية الماضى وعظته إلى حكاية موقف الكفار و واقع أمرهم وتعليل لذلك بعد ما جاءهم من الموعظة ما جاءهم .

ان تسئل : كيف علم ابليس صدق ظنه و هو لا يعلم الغيب ؟
 تجيب عنه الامور : أحدها - انه لما نفذ له في آدم ما نفذ غلب على ظنه
 انه ينفذ له مثل ذلك في ذريته ، وقد وقع له تحقيق ما ظن . ثانيها - قوله تعالى :
 « و استفزز من استطعت منهم بصوتك و أجلب عليهم بخيلك و رجلك و شاركهم
 في الاموال و الاولاد » الاسراء : ٦٤) .

فاعطى القوة و الاستطاعة ، فظن انه يملكهم كلهم بذلك ، فلما رأى انه
 تاب على آدم و انه سيكون له نسل يتبعونه إلى الجنة ، وقال : « ان عبادى ليس
 لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين » علم ان له تبعاً و لآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ تبعاً ،
 فظن ان تبعه أكثر من تبع آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لما وضع في يديه من سلطان الشهوات
 و جمهورة الاهواء و الاستكبار ، و وضعت الشهوات و الاهواء في أجواف الآدميين ،
 فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم الاستكبار و الاستبداد ، و زين في أعينهم تلك
 الشهوات و مد إليها بالأمانى و الخدائع ، فصدق عليهم الظن الذى ظنه .

ثالثها - ما كان ذلك عن علم و تحقيق و انما قاله ظناً فلما تابعه أهل الزينغ
 و الضلالة ، أهل الكفر و المعصية ، و أهل الشرك و الغواية صدق ظنه و حققه . وعلى
 أى تقدير : ان المتبوع مع كونه ملعوناً مذموماً خير من أكثر أتباعه وهم أدون
 و أسوأ حالاً من ابليس لانه خالف أمر الله تعالى في سجدة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ظناً منه انه
 أفضل من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فلا بد من تقديم الفاضل على المفضول فلا يجوز أن يسجد الفاضل
 للمفضول و كان ابليس في الحكم مصيباً و فى الظن مخطئاً و أما اتباعه فأكثرهم
 يبجدون الخالق أو يشركون به و يقدمون المفضول على الفاضل مع علمهم
 بان الفاضل هو الفاضل و المفضول هو المفضول .

أقول : ان سياق الايات التالية يؤيد الاول ، و إن كانت الآية تنطبق على
 أهل سبأ .

وفى قوله تعالى : « الا فريقاً من المؤمنين » أقوال : ١ - عن ابن عباس :

اريد بفريق من المؤمنين كلهم لان المؤمنين علموا كلهم قبح متابعة ابليس فلا يتبعونه ، و انما اتبعوا أمر الله تعالى . فحرف « من » للتبيين . وتقليلهم بلفظ « فريقاً » بالاضافة إلى الكفار التابعين . ٢- قيل: أى الآ فريقاً من فرق المسلمين و هذه الفرقة هم المؤمنون حقاً فالمراد « من المؤمنين » من المسلمين اذ ليس للمؤمنين فرق . و تقليل المؤمنين بلفظ « فريقاً » بالافاضة إلى سائر الفرق الامة الاسلامية لما ورد صحيحاً قال رسول الله ﷺ : « و ان امتى ستفترق بعدى على ثلاث و سبعين فرقة : فرقة منها ناجية و اثنتان و سبعون فى النار . »

٣- قيل: أى الآ فريقاً من فرق المؤمنين فلم يتبعوه فى الكفر والمعصية ، و هم المخلصون منهم ، فالمراد بهم بعض المؤمنين لان كثيراً من المؤمنين من يذنب وينقاد لابليس فى بعض المعاصى والمآثم . . . فما سلم من المؤمنين أيضاً الآ فريق ، و هو المعنى بقوله تعالى : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » (الحجر : ٤٢) .

أقول: والثانى هو المؤيد بالآيات القرآنية و قريب منه الثالث .

٢١ - (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك و ربك على كل شىء حفيظ)

فى « وما كان له عليهم من سلطان » أقوال : ١- قيل: أى وما جعلنا لابليس على الكافرين سلطاناً حتى يلجأهم إلى اتباعه فيكونوا معذورين . ٢- قيل : أى وماله عليهم من سلطان على زيادة « كان » كقوله تعالى : « كنتم خير امة » أى أتم خيرا ٣- قيل : أى و ما كان لابليس فى قضاءنا السابق سلطان على الكافرين . ٤- قيل : أى لم يكن لابليس على الكافرين من سلطنة قاهرة و لا ولاية يتمكن بها من إجبارهم على الفى والضلالة ، و انما كان يمكنه وسوستهم فقط ، و هم قد كانوا متمكنين عن اجتنابها ، فاستجابوا له و اتبعوه عن سوء اختيارهم كما قال : « و ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » .

أقول: والآخر هو المؤيد بالآيات الكريمة والروايات الكثيرة.

وفي «سلطان» أقوال: ١- قيل: السلطان: القوة. ٢- قيل: السلطان: أى الحجة أى لم تكن لابلوس حجة يستتبعهم بها، وإنما اتبعوه بشهوة وهوى نفس لآعن دليل يضلهم به. قال الحسن: والله ما ضربهم بعضاً ولا سيف ولا سوط إلا أمانىً و غروراً دعاهم إليها، فليس الشيطان بملجىء ولكنه آية و علامة يتميز بها ما هو السابق فى علمه من المقر والشاك. ٣- قيل: له سلطان ولكنه ليس بنافذ فيهم قبل الاتباع فاذا اتبعوه فيتسلط عليهم من طريق اختيارهم هذا المقدار من التسلط.

أقول: والآخر هو المؤيد بالآيات القرآنية.

وفى قوله تعالى: «إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك» أقوال: ١- قيل: يريد علم الشهادة الذى يقع به الثواب والعقاب، و أما الغيب فلا يعلمه إلا الله جل و علا. ٢- قيل: أى لنميز كقوله تعالى: «ليميز الله الخبيث من الطيب» والمعنى: أنا لم نمكنه من إغوائهم و وسوستهم من غير إلقاء فى الاتباع إلا لنميز المؤمن من الكافر، والمطيع من الطاغى، فتعذب أتباعه لاختيارهم الاتباع، و نشيب مخالفه لتركهم الاتباع بحسن الاختيار. و عبّر عن التمييز بين الفريقين بالعلم، و هذا التمييز متجدد لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك، و أما العلم فبخلاف ذلك، فإنه سبحانه كان عالماً بأحوالهم و بما يكون منهم فيما لم ينزل.

٣- قيل: أى ليعلم أوليائنا و حزبنا وملائكتنا. ٤- قيل: أى إلا لتعلموا أنتم. ٥- قيل: أى لنعلم طاعاتهم موجودة أو معاصيهم إن عصوا، فنجازيهم بحسبها لأنه سبحانه لا يجازى أحداً على ما يعلم من حاله إلا بعد أن يقع ذلك منه. ٦- عن الفراء: أى إلا لنعلم ذلك عندكم كما قال: «أين شركائى» على قولكم و عندكم و ليس «إلا لنعلم» جواباً لـ «وما كان له عليهم من سلطان»

في ظاهره ، انما هو محمول على المعنى : أى و ما جعلنا له سلطاناً الا لتعلم .
 على ان الاستثناء منقطع أى لاسلطان له عليهم ، ولكننا ابتليناهم بوسوسته لتعلم .
 ٧ - قيل أى ما كان له عليهم من سلطان غير اننا سلطناه عليهم ليمّ الابتلاء .
 فلاستثناء متصل . ٨ - قيل : أى لتعامل معاملة من كأنه لا يعلم ، و انما يعمل
 ليعلم من يصدق بالآخرة ويعترف بها ممن يرتاب فيها ويشك في حسابها وعقابها .
 ٩ - قيل : اريد بالعلم هنا علم ما وقع بعد أن يقع أى هو تعالى عالم به أولاً
 و لكن لا يحاسب عليه إلا بعد أن يقع و يصبح من كسب العباد ، و اختصاص العلم
 هنا بالايمان بالآخرة أو الشك فيها لان الايمان بالآخرة و البعث و الحساب و الجزاء
 هو ملاك الايمان بالله تعالى و بآياته و رسله و ملائكته ، فليس مؤمناً بالله و
 آياته و رسله الا من كان مؤمناً باليوم الآخر .

١٠ - قيل : أى لإلناظره . و هو تقول : النار تحرق الحطب ، فيقول آخر :
 لابل الحطب يحرق النار . فيقول الاول : تعال حتى تجرّب النار و الحطب لتعلم
 أيهما صاحبه . أى لتظهر ذلك و إن كان معلوماً لهم ذلك . فالمعنى : إلا لتعلم
 علم ظهور .

أقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « وربك على كل شىء حفيظ » أقوال : ١ - قيل : أى و
 ربك عالم بكل شىء ، فلا يفوته علم شىء من أحوالهم و قادر على البعث و الحساب
 و الجزاء إن خيراً فخييراً و إن شراً فشراً . على أن يكون العلم و القدرة داخلان
 فى مفهوم الحفظ ، لان الجاهل بالشىء لا يمكنه حفظه و كذلك العاجز . ٢ - قيل :
 أى يحفظ كل شىء على العبد حتى يجازيه عليه ، حفيظ على أعمال الكفرة و
 غيرها كلها ، حفيظ لا يعزب عنه علم شىء منه ، و هو مجاز جميعهم يوم القيامة
 بما كسبوا فى الحياة الدنيا من خير و شر . ٣ - قيل : أى رقيب .

أقول : والمعانى متقاربة .

٢٢ - (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض و ما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)

في قوله تعالى: « في السموات ولا في الارض » أقوال : ١ - قيل : أى في أمر من الامور ، و ذكر السموات و الارض للتعميم عرفاً . ٢ - قيل : ذكرهما لأن آلهتهم بعضها سماوية كالملائكة و الكواكب و الشمس و القمر و النجوم . . . و بعضها أرضية كالاصنام و الاوثان و الهياكل المنحوتة و الاشكال المصنوعة . . . ٣ - قيل : ان بعض الاسباب القريبة للخير والشر سماوية و بعضها اخرى أرضية . أقول : و لكل وجه و الاوجه هو الاول .

٢٣ - (و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير)

في قوله تعالى : « و لا تنفع الشفاعة عنده » أقوال : ١ - قيل : أى لا تنفع شفاعة هؤلاء الآلهة لعبدهم يوم القيامة عند الله تعالى . رداً لقولهم : ان آلهتهم تشفع لهم عند الله لو كان يوم القيامة . و ذلك لانهم كانوا من البعث و الحساب و الجزاء في شك و تردد ، و هم لا ينكرونها بالقطع و اليقين لقوله تعالى : « الآ لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك » سباء : ٢١)

و قوله تعالى : « بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون و قال الذين كفروا إذا كنا تراباً و آباؤنا أننا المخرجون » النمل : ٦٦ و ٦٧) و قوله تعالى : « و اذا قيل ان وعد الله حق و الساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الآظناً و ما نحن بمستيقنين » الجاثية : ٣٢) و قوله تعالى حكاية عنهم : « و كنا نكذب بيسوم الدين حتى أتانا اليقين » المدثر : ٤٦ و ٤٧) .

و انما قال الله تعالى ذلك لان المشركين كانوا يقولون : نحن نعبد آلهتنا ليقربونا إلى الله زلفى لو كانت ساعة و حساب و جزاء و هؤلاء شفعائنا عند الله ،

فحكّم الله جل و علا ببطلان اعتقاداتهم .

٢ - قيل: أى لاتنفع شفاعة تلك الاصنام والادوثان لعبدتهم فى الحياة الدنيا وذلك لان المشركين كانوا يعبدونهم ليسعدوهم بقضاء حوائجهم وإصلاح شئونهم بالوساطة عندالله تعالى . فالمراد بالشفاعة هى وساطة الآلهة لعبادهم فى الدنيا لان المشركين كانوا ينكرون بالمعاد و يكفرون بيوم الحساب .

٣ - قيل : ان المشركين كانوا يعبدون الآلهة و يرجون عفو الله تعالى عن آثامهم و خطيئاتهم فى الآخرة لو كانت ، و إصلاح امورهم فى الحياة الدنيا بوساطة تلك الاجرام والهياكل والمجسمات وغيرها من الالهة المزعومة الموهومة .

٤ - قيل : أى ولاتنفع شفاعة الملائكة و غيرهم من الشفعاء عندالله تعالى لهم لكفرهم و طغيانهم . مع ان الشفعاء لايشفعون الا بعد أن أذن الله تعالى لهم بالشفاعة ، و لا يأذن لهم الشفاعة للكافرين . فالسالبة منتفية بانتفاء موضوعها .
أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

وفى قوله تعالى : « لمن أذن له » أقوال : ١ - قيل: أى الآ للشافع الذى أذن الله تعالى له أن يشفع لمستحقى الشفاعة . فاريد بـ « من » الشافع . فاللام للتملك . ٢ - قيل: أى الآ أن أذن الله الشفاعة للمشفوع الذى يستحق أن يشفع له . فاريد بـ « من » المشفوع له . فاللام للتعليل . ٣ - قيل : اريد بـ « من » الشافع والمشفوع له جميعاً . والمعنى: انهم يقفون و يتر بصون ملىاً فزعين حتى اذا كشف الفزع يوم القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى إطلاق الاذن : تباشروا بذلك . و سئل بعضهم بعضاً : ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال الحق و هو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى . وأما قوله تعالى : « و يوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات و من فى الارض الا من شاء الله و كل أتوه داخرين - من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٧-٨٩) فهذا غير ذلك إذ هذا فزع عند وقوع الساعة و ذاك فزع عند إذن الشفاعة .

أقول: والآخر هو المردى .

قوله تعالى: « حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال قالوا الحق » فى معنى التفريع و ضمير « قلوبهم » و « قالوا » أقوال : ١ - عن مجاهد و ابن عباس وقتاده و ابن زيد: أى حتى اذا كشف الله الفزع عن قلوبهم المشركين عبدة الاصنام وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة إذ قالت الملائكة لهم : ماذا قال ربكم أيها المشركون؟ قال المشركون مجيبين للملائكة : قال ربنا الحق ، فيعترفون ان ما جاء به الرسل كان حقاً . وقال ابن عباس أيضاً : اذا فزع أى اذا خلتى و جلّى . و قال قطرب : أى إذا أخرج الله تعالى يوم القيامة ما فى قلوبهم من خوف .

٢ - عن مجاهد أيضاً : أى حتى اذا كشف عن قلوب الشفعاء الغطاء يوم القيامة أى ان الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة و الانبياء و الاصنام الا أن يأذن الله تعالى للأنبياء و الملائكة فى الشفاعة ، و هم على غاية الفزع من الله جل و علا كما قال : « و هم من خشيته مشفقون » و المعنى : انه تعالى اذا أذن للملائكة و الانبياء فى الشفاعة و ورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك الحال من الامر الهائل و الخوف أن يقع فى تنفيذ ما اذن لهم فيه تقصير ، فاذا سرتى عنهم قالوا للملائكة فوقهم و هم الذين يوردون عليهم الوحي بالاذن : « ماذا قال ربكم » أى ماذا أمر الله تعالى به ؟ فيقولون لهم : « قالوا الحق » و هو انه تعالى أذن لكم فى الشفاعة للمؤمنين .

٣ - عن ابن زيد و مجاهد أيضاً و الحسن : أى حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت إقامة للحجة عليهم ، قالت الملائكة لهم : ماذا قال ربكم فى الحياة الدنيا؟ قالوا : الحق . فأقرّوا حين لا ينفعهم الاقرار . قيل : ان « حتى » متعلق بـ « زعمتم » أى زعمتم الكفر إلى غاية التفريع ثم تركتم ما زعمتم و قلتم : قال الحق .

٤ - قيل : ان الملائكة اذا سعدوا بأعمال العباد و لهم زجل و صوت عظيم ،

فحسب الملائكة انها الساعة ، فيخرون سجداً ، ويفزعون ، فاذا علموا انه ليس ذلك قالوا : ماذا قال ربكم قالوا : قال الحق .

٥ - قيل : ان التفريع غاية الوحي المستفاد من « قل » فانه عند الوحي يفزع من في السموات كما جاء في حديث : اذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون : يا جبرائيل ماذا قال ربكم؟ فيقول الحق الحق .
و عن الكلبي ومقاتل : ان الفترة لما كانت بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ و بعث الله تعالى محمداً ﷺ أنزل الله جل و علا جبرائيل بالوحي ، فلما نزل ظننت الملائكة انه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمر بكل سماء و يكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم و قال بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم؟ قالوا : الحق يعنى الوحي .

قيل : اريد بالفزع ان الله تعالى لما اوحى إلى محمد ﷺ فزع من في السموات من وقوع الساعة لانهم كانوا يعلمون ان بعثة محمد ﷺ من أسرار الساعة ، فلما زال عنهم ذلك قالوا : ماذا قال الله؟ قال جبرائيل و أتباعه : الحق .
٦ - قيل : ان الفزع هو عند الموت يزيله الله تعالى عن قلوب الناس كلهم ، فيعرف كل أحد ان ما قاله الله تعالى هو الحق ، فينتفع بتلك المعرفة أهل الايمان ، و لا ينتفع بها أهل الكفر والطغيان .

٧ - عن ابن مسعود والجبائي : ان الله تعالى إذا اوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشي عند سماع الوحي ويصعقون ويخرون سجداً للآية العظيمة ، فاذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذى اوحى اليه ماذا قال ربك أو يسئل بعضهم بعضاً ، فيعلمون ان الامر فى غيرهم .

٨ - قيل : هذا الفزع يكون اليوم للملائكة فى كل أمر يأمرهم الله تعالى به أى لا تنتفع الشفاعة الا من الملائكة الذين هم اليوم فزعون مطيعون لله جل

و علا دون الجمادات والشياطين . ٩ - قيل : أى انما يفرع المشر كون من قيام الساعة . ١٠ - قيل : أى و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له ففرع لما ورد عليه من الاذن تهيئاً لكلام الله تعالى حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم أجاب الانقياد .
١١ - عن ابن عباس أيضاً: كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحي و كان اذا نزل الوحي سمع له صوت كأمرار السلسلة على الصفوان ، فلا ينزل على أهل السماء الا صعقوا ، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق .

١٢ - عن قتادة أيضاً : أى يفرع قلوب الملائكة من قضاء الله الذى يقضيه حذراً أن يكون ذلك قيام الساعة ، فاذا جلى عن قلوبهم و علموا انه ليس ذلك من أمر الساعة قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : قال الحق . ١٣ - عن ابن زيد أيضاً: أى انما يفرع الشيطان عن قلوب المشركين قال : و انما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم ؟ قالوا : قال الحق . وهذا عند الموت اقرّوا به حين لا ينفعهم الاقرار . و قيل : هذا بيان لحال الكفرة . و قيل : هذا بيان لحال الآلهة من الاصنام والادوات ...

١٤ - قيل: أى إذا كشف الله تعالى الخوف والفزع عن قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين ، و أما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفريع عن قلوبهم بألف منزل لان التفريع إزالة الفزع وترك الفزع ، و اسند الفعل إلى الجار والمجرور و «حتى» غاية لما ينبىء عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن أذن له فانه مسبوق بالاستئذان المستدعى للترقب والانتظار للجواب ، فكأنه سئل كيف يؤذن لهم، فقيل: يتربصون فى موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وجل و فزع ملبياً حتى ازيل الفزع عن قلوبهم وظهرت لهم تباشير الاجابة .
أقول: والاخير هو المؤيد بالرواية الآتية فانتظر .

٢٤ - (قل من يرزقكم من السموات و الارض قل الله و انا أو اياكم لعلى

هدى او فى ضلال مبین)

فى « انا او اياكم لعلی هدى او فى ضلال مبین » أقوال : ١ - قيل : أى
إنا لعلی هدى او فى ضلال او انكم على هدى او فى ضلال . و هذا على وجه الانصاف
فى الحجة من غير ريب فيها كما يقول القائل : أهدانا كاذب وهو يعلم انه صادق
و ان صاحبه كاذب .

وعلى هذا الوجه قال أبو الاسود الدئلى رضوان الله تعالى عليه مادحاً أهل
بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين :

| | |
|-------------------------|---------------------------|
| يقول الارذلون بنو قشير | طوال الدهر لا تنسى علياً |
| بنو عمّ النبى و أقربوه | أحب الناس كلهم إلينا |
| فان يك حبتهم رشداً اصبه | و لست بمخطىء إن كان غيياً |

لم يقل هذا لكونه شاكاً فى محبتهم ، وانما كان هو متيقناً بان محبتهم رشد
و هدى و كان أبو الاسود من شيعة مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين
على بن أبى طالب عليه السلام و كان ينزل بنى قشير وهم قبيلة من القيس و هم يخالفونه
فى المذهب و يؤذونه ، فأنشأ أبو الاسود تلك الابيات على طريق الانصاف و قال
الشاعر على هذا الوجه :

نحن او أنتم الادلى ألفوا الحق فبعداً للمبطلين وسحقاً .

٢ - قيل : انه أراد : انا لعلی هدى و اياكم فى ضلال مبین . والمعنى : ما
نحن و أنتم على أمر واحد بل على أمرين متضادين ، و أحد الفريقين مهتد وهو
نحن و الآخر ضال و هو أنتم ، فكذبهم بأحسن من تصريح التكذيب . والمعنى :
انتم الضالون حين أشركتم بالله يرزقكم من السموات و الارض . و الكلام تنمة
من قول النبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم . فجمع بين الخبرين و فوض التمييز إلى العقول
و الانظار بعيون الانصاف .

٣ - قيل : هذا حكاية عن المؤمنين الذين قالوا للمشركين : أى والله ما

نحن و أنتم على أمر واحد ، و إنما أحد الفريقين لمهتد و ذلك لان الامر لا يعدو أن يكون حقاً أو باطلاً ، هدى أو ضلالاً لانهما نفياً و إثباتاً ، و اذا كان كل على طريق ، فان المقطوع به أن يكون أحد الفريقين على طريق الهدى و الاخر على طريق الضلال و لا يجتمعان إذ طريقان مختلفان : هدى و ضلال ، و فريقان مختلفان : مهتدون و ضالون ، و أهل الهدى على طريق الهدى و أهل الضلال على طريق الضلال ، و أما أين طريق الهدى ؟ و من هم أهله ؟ و أين طريق الضلال ؟ و من هم أصحابه ؟ فهذه قضية تحتاج إلى نظر و انصاف ، و عندئذ يتبين الرشد من الغي و الضلال من الهدى فانظروا بعين الانصاف إلى ما القى إليكم من الحججة و ميزوا المهدي من الضال ، المحق من المبطل ، المطيع من الطاغى ، المصلح من المفسد ، و المحسن و المسيء . . .

٤ - قيل : هذا على وجه الاستعطاف و المداراة لئسمع الكلام ، و هذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى و خصمه إلى الضلال لانه كلام من لا يكشف خصمه بالتضليل ، بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثه على النظر و لا يجب النظر إلا بعد التردد . ٥ - قيل : أى إنا لعلى هدى و انكم إياكم فى ضلال ميبين لان العرب تضع « أو » فى موضع داو الموالاة .

أقول : و لكل وجه حسن و المآل واحد و المعانى متقارب فتدبر جيداً .

٢٧ - (قل أرؤنى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم) فى « كلا » أقوال : ١ - قيل : « كلا » رد لهؤلاء المشركين حين لم يجيبوا للنبي الكريم ﷺ ما طلب منهم من لياقة الشركاء للالوهية . و المعنى : فلما أجبتم عما طلبت منكم فليس الامر كما تزعمون و لا ما تصفون فلا ينبغي لكم أن تجعلوها شركاء لله سبحانه .

٢ - قيل : « كلا » رد لجوابهم المحذوف كأنه قال : أرؤنى الذين ألحقتموهم بالله سبحانه شركاء ؟ قالوا : هى الاصنام ، فقال : كلا أى ليس هؤلاء شركاء لله

سبحانه إذ ليس لهم صفات الالوهية من العزة والحكمة . ٣ - قيل : « كلا » ردع لهم عن اعتقاد شريك له سبحانه ، والمعنى : ارتدعوا عن هذا المقال ، و تنبهوا عن هذا الغي والضلال .

أقول: والآخر هو الانسب بظاهر السياق فتدبر و اغتتم .

٢٨ - (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

في « كافة » أقوال: ١ - عن أبي مسلم : أى كافاً للناس عن المعاصي والكفر . على أن الهاء للمبالغة كعلمامة و نسابة . والمعنى : و ما أرسلناك للناس إلا أن تكفهم وتردعهم عما هم فيه من الكفر والعصيان ، و تدعوهم إلى الطاعة والإيمان . ٢ - قيل : كافة بمعنى العامة . والمعنى : و ما أرسلنا إلا للناس عامة . و فى الكلام تقديم و تأخير .

٣ - عن الزجاج : أى و ما أرسلناك إلا جامعاً للناس بالتبشير والانهذار والدعوة والإبلاغ . والكافة بمعنى الجامع . والتاء كالتاء فى العافية والعاقبة . ٤ - عن الجبائى : أى و ما أرسلناك إلا إرسالاً كافة للناس . أى كلهم من العرب والعجم و جميع الأمم .

٥ - قيل : أى إلاً ذاكافة على حذف المضاف أى زامنع للناس من أن يشذوا عن تبليغك . وقيل : أى زامنع لهم من الكفر . ومنه كف الثوب لانه ضم طرفيه . و قيل : أى عامة لان الرسالة اذا شملتهم فقد منعتهم أن يخرج أحد منهم . والكف المنع و كافة صفة لرسالة .

أقول: و على الرابع جمهور المحققين .

وفى قوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » أقوال : ١ - قيل : أى ولكن أكثر الناس لا يعلمون رسالتك لاعراضهم عن النظر فيما أوحينا إليك من الآيات القرآنية وآيتك من المعجزات الباهرة . ٢ - قيل : أى ولكن أكثر

الناس لا يعلمون ان في اتباعك عزة و سعادة و كمالاً في الحياة الدنيا و ثواباً من نعيم الجنة و نجاة من عذاب النار في الآخرة ، و في مخالفتك ذلة و شقاء و انحطاطاً في الدنيا و عقاباً بعذاب النار و حرمان الجنة في الآخرة .

٣ - قيل : أى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ما عند الله تعالى و ما لهم من النفع في إرسال النبي الكريم ﷺ و هم المشركون ، و كانوا في ذلك الوقت أكثر من المؤمنين عدداً أو كان أكثر الناس يومئذ مشركين . و قيل : و ذلك لا لخفاؤه ولكن لغفلتهم . ٤ - قيل : أى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ان الله تعالى أرسلك كذلك إلى جميع الناس .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق ولكن الاخير غير بعيد .

٣٠ - (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)

في « ميعاد يوم » أقوال : ١ - قيل : ميعاد يوم هو يوم البعث و وقت الساعة . ٢ - عن أبي مسلم : هو وقت حضور الموت ، فاذا جاء تنظروا للتوبة والانابة ، ولا تستقدمون قبله بالعذاب لان الله جعل لكم ذلك أجلاً لا تعدونه ساعة . والمعنى : لكم أيها المشركون قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه ، فتعلمون عندئذ حقيقة قولي . ٣ - قيل : هو يوم بدر . و ذلك لان هذا اليوم كان ميعاد عذابهم في الحياة الدنيا في حكم الله تعالى .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

٣١ - (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذي بين يديه و لو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لو لا أنتم لكننا مؤمنين)

في « الذين كفروا » أقوال : ١ - قيل : هم مشركو مكة و كفار قريش ، و ذلك لانهم سئلوا أهل الكتاب ، فأخبروهم : انهم يجدون صفة محمد ﷺ في كتبهم ، فأغضبهم ذلك و قرنوا إلى القرآن جميع الكتب و قالوا : لن نؤمن

بالقرآن ولا بما جاء قبل القرآن من الكتب السماوية . ٢- قيل: هم أهل الكتاب لانهم موقوفون عند ربهم يوم القيامة ، فانهم لم يؤمنوا بالقرآن الكريم و قد جاء في كتبهم بصدقه . ٣- قيل: هم اليهود العنيد . ٤- قيل: يعم جميع الكافرين من أهل الكتاب و كفار مكة و غيرهم من الكفار إلى يوم القيامة .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

و في « ولا بالذي بين يديه » أقوال : ١- عن قتادة : أى التوراة والانجيل . و ذلك لان كفار مكة لما سئلوا أهل الكتاب عن الرسول ، فاخبروهم: انهم يجدون نعت النبي الكريم ﷺ في كتبهم غضبوا وقالوا : « لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه » من التوراة والانجيل اللذين يصفانه . و كانت كفار قريش يراجعون قبل ذلك أهل الكتاب ، و يحتجون بقولهم ، فظهر بذلك تناقضهم و سفاهتهم و جهلهم . و قيل : لما قال مؤمنو أهل الكتاب لكفار قريش : ان صفة محمد ﷺ في كتابنا وهونى مبعوث كفر المشركون بكتابهم لان المشركين و ثنيون ليسوا قائلين بالنبوة و يتبعها الكتاب السماوى .

٢- عن ابن جريج : اريد بالذى بين يديه يوم الاخرة . وقائل ذلك أبو جهل بن هشام . ٣- قيل: أى الكتب السماوية المتقدمة قبل القرآن جميعها من الصحف والزبور والتوراة والانجيل .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين ، و قيل: هذا هو الاصح بقريظة ذكر القرآن قبل الجملة . ولكن الثانى هو الانسب بظاهر السياق من ذكر موقفهم يوم الحساب . و في « ترى » أقوال : ١- قيل: خطاب للرسول ﷺ فان المشركين بمعزل عن فهم الخطاب . ٢- قيل: خطاب لكل من آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ و بما جاءهم به . ٣- قيل : خطاب لكل من يصلح له .

أقول: و على الاول جمهور المفسرين .

٣٣ - (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار

اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)
 فى « بل مكر الليل والنهار » أقوال : ١ - عن ابن زيد والنحاس : أى
 أيها العظماء السادة والرؤساء القادة بل مكركم بنا ليلاً ونهاراً ودعاءكم لنا
 إلى الكفر والمعصية هو الذى حملنا على الكفر والمعصية ، فأنتم أزلتمونا عن
 عبادة الله بعبادة الاصنام والاونان وغيرهما مما اتخذتموها آلهة لنا ولكم . والمكر :
 الاحتيال والخديعة . ٢ - عن سفيان الثورى : أى عملكم فى الليل والنهار حملنا
 على الكفر والمعصية . لما ورد : « الناس على دين ملوكهم »

٣ - عن قتادة : أى بل صدنا مكركم بنا وخذاعكم فى الليل والنهار حتى
 أزلتمونا عن عبادة الله ، فتغرونا وتمنوننا وتخبروننا اننا على الهدى ، وانا على
 كل شىء وكل ما سواه باطل وكذب وإفراء قال الله تعالى : « وانهم ليصدونهم
 عن السبيل و يحسبون انهم مهتدون » الزحزف : (٣٧) ٤ - عن المبرد : أى بل
 مكركم الليل والنهار . كما تقول العرب : نهاره صائم و ليله قائم . على الاسناد
 المجازى . والمعنى : جعلتم ليلىكم و نهاركم ما كرين . ٥ - عن سعيد بن جبير :
 أى مر الليل والنهار عليهم فغفلوا . و قيل : طول السلامة فيهما كقوله تعالى :
 « فطال عليهم الامد » .

أقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق و خاصة قوله : « إذ تأمرونا . . .
 الخ » من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

و فى « أسروا الندامة » أقوال : ١ - قيل : أى أظهروا الندامة . و هو من
 الاضداد إذ يكون بمعنى الاخفاء و الابداء . فأظهر الأتباع الندامة على الضلال
 و المتبوعون أظهروها على الاضلال تارة و على الضلالة تارة اخرى . ٢ - قيل :
 أى أخفى الأتباع و المتبوعون الندامة فى أنفسهم على ما فعلوا من الكفر عن
 غيرهم خوف الفضيحة و الخزى على نحو ما يجرى بين الناس فى الحياة الدنيا .

وإخفائهم الندامة يوم القيامة - وهو يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء - نظير كذبهم على الله وإنكارهم الشرك بالله و حلفهم لله كاذبين كل ذلك من قبيل ظهور ملكاتهم الرذيلة التي رسخت في نفوسهم فقد كانوا يسرون الندامة في الدنيا خوفاً من شماتة الأعداء وكذلك يفعلون يوم القيامة مع ظهور ما أسروا و اليوم يوم تبلى السرائر كما يكذبون بمقتضى ملكة الكذب مع ظهور أنهم كاذبون في قولهم .

٣ - قيل : أى أخفاها كل منهم عن الآخر مخافة الشماتة . فهم أسروا الندامة فيما بينهم ، و لم يجهروا القول بها كما قال : «أسروا النجوى» .

٤ - قيل : أثبتت الندامة فى أسرة وجوههم . ٥ - قيل : ان الندامة لا تظهر ، و انما تكون فى القلب ، و انما يظهر ما يتولد عنها . ٦ - قيل : إظهارهم الندامة هو قولهم : «فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين» ٧ - قيل : أى أخفى الرؤساء المتبوعون الندامة عن الأتباع المردة فى إضلالهم ، فاضروا الندامة على ما فرط منهم فى الحياة الدنيا .

٨ - قيل : أى أقبل بعضهم على بعض يلومه و يظهر ندمه . ٩ - قيل : أى أنهم شعروا فى أنفسهم و داخل صدورهم بالندامة على ما كان منهم فى الحياة الدنيا .
أقول : و الأول هو المراد و قريب منه الثالث .

وفى «أعناق الذين كفروا» أقوال : ١ - عن ابن عباس أى جعلت الجوامع فى أعناق التابعين و المتبوعين ، فهم يغلبون بالأغلال فى نار جهنم . ٢ - قيل : أى فى أعناق غير هؤلاء الفريقين من سائر الكفار . و ذلك لما تم الكلام عند قوله : «لما أوا العذاب» إبتدأ بقوله : «و جعلنا الأغلال» بعد ذلك فى أعناق سائر الكفار ٣ - قيل : ان الإطلاق يشمل للمستضعفين و المستكبرين و غيرهم من الكفار .

أقول : و على الأول أكثر المفسرين ولكن الأخير لا يخلو من وجه
٣٧ - (و ما أموالكم و لا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى إلا من آمن

وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)
 في قوله تعالى : « الأمن آمن وعمل صالحاً » أقوال : ١ - عن سعيد بن
 جبير و ابن زيد : أى الأمن آمن وعمل صالحاً ، فلن يضره ما له و ولده فى
 الدنيا . فالمقرب هو الايمان و صالح الاعمال و لا تضره الاموال الحلال والاولاد
 الصالحة . و قال بعض الزهاد : اللهم جنبنى المال و الولد المطغيين أو اللذين
 لاخير فيهما و أما المال الحلال و الولد الصالح للمؤمن فنعمة هذا . ٢ - قيل : أى
 لكن من آمن وعمل صالحاً ، فايماثه و صالح عمله يقرّبانه منى و إن كان ذاملاً
 و بنين . ٣ - قيل : أى الأمن آمن وعمل صالحاً و لم يكن له أموالاً ولا أولاداً
 فانهما يمنعان المؤمن من التقرب إلى الله تعالى .

٤ - قيل : أى ان الاموال و الاولاد تقرّب المؤمن عند الله قريى . وقيل :
 ان الاموال و الاولاد لا تقرّب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى ينفق الاموال فى
 سبيل الله ، و يعلم أولاده الخير و الفقه فى الدين . ٥ - قيل : أى ان شيئاً من
 الاشياء لا يقرب إلا عمل المؤمن الصالح لان ماسوى ذلك شاغل عن الله جل و علا
 و العمل الصالح إقبال على العبودية ، و من توجه إلى الله وصل و من طلب شيئاً
 من الله حصل .

أقول : والاول هو المؤيد بالر وايات الآتية فانتظر .

وفى قوله تعالى : « جزاء الضعف » أقوال : ١ - قيل : ان جزاء الضعف
 أن يعطى الله تعالى المؤمنين فى الآخرة مثل ما كان لهم فى الدنيا من النعيم . ٢ -
 قيل : جزاء الضعف هى جزاء الحسنه من عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف . ٣ - قيل :
 أى لهم جزاء الاضعاف . ٤ - عن أبى مسلم : جزاء الضعف هى : جزاء المثل .
 ٥ - قيل : الضعف الزيادة أى لهم جزاء التضعيف و هذا من باب إضافة المصدر
 إلى المفعول .

أقول : والثانى هو المروى .

وفي قوله تعالى: «وهم في الغرفات» أقوال: ١- قيل: أى لكل واحد منهم غرفة على التساوى. ٢- قيل: أى لكل واحد منهم غرفات على التساوى. ٣- قيل: أى لكل واحد منهم غرفة على حسب عمله. ٤- قيل: لكل واحد منهم غرف حسب عمله. والغرفة بيت فوق البناء تسمى قبة عالية.

أقول: والآخر هو المؤيد بالآيات القرآنية.

٣٩- (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين)

في قوله تعالى: «قل ان ربي - وما أنفقتم من شيء» أقوال: ١- قيل: أى قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاء الكافرين المغترين بالأموال والاولاد: ان الله يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تغترا بالاموال والاولاد بل أنفقوها في طاعة الله تعالى فان أنفقتموه في طاعة الله فهو يخلفه لكم إما في الدنيا بالزيادة وإما في الآخرة بالثواب. فالتكرار للتأكيد السابق. فالخطاب للكافرين. ٢- قيل: أى قل يا أيها النبي ﷺ للناس جميعاً من الكافرين و المؤمنين. فالتكرار للتعميم إذ كان الخطاب فيما سبق خاصاً للكافرين. ٣- قيل: أى قل للمؤمنين. على ان الكلام السابق كان متوجهاً إلى الكافرين. وهذه الآية للمؤمنين، ففي التكرار فوائد لا تخفى على المتدبر الخبير.

أقول: والآخر هو الصواب اذ لا ثواب لانفاق الكافرين ولا خلف لهم.

وفي قوله تعالى: «وهو خير الرازقين» أقوال: ١- قيل: وهو خير الرازقين الذين تظنونهم رازقين لكم كقوله تعالى: «وهو أحسن الخالقين» ٢- قيل: ان الصفات على أقسام: منها - ما يتصف به الله تعالى والعبد حقيقة كالعلم والقدرة والسمع والبصر. ومنها - ما يتصف به الله تعالى حقيقة والعبد مجازاً. ومنها - ما يتصف به الله تعالى وحده ولا يتصف به العبد لاحقيقة ولا مجازاً. و الاول كعلمه تعالى بأنه واحد، و علم العبد بان الله تعالى واحد حقيقة.

وكذلك العلم بان النار حارة ، و الفرق : هو القدم و الحدوث . و الثاني كالرزاق و الخالق ، فلان العبد اذا اعطى غيره شيئاً فالله تعالى هو الرزاق حقيقة ، و العبد المعطى رزاق مجازاً كاطلاق الفرس على ذاته بالحقيقة و على صورته المنقوشة على الجدار بالمجاز . و الثالث كصفة الازلية و القدمية و الالوهية . و قيل : و يمكن الرابع و هو عكس الثالث كاطلاق الاستواء و النزول و المعية و اليد و الجنب على الله سبحانه بالمجاز و على العبد بالحقيقة .

٣- قيل : ان للرزق أسباباً كثيرة كلها علل ناقصة في حصول الرزق تمت العلة بمشيئة الله تعالى ، فلما اجتمعت جميع العلل دون المشيئة لا يمكن الحصول ، فاذا انضمت بها يحصل لامحالة ، ولا يمكن أن تحصل المشيئة ولا توجد الاسباب ، فالله هو خير الرازقين كقوله تعالى : « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و الارض لا اله الا هو ، فاطر : ٣)

٤- قيل : أى خير ممن تنظرون إليه من وسائط الرزق ، و مما تعدونه وسائط الرزق من الاسباب السماوية و الارضية ، و من القوى العمالة في اصال الرزق ، فكل من كان غير الله تعالى من أسباب الرزق ليس إلا آلة اصال الرزق و الرزاق الحقيقي هو الله تعالى ، فالله جل و علا اعطى المرتزق أسباب الارتزاق ، و آلاتها ، و اعطى الرزق الصورى صورة و كيفية بها يرتزق المرتزق ، و هو الذى يعطى الرزق بغير عوض و لا غرض و لا منة بخلاف غيره من وسائط الرزق .
أقول : و على الثاني أكثر المحققين . و أما القول باشتراك بعض الصفات بين الله تعالى و بين العبد فمن باب الاشتراك في اطلاق لفظ الصفة على الله جل و علا و على العبد ، و إلا فحقيقة الصفة لله تعالى غير حقيقة الصفة للعبد ، حيث ان صفة العلم لله جل و علا غير صفة العلم لنا المخلوقين كاطلاق الشمس على الجرم المنير ، و على ما فى المرأة .

فالله تعالى هو خير من يعطى و يرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق

جنده ، أوسيد يرزق مملوكه ، أو رجل يرزق عياله . . . فهو من رزق الله جل و
علا أجراه الله تعالى على أيدي هؤلاء ، وهو تعالى رازق حقيقة لارازق سواء .
٤١ - (قالوا سبحانه أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم
بهم مؤمنون)

في «الجن» أقوال : ١- قيل : الجن هم الشياطين من ابليس وقبيله وذريته
وأعوانه . . . وان المشركين كانوا يعبدونهم ويطيعونهم فيما يدعونهم إليه من
الشرك بالله سبحانه على صورته المختلفة ، والانهماك في الشهوات و المعاصي
والايمان بغير الله بسبب وسوستهم وإغوائهم . ٢- الجن هم الذين كان المشركون
يعوذون بهم ويعبدونهم من مبادئ الشرور في العالم ، فيعبدونهم اتقاء من شرورهم
كما كانوا يعبدون الملائكة طمعاً في خيراتهم لما انهم مبادئ للخيرات و
يعبدون الاصنام والادوات وغيرها من الالهة ليقرّبوهم إلى الله زلفى .
٣- قيل : الجن هي التي كان المشركون يدخلونها في أجواف الاصنام
فيعبدونها بالعبادة لها .

أقول: وعلى الثاني جمهور المحققين .

٤٢ - (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرراً و نقول للذين ظلموا
ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)

في قوله تعالى : «لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرراً» في الخطاب أقوال :

١- قيل : خطاب للملائكة . والمعنى : فيوم القيامة لا يملك بعضكم أياً للملائكة
للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعاً ، ولا هم ينفعونكم بعبادتهم ، ولا ضرراً بنا لو نكس
به ولا تنالونهم به . وقيل : أي لا تملك الملائكة دفع ضرر عن عابديهم ، ولا جلب
منفعة لهم . ٢- قيل : خطاب للكفار والملائكة جميعاً وإن كان الكفار غائبين كما
تقول لمن حضر عندك ولمن شاركه في أمر بسببه : أنتم قلتتم كسداً على معنى :
أنتم قلتتم وهم قالوا . ويحتمل أن يكون الكفار حاضرين . فالخطاب لهم وللملائكة

الذين كانوا هم يعبدونهم وهم جميعاً حاضرون . ٣- قيل: خطاب لكفار من التابعين المستضعفين ، والمتبوعين المستكبرين لان ذكر اليوم يدل على حضورهم .
والمعنى : فيومئذ لا يقع لكم أيها المشركون المستكبرون والمردة نفع ممن كنتم ترجون نفعه من الأوثان والاصنام والآلهة الذين إدخرتم عبادتهم لشدايدكم وكروبكم وأن تقربوا إلى الله زلفى . وذلك لان الامر في ذلك اليوم لله الواحد القهار لا يملك أحد فيه منفعة لاحد ولا مضرة له . وقيل : أى لا يملك بعضكم لبعض يعنى المعبودين المتبوعين نفعاً للعابدين التابعين بالشفاعة، ولا ضرراً بالتعذيب .

أقول: وعلى الاخير أكثر المفسرين .

٤٣- (و اذا تنلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

فى القائلين فى قوله تعالى : «قالوا - مرتين- وقال الذين كفروا» أقوال :
قيل : انهم جميعاً كانوا يقولون تارة بالاولى ، وتارة اخرى بالثانية ، وثالثة بالثالثة .
٢- قيل : هم طائفتان : طائفة قالوا : «ما هذا إلا رجل» و«ما هذا إلا إفك مفترى» وطائفة آخرون قالوا : «إن هذا إلا سحر مبين» ٣- قيل : هم طوائف ثلاث : طائفة قالوا بالاول ، وطائفة قالوا بالثانى ، وطائفة قالوا بالثالث .

أقول: ولكل وجه ولكن الاوجه هو الاول .

وفى «ما هذا إلا إفك مفترى» أقوال : ١- قيل : أى هذه الدعوة إلى التوحيد والعبادة لله وحده وإلى إبطال الشرك إلا كذب مخلوق . ٢- قيل : أى ليس ما يتلوه علينا ويدعى انه قرآن نزل عليه الا كلام مصروف عن وجهه لامصداق له فى الواقع ، مفترى باسناده إلى الله تعالى . ٣- قيل : أى ليس ترك عبادة الالهة الا كذب مصروف عن وجهه .

أقول: والثاني هو الانسب بظاهر السياق .

وفى «للحق» أقوال : ١- قيل : أى لأمر النبوة . ٢- قيل : أى لأمر الاسلام

٣- قيل : أى القرآن . ٤- قيل : أى المجموع .

أقول: والثالث هو الظاهر .

٤٥- (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي

فكيف كان تكبير)

فى «وما بلغوا معشار ما آتيناهم» أقوال : ١- عن ابن عباس و قتادة و ابن زيد : أى لم يبلغ قومك يا محمد ﷺ عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الامم الماضية ، من القوة والأيد و البطش وغير ذلك من النعم . ومعشار الشئ : عشره . فالمعشار : عشر العشر . والمعنى : ان المشركين من قومك إذا لم يبلغوا معشار الاقدمين ، فكيف يكذبونك .

٢- قيل : أى ما بلغ أهل مكة من مشركى قريش و غيرهم من العرب عشر ما آتينا الامم السابقة من القوة و كثرة المال و طول العمر و السلطة و البطش و النعمة كقوم عاد و ثمود و نوح و من إليهم من الامم الماضية ، فلما طغوا أهلكتناهم فكيف بمشركى العرب . قيل : المعشار والعشر سواء .

٣- قيل : أى ما بلغ من قبلهم معشار ما آتينا هؤلاء من البينات و الهدى . والمعنى : ما أعطى الله تعالى الامم الماضية معشار ما أعطى المشركين من البيان و العلم و الحججة و البرهان ، فلما كذبت الامم السابقة بما أعطاهم الله أهلكتهم فكيف هؤلاء المشركون اذا كذبوا بما اعطيناهم من البينات و الحجج و البراهين و العلوم الكثيرة . و قال ابن عباس أيضاً : فليس امة أعلم من امة محمد ﷺ ولا كتاب أبين من كتابه لان محمداً ﷺ أفصح الرسل و أشرفهم و دينه أكمل الاديان و كتابه أوضح الكتب . وقيل : المعشار هو عشر العشير ، والعشير هو عشر العشر فيكون جزءاً من ألف جزء ، والمراد به المبالغة فى التقليل .

٤- عن النقاش : أى ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم .
 أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين ، وللثالث وجه وجيه فتأمل واغتنم جداً .
 وفى قوله تعالى : « فكيف كان نكير » أقوال : ١- قيل : أى فكيف كان
 قصاصى وعقابى وعاقبة إنكارى وتكذيب آياتى ورسلى و غضبى على المكذبين و
 مكافأتى فى الحياة الدنيا بالكافرين العاصين قبل عذابى لهم فى الآخرة . ٢- قيل :
 أى عقوبتى بتغيير نعمنا عنهم بسبب ما غيروها من الكفر والكفران . ٣- عن
 أبى مسلم : أى انظر فى آثارهم كيف كان إنكارى عليهم بالهلاك وما حل بهم من
 الدمار والاستئصال . ٤- قيل : أى فكيف كان عقوبتى فى الامم الماضية وتغييرى حالهم .
 أقول: ولكل وجه من غير تناف بينها .

٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا
 ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)
 فى «بواحدة» أقوال : ١- عن مجاهد: أى بطاعة الله تعالى . ٢- عن مجاهد
 أيضاً وابن عباس والسدى : أى اوصيكم بكلمة واحدة وهى كلمة التوحيد وهى
 الشهادة بان لا إله إلا الله . وهى كلمة مشتملة لجميع الكلام من نفى الشرك و
 اثبات التوحيد ، ومن ترك الطغيان ، والالتزام بلوازم الايمان . ٣- قيل : أى
 بالقرآن لانه يجمع كل المواظ . ٤- قيل : أى بحسنة واحدة .

٥ - قيل : أى بخصلة واحدة وهى أن تقوموا لله . فالمصدر المنسبك ، عطف
 بيان للواحدة . والمعنى : انما أعظكم بواحدة فيها اصابتم الحق وخلصكم ،
 وهى أن تقوموا لوجه الله تعالى متفرقين إثنين إثنين أم واحداً واحداً ثم تتفكروا
 فى أمر محمد ﷺ وما جاءكم به . وذلك لان ما فوق الاثنين و الاجتماع
 والفوغاء قد يشوش الفكر ويوجب اختلاف الرأى ، ويفلب الشهوة على العقل ،
 وان الفوغاء والاجتماعات العامة لاشعور لها ، ولا فكر ، وكثيراً ما تميت الحق و
 تحمى الباطل ، ويختلط فيها الحابل والنابل ، وتسود فيها الاهواء ، وتضعف فيها

قوة المنطق، ولا يؤدي الجدال فيها إلى نتيجة حاسمة ومرضية .
وان الزعماء الذين تولوا كبر المعارضة والتعطيل بدافع الاستكبار والمكر
السيء يتوخون الفوغاء والاجتماعات العامة .
وان الامر العظيم في حاجة شديدة إلى الفكر والتعقل ، وهذا لا يمكن مع
الفوغاء والاجتماعات العامة ، وأما الاثنين ، فيعرض كل من الاثنين محمول فكره
على صاحبه من غير عصبية ولا اتباع هوى ، وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل
ونصفه .

أقول: وعلى الاخير جمهور المحققين .

وفي «أن تقوموا لله» قولان : أحدهما - قيل : اريد بالقيام قيامهم عن مجلس
النبي ﷺ متفرقين إلى أوطانهم . فالقيام حقيقة . ٢- قيل : اريد بالقيام الاهتمام
بالامر والنهوض له بالعزم والجد، والاقبال على أمر الرسالة مناظراً مع غيره ومتفكراً
في نفسه فيما جاء به النبي ﷺ .

أقول: وعلى الثاني جمهور المفسرين .

وفي قوله تعالى: « مثنى وفرادى » أقوال : ١ - عن السدي : أي
مجتمعين ووحداً . ٢ - قيل : أي مشاوراً لغيره ، ومنفرداً برأيه . و
المعنى : اثنين اثنين و واحداً واحداً . ٣ - عن القتيبي : أي مناظراً مع غيره
ومفكراً في نفسه . ٤ - عن الماوردي : ان المثنى عمل النهار والفرادى عمل
الليل لانه في النهار معان ، وفي الليل وحيد . ٥ - قيل : انما قال تعالى : «مثنى
وفرادى» لان الذهن حجة الله تعالى على العباد وهو العقل ، فأوفرهم عقلاً أو
فرهم حظاً من الله تعالى ، فاذا كانوا فرادى كانت فكرة واحدة ، و اذا كانوا مثنى
تقابل الذهنان ، فتراءى من العلم لهما ما أضعف على الانفراد .

٦- قيل : إشارة إلى جميع الاحوال لان الانسان إما أن يكون مع غيره
أولاً فكأنه قال : أن تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية عن ذكر الله ،

ولا يحوجكم الانفراد إلى معين يعينكم على ذكر الله .

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين .

وفي قوله تعالى : «ما بصاحبكم من جنة» أقوال : ١- قيل: أى ثم تتفكروا من غير تصديق بلا تصور، وأنتم فى فسحة من ذلك ، ولانأخذكم بالعقاب عندئذ حتى تعلموا ما بصاحبكم من جنة . فالمجرور متعلق بما قبله . ٢- قيل : أى ثم تتفكروا أى شىء به من آثار الجنون . على أن «ما» استفهامية . ٣- قيل : أى ثم تتفكروا هل جرّ بتم على صاحبكم كذباً ، أو رأيتم فيه جنة أو فى أحواله من فساد ، أو اختلف إلى أحد ممن يدعى العلم بالسحر أو تعلم الأفاصيص وقرأ الكتب، أو عرفتموه بالطمع فى أموالكم أو تقدرون على معارضة فى سورة واحدة ، فإذا عرفتم بهذا الفكر صدقه ، فما بال هذه المعاندة ؟

أقول: والآخر هو الأنسب بظاهر السياق ، وفى معناه الاول فتدبر جيداً .

وفي قوله تعالى : «بين يدي عذاب شديد» أقوال : ١- قيل : إشارة إلى عذاب قريب كأنه قال: ينذركم بعذاب يمستكم قبل عذاب يوم القيامة . ٢- قيل: إشارة إلى عذاب النار يوم القيامة . وإنما جعل إنذاره بين يدي العذاب لأن محمداً ﷺ مبعوث قرب الساعة كما جاء فى الحديث : «بعثت أنا والساعة جميعاً وإن كانت لتسبقنى» .

٣- أقول : والتعميم غير بعيد من سياق الاطلاق .

٤٧ - (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد)

فى «ما سئلتكم من أجر فهو لكم» أقوال : ١- قيل : ان النبى ﷺ لم يسئلهم أجراً لامر الرسالة أصلاً . كما يقول الرجل لصاحبه : إن أعطيتنى شيئاً فى ذلك الامر فخذ . وهو يريد انه لم يعطه وهو لم يأخذ منه فيه شيئاً . ومنه : الفصح مجان . فالمعنى : لا أسئلكم على تبليغ الرسالة شيئاً من عرض الدنيا

فتتهموني ، و ما طلبته منكم من أجر عليه فهو لكم ، فلم أسئلكم عليه أجراً حتى أكون بموضع تهمة باننى انما أدعوا إلى ما أدعو إليه ، ابتغاء كسب مادي لذات نفسى . . انها دعوت بريئة من كل غرض شخصى ، خالصة من كل مؤنة تحملونها من أجلها .

و ذلك لان العاقل لا يركب العناء الشديد إلا لغرض عاجل ، و هو غير موجود ههنا بل كل أحد يعاديه و يقصده بالسوء ، أو لغرض آجل ولا يثبت الا على تقدير الصدق ، فان الكاذب معذب في الآخرة لا مثاب .

٢ - قيل : أراد النبي ﷺ أجراً فى تبليغ الرسالة ولكن ما فى قوله تعالى : « لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى » وقوله تعالى : « ما أسئلكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً » لان المودة فى القربى قد انتظمتهم و إياهم ، و كذا اتخاذا السبيل إلى الله تعالى ، و فيه نصيبهم و نفعهم .

٣ - عن الماوردى : أى إن أجر ما دعوتكم إليه من إجابتي و ذخره هو لكم دونى . فان يكن هناك أجر و خير فى هذه الدعوة فهو لكم ، و أما أنا فان أجرى على الله تعالى ، فيعطينى ما شاء ، فأنا أحمل رسالته إليه خالصة ، ولا آخذ منكم على هذا الحمل أجراً .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ، ولكن الثانى هو المرادى وهو الصواب ، و غيره لا يخلو أيضاً من وجه .

٤٨ - (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

فى « يقذف بالحق » أقوال : ١ - عن قتادة : أى يلقي بالوحى . وعنه أيضاً : أى يلقي القرآن . ٢ - قيل : أى يبين الله تعالى الحجة و يظهرها . ٣ - عن ابن عباس و ابن زيد : أى يدمغ الباطل بالحق ، فيهلك الباطل و يزيل آثاره ، و يثبت الحق و يشيعه فى الآفاق . . . و ذلك لان براهين التوحيد و أدلة البعث و الجزاء قد ظهرت ، و شبه المبطلين و الشاكين قد دحضت .

٤ - قيل : أى يلقى الله تعالى الحق فى قلوب أهله . ٥ - قيل : أى يلقى الله جل و علا الاسلام فى قلوب المسلمين . ٦ - عن قتادة أيضاً و مقاتل : أى يلقى الله تعالى الحق إلى أنبيائه عليهم السلام .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق و قريب منه الاول والثانى .

٤٩ - (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

فى « الحق » أقوال : ١ - عن قتادة والنحاس : أى جاء الوحي وهو القرآن الكريم الذى فيه البراهين والحجج . ٢ - قيل : أى جاء صاحب الحق . على حذف المضاف . ٣ - قيل : الحق هو رسالة محمد صلى الله عليه وآله و نبوته . ٤ - قيل : الحق هو الاسلام . ٥ - عن ابن مسعود : الحق هو الجهاد بالسيف . ٦ - قيل : الحق هى المعجزات الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وآله . ٧ - قيل : الحق هو بيان التوحيد والعشر والحساب والجزاء وكلما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله من الاصول والفروع . . .

٨ - قيل : اريد بمجىء الحق ظهور الحق . ٩ - قيل : الحق هو التوحيد . ١٠ - قيل : اريد بان الحق قوى ظاهر والباطل ضعيف مستور ، و لم يبق له بقية يقوى بها ضعفه ، وينجبر بعد و ههنا أى ما تقوم له قائمة فى بدء و لا عود .
أقول: والسياق يؤيد الاول .

وفى « الباطل » أقوال : ١ - قيل : الباطل هو عبادة الاصنام والاولئان ، فذهبت زهاباً لم يبق منها إقبال و إدبار ولا إبداء ولا إعادة منها . ٢ - قيل : كلما يقابل الحق و ينافيه فهو الباطل . ٣ - عن قتادة : الباطل ههنا ابليس لعنه الله تعالى . ٤ - قيل : الباطل هو الكفر والشرك بالله سبحانه .

أقول: والاول هو المؤيد برواية عبدالله بن مسعود فانتظر .

وفى قوله تعالى : « وما يبدىء الباطل وما يعيد » أقوال : ١ - عن الحسن : أى لا يبدىء ابليس لاهله و أتباعه خيراً فى الدنيا و لا ينفعهم فى الآخرة . ٢ -

قيل : أى لا يخلق ابليس أحداً ولا ينشئ خلقاً ولا يعيد أحداً بعد فناءه . وقيل : لا يعيد ابليس أتباعه حياً بعد فنائهم . وإنما المنشئ والباعث هو الله تعالى . وقيل : ان ابليس هو صاحب الباطل و هو هالك .

٣ - عن الزجاج : أى أى شئ ينشئ ابليس و يعيده . على أن « ما » استفهامية . ٤ - قيل : ان هذا مثل فى الهلاك لان الحى إما أن يبدى فعلاً أو يعيده ، فاذا هلك لم يبق له إبداء ولا إعادة . ٥ - قيل : ان الباطل لا يخلق أصلاً ولا يعيده ثانية ، فليس للباطل أصل و لا دوام و لا بقاء و لا قرار أمام الحق .

٦ - قيل : ان الحق هو الموجود الثابت ، و لما كان ما جاء به النسبى الكريم عليه السلام من بيان التوحيد والرسالة والحشر ثابتاً فى نفسه ، بيناً لمن نظر إليه كان جائئاً ، و حين كان ما أتوا به من الاضرار والتكذيب مما لا أصل له قيل : انه لا يبدى و لا يعيد . أى لا يعيد شيئاً لا فى الاول ولا فى الاخر . ٧ - قيل : و ما يبدى ابليس الباطل و لا يعيده بعد زواله و فوائه .

٨ - قيل : أى ما يظهر الباطل أمراً ابتدائياً جديداً بعد مجيئ الحق ، و ما يعيد أمراً كان قد أظهره من قبل إظهاراً ثانياً بنحو الاعادة فهو كناية عن بطلان الباطل و سقوطه عن الأثر من أصله بالحق الذى هو القرآن .

٩ - قيل : أى ان الباطل كان عند غلبة الحق وظهوره بمنزلة الواجم الساكن الحائر الذاهل الذى لا قدرة له على الحجاج ، و لا قوة له على الانتصار كقولهم : سكت فما أعاد و لا أبدى عند وصف الانسان بالحيرة و غلبة الفكرة ١٠ - قيل : أى صاحب الباطل لا يبدى و لا يعيد عند حضور صاحب الحق ضعفاً عن حجاجه ، و ضلالاً عن منهاجه . فجعل المضاف ههنا فى موضع المضاف إليه .

أقول : ولكل وجه ولكن الأوجه هو الثامن .

٥١ - (و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

فى قوله تعالى : « و لو ترى إذا فزعوا » أقوال : ١ - عن ابن عباس والضحاك

وقتادة : أى لوترى حين فزع المشركون فى الحياة الدنيا عند نزول الموت إذا رأوا بأس الله تعالى عند معاينة الملائكة لقبض أرواحهم . ٢ - عن قتادة أيضاً و الحسن : أى حين فزعوا فى القبور من الصيحة . وعنه أيضاً وذلك الفزع انما هو اذا خرجوا من قبورهم .

٣ - عن ابن مفضل : أى إذا عاينوا عقاب الله تعالى يوم القيامة و حلول العذاب بهم . ٤ - عن الضحاك أيضاً والسدى و ابن زيد : هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسيوف الملائكة ، فلم يستطيعوا فراراً من العذاب و لارجوعاً إلى التوبة . و هم قتلوا المشركين من أهل بدر و هم الذين بدلوا نعمة الله كفسراً و احلوا قوم دارالبوار جهنم .

٥ - عن سعيد بن جبير : هو الجيش الذى يخسف بهم من البيداء ، فيبقى منهم رجل ، فيخبر الناس بما لقي أصحابه ، فيفزعوا فهذا هو فزعهم . ٦ - قيل : أى حين البعث . ٧ - قيل : أى حين نزول نعمة الله تعالى بهم فى الدنيا .

أقول : والخامس هو المرادى ولكن الآية لاتأبى الانطباق على الأقوال ... وفى قوله تعالى : « فلافوت » أقوال : ١ - عن ابن عباس : أى فلا نجات . ٢ - عن الضحاك و مجاهد : أى فلا مهرب . ٣ - قيل : أى لن يفوت لنا ولا يلفت منهم أحد .

أقول : والآخر هو الظاهر ، والآخران من لوازم المعنى .

وفى قوله تعالى : « و اخذوا من مكان قريب » أقوال : ١ - قيل : أى و اخذ هؤلاء المشركون من بطن الارض إلى ظهرها . ٢ - قيل : أى اخذوا من ظهر الارض إلى بطنها . ٣ - قيل : أى اخذوا يوم القيامة من الموقف إلى النار . ٤ - قيل : أى اخذوا من صحراء بدر إلى قلبها . ٥ - قيل : أى اخذ من تحت أقدامهم اذا خسف بهم . ٦ - قيل : أى اخذوا من القبور . ٧ - قيل : أى اخذوا من حيث كانوا فهم من الله قريب لا يعزبون عنه و لا يفوتونه .

- ٨ - عن ابن عباس : نزلت في ثمانين ألفاً يفزون في آخر الزمان الكعبة ليخربوها ، وكما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب .
- ٩ - قيل : أى قبضت أرواحهم فى أما كنها ، فلم يمكنهم الفرار من الموت .
- ١٠ - قيل : أى اخذوا من شفا حفرة جهنم فالقوا فيها .
- أقول : والثامن هو المروى .

٥٢ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

- فى « وقالوا آمنا به » أقوال : ١ - عن مجاهد وابن زيد : أى قال الكافرين يوم القيامة حين رأوا فزعها و عذابها : آمنا بالله . ٢ - قيل : أى قالوا يومئذ : آمنا بالقرآن . ٣ - عن الحسن : أى قالوا يومئذ : آمنا بالبعث و الحساب و الجزاء . ٤ - عن قتادة : أى قالوا عند رؤية البأس و النعمة و حلولها بهم فى الحياة الدنيا : آمنا بمحمد رسول الله ﷺ . ٥ - قيل : أى قالوا عند الخسف : آمنا بالحق . كما ورد فى حديث السفينى .

أقول : والآخر هو المروى من غير تناف بينه و بين الأقوال الأخرى .

- وفى قوله تعالى : « و أنى لهم التناوش من مكان بعيد » أقوال : ١ - عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك : التناوش : الرد و الرجعة . فالكافرون يطلبون الرجعة إلى الدنيا ليؤمنوا و هيهات من ذلك ، و قد بعدت عنهم ، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولها . ٢ - قيل : أى من أين لهم أن يتناولوا بالايمان و ينتفعوا به فى الآخرة حين رأوا العذاب ، و قد بعد عنهم بكفرهم و طغيانهم فى الحياة الدنيا ، فذهب وقت وأوان الطاعة قال الله تعالى : « يوم لا ينفع نفساً ايمانها » .
- ٣ - عن السدى : التناوش : التوبة . فهم يطلبون التوبة و قد بعدت عنهم لانه انما تقبل التوبة فى الحياة الدنيا . فتناولهم التوبة و ايمانهم فى الآخرة بعيد عن الدنيا ، فان أمس الدابر لا يعود ، و إن كانت الآخرة قريبة من الدنيا ، و لهذا سماها الله تعالى الساعة و كل ما هو آت قريب .

٤ - قيل: أى من أين لهم أن يتناولوا الايمان سهلاً قريباً ، وهو بعيد عنهم ولم يكونوا يتناولونه عن قريب فى حال الاختيار، والانتفاع بالايمان وقد كفروا به فى الدنيا . و هم من مكان بعيد من الآخرة . وقيل: لم يرد بعد المكان ، وإنما أراد بعد انتفاعهم بذلك و بعدهم عن الحق والصواب .

٥ - قيل : التناوش هو تناول سهل لشيء قريب ، مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعيد كما يتناوله الآخر من قريب تناولاً سهلاً لاتعب فيه . ٦ - قيل : التناوش بلفظة اليمن : التذكرة . ٧ - قيل : التناوش : التمسك . والمعنى : و أنى لهم التمسك بالايمان و هم فى الآخرة دار الجزاء ، و هى أبعد بعيد من دار التكليف و هى الدنيا . ٨ - قيل : أى و أنى لهؤلاء الكافرين عند حلول النعمة و بأس الله تعالى بهم التناول بالايمان وقد مضى وقته وفات أوانه . أقول: والآخر هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

٥٣ - (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

فى « قد كفروا به » أقوال : ١ - قيل : أى و قد كفروا بالله تعالى . ٢ - قيل : أى و قد كفروا بمحمد رسول الله ﷺ . ٣ - عن قتادة : أى و قد كفروا بالايمان فى الحياة الدنيا .

أقول: ان الكلام فى الضمير فى « به » هو الكلام فى ضمير « آمننا به » . وفى « ويقذفون بالغيب » أقوال : ١ - عن مجاهد: أى يرمون فى محمد ﷺ و ما جاء به من الحق فيقولون : انه ساحر شاعر كاهن مجنون كذاب . و هذا تكلم بالامر الخفى ، و قد أتوا به من جهة بعيدة عن حاله ﷺ لانهم قد عرفوا منه الامانة والصدق و كمال العقل لا الخيانة والكذب ، و لا الزور والجنون . فهم يرمونه ﷺ بما لم يأتهم كتاب من الله تعالى و لا دليل ظاهر من نفس محمد ﷺ يدل على ما يرمونه به . فيقول بعضهم : انه ساحر ، و بعضهم : انه شاعر من غير يقين و لا دليل لهم فى ذلك . و جعله قذفاً لخروجه فى غير حق ،

فانه وَالْقَائِلُ كان بريئاً منها .

٢- عن قتادة : أى يرمون بالظن الكاذب ، فيتكلمون بما لم يظهر لهم فى أمر الآخرة من قطع القول بنفيه فيقولون : لا بعث و لا نشور و لا جنة و لا نار « وما نحن بمعذبين » رجماً منهم بالظن ، بل هذا أبعد ما يكون من الظن . وهم يبعدون أمر الآخرة ، فيقولون لاتباعهم : هيهات هيهات لما توعدون ، وذلك كالشيء يرمى فى موضع بعيد المرمى .

٣- قيل : أى هم قالوا : ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحاً و هو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا . ٤- عن ابن زيد : أى يرمون فى القرآن ، فيقولون : انه سحر و كذب و شعر و أساطير الاولين . ٥- قيل : أى أخذوا الشريك من حالهم فى العجز ، فانهم يحتاجون فى الامور العظام إلى التعاون ، فحاسوا الامر الالهى عليه . ٦- قيل : أى انهم يقذفون بالظن ان التوبة تنفعهم يوم القيامة عن مكان بعيد . ٧- قيل : انهم يحسبون العبادة للاصنام متمنين انهم يشفعون لهم يوم الحساب .

٨- قيل : أى قاسوا أمر الآخرة على الدنيا فائلين إن كان الامر كما تصفون من قيام الساعة و حصول الثواب والعقاب ، فنحن أكرم على الله من أن يعذبنا . ٩- قيل : أى انهم لما قاسوا قدرة الله على قدرتهم عجزوا عن إحياء الموتى فظنوا ان الله لا يقدر على البعث و قياس الخالق على المخلوق بعيد المآخذ .
أقول : والاول هو الانسب بما سبق من قول المختار فتأمل جيداً .

وفى قوله تعالى : « من مكان بعيد » أقوال : ١- قيل : هذا تمثيل لمن يرحم ولا يصيب . ٢- قيل : أراد البعد عن القلب أى من مكان بعيد عن قلوبهم . ٣- قيل : أى ان الله تعالى بعث لهم أن يعلموا صدق محمد وَالْقَائِلُ .
أقول : و على الاول أهل البيان .

٥٢ - (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم

كانوا في شك مريب)

في قوله تعالى : « و حيل بينهم وبين ما يشتهون » أقوال : ١ - عن الحسن :
أى حيل بين المكذبين الكافرين و بين الايمان بالله تعالى والانتفاع به حين
فزعوا فلا سبيل لهم إليه يومئذ . ٢ - عن مجاهد : أى حيل بينهم وبين ما يشتهون
من الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا حين عاينوا ما عاينوا . فحيل بينهم وبين التوبة
و قد منعوا منها .

٣ - عن الجبائي : أى بينهم و بين ما يشتهون إليه يوم القيامة من الجنة
و نعيمها . ٤ - عن أبى مسلم : أى فرق الله تعالى بينهم و بين ما يشتهون من
اللذائذ المادية والدنيوية بالموت الذى صل بهم كما حلّ بأمثالهم . ٥ - قيل :
أى حيل بينهم و بين رجوعهم إلى الحياة الدنيا و نعيمها و زهرتها .

٦ - عن مجاهد أيضاً و ابن زيد : أى و حيل بينهم و بين ما يشتهون من
مال و أهل و ولد و صديق و من زهرة الدنيا التى كانوا فيها منهمكون . ٧ -
قيل : أى و حيل بينهم وبين النجاة من العذاب و بأس الله تعالى و حلول النعمة بهم .
٨ - عن قتادة : أى انهم كانوا يشتهون لما رأوا العذاب و عاينوه أن يقبل
أن يطيعوا الله تعالى ورسوله ﷺ و يأتمروا بما أمرهم الله به و ينتهوا عما نهاهم
الله جل و علا عنه ، فحيل بينهم و بين ذلك لان ذلك انما كان فى الدنيا ، و قد
زالت فى ذلك الوقت . ٩ - قيل : أى منعوا و حجبوا من كل مشتبهى ، فيلحق الله
تعالى فيهم النفاق ، فلا يدركون شيئاً الا و يتألمون به .
أقول : و على الاول أكثر المحققين .

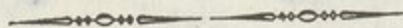
و فى قوله تعالى : « كما فعل بأشياءهم من قبل » أقوال : ١ - قيل : أى
كما فعل بأمثالهم من الكفار و أشباههم فى الكفر . ٢ - عن الضحاك : ارهد بأشباههم
أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة . ٣ - قيل : أى بموافقهم فى الشرك
بالله تعالى و الكفر بآياته و رسوله و إنكار البعث و الحساب و الجزاء و الانهماك

في الشهوات من الامم الماضية حين لم تقبل منهم التوبة وقت رؤية البأس والعذاب ،
و عند حلول النقمة والعقاب .

أقول: والآخر هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

وفي قوله تعالى : « انهم كانوا في شك مريب » أقوال : ١ - قيل : أى كان
المشركون في شك من أمر الرسل والبعث والحساب والجنة والنار . ٢ - قيل :
أى كان المشركون في شك فيما جاءهم به النبي الكريم ﷺ من الحق الذي
نزل إليه ، وقد تغلغل الشك في قلوبهم حتى صاروا مرتابين في كل ما يتلو عليهم
من آيات الله تعالى ويخبرهم به ، ولا يطمئنون إلى شيء .

٣ - قيل: أى انهم كانوا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعابنوه ،
وقد أخبرهم به النبي الكريم ﷺ بانهم اذا لم ينيبوا مما هم عليه من الشرك
و عبادة الاوثان . و من تكذيب النبي ﷺ والطغيان ان الله تعالى مهلكهم ،
ومحل بهم عقوبته في عاجل الدنيا بالهلاك والدمار ، وآجل الآخرة بالنار والعذاب .
أقول: والثاني هو الانسب بما اخترناه في الايات الاربعة المؤيدة بالروايات
الآتية فتأمل جيداً .



﴿ التفسير و التأويل ﴾

١ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى
الآخرة و هو الحكيم الخبير)

الحمد كله لله تعالى وحده فى كل وقت وعلى كل حال ، حمداً تاماً للمعبود
الذى له ما فى السموات وما فى الارض ملكاً وخلقاً وتصرفاً بالايجاد والاعدام،
والاحياء والاماتة ، فجميع ما وجد فيهما داخلاً فى حقيقتهما أو خارجاً عنهما
متمكناً فيهما ، فكأنه قيل : الحمد كله لله وحده لان العالم كله له وحده ، وانه
مالك الملك و ليس لاحد معه شىء فيهما من شرك ، فله جل و علا كل شىء
فيهما ، فلا مالك لشىء سواه فى هذا الكون العريض و العالم الواسع ، لاشريك
له فى الوجود والايجاد والتدبير والالاحد يمنعه من التصرف ولا الاعتراض عليه.
كل ذلك نعم إلهية أعطاها الله تعالى الانسان أو جعلها أسباباً لوصوله
إلى الكمال و السعادة ، و لنيله إلى النعم الآخرة الابدية ، فهو جل و علا وحده
جدير أن يحمده الانسان و يثنى عليه لاجل تلك النعم ثناء جميلاً و حمداً شاملاً
لكل ما أنعمه عليه من النعم الظاهرة و الباطنة ، من النعم المتصلة والمنفصلة ،
و من النعم المادية الدنيوية و المعنوية الآخرية ، و هو وحده يليق بان يحمد
و يشكر عليه حمداً كاملاً من المخلوق المملوك الفقير لله المعبود الخالق المالك
الحميد الغنى بالذات ، فله الحمد بالصفات الرحمانية فى الحياة المدنيا .
فله وحده الحمد كله على تمام نعمته التى وسعت كل شىء ، و انه وحده

محمود لذاته ، و لو لم يحمده أحد من خلقه ، و هو جل و علا محمود في هذا الوجود الذي يسبح بحمده كل شيء ، محمود من شتى الخلائق و لو شذ البشر عن سائر خلقه .

قال الله تعالى : « و له الحمد في السموات و الارض و عشياً و حين تظهرون »
الروم : (١٨) .

و قال : « له الملك و له الحمد و هو على كل شيء قدير » التغابن : (١) .
و قال : « و قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك في الملك و لم يكن له ولي من الذل و كبره تكبيراً » الاسراء : (١١١) .

و قال : « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله و الله هو الغني الحميد » فاطر : (١٥) .
و قال : « و ان تكفروا فان لله ما في السموات و ما في الارض و كان الله غنياً حميداً » النساء : (١٣١) .

و قال : « الذين يحملون العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم و يؤمنون به و يستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة و علماً » غافر : (٧) .
و قال : « تسبح له السموات السبع و الارض و من فيهن و إن من شيء إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم » الاسراء : (٤٤) .

و قوله تعالى : « و له الحمد في الآخرة » : و لله تعالى وحده الحمد الذاتي الآخرة في دار الآخرة ، فيحمده الانسان المطيع المخلص ، و الانسان المؤمن الكامل لما ينال من الثواب و التفضل و نعيم الجنة ، و ان الآخرة و ان لم تكن دار تكليف ، و لكن لا يسقط فيها الحمد و الاعتراف بنعم الله تعالى .

فيختص جميع أفراد الحمد بالله جل و علا ، فهو وحده محمود في الآخرة بالصفات الرحيمية كما انه محمود في الحياة الدنيا بالصفات الرحمانية ، و له الملك يوم القيامة كما انه مالك الملك في الحياة الدنيا ، فيتمحض له الحمد ، و هو وحده يليق بذلك دون ما سواه .

قال الله تعالى: « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم و تحيتهم فيها سلام و آخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين » يونس : ٩ و ١٠ .

وقال : « وهو الله لا اله الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة » القصص : ٧٠ .
و قال : « وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً حتى إذا جاؤوا وفتحت أبوابها و قال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين و قالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض فتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » الزمر : ٧٣ - ٧٤ .

وقال : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكلف نفساً الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون و نزعنا ما فى صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار و قالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » الاعراف : ٤٢ - ٤٣ .

وقوله تعالى : « و هو الحكيم الخبير » والله جل و علا هو الحكيم الذى يفعل كل ما يفعل بحكمة : يصرف الدنيا والاخرة بحكمة ، يدبّر أمر الوجود كله بحكمة ، يشرع الدين و يرسل الانبياء و ينزل الكتب بحكمة ، و يعطى نعمه بعباده بحكمة ، وهو الحكيم فى أفعاله كلها ، و تكون ابداعاته على نواميس الحكمة ، و اصول الرحمة و قوانين العدل ، و موازين الصحة والاستقامة ، و مكائيل الاحسان والفضيلة ، و انه جلّت حكمته ما خلق الخلق عبثاً و لاجزافاً و ما أوجدهم ليجهدهم ظلماً و إجحافاً ، و ما كوّنهم للشقاء و التعاسة و العناء و المهانة ، ما خلقهم ليربهم نعمه و يملأ بهم جحيمه و يعمل فيهم قوة الغضب ، و يسلط عليهم سطوة الرهب .

الخبير الذى يعلم بكل شىء و بكل أمر و بكل تدبير علماً شاملاً لا يخفى عنه شىء فى السماء و لا فى الارض ، علماً تاماً يحيط بالامور كلها ، و علماً عميقاً

بأسرار الكون و ما فى الصدور ، فلا يعزب عنه شىء و لا يفوته ، و ليست خبرته بالتجربة و الاعتبار بالاشياء فتفيده التجربة و الاعتبار علماً لو لاهما لما علم لان من كان كذلك كان جاهلاً ، والله تعالى لم يزل خبيراً بما كان وما يكون .

و لا يخفى على القارى المتأمل : ان الحكيم : إسم من أسماء الله تعالى الحسنى من صفات الفعل يدل على اتقان صنعه العالم ، و ان الخبير : إسم من صفات الذات يدل على علمه بجزئيات صنعه و علمه باحوال الامور الكائنة و مصالحها... و لكن الصفة قد تكون صفة فعل باعتبار ، و صفة ذات باعتبار آخر كالحكمة ، فان الله تعالى حكيم فى أفعاله كلها ، فتكون الحكمة من صفات الفعل ، و هو عالم بجميع الاشياء و أحكامها ، فيكون من صفات الذات . و اذا ذكر الحكيم مع الخبير أو العليم فالمراد من الحكمة صفة الفعل فقط ، فتدبر جيداً .

٢ - (يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

يعلم الله تعالى ما يدخل فى الارض و ما يغيب فيها ، و ما يتسرب إلى أعماقها من شىء من المياه و الكنوز و الدفائن و الاموات ... و من الغيب الذى ينفذ فى موضع و ينبع فى آخر ، يعلم ما يدخل فى الارض من عدد القطر النازل فى أجزاء الارض و الحب المبدور و الكامن فيها .

قال الله تعالى : « ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيح فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً » (الزمر : ٢١)

و قوله تعالى : « و ما يخرج منها » و يعلم الله تعالى ما يخرج من الارض من الاشجار و أنواع النباتات و الفلات و مياه العيون و الدواب و المعادن و الغازات ، و يعلم ما يستخرج يوماً بعد يوم بالعلم الحديث و تحقيق العلماء الطبيعيين من النقوش و الآثار كما خرجت آثار صنعاء و الخريبة و مأرب و حرم بلقيس

و آثار السد ، و ما مضى عليه آلاف السنين من مخلّفات الامم و مصنوعاتهم
كمخلّفات المصريين القدماء و نقوش آشور و بابل و عجائب أهل سبأ و صناعاتهم
مما استخرجه علماء العاديات ، و ما يستخرجون و يكشفون بعد .

قال الله تعالى : « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه و الذى خبث لا يخرج
إلا نكداً كذلك نصرّف الايات لقوم يشكرون » (الاعراف : ٥٨)

وقوله تعالى : « و ما ينزل من السماء : » و يعلم الله تعالى ما ينزل من
السماء : من الايات التشريعية و الوحى بواسطة الملائكة ، من المعارف و الحكم
و الحقائق السماوية ، من الانوار و الآجال و المقادير ، من الارزاق و أنواع
البركات و الامطار و من الثلوج و البرد و الصواعق و الاشعة و الشهاب الناقب و
ما إليها . . . كل ذلك بقدر معلوم .

قال الله تعالى : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين
نذيراً الذى له ملك السموات و الارض و لم يتخذ ولداً و لم يكن له شريك فى
الملك و خلق كل شىء فقدره تقديراً » (الفرقان : ١ - ٢)
و قال : « يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم و أنزلنا إليكم نوراً مبيناً »
(النساء : ١٧٤)

و قال : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا
انه لا اله إلا أنا فاتقون - و نزلنا عليك الكتاب تبيّناً لكل شىء و هدى و رحمة و
بشرى للمسلمين » (النحل : ٢ - ٨٩)

و قال : « و لئن سئلتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها
ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون » (العنكبوت : ٦٣)
و قال : « و فى السماء رزقكم و ما توعدون » (الذاريات : ٢٢)

و قال : « و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض و لكن ينزل بقدر
ما يشاء انه بعباده خبير بصير و هو الذى ينزل الغيث من بعدما قنطوا وينشر رحمته

و هو الولي الحميد « الشورى : ٢٧ و ٢٨)

وقال : « وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم »

(الحجر : ٢١)

وقوله تعالى : « وما يعرج فيها » و يعلم الله تعالى ما يصعد في السماء و ما إليها من الملائكة و صالح الاعمال و الادعية و الصلوات على محمد و آله الطاهرين ، و من الابخرة و الادخنة و الطائرات و المطاود الجوية . . . فلا يخفى عليه جل و علا شيء في السموات و لافي الارض مما ظهر فيها و ما بطن ، فيعلم بحر كة كل متحرك و فعل كل فاعل ، و ما يخطر في الصدور . . .

قال الله تعالى : « يدبر الامر من السماء إلى الارض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون ذلك عالم الغيب و الشهادة العزيز الرحيم »
(السجدة : ٥ و ٦)

وقال : « إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه » فاطر : ١٠)

وقال حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « ربنا انك تعلم ما نخفي و ما نعلن و ما يخفى على الله من شيء في الارض و لافي السماء » ابراهيم : ٣٨)

وقال : « و يعلم ما في البر و البحر و ما تسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة في ظلمات الارض و لارطب و لا يابس إلا في كتاب مبين » الانعام : ٧٩)

وقال : « اولى الله بأعلم بما في صدور العالمين » العنكبوت : ١٠)

وقال : « يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور » المؤمن : ١٩)

وقوله تعالى : « هو الرحيم الغفور » : و الله تعالى هو الرحيم بالمؤمنين الحامدين لله جل و علا على ما أنعمهم من نعمه و ما أسبغ عليهم من فضله ، الغفور لذنوب من تاب و آمن و عمل صالحاً .

قال الله تعالى : « هو الذي يصلّي عليكم و ملائكته ليخرجنكم من الظلمات إلى النور و كان بالمؤمنين رحيماً » الاحزاب : ٤٤)

وقال: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم» التوبة : (٧١)

وقال: «ان رحمت الله قريب من المحسنين - والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم - ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون» الاعراف: ٥٦ و ١٥٣ و ١٥٦

وقال: «وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى» طه : (٨٢)
٣ - (و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لافى الارض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر الا فى كتاب مبين)

ويستعجلك أيها الرسول صلى الله عليه وسلم الذين جحدوا قدرة الله تعالى على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة استهزاء بوعدهك إياهم وتكذيباً لخبرك فقالوا : لا تأتينا الساعة . وهم أرادوا بضمير التكلم من الغير جنس البشر لأنفسهم أو معاصريهم فقط . كلما أرادوا من نفي آتيان الساعة نفي وجودها تماماً لعدم حضورها مع تحققها فى نفس الامر ، وعبروا عنه بذلك لانهم كانوا يوعدون باتيانها ، ولان وجود الامور الزمانية المستقبلية لاسيما أجزاء الزمان لا يكون إلا باتيان وحضور .

قال الله تعالى : «ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيتهم الساعة بغتة» الحج : (٥٥)

وقال : « وقالوا اذا كنا عظاماً و رفاتاً ان المبعوثون خلقاً جديداً» الاسراء : (٤٩)

وقال : « كلاب تكذبون بالدين » الانفطار : (٩)

وقال : «واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الاظنأ وما نحن بمستيقنين» الجاثية : (٣٢)
 و قوله تعالى : «قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب» : قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاء الكافرين المكذبين بيوم القيامة رداً لكلامهم : بلى أقسم بربي لتأتينكم الساعة والحياة الاخرية ، الرب الذي هو عالم الغيب : غيب السموات والارض ومن الغيب الذي لا يعلمه الا الله تعالى هو وقت مجيء الساعة وهي آتية لا ريب فيها .

قال الله تعالى : «زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير» التغابن : (٧)
 وقال : «وان الساعة آتية لا ريب فيها و ان الله يبعث من في القبور» الحج : (٧)
 وقال : «إليه يرد علم الساعة» فصلت : (٤٧)
 وقال : «اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير» الاحقاف : (٣٣)
 فمن كان عالماً بجميع الاشياء : ظاهرها وخفيها ، عالماً باجزاء الاحياء وجزئيات الكون وأسرار العالم فهو قادر على جمعها كما بدأها .

وقوله تعالى : «لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين» : لا يفوت عن علم الله جل و علا وزن أقل ما يمكن أن يوزن ، ولا يتعد عن علمه تعالى ولا يخفى عليه أقل شىء مما فى السموات ولا فى الارض ، ولا أصغر من الذرة ولا أكبر منها الا وهو ثابت فى كتاب مبين .

فالعالم وما فيه كله مخلوق ، فجميعه مندرج تحت علم خالقه جل وعلا ، فلا يخفى على الخالق ولا يغيب ولا يفوت ولا يتعد عن الخالق و علمه شىء من خلقه ، وإن تنهى المخلوق فى الصغر ، فالخالق عالم بما خلقه ، فلا شىء فى العالم

الآء هو مخلوق والله جل وعلا هو الخالق ، فالاصفر والاكبر كلاهما مخلوقان
وعلمه تعالى بهما على حد سواء ، فكلاهما مكتوبان فى كتاب مبين .
فلا يفوت عن علمه تعالى شىء فى السموات والارض من ذرة وما دونها و
لا ما فوقها أينما كانت ، وحيثما ذهبت ، فاللحوم وإن تلاشت ، والعظام وإن
رمت ، و أجزاء البدن وإن تمزقت وتفرقت ، فخالقها علم بأنها أين ذهبت وأين
تفرقت ، ومتى كانت ، فيعيدها كما بدأها أول مرة لسعة علمه وعظم قدرته ، فيبعثهم
من قبورهم يوم القيامة للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم
أمثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون - و عنده مفاتيح
الغيب لا يعلمها الا هو و يعلم ما فى البر والبحر و ما تسقط من ورقة الا يعلمها
ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين - و لقد
جئتمو نافرady كما خلقناكم أول مرة » الانعام : ٣٨ و ٥٩ و ٩٤) .

وقال : « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها
كل فى كتاب مبين » هود : ٦) .

و قال : « ألم تعلم ان الله يعلم ما فى السماء والارض ان ذلك فى كتاب ان
ذلك على الله يسير » الحجج : ٧٠) .

و قال : « و ان ربك ليعلم ما تكن صدورهم و ما يعلنون وما من غائبة
فى السماء والارض الا فى كتاب مبين » النمل : ٧٤ و ٧٥) .

و قال : « قد علمنا ما تنقص الارض منهم و عندنا كتاب حفيظ » ق : ٤) .

وقال : « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطر كم أول مرة » الاسراء : ٥١) .

و قال : « أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم

بلى و هو الخلاق العليم » يس : ٨١) .

٤ - (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم)

يبعثهم الله تعالى يوم القيامة ، و أثبت كل ما في العالم ومنه أعمال الانسان خيرا و شرها في الكتاب المبين ليثيب يوم القيامة الذين آمنوا بالله تعالى و رسوله ﷺ و بما جاءهم الرسول ﷺ و باليوم الآخر ، و عملوا بما أمرهم الله تعالى و رسوله ﷺ به و انتهوا عما نهوهم عنه ، اولئك الموصوفون بالصفات الجليلة و القلوب الصافية و الاخلاق الفاضلة و الاعمال الصالحة لهم بسبب ذلك مغفرة من الله تعالى لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر و لهم رزق كريم في الجنة ، من غير تعب و لا من عليه ، فالحكمة الالهية و العدالة الحققة تقتضى وجود الساعة ، فالمقتضى موجود ، و المانع لقيامها مرفوع فتأتى الساعة بلا ريب .

قال الله تعالى : « انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط » يونس : (٤) .

وقال : « يوم تبدل الارض غير الارض و السموات و برزوا لله الواحد القهار - ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب » ابراهيم : (٤٨ و ٥٠) .
و قال : « و من عمل صالحا من ذكر أو اثنى و هو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب » غافر : (٤٠) .

و قال : « انما المؤمنون اذا ذكروا الله و جلّت قلوبهم و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم » الانفال : (٤) .

٥ - (و الذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)

و ليجزى الله تعالى الذين سعوا في إبطال آياتنا و إنكار أدلتنا على وقوع البعث ، و مجيء الساعة في حججنا ، باذلين جهدهم لصد الناس عن التصديق بآياتنا ، و بالفين في تزويد الناس فيها عنادا و كفرأ منهم ، و جادين في تعطيل

دعوة الله تعالى وإطفاء نوره ، مقدرين إعجاز ربهم على سبيل معاونة بعضهم بعضاً في ذلك ، و يحسبون انهم يفوتوننا ، و انا نهملهم ، اولئك الموصوفون بالصفات الخبيسة والاخلاق الرذيلة من الكفر والمعصية ، من الشرك والشقاوة ، و من اللجاج والعدادة ، لهم عذاب شديد في جهنم من سوء العذاب ، شديد الايلام والوجع ، وذلك لما اجترجوا من السيئات ، و دستوا به أنفسهم من قبيح الاعمال ، فان الساعة آتية لامحالة ليتنعم المؤمنون السعداء في الجنة ، و يعذب الكافرون الاشقياء بجهنم . كأنه تعالى قال : قالت الجهلة السفهاء المنكرون للبعث والحشر و للحساب والجزاء : انه لا رجعة بعد هذه الدنيا ، و لا حساب و لا كتاب و لا جزاء بعد هذه الحياة الدنيوية .

قال الله تعالى : « والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك أصحاب الجحيم - و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفانبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا و بس المصير » الحج : ٥١ - ٧٢ .

وقال : « و اذا رأوا آية يستسخرون و قالوا إن هذا إلا سحر مبين اذا متنا و كنا تراباً و عظماً إنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون » الصافات : ١٤ - ١٧ .
وقال : « والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم - و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآياتنا إن كنتم صادقين » الجاثية : ١١ - ٢٥ .

٦- (و يرى الذين اتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد)

و يرى الذين اتوا العلم من أهل الكتاب ، و علماء الامة الاسلامية الذين اعطوا المعرفة بوحداية الله جل و علا و برسوله ﷺ و باهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم اجمعين : ان الذي انزل اليك أيها الرسول ﷺ من عند

ربك من القرآن هو الحق ، و هم يعلمون بالتدبر والتفكر ، وبالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر ، و انما هو حق انزل من عند الحق جل وعلا إلى رسول الحق ﷺ و انه حق يهدى الناس إلى صراط مستقيم : صراط من لا يغالب ولا يمنعه أحد عما يريد ، لانه القاهر الغالب على كل شيء ، و يقودهم إلى سبل السلام : سبيل من هو محمود بذاته ، محمود في ذاته و صفاته ، و في أقواله و أفعاله ...

قال الله تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق» الانعام : ١١٤ .

و قال : « بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم ، العنكبوت : ٤٩ .
و قال : « و ان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم » البقرة : ١٤٤ .

و قال : « ان هذا القرآن يهدى للتي هي اقوم » الاسراء : ٩ .
و قال : « فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشده فآمنا به » الجن : ١ و ٢ .

و قال : « قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم » المائدة : ١٥ و ١٦ .

ان هذا القرآن كتاب مفتوح للاجيال كلها ، و فيه من الحق ما يكشف عن نفسه لكل ذى علم صحيح و فهم و إدراك سليم القلب ، و هو يكشف عن الحق المستكن في كيان هذا الوجود كله ، و هو أصدق ترجمة و صفة و بيان لهذا الوجود كله ، و فيه من حق أصيل يهدى كل من اهتدى به و اتبع رضوان الله إلى صراط الله الغالب القاهر المحمود بذاته ، و هذا هو المنهج الذي أرادته للوجود و اختاره للبشر خاصة و لكل مكلف عامة ، لينسق خطاهم مع خطى هذا الكون

الذى يعيشون فيه ، وهذا هو الناموس الذى يهيمن على أقدار هذا الكون كله بما فيه من الحياة البشرية التى لا تنفصل فى أصلها و نشأتها و لا فى نظامها و حركاتها عن هذا الكون و ما فيه و من فيه . . .

يهدى هذا القرآن للتى هى أقوم : إلى صراط العزيز الحميد بما ينشئه فى إدراك المؤمن من تصور للوجود و روابطه و علاقاته و قيمه ، و مكان المكلف منه و دوره فيه و تعاون أجزاء هذا الكون من حوله و هو معها فى تحقيق مشيئة الله تعالى و حكمته فى خلقه ، و تناسق حركات الجميع و توافقها فى الاتجاه إلى بارىء الوجود .

يهدى هذا القرآن الانسان إلى صراط العزيز الحميد بتصحيح منهج التفكير و إقامته على اسس سليمة متفقة مع الايقاعات الكونية على الفطرة البشرية بحيث يؤدي هذا المنهج بالفكر البشرى إلى إدراك طبيعة هذا الكون ، و خواصه و قوانينه و الاستغناء بها و التجاوب معها بلاعداء و لا اصطلام و لا تعويق . . . يهدى هذا القرآن الكريم البشر إلى صراط العزيز الحميد لمنهجه التربوى الذى يعد الفرد للتجاوب و التناسق مع الجماعة البشرية ، و يعد الجماعة البشرية للتجاوب و التناسق فرادى و جماعة مع مجموعة الخلائق التى تعمر هذا الكون ، و يعد هذه الخلائق كلها للتجاوب و التناسق مع طبيعة الكون الذى تعيش فيه كل ذلك فى بساطة و يسر و لين .

و يهدى هذا القرآن المجيد البشر إلى صراط العزيز الحميد بما فيه من نظم و تشريعات مستقيمة مع فطرة الانسان ، و ظروف حياته و معاشه الاصلية متناسقة مع القوانين الكلية التى تحكم بقية الاحياء و سائر الخلائق ، فلا يشذ عنها الانسان بنظمه و تشريعاته ، و هو امة من هذه الامم فى نطاق هذا الكون الواسع ، و هذا العالم الكبير ، فان القرآن الكريم هو الدليل إلى هذا الصراط الذى وضعه خالق الانسان ، و خالق الصراط العارف لطبيعة هذا و ذاك ، و انك

لتكون حسن الطالع ، و أنت تقوم برحلة في طريق لو حصلت على دليل من وضع المهندس الذى أنشاء هذا الطريق ، فكيف بمنشئ الطريق ، و منشئ السالك في الطريق .

قال الله تعالى : « كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور باذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد » ابراهيم : (١) .
 و قال : « هذا صراط على مستقيم » الحجر : (٤١) .
 و قال : « وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض » الشورى : (٥٢ و ٥٣) .

٧ - (و قال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد)

وقال الذين كفروا بالله تعالى و رسوله ﷺ و يوم القيامة بعضهم لبعض أو القادة للتأبوع على طريق التعجب والاستهزاء والتهمك والانكار : هل ندلكم ونحدثكم على رجل يخبركم بأعجب الأعاجيب اذا متم وأكلتكم الارض وتقطعت أوصالكم ، و تلاشت لحومكم ، و بليت عظامكم ، و قطعتكم السباع والطيور ، و صرتم رفاتاً ، و تفرقت أجزاء ابدانكم كل تفرق بحيث لا يتميز شئ منها من شئ : انكم ستسقرتون في خلق جديد ويتجدد لكم الوجود ، فتنشؤون خلقاً جديداً ، فتبعثون و ترجعون كرة اخرى احياء كما كنتم من قبل و تحاسبون وتجازون على أعمالكم مما فعلتم في الحياة الدنيا ، فتثابون على الاحسان إحساناً ، وتجازون على ما فرط منكم من اجتراح الآثام آلاماً بنار تلتظى تشوى الوجوه والاجسام . . .
 قال الله تعالى : « و إن تعجب فعجب قولهم اذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربههم و اولئك الاغلال في أعناقهم و اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » الرعد : (٥) .

وقال : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً و بكماً و صماً مأواهم

جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا و قالوا إذا كنا عظاماً و رفاتاً ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً ء الاسراء : ٩٧ و ٩٨ .
 و قال : « و قالوا إذا ضللنا فى الارض ءإنا لفى خلق جديد بل هم بقاء ربهم كافرون ء السجدة : ١٠ » .

٨ - (أفترى على الله كذباً أم بهجنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد)

ثم قال بعض هؤلاء المنكرين لبعض : ان مقالاً كهذا لا يصدر إلا من أحد رجلين : اختلق على الله كذباً أم به جنون تخيّل به ذلك ، فهذا دائر بين الامرين : إما أن يكون متممداً فى الافتراء على الله على انه أوحى إليه : انا نبعت بعد الموت للحساب والجزاء ، وذلك اذا كان معتقداً على خلافه ، أو انه لبس عليه كما يلبس على المعتو و هو المجنون الذى يتكلم بما لا يدرى و يتفوّه بكل ما بداله من غير فكر مستقيم و لا عقل سليم ، و ذلك اذا لا يعتقد على خلافه .

ورد الله تعالى على هؤلاء الكافرين بالبعث والجزاء مقاتلهم فى النبى الكريم ﷺ و أثبت لهم ما هو أشد و أنكى ، فقال : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد » أى ليس الامر كما نسبوه إلى النبى الصادق الامين ﷺ من الافتراء على الله كذباً ، و لا ما نسبوه إليه ﷺ من الجنون ، بل ان محمداً ﷺ هو أصدق الصادقين ، و عقل الكل و كل العقل ، و هو البر الرشيد الذى جاء بالحق .

و انما هؤلاء الكافرون هم الكذبة الجهلاء والسفلة الاغبياء الذين بلغوا الغاية فى اختلال العقل و أو غلوا فى الضلال ، و بعدوا عن الادراك والفهم ، و إبتعدوا عن طريق الحق والصواب وسواء السبيل ، و انما هذا هو الجنون بعينه ، و سيؤدى ذلك بهم إلى عذاب النار ، فهم مستقرّون فيها ، إن انكروا حكمة الله تعالى فى خلق العالم ، و كذبوه فى وعده و وعيده و تعرضوا لسخطه ، و إن صاروا

إلى تعجيز الله القادر المتعال ، ونسبة الافتراء إلى من أيده الله تعالى بالمعجزات ،
و نسبة الجنون إلى من اصطفاه الله جل وعلا رسولاً للثقلين و رحمة للعالمين .
قال الله تعالى : « أيعدكم انكم اذا متم و كنتم تراباً و عظاماً انكم مخرجون
هيئات هيئات لما توعدون ان هي الا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما نحن
بمبعوثين ان هو الا رجل افترى على الله كذباً و ما نحن له بمؤمنين » المؤمنون :
(٣٥ - ٣٨) .

و قال : « لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها - ألا ان
الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد » الشورى : (١٧ و ١٨) .
و قال : « ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون » سباء : (٤٢) .
و قال : « وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً » الاسراء : (١٠) .
و قال : « و ان الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لنا كبون »
المؤمنون : (٧٤) .

و قال : « لهم قلوب لا يفقهون بها و لهم أعين لا يبصرون بها و لهم آذان
لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون » الاعراف : (١٧٩) .
٩ - (أفلم يروا الى ما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الارض ان نشأ
نخسف بهم الارض أو ننقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل
عبد منيب)

أفلم ير هؤلاء المكذبون بالبعث و الحساب ، المنكرون للجزاء و العقاب ،
الناصبون رسولنا ﷺ بالافتراء و الجنون ؟ فعموا و لم ينظروا إلى ما أحاط
بجوانبهم من السماء و الارض ، فانهما محيطان بهم حيثما كانوا و أينما ساروا
و هم لا يقدررون أن ينفذوا من أقطارهما ؟ فلم يتفكروا فيهما ، فيستدلوا بذلك
على قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت ، و على الحشر بعد الفناء ليميز المؤمن
من الكافر ، المصلح من المفسد ، المطيع من الطاغى ، العادل من الظالم ، السعيد

من الشقى ، المحسن من المسيء ، عباد الرحمن من عبید الشيطان ، الامين من الخائن ، الصادق من الكاذب ، المخلص من المنافق ، و بالجملة أهل الحق من أصحاب الباطل . . . ؟

إن نشأ نخسف بهم الارض فنهلكهم كما خسفناها بقارون وأهلكناه وأذنا به للكفر والطغيان ، أو نسقط على هؤلاء الكافرين قطعاً من السماء فدمرناهم كما أسقطناها على أصحاب الايكة للتكذيب والعصيان فدمرناهم تدميراً .
فما لهؤلاء المكذبين بالبعث والاحياء والمنكرين للحساب والجزاء عن تلك الاقاييل الكاسدة والعقائد الباطلة ، والاعمال السيئة ؟ أفهم يأمنون من الخسف والكسف ؟

قال الله تعالى : « وما يشعرون أيا ن يبعثون بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمون وقال الذين كفروا اذا كنا تراباً وآ باؤنا أننا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآ باؤنا من قبل ان هذا الاأساطير الاولين قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين » النمل : ٦٥-٦٩
وقال : « فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين » القصص : ٨١

وقال : « ثم دمرنا الاخرين و أمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين - كذب أصحاب الايكة المرسلين اذ قال لها شعيب ألاتقون - قالوا انما انت من المسحورين وما أنت الا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفاً من الصادقين قال ربى أعلم بما تعملون فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم » الشعراء : ١٧٢-١٨٩

وقال : « وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد » ق : ١٤-١٥

وقال : « أفأ من الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الارض أو يأتيهم

العذاب من حيث لا يشعرون» النحل : ٤٥)

وقوله تعالى : «ان في ذلك لآية لكل عبد منيب» : ان في النظر والتدبر في إحاطة السماء والارض بهم لدلالة واضحة، وحجة قاطعة لكل عبد فطن يعبد الله تعالى وحده ، منيب إلى ربه على انه جل و علا قادر على الاحياء بعد الموت ، و على بعث الاجساد بعد تفرق أجزائها للحساب والجزاء حيث ان من كان قادراً على خلق السماء على ارتفاعها واتساعها ، وعلى إحاطتها بما في الارض وما بينهما من الجوال الشاسع وما فيه من الكواكب والنجوم التي لم يتمكن الانسان بعد على إحصائها مع رقى العلم ، ومن الشمس والقمر . . . وقادراً على خلق هذه الارض على انخفاضها و طولها و عرضها ، فهو قادر على إعادة الاجسام و نشر الرميم من العظام . . .

قال الله تعالى : «لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون» المؤمن : ٥٧)

وقال : «فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب» الصافات : ١١) والانا بة هي : الرجوع إلى الله تعالى مع التوبة بقلبه ، والمنيب هو الذي يرجع إلى الله جل و علا معترفاً بوحديته ، مدعناً بوجوب طاعته مقرأً بكمال قدرته ، ومنتفعاً بالفكرة في حججه وآياته . . . وإن الراجع إلى الله تعالى والمتفكر في آياته قلما يخلو من الاعتبار والاستبصار.

قال الله تعالى : «قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم وأنبيوا إلى ربكم و أسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون» الزمر : ٥٣ و ٥٤)

وقال : «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها و ما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب - من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب» ق : ٦-٣٣)

وقال : «وما يتذكر الامن ينيب» غافر : (١٣)

١٠ - (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) واقسم بالله جل وعلا انا اعطينا نبينا داود عليه السلام من عندنا فضلاً لم يسبقه فيه غيره من الانبياء عليهم السلام ولا الامم الماضية ، وذلك اذ سخرنا له الجبال ، وقلنا لها : يا جبال ! سبحي لله تعالى مع داود اذ اسبح له جل وعلا ، وسيري معه أينما سار ، وسخرنا له الطير ، فتسبح لله تعالى مع داود عليه السلام ، وجعلنا له الحديد لينأ بيده كالشمع والعجين يصرفه كيف شاء بسهولة من غير حاجة إلى نار وضرب مطرقة ، ولا تعب .

قال الله تعالى : «وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين»

(الانبياء : ٧٩)

وقال : «ولقد آتينا داود وسليمان علماً و قالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين و ورث سليمان داود و قال يا أيها الناس علمنا منطق الطير و آتينا من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين» النمل : (١٦ و ١٥)

وقال : « انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب» ص : (١٩ و ١٨)

١١ - (أن اعمل سابقات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً اني بما تعملون بصير)

ثم أوحينا إلى داود عليه السلام أن اعمل يا داود دروعاً واسعات كاملات تحفظك من بطش العدو وتفيك اذا اشتد الحرب وحمى الوطيس ، وقد ربا داود في نسج حلق الدرود - ومنه يقال لصانع حلق الدرود : السراد و السزاد - بحيث يتناسب حلقها بأن تجعل حلقاتها متناسبة متسقة تقديراً حسناً يجمع بين خفتها ومئاتها ، وأن تكون متتابعة متلاحقة إذا السرد يعطى معنى التتابع . . .

ثم قلنا لداود عليه السلام وأهله : «إعملوا عملاً صالحاً من الطاعة والشكر لله تعالى

وما فيه السعادة البشرية من صالح الاعمال ، فانه لانجاح ولا فوز على العدو بالقوة القهرية والاسلحة المادية خالية من القوة المعنوية والقدرة الروحانية بل لا بد من العمل الصالح الذى يقوّم النفوس ويقوّيها ويطهر الارواح ويحصنها حتى لا تكبو، ويوجد فى الانسان روح الشجاعة والغلبة على الاعداء . . .

انى مراقب لكم ، بصير بأعمالكم وأقوالكم ، ولا يخفى على شىء منها ، فاجازيكم عليه كفاء ما علمتم ، فاعملوا صالحاً شكراً لله جل وعلا على ما أنعم عليكم من رزق الحلال من كد اليمين .

قال الله تعالى : «وعلمناه صنعة لبؤس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم

شاكرون» الانبياء : ٨٠

١٢ - (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر و أرسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزرع منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير)

وسخرنا لسليمان بن داود عليه السلام الريح ، جريانها بالغداة مسيرة شهر ، و جريانها بالعشى مسيرة شهر ، فكانت تسير فى اليوم مسيرة شهرين للسراكب فى مملكة سليمان عليه السلام وأجرينا له عين النحاس المذاب من معدنه ، فتسيل كالعين الجارية ، وسخرنا له عليه السلام بعض الجن ، ومن الجن من يعمل بين يدي سليمان و بحضرة وأمام عينه ما يأمرهم به من الاعمال كسائر العمال من الانس وغيرهم... باذن ربه ، ومن يعدل من الجن عن أمرنا مما أمرناه ويتهرب عن الاطاعة لسليمان عليه السلام نذقه من عذاب السعير .

قال الله تعالى : «فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أوصاب والشياطين

كل بناء وغوّص» ص : ٣٦ و ٣٧

و قال : « وحشر لسليمان جنوده من الجن و الانس و الطير فهم يوزعون»

(النمل : ١٧)

وقال : «ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الارض التي باركنا فيها
وكننا بكل شيء عالمين ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك
وكننا حافظين» الانبياء : ٨٢ و ٨١ .

١٣ - (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور
راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادى الشكور)

يعمل هؤلاء الجن لسليمان عليه السلام ما يشاء من محاريب تصنع لاقامة الصلاة
والعبادة لأئمة الجماعات ، ويعملون له عليه السلام تماثيل من الاشجار والنباتات و مالا
روح له ، وقصاع كبيرة كالحياض الكبيرة التي يأكل منها عمال سليمان عليه السلام ،
ويعملون له قدور ثابتات لاتنقل لكبرها . وانما يعرف منها فى تلك الجفان ،
ثابتات نباتاً عظيماً كالجبال لها قوائم لا يحركن عن أماكنها لعظمتها ولا يسدن
ولا يعطلن .

اعملوا يا آل داود عملاً صالحاً و اشكروا لله جل و علا شكراً تجاه تلك
النعم التى أنعمها الله جل و علا عليكم ، و قليل من عبادى المؤمنين يشكرون الله
تعالى وهم أوحديون من الناس .

قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام : «وقال رب أوزعنى أن اشكر نعمتك
التي أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحاً وترضاه وادخلنى برحمتك فى
عبادك الصالحين - قال هذا من فضل ربي ليبلونى أشكر أم أكفر ومن شكر فأنما
يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غنى كريم - وان ربك لذو فضل على الناس ولكن
أكثرهم لا يشكرون، النمل : ١٩ و ٢٠ و ٢٣)

١٤ - (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل
منسأته فلما خرت تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب
المهين)

فلما حكمنا على سليمان بن داود عليه السلام بالموت ، فقبضه ملك الموت ، و

وهو قائم على قبة متكئاً على عصاه ، والجن يعملون له عَلَيْهِ سنة ولا يعلمون بموته ، فمات سليمان وهو على كمال القدرة والنفوذ البشرى على ما طلبه من الله جل وعلا ، لم يدل الجن على موة سليمان عَلَيْهِ ولم يعلموه حتى بعث الله تعالى الارضة ، فوقعت في عصاه عَلَيْهِ من داخلها تأكل هذه الدابة الداخلة عصاه عَلَيْهِ فلما وافاه القضاء المحتوم إنكسرت عصاه ، فسقط سليمان عَلَيْهِ بوجهه على كرسيه ظهر للجن حينئذ بان سليمان قدمات ، وانكشف عندئذ للانسان ان الجن لا يعلمون الغيب كما يدعون .

إذ لو كانت الجن يعلمون الغيب الذي يدعون علمه لعلموا موت سليمان عَلَيْهِ حينما وقع عليه ، ولم يعملوا سنة له عَلَيْهِ وهو ميت ، وقد كانواهم يتوهمونه حياً ، ولو علموا الغيب لما قاموا حولاً بعد موته في الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها قبل موته ، ولما ظنوا انه حي ولما كانواهم في تسخيريه وهو ميت إلى أن انكسرت عصاه فسقط ، فعلموا انه قدمات من قبل .

قال الله تعالى : « ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب » ص : ٣٤ - ٣٥)
١٥ - (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

لقد كان لسبأ ، وهم قبيلة سموا باسم جدّهم الأكبر وهو سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في أرضهم وبلادهم عبرة لكافة الناس في كل وقت ومكان بملاحظة أحوالهم السابقة واللاحقة ، حيث انحرفوا عن جادة الحق والهدى وعدلوا عن طريق السعادة والنجاة و مالوا عن صراط المستقيم وسبيل السوى ، فكفروا بنعمة الله جل وعلا ، فعاقبهم ومزقهم كل ممزق ، فجعل قصتهم عبرة لاهل الكفر والطغيان ، لاهل الضلالة والعصيان ، لاهل الباطل والكفران ، ولاتباع الهوى والشيطان . . . وجعل ما أنعم عليهم علامة واضحة ودلالة قاطعة على وجود الصانع

الحكيم، والخالق العليم، وعلى كمال قدرته ووجوب شكره .

القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة، المجازى للمحسن والمسيء، دلالة معاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام علامة دالة على قدرة الله تعالى على أن لهم خالقاً خلقهم، وان كل الخلائق لو اجتمعوا على أن يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك، ولم يهتدوا إلى اختلاف أنواع الثمار وألوانها، وطعومها وروائحها وأزهارها، وفي ذلك كله ما يدل على انها لا تكون الا من عالم حكيم، من مدبر خبير، ومن قادر مطلق بصير.

وقوله تعالى: « جنتان عن يمين وشمال » : كانت بلادهم ذات بساتين متسعة ممتدة وثمار تحيط بهم عن جانب يمينهم وشمالهم، فأنعمنا عليكم نعماً وافرّة يا آل سبأ كلوا من تلك النعم التي رزقكم ربكم وتنعّموا بها، واشكر الله جل وعلا قلباً بمعرفتكم المنعم، ولساناً بذكر الحمد والثناء الجميل على المنعم. وعملاً بالطاعة والاجتناب عن المعصية .

بلدتكم هذه بلدة طيبة: كثيرة الثمار، وافرّة العطاء، صالحة القيام وآمنة العيش... وربكم رب رزقكم وأنعم عليكم تلك النعم، وطلب منكم الشكر، هو غفور لمن تاب وآمن، ولمن شكر وأصلح.

قال الله تعالى حكاية عن الملأ منهم: « قالوا نحن اولوا قوة واولوا بأس شديد، النمل: ٣٣ ».

١٦ - (فأعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل)

فأعرض أهل سبأ مع ما أسبغ الله جل وعلا من نعمه عليهم عن المعرفة والاهتداء، عن الطاعة والشكر لله جل وعلا، وعن اتباع الرسل وصالح الاعمال... بعد إبانة الايات الداعية لهم إلى طريق الحق والصواب، إلى الصراط المستقيم والرشاد، وإلى سبيل السعادة والنجاة فارسلنا - للتنبيه والتأديب - على هؤلاء

الكافرين الطغاة والمستكبرين البغاة ، السيل الشديد من السد الرصين المسمى بالعرم - الذى بنته بلقيس ملكة سبأ فى أرض اليمن - ليقطع أشجارهم و يخرّب مناظرهم ، إذ حطم السد وانساحت المياه ، فطفت واغرقت ثم لم يعد الماء يخزن بعد ذلك ، فجفت و احترقت و تبدلت تلك الجنان الفيح صحراء تتناثر فيها الاشجار البرية الخسنة .

وبدلنا هؤلاء الكافرين بنعم الله تعالى بجنّتهم المحيطتين بهم عن يمينهم وشمالهم اللتين فيهما أنواع الفواكه والثمرات الطيبة والاشجار المثمرة المتلونة والخيرات . . . جنتين اخراوين ، و جعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه و الثمار بساتين ذواتى ما كولات رديئة منتنة متغيرة مريرة بشع ، وشجر لا ثمر له ، وشىء من سدر قليل ارتفاعه ، ولا يؤكل ثمره .

و سماها جنتين لاذواج الكلام كقوله تعالى : « و مكروا و مكر الله » آل عمران : ٥٤)

و قوله تعالى : « ان المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم » للنساء : ١٤٢)
و فعلنا ذلك ليتذكر قوم سبأ ما كانوا يأكلون من الثمرات الطيبة من هذا القليل المر البشع حتى يتأسفوا ويتحسروا ، وليتذكر الامم اللاحقة بما فعلنا بقوم سبأ فلا يفعلون بما فعلوا حتى لا يفعل بهم ما فعل بهم .

قال الله تعالى : « ومكروا مكراً ومكراً ومكراً وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمّرناهم وقومهم أجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون » النمل : ٥٠-٥٢)

١٧ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازى الا الكفور)

جزينا هؤلاء الكفرة الطغاة ، والفجرة الجهلاء ، والسفلة البغاة ذلك الجزاء من تبديل النعمة بالنقمة ، و دوامها بالزوال ، والامن بالخوف ، ومن تبديل العيش الهنيء بمعيشة ضنكاً ، كل ذلك بسبب كفرهم بنا و برسنا و

كفرانهم بنعمتنا عليهم كما اننا نجزي ونزيد على من شكر.

قال الله تعالى : «نعمه من عندنا كذلك نجزي من شكر» القمر: (٣٥)

وقوله تعالى : «وهل نجزي إلا الكفور» : ولا نجزي أهل الكفر والكفران

إلا الكفور من حلول النعمة بهم وتغيير النعمة عنهم .

فضيق الله تعالى عليهم في الرزق وبدلهم الرفاهية والنعماء خشونة و

شدة ، وما يحل بقوم من نعمة ونكال ومن وبال وبلاء إلا بسبب كفرهم بالله تعالى

وكفرانهم بنعمه .

قال الله تعالى : «ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً» طه : (١٢٤)

و قال : «فأخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم

يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» الانفال : (٥٢ و ٥٣)

وقال : «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» الرعد : (١١)

وقال : «ذلك جزيناهم بغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة

واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين» الانعام : (١٣٦ و ١٤٧)

١٨ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا

فيها السير سيرا فيها ليالى و أياماً آمنين)

وجعلنا بين سبأ وهم باليمن ، وبين القرى التى باركنا فيها بالتوسعة على

أهلها بالنعم الكثيرة وهى بلاد الشام التى كانت موسماً عليهم برزقها ومناخها قرى

متقاربة متتابعة بعضها ببعض فى طريقهم من اليمن إلى الشام للتجارة وغيرها ،

وقدرنا لهم فى تلك القرى السير المتناسب الصالح سيراً مقدراً من منزل إلى

منزل ، وقرية إلى قرية بحيث يقبلون من غير حاجة إلى حمل زاد وماء ولا مبيت

فى أرض خالية ، اذ لا ينزلون إلا فى قرية ولا يغدون إلا فى قرية ، حيث كانت

القرى على مقادير معينة متناسبة صالحة للراحل .

وقلنا لهم : سيرا فيما بين قراكم و قرى الشام من المسافات المقدرة

المتناسبة للراحل - وهو أمر تمكين أى كانوا يسرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا فهو أمر بمعنى الخبر- ليالى و أياماً آمنين فيها من كل ما يخاف ويحذر من شرّ أخطار الاسفار و مشاقها ، فلا تخافوا من اللصوص و قطاع الطريق و لا من العدو و السبع للأمن و السلام ، و لا من الجوع و الظمأ لكثرة النعم و العيون الباردة ، و لا من كل ما تكرهون و تحذرون .

و بالجملة كان أهل سبأ كانوا فى نعمة و غبطة و عيش هنيئاً رغد فى بلاد مرضية و أماكن آمنة ، و قرى متواصلة متقاربة متناسبة مع كثرة أشجارها و زروعها و ثمارها ، و ان المسافر منهم لا يحتاج إلى حمل زاد و لا ماء بل حيث نزل وجد الماء البارد و ثمراً مطبوعاً ، فهو يقبل فى قرية و بيت فى اخرى من غير أن يعترضه فى الطريق ما يخيفه أو يفزعه .

و انما يببالغ الانسان فى السير لعدم الزاد و الماء ، و لخوف الطريق ، فاذا وجد الزاد و الامن لم يحمل على نفسه المشقة و نزل أينما أراد .

و لا يخفى على القارىء الخبير المتدبر : ان الآية الكريمة بصدد بيان حال تلك القرى فى زمان قوم سباء ولكن يظهر من كثير من أخبارها ان الامر متوجه إلى هذه الامة أو الخطاب عام يشملهم .

و ما ورد فى الروايات الآتية : ان القرى التى بارك الله جل و علا فيها هم أئمة أهل بيت النبى الكريم ﷺ و القرى الظاهرة هم الوسائط بينهم و بين الناس من حملة أحاديثهم و غيرهم ، فهو من بطن القرآن الكريم و من باب التأويل فتأمل جيداً .

١٩ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث

و مزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

كفر أهل سبأ بنعمة الله تعالى عليهم و لم يشكروها ، فقالوا : ربنا باعد

بين أسفارنا في القرى المباركة الآمنة إن بطروا تلك النعمة والرخاء ، و ملئوا العافية والراحة والدعة ، و طلبوا الكدّ والتعب أو شكوا بعد سفرهم إفراطاً منهم في الترفية و عدم الاعتداء بما أنعم الله جل و علا عليهم و طفوا و سُموا الراحة و لم يصبروا على العافية والطاعة والشكر تمنوا طول الأسفار والكدح في المعيشة لما اشتهدت به أنفسهم - كما نشاهد في زماننا أكثر الناس كيف يتلونون في كل يوم بألوان مختلفة و يتشكلون بأشكال متنوعة - و آثروا الذي هو أدنى على الذي هو خير كما فعل بنو إسرائيل إذ قالوا : « ياموسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها و قثائها و فومها و عدسها و بصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذى هو خير » البقرة : ٦١ .

فطلبوا البقل و القثاء و القوم و العدس و البصل مكان المن و السلوى . و كالنضر بن الحارث و أضرا به إذ قالوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء » الأنفال : ٣٢) فأجاب الله تعالى النضر رأس الكافرين و قتل يوم بدر بالسيف صبراً .

فكذلك هؤلاء الكافرون من أهل سبأ طلبوا أن يفصل الله تعالى بينهم وبين قرى الشام بفلوات و مفاوز و غلوات و قفار ليظهر القادرون منهم الأزواد و الراحل بان يركبوا في القرى المتباعدة و احلهم ، و يتزودوا معهم فيها الأزواد تكبراً و فخراً على العاجزين و ليتطاولوا فيها على الفقراء . فأجاب الله تعالى طلبهم و عاقبهم على بطرهم بالنعمة بتخريب القرى المتواصلة المتقاربة .

و قوله تعالى : « و ظلموا أنفسهم » حيث عرضوها للسخط و الحرمان ، و النقمة و العذاب بسبب الانحراف و الطغيان ، و المعصية و الكفران ، عوضاً عن المحبة و إزدياد النعمة و الرحمة و الثواب بسبب الاهتداء و الطاعة و الشكر و الايمان ... و الجملة في معنى قوله تعالى : « و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع

والخوف بما كانوا يصنعون - وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل
وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون « النحل : ١١٢ - ١١٨) .
وقوله : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله زين لهم الشيطان
أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون « النمل : ٢٤) .
وقوله : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم
مهتدون « الانعام : ٨٢) .

وقوله تعالى : « فجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » : فجعلنا قصة
أهل سبأ الكفرة الفجرة أحاديث يتحدث بها الناس على سبيل التلهي والاستغراب
والتعجب ، ليعتبروا بهم و بمآل أمرهم ، و يجعلوهم موضوع نقدهم و تربيهم و
مضرب أمثالهم : « نفرّقوا أيادي سبأ » و قطعناهم في البلاد كل تقطيع ، و فرّقنا
مجتمعاتهم و متصلاتهم ، و بينهم و بين النعمة كل تفريق ، و مزقنا شملهم بعد
الاجتماع و الالفة ، بعد القوة و الشوكة ، و بعد العيش الهنيئ ء كل ممزق بارسال
سيل العرم ، فتبدّدوا في هذه الحياة الدنيا كل تبدد ، فصاروا مضرب الامثال
في كفران النعمة . و هذه حال الامم الكفرة الطاغية
قال الله تعالى : « كلما جاء امة رسولها كذّبوه فاتبعنا بعضهم بعضاً و جعلناهم
أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون « المؤمنون : ٤٤) .

وقال : « فلما آسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفاً ومثلاً
للاخرين « الزخرف : ٥٥ و ٥٦) .

وقوله تعالى : « ان في ذلك لايات لكل صبار شكور » : ان في قصة سبأ
و ما حلّ بهم من النعمة و العذاب ، من الخوف و الشقاق ، و من التمزيق و الوبال
بعد النعمة و الرخاء ، بعد الامن و الائتلاف ، و بعد العافية و الاجتماع عقوبة لهم
على ما اجترحوه من الآثام و كفران النعم الالهية لعبراً لكل عبد كثير الصبر
على البأساء و الضراء ، على دواعي الهدى و النعماء ، على مشاق الطاعات و ترك

الشهوات ، و على الابتلاء والمصيبات . . . و آيات واضحة و دلائل قاطعة على كمال قدرة الله جل و علا و إحاطة علمه بخلقه لكل عبد كثير الشكر على النعم الالهية قلباً بمعرفة المنعم و لساناً بذكر حمده و عملاً برعاية حقه فيها ، فلا يجعلها وسيلة لشقائه و هلاكه ، و لا سبباً لسخط الله جل و علا عليه و عذابه .
و من غير مرأء إن يوم سبأ من أيام الله تعالى لا بد أن يتذكر كل عبد صبار شكور . و ما ورد من الروايات الآتية فمن باب التأويل و الانطباق فانتظر و تدبر جيداً .

قال الله تعالى : « و ذكرهم بأيام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور ، ابراهيم : ٥) .

٢٥ - (و لقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)
أقسم بالله جل و علا ان ابليس صدق ظنه على الناس ، و وجد ظنه على الكفار و المشركين ، على الطغاة و المستكبرين ، على الفجار و المستبدين ، و على البغاة و المنافقين صادقاً لانهما كهم في الكفر و الطغيان و اتباعهم الاهواء و هضم الحقوق و استفراغهم الجهد في الشهوات و اللذات و ركوبهم إلى الغواية و الضلال ، و منهم أهل سبأ و مشر كومكة و منافقو هذه الامة الاسلامية ، فأغواهم ابليس و أطاعوه و اتبعوه فيما دعاهم إليه و عصوا ربهم ، فقد انقادوا لابليس و أسلموا زمامهم بيده و استجابوا له ، فهم صدقوا ظنه فيهم .

ولكن فرقة ناجية مخلصه من فرق الذين قالوا آمنّا فهم لا يتبعون ابليس إذ ثبتوا على إيمانهم ، و لا يجد ابليس فيهم سبيلاً يدخل على إيمانهم منه بالغواية و الاضلال . فالناس بابليس و وسوسته أمام إمتحان يميز مؤمنهم من كافرهم ، مخلصهم من مشركهم ، طيبهم من خبيثهم ، صالحهم من فاسدهم ، محققهم من مبطلهم ، و محسنهم من مسيئهم . . .

قال الله تعالى لابليس : « ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه

خلقتني من نار و خلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها
فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال انك من المنظرين
قال فيما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم و من
خلفهم و عن أيمانهم و عن شمائلهم و لا تجد أكثرهم شاكرين ، الاعراف :
١٢ - ١٧) .

وقال : « قال رب بما أغويتني لأزيننّ لهم في الارض ولاغوينتهم أجمعين
الآ عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم « الحجر : ٣٩ - ٤١) .
و قال حكاية عنه : « قال أرايتك هذا الذي كرمت على لئن أخرتن إلى
يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلاً قال اذهب فمّن تبعك منهم فان جهنم
جزاءكم جزاء موفوراً و استفزز من استطعت منهم بصوتك و أجب عليهم بخيلك
و رجلك و شاركهم في الاموال والاولاد و عدهم و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً ،
الاسراء : ٦٢ - ٦٤) .

٢٩ - (و ما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو
منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ)

و لم يكن لابليس على الناس استيلاء نافذ و سلطنة قاهرة يتمكن بها من
إجبارهم على الفى و الضلالة ، و على الكفر و المعصية ، و إنما كان يمكنه و سوسة
و دعاء و تزيين فقط ، فاستجاب له الكفرة و اتبعه الفجرة عن سوء إختيارهم ،
و انما كان ذلك إمتحاناً ربانياً لنميز المؤمن من الكافر ، المطيع من الطاغى ،
المحسن من المسيء ، الأمين من الخائن ، المصلح من المفسد ، الصادق من الكاذب ،
و المخلص من المنافق . . . و لنميز المؤمن بالآخرة و الحساب و الجزاء ممن هو
من الآخرة و حسابها و جزائها في شك .

قال الله تعالى حكاية عن الشيطان : « و ما كان لى عليكم من سلطان الا
أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى و لوموا أنفسكم ، ابراهيم : ٢٢) .

وقال: « وزيّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون »
النمل : ٢٤) .

وقال : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفطنون ولقد
فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين - وليعلمن الله
الذين آمنوا و ليعلمن المنافقين » العنكبوت : ٢ - ١١) .

نعم يكون لابلis سلطان على الذين اتبعوه و جعلوا زمامهم بيده على انهم
لما اختاروا اتباعه تسلط عليهم لا انهم اتبعوه لكونه مسلطاً عليهم ، وان الشيطان
يسلط على النفوس البشرية بطرق عديدة ما لم تزكّ و لم تتطهر ولم تجتنب عن
وساوسه ولم تستعذ بالله من الشيطان كالوباء التي تسلط على الاجسام و أهل البلاد
الذين لم يراع أهلها شروط النظافة في مساكنهم وملابسهم و ما كلهم وملابسهم
أو لم يعالجوا بعد الابتلاء عن قريب .

قال الله تعالى : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من
الغافرين » الحجر : ٤٢) .

وقال : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا و على ربهم يتوكلون انما
سلطانه على الذين يتولونه » النحل : ٩٩ - ١٠٠) .

وقوله تعالى : « و ربك على كل شيء حفيظ » : و ربك أيها الرسول
على كل شيء حفيظ فلا يفوت شيء من أعمال عباده ، و يجازى كلماً حسب عمله ،
إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً .

٢٢ - (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض و ما لهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير)

قل أيها النبي ﷺ لكفار مكة و مشركي العرب موبخاً بهم على ما كانوا
يزعمون ، و مبطللاً لما كانوا يعتقدون ، و مبيناً لهم سوء ما كانوا يصنعون : نادوا
أيها المشركون تلك الاصنام والادنان التي زعمتموهم آلهة لكم من دون الله ،

ادعوهم في مهمات اموركم ليدفعوا عنكم الضر أو يجلبوا لكم النفع لعلهم يستجيبون لكم إن كان ذلك في مكنتهم ، وييدهم مقاليد اموركم لانكم زعمتموهم آلهة لكم و تعبدونها ، فان لم يستجيبوا لكم فليسوا بآلهة ولا تعبدوها ، ادعوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بمن وصفنا أمرهم من أهل سباء من أنعام و انتقام ، فان لم يستطيعوا على ذلك فاعلموا انهم مبطلون .

و ما مضى من أمر داود و سليمان عليه السلام و من قصة سبأ من آثار قدرتي فقل لهم يا محمد صلى الله عليه وسلم : هل عند شركائكم قدرة على شيء من ذلك ، و انتم زعمتموهم آلهة لكم من دون الله ؟ فادعوهم فليأتوا أو يظهر وا أو يقولوا . . . و ليس لكم و لآلهتكم جواب إلا النفي .

اذ لا يملك تلك الآلهة الموهومة مثقال ذرة من خير أو شر ، و من نفع أو ضرر لبعدهم السفلة الجهلة ، و لأتباعهم العاندة المستكبرة واللجوج الفاجرة لا في السموات و لا في الارض ، و ليس لتلك الالهة المزعومة في أمر السموات والارض من شرك لله سبحانه لا خلقاً و ملكاً ، و لا تصرفاً و تدبيراً بوجه من الوجوه ، و لا ينحوا من الانحاء ، إذ لا تصرف لهم في شيء منهما لا استقلالاً و لا شركة ، فلا سبيل لأن يدعوا ملكية وزن ذرة في السموات والارض ، فان المالك لشيء يتصرف فيه رفق مشيئته ، فماذا يملك اولئك المزعمون ، و في أى شيء يتصرف اولئك الموهومون تصرف المالك في هذا العالم العريض الشاسع ؟ و ليس لله سبحانه من تلك الالهة من معين في أمر شيء من امور العالم في ايجاده و ملكه ، و لا في تدبيره و تصرفه . فما تعبدون أيها المشركون تلك الآلهة التي هذه شأنها . فالله جل و علا هو الخالق القادر الحق . . فاعبدوه وحده و لا تعبدوا غيره .

قال الله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله فلا يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلاً » (الاسراء : ٥٦) .

وقال: « والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون
وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون و تراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون »
الاعراف : ١٩٧ - ١٩٨) .

وقال : « والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه
إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » الرعد : ١٤) .
وقال : « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم - قل أرايتم
شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك
في السموات » الفاطر : ١٣ - ٤٠) .

وقال : « قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض
أم لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا أو آتارة من علم إن كنتم
صادقين و من أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم
عن دعائهم غافلون » الاحقاف : ٤ و ٥) .

وقال : « ذلك بان الله هو الحق و ان ما يدعون من دونه هو الباطل و ان
الله هو العلى الكبير » الحج : ٦٢) .

و لا يخفى ان السياق يلهمنا ان هؤلاء المشركين من أهل مكة هم أشبه
الناس حالاً بأهل سبأ إذ أقامهم الله تعالى في مكان أمين وسط هذه الحياة المضطربة
من حولهم كما قال تعالى : « أولم يروا انا جعلنا حرمآ آمناً و يتخطف الناس
من حولهم أفتالباطل يؤمنون و بنعمة الله يكفرون » العنكبوت : ٦٧) و قال :
« و قالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا أو لم نمكّن لهم حرمآ آمناً
يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون » القصص : ٥٧) .
٢٣ - (و لا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم

قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلى الكبير)

وإذا أردتم أيها المشركون شفاعة آلهتكم لكم يوم القيامة ، وأنتم تعبدونها لذلك بان لو كانت القيامة لكنت آلهتنا يقربوننا إلى الله زلفى ، فلا تنفع الشفاعة عند الله جل وعلا إلا لمن أذن الله تعالى له فى الشفاعة ، فلا يشفع أحد لآخر حتى إذا وقف المشفوع لهم منتظرين للاذن بالشفاعة وجلين حتى إذا أذن للشفعاء وازيل الفزع عن قلوب المنتظرين حين قال المشفوع لهم بعض لبعض استبشاراً حيث انهم محتاجون إلى الاذن والمهتمون بأمره : ماذا قال ربكم فى الاذن بالشفاعة؟ قالت الشفعاء و هم الانبياء والملائكة والائمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين وأشرفهم نبينا محمد ﷺ لانهم المباشرون للاستئذان بالذات المتوسطون بين مستحقى الشفاعة وبين الله تعالى : قال ربنا : القول الحق و هو الاذن بالشفاعة لمستحقها ، فلا يشفع شفيح و لا يؤذن لآخر بالشفاعة إلا من قال صواباً ، و لا يؤذن بالشفاعة إلا لمن ارتضاه الله جل وعلا ، فكيف يمكن أن تشفع الآلهة لعبدتهم الجهلة الطاغية والسفلة الفاجرة الذين أشركوا بالله سبحانه فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى حكاية عن عبدة الاصنام و غيرها يوم القيامة : « فما لنا من شافعين و لا صديق حميم » الشعراء : ١٠٠ و ١٠١) .

و قال أيضاً : « فهل انا من شفعاء فيشفعوا لنا » الاعراف : ٥٣) .

و قال : « و ما نرى معكم شفعاء كم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم و ضلّ عنكم ما كنتم تزعمون » الانعام : ٩٤) .

و قال : « و لم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا و كانوا بشر كائهم كافرين » الروم : ١٣) .

و قال : « و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » يونس : ١٨) .

و قال : « و لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق

وهم يعلمون ، الزخرف : ٨٦) .

وقال : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صواباً ذلك اليوم الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه ما بآء ، النبأ : ٣٨ و ٣٩) .

وقال : « وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً الا من بعد أن يأذن لمن يشاء و يرضى ، النجم : ٢٦) .

وقال : « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، الانبياء : ٢٨) .

وقال : « يومئذ يتبعون الداعي لاعوج له و خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همساً يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن و رضى له قولاً يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علماً و غنت الوجوه للحى القيوم و قد خاب من حمل ظلماً و من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً و لا هضماً ، طه : ١٠٨ - ١١٢) .

وقال : « لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهداً ، مريم : ٨٧) .
وقوله تعالى : « و هو العلى الكبير » : والله جل وعلا هو العلى الكبير :
المتفرد بالعلو والكبرياء لا يشاركه في ذلك أحد من خلقه ، و ليس لاحد من أشرف الخلائق أن يتكلم إلا باذنه فضلاً عن هؤلاء السفلة الجهلة من عبید الدنيا والشهوات ... فله جل و علا أن يحكم فى عباده بما يريد من غير ظلم على أحد من عباده . وهذا من تمام كلام الشفعاء من الانبياء والمعصومين والملائكة معترفين بغاية عظمة الله تعالى و قصور شأن كل من سواه .

قال الله تعالى : « فالحكم لله العلى الكبير ، غافر : ١٢) .

٢٤ - (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله و انا أو اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين)

قل أيها الرسول ^{والله} لهؤلاء الطغاة الجهلة ، والبيغاة السفلة ، المشركين

بالله سبحانه ، والشاكين في البعث والجزاء : من يرزقكم من السماوات بانزال
الغيث عليكم ، وحرارة وضوء ونور . . . حياة لكم وصلاً لحر وثكم ومعايشكم ،
و تسخير الشمس والقمر والنجوم والهواء والجو والرياح لمنافعكم و منافع
أقواتكم . . . ؟ و ذلك مما عرفه الانسان إلى اليوم قرناً بعد قرن ، و وراء ذلك
منافع و آثار اخرى في النفوس البشرية وفي حياة الانسان وفي المجتمع البشري
و في الحيوانات والنباتات والجمادات تتكشف بعد كما ان في وراء مشاهدتنا
ما لم يعرفه الانسان بعد من ألوان و أصناف . . . تتكشف بعد .

ومن يرزقكم من الارض باخراجه منها أقواتكم أنعامكم من نبات وحيوان
و عيون ماء و زيوت و معادن و كنوز . . . مما عرفه الانسان إلى اليوم و ما
يتكشف بعد على مدار الزمان و طول الاعصار جيلاً بعد جيل ؟

فان قالوا : لاندري اوسكتوا عن الازعان بذلك ، و إن كانوا هم سيعترفون
بذلك قل يا محمد لهم : الذي يرزقكم من السماوات والارض هو الله جل و علا
وحده . قل لهم ذلك جواباً عنهم إذ لا جواب لهم الا الاعتراف أو السكوت عناداً
مع علمهم بصحته لانهم لو قالوا : ان الله تعالى يرزقنا لتقررت عليهم الحجة بانه
الذي ينبغي أن يعبدوه و لا يشر كوا به شيئاً .

و قل لهم أيها الرسول ﷺ : و انا معشر الموحدين الذين يقولون :
ان الرازق هو الذي في السماء إله و في الارض إله ولا شريك له فيهما ويفردونه
بالعبادة لعلى هدى ، و أنتم في ضلال بين ، أو أنتم المشركون الذين يشر كون
بالله سبحانه الجماد العاجز عن دفع الضر و جلب النفع ، و يعبدون غير الله من
الاصنام والادوان وما يتخذونه آلهة لهم لعلى هدى ونحن الموحدون في ضلال ظاهر .
قال الله تعالى : « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها و زينناها
ومالها من فروج والارض مددناها و ألقينا فيها رواسي و أنبتنا فيها من كل زوج
بهيج تبصرة و ذكرى لكل عبد منيب و نزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به

جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج، ق: ٦ - ١١).

و قال : « فليُنظر الانسان إلى طعامه انا صببنا الماء صباً ثم شققنا الارض شقاً فابتننا فيها حباً و عنباً و قصباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً و فاكهة و أباً متاعاً لكم و لانعامكم » عبس : ٢٤ - ٣٢).

و قال : « قل من يرزقكم من السماء و الارض - فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلکم الله ربکم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون » يونس : ٣١ و ٣٢).

و قال : « الله الذى خلق السموات و الارض و أنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم و سخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره و سخر لكم الانهار و سخر لكم الشمس و القمر دائبين و سخر لكم الليل و النهار » ابراهيم : ٣٢ - ٣٣).

و قال : « الذى جعل لكم الارض فراشاً و السماء بناء و أنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً و أنتم تعلمون » البقرة : ٢٢).

و قال : « و ما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » هود : ٦).

و قال : « و يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات و الارض شيئاً و لا يستطيعون » النحل : ٧٣).

و قال : « أمن يبسداً الخلق ثم يعيده و من يرزقكم من السماء و الارض ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين » النمل : ٦٤).

و قال : « انما تعبدون من دون الله أو ثنائاً و تخلقون إفكاً ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه و اشكروا له إليه ترجعون » العنكبوت : ١٧).

و قال : « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء و الارض لا اله الا هو

فأني تؤفكون ، فاطر : ٣) .

و قال : « هو الذي يريك آياته و ينزل لكم من السماء رزقاً وما يبدؤكم

الآن من ينيب ، غافر : ١٣) .

٢٥ - (قل لا تسئلون عما أجرنا و لا نسئل عما تعملون)

قل أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين : لا بد أن يكون أحد فريقنا على هدى و حق على صواب و رشاد ، و الآخر على ضلال و باطل ، على خطأ و تردد ، حيث يتمتع أن نكون نحن و أنتم كلا ضالين و لا مهتدين ، فحينئذ لا تسئلون انتم عما اقترنا نحن من المعاصي ، عما أجرنا نحن من الاجرام ، و عما ركبنا نحن من الآثام ، و لا نسئل نحن عما كنتم تعملون من عبادة الأصنام و فساد الاعمال ، و عما كنتم تشركون بالله سبحانه آلهة مزعومة موهومة و تنكرون البعث و الحساب .

فلكل عمله ، و لكل تبعته و لكل جزاءه و على كل أن يتدبر موقفه و يرى سبيله أيقوده إلى فلاح أو إلى بوار ، إلى كمال أو إلى انحطاط ، إلى سعادة أو إلى شقاء ، إلى سلامة أو إلى دمار ، و إلى نجاة أو إلى هلاكة و إلى جنة أو إلى نار . . . ؟ فكل انسان يحمل مسؤوليته و عليه أن يتحرى الخير لنفسه ، و يطلب لها الكمال و السعادة و النجاة ، و لا يسئل انسان عن جنابة إنسان و لا يحمل عنه وزره بل كل انسان و ما حمل .

قال الله تعالى : « و لا تكسب كل نفس إلاّ عليها و لا تزر وازرة وزر اخرى »

(الانعام : ١٦٤) .

و قال : « و لا تزر وازرة وزر اخرى و إن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل

منه شيء و لو كان ذا قربي ، فاطر : ١٨) .

و في الآية الكريمة ايحاط المشركين إلى التأمل و التدبر و التفكير في رؤية

وجه الحق تبارك و تعالی ، و فيها براءة من النبي الكريم ﷺ عن هؤلاء المشركين

فى عقائدهم الباطلة و أعمالهم الفاسدة بانكم لستم منا و لا نحن منكم ، و دعوة منه ﷺ لهم إلى التوحيد و صالح العمل بأنا ندعوكم إلى الله سبحانه و توحيده و إلى أفراد العبادة له و صالح الاعمال ، فان أجبتم لنا فأنتم منا ، و نحن منكم ، و إن كذبتم ، فنحن براء منكم و انتم بريئون منا .

كقوله تعالى : « و إن كذبوك فقل لى عملى و لكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل و أنا برى مما تعملون » يونس : (٤١) .

و قوله : « قل أطيعوا الله و اطيعوا الرسول فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم و إن تطيعوه تهتدوا و ما على الرسول الاّ البلاغ المبين » النور : (٥٤) .

و قوله : « قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون و لا انتم عابدون ما اعبد و لا أنا عابد ما عبدتم و لا انتم عابدون ما اعبد لكم دينكم و لى دين » الكافرون : (١ - ٦) .

و قوله : « فلذلك فادع و استقم كما امرت و لا تتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لا عدل بينكم الله ربنا و ربكم لنا أعمالنا و لكم أعمالكم لاحجة بيننا و بينكم الله يجمع بيننا و إليه المصير » الشورى : (١٥) .

٣٦ - (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتح العليم)

قل يا أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين : يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يقضى بيننا و بينكم بالعدل ، فعندئذ يتبين المهتدى من الضال ، و يتميز أهل الحق من أصحاب الباطل ، و حزب الله من حزب الشيطان ، و عباد الله جل و علا من عبید الشهوات و الاهواء ، و الله تعالى هو الحاكم الذى يعلم بحقائق الامور و أحوال خلقه ، و بما فى الصدور و أعمال عباده . . . من غير حاجة إلى شهود لتعرفه المحق من المبطل ، فستعلمون أيها المشركون يومئذ لمن العزة و الذلة ، لمن السعادة و الشقاء ، و لمن النجاة و العذاب . فإله تعالى هو الحاكم العادل الذى

يجزى كلاً بعمله إن خيراً فخييراً و إن شراً فشرأ من غير أن يظلم على أحد ،
و هو العالم الذى لا يخفى عليه شىء مما فى نوايا عباده و باعمالهم . . .

قال الله تعالى : « وأشرقَت الارض بنور ربها و وضع الكتاب و جيئى بالنبیین
و الشهداء و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون و وفيت كل نفس ما عملت و هو
أعلم بما يفعلون » الزمر : ٦٩ و ٧٠ .

وقال : « يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن و من يؤمن بالله و يعمل
صالحاً يكفر عنه سيئاته و يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدین فيها أبداً
ذلك الفوز العظيم و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا اولئك أصحاب النار خالدین
فيها و بس المسير » التغابن : ٩ و ١٠ .

و قال : « و تنذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة و فريق فى السعير »
الشورى : ٧ .

و قال : « الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا و عملوا الصالحات
فى جنات النعيم و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين - الله يحكم
بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » الحج : ٥٦ - ٦٩ .

و قال : « و يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم و
شركاءكم فزيلنا بينهم و قال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيداً
بيننا و بينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين » يونس : ٢٨ و ٢٩ .

ففى أول الامر يجمع الله تعالى بين أهل الحق و أصحاب الباطل ليلتقى
الحق بالباطل و جهأ بوجه ، و ليدعوا أهل الحق إلى حقهم ، و يعالج الدعاء دعوتهم
ففى أول الامر تختلط الامور و تتشابه ، و يسطرع الحق و الباطل ، و قد تقوم
الشبهات أمام البراهين ، و قد يغشى الباطل على الحق ، و لكن ذلك كله إلى حين
ثم يفصل الله تعالى بين الفريقين بالحق و يحكم بينهم حكمه الفاصل المميز الحاسم
الاخير ، والله تعالى هو الفتاح العليم :

يفصل عن علم ويحكم عن معرفة بين المحققين والمبطلين ، بين المؤمنين والكافرين ، بين المهتدين والضالين ، بين المصلحين والمفسدين ، بين المطيعين والعاصين ، وبين المخلصين والمنافقين ، فيثيب الموحدين بالجنة ونعيمها ، ويعاقب المشركين بالنار و عذابها .

٢٧ - (قل أروني الذين أحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم)

قل يا أيها النبي ﷺ لهؤلاء المشركين الجهلة والمنكرين السفلة متحدياً وتوبيخاً لهم على ما اعتقدوا من الشرك بالله سبحانه : عرفوني أيها المشركون آلهمتكم الذين أحقتموهم بالله سبحانه شركاء ؟ ما الذي عراكم و دخل في أذهانكم من الشبه حتى جعلتموهم أنداداً لله عز وجل ؟ و بأي صفة أحقتموهم بالله تبارك و تعالی في استحقاق العبادة ؟؟؟

هل شاركت آلهمتكم بالله جل و علا في خلق شيء من الارض والسماء أو في تدبير أمرهما ؟ فبيّنوا ما هو ؟ وإلا فلم تعبدونها ؟

قال الله تعالى : «خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم و بث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فانبثنا فيها من كل زوج كريم هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين » لقمان : (١٠ و ١١) .

و قال : « قل أرايتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات ايتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين » الاحقاف : (٤) .

وقال : « قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً » فاطر : (٤٠) .

و قوله تعالى : « كلا بل هو الله العزيز الحكيم » فلما لم يعرفوا آلهمتكم

شركاء لله سبحانه فانهم لو عرفوها لافتضحوا إذ ليس لها صفة من صفة الالهوية فضلاً عن جميعها فقل لهم ردعاً على ما اعتقدوه : « كلا » لا ينبغي لكم أن تعبدوا غير الله جل و علا ، فارتدعوا عن هذا المقال و تنبهوا عن هذا الفنى والضلال ، و انما هو الله الواحد الاحد ذو العزة التى بها الغالب القاهر على كل شىء ، و ذو الحكمة فى خلقه و تدبير العالم و تصرفه ، و فى تشريعاته و إرسال رسله و انزال كتبه و فيما يتعلق بشئون عباده فى الحياة الدنيا والاخرة ، فمن كانت هذه صفاته فهو الله وحده و هو الخالق الرزاق الحاكم لا اله الا الله .

قال الله تعالى : « الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك و خلق كل شىء فقدّره تقديراً و اتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً و هم يخلقون و لا يملكون لانفسهم ضراً و لا نفعاً و لا يملكون موتاً و لا حياة و لا نشوراً » الفرقان : ٢ و ٣ .

و قال : « أم لهم إله غير الله سبحانه الله عما يشركون » الطور : ٤٣ .
و قال : « و يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً و ما ليس لهم به علم » الحج : ٢١ .

وقال : « و ما من إله الا الله و ان الله لهو العزيز الحكيم » آل عمران : ٦٢ .
٢٨ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس لا يعلمون)

و ما أرسلناك أيها الرسول ﷺ بالرسالة التى حملناها إليها إلى الناس جميعاً من العرب والعجم ، من الاسود والابيض ، و من على رؤس الجبال و من فى لجج البحار ، و من أهل الشرق والغرب على اختلاف ألسنتهم و ألوانهم و مناطقهم . . . فما أرسلناك يا محمد ﷺ إلى قومك فحسب .

قال الله تعالى : « قل يا أيها الناس انى رسول الله إليكم جميعاً » الاعراف :

وقال: « و اوحى إلى هذا القرآن لانذركم به و من بلغ » الانعام: ١٩ .
 و قال: « هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين
 كله و لو كره المشركون » التوبة: ٣٣ .
 و قال: « هذا بلاغ للناس و لينذروا به و ليعلموا انما هو اله واحد و
 ليذكر اولوا الالباب » ابراهيم: ٥٢ .
 و قال: « و ما أرسلناك الا رحمة للعالمين » الانبياء: ١٠٧ .
 و قال: « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً »
 الفرقان: ١) .

و معنى عموم رسالة نبينا محمد ﷺ و شمول بعثته هو : مجيئه بشرع
 ينطبق على مصالح الناس و حاجاتهم أينما كانوا ، و أى زمان وجدوا مما لم
 يتفق فى شرع قبله قط ، ولهذا ختمت النبوات بنبوته ﷺ و الرسائل برسالته
 ﷺ و الكتب بكتابه ﷺ و الاوصياء بأوصيائه ، فمحمد ﷺ أكمل الانبياء
 و أشرف المرسلين ، و دينه أتم الادبانيان و كتابه خير الكتب و أوصيائه أفضل
 الاوصياء السابقين صلوات الله عليهم أجمعين .

و قوله تعالى : « بشيراً و نذيراً » : مبشراً للذين آمنوا و عملوا الصالحات
 بالعزة و الكمال و السعادة و الأمان فى الحياة الدنيا ، و بالجنة و نعيمها و النجاة
 من النار و عذابها فى الآخرة ، و منذراً للذين كفروا و عصوا الله تعالى و رسوله
 ﷺ بالذلة و الشقاء و الانحطاط و الهوان فى الحياة الدنيا و النار و عذابها و
 حرمان الجنة و نعيمها فى الآخرة ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فيحملهم
 جهلهم على ما هم عليه من الغي و الضلال و إصرارهم على الكفر و العناد و لذلك
 يخالفونك .

قال الله تعالى : « و يبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً
 حسناً » الكهف : ٢) .

و قال : « إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » (سبأ : ٤٦) .
 و قال : « هذا ذكر من معي و ذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم
 معرضون » (الانبيا : ٢٤) .

٢٩ - (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

و يقول هؤلاء المشركون مستهزئين برسول الله ﷺ و من تبعه من
 المؤمنين ، يقولون : لفرط جهلهم و غاية غيهم و شدة عنادهم مخاطبين لرسول
 الله ﷺ و المؤمنين : متى هذا الوعد الذي تعدوننا به من قيام الساعة ، و ما
 يبشر به المؤمنون من الجنة و نعيمها ، و ما ينذر به الكافرون من النار و عذابها
 إن كنتم يا محمد و من آمن به صادقين فيما تقولون .

قال الله تعالى : « قالوا إذا متنا و كنا تراباً و عظاماً أيننا لمبعوثون لقد
 وعدنا نحن و آباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الاولين » المؤمنون :
 ٨٢ و ٨٣ .

و قال : « و قال الذين كفروا إذا كنا تراباً و آباؤنا أئنا لمخرجون لقد
 وعدنا هذا نحن و آباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الاولين - و يقولون متى
 هذا الوعد إن كنتم صادقين » النمل : ٦٦ - ٧١) .

٣٠ - (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)

قل أيها الرسول ﷺ جواباً عن هؤلاء المشركين الجهلة ، عن هؤلاء
 المستهزئين السفلة ، و عن هؤلاء المنكرين الفجرة : لكم أيها الكافرون ميعاد
 يوم و هو يوم البعث آتيكم لامحالة ، لا تستأخرون عن هذا اليوم الموعد ساعة
 إذا جاء و لا تستقدمون عليه قبل مجيئه ، فان له وقتاً معلوماً لا بد من مجيئه في
 وقته ، فلا يفرّكنكم تأخيرته إلى وقته المعلوم .

قال الله تعالى : « يسئلونك عن الساعة أيا نمرسها قل انما علمها عند ربي لا
 يجليها لوقتها إلا هو نقلت في السموات و الارض لآياتيكم الا بقية » (الاعراف : ١٨٧) .

و قال : « وان الساعة آتية لا ريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور »
الحج : ٧) .

و قال : « ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون »
المؤمن : ٥٩) .

و قال : « ذلك يوم مجموع له الناس و ذلك يوم مشهود و ما تؤخره الا
لاجل معدود » هود : ١٠٣ - ١٠٤) .

و قال : « قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم »
الواقعة : ٤٩ و ٥٠) .

و قال : « بل الساعة موعدهم » القمر : ٤٦) .

و قال : « ان وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الفرور
ان الله عنده علم الساعة » لقمان : ٣٣ - ٣٤) .

٣١ - (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن و لا بالذى بين يديه
ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول
يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين)

و قال الذين كفروا من مشركى مكة : لن نصدق بأن محمداً رسول الله
و ما جاء فهو من الله ، و لا نؤمن بما يخبر به من أمر الآخرة والحساب والجزاء
و ما يبشر به من الجنة و نعيمها ، و ما ينذر به من النار و عذابها ، و لو ترى
أيها الرسول ﷺ حال اولئك المشركين وما هم فيه من مهانة و ذلة يوم القيامة
الذى هم ينكرونه لرأيت أمراً عجيباً ، هائلاً فظيماً ، و ذلك حين هؤلاء المشركين
الذين ظلموا أنفسهم بخسران الدنيا والآخرة بتكذيب القرآن و إنكار البعث ،
هم موقوفون عند ربهم فى موقف الحساب والجزاء .

يرجع بعضهم إلى بعض القول يومئذ فيتجادرون و يتراجعون الكلام فيما
بينهم باللوم والعتاب بعد أن كانوا فى الحياة الدنيا متعاضدين متحابين ، و أخلاء

متناصرين ، و تلك المراجعة والمحاورة والتلاوم هي : أن يقول الذين استضعفوا و هم الاتباع المردة والعمياء الجهلة للذين استكبروا في الدنيا ، و هم الرؤساء الفجرة والامراء الطاغية المتبوعون إذ استتبعوهم في الغي والضلال ، و قلدوهم في الكفر والعناد : لولا أنتم أيها السادة صددتمونا عن الهدى و سواء السبيل ، عن الايمان بالله و اتباع رسوله ﷺ ، و عن تصديق القرآن و يوم القيامة ، ولو لم تضلّونا لكننا مؤمنين بالله و رسوله و كتابه و باليوم الاخر ، ولكنكم أغويتمونا و أضللتمونا فكنا من الكافرين .

قال الله تعالى : « انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضهم بعضاً و ما أداكم النار و ما لكم من ناصرين ، العنكبوت : ٢٥) .

وقال : « و قفوهم انهم مسئولون ما لكم لانصارون بل هم مستسلمون و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين » الصافات : ٢٤ - ٢٨) .

و قال : « الاخلاء يومئذ بعض لبعض عدو الا المتقين » الزخرف : ٦٧) .

و قال : « ان ذلك لحق تخاصم أهل النار » ص : ٦٤) .

و قال : « و اذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً » غافر : ٤٧) .

و قال : « و قالوا ربنا انا اطعنا سادتنا و كبراءنا فأضلونا السيلا » الاحزاب : ٦٧) .

و قال : « و برزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا تبعاً فهل انتم مغنون من عذاب الله من شيء » ابراهيم : ٢١) .

٣٢ - (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

قال الذين استكبروا من رؤساء الكفرة و قادة الفجرة للذين استضعفوا من الاتباع الجهلة والعمياء السفلة مجيبين عنهم و رادّين عليهم لما اتهموهم به من الاجبار على الكفر والاكراه على الطغيان مستنكرين لهم : نحن صددناكم عن الهدى و اتباع الحق ؟ نحن منعناكم من الايمان بالله و رسوله و باليوم الاخر بعد ان جاءكم الهدى من عند الله تعالى و بلغه النبي الكريم ﷺ ؟

بل كنتم أنتم مجرمين : مصرّين على الشرك والطغيان، وعلى الكفر والعصيان مطيعين أمر الشهوات، تاركين الهدى، مانعين أنفسكم حظها باجر امكم و ايتاركم الكفر على الايمان ، و مختارين تبعيتنا من غير إكراه ، فلم نحل بينكم و بين الايمان لو صمتم على الدخول في الايمان ، فما رددناكم نحن عن الهدى و لا أكرهناكم ، فلم يكن منا الا التسويل والتزيين .

قال الله تعالى حكاية عنهم : « قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماً طاغين - فأغويناكم انا كنا غاوين » الصافات : ٢٩-٣٢ .

٣٣ - (و قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

و قال الذين استضعفوا من الاتباع المردة - رداً لما أجابه المستكبرون على المستضعفين ، و دفعاً لما نسبوه إليهم من صدّهم لانفسهم ، مستنكرين لهم ، و رادّين لقولهم و دعواهم البراعة من الاضلال - للذين استكبروا من رؤساء الكفرة والضلالة ، من قادة الشرك والغواية ، من سادة العناد والعداوة و من حكّام الجور والفجرة : بل مكركم بنا ليلاً و نهاراً و دعاكم لنا إلى الكفر والشرك هو الذي حملنا على الكفر و صدّنا عن قبول الهدى و الايمان بالله و رسوله ﷺ و بكتابه و باليوم الاخر .

و ذلك حين كنتم تأمرونا ليلاً و نهاراً أن نكفر بالله و نجحدوا وحدانيتهم ،

و كنتم تدعوننا إلى أن نجعل لله شركاء في العبادة و نظراء في الالهية ، و كنتم انتم تخطون الخطط الكثيرة لتستضعفونا و تأمروا علينا ، فتحملونا على طاعتكم فيما تريدون ، فلم نشعر إلا و نحن مضطرون على الائتمار بأمركم إذ تأمرونا بالكفر و الشرك .

وقوله تعالى : « و أسروا الندامة ... » : وأخفى هؤلاء الاتباع و المتبوع ، و المستضعفون و المستكبرون كلا الصنفين الندامة يوم القيامة على ما فعلوا في الحياة الدنيا من الكفر و الشرك خوف الشماتة و الخزي و الفضيحة من جانب حين رأوا العذاب و شاهدوا أن لا مناص لهم منه ، فبهتوا مما عاينوا ، فهم لا يستطيعون أن ينطقوا بينت شفة من جانب آخر و جعلنا أغلاق الحديد المحرقة في أعناق الذين كفروا سواء كانوا رؤساء أو رؤسين ، حكماً أو رعايا ، أتباعاً أو متبوعين ... إذ كلا الصنفين في العذاب الاليم بسبب الكفر و الطغيان ، و الغي و العصيان ...

وقوله تعالى : « هل يجزون إلا ما كانوا يعملون » : لا يجزي هؤلاء الكافرون في الآخرة إلا ما كانوا يعملون في الحياة الدنيا من ضلالتهم أو إضلالهم أوهما معاً فما يفعل الله تعالى ذلك بهم إلا جزاءاً بما اجترحوا من الكفر و الآثام ، و ليس هذا إلا على أساس العدل و الاستحقاق ، فان الله جل و علا لا يريد ظلماً لعباده .

قال الله تعالى : « ان تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و رأوا العذاب و تقطعت بهم الاسباب » البقرة : (١٦٦) .

و قال : « انا أعتدنا للكافرين سلاسل و أغلالاً و سعيراً » الانسان : (٤) .

و قال : « و أسروا الندامة لما رأوا العذاب و قضى بينهم بالقسط و هم لا يظلمون » يونس : (٥٤) .

و قال : « و لتجزى كل نفس بما كسبت و هم لا يظلمون » العجائية : (٢٢) .

٣٤ - (و ما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرين)

وما بعثنا إلى أهل قرية من القرى من نبي أو رسول ينذرهم بأسنا اذا كفروا ، ويحذّرهم عقابنا إذا طاغوا إلا قال رؤساء أهل القرية وكبراءها وجبابرتها من زعماء الشرك وقادة الفساد ، من اولى النعمة والثروة ومن ذوى الجاه والحشمة فهم أصل فى الجحود والانكار وغيرهم تبع لهم قالوا للرسول : إنما نحن بما أرسلتم به من الدعوة إلى التوحيد والوحى ، من الايمان بالرسالة واليوم الآخر ، ومن ترك البراعة من الآلهة والتجنب من الشهوات . . . كافرون .

وذلك لان المنهمكين فى الشهوات والمنغمسين فى بحار الجهل والسفاهة يحملهم التكبر والتفاخر بزينة الحياة الدنيا على النفور من الكمال الروحى ، و من تثقيف النفوس بالايمان والعلم والحكمة ، فالضدان لا يجتمعان : انغماس فى الجهل والشهوة ، وقبول العلم والحكمة ، ثروية مادية وهى غرضهم الاصيل ، و ثروة روحية ، وهى عندهم منكورة .

نعم يمكن الجمع بين المادية والروحية اذا استخدمت المادية للروحية ، والدنيا للأخرة ، والنعمة للانسان لا العكس ، فالتضاد بينهما فى صورة استقلال المادة لا فى صورة استخدامها للمعنوية .

ومن شأن الاتراف والترفيه والتقلب فى نعم الدنيا ومتاعها أن يتعلق قلب الانسان بها ، فيستعظمها ويرى السعادة والكمال فيها ، ولا يذكر ولا يرى إلا ظاهرها الحياة الدنيا وزخارفها وينسى سواها . . .

قال الله تعالى : « و كذلك جعلنا فى كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون واذا جائتهم آية قالوا لن نؤمن حتى مثل ما اوتى رسل الله ، الانعام : ١٢٣ و ١٢٤)

وقال : « و كذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون قال اولو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما ارسلتم به كافرون - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على

رجل من القريتين عظيم ، الزخرف : ٢٣ - ٣١)

٣٥ - (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)

وقال هؤلاء المستكبرون المترفون : نحن أكثر أموالاً و أولاداً من هؤلاء المؤمنين و نبيهم ، و ما نحن الزعماء ذوو الشوكة ، و ما نحن الرؤساء صاحبو الحشمة ، و ما نحن الاغنياء اولوا الثروة بمعذبين في الآخرة لو كانت آخرة و حساب. كان هؤلاء المستكبرون يفتخرون بكثرة أموالهم و أولادهم على المؤمنين و يتفضلون عليهم ، معتقدين على ان ذلك دليل على كثرة محبة الله سبحانه لهم و غاية عنايته و اعتنائه بشأنهم ، و كانوا يقولون : ان الله ما كان ليعطينا تلك الاموال و هؤلاء الاولاد في هذه الحياة الدنيا ثم يعذبنا في الآخرة لو كانت . و كانوا يقولون : لو لم يكن الله راضياً عما نحن عليه من الملة و الفضل و العمل لم يخوننا تلك الاموال و الثروة و لاهؤلاء الاولاد و كثرة العدد ، و ليس هذا الاًفضلاً من الله لنا على هؤلاء المؤمنين الفقراء الضعفاء . . . ف ما نحن بمعذبين لو كان عذاب بعد الموت لان من أحسن إليه فلا يعذب به بعد .

و كانوا يقاسون أحوالهم في الدار الآخرة على أحوالهم في هذه الحياة الدنيا على فرض صحة ما انذرهم به الرسل . . .

هيئات هيئات انهم قد ضلّوا ضلالاً بعيداً ، و أخطأوا غاية الخطأ ، و غفلوا نهاية الغفلة ، و جهلوا منتهى الجهل ، فلم يعلموا : « أيحسبون انما نمدهم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ، المؤمنون : ٥٥ و ٥٦)

فلا تشوبهم النعمة و لاهم يحاسبون في الآخرة و غفلوا عن قوله تعالى : « فلا تعجبك أموالهم و لأولادهم ، التوبة : ٥٥) و عن قوله تعالى حكاية عن صاحب الجنتين : « و ما اظن الساعة قائمة و لئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ، الكهف : ٣٦) حيث أخبر الله جل و علا عن صاحب تينك الجنتين انه كان ذامال و ثمار و ولد ولكنها لم تغن عنه شيئاً بل سلب ذلك كله عنه في الدنيا قبل الآخرة .

ولم يعلموا ان الدنيا ومتاعها مالم تستخدم للآخرة لاتزن عند الله جل وعلا جناح بعوضة ، ولو كانت تزن لما اعطى الكافر منها جرعة ماء ، وان إعطاء الدنيا على حسب الوجود والامتحان لاعلى الاستحقاق بالعقيدة والعمل ، وان إعطاء الآخرة على حسب الاعتقاد وجزاء العمل فشتان بينهما .

فليست كثرة الاموال والاولاد سبباً لنجاتهم من العذاب الاخرى ، ولا دليلاً لكرامتهم عند الله سبحانه في الدنيا ولالمكانتهم عنده فسي الآخرة كما انهم قاسوا الدنيا الغانية على الآخرة الباقية ، وليس ذلك الا من وطأ الشياطين قلوبهم وذهاب قوة فكرتهم .

قال الله تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أى الفريقين خيراً مقاماً وأحسن ندياً ، مريم : ٧٣)
٣٦ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قل يا أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المترفين الذين يفتخرون بكثرة الاموال والاولاد، بكثرة العدد والعدد ، وبالشوكة والحشمة والرئاسة والزعامة ، وبرونها سعادة لانفسهم وكمالها ، وبرونها عناية الله سبحانه واعتناؤه بشأنهم ، كرامة لهم عند الله جل وعلا ، ورضاه عنهم قل لهم رداً عليهم : ان ربي الذى خلقنى وربانى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده من غير نظر إلى استحقاق من بسط له الرزق بالبسط ، يبسط له الرزق على ما يعلمه من مصالح الفرد ومصالح المجتمع البشرى ، ويبسط له الرزق من المعاش والرياش فى الحياة الدنيا لالمحبة به ، وللخير فيه ، ولانزلى استحق بها ذلك . . .

ويضيق الله جل وعلا الرزق لمن يشاء من خلقه من غير نظر الى استحقاقه ذلك ، يضيق عليه الرزق على ما يعلمه من مصالح الفرد ومصالح المجتمع البشرى :
ويضيق عليه لا لبغض من الله تعالى على من ضيق عليه الرزق ، ولالمقت منه له .

ان البسط والضيق في الرزق لمصلحة إلهية، وحكمة ربانية وسنة وضعها لسعي الانسان، لا بدله من السعي في هذه الحياة الدنيا، وان سعة الرزق وضيقه محكا ابتلاء للموسع عليه، والضيق عليه سواء كان مؤمناً أم كافراً، مطيعاً كان أو عاصياً، مخلصاً كان أم منافقاً، ومحسناً كان أو مسيئاً... في رزق الكافر والعاصي والمؤمن والمطيع، كما يرزق الذئب والغنم، ورب كافراً أكثر أموالاً واولاداً وسعة في عيشه من المؤمن، فليست السعة في الرزق دليلاً على رضا الله سبحانه عن الموسع عليه، ولا الفقر دليلاً على سخطه جل وعلا على المضيق عليه، فلا رابطة بين الثراء ومحبة الله، ولا بين الفقر وسخطه تعالى.

ان الله جل وعلا هو الذي يفاضل بين عباده في الارزاق امتحاناً لهم، فلا يدل شيء من ذلك على ما في العواقب، فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعته في الآخرة، فلا تظنوا أيها الكافرون: ان أموالكم واولادكم وعددكم وعددكم تغني عنكم غداً شيئاً، وليست السعة في الرزق دليلاً على قرب من بسط له رزقه من الله تعالى، ولا الضيق دليلاً على بعد من قدر عليه رزقه عن الله تعالى، فان القرب والبعد يدوران على الايمان والكفر، على الطاعة والمعصية، وعلى الاخلاص والنفاق...

فكم من شقى كافر موسر، وسعيد مؤمن معسر، وربما وسع على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس الامر، وقد يوسع على المطيع والعاصي تارة، وقد يضيق عليهما، ويفعل الله تعالى ذلك كله حسب ما اقتضته الحكمة البالغة الالهية لانعلمها تمامها. وقد خفي علينا أمرها، فلو كان البسط دليل الاكرام والرضا لاختص به المؤمن المطيع، ولو كان التضيق دليل الاهانة لاختص به الكافر العاصي، فالبسط والضيق محكا ابتلاء للانسان بما هو انسان لا بما هو انسان مؤمن و انسان كافر، فالصفات الانسانية لا تدخل لها في ذلك، وان الدخيل هو الوجود من حيث انه موجود مخلوق مكلف يسمى بانسان.

وقد يفعل الله تعالى السعة والضيق بالنسبة إلى شخص واحد بانه يوسع عليه

فى وقت ويضيق عليه فى وقت آخر، حتى نرى كثيراً أن الكافر يضيق عليه فى أيام كفره ويوسع عليه بعد أن آمن ، كما نرى عكس ذلك أيضاً ، فالإية تحتل أن تكون بالنسبة إلى شخص واحد باعتبار وقتين من أوقاته ، وأن تكون بالنسبة إلى أفراد متعددة . . .

وقوله تعالى : « ولكن أكثر الناس لا يعلمون » حكمة الهية فى البسط والضيق لانهم لا يتأملون ولا يتدبرون فى ذلك فيتوهمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة والسعادة ، ومدار الضيق هو الهوان والضعف والشقاء ، ولا يدرون ان الاول كثيراً ما يكون بطريق الاستدراج ، والثانى بطريق الابتلاء ورفع الدرجات . . . ولا يعلمون ان البسط والضيق محكا اختبار من غير ملاحظة الاستحقاق فيهما أصلاً ، فأغنى بعض عباده ليمتحن بغناه ، وأفقر بعضهم ليبتلوا بفقره ، فليس البسط لكرامة ، ولا الفقر على بخل من الله سبحانه ، فينبغى للغنى أن ينفق بما وسع عليه ، وعلى الفقير أن يصبر على ما ضيق عليه ، فلا يكون لاحد من الفريقين داع إلى ما فعل الله جل وعلا به من البسط والضيق إلا الابتلاء ومصالح الفرد والمجتمع البشرى ، والحكمة الالهية التى لا يعلم الانسان كثيراً أمنها حتى تحسب بعضهم واعترض على الله تعالى فى البسط لطائفة والتضييق منه على الآخرين أشار إليه قطب الدين الراوندى بقوله :

كس عاقل عاقل اعيب مذاهبه وجاهل جاهل تلقاء مرزوقاً
هذا الذى ترك الاوهام حائرة وصير العالم التحير زنديقاً

قال الله تعالى : « له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدرانه بكل شىء عليم - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاءه بعباده خبير بصير » الشورى : ١٢ - ٢٧)

وقال : « فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربي أكرم من وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني ، الفجر : ١٥ - ١٦)
وقال : « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق » النحل : ٧١)

وقال : « ولنبلو نكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانسف والثمرات وبشر الصابرين ، البقرة : ١٥٥)

وقال : « ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ، المائدة : ٤٨)

وقال : « وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما آتاكم ، الانعام : ١٦٥)

وقال : « انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً ، الكهف : ٧)

وقال : « انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ، القلم : ١٧)

٣٧ - (وما أموالكم و لا أولادكم بالتى تقر بكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون)

وليس أموالكم أيها الكافرون التى خولتموها ، فتفترون بها ، و تعتمدون عليها فى السعادة وانتفاء عذاب الله تعالى ، و لا أولادكم التى رزقتموها ، فتفتخرون بها على الناس وتستدلون بها على رضا الله سبحانه عنكم ، ليست هى التى تقر بكم عندنا قربى ، وليست دليلاً على محبتنا بكم ، و لا اعتنائنا بشأنكم ، وأنتم على كفر و طغيان ، وان الاموال والاولاد من حيث هماهما من غير استخدامهما للآخرة ، و من غير انضمامهما بالايمان و صالح الاعمال لا تنفع .

إلا أموال من آمن بالله تعالى وبرسوله ^{صلى الله عليه وسلم} وباليوم الآخر ، وعمل صالحاً يتحمل الاموال لله جل وعلا وينفقها فى وجوه البر ، و لا تلهيه عن ذكر الله سبحانه حيث ان المؤمن يستخدم الدنيا و متاعها للآخرة ، و كذلك إلا أولاد من آمن و يريهم الله تعالى تربية صالحة ، كما ورد فى الولد الصالح ، فالتوجه التام للمؤمن هو الله جل وعلا وحده بخلاف الكافر الذى توجهه التام هو المال والولد ، غفلة عن الله جل وعلا .

وان وسيلة التقرب الاصيلة والنز لفي عند الله جل وعلا هي الايمان وصالح الاعمال سواء انضم به الاموال والاولاد أم لا ، ولكن الاموال اذا استخدمت للاخرة ، والولد الصالح تنفعه ، فاولئك المؤمنون الصالحون لهم جزاء حسنة منهم عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف بسبب ما عملوا من صالح الاعمال بالاموال وتربية الاولاد وهم في غرفات الجنة آمنون من جميع المكاه وما يحذر منه .
قال الله تعالى : « ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً » آل عمران : (١١٦)

وقال : « ما أغنى عنى ما ليه هلك عنى سلطانيه » الحاقة : (٢٨ - ٢٩)

وقال : « وما يغنى عنه ماله اذا تردى » الليل : (١١)

وقال : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن مما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب » النور : (٣٨)

وقال : « والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قره أعين واجعلنا للمتقين اماماً اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً » الفرقان : (٧٤ و ٧٥)

وقال : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » الشعراء : (٨٨ و ٨٩)

وقال : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً يضاعفه له أضعافاً كثيرة »

البقرة : (٢٤٥)

وقال : « واعملوا انما أموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده أجر عظيم »

الانفال : (٢٨)

وقال : « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من الجنة غرفاً تجري

من تحتها الانهار خالدين فيها نعم أجر العاملين » العنكبوت : (٥٨)

وقال : « لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري

من تحتها الانهار وعدالله لا يخلف الله الميعاد « الزمر : ٢٠)
وقال : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة و كلاً
وعدالله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ،
النساء : ٩٥ و ٩٦)

٣٨ - (والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون)

والذين كفروا يسعون في إبطال آياتنا و كتابنا بالطعن فيها ويسعون لاجواز
الناس عن أن يتصلوا بآياتنا ، ولعجاز آياتنا أن تتصل بالناس ، ويسعون في إنكار
أدلتنا و حجتنا على وقوع البعث والحساب والجزاء ، باذلين جهودهم فى ذلك ،
مقدّرين إعجازنا على سبيل معاونة بعضهم بعضاً فى ذلك ، ظانين انهم يفوتوننا ،
وانا نهم لهم وانا لن نقدر عليهم ، اولئك الكافرون فى عذاب جهنم يوم القيامة محضرون ،
وإن كثرت أموالهم وأولادهم ، وعبدوا آلهة لتقرّ بهم عندالله سبحانه زلفى .

تحضرهم الزبانية إلى نار جهنم ، ولا يجدون عنها محيصاً . ولا يجديهم نفعاً ما
عوتلوا عليه من شفاعة آلهتهم ونصرة أولادهم ، ونفع أموالهم ، اما الاصنام والاولاد
فجماد لا شعور لها ، وأما غيرها من الملائكة والجن والشياطين ومن إليهم من
الالهة المزعومة فهم يبرّون منهم ، وأما الاموال فلا أثر لها يومئذ ، وأما الاولاد
فلا أنساب بينهم ، فيجاء بهم من حيث كانوا إلى حيث يلقون فى جهنم ويصلون العذاب
الاليم فيها .

قال الله تعالى : « والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك أصحاب الجحيم »

الحج : ٥١)

وقال : « وأما الذين كفروا كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة فاولئك فى العذاب

محضرون ، الروم : ١٦)

٣٩ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم

من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

قل يا أيها النبي ﷺ للمؤمنين : ان ربي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين حيناً ، ويضيقه عليه حيناً آخر ، والجملة تصح أن تكون بالنسبة إلى شخص واحد باعتبار وقتين من أوقاته ، وأن تكون بالنسبة إلى أشخاص متعددة... وعلى أى التقديرين فالآية فى معنى : فلا تخشوا الفقر والفاقة أيها المؤمنون وأنفقوا مما رزقناكم فى وجوه البر ، وتقرّبوا إلى الله جل وعلا بأموالكم لتنالكم نعمة من رحمته ، وما أنفقتم أيها المؤمنون من شىء مما رزقناكم قليلاً كان أم كثيراً ، فالله تعالى هو يعطيكم خلفه وعوضه بزيادة كثيرة ، أما فى الدنيا بزيادة النعمة ، وأما فى الآخرة فبالجنة ونعيمها. والله جل وعلا هو خير الرازقين ، فترزقون من حيث لا تحسبون ، ولا رازق سواه .

قال الله تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » البقرة : ٢٦١ و ٢٦٢)

وقال : « فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير » الحديد : (٧)
وقال : « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا إله الا هو فأنى تؤفكون - ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور » فاطر : ٣ - ٢٨ و ٢٩)

وقال : « وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها » هود : (٦)

وقال : « ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » الذاريات : (٥٨)

وقال : « أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه » الملك : (٢١)

وأما الكفار وأذنانهم من المنافقين والعاصين فلن يقبل الله تعالى نفقاتهم لفقدهم شرط قبول الأعمال الصالحة وهو الايمان .

قال الله تعالى: « قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ، التوبة : ٥٣ و ٥٤)
٤٥ - (و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون)

وذكر أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المترفين المستكبرين المتبوعين والمستضعفين التابعين يوم يحشرهم الله تعالى جميعاً مع معبوديهم من الملائكة وغيرهم للحساب والجزاء ، ويا هول ذلك الموقف الشديد : الموقف المخوف ، الموقف الخطير ، موقف الزحام والحساب العسير ، وموقف الفضيحة والخسران للكفرة الفجرة القادة ومردتهم ثم يقول ربك للملائكة في هذا الاجتماع وعلى رؤوس الأشهاد : يا أيها الملائكة ! أهؤلاء الرؤساء المستكبرون وأتباعهم إياكم كانوا يعبدون من دوننا ، وكانوا هم يقصدونكم بالعبادة وينضعونكم بالتقديس ، وأنتم أمرتموهم بعبادتكم وأنتم خلق من خلق الله كما قال تعالى لعيسى بن مريم عليه السلام : « واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » (المائدة : ١١٦)

قال الله تعالى : « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل » الفرقان : ١٧)

وقال : « هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون » الصافات : ٢١ - ٢٤)

٤١ - (قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)

قالت الملائكة حينئذ : سبحانك يارب وتنزيهاً لك بعد تنزيهه ، وتعاليت

وتقدست عن أن يكون معك إله ، وتنزيهاً لك أن نعبد سواك ، وتتخذ معبوداً غيرك ، أنت ولينا الذي نواليه وحده ، نحن عبيدك ، وتقترب منك بالعبادة لك وحده ونواصلك ونرجوك ، من دون هؤلاء المستكبرين وأتباعهم وآلهتهم، ونبراً إليك منهم ومن عقائدهم السخيفة ، وأعمالهم الباطلة ، ولم نك راضين عن عبادتهم وخضوعهم لآلهتهم ولا عن تقربهم إلينا ، فلا موالة بيننا وبينهم ، بل كان هؤلاء المشركون من المتبوعين والاتباع يعبدون الجن ويعوذون بهم ، ويجعلون بينك وبين الجن نسباً ، ويستغيثون بهم في قضاء حوائجهم كما هو مشهور لدى أرباب العزائم والسحرة .

حيث ان الجن زينوا للمشركين عقائدهم وأعمالهم ، فأضلّوهم ، أكثر المشركين كانوا مؤمنين بالجن ، مصدقين لهم فيما يقولون وما يوسوسونهم ومطيعين لهم إتقاءً من طروق الشر من قبلهم ومبادئ الشر عندهم .

قال الله تعالى : « قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء - يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً »
الفرقان : (١٨-٢٢)

وقال : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » الانعام : (١٠٠)

وقال : « ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون »
الاعراف : (٢٠٦)

وقال : « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً » مريم : (٨١ و٨٢)

وقال : « ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون - بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون »
الانبياء : (١٩-٢٧)

وقال : «وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً» الصافات : (١٥٨)

وقال : «وانه كان رجال من الانس يعوزون برجال من الجن فزادهم رهقاً»

(الجن : ٦)

٤٢ - (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضرراً و نقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)

فيوم القيامة لا يملك بعضكم أيها المعبودون والعابدون من المستكبرين ومردتهم لبعض نفعاً من الشفاعة والانجاء من فرع يومئذ وأهواله ، ولا ضرراً من هلاك وتعذيب ، بل الامر كله يومئذ لله الواحد القهار وحده ، وذلك موقف شديد ، موقف خطير ، وموقف ضعف وعسير من مواقف يوم القيامة وما أطوله عليهم .
ونقول للذين ظلموا من المستكبرين وأتباعهم ، ظلموا على الله سبحانه بالشرك والطغيان ، فان الشرك لظلم عظيم ، وظلموا الناس والمجتمع البشري بصددهم عن السعادة والكمال ، عن العزة والنجاة وعن الهداية وصالح الاعمال ، وبالافساد في الحرث والنسل بسبب كفرهم والعصيان ، وظلموا أنفسهم بالشقاء والانحطاط والذلة والخسران عذاب النار بسبب الانحراف عن سواء السبيل ، والاعراض عن ذكر الله جل وعلا إلى عبادة الآلهة المزعومة الموهومة . . . نقول زجرأ لهم وتأنيباً : ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الحياة الدنيا ، فعصوا بنان الندم أسي وحسرة على ما قدموا من فساد الاعمال وسخيف العقائد . . .
قال الله تعالى : «فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله» يونس : (١٧-١٨)

وقال : « اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون - وما نرى معكم شفعاؤكم الذين زعمتم أنكم فيكم شر كماؤا لقد نقطع بينكم وضلعنكم ما كنتم تزعمون» الانعام : (٩٣ و ٩٤)

وقال : «واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً - الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً» الفرقان : ٣-٢٦

وقال : «ان الشرك لظلم عظيم» لقمان : ١٣

وقال : «وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون - ولن ينفعكم اليوم انظلمتم انكم فى العذاب مشتركون» الزخرف : ٣٧-٣٩

٤٣ - (و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

و اذا تتلى على الكفار الجهلة والمشر كين السفلة آياتنا القرآنية بلسان نبينا محمد ﷺ حال كونها واضحة الدلالات على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك، وظاهرة المعانى فى وقوع البعث والحساب والجزاء ، وقاطعة البرهان على حقيقة نفسها وصدق نبينا ﷺ قالوا تارة : ما هذا القارىء إلا رجل - متجاهلين عن معرفته ، فكأنه ﷺ غير معروف بينهم وهم لا يعرفونه أصلاً تحقيراً لشأنه ﷺ - يريد أن يصدكم أيها المشركون ويصرفكم عما كان يعبد آباؤكم من الالهة ، يريد أن يسفه أعلام أسلافكم ، و يغيب آلهتكم ، يريد أن يغير دينكم الذى ورثتموه من آباءكم ، ويريد بأمر فى نفسه بأن يتفضل عليكم و يجعلكم من أتباعه دون أن يكون له حجة على ما يدعيه ، ولا برهان على صحة ما يسلك من سبيل ، فلا يكون رسولاً ، فلا تتبعوه واحذروه .

هذه مقالة الكافرين فى نفس النبي ﷺ ورسالاته ، وهذا دأب الكفار

إطلاقاً .

قال الله تعالى : «و اذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين

كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» الحج : ٧٢

وقال : «ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به - قالوا ان أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاتونا بسطان مبین» ابراهيم : ٩-١٠

وقال : «فقال الملؤا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين» المؤمنون : ٤٢

وقوله تعالى : «وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى» : وقال هؤلاء الكفرة الجهلة في أمر القرآن الكريم بعد ما قالوا في شأن النبي الكريم ﷺ : ما هذا - محققين له ومستهزئين به - القرآن الذي يقرؤه عليكم محمد ويدعي انه وحى من عند ربه إلا كذب مختلق من عنده ، متخرف من تلقاء نفسه ، كلام مصروف عن وجهه لامصداق له في الواقع ، مفترى باسناده إلى الله تعالى و أعانه عليه قوم آخرون .

قال الله تعالى : « وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون» الفرقان : ٤

وقوله تعالى : «وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين» : ولما رأى هؤلاء الكفرة السفلة أثر القرآن الكريم في النفوس ، و علموا ان الكذب والاختلاق والزور والبهتان و كلام الكاذب والمجنون والمختلق لا يؤثر هكذا في النفوس قالوا ثالثاً للحق حين جاءهم به محمد رسول الله ﷺ من عند ربه مشتملاً على الهدى والشريعة السهلة السمحاء التي وجهتهم في حياتهم الاجتماعية ونظم المعيشة وجهة جديدة تكون بها كما لهم و عزتهم و سعادتهم في معاشهم ومعادهم ، وغيّرت الطريق الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ... قالوا من غير تدبير ولا تأمل فيما تلاه عليهم النبي ﷺ : ما هذا المتلوا إلا سحر

ظاهر سحر بيته لاختفاء فيه عندنا ، وخيال لاحقيقة له .

قال الله تعالى : «واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراء - و إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم، الاحقاف : ٦-١١)

وقال : «واذا ذكروا لا يذكرون وإذا رأوا آية يستسخرون وقالوا إن هذا إلا سحر مبين» الصافات : ١٣-١٥)

وقال : «ولونزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين» الانعام : ٧) وقال : «ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانابه كفرون» الزخرف : ٣٥) هؤلاء الكفار الجهلة والمشركون السفلة كانوا يتخبطون ولا يدرون ماذا يقولون ، فتارة يقولون : ان هذا القرآن إفك و افتراء و كذب وقارئة أفك ومقتري و كاذب ، وتارة اخرى يقولون : انه سحر و كهانة ، وتاليه ساحر وكاهن وثالثة يقولون : انه خيال وقائله مجنون . . . وهذا شأن المتخبط المتحير الذي اغشى عينه قوة النور وبهر نفسه بريق الحق فهو لا يدري ماذا يقول .

وحقاً عمت أبصارهم ، وضلت أحلامهم ، فلم يستطيعوا أن يدفعوه بكل سبيل ، ولا يزال يلج القلوب ويقتمحها ويدخل النفوس ويستحوذ عليها ، وصاروا حيارى في أمر النبي الخاتم محمد المصطفى ﷺ ولا يجدوا طريقاً للتغلب عليه ﷺ بالوسائل التي كانوا يعرفونها ، وهي بين أيديهم ، فانهم نفوا الرسالة أولاً ثم الوحي ثانياً ، ونسبوا إلى الاول بادادة الصد عن السبيل وإلى الثاني بالافتراء والكذب جاء به لترويج دعوته .

أهؤلاء المشركون لم يعلموا ان الدين الصحيح الالهى انما يأتي بوحي من عند الله جل وعلا، وبكتاب ينزل على الرسول ﷺ ليبلغه للناس ، وبين لهم فيه ما جاء به من الشرائع والآداب والفضائل التي تكون بها كمالهم وعزتهم

ونجاتهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم وهم امة امية أم كانوا يعلمون و لكنهم يكفرون عناداً ولجاجاً . . .

٤٤ - (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)

وما آتينا هؤلاء المشركين الجهلة والكفار السفلة شيئاً من كتب سماوية يدرسونها قبل هذا القرآن الكريم ، فيعلمون بدرسها وقرائتها ان ما تلوته عليهم من آياتنا إفاك مفترى ، وقاريه يريد أن يصدّهم عن دينهم ودين آبائهم ، وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير يندرهم ، فأخبرهم بان ما تلوته عليهم من آياتنا سحر مبین ، وما تدعوهم إليه من التوحيد والبعث والحساب والجزاء باطل و كذب ، فيتمسكون بقوله في تكذيبهم بك ، وبصحة ما هم فيه من الشرك والكفر . . . فمن أين أتاهم ان ما هم فيه هو الدين الحق الذي يرشدهم إلى صحة الاشرار بالله سبحانه ، وينفى توحيد الخالق العليم الواحد الحكيم ، الرازق الخبير ، المدبر البصير حتى يكون لهم معذرة فيما يدعون وحجة على صحة ما يعتقدون فلم يقرؤا في كتاب اوتوه بطلان ما جئتهم به ولا سمعوه من رسول بعث إليهم ، إذ لم ينزل إليهم قبل القرآن الكريم كتاب ، ولم يرسل إليهم قبلك رسول ، فلا يكون كلامهم مستنداً إلى علم وتجربة ، ولا وجه لتكذيبهم يتشبهت به ولا شبهة متعلق ، فمن أين يكذبونك كما ان لادليل لهم ولا حجة على ما هم فيه من الشرك إلا اتباع الهوى والعناد والحمية الجاهلية ، واللجاج .

قال الله تعالى : «أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما نخيرون»

القلم : (٣٧-٣٨)

وقال : «أم أنزلنا عليهم سلطاناً فهو يتكلم بما كانوا به يشركون» (الروم: ٣٥)

وقال : «أم يقولون افتراء بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من

نذير من قبلك لعلهم يهتدون» (السجدة : ٣)

وقال : «ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً أتاهم من نذير من قبلك لعلهم

يتذكرون - قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين
فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هوى بغير
هدى من الله، القصص : ٤٦-٥٠)

وقال : «قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا
من الارض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه» الفاطر :
(٤٠) وقال : «وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلا
يخرون أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا
على أمة وانا على آثارهم مهتدون» الزخرف : ٢٠-٢٢)

٤٥ - (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي
فكيف كان فكبير)

وكذب الامم السابقة بآياتنا ورسلتنا ، الذين كانوا هم من قبل هؤلاء
المشركين ، وكان هؤلاء الامم البائدة والقرون الخالية كقوم نوح وعاد و نمود
ولوط وموسى . . . أقواماً أشد بطشاً من هؤلاء المشركين ، وأكثر أموالاً و
أولاداً وأطول عمراً وأوسع عيشاً ، فأهلكناهم بسبب تكذيبهم بآياتنا و رسلنا ،
فحل بهم نكالنا ووبالنا ، فدمروا تدميراً ، ولم تغن عنهم عددهم و عدد هم ، ولا أموالهم
وأولادهم من الله تعالى شيئاً ، وما بلغ المشركون معشار ما آتينا تلك الامم
الماضية ، فكيف كان عقابى بهم .

فاحذروا أيها المشركون أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، ويحل بكم ما حل
بهم ، وانكم لتشاهدون آثارهم فى حلهم وترحالهم فى غدوهم ورواحهم . . .
فأين هم من قوم عاد وقوم نوح وقوم نمود وقوم لوط ؟ وأين هم من أهل سبأ
وما كان لهم من قوة وبأس وجاه وسلطان وعدد وعدد ؟؟ وأين هم من نمود و
قارون وشداد وفرعون مصر . . ؟؟ وما ملك من بلاد واستعبد العباد ؟
وإنما العجب من مشركى العرب اللجوج انهم كيف توصلوا إلى ذلك

الحكم على الرسول الاعظم ﷺ؟ هل في سيرته أوفى دعوته أوفى شخصه ما يدعو إلى ذلك؟ معاذ الله انه ﷺ الصادق المصدق الأمين العفيف عن الدنيا وأعراضها الزائلة، وهو الذي أتى بالهدى والنور والرحمة للناس كافة، وما سندهم في هذا الحكم الباطل؟ وما دليلهم على مقاتلهم السخيفة؟ وما حججهم لعقيدتهم الفاسدة؟ أعندهم كتاب سماوي يقرؤون فيه ذلك؟ أو أرسل إليهم قبل محمد رسول الله الخاتم ﷺ فبلغهم ذلك؟ كلا ثم كلا.

لم يكن عندهم كتاب ينطق بتكذيب النبي الخاتم ﷺ، ولم يرسل إليهم قبله رسول يكذبونه بقوله، ولم يكن لهم دليل على مقاتلهم فيه ﷺ: بانه ساحر أو كذاب أو مقترأوبه جنون... أبدأ وانماهم كذبوه لاعتن دليل، وأعرضوا عنه مع وجود ألف دليل ودليل على صدقه ﷺ.

ولا غرابة، فقد كذب الذين من قبلهم من الامم السابقة، وما بلغ مشركو العرب معشار ما آتينا تلك الامم من قوة وسلطان وبطش وعدد وعدد وطول عمر... فكذبت الامم رسلي، فكانت العقوبة الصارمة والجزاء العاجل والهلاك المهلك فكيف كان عقابي، فاعتبروا يا اولي الابصار.

قال الله تعالى: «اولم يسيرا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأناروا الارض وعمرها أكثر مما عمرها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» الروم: (٩)

وقال: «كذب الذين من قبلهم فأنتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون» الزمر: (٢٦-٢٧)

وقال: «ثم دمرنا الآخرين و انكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل

أفلا تعقلون» الصافات: (١٣٦-١٣٨)

وقال: «وكم أهلكننا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل

من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أدالقى السمع و هو شهيد، ق :

(٣٧-٣٦)

٤٦ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا

ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)

قل يا أيها النبى ﷺ لهؤلاء المشركين : إنما أعظكم بكلمة واحدة ،
واوصيكم بها وهى : أن تقوموا فى طلب الحق لوجه الحق ، خالياً عن إتباع
الهوى اثنين اثنين وواحداً واحداً .

فالمراد من القيام ليس القيام على الارجل ، وانما المراد به هو القصد
للنظر والفكر والتعقل لتبيين الحق ، ولطلب الحق لوجه الحق ، وهذا لا يمكن
فى الجماعات العامة والازدحام والفوغاء إذ فيها تهويش الخاطر والمنع من إطالة
التفكير وتخليط الكلام وقلة الانصاف ، بل وكثيراً ما فيها إحياء الباطل وإماتة
الحق ، وخاصة فى هذا الامر العظيم : أمر التوحيد و ترك الشرك ، أمر الرسالة و
ترك العصبية ، وأمر البعث والحساب والجزاء . . . التى تخالف عقيدتهم الفاسدة ،
وأعمالهم الكاسدة مع اضطرابهم وتبليبل أفكارهم فى الجماعات والجدل والخصومة
بينهم .

تقومون اطلب الحق لوجهه تاركين القعود والكسل ، والخمول والتقليد
العمياء ، تاركين موت النفس وإماتتها بالعصبية الجهلاء ، وتاركين نوم العقل
وإضاعة الفكر بإتباع الهوى ، بل تقومون متسلحين بيقظة الضمير ونشاط العقول ،
ناظرين فى أمر هذه الرسالة السماوية وفيما جاءكم به من غير مبادرة بتكذيبها
عناداً واستكباراً ، وناظرين مجردين أنفسكم من كل ما يعوق البحث الحس
والفكر السليم الخالى من الهوى والغرض . . .

وقوله تعالى : «ثم تتفكروا وما بصاحبكم من جنة» : تفكروا فيما وعظتكم

به من التوحيد وترك الشرك بالله سبحانه ، من الطاعة لله تعالى وحده وترك العبادة لغيره ، ومن الائتمار بأوامر الله جل وعلا والانتهاء عن نواهيه . . . تتفكروا ملياً فيما دعوتكم إليه من الرسالة وما جئتمكم به من الوحي السماوي يعجز الجن والانس عن اثبات آية مثله ، وفيه السعادة والكمال ، والعزة والجلال ، والنجاة والسلام . . . تتفكروا فيما ذكرتمكم به من هلاك الامم الماضية ودمارهم بسبب الكفر والظلم ، ومن البعث والحساب والجزاء والنار وعذابها للكافرين ، وتفكروا فيما حذرتكم عنه من سوء عاقبة عقائدكم الباطلة وفساد أعمالكم في الدنيا بالخرى والهوان والهلاك والدمار ، وفي الآخرة بنار جهنم وعذابها .

فتجدون حينئذ ليس بصاحبكم محمد ﷺ ، وكان هو يعيش بينكم سنين طويلة من جنة ، وتعلمون ان ليس صاحبكم محمد ﷺ مجنوناً ، وذلك لانهم اذا فعلوا ذلك ، ويقول الرجل لصاحبه متفكرين في أمر الرسالة : هلم فلنصادق هل رأينا من محمد ﷺ جنة ، أوجرت بنا عليه كذباً ، ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه ، فيتفكر وينظر ، فيعترف بان هذا كتاب كريم ، وهذا رجل أمين ، فليس هو إلا صادق أرسل من رب رحيم ، فليس بكاذب ولا مجنون ولا كاهن ولا ساحر .

اذ لا يتصدى لادعاء هذا الامر العظيم إلا أحد رجلين : إما مجنون لا يبالي بافتضاحه حين مطالبته بالبرهان وظهور عجزه ، وإما نبي مرسل مؤيد من عند الله تعالى بالمعجزات الدالة على صدقه ، وانكم قد علمتم ان محمداً أرجح الناس عقلاً وأصدقهم قولاً وأشهرهم أمانة ، وقد عرفتم ان محمداً أركى الناس نفساً وأجمعهم للكمال النفسى والعقلى ، فيجب عليكم أن تصدقوه في دعوته ، وقد قرنها بالمعجزات الدالة على ذلك ، فليست دعواه مجردة من الأدلة والبراهين ، وليس هذا الرسول بكاذب ولا مجنون .

فتفكروا أيها المشركون ما بصاحبكم محمد رسول الله الاعظم ﷺ هل جرّتم عليه كذباً؟ كلا انه الصادق ، هل جرّتم عليه خيانة؟ كلا انه الامين

المعروف ، هل رأيتم فيه ميلاً إلى الدنيا ومتاعها حتى يقال : انه يطلب المال أو الملك ؟ كلا انه العفيف عن الدنيا وأهلها ، هل رأيتم عليه فساداً أو تحللاً أو نشوراً أو سوء خلق ؟ كلا انما هو الرجل الحكيم المتزن في كل أفعاله وأقواله ، المصلح بين جميع عباد الله تعالى ، له الخلق العظيم ، وقد شهد عليه ربه وخاطبه بقوله : « انك لعلى خلق عظيم » .

تفكروا في رسالة محمد ﷺ وما جاءكم به هل يدعوكم إلى فسق أو فجور ؟ أم يدعوكم إلى حق و نور ؟ هل يدعوكم إلى ضلالة و جهل و شك و كفر ؟ أم يدعوكم إلى هداية و علم و يقين و طمأنينة و ايمان ؟ هل يدعوكم إلى شقاء و هلاك و انحطاط و هوان ؟ أم يدعوكم إلى سعادة و نجاة و كمال و عزة ؟؟؟

تفكروا في أمر محمد ﷺ أيدعوكم إلى اسر التقليد العمياء ، و حمى الجاهلية الجهلاء و سوء العمل ؟ أم يدعوكم إلى الحرية المنظمة الفكرية ، إلى الحضارة المقدسة ، إلى العلم النافع ، و إلى تكوين المجتمع الصالح ، و خلق الفرد الكامل الذي يسعى لخيري الدنيا والاخرة ؟

نعم ان محمداً رسول الله ﷺ يدعو الانسان إلى بناء الفرد والمجتمع والدولة على اسس القسط والعدل ، على التعاون والاخوة ، وعلى المحبة والسلام ، و يحارب الرذيلة والاستبداد ، و يمنع الجور و ينهى عن الظلم والعدوان و عن الفساد و طلاق العنان ...

نعم ان محمداً رسول الله ﷺ يدعو الانسان إلى صالح العمل ، إلى البر والخير ، و إلى كل ما فيه سعادة الفرد والمجتمع ، يدعو إلى نصرة الفقير ، و إعانة المظلوم و إغاثة الملهوف ، و ينهى عن كل شر و فساد ...

فتفكروا ببصائركم عسى أن يهديكم ربكم إلى الحق ونوره ، إلى الصواب و سبيله ، و إلى الجنة و طريقها .

قال الله تعالى: « وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فسلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلمهم يتفكرون » النحل : ٤٣ و ٤٤) .

و قال : « انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه و من ضل فانما يضل عليها و ما أنت عليهم بوكيل - ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الزمر : ٤١ و ٤٢) .

و قال : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر : ٢١) .

و قال : « قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا و من اتبعنى و سبحان الله و ما أنا من المشركين » يوسف : ١٠٨) .

و قوله تعالى : « إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد » : ما محمد ﷺ إلا نذير لكم أيها المشركون ، يندركم بين يدي عذاب شديد في الحياة الدنيا بالهلاك و الدمار ، بالذلة و الهوان كالامم السابقة ، و في الآخرة بعذاب النار إذا لم تؤمنوا بالله تعالى و رسوله ﷺ و ما جاءكم و باليوم الآخر .

قال الله تعالى : « و القرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما انذر آباؤهم فهم غافلون » يس : ٢ - ٦) .

و قال : « و لقد استهزى برسلكم من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب - و جعلوا لله شركاء قل سمّوهم أم تنبؤنه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول - لهم عذاب في الحياة الدنيا و لعذاب الآخرة أشق و ما لهم من الله من واق » الرعد : ٣٢ - ٣٤) .

و قال : « ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » القصص : ٤٦) .

و قال : « و هذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه و لتنذر ام القرى

و من حولها - اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون ، الانعام : ٩٢ - ٩٣) .

وما ورد في المقام فمن باب التأويل وهو اللب فتأمل جيداً .

٤٧ - (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شيء شهيد)

قل يا أيها النبي ﷺ لهؤلاء المشركين: إن كنتم لا تؤمنون بما أدعوكم إليه لخوفكم من طمعي في أموالكم فاعلموا أنني ما سئلتكم على الانذار والتبليغ أجراً ، فإني لست طالباً للدنيا ومتاعها ، ولا أريد منكم في دعوتي عطاءً من المال والجاه والسلطان ، فإن طلبت منكم على رسالة ربي إليكم ونصحتي لكم أجراً فهو لكم ، وإنما أطلب ثواب رسالتي من الله جل وعلا ، فإن الدنيا وما فيها لا توازن أمر الرسالة حتى يجعل منها أجراً لها ، فليس لي أجر فيها إلا على الله تعالى ، فلا عذر لكم في ترك الإيمان بما أوعوكم إليه .

قال الله تعالى : « قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين »

ص : ٨٦)

وقال : « قل لأسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » الشورى : ٢٣)

وقال : « أم تسئلكم أجراً فهم من مغرم مثقلون » الطور : ٤٠)

وقوله تعالى : « وهو على كل شيء شهيد » : والله جل وعلا هو على كل شيء

شهيد ، فيشهد على ما دعوتكم إليه مما أنزله على ، ويشهد على أنني لم اطلب في الدعوة والانذار أجراً منكم ، ويشهد على ما أنا عليه من قيامي برسالة ربي إليكم ، ويشهد على ما يكون منكم من قبول هذه الرسالة أو ردّها ، شاهد على صدقي وخلوص نيتي ، فما حملني الامر الدنيوي على ركوب هذه الصعاب ، وتلك اقتحام الأخطار ، كما يحمل المتنبئين على ذلك ، وما حملني على ذلك هو أمر الله تعالى

كما قال : « فاصدع بما تؤمر » الحجر : ٩٤)

قال الله تعالى : «قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وادعى إلى هذا القرآن لاندركم به ومن بلغ» الانعام : ١٩)
وقال : «لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً ، النساء : ١٦٦)

وبهذا ثبت ان محمداً ﷺ نبي مرسل ، فاستبان انه ليس بمجنون ، و ما جاء به من الكتاب كتاب سماوي ، وما هو بطالب الدنيا ومتاعها في دعواه الرسالة ، فيقطع الانسان المتدبر المنصف ، والمتفكر سليم القلب ، انه ﷺ ما جاء به نزل من السماء ، وقذف به الوحي إليه ، وأرسل من عند الله جل وعلا كما أمره الله تعالى أن يقول ويبلغه إليهم بقوله تعالى :

٤٨ - (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

قل أيها الرسول ﷺ للمشركين تطميناً لقلوب المؤمنين وتثبيتاً لهم على دعوتك وتهديداً للمكذابين : ان ربي يلقي الوحي إلي بالحق ، وينزله على قلبي ليرمي الباطل بالحق حتى يصرعه ويدمغه ، فاذا هوزاهق ، و ربي هو علام الغيوب الذي عالم بجميع الخفايا والضمائر والنوايا ، وعالم بعواقب الامور ومالم يكن مما هو كائن ، فيقذف الباطل بالحق عن علم حيث يشاء .

قال الله تعالى : «ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون» الانفال : ٧-٨)

وقال : «بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هوزاهق ولكم الويل مما تصفون» الانبياء : ١٨)

وقال : «ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور» الشورى : ٢٤)

٤٩ - (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

قل أيها النبي ﷺ للمشركين والطفافة إرعوا عاً عن الشرك والطفيان ،

وللمؤمنين تثبيتاً لهم في الطاعة والايمان : جاء الحق في صورة كاملة من صوره في الرسالة وفي قرآنها وفي منهجها المستقيم لاعوج فيه ، جاء الحق فرفعت رايته وعلاذكره ، جاء الحق وأعلن هذا الاعلان ، وقرّ هذا الحدث و اصدع بهذا النبأ ، وجاء الحق بقوته ودفعته ، وباستيلائه وسيطرته . . .

ولا يظهر الباطل بعد أن جاء الحق ولا بعيد ، إذ لم تبق من الباطل قوة يظهر بها أوبعيد ، فلا ثبات له ولا قرار ولا قوة أمام الحق ، فما عادت له حياة اذا انتهى أمره ، وما عاد له مجال إذ انقطع دابره ، وانه على شفا حفرة لا ينقذه أحد ، وانه في شرف الزوال ، فاستقر منهج الحق ، ولا بعيد الباطل مهما يقع من غلبة مادية له في بعض الاحوال والظروف . . . إلا أنها ليست غلبة على الحق ، انما هي غلبة على المنتمين إلى الحق غلبة الناس لا المبادئ ، وهذه موقوفة ستزول أما الحق فواضح بين صريح . فان الزبد فيذهب جفاء ، و أما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

قال الله تعالى : «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً»

(الاسراء : ٨١)

وقال : «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله

ولو كره المشركون» (الصف : ٩)

وقال : «قل نزل له روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى

وبشرى للمسلمين» (النحل : ١٠٢)

وقال : «كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما

ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال» (الرعد : ١٧)

٥٠- (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي و ان اهتديت فبما يوحي الي

ربي انه سميع قريب)

قل يا أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين وللناس اجمعين إن ضللت

بعد أن جاء الحق وتمت على الحجة، فانما أضل على نفسى، فيكون إنتم ضالتي
وضراًها، وعاقبة انحرافى عن طريق الحق والرشاد ووباله على نفسى، لان النفس
أماراة بالسوء فلا تتبعوها .

وإن اهتديت إلى الحق واستقمت على سبيل الرشاد، فبسبب ما يوحى إلى
من ربه من الحكمة والبيان، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الصواب،
فاهتدوا بما أوحى الله تعالى إلى، لان الله هو سميع لما نهيتكم عنه من الشرك
والطغيان، ولما دعوتكم إليه من الطاعة لله تعالى والايمان، وسميع لما تقولون
من التصديق والتكذيب، فانه قريب من كل متكلم بل هو أقرب إليه من حبل
الوريد، فلا يخفى عليه المحق والمبطل .

قال الله تعالى : «فماذا بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون - قل يا أيها الناس
قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل
عليها» يونس : ٣٢-١٠٨

وقال : «ان النفس لأماراة بالسوء الا ما رحم ربي» يوسف : ٥٣

وقال : «فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى» طه : ١٢٣

وقال : «قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهتدى به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم»
المائدة : ١٥-١٦

وقال : «ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من
حبل الوريد» ق : ١٦

ألم يأن للذين يدعون انهم من أتباع النبى الكريم ﷺ من هذه الامة
الاسلامه أن تخضع قلوبهم لنور الحق لوجه الحق، وأن تخضع نفوسهم لحكم
القرآن الكريم ومعارفه؟ ألم يأن لهم أن يرفعوا رؤوسهم عالية مجاهدين طالبين
مستمتين فى طلب الحكم والقضاء بالقرآن، والسير فى ركاب الرحمن، و ترك

الهوى واتباع الشيطان؟ ألم يأن للشعوب الاسلامية أن ترجع إلى دينها وكتابها، وتثوب إلى رشدها وصوابها...

و لعمرى لا هداية و لا رشد، و لا حق و لا صواب و لا كمال و لا عزة و لا سعادة و لا نجاة إلاّ في ظل الدستور القرآنى والعمل بحكمه ومعارفه... و لعمرى لا ضلالة و لا غي، و لا باطل و لا خطأ و لا انحطاط و لا ذلة و لا شقاء و لا هلاك لهذه الامة الاسلامية إلاّ بترك العمل بهذا الوحي السماوى و مبانيه... و لعمرى من يبتغ غير حكم الله تعالى بأى إسم من الاسماء المختلفة، و بأى زى من الألبسة المخيطة، و بأى صورة من الصور المتصورة فاولئك هم الضالون المضلون.

قال الله تعالى لنبيه الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم: « و أن احكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم و احذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك - أفحكم الجاهلية يغنون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون » المائدة: ٤٩ - ٥٠).

ففى حكم القرآن الكريم خير وعزة وسعادة وكمال للمسلمين، وللمجتمع البشرى كافة، و فيه قطع لدابر الفتن والفساد، و عبث العابثين مؤتسين...

٥١ - (و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

و لو ترى أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حال الكافرين لرأيت أمراً فظيماً حين انقبضوا من أمر مهيب مخوف، و اندهشوا من أمر مفزع فظيع، فلا يفوت لنا منهم أحد بهرب و فرار أو تحصن و التجاء، إذ لاملجأ لهم يومئذ يلتجئون إليه، و لا مأوى يبتعدون فيه، و اخذوا عندئذ من مكان قريب حيث كانوا، من أن يتمكنوا من الامتناع أو الفرار أو الالتجاء.

٥٢ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

و قال الكفرة الفجرة حين رأوا بأس الله تعالى و عاينوا نعمته و حلولها بهم: آمنا بالحق الذى كفرنا به من قبل، و أنى لهؤلاء الكافرين التناول بالايمن

والانتفاع به تناولاً سهلاً ، و قد بعد عنهم ، و قد صاروا هم بعيدين عنه ، و ليس هذا وقت الايمان ، و لا هو ينفعهم عندئذ .

والاية الكريمة في معنى قوله تعالى : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، الانعام : ١٥٨ » .

و قوله جل و علا : « قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم و لا هم ينظرون ، السجدة : ٢٩ » .

و قوله سبحانه : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده و كفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي قد خلت في عباده و خسر هنا لك الكافرون ، غافر : ٨٤ - ٨٥ » .

٥٣ - (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

و قد كفروا بالحق من قبل أن يروا بأسنا ، و قد كانوا يرمونه من غير علم و لدليل لهم : انه سحر و شعر ، و مجيئه ساحر و شاعر ، و انه كذب و كهانة ، و مجيئه كاذب و كاهن ، فهم يرحمون الحق و النبي الكريم ﷺ بظنون لامستند لهم فيها ، و يتكلمون فيهما بمطاعن ليس لها ما يؤيدها و لا هم بمصيب فيها .

٥٤ - (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشباعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب)

و حيل بين هؤلاء المشركين و من إليهم من المكذبين بالحق ، و بين ما يشتهون من قبول الحق و الايمان بمجيئه حين رأوا بأسنا و عذابنا ، كما فعل بأمثالهم في الكفر بالله سبحانه ، و نظائرهم في تكذيب الحق من الامم الماضية البائدة ، إذ تمنوا الايمان حين رأوا بأسنا و عذابنا ، ولكن لم يقبل منهم لفوت وقته ، لان المشركين و أذناهم كانوا في شك في أمر الحق بحيث لا يطمثون إلى شيء مما جاء به النبي الخاتم ﷺ .

قال الله تعالى : « و انه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك

لتكون من المنظرين - لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بفتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون ، الشعراء : ١٩٢ - ٢٠٣) .

و قال : « هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو ياتني أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم و ما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » النحل : ٣٣ و ٣٤) .

وقال : « كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا و لات حين مناص و عجبوا أن جاءهم منذر منهم و قال الكافرون هذا ساحر كذاب - ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق انزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكرى » ص : ٣ - ٨) .

و قال : « و لقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر » القمر : ٥١) .

و قال : « فما زلتُم في شك مما جاءكم به » غافر : ٣٤) .



* جملة المعاني *

٣٦٠٧ - (الحمد لله الذى له ما فى السموات و ما فى الارض و له الحمد فى الآخرة و هو الحكيم الخبير)

الحمد كله لله تعالى وحده فى كل وقت و على كل حال فى الحياة الدنيا حمداً تاماً للمعبود الذى له ما فى السموات و ما فى الارض كلها خلقاً و ملكاً و تدبيراً ، و له وحده الحمد كله فى دار الآخرة ، والله تعالى هو الحكيم فيما يفعل ، الخبير فيما يدبر .

٣٦٠٨ - (يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها و هو الرحيم الغفور)

الله تعالى هو الذى يعلم ما يدخل فى الارض و ما يغيب فيها ، و يعلم ما يخرج من الارض ، و يعلم ما ينزل من السماء من الوحي والبركات ، و يعلم ما يعرج فى السماء من الملائكة و صالح الاعمال والكلم الطيب . . . والله جل و علا هو الرحيم بالمؤمنين ، الغفور للتائبين .

٣٦٠٩ - (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى و ربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات و لافى الارض و لا أصغر من ذلك و لا أكبر الا فى كتاب مبين)

وقال الذين كفروا بالله تعالى و رسوله ﷺ و باليوم الآخر : لا تأتينا الساعة ، قل يا أيها النبي ﷺ لهؤلاء الكافرين : بلى اقسام برى لتأتينكم الساعة ،

هو جل و علا عالم الغيب الذى لا يفوت عن علمه وزن أقل ما يمكن أن يوزن فى السموات و لا فى الارض و لا أصغر من الذرة و لا أكبر منها الا و هو ثابت فى كتاب مبين .

٣٦١٠ - (ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة و رزق كريم)
و قد أثبت الله جل و علا ما فى هذا العالم فى الكتاب المبين الذى يبين ما ثبت فيه يوم القيامة ليجزى الله تعالى الذين آمنوا و عملوا الصالحات اولئك المؤمنون لهم مغفرة و رزق كريم فى الجنة .

٣٦١١ - (و الذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك لهم عذاب من رجز أليم)
و ليجزى الله جل و علا الذين سعوا فى إبطال الحق و إمامته و احياء الباطل ، باذلين جهدهم فى ذلك ، اولئك الذين لهم عذاب شديد فى جهنم من سوء العذاب ، شديد الابلام و الوجع .

٣٦١٢ - (و يرى الذين اتوا العلم الذى انزل اليك من ربك هو الحق و يهدى الى صراط العزيز الحميد)

و يرى الذين اتوا العلم الذى انزل اليك من ربك من الوحي هو الحق الذى لا ريب فيه ، و يهدى من اهتدى إلى صراط الذى لا يغلب ، سبيل من هو محمود بذاته ، و إن لم يحمده أحد من خلقه .

٣٦١٣ - (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد)

وقال الذين كفروا باليوم الاخر بعضهم لبعض على طريق التعجب و الانكار : هل نحدثكم على رجل يخبركم بأعجب الأعاجيب اذا متم و تفرقت أجزاء أبدانكم كل تفرق : انكم لفي خلق جديد ، فتبعثون بعد الموت و تحاسبون و تجزون فى الاخرة ما كنتم تعملون فى الدنيا .

٣٦١٤ - (أفترى على الله كذباً أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة

في العذاب والضلال البعيد

ثم قال بعض هؤلاء المنكرين لبعض: هل اختلق هذا الرجل على الله كذباً؟ أم به جنون تخيل به ذلك؟ رد الله تعالى عليهم و قال: بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في عذاب النار يوم القيامة، و هم الذين اوغلو في الضلال و بعدوا عن طريق الصواب.

٣٦١٥ - (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء ان في ذلك لآية لكل عبد منيب)

أفلم يرهؤلاء المكذبون بالبعث والجزاء ولم ينظروا إلى ما أحاط بجوانبهم من السماء والارض، إن نشأ نخسف بهم الارض فنهلكهم، أو نسقط عليهم قطعاً من السماء فدمرناهم، ان في ذلك لكل عبد فطن، منيب إلى ربه.

٣٦١٦ - (ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد)
و اقسم بالله تعالى: انا أعطينا نبينا داود عليه السلام من عندنا فضلاً لم يسبقه منه غيره من الانبياء عليهم السلام، و ذلك إذ سخرنا له الجبال و قلنا لها: يا جبال! سبحي لله تعالى مع داود اذا سبح له جل و علا، و سخرنا له الطير، وجعلنا له عليه السلام الحديد ليناً.

٣٦١٧ - (أن اعمل سابقات و قدر في السرد و اعملوا صالحاً اني بما تعملون بصير)

ثم أوحينا إلى داود عليه السلام أن اعمل يا داود دروعاً واسعات، و قدر يا داود في نسج حلق الدروع بحيث يتناسب حلقها، ثم قلنا له عليه السلام و لاهله: إعملوا عملاً صالحاً لاني بما تعملون بصير.

٣٦١٨ - (ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر و من الجن من يعمل بين يديه باذن ربه و من يزغ منهم عن أمرنا نذقه

(من عذاب السعير)

و سخرنا لسليمان عليه السلام الريح ، جريانها بالعداء مسيرة شهر ، و بالعشى مسيرة شهر ، و أجرينا له عين النحاس المذاب من معدنه ، فتسيل كالعين الجارية ، و سخرنا له بعض الجن ، و من الجن من يعمل بين يدي سليمان باذن ربه ، و من يعدل من الجن عن أمرنا نذقه من عذاب السعير .

٣٦١٩ - (يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل و جفان كالجواب و قدور راسيات اعملوا آل داود شكراً و قليلاً من عبادي الشكور)

يعمل هؤلاء الجن لسليمان عليه السلام ما يشاء من محاريب تصنع لاقامة الصلاة و العبادة و من تماثيل من الاشجار و النباتات . . . و قصاع كبيرة كالحياض الكبير يأكل منها عماله عليه السلام و يعملون له قدور ثابتة لا تنقل ، اعملوا يا آل داود عملاً صالحاً و اشكر و الله تعالى شكراً كثيراً و إن كان قليل من عبادي شاكراً لأنعمي .

٣٦٢٠ - (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرت بينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين)

فلما حكمنا على سليمان عليه السلام بالموت فقبضه ملك الموت ، لم يدل الجن على موت سليمان عليه السلام الا دابة الارض التي تأكل عصا سليمان عليه السلام ، فلما سقط سليمان بوجهه ظهر للجن حينئذ بان سليمان قد مات ، و انكشف عندئذ للناس ان الجن لا يعلمون الغيب كما يدعون ، ان لو كانت الجن يعلمون الغيب لما قاموا حولاً بعده في الاعمال الشاقة .

٣٦٢١ - (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم و اشكروا له بلدة طيبة و رب غفور)

لقد كان لسبأ في ارضهم و بلادهم عبرة لكافة الناس في طوال الاعصار بملاحظة أحوالهم السابقة و اللاحقة ، حيث كانت لهم جنتان عن يمينهم و شمالهم ، و قلنا

لهم : كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدتكم هذه بلدة طيبة ، وربكم رب
رزقكم بتلك النعم ، غفور لمن تاب و آمن .

٣٦٢٢ - (فأعرضوا فإرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين
ذواتي اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل)

فأعرض أهل سبأ عن الإيمان والشكر على ما أنعم الله تعالى عليهم ، فأرسلنا
عليهم السيل الشديد من السد الرصين المسمى بالعرم ، وبدلناهم جنتيهم بجنتين
أخرى ذواتي مأكولات رديئة ، وأشجار غير مثمرة ، و شيء من سدر قليل
انتفاعه و لا يؤكل ثمرة .

٣٦٢٣ - (ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازي الا الكفور)

جزينا أهل سبأ ذلك الجزاء بسبب ما كفروا بنعم الله تعالى ، و لا نجازي
أهل الكفر والكفران الا الكفور من تغيير النعمة و حلول النعمة .

٣٦٢٤ - (وجعلنا بينهم و بين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا
فيها السير سيروا فيها ليالي و أياماً آمنين)

وجعلنا بين أهل سبأ ، و بين القرى التي باركنا فيها بالتوسعة على أهلها
بالنعم الكثيرة قرى متقاربة ، و قدرنا لهم في تلك القرى السير المتناسب الصالح
سيراً مقدراً من منزل إلى منزل ، و قرية إلى قرية ، و قلنا لهم بأسان الحال :
سيروا فيما بين القرى ليالي و أياماً آمنين من كل ما يخاف و يحذر .

٣٦٢٥ - (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا و ظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث
و مزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور)

كفراً أهل سبأ بما أنعم الله تعالى عليهم ولم يشكروا له ، فقالوا : ربنا باعد
بين أسفارنا في القرى المباركة الآمنة ، و ظلموا أنفسهم ان جعلوها عرضة للسخط
و الحرمان ، فجعلنا قصتهم أحاديث يتحدث بها الناس على سبيل التلهي و الاستغراب ،
و فرقنا مجتمعاتهم كل تفرق ، ان في قصة سبأ و ما حل بهم لعبراً لكل عبد

كثير الصبر على البأساء والضراء ، و كثير الشكر على نعم الله تعالى .
 ٣٦٣٦ - (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقاً من المؤمنين)
 اقسام بالله تعالى ان ابليس صدق ظنه على الناس وتحقق ظنه فيهم اذ اتبعوه
 الا طائفة من المؤمنين الذين هم لا يتبعونه .

٣٦٣٧ - (وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن
 هو منها في شك و ربك على كل شيء حفيظ)

ولم يكن لابليس على الناس من استيلاء نافذ فيجبرهم على الكفر والكفران ،
 ومامكناه الموسوسة الا لتمييز من يؤمن بالآخرة ممن هو من الآخرة في شك ،
 و ربك أيها النبي ﷺ على كل شيء حفيظ ، يحفظ ما في الصدور من الشك
 واليقين ، و يحفظ الاعمال من الخير والشر .

٣٦٣٨ - (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
 ولا في الارض و ما لهم فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير)

قل أيها النبي ﷺ لمشركي مكة موبخاً بهم : ادعوا أيها المشركون
 تلك الالهة التي زعمتموها آلهة لكم من دون الله ، و هم لا يملكون مثقال ذرة
 في السموات ولا في الارض ، و ليس لتلك الالهة المزعومة في السموات والارض
 من شرك لله سبحانه ، و ما لله سبحانه من تلك الالهة الموهومة من معين في أمر
 شيء من امور العالم ، خلقاً و تدبيراً ، و ملكاً و تصرفاً .

٣٦٣٩ - (ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم
 قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق و هو العلي الكبير)

و لا تنفع الشفاعة عند الله تعالى يوم القيامة الا لمن أذن الله تعالى له في
 الشفاعة ، فلا يشفع أحد لاحد حتى اذا وقف المشفوع لهم منتظرين للاذن بالشفاعة ،
 و جلين حتى اذا أذن للشفعاء وازيل الفزع عن قلوب المنتظرين ، حين قال المشفوع
 لهم بعض لبعضهم : ماذا قال ربكم في الاذن بالشفاعة؟ أو قال المشفوع لهم للشفعاء :

ماذا قال ربكم في ذلك؟ قال الشفعاء: قال ربنا: القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن يستحق بها، والله جل وعلا هو المتفرد بالعلو والكبرياء.

٣٦٣٠ - (قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين)

قل يا ايها النبي ﷺ لهؤلاء المشركين: من يرزقكم من السموات والارض؟ وهم يسكتون عن الجواب، قل لهم جواباً عنهم: الله جل وعلا يرزقكم من السموات والارض، وانا معاشر المؤمنين اذ اياكم معاشر المشركين لعلى هدى اذ في ضلال بين.

٣٦٣١ - (قل لا تسئلون عما أجرمنا و لا نسئل عما تعملون)

قل ايها الرسول ﷺ لهم: لا تسئلون يوم القيامة عما أجرمنا في الحياة الدنيا، و لا نسئل يومئذ عما تعملون في الحياة الدنيا.

٣٦٣٢ - (قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتح العليم)

قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يحكم بيننا بالعدل، والله جل وعلا هو القاضى العليم لا يخفى عليه شىء مما نحن و أنتم عليه.

٣٦٣٣ - (قل أرؤنى الذين ألحقتهم به شركاء كلاً بل هو الله العزيز الحكيم)

قل لهم: عرفونى آلهمتكم الذين ألحقتموهم بالله سبحانه و جعلتموهم شركاء لله سبحانه ليس كذلك فأخطأتم فى ذلك و انحرفتم عن طريق الصواب، بل هو الله الغالب على كل شىء، الحكيم فيما يفعل.

٣٦٣٤ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً و لكن أكثر الناس

لا يعلمون)

و ما أرسلناك ايها الرسول ﷺ إلا إلى جميع الناس إلى يوم القيامة مبشراً للمؤمنين منهم بالعزة والكمال فى الدنيا، و بالجنة ونعيمها فى الآخرة، و منذراً للكافرين منهم بالذلة والانحطاط فى الدنيا، و بالنار وعذابها فى الآخرة،

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك .

٣٦٣٥ - (و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين)

و يقول المنكرون بالبعث والجزاء على طريق السخرية والاستهزاء : متى هذا الوعد الذى تعدوننا به إن كنتم صادقين أيها النبى و من تبعه .

٣٦٣٦ - (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون)

قل يا أيها النبى ﷺ لهؤلاء المنكرين : لكم أيها الكافرون ميعاد يوم و هو يوم البعث والجزاء آتيكم لا محالة ، لا تستأخرون عن هذا اليوم ساعة اذا جاء و لا تستقدمون عليه قبل مجيئه .

٣٦٣٧ - (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه

ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكننا مؤمنين)

و قال الذين كفروا من مشركى العرب : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى قبله من الكتب التى ادعى انها كتب سماوية نزلت على الانبياء ، ولو ترى أيها الرسول ﷺ حال هؤلاء الكافرين يوم القيامة لرأيت أمراً هائلاً فظيماً ، وذلك حين هؤلاء المنكرين الذين ظلموا أنفسهم موقوفون موقف الحساب والجزاء يوم القيامة ليحكم الله تعالى بينهم ، فحينئذ يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا و هم الاتباع المردة ، للذين استكبروا و هم المتبوعون : لو لا أنتم أيها الرؤساء لكننا مؤمنين بالحق فى الحياة الدنيا .

٣٦٣٨ - (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى

بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين)

قال المتبوعون الذين استكبروا للذين استضعفوا رداً عليهم: أنحن صددناكم عن الهدى و منعناكم من الايمان بالحق ؟ لا بل كنتم أتم قوماً مجرمين .

٣٦٣٩ - (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار

اذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون)
 و قال الذين استضعفوا مذكّرين للذين استكبروا على ما فعلوا ورادين عليهم ما ردّوهم عليه : بل كفرنا بالحق بسبب مكركم بنا في الليل والنهار اذ كنتم تأمرونا أن نكفر بالله ، ونجعل له أنداداً ، وحينئذ أخفى الاتباع والمتبعون جميعهم الندامة على ما فعلوا في الحياة الدنيا خوف الشماتة يوم القيامة لما رأوا العذاب ، وجعلنا أغلاق الحديد المحرقة في أعناق الذين كفروا ، لا يجزون يوم القيامة إلا ما كانوا يعملون في الدنيا .
 ٣٦٤٠ - (و ما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كافرون)

وما بعثنا إلى أهل قرية من نبي ينذرهم بأسنا إلا قال رؤساء أهل القرية و كبرأؤها ، انا بما ارسلتم به كافرون .

٣٦٤١ - (و قالوا نحن أكثر أموالاً و أولاداً و ما نحن بمعذبين)
 و قال هؤلاء المترفون في الحياة الدنيا : نحن أكثر أموالاً و أولاداً من هؤلاء المؤمنين ونبههم ، ومانحن الرؤساء و الزعماء بمعذبين في الآخرة لو كانت آخرة و حساب و جزاء .
 ٣٦٤٢ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

قل أيها الرسول ﷺ للكافرين الذين يفتخرون بكثرة الاموال و الاولاد : ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من غير نظر إلى استحقاق إلى بسط الرزق ، و يقدر لمن يشاء كذلك ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك .

٣٦٤٣ - (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى الا من آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون)

و ليس أموالكم الكثيرة و لا أولادكم العديدة أيها المغترون بهما بالتى
تقربكم عندنا قربي في الآخرة ، الا أموال من آمن بالله و رسوله و باليوم الآخر
و أولادهم و عملوا عملاً صالحاً ، فاولئك لهم في الآخرة جزاء الضعف بسبب ما
عملوا في الحياة الدنيا ، و هم في غرفات الجنة آمنون من كل ما يخاف و يحذر .
٣٦٤٤ - (والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون)

والذين يسعون في إبطال آياتنا، باذلين جهدهم في ذلك، مقدّرين إعجازنا
على سبيل معارضة بعضهم بعضاً في ذلك، اولئك يوم القيامة في عذاب النار محضرون .
٣٦٤٥ - (قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده و يقدر له و ما أنفقتم
من شيء فهو يخلفه و هو خير الرازقين)

قل يا أيها النبي ﷺ للمؤمنين : ان ربي يوسع الرزق لمن يشاء من
عباده المؤمنين حيناً ، و يضيقه عليه حيناً آخر ، و ما أنفقتم أيها المؤمنون مما
رزقناكم فالله جل و علا هو يخلفه لكم و يعوضكم منه بزيادة كثيرة ، و الله تعالى
هو خير الرازقين .

٣٦٤٦ - (و يوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا
يعبدون)

و اذكر يا محمد ﷺ الله تعالى يحشر الانباع و المتبوعين جميعاً ثم
يقول الله جل و علا منادياً للملائكة : أهؤلاء المشركون إياكم كانوا يعبدون !
٣٦٤٧ - (قالوا سبحانك أنت و لينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم
بهم مؤمنون)

قالت الملائكة حينئذ : انك منزّه عن الشرك و عن كل ما لا يليق بساحة
قدسك ، أنت و لينا الذين نواليه و حده من دون المشركين ، بل كان المشركون
يعبدون الجن ، أكثرهم بالجن مؤمنون .

٣٦٤٨ - (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعاً و لا ضرراً و نقول للذين ظلموا

ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون)

يقول الله تعالى : فيوم القيامة لا يملك بعضكم أيها المعبودون والعابدون لبعض نفعاً ولا ضرراً ، ونقول يومئذ للذين ظلموا : ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون في الحياة الدنيا .

٣٦٤٩ - (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم و قالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين)

و اذا تتلى على هؤلاء المكذبين آياتنا واضحات قالوا : ما هذا التالي الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم ، وقالوا : ما هذا المتلو الا كذب مختلق من عنده ، و قال الذين كفروا للحق ان جاءهم : ان هذا الا سحر بين لاخفاء في كونه سحراً .

٣٦٥٠ - (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير)
و ما آتينا هؤلاء المشركين المكذبين شيئاً من كتب سماوية يدرسونها قبل هذا القرآن ، و ما أرسلنا إليهم قبلك يا محمد ﷺ من رسول ينذرهم .
٣٦٥١ - (وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلي فكيف كان تكبير)

و كذب الامم الذين كانوا من قبل المشركين أنبياءهم ، و ما بلغ المشركون معشار ما آتينا تلك الامم فكذبوا رسلي فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقابي بهم .

٣٦٥٢ - (قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)

قل يا أيها الرسول ﷺ لهؤلاء المشركين : انما أعظكم بكلمة واحدة وهي : أن تقوموا في طلب الحق لوجه الحق إثنين اثنين و واحداً واحداً ، ثم

تتفكروا فيما وعظتكم به ، ما بصاحبكم الذي يدعوكم الحق من الجنة ، إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد في الدنيا والاخرة .

٣٦٥٣ - (قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله و هو على كل شيء شهيد)

قل لهم ما سئلتكم من أجر و لو سئلتكم من أجر فهو لكم ، إن أجرى في رسالتي الا على الله جل و علا و هو على كل شيء شهيد يعلم صدقي .

٣٦٥٤ - (قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب)

قل لهم : ان ربي يلقي الوحي إلى بالحق ليرمي به الباطل و يزهقه ، هو علام الغيوب ، عالم بما في الصدور ، و بعواقب الامور ...

٣٦٥٥ - (قل جاء الحق و ما يبدىء الباطل و ما يعيد)

قل لهم إرعوا عن الشرك والتكذيب : جاء الحق بصورة كاملة ، ولا يظهر الباطل بعد الحق و لا يعيد .

٣٦٥٦ - (قل ان ضللت فانما اضل على نفسي و ان اهتديت فبما يوحي الي ربي انه سميع قريب)

قل لهم : إن ضللت بعد أن جاء الحق وتمت على الحجة ، فانما أضل على نفسي اذ لا عذر بعد الحجة ، و ان اهتديت إلى صراط مستقيم فبما يوحي إلى ربي لانه سميع قريب لا يخفى عليه خافية .

٣٦٥٧ - (و لو ترى اذ فرعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب)

ولو ترى أيها النبي ﷺ حال الكافرين لرأيت أمراً فظيماً ، حين انقبضوا من أمر مهيب ، فلا يفوت لنا منهم أحد بهرب ، و اخذوا عندئذ من مكان قريب حيث كانوا .

٣٦٥٨ - (و قالوا آمنا به و أنى لهم التناوش من مكان بعيد)

وقال الكافرون حين رأوا بأس الله تعالى : آمنا بالحق ، و أنى لهم التناول

بالإيمان والانتفاع به ، و قد بعد عنهم ، و هم بعيدون عنه بسبب كفرهم من قبل ذلك .

٣٦٥٩ - (و قد كفروا به من قبل و يقذفون بالغيب من مكان بعيد)

و هم قد كفروا بالحق من قبل أن يروا بأسنا ، و كانوا يرمونه من غير علم و لا دليل لهم على رميهم .

٣٦٦٠ - (و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل باشياعهم من قبل انهم كانوا في شك مريب)

و حيل بين المشركين و المكذبين بالحق ، و بين ما يشتهون من قبول إيمانهم عند مجيء البأس و العذاب ، كما فعل بأمثالهم في الكفر من قبلهم ، لانهم كانوا في شك في أمر الحق و لا يستيقنون به .



﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : « يعلم ما يلج في الارض » قال : أي ما يدخل فيها « وما يخرج منها » قال : أي من النبات « وما ينزل من السماء » أي من الماء « وما يعرج فيها » أي من أعمال العباد .

أقول : وذلك من قبيل ذكر بعض المصاديق . . .

و في الكافي : باسناده عن ابن اذينة عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هورابعهم ولا خمسة إلا هوسادسهم » فقال : هو واحد واحد الذات بائن من خلقه ، و بذلك وصف نفسه وهو بكل شيء محيط بالاشراف والاحاطة والقدرة ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، بالاحاطة والعلم بالذات لان الاماكن محدودة تحويها حدود أربعة فاذا كان بالذات لزمها الحواية .

و في نهج البلاغة : قال مولى الموحدين امام المتقين أمير المؤمنين علي بن ابيطالب عليه السلام في خطبة : « لا يشغله شأن ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان لا يعزب عنه عدد قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سوا في الريح في الهواء ولا ديبب النمل على الصفا ولا مقييل الذر في الليلة الظلماء ، يعلم مساقط الاوراق و خفي طرف الاحداق . . . » الخطبة .

و في دعاء العرفة : للسيد الشهداء سبط المصطفى الامام الحسين بن علي عليه السلام قال : « لاتخفى عليه الطلائع » وقال : « يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور »

وغيب ما تأتي به الازمنة والدهور ، وقال : « يا من لا يخفى عليه إغماض الجفون ولا لحظ العيون ، ولأما استقر في المكنون ولأما انطوت عليه مضمرات القلوب ألا كل ذلك قد أحصاه علمك ووسعه حلمك سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ،

وفي تفسير القمي : باسناده عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام قال : أول ما خلق الله عز وجل القلم ، فقال له : اكتب فكتب ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة . وفيه : في قوله تعالى : « ويرى الذين ادتوا العلم الذي أنزل اليك من ربك هو الحق » فقال : هو أمير المؤمنين عليه السلام صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما أنزل عليه . وفي قوله تعالى : « إذا مزقتم كل ممزق » قال : أي متم وصرتم تراباً أنكم لفي خلق جديد تعجبوا أن يعيدهم الله خلقاً جديداً « أفترى على الله كذباً أم به جنة » أي مجنون فرد الله عليهم فقال : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد » ثم ذكر ما أعطى داود عليه السلام فقال جل ذكره : « ولقد آتينا داود منا فضلاً جبال أوّبي معه » أي سبحى لله « والطيور وألناله الحديد » قال : كان داود عليه السلام إذا مر في البراري يقرأ الزبور تسبح الجبال والطيور معه والوحوش ، وألأن الله عز وجل له الحديد مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ما أحب . وقال الصادق عليه السلام : اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء فإنه اليوم الذي ألأن الله فيه الحديد لداود عليه السلام .

وفيه : قال : أعطى داود وسليمان عليهما السلام ما لم يعط أحد من أنبياء الله من الآيات علمهما منطق الطير ، وألأن لهما الحديد والصفير من غير نار ، وجعلت الجبال يسبحن مع داود عليه السلام .

وفي روضة الكافي : باسناده عن حفص بن غياث قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : ومن تعذرت عليه الحوائج فليتمس طلبها يوم الثلاثاء فإنه اليوم الذي ألأن الله فيه الحديد لداود عليه السلام .

وفي الخصال : عن علي بن جعفر قال : جاء رجل إلى أخى موسى بن جعفر عليه السلام فقال له : جعلت فداك تريد الخروج إلى السفر فادع فقال عليه السلام : ومتى تخرج ؟ إلى أن قال عليه السلام : ألا أدلك على يوم سهل ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام ؟ قال الرجل : بلى جعلت فداك قال : اخرج يوم الثلاثاء .

و في كمال الدين : باسناده عن هشام بن سالم عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام - في حديث - يذكر فيه قصة داود عليه السلام انه خرج يقرأ الزبور وكان اذا قرأ الزبور لا يبقى جبل ولا حجر ولا طائر الا اجابه .

وفي الكافي : باسناده عن سالم بن أبي حفصة العجلي عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة لم يكن في أحد غيره : لم يكن له فيء وكان لا يمر في طريق فيمر بعد فيه يومين أو ثلاثة الا عرف انه قد مر فيه لطيب عرفه وكان لا يمر بحجر ولا شجر الا سجد له .

و في المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن سعيد بن المسيب قال : كان الناس لا يخرجون إلى مكة حتى تخرج علي بن الحسين ، فخرج وخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلت ركعتين فسبح في سجوده فلم يبق شجر ولا مدر الا سبحوا معه ، ففزعت منه فرفع رأسه ، فقال : يا سعيد أفرغت ؟ قلت : نعم يا ابن رسول الله فقال : هذا التسبيح الاعظم .

وفي رواية : قال سعيد بن المسيب : كان القراء لا يحجون حتى يحج زين العابدين عليه السلام وكان يتخذ لهم السويق الحلو والحامض ويمنع نفسه ، فسبق يوماً إلى الرجل فألفيته وهو ساجد ، فوالذي نفس سعيد بيده لقد رأيت الشجر والمدر والرحل والراحلة يردون عليه مثل كلامه .

وفي الاحتجاج : عن سيد الشهداء الامام الحسين بن علي عليه السلام قال : ان يهودياً من يهود الشام وأخبارهم قال لامير المؤمنين عليه السلام : فان هذا داود بكى على خطيئته حتى سارت الجبال معه لخوفه ؟ قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك ومحمد

عز وجل عز وجل أعطى ما هو أفضل من هذا ، انه كان اذا قام إلى الصلاة سمع لصدرة وجوفه أزيز كأزيز المرجل على الأتافي من شدة البكاء وقد آمنه الله عز وجل من عقابه ، فأراد أن يتخضع لربه ببكائه ويكون اماماً لمن اقتدى به ، ولقد قام عز وجل عشرة سنين على أطراف أصابعه حتى تورمت قدماء واصفر وجهه ، يقوم الليل أجمع حتى عوتب في ذلك فقال الله عز وجل :

« طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ، بل لتسعدبه ، ولقد كان يبكي حتى يغشى عليه ، فقيل له : يا رسول الله أليس الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ »

قال : بلى أفلاً أكون عبداً شكوراً ، ولئن سارت الجبال وسبحت معه لقد عمل لمحمد عز وجل ما هو أفضل من هذا إذ كنا معه على جبل حراء إذ تحرك الجبل فقال له : قرآنه ليس عليك إلا نبي أو صديق شهيد (الأ نبي و صديق شهيد خ) فقر الجبل مجيباً لأمره ومنتھياً إلى طاعته ، ولقد مررتامعه بجبل و اذا الدموع تجري من بعضه ، فقال له : ما يبكيك يا جبل ؟ فقال : يا رسول الله كان المسيح مرتبى وهو يخوف الناس بناروقودها الناس والحجارة ، وأنا أخاف أن أكون من تلك الحجارة قال له :

لا تخف تلك حجارة الكبريت ، فقر الجبل وسكن وهدأ وأجاب لقوله قال له اليهودى : فهذا داود عليه السلام : قد لئن الله عز وجل له الحديد قد يعمل منه الدروع قال له على عليه السلام :

لقد كان كذلك ، ومحمد عز وجل أعطى ما هو أفضل من هذا ، لئن الله عز وجل له الصم الصخور والصلاب وجعلها غاراً ، ولقد غارت الصخرة تحت يده ببيت المقدس لينة حتى صارت كهيئة العجين ، قدرأينا ذلك والتمسناه تحت رايته .

وفي الكافي : باسناده عن الفضل بن أبي قره عن أبي عبد الله عليه السلام : ان أمير المؤمنين عليه السلام قال : أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام انك نعم العبد لولا انك تأكل

من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً ، قال : فبكى داود عليه السلام أربعين صباحاً ، فأوحى الله عز وجل إلى الحديد أن لن لعبدى داود ، فالأن الله عز وجل له الحديد ، فكان يعمل فى كل يوم درعاً فيبيعه بألف درهم ، فعمل ثلاثمائة و ستين درعاً ، فباعها بثلاثمائة و ستين ألفاً و استغنى عن بيت المال .

وفى قرب الاسناد : عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال : سألت الرضا عليه السلام هل أحد من أصحابكم يعالج السلاح ؟ فقلت : رجل من أصحابنا زراد ، فقال : انما هو سراد ، أما تقرأ كتاب الله عز وجل فى قوله لداود عليه السلام : « أن اعمل سابغات و قدر فى السرد » الحلقة بعد الحلقة .

و فى تفسير القمى : فى قوله عز وجل : « ان اعمل سابغات » قال : الدرود « و قدر فى السرد » قال : المسامير التى فى الحلقة و قوله عز وجل : « و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر » قال : كانت الريح تحمل كرسى سليمان ، فتسير به فى الغداة مسيرة شهر ، و بالعشى مسيرة شهر .

وفى المناقب لابن شهر آشوب رحمة الله تعالى عليه عن الاصبع بن نباتة قال : سألت الحسين بن على عليه السلام فقلت : يا سيدى أسئلك عن شىء أنا به موقن و انه من سر الله و أنت المرور إليه ذلك السر ، فقال : يا أصبع أترى أن ترى مخاطبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأبى دون يوم مسجد قبا ؟ قال : هو الذى أردت قال : قم فاذا أنا و هو بالكوفة فنظرت ، فاذا المسجد من قبل أن يرتد إلى بصرى فتبسم فى وجهى ثم قال : يا اصبع ان سليمان بن داود اعطى الريح غدوها شهر و رواحها شهر ، و انا قد أعطيت أكثر مما اعطى سليمان ، فقلت : صدقت والله يا ابن رسول الله فقال : نحن الذين عندنا علم الكتاب و بيان ما فيه ، وليس عند أحد من خلقه ما عندنا ، لانا أهل سر الله ثم تبسم فى وجهى ثم قال : نحن آل الله و ورثة رسول الله ، فقلت : الحمد لله على ذلك ثم قال لى : ادخل فدخلت فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله محتب فى المحراب بردائه ، فنظرت فاذا أنا بأمر المؤمنين عليه السلام

قابض على تلايبب الاعسر ، فرأيت رسول الله ﷺ يعرض على الانامل ، وهو يقول :
بش الخلف خلفتني أنت وأصحابك عليكم لعنة الله ولعنتي . الخبر .

قوله **التلايبب** : «لابي دون» أي أبي بكر ، وعبر به عنه تقيّة و «دون» : خسيس . و

قوله **التلايبب** : «محتب» : مشتمل و «تلايبب» : جمع تلييب يعرف بالطوق
و «الاعسر» : الشديد أو الشوم . والمراد به الاول أو الثاني .

و في الاحتجاج : عن سبط المصطفى قتيل كربلاء الامام الحسين بن علي
عليه السلام قال : ان يهودياً من يهود الشام و أحبارهم قال لامير المؤمنين عليه السلام فان
هذا سليمان قد سخرت له الرياح ، فسارت في بلاده غدواً ما شهر ، و رواحه شهر ،
فقال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك و محمد ﷺ اعطى ما هو أفضل من هذا ،
انه اسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى مسيرة شهر ، و عرج به في
ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام في أقل من ثلث ليلة حتى انتهى إلى
ساق العرش . الحديث .

و في سعد السعود للسيد بن طاووس قدس سره نقلاً عن تفسير أبي اسحق
ابراهيم بن أحمد القزويني باسناده عن أنس بن مالك قال : اهدى لرسول الله ﷺ
بساط من قرية يقال لها بهندف فقعده عليه عليّ وأبو بكر وعمر وعثمان والزبير
وعبدالرحمن بن عوف وسعد ، فقال النبي ﷺ لعليّ : يا عليّ قل : يا ربيع احمل
بنا ، فقال عليّ : يا ربيع احمل بنا فحمل بهم حتى أتوا أصحاب الكهف فسلم
ابو بكر وعمر فلم يردوا عليهما ، ثم قام عليّ فسلم فردوا عليهما ، فقال أبو بكر :
يا علي ما بالهم ردوا عليك ، و لم يردوا علينا ؟ فقال لهم عليّ ، فقالوا : انا لا
نرد بعد الموت إلاّ على نبي أو وصي نبي ثم قال عليّ :

يا ربيع احملينا فحملتنا ، ثم قال : يا ربيع ضعينا فوضعتنا ، فوكر برجله
الارض فتوضأ عليّ و توضأنا ثم قال : يا ربيع احملينا فحملتنا فوافينا المدينة
والنبي ﷺ في صلاة الغداة وهو يقرأ : « أم حسبت ان أصحاب الكهف والرفيم

كانوا من آياتنا عجباً ، فلما قضى النبي ﷺ الصلاة قال : يا على أخبروني عن مسيركم أم تحبون ان اخبركم ؟ قالوا : بل نخبرنا يا رسول الله ، قال انس بن مالك : فقص القصة كأنه معنا .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « و لسليمان الريح غدوها شهر و رواحها شهر » قال : كانت الريح تحمل كرسى سليمان فتسير به في الغداة مسيرة شهر و بالعشى مسيرة شهر . و « أسلنا له عين القطر » أي الصفر .

وفي فروع الكافي : باسناده عن الفضل أبي العباس قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام قول الله عز وجل : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تمائيل و جفان كالجواب » قال : ما هي تمائيل الرجال و النساء ولكنها تمائيل الشجر و شبهه .

وفي وسائل الشيعة : بالاسناد عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : لا بأس بتمائيل الشجر .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن مسلم قال : سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن تمائيل الشجر و الشمس و القمر ، فقال : لا بأس ما لم يكن شيئاً من الحيوان .
وفي المجمع : و روى عن الصادق عليه السلام انه قال : والله ما هي تمائيل النساء و الرجال ولكنها الشجر و ما أشبهه .

وفي الاحتجاج : عن الامام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام : ان يهودياً من يهود الشام و أحبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام : فان هذا سليمان سخرت له الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب و تمائيل قال له علي عليه السلام : لقد كان كذلك و لقد اعطى محمد ﷺ أفضل من هذا ان الشياطين سخرت لسليمان و هي مقيمة على كفرها ، و قد سخرت لنبوذة محمد ﷺ الشياطين بالايمان ، فأقبل إليه الجن التسعة من أشرافهم من جن نصيبين و اليمن من بنى عمرو بن عامر من الاحبة منهم شضة و مضاة و الهملكان و المرزبان و المازمان و نفات و هاضب و هاصب و عمرو و هم الذين يقول الله تبارك و تعالى اسمه فيهم : « و ان صرفنا

اليك نفرأ من الجن .

وهم التسعة يستمعون القرآن ، فأقبل إليه الجن والنبي ﷺ يبطن النخلة ، فاعتذروا بانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً ، و لقد أقبل إليه أحد و سبعون ألفاً منهم يبابعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ونصح المسلمين ، واعتذروا بانهم قالوا على الله شططاً و هذا أفضل مما أعطى سليمان ، سبحان من سخرها لنبوة محمد ﷺ بعد ان كانت تمرد و تزعم ان الله ولدأ فلقد شمل مبعثه من الجن والانس ما لا يحصى .

وفيه: عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قال السائل: كيف صعدت الشياطين إلى السماء و هم أمثال الناس في الخلقة والكثافة ، وقد كانوا يبنون لسليمان ابن داود عليه السلام من البناء ما يعجز عنه ولد آدم ؟ قال : غلظوا سليمان لما سخرها ، و هم خلق دقيق ، غذاءهم التنسم ، والدليل على ذلك صعودهم إلى السماء لاستراق السمع ، و لا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إلا بسلم أو سبب .

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تمائيل » قال : في الشجر ، و قوله عز وجل : « و جفان كالجواب » أي جفنة كالحفرة « و قدور راسيات » أي ثابتات ، ثم قال جل ذكره : « إعملوا آل داود شكراً » قال : اعملوا ما تشكروا عليه ثم قال سبحانه : « و قليل من عبادي الشكور » . و في رواية : عن عطاء بن يسار قال : تلا رسول الله ﷺ على المنبر : « اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادي الشكور » ثم قال : ثلاث من اوتيهن فقد اوتى مثل ما اوتى آل داود العدل في الغضب والرضا والقصد في الغنى والفقر و خشية الله في السر والعلانية .

و في رواية : قال داود : أي رب كيف لى أن اشكرك ، و أنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك ، فأتاه الوحي ان يادادد أليس تعلم ان الذي بك من النعم منى ؟ قال : بلى يا رب قال : فاني ارضى بذلك منك شكراً .

و في رواية : قال رسول الله ﷺ : من نظر في الدين إلى من هو فوقه ،
و في الدنيا إلى من هو تحته كتبه الله صابراً و شاكراً و من نظر في الدين إلى
من هو تحته و نظر في الدنيا إلى من هو فوقه لم يكتبه الله صابراً و لا شاكراً
و الله سبحانه و تعالى أعلم .

و في روضة الكافي : باسناده عن أحمد بن عمر قال : دخلت على أبي الحسن
الرضا عليه السلام انا و حسين بن ثوير بن أبي فاخته فقلت له : جعلت فداك انا كنا
في سعة من الرزق و غضارة من العيش ، فتغيرت الحال بعض التغيير ، فادع الله
عز وجل أن يرد ذلك إلينا ، فقال : أي شيء تريدون تكونون ملوكاً ؟ أيسرك
أن تكون مثل طاهر و هرثمة ، و انك على خلاف ما أنت عليه ؟ قلت : لا والله
ما يسرنى ان لي الدنيا بما فيها ذهباً و فضة و اني على خلاف ما أنا عليه ، قال :
فقال : فمن أيسر منكم فليشكر الله ان الله عز وجل يقول : « لئن شكرتم لازيدنكم »
و قال سبحانه و تعالى : « اعملوا آل داود شكراً و قليل من عبادي الشكور »
الحديث .

و في رواية : عن أبي الدرداء قال : سمعت أبا القاسم ﷺ يقول : ان الله
قال : يا عيسى بن مريم اني باعث بعدك امة ان أصابهم ما تجبون حمدوا و شكروا ،
و إن أصابهم ما يكرهون احتسبوا و صبروا و لا حلم و لا علم قال : يارب كيف
يكون هذا لهم و لا حلم و لا علم ، قال : اعطيهم من حلمي و علمي .

و في رواية : عن صهيب قال : قال رسول الله ﷺ : عجباً لأمر المؤمن
أمر المؤمن كله خير ، إن أصابته سراء شكر كان خيراً ، و إن أصابته ضراء صبر
كان خيراً .

و في نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في خطبة - :
« اوصيكم عباد الله بتقوى الله فانها حق الله عليكم ، و الموجبة على الله حقكم ،
و ان تستعينوا عليها بالله و تستعينوا بها على الله فان التقوى في اليوم الحرز و الجنة

و في غد الطريق إلى الجنة ، مسلكتها واضح و سالكتها رابح و مستودعها حافظ
لم تبرح عارضة نفسها على الامم الماضين والغابرين لحاجتهم إليها غداً إذا أعاد
الله ما أبدى وأخذ ما اعطى وسئل عما أسدى فما أقل من قبلها وحملها حق حملها
اولئك الاقلون ، وهم أهل صفة الله سبحانه إن يقول : « وقليل من عبادى الشكور » .
و في مصباح الشريعة : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : ولو كان
عند الله عبادة يتعبد بها عباده المخلصين أفضل من الشكر على كل حال لا تطلق
لفظه فيهم من جميع الخلق بها فلما لم يكن أفضل منها خصتها من بين العبادات ،
و خصت أربابها ، فقال : « و قليل من عبادى الشكور » .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عجبت للمؤمن ان اعطى قال : الحمد
لله فشكر و إن ابتلى قال : الحمد لله فصبر فالمؤمن يؤجر على كل حال حتى اللقمة
يرفعها إلى فيه . و لا يخفى عليك ايها القارئ المتدبر : ان الشكر كما يكون
بالقول يكون بالفعل و يكون بالقلب . كما قال الشاعر :

افادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

١٤- (فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض...) الآية .

في العلل : باسناده عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن على بن موسى
الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عليه السلام قال : ان
سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه : ان الله تبارك و تعالى قد وهب لى
ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدى ، سخر لى الريح والانس والجن والطيور والوحوش
و علمنى منطق الطير ، و آتانى من كل شىء ، و مع جميع ما اوتيت من الملك
ماتم سرورى يوم إلى الليل ، و قد أحببت أن ادخل قصرى فى غد ، فاصعد أعلاه
و أنظر إلى مما لى فلا تأذنوا لأحد على لئلا يرد على ما ينقص على يومى
فقالوا : نعم .

فلما كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلا موضع من قصره و وقف

متكياً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتى فرحاً بما أعطى إذ نظر إلى شاب حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره فلما أبصره سليمان قال له : من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم ، وبأذن من دخلت ؟ قال الشاب : ادخلني هذا القصر ربه وبأذنه دخلت ، فقال : ربه أحق بهمني فمن أنت ؟ قال : أنا ملك الموت قال : وفيما جئت ؟ قال : جئت لأقضى روحك ، قال : أمض لما أمرت به ، فهذا يوم سروري وأبى الله عز وجل أن يكون لي سرور دون لقاءه ، فقبض ملك الموت روحه وهو متكىء على عصاه .

فبقى سليمان متكياً على عصاه وهو ميت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم بقدررون انه حتى فافتتنوا فيه واختلفوا ، فمنهم من قال : ان سليمان قد بقي متكياً على عصاه هذا الايام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يشرب ولم يأكل ، انه لربنا الذى يجب علينا أن نعبده ، وقال قوم : ان سليمان ساحر وانه يرينا انه واقف متكىء على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك ، وقال المؤمنون : ان سليمان هو عبدالله ونبيه يدبر الله أمره بما شاء فلما اختلفوا بعث الله عز وجل الارضة فدبت في عصاة سليمان ، فلما أكلت جوفها انكسرت العصاة وخر سليمان من قصره على وجهه ، فشكرت الجن للارضة صنيعها ، فلأجل ذلك لا توجد الارضة في مكان الا وعندها ماء وطين .

وذلك قول الله عز وجل : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته » يعنى عصاه - فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

وفيه : باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : أمر سليمان بن داود الجن فصنعوا له قبة من قوارير ، فبينما هو متكىء على عصاه في القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون وهم ينظرون إليه إذ حانت منه التفاتة ، فاذا رجل معه في القبة قال : من أنت ؟ قال : أنا الذى لأقبل الرشا ولأهأب الملوك أنا ملك الموت ،

فقبيضه وهو قائم متكىء على عصاه في القبّة والجن ينظرون إليه قال : فمكثوا سنة يداًبون له حتى بعث الله عز وجل الارضة فأكلت منسأته - وهي العصا - فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا - يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب الأليم (المهين ظ)

وفي روضة الكافي : باسناده عن الوليد بن صبيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

ان الله عز وجل أوحى إلى سليمان بن داود عليه السلام ان آية موتك ان شجرة تخرج من بيت المقدس يقال لها : الخرنوبة ، قال : فنظر سليمان عليه السلام يوماً فاذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت من بيت المقدس ، فقال لها : ما إسمك ؟ قالت : الخرنوبة قال : فولى سليمان مدبراً إلى محرابه ، فقام فيه متكياً على عصاه فقبض روحه من ساعته ، قال : فجعلت الجن والانس يخدمونه ويسعون في أمره كما كانوا وهم يظنون انه حي لم يمّت يغدون ويروحون ، وهو قائم ثابت حتى دبت الارض من عصاه فأكلت منسأته ، فانكسرت وخرّ سليمان إلى الارض ، أفلا تسمع لقوله عز وجل « فلما خرّ تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » .

وفي تفسير القمي : قال : لما أوحى الله إلى سليمان انك ميت ، أمر الشياطين

أن يتخذوا له بيتاً من قوارير وضموه في لجة البحر ، ودخله فاتكأ على عصاه ، وكان يقرأ الزبور والشياطين حوله ينظرون إليه لا يجسرون أن يبرحوا ، فبينما هو كذلك إذ حانت منه التفاتة ، فاذا هو برجل معه في القبّة ، ففزع منه سليمان بن داود عليه السلام فقال له من أنت ؟ قال : أنا الذي لا قبل الرشا ولا هاب الملوك فقبيضه وهو متكىء على عصاه سنة ، والجن - يعملون له ولا يعلمون بموته حتى بعث الله الارضة فأكلت منسأته « فلما خرّ على وجهه تبينت الانس أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين »

فهكذا نزلت هذه الآية و ذلك ان الانس كانوا يقولون ان الجن يعلمون

الغيب ، فلما سقط سليمان على وجهه علموا الانس ان لو علموا الجن الغيب لم يعملوا سنة لسليمان وهو ميت ، ويتوهمونه حياً قال : فالجن تشكر الارضة بما

عملت بعصا سليمان قال : فلما هلك سليمان وضع ابليس السحر وكتبه في كتاب ثم طواه وكتب على ظهره : هذا ما وضعه آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز الملك والعلم من أراد كذا وكذا وكذا ، فليعمل كذا وكذا ثم دفنه تحت السرير ثم استناره لهم فقال الكافرون ما كان يغلبنا سليمان الا بهذا و قال المؤمنون بل هو عبدالله ونبيه .

وفي المجمع : وفي الشواذ « تبينت الانس » وهي قراءة على بن الحسين و أبي عبدالله عليه السلام .

وفي عيون الاخبار : - في حديث - ثم قال الصادق عليه السلام : والله ما نزلت هذه الاية هكذا وانما نزلت : « فلما خر تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين »

أقول : أى المعنى هكذا من غير نقصان كلمة من القرآن الكريم الذى لا يحفظه الا الله تعالى .

وفي المجمع : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كان آصف بن برخيا يدبر أمره حتى دبت الارضة .

و فى كمال الدين : باسناده عن محمد بن جعفر عن أبيه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله قال : عاش سليمان بن داود سبعمأة سنة واثني عشر سنة .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال » قال : فان بحر آكان من اليمن وكان سليمان عليه السلام أمر جنوده أن يجر واله (لهم خ) خليجاً من البحر العذب إلى بلاد الهند ففعلوا ذلك وعقدوا له عقدة عظيمة من الصخر والكلس - أى الصاروخ يبنى به - حتى يفيض على بلادهم وجعلوا للخليج مجارياً ، فكانوا إذا أرادوا أن يرسلوا منه الماء أرسلوه بقدر ما يحتاجون إليه وكانت له (لهم خ) جنتان عن يمين وشمال عن مسيرة عشرة أيام فيها ثمر (يمر خ) لا يقع عليها الشمس من التفافها ، فلما عملوا بالمعاصي وعتوا

عن أمر ربهم ونهاهم الصالحون ، فلم ينتهوا بعث الله عز وجل على ذلك السد
الجرذ و هي الفأرة الكبيرة ، فكانت تطلع (تقلع خ) الصخرة التي لا يستقلها
الرجال و ترمى بها .

فلما رأى ذلك قوم منهم هربوا وتركوا البلاد فمازال الجرذ يقلع الحجر
حتى خرب ذلك السد ، فلم يشعروا حتى غشيهم السيل و خرب بلادهم و قلع
أشجارهم ، و هو قوله : « لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين و شمال -
إلى قوله - و أرسلنا عليهم سيد العرم » يعنى العظيم الشديد « و بدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتى اكل خمط » و هو ام غيلان و أنثى قال : هو نوع من الطرافاء « و شىء
من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا - إلى قوله - و باركنا فيها » قال : مكة .

و فى المجمع : عن فروة بن مسيك قال : سئلت رسول الله ﷺ عن سبأ
أرجل هو أم امرأة ؟ فقال : هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة و تشأم
منهم أربعة ، فاما الذين تيامنوا فالأزد و كندة و مذحج و الاشعرون و أنمار و
حمير ، فقال رجل من القوم : ما أنمار ؟ قال : الذين منهم خثعم و بجليه ، و أما
الذين تشأموا فعاملة و جذام و لخم و غسان . و المراد بالتيامن و التشأم السكونة
باليمن و الشام .

و فى الاحتجاج : عن أبى حمزة الثمالي قال : أتى الحسن البصرى أبا جعفر
الباقر عليه السلام فقال : جئتك لأسئلك عن أشياء من كتاب الله ، فقال له أبو جعفر عليه السلام :
ألسنت فقيه أهل البصرة ؟ قال : قد يقال ذلك ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : هل بالبصرة
أحد تأخذ عنه ؟ قال : لا ، قال : فجميع أهل البصرة يأخذون عنك ؟ قال : نعم ،
فقال له أبو جعفر عليه السلام : سبحان الله لقد تقلدت - أى توليت أمراً عظيماً و ألزمته
نفسك - عظيماً من الأمر ، بلغنى عنك أمر فما أدرى أ كذلك أنت ام يكذب عليك ؟
قال : ما هو ؟ قال : زعموا انك تقول : ان الله خلق العباد ففوض إليهم أمورهم ،
قال : فسكت الحسن ، فقال : أفرأيت من قال الله له فى كتابه انك آمن هل عليه

خوف بعد هذا القول؟ فقال الحسن: لا، فقال أبو جعفر عليه السلام: انى اعرض عليك آية و انهى اليك خطابا، و لا احسبك الاً و قد فسرته على وجهه، فان كنت فعلت ذلك فقد هلكت و أهلكت. فقال له: ما هو؟

قال: أرايت حيث يقول: « و جعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا فيها السير سيرا فيها لياالى و أياماً آمنين » يا حسن بلغنى انك افقت الناس، فقلت: هى مكة. فقال أبو جعفر عليه السلام: فهل يقطع على من حج مكة و هل يخاف أهل مكة، و هل تذهب أموالهم؟ قال: بلى.

قال: متى يكونون آمنين؟ بل فينا ضرب الله الامثال فى القرآن، فنحن القرى التى بارك الله فيها، و ذلك قول الله عز وجل، فمن اقرت بفضلنا حيث أمرهم بأن يأتونا فقال: « و جعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها » أى جعلنا بينهم و بين شيعتهم القرى التى باركنا فيها. قرى ظاهرة، و القرى الظاهرة: الرسل و النقلة عنا إلى شيعتنا، و فقهاء شيعتنا إلى شيعتنا، و قوله تعالى: « و قدرنا فيها السير » فالسير مثل للعلم، سير به لياالى و أياماً، مثل لما يسير من العلم فى الليالى و الايام عنا إليهم فى الحلال و الحرام، و الفرائض و الاحكام آمنين فيها اذا اخذوا منه آمنين من الشك و الضلال، و النقلة من الحرام إلى الحلال، لانهم اخذوا العلم ممن وجب لهم أخذهم إياه عنهم بالمعرفة لانهم أهل ميراث العلم من آدم إلى حيث انتهوا ذرية مصطفاة بعضها من بعض.

فلم ينته الاصطفاء إليكم، بل إلينا انتهى، و نحن تلك الذرية المصطفاة لا أنت و لا أشباهك يا حسن، فلو قلت لك- حين ادعيت ماليس لك و ليس إليك - : يا جاهل أهل البصرة! لم أقل فيك الاً ما علمته منك، و ظهر لى عنك و اياك أن تقول بالتفويض، فان الله عز وجل لم يفوض الامر إلى خلقه، و هنا منه وضعفاً و لا أجبرهم على معاصيه ظلماً.

و فى وسائل الشيعة: نقلاً عن كتاب « الغيبة » باسناده عن محمد بن صالح

الهمداني قال : كتبت إلى صاحب الزمان عليه السلام : إن أهل بيتي يقرؤني بالحديث الذي روى عن آبائك عليهم السلام أنهم قالوا : خدّامنّا و قوامنّا شراد خلق الله ، فكتب : و يحكم ما تقرؤون ما قال الله تعالى : « و جعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة » فمنحن والله القرى التي باركنا فيها وأنتم القرى الظاهرة .
وفي اصول الكافي : باسناده عن سدير قال : سئل أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم » الآية فقال : هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض و أنهار جارية و أموال ظاهرة فكفروا نعم الله عزوجل و غيروا ما بأنفسهم من عافية الله ، فغيّر الله ما بهم من نعمة ، و ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ، فأرسل الله عليهم سيل العرم ، ففرق قراهم و خرّ بديارهم و أذهب أموالهم و أبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي اكل خمط و أثل و شيء من سدر قليل ، ثم قال : « ذلك جزيناهم بما كفروا و هل نجازي إلا الكفور » رواه في الروضة .

وفي العلل : باسناده عن أبي زهير شبيب بن أنس عن بعض أصحاب أبي عبدالله عليه السلام قال : دخل عليه أبو حنيفة ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : أخبرني عن قول الله عزوجل : « سيروا فيها ليالي و أياماً آمنين » أين ذلك من الارض ؟ قال : أحبسّه ما بين مكة و المدينة ، فالتفت أبو عبدالله عليه السلام إلى أصحابه ، فقال : أتعلمون ان الناس يقطع عليهم بين المدينة و مكة ، فتؤخذ أموالهم و لا يأمنون على أنفسهم و يقتلون ؟ قالوا : نعم قال : فسكت أبو حنيفة فقال : يا باحنيفة أخبرني عن قول الله عزوجل : « و من دخله كان آمناً » أين ذلك من الارض ؟ قال : الكعبة ، قال : أتعلم ان الحجاج بن يوسف حين وضع المنجنيق على ابن الزبير في الكعبة فقتله كان آمناً فيها ؟ قال : فسكت .

فلما خرج قال أبو بكر الحضرمي : جعلت فداك الجواب في المسئلتين ؟ فقال : يا بابكر « سيروا فيها ليالي و أياماً آمنين » فقال : مع قائمنا أهل البيت

و أما قوله : « و من دخله كان آمناً » فمن بايعه و دخل معه ، و مسح على يده ، و دخل في عقد أصحابه كان آمناً . الخبر .

وفي المناقب : لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه : عن الثمالى قال : دخل قاض من قضاء أهل الكوفة على علي ابن الحسين عليه السلام فقال له : جعلنى الله فداك أخبرنى عن قول الله عز وجل : « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا فيها السير سيرا فيها لىالى و أياماً آمنين » قال له : ما يقول الناس فيها قبلكم بالعراق ؟ قال : يقولون : انها مكة ، قال : وهل رأيت السرق فى موضع أكثر منه بمكة ؟ قال : فما هو ؟ قال : انما عنى به الرجال ، قال : وأين ذلك فى كتاب الله ؟ فقال : أوما تسمع إلى قوله عز وجل : « و كآين من قرية عتت عن أمر ربها و رسله » وقال : « و تلك القرى أهلكناهم » وقال : « واسئل القرية التى كنا فيها و العير التى أقبلنا فيها » فليستل القرية (فنستل القرية خ) أو الرجال و العير قال : و تلاً عليه السلام آيات فى هذا المعنى قال : جعلت فداك فمن هم ؟ قال : نحن هم ، فقال : أوما تسمع إلى قوله : « سيروا فيها لىالى و أياماً آمنين » قال : آمنين من الزينغ .

و فى كنز الفوائد للكرامى رحمة الله تعالى عليه باسناده عن الهيثم بن عبد الله الرماني عن الرضا عن أبيه عن جده جعفر عليه السلام قال : دخل على أبي بعض من يفسر القرآن فقال له : أنت فلان ؟ و سماء باسمه ، قال : نعم ، قال : أنت الذى تفسر القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فكيف تفسر هذه الآية : « وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة و قدرنا فيها السير سيرا فيها لىالى و أياماً آمنين » قال : هذه بين مكة و منى ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أيبكون فى هذا الموضع خوف و قطيع ؟ قال : نعم ، قال : فموضع يقول الله : أمن ، يكون فيه خوف و قطع ؟ قال : فما هو ؟

قال : ذلك نحن أهل البيت ، قد سمأكم الله ناساً ، و سمأنا قرى قال :

جعلت فداك أوجدني هذا في كتاب الله ان القرى رجال ، فقال أبو عبد الله عليه السلام :
 أليس الله تعالى يقول : «واستل القرية التي كنا فيها والعمير التي أقبلنا فيها»
 فللجدران والحيطان السؤال أم للناس؟ وقال تعالى : «وإن من قرية إلا نحن
 مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً» فمن المعذب الرجال أم
 الجدران والحيطان؟

وفي روضة الكافي : باسناده عن زيد الشحام قال : دخل قتادة بن دعامة
 على أبي جعفر عليه السلام فقال : يا قتادة أنت فقيه أهل البصرة؟ فقال : هكذا يزعمون،
 فقال أبو جعفر عليه السلام : بلغني انك تفسر القرآن؟ فقال له قتادة : نعم ، فقال له
 أبو جعفر عليه السلام : بعلم تفسره أم بجهل؟ قال : لا بعلم ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : فان
 كنت تفسره بعلم فأنت أنت وأنا أسئلك؟ قال قتادة : سل قال : أخبرني عن
 قول الله عز وجل في سبأ : «وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين» فقال
 قتادة : ذلك من خرج من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت
 كان آمناً حتى يرجع إلى أهله ، فقال أبو جعفر عليه السلام : نشدتك الله يا قتادة هل تعلم
 انه قد يخرج الرجل من بيته بزاد حلال وراحلة وكراء حلال يريد هذا البيت
 فيقطع عليه الطريق ، فتذهب نفقته ويضرب مع ذلك ضربة فيها اجتياحه؟

قال قتادة : اللهم نعم ، فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة إن كنت انما
 فسرت القرآن من تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلك ، وإن كنت قد أخذته من
 الرجال فقد هلكت وأهلك ، ويحك يا قتادة ذلك من خرج من بيته بزاد و
 راحلة وكراء حلال يروم هذا البيت عارفاً بحقنا يهوانا قلبه كما قال الله عز وجل :
 «واجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم» ولم يعن البيت ، فيقول : إليه ، فنحن والله
 دعوة ابراهيم عليه السلام التي من هو ان قلبه قبلت حجته والآفلايا قتادة ، فاذا كان كذلك
 كان آمناً من عذاب جهنم يوم القيامة ، قال قتادة : لاجرم والله لا فسرتها إلا
 هكذا ، فقال أبو جعفر عليه السلام : ويحك يا قتادة انما يعرف القرآن من خوطب به .

الشكوك والشبهات من أئمة البدع ورؤوس الضلالات ، فصاروا مصداق قوله تعالى :
«وبدلناهم بجنيتهم جنتين ذواتى اكل خمط وأنل وشىء من سدر قليل» و هذا
طريق وسعت عليك لفهم أمثال تلك الاخبار والله يهدى إلى سواء السبيل .

وفى مقتل ابن نما : ومن كلام سيد الشهداء الامام الحسين بن على عليه السلام
بالرहिمة أجاب به أباهرم (أباهرة) لما قال له عليه السلام : يا ابن رسول الله ما الذى
أخرجك عن حرم جدك ؟ فقال عليه السلام :

«يا أباهرم ! ان بنى امية شتموا عرضى فصبرت وأخذوا مالى فصبرت ، و
طلبوا دمي فهربت ، وأيم الله ليقتلوني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً ، و
يسلّط عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذل من قوم سباء إذ ملكتهم امرأة ، فحكمت
فى أموالهم و دمائهم»

وفى كنز الفوائد : باسناده عن جابر بن يزيد عن أبى جعفر عليه السلام فى قول الله
عز وجل : «ان فى ذلك لايات لكل صبار شكور» قال : صبار على مودتنا وعلى ما
انزل الله من شدة أدرخاء ، صبور على الأذى فينا شكور لله تعالى على أهل ولايتنا
أهل البيت .

وفى روضة الكافى : باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : لما أخذ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيد على عليه السلام يوم الغدير صرخ ابليس فى جنوده صرخة ، فلم يبق
منهم أحد فى بر ولا بحر الا أنه قالوا : يا سيدهم ومولاهم ماذا ذاك فما سمعنا
لك صرخة أو حش من صرختك هذه ؟ فقال لهم : فعل هذا النبى فعلاً إن تم لم
يعص الله أبداً فقالوا : يا سيدهم أنت كنت لآدم ، فلما قال المنافقون : انه ينطق
عن الهوى ، وقال أحدهما لصاحبه : أما ترى عينيه تدوران فى رأسه كأنه مجنون ،
يعنون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صرخ ابليس صرخة بطرب ، فجمع أوليائه فقال : أما
علمتم أنى كنت لآدم من قبل ؟ قالوا : نعم قال :

آدم نقض العهد ولم يكفر بالرب وهؤلاء نقضوا العهد وكفروا بالرسول ،

فلما قبض رسول الله ﷺ وأقام الناس غير على لبس ابليس تاج الملك و نصب منبراً وقعد في الوثنية وجمع خيله ورجله ثم قال لهم : اطر بوا لايطاع الله حتى يقوم الامام ، و تلا أبو جعفر عليه السلام : « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين » قال أبو جعفر عليه السلام : كان تأويل هذه الآية لما قبض رسول الله ﷺ والظن من ابليس حين قالوا لرسول الله ﷺ : انه ينطق عن الهوى فظن بهم ابليس ظناً فصدقوا ظنه .

وفي كنز الفوائد : باسناده عن عطية العوفى عن ابي جعفر عليه السلام قال : ان رسول الله ﷺ لما اخذ بيد على عليه السلام بغدير خم ، فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه كان ابليس حاضراً بعفاريته ، فقال له حيث قال : من كنت مولاه فعلى مولاه والله ما هكذا قلت لنا قد أخبرتنا ان هذا اذا مضى افترق أصحابه ، و هذا أمر مستقر كلما أراد أن يذهب واحد بدر آخر فقال : افترقوا فان أصحابه قد وعدوني أن لا يقروا له بشيء مما قال و هو قوله عز وجل : « ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين » .

وفي العلل : باسناده عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ - في حديث - قال ﷺ : يا بلال إصعد أبا قبيس ، فناد عليه ! ان رسول الله ﷺ حرم الجرسى والصبّ والحمر الاهلية ألا فاتقوا الله ولا تأكلوا من السمك إلا ما كان له قشر ، و مع القشر فلوس ، ان الله تبارك و تعالى مسح سبعمأة امة عصوا الاوصياء بعد الرسل ، فأخذ أربعمأة امة منهم برأ و ثلاثمأة امة منهم بحرأ ثم تلا هذه الآية : « وجعلناهم أحاديث و مزقناهم كل ممزق » .

قوله : « الجرسى » : صنف من السمك في ظهره طول ، و في فمه سعة ، و ليس له عظام إلا عظم اللحيين والسلسلة .

وفي تفسير القمى : في قوله تعالى : « ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له » قال : لا يشفع أحد من أنبياء الله و رسله يوم القيامة حتى يأذن الله له

إلا رسول الله ﷺ فان الله عز وجل قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة ، والشفاعة له و للأئمة من ولده صلوات الله عليهم ، ثم بعد ذلك للانبياء ﷺ . وفيه : باسناده عن أبي العباس المكبر قال : دخل مولى لامرأة على بن الحسين عليه السلام على أبي جعفر عليه السلام يقال له : أبو أيمن فقال له : يا با جعفر تقررون الناس ، وتقولون : شفاعة محمد ، شفاعة محمد ؟ ! فغضب أبو جعفر عليه السلام حتى تغيرت (تر بد خ) وجهه ثم قال : ويحك يا با أيمن أعرك ان عف بطنك و فرجك ؟ أما لو قد رأيت افزاع القيامة لقد احتجت إلى شفاعة محمد (رسول الله خ) ﷺ و إليك و هل (فهل خ) يشفع الآ لمن وجبت له (النار خ) ؟ ثم قال : مامن أحد من الاولين والآخرين الآ و هو محتاج إلى شفاعة محمد رسول الله ﷺ يوم القيامة ، ثم قال أبو جعفر عليه السلام : ان لرسول الله ﷺ الشفاعة في امته ، ولنا الشفاعة في شيعتنا ، و لشيعتنا شفاعة في أهاليهم ، ثم قال : و ان المؤمن ليشفع في مثل ربيعة و مضر ، و ان المؤمن ليشفع حتى لخدمه ، يقول : يا رب حق خدمتي كان يقيني الحر والبرد .

وفي البرهان : بالاسناد عن سماعة قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة في صعيد واحد ، فيلجمهم العرق ، فيقولون : انطلقوا بنا إلى أبينا آدم عليه السلام فيشفع لنا فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له : إشفع لنا عند ربك فيقول : ان لي ذنباً و خطيئة و اني استحيى من ربكم فعليكم بنوح ، فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه و يردهم كل نبي إلى من يليه من الانبياء حتى ينتهوا إلى عيسى عليه السلام فيقول : عليكم بمحمد ﷺ فيأتون محمداً ﷺ فيعرضون أنفسهم عليه و يسألونه أن يشفع لهم ، فيقول : انطلقوا بنا ، فينطلقون حتى يأتي باب الجنة فيستقبل وجه الرحمن سبحانه و يختر ساجداً فيمكث ماشاء الله فيقول الله له : ارفع رأسك يا محمد و اشفع تشفع وسل تعط ، فيشفع فيهم .

وفي تفسير القمي : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله

تعالى : « حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير » ، وذلك ان اهل السموات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن بعث عيسى بن مريم إلى أن بعث محمد ﷺ فلما بعث الله جبرئيل إلى محمد ﷺ سمع أهل السموات صوت وحى القرآن كوقع الحديد على الصفا ، فصعق أهل السموات ، فلما فرغ عن الوحي انحدر جبرئيل عليه السلام كلما مرّ بأهل سماء فزاع عن قلوبهم ، يقول : كشف عن قلوبهم ، فقال بعض لبعض : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق وهو العلي الكبير .

أقول : وفي الرواية بيان لبعض المصاديق فلا تكون تفسيراً للآية .

وفي الاحتجاج : عن مولى الموحدين امام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام - في حديث - قال : و أما قولكم : اني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين : انظرا فان كان معاوية أحق بهامني فأنتباه ، فان ذلك لم يكن شكاً مني ولكني أنصفت في القول ، قال الله : « و انا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين » ولم يكن ذلك شكاً و قد علم الله ان نبيه علي الحق .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « ثم يفتح بيننا بالحق » قال : يقضى بيننا بالحق « و هو الفتح العليم » قال : القاضي العليم .

وفي تفسير اللاهيجي رضوان الله تعالى عليه : قال ابن عباس : لانعرف معنى « الفتح » حتى سمعت معناه من بنت سيف بن ذيزن حيث كانت بيني وبينها مخاصمة ، فقالت لي : « انطلق أفتحك إلى القاضي » فعلمت ان الفتح بمعنى الحكم والفتح والفتح بمعنى الحاكم .

٢٨ - (و ما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً و نذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

في تفسير القمي : باسناده عن حفص الكناني قال : سمعت عبدالله بن بكير الرجاني (الارجاني خ) قال : قال لي الصادق جعفر بن محمد عليه السلام : أخبرني عن

الرسول ﷺ كان عاماً (كان ارسل عامة خ) للناس أليس قد قال الله عز وجل في محكم كتابه : « وما أرسلناك إلا كافة للناس ، لاهل الشرق والغرب (المشرق والمغرب خ) وأهل السماء والارض من الجن والانس هل بلغ (أبلغ خ) رسالته إليهم كلهم ؟ قلت : لا أدري قال : يا ابن بكير ان رسول الله ﷺ لم يخرج من المدينة فكيف أبلغ أهل الشرق والغرب ؟ قلت : لا أدري ، قال : ان الله تعالى أمر جبرئيل عليه السلام فاقطع الارض بريشة من جناحه ونصبها لرسول الله ﷺ فكانت بين يديه مثل راحة في كفه ينظر إلى أهل الشرق والغرب ، و يخاطب كل قوم بالسنتهم ، و يدعوهم إلى الله عز وجل ، و إلى نبوته بنفسه ، فما بقيت قرية و لا مدينة إلا و دعاهم النبي ﷺ بنفسه .

وفي البرهان : بالاسناد عن عبدالله بن بكر الارجاني عن أبي عبدالله عليه السلام - في حديث - قلت له : جعلت فداك فهل يرى الامام ما بين المشرق والمغرب ؟ قال : يابن بكر فكيف يكون حجة على ما بين قطريها و هو لا يريهم ولا يحكم فيهم و كيف يكون حجة على قوم غيب لا يقدر عليهم و لا يقدرون عليه ، و كيف يكون مؤدياً عن الله و شاهداً على الخلق و هو لا يراهم و كيف يكون حجة عليهم و هو محبوب عنهم ، و قد حيل بينهم و بينه أن يقوم بأمر ربه فيهم والله يقول : « وما أرسلناك إلا كافة للناس » يعنى به من على الارض والحجة من بعد النبي ﷺ وهو يقوم مقام النبي ﷺ وهو الدليل على ما تشاجرت فيه الامة ، والاخذ بحقوق الناس .

وفي اصول الكافي : باسناده عن أبان بن عثمان عن ذكره عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان الله تبارك وتعالى اعطى محمداً ﷺ شرائع نوح و ابراهيم و موسى و عيسى إلى أن قال : و أرسله كافة إلى الابيض والاسود والجن والانس . و في كمال الدين : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام - قال في حديث - : و ان الانبياء بعثوا خاصة و عامة ، فاما نوح فانه ارسل إلى من

في الارض بنبوة عامة و رسالة عامة ، و أما هود ، فانه ارسل إلى عاد بنبوة خاصة ، و أما صالح ، فانه ارسل إلى ثمود و هي قرية واحدة لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة ، و أما شعيب ، فانه ارسل إلى مدين و هي لا تكمل أربعين بيتاً ، و أما ابراهيم ، فنبوته بكونا و هي قرية من قرى السواد فيها بدا أول أمره ، ثم هاجر منها و ليست بهجرة ، فقال في ذلك قوله عز وجل : « انى مهاجر إلى ربي سيهدين » و كانت هجرة ابراهيم بغير قتال ، و أما اسحق ، فكانت نبوته بعد ابراهيم ، و أما يعقوب ، فكانت نبوته بأرض كنعان ثم هبط إلى أرض مصر فتوفى فيها ، ثم حمل بعد ذلك جسده حتى دفن بأرض كنعان ، والرؤيا التي رأى يوسف الاحد عشر كوكباً و الشمس و القمر له ساجدين ، و كانت نبوته بأرض مصر بدونها .

ثم ان الله تبارك و تعالى ارسل الاسباط اثني عشر بعد يوسف ، ثم موسى و هارون إلى فرعون و ملائه إلى أرض مصر و حدها ، ثم ان الله تبارك و تعالى ارسل يوشع بن نون إلى بني اسرائيل من بعد موسى فنبوته بدوها في البرية التي ناه فيها بنو اسرائيل ، ثم كانت انبياء كثيرة منهم من قصه الله عز وجل على محمد و منهم من لم يقصه على محمد ، ثم ان الله عز وجل ارسل عيسى عليه السلام إلى بني اسرائيل خاصة و كانت نبوته ببيت المقدس ، و كانت من بعده الحواريون اثناعشر ، فلم ينزل الايمان يستتر في بقية أهله منذ رفع الله عيسى عليه السلام ثم ارسل الله محمداً ﷺ إلى الجن و الانس عامة و كان خاتم الانبياء .

وفيه : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال - في حديث - : فمكث نوح ألف سنة الا خمسين عاماً لم يشاركه في نبوته أحد .

وفي الخصال : عن أبي امامة قال : قال رسول الله ﷺ : فضلت بأربع خصال : جعلت لي الارض مسجداً و طهوراً - إلى قوله - : و ارسلت إلى الناس كافة .

وفي المجمع : عن ابن عباس عن النبي ﷺ : اعطيت خمساً و لا اقول فخراً بعثت إلى الاحمر و الاصفر (الاسود خ) الحديث .

وفي رواية: سئلوا ابن عباس عن فضل الرسول ﷺ على سائر الانبياء ﷺ فقال: ان الله قال: « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ابراهيم: (٤) و قال لرسوله الخاتم ﷺ: « وما أرسلناك الا كافة للناس » فأرسله الله تعالى إلى الجن والانس .

وفي روضة الواعظين: للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: قال الامام سيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام: كان أبو طالب يضرب عن رسول الله ﷺ سيفه و يقيه بنفسه - إلى أن قال - : فقالوا: يا أبا طالب سله: أرسله الله إلينا خاصة أم إلى الناس كافة؟ فقال أبو طالب: يا ابن اخ إلى الناس كافة أرسلت أم إلى قومك خاصة؟ قال ﷺ: لا بل إلى الناس أرسلت كافة الابيض والاسود والعربي والعجمي، والذي نفسى بيده لادعون إلى هذا الامر الابيض والاسود، و من على رؤس الجبال و من فى لجج البحار و لادعون السنة فارس والروم .

و فى تفسير القمى: فى قوله تعالى: « وأسرّوا الندامة لما رآوا العذاب » قال: يسرّون الندامة فى النار إذا رآوا ولى الله فليل: يا بن رسول الله وما يغنيهم إسرارهم الندامة و هم فى العذاب؟ قال: يكرهون شماتة الاعداء .
وفيه: عن أبى عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول الله تبارك وتعالى: « و أسرّوا الندامة لما رآوا العذاب » قال: قيل له: ما ينفعهم اسرار الندامة و هم فى العذاب؟ قال: كرهوا شماتة الاعداء .

و فى نهج البلاغة: قال الامام امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام فى خطبة - : « و أما الاغنياء من مترفة الامم فتعصبوا لآثار مواقع النعم ، فقالوا: « نحن أكثر اموالاً و أولاداً و مانحن بمعذبين » فان كان لابد من العصبية فليكن تعصبكم لمكارم الخصال و محامد الافعال و محاسن الامور التى تفاضلت فيها المجدا و النجدا من بيوتات العرب و يعاسب القبائل بالاخلاق الرغيبية و الاحلام العظيمة و الاخطار الجليلية و الآثار المحمودة » .

قوله **عَلَيْهَا** : « تفاضلت » : تزايدت و « المجداء » : جمع ماجد والمجد : الشرف في الآباء و « النجداء » : الشجعان و « يعاسيب » : جمع يعسوب أى رؤساء القبائل .

و فى تفسير القمى : قال : ثم افتخروا على الله بالغناء فقالوا : « نحن أكثر أموالاً و اولاداً و ما نحن بمعدين » فرد الله عليهم بقوله : « قل ان ربي ييسر الرزق لمن يشاء - إلى - الآمن آمن و عمل صالحاً ... » .

و فى رواية : « الدنيا عرض حاضر ينال منها البر والفاجر ، والاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر » .

و فى رواية : قال رسول الله **ﷺ** : « لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما اعطى الكافر منها شيئاً » .

و فى تفسير القمى : و ذكر رجل عند أبى عبد الله **عليه السلام** الاغنياء و وقع فيهم ، فقال أبو عبد الله **عليه السلام** : اسكت فان الغنى اذا كان وصولاً برحمه وباراً باخوانه أضعف الله له الاجر ضعفين لان الله يقول : « وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى الآمن آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون » .

و فى العلل : باسناده عن أبى بصير قال : ذكرنا عند أبى جعفر **عليه السلام** من الاغنياء من الشيعة فكانه كره ما سمع منّا فيهم ، قال : يا با محمد اذا كان المؤمن غنياً رحيماً وصولاً له معروف إلى أصحابه ، أعطاه الله أجر ما ينفق فى البر أجره مرتين ضعفين ، لان الله عز وجل يقول فى كتابه : « و ما أموالكم ولا اولادكم بالتي تقر بكم عندنا زلفى الآمن آمن و عمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون » .

و فى أمالى الشيخ الطوسى قدس سره باسناده إلى الامام أمير المؤمنين على **عليه السلام** قال - فى حديث - : حتى اذا كان يوم القيامة حسب لهم ثم أعطاهم بكل

واحدة عشر أمثالها إلى سبعة ضعف ، قال الله عز وجل : « جزاء من ربك عطاءً حساباً » وقال : « اولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا و هم فى الغرفات آمنون » .
 و فى رواية : عن مولى الموحدين أمير المؤمنين الامام على عليه السلام قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ان فى الجنة لغرفاً ترى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها ، فقال أعرابى لمن هى ؟ قال لمن طيب الكلام و أطعم الطعام و أدام الصيام و صلى بالليل و الناس نيام » .

و فى تفسير القمى : باسناده عن حريز عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان الرب تبارك و تعالى ينزل أمره كل ليلة جمعة إلى سماء الدنيا من أول الليل ، و فى كل ليلة فى الثلث الاخير ، و أمامه ملك ينادى : هل من تائب يتاب عليه ؟ هل من مستغفر يغفر له ؟ هل من سائل فيعطى سؤله ، اللهم اعط كل منفق خلفاً و لكل ممسك تلفاً إلى أن يطلع الفجر ، فاذا طلع الفجر عاد أمر الرب تبارك و تعالى إلى عرشه ، فيقسم الارزاق بين العباد ، ثم قال للفضيل بن يسار : يا فضيل نصيبك من ذلك و هو قول الله تعالى : « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه و هو خير الرازقين » .

و فى الكافى : باسناده عن عثمان بن عيسى عن من حدثه عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت : آيتان فى كتاب الله عز وجل اطلبهما ، فلا أجدهما قال : وما هما ؟ قلت : قول الله عز وجل : « ادعوني استجب لكم » فندعوه ولا نرى إجابة ، قال عليه السلام : أفترى الله عز وجل اخلف وعده ؟ قلت : لا قال : فمم ذلك ؟ قلت : لا أدرى قال : لكنى اخبرك : من أطاع الله عز وجل فيما أمره من دعائه من جهة الدعاء أجابه ، قلت : وما جهة الدعاء ؟ قال : تبدؤ فتحمداً لله و تذكر نعمه عندك ثم تشكره ثم تصلى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم تذكر ذنوبك ، فتقر بها ثم تستعيد منها ، فهذا جهة الدعاء .
 ثم قال : و ما الآية الاخرى ؟ قلت : قول الله عز وجل : « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه و هو خير الرازقين » و انى انفق و لا أرى خلفاً ، قال : أفترى الله عز وجل أخلف وعده ؟ قلت : لا قال : فمم ذلك ؟ قلت : لا أدرى قال : لو ان

أحدكم اكتسب المال من حلته و أنفقه في حله لم ينفق درهماً إلا أخلف عليه .
وفيه: باسناده عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ :
من صدق بالخلف جاد بالعطية .

وفيه: باسناده عن سماعة عن أبي الحسن عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ :
من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة .

و في الفقيه : باسناده عن أبان الأحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام
انه جاء إليه رجل ، فقال له: بأبي أنت و امي عظني موعظة ، فقال عليه السلام : وإن كان
الحساب حقاً فالجمع لماذا ، و اذا كان الخلف من الله عز وجل حقاً فالبخل لماذا ؟
الحديث .

و في رواية : عن أحدهما عليه السلام قال: ينزل الله المعونة من السماء إلى العبد
بقدر المؤنة و من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة .

و في رواية : عن صفوان بن يحيى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: دخل
عليه مولى فقال له : هل أنفقت اليوم شيئاً ؟ فقال : لا والله فقال أبو الحسن عليه السلام :
فمن أين يخلف الله علينا ؟

و في رواية : عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : ان الشمس ليطلع ومعها
أربعة أملاك : ملك ينادى ! يا صاحب الخير أتم و ابشر ، و ملك ينادى ! يا صاحب
الشر أنزع و أقصر ، و ملك ينادى ! أعط منفقاً خلفاً و آت ممسكاً تلفاً ، و ملك
ينضحها بالماء و لولا ذلك اشعلت الارض .

و في الدر المنثور : عن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال :
سمعت رسول الله ﷺ يقول: ان لكل يوم نحساً ، فادفعوا نحن ذلك اليوم بالصدقة
ثم قال : اقرؤا مواضع الخلف فاني سمعت الله يقول : « و ما أنفقتم من شيء فهو
يخلفه » اذا لم ينفقوا كيف يخلف ؟

و في مجمع البيان : وعن جابر عن النبي ﷺ قال: كل معروف صدقة ،

وما وفى الرجل به عرضه فهو صدقة ، وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامناً إلا ما كان من نفقة فى بنيان أو معصية .

وفيه: عن أبى امامة قال : انكم تؤولون هذه الاية فى غير تأويلها وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : و إلا فصمتا إياكم والسرف فى المال والنفقة و عليكم بالاعتقاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا .
و فى تفسير القمى : باسناده عن هشام بن عمار يرفعه فى قوله تعالى :
« و كذب الذين من قبلهم و ما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير » قال : كذب الذين من قبلهم رسلهم و ما بلغ ما آتينا رسلهم معشار ما آتينا محمداً و آل محمد ﷺ .

أقول: ان الاية الكريمة ظاهرها تنزيل ، وتحتمل التأويل بارجاع ضمير الجمع إلى الرسل .

٤٦ - (قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد)

فى الاحتجاج : - فيما احتج الامام مولى الموحدين امير المؤمنين على ﷺ على زنديق جاء مستدلاً عليه بأى من القرآن متشابهة تحتاج إلى بيان - فقال الزنديق : واجده يقول : « انما اعظكم بواحدة » فما هذه الواحدة ؟

فقال الامام على ﷺ : و أما قوله : « انما اعظكم بواحدة » فان الله جل ذكره نزل عزائم الشرائع وآيات الفرائض فى أوقات مختلفة كما خلق السموات والارض فى ستة أيام ، ولو شاء لخلقها فى أقل من لمح البصر ، ولكنه جعل الأناة والمداراة امثالاً لامنائه و ايجاباً للحجة على خلقه ، فكان أول ما قدهم به : الاقرار بالوحدانية والربوبية والشهادة بأن لا إله إلا الله ، فلما أقروا بذلك تلاه بالاقرار لنبيه ﷺ بالنبوة والشهادة له بالرسالة ، فلما انقادوا لذلك فرض عليهم الصلاة ثم الصوم ثم الحج ثم الجهاد ثم الزكاة ثم الصدقات ، و ما يجرى مجراها من مال

الفيء ، فقال المنافقون: هل بقي لربك علينا بعد الذي فرضه شيء آخر يفترضه ، فتذكره لتسكن أنفسنا إلى أنه لم يبق غيره فأنزل الله في ذلك: « قل انما اعظكم بواحدة » يعنى الولاية .

و أنزل : « انما وليكم الله و رسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » وليس بين الامة خلاف انه لم يؤت الزكاة يومئذ أحد و هو راكع غير رجل ، و لو ذكر اسمه فى الكتاب لا سقط مع ما اسقط من ذكره ، و هذا و ما أشبهه من الرموز التى ذكرت لك ثبوتها فى الكتاب ليجهل معناها المحرفون ، فيبلغ إليك وإلى أمثالك ، وعند ذلك قال الله : « اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام ديناً » .

و فى تفسير القمى : باسناده عن أبى حمزة الثمالى قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل: « قل انما اعظكم بواحدة » قال: انما أعظكم بولاية على عليه السلام هى الواحدة التى قال الله عز وجل .

و فى الكافى : باسناده عن أبى حمزة قال : سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: « قل انما اعظكم بواحدة » فقال: انما أعظكم بولاية على عليه السلام هى الواحدة التى قال الله تبارك و تعالى : « انما اعظكم بواحدة » .

و فى كنز الفوائد للكرامى رضوان الله تعالى عليه باسناده عن يعقوب بن يزيد عن أبى عبد الله عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عز وجل : « قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى » قال : بالولاية ، قلت : و كيف ذاك ؟ قال : انه لما نصب النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام للناس فقال : من كنت مولاه فعلى مولاه اعتباه رجل ، و قال : ان محمداً ليدعو كل يوم إلى أمر جديد ، وقد بدا بأهل بيته يملكهم رقابنا ، فأنزل الله عز وجل على نبيه قرآناً ، فقال له : « قل انما أعظكم بواحدة » فقد ادبت اليكم ما افترض ربكم عليكم قلت : فما معنى قوله عز وجل : « أن تقوموا لله مثنى و فرادى » ؟ فقال : أما مثنى يعنى طاعة

رسول الله ﷺ وطاعة أمير المؤمنين علياً وأما قوله: «فرادى» يعنى طاعة الامام من ذريتهما من بعدهما ولا والله يا يعقوب ما عنى غير ذلك .

وفي المناقب : لابن شهر آشوب رحمة الله تعالى عليه عن الامام الباقر والصادق عليهما في قوله تعالى : « قل انما اعظكم بواحدة » قال : الولاية « أن تقوموا لله منى » قال : الائمة و ذريتهما .

وفي روضة الكافي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر علياً في قول الله عز وجل : «ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسناً» قال : من تولى الاوصياء من آل محمد و اتبع آثارهم فذلك يزيدو ولاية من معى من النبيين والمؤمنين الاولين ، حتى يصل ولايتهم إلى آدم علياً وهو قول الله عز وجل : «من جاء بالحسنة فله خير منها» ندخله الجنة وهو قوله عز وجل : «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم» يقول : أجر المودة التى لم اسئلكم غيره ، فهو لكم تهتدون به ، وتنجون من عذاب يوم القيامة . وفي تفسير القمي : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر علياً في قوله : «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم» وذلك ان رسول الله ﷺ سئل قومه أن يودوا أقاربه ولا يؤذونه ، وأما قوله : «فهو لكم» يقول : ثوابه لكم .

وفي الكافي : باسناده عن حماد بن عثمان قال : أولم اسمعيل ، فقال له أبو عبد الله ﷺ : عليك بالمساكين فاشبعهم ، فان الله عز وجل يقول : «وما يبدىء الباطل وما يعيد»

وفي المجمع : قال ابن مسعود : دخل رسول الله ﷺ مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً ، فجعل يطعنهما بعود فى يده ، ويقول : «جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً» «جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد» .

وفيه : فى قوله تعالى : «ولوترى اذ فرغوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب» قال أبو حمزة الثمالى : سمعت على بن الحسين والحسن بن الحسن بن على علياً يقولان : هو جيش البيداء يؤخذون من تحت أقدامهم .

وفيه: وحدثني عمرو بن مرة وحمزان بن اعين انهما سمعا مهاجراً المكي يقول: سمعت ام سلمة تقول: قال رسول الله ﷺ: يعوذ عائذ بالبيت، فيبعث إليه جيش حتى إذا كانوا بالبيداء يبداء المدينة خسف بهم.

وفيه: وروى عن حذيفة بن اليمان ان النبي ﷺ ذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: فيناهم كذلك يخرج عليهم السفيناني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين جيشاً إلى المشرق وآخر إلى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة، يعنى بفسداد فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويفضحون أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بنى العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون مساحولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشام، فتخرج راية هدى من الكوفة فتلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم منخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام بلياليها.

ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرئيل فيقول: يا جبرئيل! اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منها إلا رجلاً من جهينة، فلذلك جاء القول: «وعند جهينة الخبر اليقين» فذلك قوله: «ولوترى إذ فرعوا» إلى آخرها. أوردته الثعلبي في تفسيره. وفي تفسير القمي: باسناده عن أبي خالد الكابلي قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

والله لكأني انظر إلى القائم وقد اسند ظهره إلى الحجر ثم ينشد الله حقه ثم يقول: يا أيها الناس من يحاجني في الله فأنا أولى بالله أيها الناس من يحاجني في آدم فأنا أولى بآدم، أيها الناس من يحاجني في نوح، فأنا أولى بنوح، أيها الناس من يحاجني بآبراهيم، فأنا أولى بآبراهيم، أيها الناس من يحاجني بموسى، فأنا أولى بموسى، أيها الناس من يحاجني بعبسى، فأنا أولى بعبسى، أيها الناس من يحاجني بمحمد، فأنا أولى بمحمد أيها الناس من يحاجني بكتاب الله فأنا أولى

بكتاب الله ، ثم ينتهي إلى المقام ، فيصلى ركعتين و ينشد الله حقه .
ثم قال أبو جعفر عليه السلام : هو والله المضطر في كتاب الله في قوله : « أم من
يجيب المضطر إذا دعاه و يكشف سوءه و يجعلكم خلفاء الارض ، فيكون أول
من يبايعه جبرئيل ثم الثلاثمائة والثلاثة عشر ، فمن كان ابتلى بالمسير دافى ، و
من لم يبتل بالمسير فقد عن فراشه ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : هم المفقودون
عن فرشهم وذلك قول الله : « فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً »
قال : الخيرات : الولاية .

وقال في موضع آخر : « و لئن اخرنا عنهم العذاب إلى امة معدودة » وهم
أصحاب القائم صلوات الله عليه يجتمعون والله إليه في ساعة واحدة ، فإذا جاء إلى
البيداء يخرج إليه جيش السفيناني ، فيأمر الله عز وجل الارض ، فتأخذ بأقدامهم
و هو قوله عز وجل : « و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب و
قالوا آمننا به » يعني بالقائم من آل محمد صلوات الله عليهم : « و انى لهم التناوش
من مكان بعيد و حيل بينهم و بين ما يشتهون » يعني أن لا يعذبوا « كما فعل
بأشياعهم » يعني من كان « قبلهم » من المكذبين هلكوا « من قبل انهم كانوا
في شك مريب » .

وفيه : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل : « و لو
ترى اذ فزعوا فلا فوت » قال : من الصوت وذلك الصوت من السماء و قوله عز وجل :
« و اخذوا من مكان قريب » قال : من تحت أقدامهم خسف بهم .

وفيه : باسناده عن أبي حمزة قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل :
« و انى لهم التناوش من مكان بعيد » قال : انهم طلبوا الهدى من حيث لا ينال وقد
كان لهم مبدولاً من حيث ينال .

وفي غيبة النعماني : باسناده عن الحارث عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام
انه قال : المهدي أقبل جعد بخده خال ، يكون مبدؤه من قبل المشرق ، و اذا

كان ذلك خرج السفيناني فيملك قدر حمل امرأة تسعة أشهر يخرج بالشام فينقاد له أهل الشام إلا طوائف من المقيمين على الحق ، يعصمهم الله من الخروج معه ، ويأتي المدينة بجيش جرّار ، حتى إذا انتهت إلى بيداء المدينة خسف الله به وذلك قول الله عز وجل في كتابه : « ولو ترى إذ وقفوا فلا فوت و أخذوا من مكان قريب » .

و في كنز الفوائد : باسناده عن أبي خالد الكابلي عن أبي جعفر عليه السلام قال : يخرج القائم فيسير حتى يمر بمز ، فيبلغه ان عامله قد قتل ، فيرجع إليهم فيقتل المقاتلة ، ولا يزيد على ذلك شيئاً ، ثم ينطلق فيدعو الناس حتى ينتهي إلى البيداء فيخرج جيشان للسفيناني فيأمر الله عز وجل الارض أن تأخذ بأقدامهم ، وهو قوله عز وجل : « ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت و أخذوا من مكان قريب و قالوا آمنا به - يعنى بقيام القائم عليه السلام - و قد كفروا به من قبل - يعنى بقيام آل محمد عليهم السلام - و يقذفون بالغيب من مكان بعيد - إلى قوله - في شك مريب » .

و في الدر المنثور : في قوله تعالى : « ولو ترى إذ فزعوا » الآية أخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يخرج رجل يقال له : السفيناني في عمق دمشق وعامة من يتبعه من كلب ، فيقتل حتى يبقّر بطون النساء و يقتل الصبيان ، فيجمع لهم قيس فيقتلها حتى لا يمنع ذنب تلعمة و يخرج رجل من أهل بيتي ، فيبلغ السفيناني ، فيبعث إليه جيداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفيناني بمن معه حتى إذا صار بيداء من الارض خسف بهم فلا ينجو منهم إلا المخبر منهم .

أقول : ان الرواية مستفيضة عن طريق العامة ان أوردوها على طريق الاختصار والتفصيل باسانيد عديدة على طريق الاختصار والتفصيل عن ابن عباس وابن مسعود وأبي هريرة و جد عمرو بن شعيب و حذيفة و ام سلمة و صفية و عائشة و حفصة أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم و نفيرة امرأة القعقاع و عن سعيد ابن جبير موقوفاً .

و في البحار : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام - في حديث - : وخروج السفيناني براية حمراء أميرها رجل من بنى كلب واثني عشر ألف عنان من خيل السفيناني يتوجه إلى مكة والمدينة أميرها رجل من بنى امية يقال له : خزيمة أطمس العين الشمال ، على عينه ظفرة غليظة يتمثل بالرجال لا ترد له راية حتى ينزل المدينة في دار يقال لها : دار أبي الحسن الاموي ، ويبعث خيلاً في طلب رجل من آل محمد ، وقد اجتمع إليه ناس من الشيعة يعود إلى مكة أميرها رجل من غطفان إذا توسط القاع الأبيض خسف بهم ، فلا ينجو الا رجل يحول الله وجهه إلى قفاه لينذرهم ، ويكون آية لمن خلفهم ، ويومئذ تأويل هذه الاية : « ولوترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب » .

و في تفسير العياشي : عن عبد الاعلى الحلبي قال : قال أبو جعفر عليه السلام - في حديث - : يكون لصاحب هذا الامر غيبة - إلى أن قال - : فيدعو الناس يعني القائم عليه السلام إلى كتاب الله و سنة نبيه والولاية لعل بن ابيطالب عليه السلام والبرائة من عدده و لا يسمى أحداً حتى ينتهي إلى البداء فيخرج إليه جيش السفيناني ، فيأمر الله الارض فتأخذهم من تحت اقدامهم وهو قول الله : « و لو ترى اذ فزعوا فلا فوت و اخذوا من مكان قريب و قالوا آمنا به » يعني بقائم آل محمد « وقد كفروا به » يعني بقائم آل محمد عليه السلام - فلا يبقى منهم الا رجلا يقال لهما : وتر و وتره من مراد وجوههما في اقيتهما بمشيان القهقري يخبر ان الناس بما فعل باصحابهما . الحديث .

﴿ بحث فقهي ﴾

و استدل بعض المحققين من الفقهاء بقوله تعالى : « أن اعمل سابقات و قدر في السرد ، سبأ : ١١) على استحباب الصنائع لاهل الفضل والعلم ، و ان التحرف بها لا ينقص من مناصبهم ، بل ذلك زيادة في فضلهم ، إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم ، والاستغناء عن غيرهم ، و كسب الحلال الخلى عن الامتنان ، ولما ورد صحيحاً عن رسول الله الاعظم ﷺ قال : « ان خير ما أكل المرء من عمل يده وان نبي الله داود كان يأكل من عمل يده » ولذلك كان بعض الزهاد من الفقهاء لا يأكل من بيت المال ، و انما يصرفه في مصارفه و يأكل من كد يمينه .

أقول: و لقد ثبت لى بالتجربة فى الاكل من غير بيت المال من حصول التوفيق فى التحصيل والعمل والتبليغ و آثاره ما لا يدركه إلا من تجرب . وهذا إذا كان الجمع ممكناً للفقهاء والمحصلين للعلوم الدينية ، وإلا ففى جواز الاكل من بيت المال قدر الحاجة مما لا اشكال فيه .

و استدل بعض المتفقيين بقوله تعالى : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل ، سبأ : ١٣) على إباحة تصوير المجسمات و إن كانت ذوات أرواح من الانسان والحيوان أو الملائكة والجن . مستدلاً بان الجن كانت يمثلون صور الانبياء والعلماء والصلحاء بأمر سليمان عليه السلام و يجعلونها فى الميادين والمساجد والمقابر ليراهها الناس فيزدادوا عبادة و اجتهاداً و عملاً صالحاً .

أقول: و هذا مردود بوجهين :

أحدهما: ان إباحة تصوير المجسمات نسخت في الشريعة المحمدية ﷺ و لاغرو أن يكون الحكم مباحاً في زمن و حراماً في زمن آخر ما لم يكن في موضوعه قبحاً ذاتياً ، و قد بين الله تعالى : ان عيسى بن مريم عليه السلام كان يصور بأمر الله جل و علا الطين كهيئة الطير .

وهذا لو كانت التماثيل تماثيل الانسان والحيوان وقد ورد انها ما كانت منها .
 في الكافي : باسناده عن أبان بن عثمان عن أبي العباس عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل : « يعملون له ما يشاء من محاريب و تماثيل » فقال : والله ما هي تماثيل الرجال والنساء ولكنها الشجر و شبهه .
 وفي وسائل الشيعة : بالاسناد عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام : قال : لا بأس بتماثيل الشجر .

وفيه : بالاسناد عن محمد بن مسلم قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن تماثيل الشجر والشمس والقمر فقال : لا بأس ما لم يكن شيئاً من الحيوان .
 أقول : فقد ظهر ان التماثيل لصور غير ذوات الارواح ليست بمحرمة في الشريعة الاسلامية إلا أن تكون الهيئة المصورة موجبة للفساد كهيئة الصليب والصنم و آلات القمار واللهو و إن لم تستعمل .
 ثانيهما - ان تصوير صور ذوات الارواح حرام إذا كانت الصورة مجسمة بلا خلاف تصاً و فتوى ، و كذا مع عدم التجسم و فاقاً لكثير من أجلة الفقهاء الشيعة الامامية الاثنى عشرية و للروايات المستفيضة :

منها : ما في حديث المناهي - ان رسول الله ﷺ « نهى أن ينقش شيء من الحيوان على الخاتم » .

ومنها : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله المصورين » .

ومنها : قال ﷺ : « لا يدخل الملائكة بيتاً فيه صورة » .

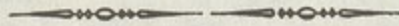
ومنها : قال ﷺ : « من صور صورة كلّف يوم القيامة أن يحييها

و الآ فالنار .

ومنها : قال رَأَيْتُمُ الْمَالِيَةَ : « من صور صورة كلفه الله تعالى يوم القيامة أن ينفخ فيها و ليس بنا فنج » .

وفي الخصال : باسناده عن محمد بن مردان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : ثلاثة يعذبون يوم القيامة : من صور صورة من الحيوان يعذب حتى ينفخ فيها و ليس بنا فنج فيها . . الحديث .

و غيرها من الروايات الواردة الدالة على حرمة تصوير ذوات الارواح . . .
ولعل الحكمة في التحريم هي حرمة التشبه بالخالق في إبداع الحيوانات و اعضاءها على الاشكال المطبوعة التي يعجز عن نقشها البشر على ما هي عليه فضلاً عن إختراعها ، و يختص الحكم بذوات الارواح ، فان صور غيرها كثيراً ما يحصل بفعل الانسان للدواعي الاخر ، من غير قصد التصوير ، ولا يحصل به تشبه بحضرة المبدع جل و علا عن الشبيه ، بل كل ما يصنعه الانسان من التصرف في الاجسام ، فيقع على شكل واحد من المخلوقات ، و يؤيد ذلك ما ورد في تفسير الآية الكريمة .
و استدلل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « كلوا من رزق ربكم واشكروا له »
سباء : ١٥) على وجوب شكر النعمة ، على ان الامر للوجوب ، مضافاً إلى وجوب الشكر للمنعم .



﴿ بحث هذشيبي ﴾

في قوله تعالى : « ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير » سبأ : ١٢ دلالة على أن الجن مكلفون كالانس ، وقد كانوا يستطيعون على الفعل والترك كالانس أيضاً . وفي الآية الكريمة رد على من انكر باحتراق الجن بالنار كأبي حنيفة ومردته ، زاعمين بان الجن خلقت من النار، وهي لا تؤثر في جنسها ، و قصة بهلول وأبي حنيفة معروفة .

وقيل : ان قوله تعالى : « فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الارض تأكل منسأته » سبأ : ١٤ : يدل على أن أجساد الانبياء عليهم السلام لا تبلى ولا تأكلها الارض . وقوله جل وعلا : « فلما خربت عين الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين » سبأ : ١٤ دليل قاطع على ان الجن لم يكونوا يعلمون الغيب ، إذ لو كانوا يعلمونه لعلموا بموت سليمان حينما مات ، ولما ظلموا يقاسون العذاب المهين فيما كانوا يقومون به من الخدمات الشاقة مدة طويلة بعد موته ، فتكشف الآية عن حقيقة الجن ، وتصحح تلك الصور المشوهة التي وقعت في أوهام الناس لهم بنسبة الخوارق إليهم ، وانهم يقدرون على كل شيء قدرة مطلقة ، و انهم يعلمون الغيب ، ولهذا يلجأ كثير من الناس إلى محاولة الاتصال بالجن كما يفعل العرافون والسحرة وغيرهم .

وقد ذهب بعض المتفسرين إلى أن قوله تعالى : « وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك » سبأ : ٢١ يدل على ان الله

تعالى لا يعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك قبل امتحان الناس بابل يس .
أقول: ان الآية الكريمة بصدد بيان إظهار نتائج الوسوسة عياناً حتى تسقط
 حجة المحتج ، ويدل على ذلك ذيل الآية : «وربك على كل شيء حفيظ» فعلم الله
 جل وعلا شامل لكل ما كان وما يكون .

وقال بعض المفسرين : ان قوله تعالى : «قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح
 بيننا بالحق» سبأ : ٢٦) يدل على اجتماع المؤمنين والكافرين قبل الحساب بعد
 البعث في صعيد واحد ، ثم يفرق بينهما كما قال جل وعلا : «يوم تقوم الساعة
 يومئذ يتفرقون - فاولئك في العذاب محضرون» الروم : ١٤-١٦) وأما الفرع
 حين البعث للكافرين فقط ، كما ان الهول والفرع والصعب عند الموت للكافرين
 دون المؤمنين .

واستدل المجسمة بقوله تعالى : «ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم»
 سبأ : ٣١) على مذهبهم السخيف .

أقول: ليس المراد بالعندية الجهة والمكان ولا قرب المسافة لان ذلك
 من صفات الاجسام تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وانما المراد هو الحكم كقوله
 تعالى في أهل الافك : «فاولئك عند الله هم الكاذبون» النور : ١٣) أى فى حكم شرعه
 ولقد ثبت فى معنى كلمة «عند» انها لا تحتاج إلى الحضور والمشاهد المرئى .

ويستدل بقوله تعالى : «الآمن آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف
 بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون» سبأ : ٣٧) على فضل الغنى على الفقر ، وذلك
 لان الله تعالى وعد الاغنياء المؤمنين الصالحين بجزاء الضعف فى الآخرة .

وقد ذهب بعض المفسرين إلى ان قوله سبحانه : «وانت خير الرازقين»
 سبأ : ٣٩) يدل على أن العباد يرزق بعضهم بعضاً لانه لو لم يصح ذلك لم يجز :
 «خير الرازقين» كما انه لما لم يجز أن يكونوا آلهة لم يصح أن يقول : أنت خير
 الآلهة وصح : «أرحم الراحمين» و«أحكم الحاكمين» و«أسرع الحاسبين» و

«أحسن الخالقين» .

أقول: وقد سبق لنا كلام في بحث التحقيق في الأقوال والتفسير والتأويل، على ان صفة الرازية لله تعالى حقيقة، ولغيره مجاز، فلا رازق سواء حقيقة . والبحث طويل فراجع إلى باب الرزق و اغتنم .

ويستدل بقوله تعالى : «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» سباء : ٤٤ على ان مشركى مكة لم يكونوا مكلفين بدين سماوى اذ لم يتم عليهم الحجة برسول أو كتاب سماوى ، فهم لا يؤاخذون بشركهم قبل البعثة المحمدية ﷺ قال الله تعالى : «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً» الاسراء : ١٥ وقد تمت عليهم الحجة بهذه الشريعة المحمدية ﷺ فيؤاخذون بعدها .

قال الله تعالى : «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل» النساء : ١٦٥

ويستدل بقوله تعالى : «إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد» سباء : ٤٦ على خاتمية نبينا محمد ﷺ إذ جعل الله جل وعلا إنذاره ﷺ بين يدي العذاب لان محمداً رسول الله ﷺ بعث قرب الساعة كما ورد صحيحاً انه قال ﷺ : «بعثت أنا والساعة جميعاً ان كادت لتسبقنى» فلا نبى بعده إلى يوم القيامة . ويستدل بقوله تعالى : «قل انما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تفكروا...» سباء : ٣٦ على الحرية الفكرية فى الاسلام ما لانظير له فى سائر الاديان الماضية ، فضلاً عن مدعيات المدعين الكذبة الشريفة سارقي الدين والعقل ، والغريبة طالقى العنان ، سارقي الدنيا والشرف ، نعم لهم حريات فى مشتهيات نفسانية ، و فى طلاقة العنان والاعتراء ... كسائر الحيوانات ...

ويستدل بقوله تعالى : «قل ما سئلتكم من أجر فهو لكم...» سبأ : ٤٧ على صدق رسالة نبينا محمد ﷺ وحقيقته ، وبيان ان الرسول لا يكون طالباً

للدنيا ولا جاهاً ولا مقاماً من الامة ، ولا يكون عاملاً للمستكبرين في رسالته كما حمل ذلك المتنبئين .

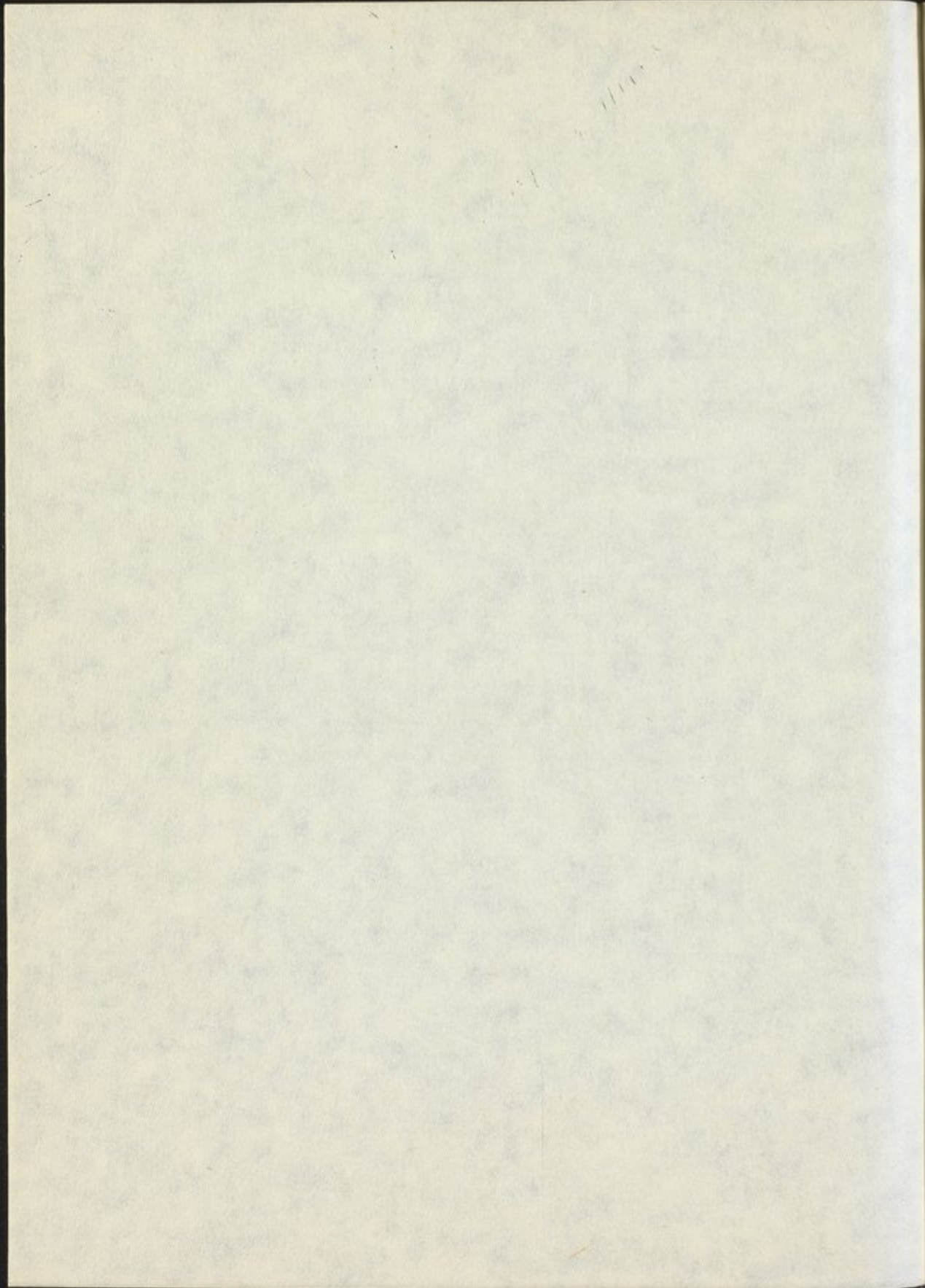
وفي قوله تعالى: «قل ان ضللت فانما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي إليّ ربي ، سبأ : ٥٠» ردّ على الأشاعرة المجبرة الذين ذهبوا إلى سلب الاختيار عن الانسان بان لا اختيار له لاعلى فعل ولاعلى ترك ، وانما هو مضطر على الفعل أو الترك وفق ما أراد الله تعالى ، فالانسان عندهم كآلة صماء في يد الفاعل المختار وهو الله الواحد القهار .

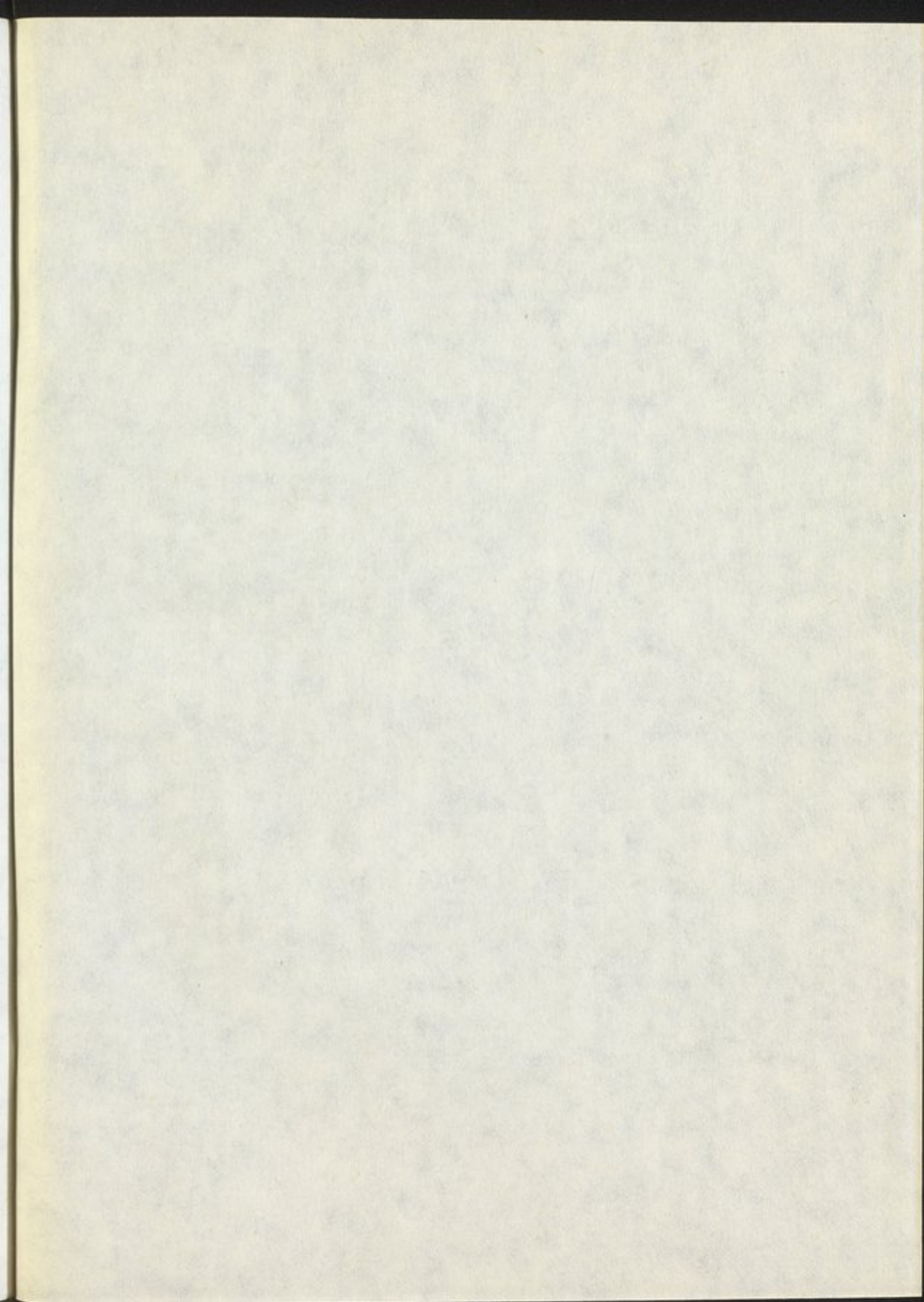
فعمدتهم السخيفة مردودة بالاية الكريمة ، إذ تنسب الضلالة إلى النفس البشرية ، وترى الوحي سبباً للهداية بصراح ، وتجعل الانسان مختاراً فيهما ، فمن أين الاجبار والاكرام في الجانبين !!! .

تمت سورة سبأ

والحمد لله الآخرة والاولى

وصلى الله على محمد وأهل بيته الطاهرة النجباء





فهرس ما جاء في تفسير سورة الاحزاب

يدور البحث حولها على فصلين :

الفصل الاول : في عناوين تفسير السورة و فيها ثمان عشرة بصيرة :

| | | |
|------------|-----------------------|---------|
| رقم الصفحة | | |
| ١٠ | فضل السورة و خواصها | الاولى |
| ١٢ | غرض السورة | الثانية |
| ١٤ | حول النزول | الثالثة |
| ٤١ | القراءة و وجهها | الرابعة |
| ٤٤ | الوقف والوصل و وجههما | الخامسة |
| ٤٧ | حول اللغة | السادسة |
| ٥٧ | بحث نحوى | السابعة |
| ٨٥ | بحث بيانى | الثامنة |
| ١٦٢ | إعجاز السورة | التاسعة |
| ١٦٦ | حول التكرار | العاشرة |

| رقم الصفحة | | |
|------------|-------------------------------------------|-------------|
| ١٦٨ | حول التناسب | الحادية عشر |
| ١٨٠ | كلام في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه | الثانية عشر |
| ١٨٨ | تحقيق في الأقوال و بيان المختار منها | الثالثة عشر |
| ٢٦٠ | تفسير القرآن بالقرآن و بيان التأويل | الرابعة عشر |
| ٣٢٤ | ذكر جملة المعاني | الخامسة عشر |
| ٣٤٤ | بحث روائي | السادسة عشر |
| ٣٨٨ | بحث فقهى | السابعة عشر |
| ٣٩٩ | بحث مذهبي | الثامنة عشر |



الفصل الثاني: في مواضع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث

عنها في سورة الاحزاب و فيها ست بصائر :

البصيرة الاولى: و فيها أربعة أمور :

| رقم الصفحة | | |
|------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| ٤٠٣ | بحث تاريخي في التبتى قبل الاسلام و قصة زيد بن حارثة | الاول |
| ٤٠٧ | بحث روائى فى اشارة زيد بن حارثة | الثانى |
| ٤١٢ | شبهات فى زواج النبى الكريم <small>صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ</small> من زينب و دفعها | الثالث |
| ٤١٨ | بحث علمى فى إبطال التقاليد الجاهلية و أحكام التبتى | الرابع |

البصيرة الثانية: و فيها امور تسعة :

| رقم الصفحة | | |
|------------|--------------------------------------------------|--------|
| ٤٢٢ | تحقيق علمى وتاريخى فى غزوة الخندق و أيام الأحزاب | أحدها |
| ٤٢٩ | كلام فى قصة أيام الاحزاب | ثانيها |
| ٤٥٥ | بحث روائى فى صخرة بيضاء فى بطن الخندق يوم الخندق | ثالثها |
| ٤٦١ | الجوع والاعجاز يوم الخندق | رابعها |

| | | |
|------------|------------------------------------------------------------------------|--------|
| رقم الصفحة | | |
| ٤٦٦ | جنود الله عز وجل في أيام الاحزاب و حذيفة بن اليمان | خامسها |
| ٤٧٣ | الامام على <small>عليه السلام</small> و عمرو بن عبدود يوم الخندق | سادسها |
| ٤٨٤ | الامام على <small>عليه السلام</small> و ذوالفقار | سابعها |
| ٤٨٩ | بحث روائى فى فضل ضربة الامام على <small>عليه السلام</small> يوم الخندق | ثامنها |
| ٤٩٤ | حكم سعد بن معاذ يوم الخندق و غزوة بنى قريظة | تاسعها |

البصيرة الثالثة : و فيها اثنى عشر أمراً :

| | | |
|------------|----------------------------------------------------------------------------|--------|
| رقم الصفحة | | |
| ٥١٢ | بحث عميق علمى فى اختصاص آية التطهير بالمعصومين <small>عليهم السلام</small> | الاول |
| | تحقيق علمى عميق : بيانى و قرآنى و روائى و فلسفى | الثانى |
| ٥١٧ | فى آية التطهير والعصمة | |
| ٥٢٦ | آية التطهير و أهل البيت المعصومون <small>عليهم السلام</small> | الثالث |
| ٥٤٠ | أهل بيت الوحي و أصحاب الكساء <small>عليهم السلام</small> | الرابع |
| ٥٤٨ | حدث الكساء والاستشفاء به | الخامس |

| | | |
|------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|------------|
| رقم الصفحة | | |
| ٥٥٤ | كلمات العلماء في اختصاص آية التطهير بالمعصومين <small>عليهم السلام</small> | السادس |
| ٥٦٣ | كلمات المحققين في اختصاص آية التطهير بالمعصومين <small>عليهم السلام</small> | السابع |
| ٥٦٩ | أهل بيت النبوة <small>عليهم السلام</small> و شيعتهم | الثامن |
| ٥٧٢ | أهل البيت هم العترة الطاهرة وآل الرسول <small>عليهم السلام</small> | التاسع |
| ٥٨٢ | أهل بيت الوحي و طهارة مولدهم <small>عليهم السلام</small> | العاشر |
| ٥٩٣ | أهل بيت الوحي <small>عليهم السلام</small> و خزّان العلم السماوي | الحادي عشر |
| ٥٩٧ | وديعة رسول الله <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> و حب أهل بيت الوحي <small>عليهم السلام</small> | الثاني عشر |

البصيرة الرابعة : وفيها ثلاثة أمور :

| | | |
|------------|-------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| رقم الصفحة | | |
| ٦٠٥ | بحث روائي و كلام علمي في خاتمية نبينا محمد <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> | أحدها |
| ٦١٣ | تحقيق عميق علمي : قرآني و كلامي و إجتماعي في خاتمية نبينا محمد <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> | ثانيها |
| ٦١٨ | المتنبؤون بعد خاتم الانبياء <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> و معجزاتهم الكاذبة | ثالثها |

البصيرة الخامسة : وفيها سبعة أمور :

| | | |
|------------|-------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| رقم الصفحة | | |
| ٦٢٧ | بحث روائي في ثواب الصلوات على محمد وآله <small>عليهم السلام</small> | الاول |
| | تحقيق علمي : روائي و نفسي و أخلاقي و إجتماعي في تأثير الصلوات | الثاني |
| ٦٣٤ | | |
| ٦٣٦ | الصلوات على النبي و آله <small>عليهم السلام</small> و إستجابة الدعاء | الثالث |
| ٦٤١ | الصلوات الكبيرة على الائمة المعصومين <small>عليهم السلام</small> | الرابع |
| ٦٤٧ | بحث روائي في الصلوات على النبي و آله <small>عليهم السلام</small> | الخامس |
| ٦٥٣ | بحث روائي في حقوق الآل في الصلوات على النبي الكريم <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> | السادس |
| ٦٦٢ | كلام في وجوب الصلوات على محمد و آله <small>عليهم السلام</small> | السابع |

البصيرة السادسة : وفيها أمور ثلاثة :

| | | |
|------------|------------------------------------------------|--------|
| رقم الصفحة | | |
| ٦٧٣ | كلام في الايذاء واللعنة | أحدها |
| ٦٧٦ | الامام على <small>عليه السلام</small> والايذاء | ثانيها |
| ٦٨١ | في النهي عن ايذاء المؤمنين | ثالثها |

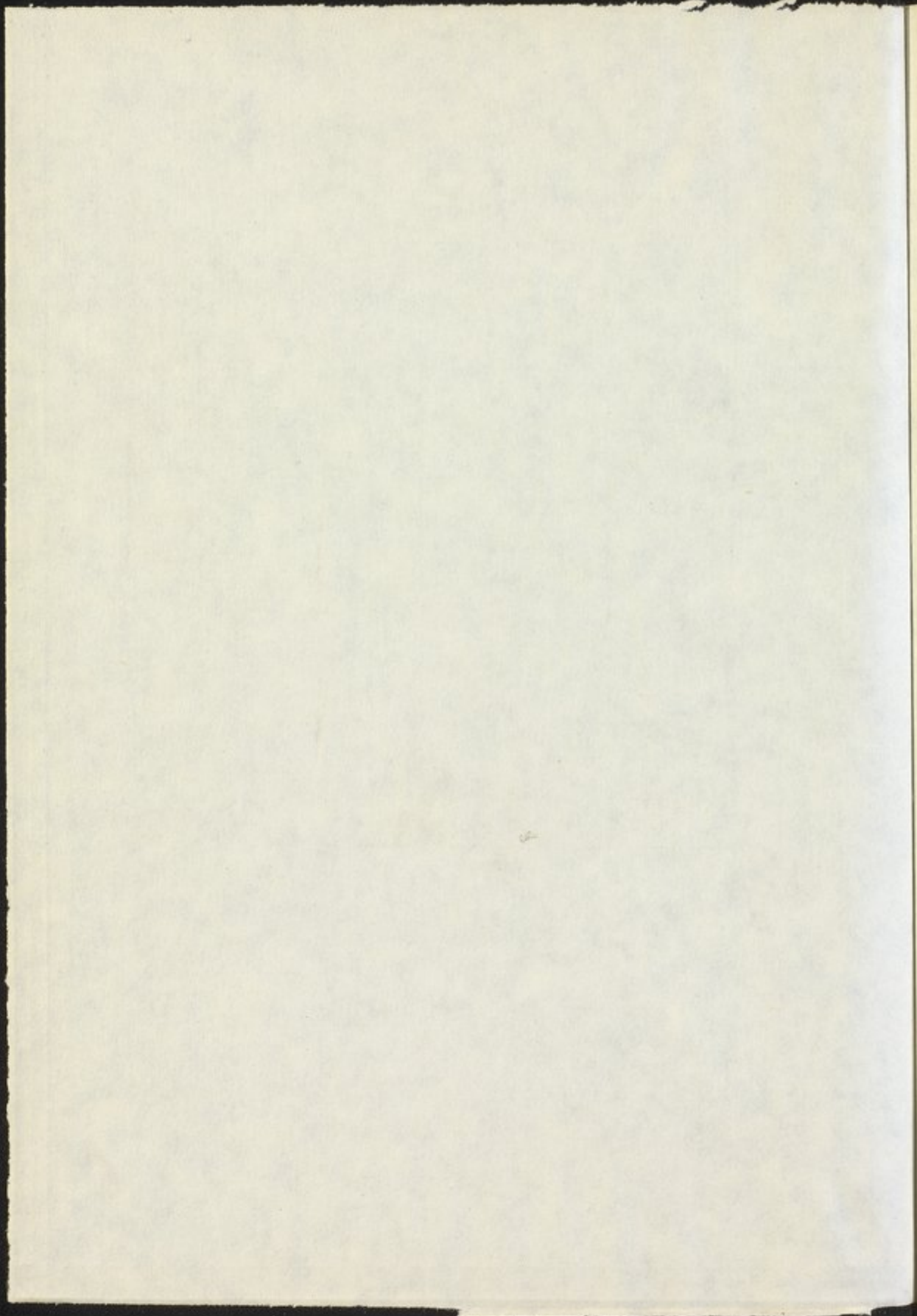
فهرس ما جاء فى تفسير سورة سبأ

يدور البحث حولها على ثمان عشرة بصيرة :

| | | |
|------------|-----------------------|---------|
| رقم الصفحة | | |
| ٦٨٨ | فضل السورة و خواصها | الاولى |
| ٦٩١ | غرض السورة | الثانية |
| ٦٩٤ | حول النزول | الثالثة |
| ٦٩٧ | القراءة و وجهها | الرابعة |
| ٧٠٠ | الوقف والوصل و وجههما | الخامسة |
| ٧٠٣ | حول اللغة | السادسة |
| ٧١٤ | بحث نحوى | السابعة |
| ٧٤٠ | بحث بيانى | الثامنة |
| ٨٠١ | إعجاز السورة | التاسعة |
| ٨٠٨ | حول التكرار | العاشرة |

| رقم الصفحة | الموضوع | الترتيب |
|------------|-------------------------------------------|-------------|
| ٨١٤ | حول التناسب | الحادية عشر |
| ٨٣١ | كلام في الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه | الثانية عشر |
| ٨٣٢ | تحقيق في الاقوال و بيان المختار منها | الثالثة عشر |
| ٩٠٢ | تفسير القرآن بالقرآن و بيان التأويل | الرابعة عشر |
| ٩٧٩ | ذكر جملة المعاني | الخامسة عشر |
| ٩٩٢ | بحث روائى | السادسة عشر |
| ١٠٢٨ | بحث فقهى | السابعة عشر |
| ١٠٣١ | بحث مذهبى | الثامنة عشر |





116-



